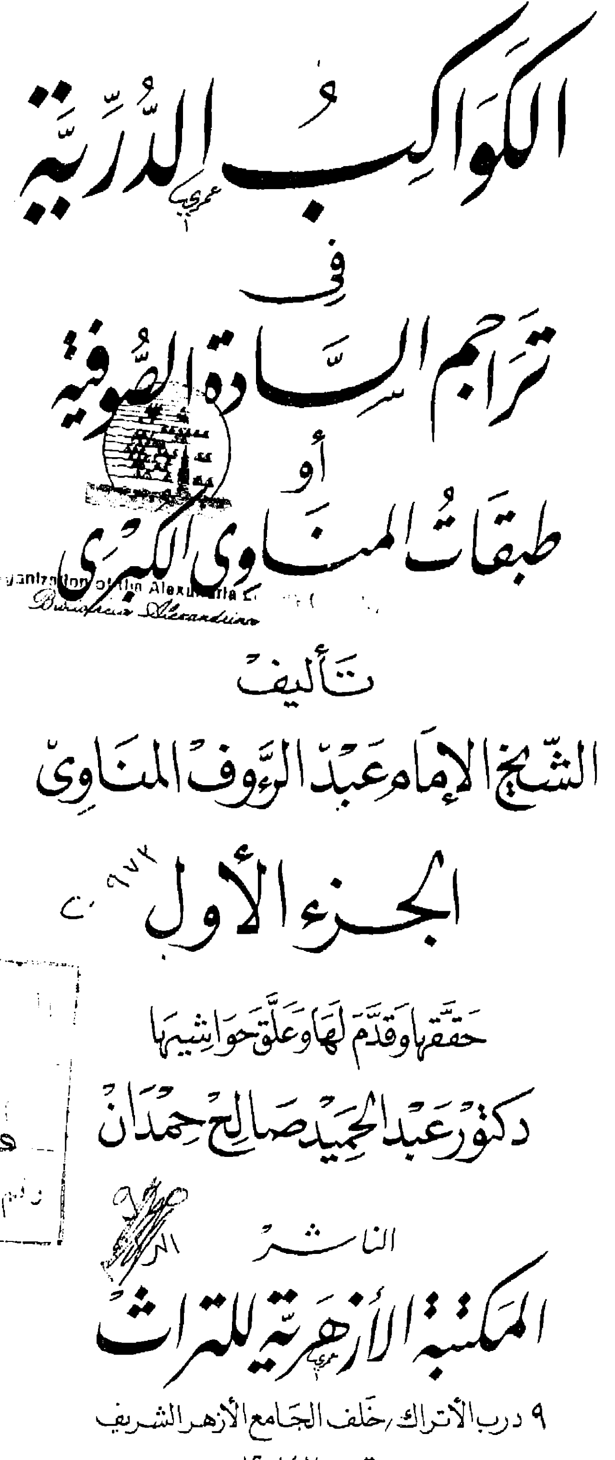


الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية

أو طبقات المناوي الكبرى

تأليف

الشيخ الإمام عبد الرؤوف المناوي

الجزء الأول

حققها وقدم لها وعلق حواشيها

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف
ت : ٥١٢٠٨٤٧



مقدمة المحقق

الحمد لله الذى شرح صدور أوليائه ، وروح أرواح أهل وداده وأصفيائه ، أحمده حمدا كثيرا على ما أسبغ وأنعم ، وأشكره شكرا جزيلا على عظيم فضله وإحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما . . وبعد . .

فهذا كتاب جليل من كتب تراجم السادة الصوفية التى وصلتنا ، والتى وصل فيها فن كتابة التراجم أَوْجَهُ وتمامه. وكتب التراجم من المؤلفات العربية التى تضم الكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية التى سادت العالم الإسلامى ، ويطلق عليها أيضا اسم كتب الطبقات . وهى تتألف من سير طائفة معينة من طوائف الفقهاء أو العلماء أو الأدباء أو الصوفية أو غيرهم جيلا بعد جيل . وهى تعتبر من المؤلفات التاريخية بل هى أثبت صور التعبير التاريخى وأشهرها حيث كانت سيرة الرسول ﷺ منبعا ومصدرا لكتابة سير الخلفاء والولاة والعلماء ، وتدوين حياتهم وصفاتهم وخبراتهم ، وبذلك أصبح التاريخ فى أذهان الكثيرين مرادفا تقريبا للتراجم وسير الرجال .

وقد تباينت كتب التراجم تباينا شديدا تبعا لموضوع البحث والمعالجة ، ولكن ظل العنصر المشترك الوحيد بينها هو تاريخ وفيات أصحاب التراجم ، فهو التاريخ الثابت فى حياة الشخص ، أما تاريخ الميلاد فقلما كان معروفا إلا إذا كان المترجم نفسه قد أخبر به . وقد عُنيت كل طائفة بوضع تراجم لكبار رجالها وصفوة علمائها والإشادة بهم وتخليد ذكراهم . ومن هذه الكتب تراجم الصوفية عامة ، التى حظيت بعدد كبير منها ، لحرصهم على التعريف بهم وبتربيتهم وأعمالهم لكى

تكون نبراسا للمريدين والسالكين .

وكتاب « الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية » من هذه الكتب الخالدة التى سهر مؤلفها الإمام عبد الرءوف المُناوى على جمعها ونشر تفاصيلها ، فجاءت شاملة مانعة ومجموعا جموعا .

نبذة عن تاريخ حياة المؤلف :

يُعد الإمام عبد الرءوف المناوى ـ طيب الله ثراه وروح روحه الطاهرة وأنار ضريحه ـ من العلماء الأفذاذ المكثرين ، ومن عظماء المجددين فى الإسلام ، فهو قد جمع بين الشريعة والحقيقة ، وبين علوم الظاهر والباطن ، فجاء فريد عصره ووحيد نسجه .

وقد ولد شيخنا الجليل الإمام عبد الرءوف ابن تاج العارفين ابن على بن زين العابدين بن يحيى بن محمد ، زين الدين الحدادى المُناوى القاهرى الشافعى بالقاهرة سنة ٩٥٢هـ . ونشأ فى بيت علم وأدب ، وبين أسرة كلها صلاح وتقوى ، وكان أجدادها قد انتقلوا إلى مصر فى القرن السابع الهجرى ، قادمين من قرية حدادة من أعمال تونس (ومن هنا جاءت نسبته الحدادى) ، واستقروا فى مُنية بنى خصيب بالوجه القبلى من مصر (ومن هنا جاءت نسبته المُناوى) . وانكب منذ صغره على العلم ، وتفقه على علماء عصره وأخذ عنهم ، وبرع فى العلوم الدينية ، وتتلمذ على يد الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وأخذ عنه التصوف . وتقلد نيابة الشافعية لبعض الوقت إلى أن انقطع عن مخالطة الناس ، وانعزل فى منزله ، وأقبل على التأليف ، فصنّف فى غالب العلوم . ولما خرج من عزلته تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، وتخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفذاذ . واختاره الله إلى جواره سنة ١٠٣١هـ ، بعد حياة حافلة بالمؤلفات العديدة التى تربو على المائة ، نالت ذيوعا واسعا فى حياته وتخاطفتها الأيدى ومازالت [١].

---

(١) انظر ترجمته فى المحبى ، خلاصة الأثر ، جـ ٢ ، ص ٤١٣ ـ ٤١٨ .

مؤلفات الإمام المناوى :

وأما تآليفه فمنها :

- شرح الفن الأول من كتاب النقاية [1].

- وكتاب فى فنى المنطق والكلام سماه إعلام الأعلام بأصول فنى المنطق والكلام .

- وشرح النخبة [2] شرحين كبيراً سماه نتيجة الفكر على نخبة ابن حجر وصغيرا فى نحو كراسة .

- وشرح شرح النخبة وسماه اليواقيت والدرر بشرح شرح نخبة ابن حجر.

- وشرح الجامع الصغير [3] شروحا ثلاثة ، الكبير سماه : فيض القدير بشرح الجامع الصغير.

والوسط سماه : فتح الرءوف القدير بشرح الجامع الصغير .

والصغير سماه : التيسير بشرح الجامع الصغير .

- وكتاب فى الحديث سماه : الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور جمع فيه ثلاثين ألف حديث معقبا كل حديث ببيان رتبه وميز ما وقع فيه من الزيادات على الجامع الكبير لجلال السيوطى .

- وكتاب أخر فى الأحاديث القصار سماه : المجموع الفائق من حديث خير الخلائق ، رتبه على حروف المعجم ، وعقب كل حديث ببيان رتبته .

- وكتاب آخر سماه : كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق ، جمع عشرة آلاف حديث فى عشر كراريس ، كل حديث فى نصف سطر .

---

(١) وكتاب النقاية هذا من تأليف الإمام جلال الدين السيوطى، حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ٢/ ١٩٧٠ .

(٢) أى نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر لابن حجر، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٢/١٩٣٦.

(٣) الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، للإمام السيوطى .

- وكتـاب انتقاه من لسـان الميزان [١] مما بين فـيه أنه مـوضـوع أو منكر أو متروك .

- وشرح نبذة الشيخ أبى الحسن البكرى فى ليلة النصف من شعبان .

- وكتاب آخر فى فـضل ليلة النصف من شعبان سماه : التبـيان فى فضائل ليلة النصف من شعبان .

- وكتاب فى الأحاديث الواردة فى فضل تلاوة القرآن .

- ورسالة فيما ورد من الأحاديث فى فضل قضاء حوائج الناس .

- وكتاب فى ليلة القدر سماه : إسفار البدر عن ليلة القدر .

- وشرح الأربعين النووية .

- ورتب كـتاب الشهـاب للقضـاعى [٢]وسمـاه : إسعاف الطـلاب بترتيب الشهاب ، وشـرحه شرحين ، صغيـرا ، وكبيرا سمـاه : فتح الرؤوف الوهاب بشرح ترتيب الشهاب .

وشرح متن الشهاب وسماه : رفع النقاب عن كتاب الشهاب .

- وكتاب فى الأحاديث القدسية سماه: الإتحافات السنّية بالأحاديث القدسية.

- وكتاب فى المعراج سـماه : نخبة الابتهاج بفـوائد الإسراء والمعراج وآخر أوسع منه ، بالتماس الفقير سماه : إتحاف التاج بفوائد الإسراء والمعراج .

- وشرح الباب الأول من كتاب الشفا[٣].

- وشرح الشمائل للترمذى شرحين أحدهما مزج والآخر قولات .

---

(١) لابن حجر العسقلانى وهو ملخص ميزان الاعتدال للإمام الذهبى .

(٢) شهاب الأخبار فى الأحكام والأمثال والآداب للقضاعى ، أبو عبد الله محمد المتوفي سنة ٤٥٤هـ.

(٣) للقاضى أبى الفضل عياض المتوفى سنة ٤٥٤ هـ .

- وشرح ألفية السيرة لجدنا الولى العراقى شرحين أحدهما مزج سماه : الفتوحات السبحانية بشرح نظم الدرر السنّية فى السيرة الزكية ، والآخر قولات .

- وشرح الخصائص الصغرى [1] شرحين ، صغيرا سماه : فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب ، وكبيرا سماه : توضيح فتح الرؤوف المجيب .

- واختصر شمائل الترمذى وزاد عليه أكثر من النصف وسماه : الروض الباسم فى شمائل المصطفى أبى القاسم .

- وخرج أحاديث القاضى البيضاوى .

- وكتاب فى الأدعية سماه : الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة .

- وآخر سماه : المطالب العلية فى الأدعية الزهية [2].

- وكتاب فى أوراد العبادة سماه : مفتاح السعادة بمأثور أذكار العبادة .

- وكتاب فى الأوراد سماه : كنز الطالبين لأوراد الأولياء والمساكين .

- وكتاب فى أذكار المناسك سماه : إتحاف الناسك بأذكار السفر والمناسك .

- وكتاب فى اصطلاح الحديث سماه : بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين .

- وشرح الورقات لإمام الحرمين ونظمها لشيخ الإسلام ابن أبى الشريف شرحين مزج وقولات .

- وكتاب فى الأوقاف سماه : تيسير الوقوف على غوامض أحكام الموقوف.

- وشرح زبد ابن أرسلان سماه : فتح الرؤوف الصمد فى شرح صفوة الزبد [3].

---

(١) للإمام جلال الدين السيوطي .

(٢) تحت الطبع بتحقيقنا .

(٣) السخاوى ، الضوء اللامع ، ١/ ٢٨٢ـ .

- وشرح كتاب لشيخ الإسلام زكريا [1] سماه : إحسان التقرير بشرح التحرير.

- وشرح كتاب عماد الرضا وسماه : فتح الرؤوف القادر .

- وشرح العباب للمجز [2] وسماه : إسعاف الطلاب بشرح العباب ، انتهى فيه إلى كتاب النكاح .

- وشرح المنهج ، انتهى فيه إلى كتاب الضمان .

- وشرح هداية الطالب للشيخ أبى الحسن البكرى وسماه : عين الراغب بشرح هداية الطالب . .

- وكتاب فى الألغاز والحيل وسماه : بلوغ الأمل فى الألغاز والحيل .

- وكتاب فى الفرائض سماه : النبذة السنية فى علم المواريث الفرضية

- وكتاب فى الفقه طرزه بمسائل اختلف فيها الشافعي وأبو حنيفة رضى الله عنهما.

- ورسالة فى أحكام المساجد سماه : تهذيب التسهيل .

- وكتاب فى مناسك الحج على المذاهب الأربعة سماه : إتحاف الناسك بأحكام المناسك .

- وشرح البهجة الوردية [3] وسماه : الفتح السماوى بشرح بهجة الحاوى[4] كتب منه نحو النصف ثم اختصره في نحو ثلث حجمه .

- ورتب فتاوى جده شيخ الإسلام يحيى المناوى وسماه : نزهة الحاوى بفتاوى الشرف المناوى.

---

(١) الشيخ زكريا الآنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ .

(٢) كتاب العُباب للباعوني فى الفقه الشافعى ، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٢/ ٤٢٢.

(٣) حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ١/ ٢٥٩ .

(٤) حاجى خليفة ، المرجع السابق ، ٢/ ٦٢٧ .

ـ وفتاوى السيد السمهورى وسماه : الروضة الزهية بالفتاوى السمهورية .

ـ وجمع فتاوى أهل القرن التاسع : الجلال البكرى والكمال ابن أبى شريف وأخيه البرهان وشيخ الإسلام زكريا ، ورتب ذلك على أبواب الفقه وسماه : مجمع الفوائد بفتاوى الأئمة الأماجد .

ـ ورسالة فى الدراهم والدنانير المشروطة فى كتب الأوقاف .

ـ ورسالة البسملة والحمد لة .

ـ وانتقى كتابا من الأنوار سماه : الأزهار فى مسائل الأنوار .

ـ ورسالة فى أحكام الحمام سماها : النزهة الزهية فى أحكام الحمام الطبية والشرعية [١] .

ـ وشرح الشمعة المضية فى علم العربية لجلال السيوطى وسماه : المحاضر الوضية على الشمعة المضية .

ـ وشرح الآجرومية وسماه : مدخل المبتدى بنحو المنتهى .

ـ وكتاب جمع فيه عشرة علوم : علم المنطق ، فأصول الدين ، فأصول الفقه فالفرائض فالنحو ، فالتشريح ، فالطب ، فالهيئة ، فأحكام النجوم ، فالتصوف ، وسماه : إتحاف المهرة بالعلوم العشرة .

ـ وكتاب فى فضل العلم وأهله .

ـ وشرح القاموس [٢] ، انتهى فيه إلى حرف الذال وسماه : إيناس النفوس بشرح القاموس .

ـ وكتاب زيادات على القاموس ، وصل فيه إلى حرف الذال أيضا .

---

(١) صدر فى القاهرة بتحقيقنا ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادى .

- واختصر الأساس للزمخشرى ورتبه كالقاموس وسماه :إحكام الأساس.

- وكتاب الأمثال سماه : عماد البلاغة فى أمثلة أولى اليراعة .

- وكتاب فى أسماء البلدان .

- وكتاب فى التعاريف سماه : التوقيف على مهمات التعاريف [١] .

- وكتاب فى أسماء الحيوان سماه : قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان.

- وكتاب فى المواليد الثلاث سماه : غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد [٢].

- وكتاب فى التفضيل بين الملك والإنسان .

- وكتاب الأنبياء سماه : فردوس الجنان فى مناقب الأنبياء المذكورين فى القرآن .

- وطبقات كبرى أسماها : الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية [٣]، وصغرى سماها : إرغام أولياء الشيطان بذكر أولياء الرحمن .

- وكتاب الصفوة بمناقب بيت آل النبوة .

- وأفرد السيدة فاطمة بترجمة

- وكذا الإمام الشافعى .

- والشيخ على الخواص شيخ الشيخ عبد الوهاب الشعراوى .

- وشرح منازل السائرين [٤].

---

(١) صدر بتحقيقنا عن دار « عالم الكتب » ، القاهرة ١٩٩٠.

(٢) يصدر قريبا بتحقيقنا عن « دار الغد العربى » ، القاهرة .

(٣) وهو الكتاب الذى بين أيدينا .

(٤) للشيخ عبد الله إسماعيل الهروى المتوفى سنة ٤٨١هـ.

- وحكم ابن عطاء الله السكندرى وسماه : الدرر الجوهرية فى شرح الحكم العطائية ، وشرح ترتيبها للشيخ على المتقى وسماه : فتح الحكيم الحكم بشرح ترتيب الحِكم .

- وشرح المواقف النفرية وسماه : تنبيه الواقف فى حل ألفاظ المواقف .

- وشرح رسالة الشيخ ابن علوان فى التصوف وسماه : الجوهرة الفاخرة فى بيان أصل الطريق إلى معرفة الدنيا والآخرة .

- وشرح رسالة ابن سينا فى التصوف .

- والقصيدة العينية نظم ابن سينا فى الروح .

- ورسالة سماها : منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين .

- ورسالة فى التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده

- ورسالة سماها : البرهان فى دلائل خلق الإنسان .

- وشرح ألفية ابن الوردى فى المنامات .

- وشرح منظومة ابن العماد[1] فى آداب الأكل وسماها : فتح الرؤوف الجواد بشرح منظومة ابن العماد .

- وكتاب فى الآداب سماه : تذكرة أولى الألباب بمعرفة الآداب .

- وآخر فى آداب الملوك وسماه :الجواهر المضية فى الآداب السلطانية [2].

- ورسالة فى الطب سماها : بُلْغة المحتاج إلى أصول الطب والعلاج .

- وكتاب فى ذم البخل ومدح الجود سماه : الدر المنضود .

- وكتاب تاريخ الخلفاء .

---

(١) .ابن العماد الاقفهسى .

(٢) يصدر قريبا بتحقيقنا عن « دار الغد العربى » ، القاهرة .

هذا ما كمل ، وما لم يكمل فتفسير انتهى فيه إلى معظم البقرة وحاشية على تفسير المفتى ، وشرح على شرح العقائد لسعد التفتازانى سماه : غاية الأمانى بشرح شرح عقائد التفتازانى . وشرح نظم العقائد لابن أبى شريف . واختصر التمهيد للإسنوى . وشرح زوائد الجامع الصغير وسماه : مفتاح السعادة بشرح الزيادة . واختصر كتاب عماد الرضا فى أدب القضا . وأيضا كتاب العباب ، وكتب حاشية على العباب ، وحاشية على شرح المنهج ، وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى . وشرح هدية الناصح للشيخ أحمد الزاهد [1] وشرح تصحيح المنهاج الصغير للقاضى عجلون . وشرح مختصر الإمام المزنى . واختصر الجزء الأول من المصباح فى علم المفتاح للجلدكى ، وشرح التحفة فى الفرائض وتذكرة عظيمة ينبغى أن يفرد كل منها بالتأليف .

كتاب الكواكب الدرية أو طبقات المناوى الكبرى

فرغ الإمام المناوى من تأليف هذه الموسوعة سنة ١٠١١ هـ ، وصدرها بمقدمة فى الكرامات ، ثم أتبع ذلك بأبواب فى سيرة الرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ، تتلوها تراجم السادة الصوفية ، مفردا طبقات كل قرن على حدة حسب سنى وفياتهم ومرتبة على حروف المعجم ، فجاءت إحدى عشرة طبقة ، وبلغت فى مجموعها ٩٠٢ ترجمة ، وقد حوت هذه التراجم نشأة من ترجم لهم ، وتربيتهم وشيوخهم وتلاميذهم وأسفارهم ومؤلفاتهم ، وتاريخ وفاتهم ، وتوج كل سيرة بطائفة من أقوال صاحبها وكراماته . وأطال الإمام المناوى حيث اقتضى الأمر التطويل وأوجز حيث اقتضى الحال الإيجاز ، معتمدا فى ذلك كله على أمهات المصادر والمراجع التى تدل على سعة علمه ومعارفه وموضوعيته .

وهذا الكتاب ، رغم أنه من المراجع التاريخية الأصيلة ، لم يحظ بالعناية

(١) يصدر قريبا بتحقيقنا عن « دار الغد العربى » ، القاهرة .

اللائقة ولم ينشر نشرا علميا محققا [1]. فاستخرت الله سبحانه وتعالى وطلبت منه العون على إتمام هذه العمل الجليل وتحقيقه تحقيقا علميا . وقد اعتمدت فى ذلك على مخطوطتى برلين (ب١ و ب٢) ومخطوطة شستربيتى ، دبلن (ش ١) ، (انظر اللوحات ١ ـ ٥) .

وقد استعنت فى تحقيق الجزء الأول بنشرة المرحوم الشيخ محمود حسن ربيع ، مع إدخال التعديلات والتصويبات بعد المضاهاة والمقابلة مما اقتضته أصول التحقيق .

وقد زودنا الكتاب بالفهارس لتكون عونا لكل العلماء والباحثين والدارسين .

والله أسأل أن يغفر لى ولمؤلفه ، وأن ينفع به القاصى والدانى من الأخيار والصالحين ، وهو على كل شئ قدير ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

دكتور عبد الحميد صالح حَمدان
دكتوراه الدولة فى الآداب والعلوم الإنسانية
(جامعة باريس)

---

(١) . قام فضيلة الشيخ محمود حسن ربيع ، رحمه الله ، وهو من علماء الأزهر الشريف بإخراج جزأين فقط فى عام ١٩٣٨ ، وصل فيهما إلى تراجم من مات بعد الخمسمائة .

كتاب كواكب الدرية في تراجم الصوفية للمناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كشاف الغطا فياض العطا مقرب اهل
الصفا من حضرة الوفا احمده حمد من ازال عنه الخفا واشكره
شكر من ازال عنه الجفا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة عبد به تحقق وبه يكتفا واشهد ان محمدا عبده ورسوله
قدوة السالكين المصطفا صلى الله وسلم عليه وعلى ابيه آدم
وما بينهما من الانبيا والمرسلين اهل العناية والاصطفا وآل
كل وصحبهم وسائر الاولياء والصالحين وتابعيهم في كل
زمن على الوفا صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما دام الحق
تقدس ويقرب من عنده عفا وبعد فهذه الطبقة الخامسة من
الكواكب الدرية فيمن مات بعد الاربعمائة الى اخر القرن الخامس
وهم ثمانية عشر ابراهيم القرشي امام مسجد الزبير ابراهيم ابو اسحق الشيرازي
احمد الثعلبي الحسن ابو علي الدقاق الحسن بن بشر الجوهري
ابو سعيد القشيري

اللوحة رقم (١) عن مخطوطة برلين (ب ١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي سقا اولياءه واعاظم عباده من كاس وداده ما اذهلهم عن السهاد والكرى وشغلهم به عن سواه فهاموا واستهاموا وما كانت الاغيار عندهم الا حديثا يفترى وانالهم من مواهبه ما غيبهم عن الورى وتوعد من ناواهم واذن من عاداهم بحرب من الله ورسوله فيا خيبة من وعيد ما اشده لمن عقل ودرى والصلاة والسلام على سيد الاولياء وسيد خلاصة الاصفياء الذي ارتقى سبعا شداداه وابان من اضمر الباطل اعتقاده ومحى اولياءه فما ضرهم من عاد الى الباطل لوكان "سيدنا محمد" وآله وصحبه الذين تسابقوا في حلبة الهدى جهادا اجتهادا ونظموا جواهر حكمهم على جيد الزمان مثنى وثلاث وفرادى وبعد فان الله اوجب على المؤمنين محبة الاولياء والعلماء الامجاد وذم من ينتقص بعضهم لموالاة بعضهم جهلا لسوء اعتقاده كيف وهم امناء الايمان وحكماء الانام وشموس الاسلام اولئك القوم ان عدوا لمكرمة من سواهم فلغو غير معدوده والفرق بينهم وبين الورى جميعا وبينهم كالفرق ما بين معدوم وموجود لكن عالم الشوق لا يصل الى مشاهدة الجمال وما قدر الشمع لا ينال عرف الوصال ومن لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الاكباد واني كنت قبل ان يكتب الشباب خط العذار اردد طرفي في اخبار الاولياء الاخيار واتتبع مواقع اشارات حكم الصوفية الابرار واترقب احوالهم واسبر اقوالهم الى ان هويها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا حتى حملت من ذلك على فوائد عاليات وحكم شامخات ساميات فالهمت ان اقيد ما وقفت عليه في وريقات وان اجعله في ضمن التراجم

كما فعله بعض الاعاظم الاثبات فأترك الصوفية في طبقات وضربت لهم في هذا المجموع سرادقات ورتبتهم على حروف المعجم عشر طبقات كل مائة سنة طبقة وجعلتهم كواكب كلها معالم للهدى ومصابيح للدجى ورجوما للمسترقة ولكنني لم استوعب بل اقتصرت على جمع من السالكين المشمرين بالزهد المتحققين بالارشاد والرشد ممن له كلام عال في الحقائق وباشر الاحوال والطرائق وظهرت عليه الكرامات والخوارق وقطع العلائق والعوائق فان القصد بعد التعليق النفع بالمهم من الكلام في الحقائق والحكم والاحكام وما سواه بالنسبة اليه تتمات وان كانت في نفسها من انفس المهمات فدونك مجموعا جموعا اشتمل على حكم عالية المقدار واشارات بديعة رفيعة المنار وحكايات ليس فيها شكايات ونوادر في ضمنها زواجر ومواعظ تعمت اللافظ ويتوب بها الفاجر وفوائد يسود بها القرطاس ويود لو زيد فيه سواد القلب والبصر وتسود بها الاوراق فتبيض بها اسود من الشعر والقرو وسميته الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية وانا افقر عباد الله واحوجهم الى الطاف الخفية عبد الرؤف بن سليل العصابة المناوي والله اسال ان يجعلني من جملة احبابه ولا يواخذني بالتقصير في خدمة جنابه ولابد من مقدمة قبل الشروع في المقصود فاقول مستمدا من بحر جود واجب الوجود مقدمة الكرامة ظهور امر خارق للعادة على يد الولي مقرون بالطاعة والعرفان بلا دعوى نبوة وتكون للدلالة على صدقه وفضله او لنقوة يقين صاحبها او غيره وهي جائزة وواقعة عند اهل السنة ولو بقصد الولي على الاصح وان كان الغالب خلافه ومن جنس المعجزات على الصواب لشمول القدرة

لما استهاموا. خ

سيدنا محمد صح

اللوحة رقم (٣) عن مخطوطة برلين (ب ٢)

من الغرب الى زفزاف قرية بالبحيرة فاستوطنها ثم ولد له صاحب الترجمة
فحفظ القرآن واخذ عن والده التصوف وتسلك على يده ومن ادابه
انه قال ما رفعت بصري لوجه والدي منذ سلوكي عليه ولا جلست بحضوره
ولا فاكلته ولا جاريته في الحكايات العادية ثم تحول من مصر فاستوطن بولاق
واقبل على العبادة وله موعظة حسنة وتربية نافعة واذا تكلم في الطريق
اتى في اثناء ارشاده بايات قرآنية واحاديث نبوية وربما اول بعض كلمات
القوم وخرجها على مصطلحهم وبالجملة فقد انتشر صيته وعظم امره وقصد
بالتبرك والدعا واقبلت عليه اركان الدولة فيراد ذكر من اخلصهم الله بخالص
ذكره وامدهم بموايد بره واطلعهم على مكنون سره يكثر ويطول لان الحق تقدم
سباقا مشمرين للسباق لما اسمعهم من خطابه بقوله فاستبقوا الخيرات الى
الله مرجعكم جميعا مات سنة خمس عشر ودفن بالصحرا وهذا منتهى ما علقناه
من الغرض المطلوب بحسب ما تيسر وحضر وقد اودعناه من فوائد الفوائد
ما يشنف الاسماع ويوقظ القلوب وسالت جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان يجمع
اخواننا المتفرقة في اودية الدنيا على ما يزلف لديه ويرضيه وان يخلص اعمالنا لوجهه
الكريم وما لم يكن منها له يصرفه لذلك بلطفه وجوده وتلافيه ويختم لنا بالحسنى
قبل انخرام الاجل ويدخلنا الجنة برحمته فان لن يدخلها احد بعمل لكن ولا عمل

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة نهار يوم
السبت الخامس والعشرين من شهر شعبان
المبارك سنة ١٦٩ وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه اجمعين
والحمد لله
رب
العا[illegible]

قال المؤلف عفا الله عنه
وكان الفراغ من تبييضه
في ربيع الثاني خامس سنة
احدى عشر والف
والحمد لله رب العالمين وحسبنا
الله ونعم الوكيل وصلى الله
على النبي الامي السيد الاعظم
الطاهر الكامل محمد خاتم الانبيا
والمرسلين واله واصحابه اجمعين

اللوحة رقم (٢) عن مخطوطة برلين (ب ١)

بينهما قلت لا وجه الا العرق قلت ان ابا علي رحمه الله جل وقال
احلها الي من غير علم الشيخ وانا اخالفه ولا يكن مخالفته فاشر باخراج
اجزاء من كلام الحسين وانهما تصنيف له سماه العيهور في نقض الدهورية قال
احلا اليه وقال الذهبي كان السلمي وافر الجلالة وتصانيفه قيل نحو الالف
وله كتاب سماه حقايق التفسير ليته لم يصنفه فانه تحريف وقرمطة فدونك
الكتاب ترى العجب قال السبكي ولا ينبغي له وصفه بالجلالة ثم يدعي فيه
التحريف وتفسيره كثر الكلام فيه من جهة انه اقتصر على التاويل في كلام
الصوفية ينبو عنه ظاهر اللفظ ومن كلامه المحبة اذا بلغت درجتها اخذ
الشكر فلا يبالي صاحبها بعار ولا بنار ولا شنار فقلبه لا يلتفت الى
شيء مما في هذه الدار قلبه طيار وبدنه سيار وقال المحبة اذا غلبت على
صاحبها يرى الاشياء كلها بمعنى صورة محبوبه مات سنة اثنتي عشرة
واربعمائة المظفر بن ازدشير العبادي ابو منصور الزاهد العابد الواعظ
كان من احسن الناس كلاما في الوعظ والتصوف وارشقهم عبارة والطفهم
اشارة اخذ عن زاهر وغيره وعنه ابن ابي الاخضر مات سنة سبع
واربعين واربعمائة ومن كلامه لا تظنوا ان الحيات تجي الى القبور
من خارج انما افعالكم افعى لكم وحياتكم ما اكلتم من الحرام ايام حياتكم

هذا وقد نجز الجزء الاول من الكواكب الدرية
بعون رب البرية على يد الفقير الحقير
الراجي رحمة المنان وشفاعة
سيد الاكوان محمد صالح بن
الحاج صالح بن حميد
الادلبي غفر لهم
الرحمن ولمن
دعا لهم
[illegible]

اللوحة رقم (٤) عن مخطوطة برلين (ب ٢)

اللوحة رقم (٥) عن مخطوطة سستر بلتي ، دبلن

ص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سقى أولياءه وأعاظم عباده من كأس وداده ، ما أذهلهم عن السهاد والكرى ، وشغلهم به عما سواه ، فهاموا لما استهاموا ، وما كانت الأغيار عندهم إلا حديثا يفترى ، وأنالهم من عواطفه ، ومنحهم من مواهبه ، ما غيبهم عن الورى ؛ وتوعد من ناوأهم ، وآذن من عاداهم بحرب من اللّه ورسوله ، فيا له من وعيد ما أشده لمن عقل ودَرى ، والصلاة والسلام على سيد الأولياء ، ومُسوّد خلاصة الأصفياء ، الذى ارتقى به سبعا شدادا ، وأباد من أضمر الباطل اعتقادا ، وحمى أولياءُه فما ضرهم من عاد إلى الباطل وكاد وعادى ، سيدنا محمد وآله وصحبه الذين تسابقوا فى حلبة الهدى جهادا، وجمعت جواهر حكمهم على جيد الزمان مثنى وثلاث وفرادى ؛

وبعــــــد..

فإن اللّه تعالى أوجب على المؤمنين محبة الأولياء والعلماء والأمجاد ، وذَمّ من ينقّصُ بعضهم لموالاة بعضهم جهلاء لسوء الاعتقاد ، كيف وهم أمناء الإيمان ، وحكماء الأنام ، وشموس الإسلام ، عين أعيان خاصة الملك العلام :

أولئك القوم إن عدّوا لمكرمــة ... ومن سِواهم فلغو غير معدود
والفرق بين الورى جمعا وبينهـم ... كالفرق ما بين معدوم وموجود

لكن عادم الشوق لا يصل إلى عيان الجمال ، وفاقد الشم لا ينال عرف الوصال :

ومن لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يَدر كيف تفتت الأكبــــاد

وإنى كنت قبل أن يكتب الشباب خط العذار ، أردد ناظرى فى أخبار

الأولياء الأخيار ، وأتتبع مواقع إشارات حكم الصوفية الأبرار ، وأترقب أحوالهم وأسبر أقوالهم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادَف قلبا خاليا فتمكنا

حتى حصلت من ذلك على فوائد عاليات ، وحكم شامخات ساميات ، فألهمت أن أقيد ما وقفت عليه في ورقات ، وأن أجعله فى ضمن التراجم ، كما فعله بعض الأعاظم الأثبات ، فأنزلت الصوفية فى طبقات ، وضربت لهم فى هذا المجموع سُرادقات ، ورتبتهم على حروف المعجم عشر طبقات ، كل مائة سنة طبقة ، وجَمَعتُهم كواكبَ كلها معالم للهدى ، ومصابيح للدجى ، ورجوم للمسترقة ؛ لكنى لم أستوعب ، بل اقتصرت على جمع من النساك المشتهرين بالزهد ، المتحققين بالإرشاد والرشد ، ممن له كلام عَال فى الحقائق ، وباشر الأحوال والطرائق ، وظهرت عليه الكرامات والخوارق ، وقاطع القواطع والعلائق ، فإن القصد بهذا التعليق ، النفع بما لهم من الكلام فى الحقائق ، والحكم والأحكام ، وما سواه بالنسبة إليه تتمات ، وإن كانت فى نفسها من أنفس المهمّات ، فدُونك مجموعا جموعا ، اشتمل على حكم عالية المقدار ، وإشارات بديعة رفيعة المنار ، وحكايات ليس فيها شكايات ، ونوادر فى ضمنها زواجر ، ومواعظ تصمت اللافظ ، ويتوب لها الفاجر ، وفوائد يسُود بها القرطاس ، ويودّ لو زيد فيه سَواد القلب والبصر ، وتسود بها الأوراق ، فتصبح أسود من الشمس والقمر .

وسميته الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية » وأنا أفقر عباد الله وأحوجهم إلى ألطافه الخفية ، محمد المدعو عبد الرءوف ، سليل العصابة المُناوية ؛ والله أسأل أن يجعلنى من جملة أحبابه ، ولا يؤاخذنى بالتقصير فى خدمة جنابه ؛ وقبل الشروع فى المقصود ، لابد من مقدمة ، فأقول مستمدا من بحر جود واجب الوجود :

مقدمـــة

الكرامة ظهورأمر خارق للعادة على يد الولى مقرون بالطاعة والعرفان ، بلا دعوى نبوة ، وتكون للدلالة على صدقه وفضله ، أو لقوة يقين صاحبها أو غيره ، وهى جائزة وواقعة عند أهل السنة ولو بقصد الولى على الأصح وإن كان الغالب خلافه ، ومن جنس المعجزات على الصواب لشمول القدرة الإلهية ، وذلك لأن وجود الممكنات مستند إلى قدرته تعالى الشاملة لكلها ، فلا يمتنع شيء منها على قدرته ، ولا يجب غرض فى أفعاله ، ولا ريب أن الكرامة أمر ممكن ؛ إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته فهى جائزة بل واقعة حسبما نطق به النص القرآنى والحديث النبوى ؛ أما القرآن فكقصة أهل الكهف حيث أقاموا فيه ثلاثمائة سنة وأزيد نياما أحياء بلا آفة ولا غذاء ، وليسوا بأنبياء بإجماع الفرق ، وقصة مريم حيث حملت بلا ذكر ، ووجد الرزق عندها بلا سبب ، وتساقط عليها الرطب من شجرة يابسة بلا موجب ، وقصة آصف حيث أحضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة فى طرفة عين ؛ وجعل الأول معجزة لزكريا أو إرهاصا لعيسى ، والثانى معجزة لسليمان .لايقول به منصف : لأن المعجزة يجب قرنها بالتحدى وظهورها للقوم ، وحصولها بحضرتهم ، وحضرة النبى .ليمكن الاستدلال ، وليس شيء منها كذلك ، كيف ولو كانت معجزة لزكريا لعلم كيفية حدوثها وهو منتف لقوله تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾ الآية[1] ولأنها لو كانت إرهاصا لعيسى لما علمت مريم من أين حصل ذلك ، على أن الحوادث سيقت لتعظيم حال مريم ، ولا ذكر فيها لزكريا ولا عيسى . وأما سليمان فلم تظهر على يده مقارنة لدعوى النبوة ، وأما السنة

---

(١) آل عمران ، الآية ٣٧ .

فكحديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل الرضيع حين قال له : ياغلام ! ، من أبوك ؟ إلخ كما فى الصحيحين [1] وكحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فيهما أيضا ، وحديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أو ركبها فالتفتت إليه وكلمته وقالت : إنى لم أخلق لهذا كما فيهما أيضا .

فهذه نبذة من أدلة أهل السنة . وأما إنكار المعتزلة والأستاذ أبى إسحاق والحليمى منا للكرامة محتجين بأمور :

الأول : أنها توجب التباس النبى بغيره لعدم تميزها عن المعجزة فلا تدل المعجزة على النبوة .

الثانى : أنها تفضى إلى السفسطة لاقتضائها انقلاب الجبل ذهبا بريزا والبحر دما غبيطا [2] ونحو ذلك .

الثالث : أنه لو ظهر لولىّ كرامة لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حبة بر أو فلسا واحدا بغير بينة لظهور كرامته المؤذنة بعلو درجته عند الله المانعة لكذبه سيما فى تافه وهو باطل بإجماع المسلمين المؤيد بقول إمام المرسلين « البيّنة على المدعى واليمين على من أنكر »[3] .

الرابع : أن ظهورها يوجب نقض العادة لتكثرها بتكثر الأولياء فيخرج عن كونه خارقا فيصير عادة .

الخامس : أنها تسد باب إثبات النبوة لاحتمال كون المعجز إكراما لا تصديقا فيطوى بساط النبوة رأسا .

السادس : أنها تخل بجلال كمال الأنبياء لمشاركة الأولياء لهم

---

(١) قصة جريج الناسك وردت فى الصحيحين عن أبى هريرة .

(٢) قولهم « أغبطت السماء » أى دام مطرها .

(٣) « البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، إلا فى القسامة » ، حديث شريف أخرجه البيهقى فى سننه ، وابن عساكر عن ابن عمر .

فى ذلك .

السابع : أنها لا تتميز عن السحر .

فأجيب عن الأول : بأن المعجزة تقارن دعوى النبوة ، والكرامة لا تقارنها ، بل يجب قرنها بالانقياد للنبى وتصديقه والسير على منهاجه ، فلا التباس .

وعن الثانى : بأن ذلك لا يقتضى سفسطة فإن ما ذكروهَ يردُ عليهم فى زمن النبوة فإنه يجوز ظهور المعجزة منه بذلك ولا يؤدى إلى سفسطة ، على أن التجويزات العقلية لا تقدح فى العلوم العادية .

وعن الثالث : بأن الكرامة لا توجب العصمة للولى ولا تصدقه فى كل أمر ، وقد سئل شيخ الطريق الجنيد أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً [1] ، وَهَبْ أن الظن حاصل بصدقه فى دعواه ، لكن الشارع جعل لثبوت الدعوى منهجا مخصوصاً ، ورابطا معروفا لا يسوغ العدول عنه ، ألا ترى أن كثيرا من الظنون التى تكاد تقرب من اليقين لا يجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية ؟ .

وعن الرابع : بأن كثرتها تكون استمرارا لنقض العادة فلا نسلم كونها خروجا عنه ، والكرامة وإن توالت على الولى حتى ألفها واعتادها ، لا تُخرجه عن طريق الرشاد ووجه السداد .

وعن الخامس : بأن المقارنة للدعوى تفيد القطع بالصدق عادة .

وعن السادس : بأن الكرامة تفيد جلالة قدر الأنبياء حيث بلغت أممهم ذلك ببركة الاقتداء بهم فلا إخلال .

---

(١) الأحزاب ، الآية ٣٨.

وعن السابع : بأنها تفارقه وتتميز عنه بأنها لا يجدى فيها التعلم والتعليم ، ولا تمكن المعارضة ولا تجامع شره النفس ، ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة بخلافه ، وبذلك تم الانفصال ، وانزاح غيهب الإشكال ، واستبان أن ما ذكروه تمويه لا طائل تحته ، وقعقعة لا حاصل لها ؛ ومن تمام الكلام فى هذا المقام أن أهل القبلة اتفقوا على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة ، بل على الموفقين البررة ، وبذلك لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا تنسد ، فإن الولى ينقاد للنبى إذا ظهرت المعجزة على يديه . ويقول : معشر الناس هذا نبى الله فاتبعوه ، ويكون هو أول منقاد وأما قول القاضى الباقلانى[1] بجواز ظهور خارق على يد فاسق استدراجا ، وظهوره على الرهبان ، وأهل الصوامع المقيمين على الكفران ، فقد قال إمام الحرمين[2] : إن فيه نظرا قال ، ولسنا نثبت لراهب كرامة ، ولا حب ولا كرامة ، نعم قد تظهر على يد فاسق إنقاذاً له مما هو فيه ، ثم يتوب بعدها ويصير على أحسن حال وينتقل إلى الهدى بعد الضلال ، بدليل قصة أصحاب الكهف فإنهم كانوا عبدة أوثان ثم حصل لهم ما حصل إرشادا وتبصرة ثم ما ذكره الخصم من حديث اشتباه معجزة النبى بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد استبان الانفصال عنه ، قال السبكى[3] : وأقول معاذ الله أن يتحدى نبى بكرامة ظهرت على يد ولى ، بل لابد أن يأتى النبى بما لا يوقعه الله على يد الولى ، وإن جاز وقوعه فليس كل جائز فى قضايا العقول واقعا ، ولما كانت رتبة النبى أعلى وأرفع من الولى كان الولى ممنوعا مما يأتى به النبى على وجه الإعجاز والتحدى أدبا معه . ثم أقول : حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه إنما يقع البحث فيه حيث لم تختم النبوة ، أما بعد خاتم النبيين المثبتة نبّوته بأوضح البراهين ، وإخباره بأنه لانبى بعده ، فقد أمن الاشتباه ، فلو صح ما

---

(١) القاضى أبو بكر الباقلانى البصرى ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

(٢) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٣) الإمام تاج الدين السبكى ، صاحب طبقات الشافعية الكبرى .

ذكروه لكان فى أولياء الأمم الماضية لا فى أولياء هذه الأمة لأمنهم وتيقنهم أنه لانبى بعد نبيهم ، هذا لو صح ومعاذ اللّه أن يتوهم عاقل صحة ترهاتهم التى منها أنه لو كان للكرامات أصل كان أولى الناس بها أهل الصدر الأول وهم صفوة الإسلام وقادة الأنام ، والمفضلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام ، ولم يؤثر عنهم من ذلك أمر مستفيض ، وما ذكروه تعلل بالأمانى والمحال ، وهو مقال مرذول مردود عند من له أدنى نظر ، فضلا عن فحول الرجال ، والعقل يأباه ، والوجدان لا يرضاه ، ولو حاول متتبع استيعاب كرامات الصحب لأجهد الأنفاس ، وملأ القرطاس ، فمن ذلك تسبيح الحصى بحضرة الصديق ، وإخباره فى مرض موته بمولود يولد له بعده وهو أنثى ، وتكثيره للطعام القليل ، وأكله هو وأضيافه من قصعة صغيرة حتى شبعوا فصار ما فيها أكثر مما كان قبل . ومخاطبة عمر وهو على منبر المدينة النبوية سارية ، وهو بنهاوند[1] مخاطبة من معه (بياسارية الجبل) تحذيرا له من كمين فيه ، فسمع سارية ، وجيشه صوته فحذروا فنجوا ؛ وجَرى النيل بكتابه لما كانت عادة أهل مصر أن يلقوا فيه أوان الزيادة جارية بكرا ، فتركوا ذلك بأمره فلم يزد حتى أشرف أهلها على الهلاك فكتب للنيل كتابا فيه : « إن كنت تجرى من قبلك فلا حاجة لنا بك ، وإن كان اللّه هو مجريك فنسأله ذلك » ، فألقى فيه فزاد فوراً ، وضربه للأرض بدرته لما ارتجت ، وقوله أقرى ألم أعدل عليك ، فقرت وسكنت حالا ، وحبسه للنارالتى كانت تخرج من الجبل فتحرق ما أصابت فخرجت فى زمنه فأمر أبا موسى أو تميما فجعل يسوقها بردائه حتى دخلت الكهف فلم تعد بعد ؛ ورده لطائفة من الجيش مرة بعد أخرى لما عرضوا عليه فتبين آخرا أنه كان فيهم قاتل عثمان وعلى ؛ وكقول عثمان لرجل لقى امرأة فى الطريق فتأملها بشهوة : يدخل علىَّ أحدكم وفى عينيه أثر الزنا ! وكقول أمير المؤمنين المرتضى لرجل جف أحد شقيه بدعاء أحد أبويه : قم بإذن اللّه فقام صحيحاً كما كان ؛ وقال : لولا

---

(١) مدينة فى قبلة همذان ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٣١٣/٥.

علمت رضا أبيك عنك ما فعلته ، وكقول سعد فى شاعر قال فيه مقالا فبلغه : اللهم اكفنا لسانه ويده ، فخرس لسانه ، وشلت يده ، وكان لا يدعو إلا أجيب ، وكقول ابن عمر لأسد قطع الطريق على قافلة هو فيها : تنح ! فبصبص بذنبه وذهب ، وكمشى العلاء الحضرمى على الماء هو وجيشه لما كان فى غزوة وحال بينه وبين مقصده البحر . وكدعائه أن لا يرى أحد جسده إذا مات ، فلم يجدوه فى اللحد ؛ وكمشى جعفر بن أبى طالب فى الهواء ؛ وكتسبيح القصعة أو ما فيها من الطعام بين يدى سليمان وأبى الدرداء ؛ وكسماع عمران بن حصين تسبيح الملائكة إلى أن اكتوى ؛ وكشرب خالد السم فلم يضره ؛ وكإضاءة السوط كالمصباح بين يدى أسيد بن خضير وعباد بن بشر لما خرجا من عند المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فى ليلة مظلمة ، وكان حبيب بن عدى أسيرا عند المشركين بمكة فكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة واحدة ؛ وعرض لسفينة مولى المصطفى صلى اللّه عليه وسلم الأسد فقال له : أنا رسول رسول اللّه ! فمشى الأسد معه حتى أوصله لمقصده . وكان البراء بن مالك إذا أقسم على اللّه أبره حالا ؛ ودعا سعيد بن زيد على أروى لما كذبت عليه بالعمى فعميت ؛ وطلب الأسود العنسى لما ادعى النبوة أبا مسلم الخولانى فقال له : ألا تشهد أنى رسول اللّه ، فقال : لا ، قال : تشهد أن محمدا رسول اللّه قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلى وقد صارت عليه بردا وسلاما ، فكان عمر ابن الخطاب يقول : الحمد للّه الذى لم أمت حتى رأيت من أمة محمد من فُعل به كما فعل بإبراهيم الخليل ! وكان عامر ابن عبد قيس يأخذ عطاءه فى كمه فلا يجد سائلا إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجىء إلى بيته فيجد الدراهم كلها كاملة ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر . قال الإمام أحمد بن حنبل : وإنما كانت الكرامات بعد زمن الصحابة أكثر لأن قوة إيمانهم لا يحتاج معها إليها ولأن الزمن الأول كان كثير النور فلو حصلت لم تظهر كل الظهور لاضمحلالها فى نور النبوة بخلاف من بعدهم ، ألا ترى أن القنديل لا يظهر نوره بين

القناديل ، بخلاف الظلام ، والنجوم لا يظهر لها نور مع ضوء الشمس ! وقال القيصرى[١] : كانت كراماتهم أعظم لكنهم أقوى من غيرهم ، فملكوا الأحوال ولم تملكهم الأحوال ، وغيرهم ملكتهم الأحوال لضعفهم عنهم فظهرت عليهم آثار الاحوال . قال السبكى : وإنى لأعجب كل العجب من منكر الكرامة ، وأخشى عليه المقت ، ويزداد تعجبى عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ الإسفرائينى[٢] ، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة ، على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذب ، والذى ذكره الرجل فى كتبه أنها لا تبلغُ مَبلغَ خرق العادة ، وقال : كل ما جاز معجزة لنبى لا يجوز مثله كرامة لولى ، وإنما غاية الكرامات إجابة دعوة أو شربة ماء فى مفازة أو كسرة فى منقطعة أو ما يضاهى ذلك . وجرى على نحوه القشيرى[٣] فقال : إن الكرامة لا تنتهى إلى وجود ابن بغير أب ، وقلب جماد بهيمة ولكن الجمهور على الإطلاق ، وقد أنكروا التفصيل على قائله حتى ولده أبو نصر فى المرشد ، وإمام الحرمين فى الإرشاد ، وقال : إنه مذهب متروك ، وبالغ النووى فقال : إنه غلط ، وإنكار للحس ، وإن الصواب وقوعها بقلب الأعيان ونحوه .

وقد عدَّ بعض الأئمة الأنواع الواقعة من الكرامات عشرين ، وهى أكثر بكثير :

النوع الأول : إحياء الموتى وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد البسرى غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بلده فقامت تنفض أذنيها . فلما بلغ بلده سقطت ميتة (ومنه) أن مفرجا الدمامينى الصعيدى أحضر له فراخ مشوية فقال : طيرى بأذن الله تعالى فطارت ، وكان للشيخ الأهدل هرة ضربها خادمه فماتت ، فرماها ، فسأله الشيخ عنها بعد ثلاثة

---

(١) الشيخ داود القيصرى ، صاحب « شجرة اليقين فى علم التصوف » المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

(٢) الشيخ أبو حامد الإسفرائينى ، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) الأستاذ أبو القاسم القشيرى ، صاحب الرسالة المتوفى سنة ٤٦٥ هـ .

أيـام فقـال : لا أدرى فناداها فـجاءت تجرى[1]. ووضع الكيـلانى يده ع
دجاجة أكلها ، وقـال لها : قـومى بإذن الله الذى يحيى العظام فقامت
لتلميذ أبى يوسف الدهمانى ولد فـجزع عليـه فقـال له الشـيخ : قم بإذن ا
وعاش طويلا . وسقط من سطح الفارقى طفل فمات فدعا الله فأحياه .

النوع الثانى : كلام الموتى وهو أكثر مما قبله بكثير ووقع ذلك لل
ولجماعة آخرين منهم بعض مشايخ السبكى ، وكان جدنا شيخ الإسلام
المناوى يخاطب الإمام الشافعى فيكلمه من قبره .

النوع الثـالث : انفلاق البحر وجفافه حتى وقع أن بعضـهم اء
المركب ومات ، وجهز ، فلما أريد إلقاؤه فى البحر انشق نصفين ونزلت ا
للأرض وحفر له قبر ودفن ، فلما تم استوى الماء وسارت المركب (ومن
المشى عليه ، وذلك كثير ، وممن وقع له ذلك ابن دقيق العيد .

النوع الرابع : انقلاب الأعيـان ، ومنه ما ذكر عن الهتار اليـه
أرسل إليه بعض المستهزئين بإنائين من خمر فصب من أحدهما عسلا والآخ
وأطعم الحاضرين .

النوع الخـامس : انزواء الأرض لهم .حكوا أن بعضـهم كـان ب
طرسوس فاشتاق لزيارة الحرم ، فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجها فى ا
والقدر المشترك فى هذا بالغ مبلغ التواتر ، ولا ينكره إلا مباهت .

النوع السادس : كلام الحيـوان والنبـات والجمـاد ولا شـك فـى
و(منه) أن ابن أدهم قعد تحت شجرة رمان فقالت : يا أبا إسحاق ! أ
بأكلك منى فأكل منها ، وكان رمانها حامضا ، فحلا ، وحملت فى العام م
وسميت رمانة العابدين . وأراد الشبلى أن يأكل من شجرة فلما مد يده ق
لا تأكل منى فإنى ليهودى ؛ وجاء إلى القمولى رجلان يختصمان فى بقرة ،

(١) وردت معظم هذه الكرامات فى تضاعيف هذا الكتاب . وقد أوردها التاج السبكى كذلك فى
الكبرى .

قاضيا بالصعيد فأقام كل منهما بينة بأنها له ، فقالت له : أنا لهذا . ومن ذلك أن جدنا الشرف المناوى زار الشرف الأنصارى وجلس معه بمنطرة بيته ببولاق فشكى إليه كثرة زرق الطيور على الكتب والفرش فرفع رأسه إليها وقال : يا أيها الطيور لاتحوموا حول هذا الحمى إلا بخير ، فلم تعد بعد ذلك .

النوع السابع : إبراء العلل ، كما روى أن الجيلانى قال لصبى مقعد مفلوج أعمى : قم بإذن اللّه تعالى فقام لاعاهة به .

النوع الثامن : طاعة الحيوان لهم كما حكى أن المهينى وغيره كان يركب الأسد بل وأطاعه الجماد كما فى قول ابن عبد السلام فى واقعة الفرنج للريح : يا ريح خذيهم فأخذتهم .

النوع التاسع ، والعاشر ، والحادى عشر : طىُّ الزمان ونشره ، وإجابة الدعاء ، وذلك كثير جدا .

النوع الثانى عشر : إخباره ببعض المغيّبات والكشف ، وهو درجات تخرج عن حد الحصر ، وذلك موجود الآن بكثرة ولا يعارضه قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول ﴾ [1] لأنا لا نسلم عموم الغيب فيجوز أن يخص بحال القيامة بقرينة السياق .

النوع الثالث عشر : الصبر على عدم الطعام والشراب ، الأمد الطويل ، وهو كثير مشاهد .

النوع الرابع عشر : مقام التصريف ، وهو كثير فى كل زمن ، ولا ينكره إلا مُعاند .

النوع الخامس عشر : القدرة على تناول الكثير من الغذاء كما نقل عن الشيخ دمرداش أن بعض الأمراء عمل له وليمة ، ودعاه وجماعته فتوجه إليه

---

(١) سورة الجن ، الآية ٢٨ .

وحده ، فتشوش لعدم حضور الفقراء ، وقال : من يأكل الطعام !! فمد السماط فأكله الشيخ كله .

النوع السادس عشر : الحفظ عن الحرام أن يدخل الجوف ، كما حُكى عن الحارث المحاسبى أنه كان إذا حضر إليه طعام فيه شبهة تحرك فيه عرق ، وكان المرسى يتحرك منه كل عرق .

النوع السابع عشر : رؤية الأماكن البعيدة من وراء الحجب فمن ذلك أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازى كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد .

النوع الثامن عشر : الهيبة التى لبعضهم بحيث مات من شاهده عن[1] رؤيته كما حصل لأبى يزيد البسطامى مع ذلك الفقير ، ووقع للشيخ أحمد البدوى وغيرهما .

النوع التاسع عشر : قصم اللّه تعالى لمن يريد بهم سوءا ، كما وقع لبعضهم أنه زاحم رجلا فضربه على وجهه فطارت يده مع الضربة فأبصره رجل فشدد النكير عليه وقال له : كف بكف إن هذا لظلم عظيم فقال : واللّه ما أردته ، وإنما رب الجثة غار عليها .

النوع العشرون : التطور بأطوار مختلفات وأشكال متباينة ، ومنه ما وقع لقضيب البان الموصلى أن فقيها أنكر عليه لكونه لم يره يصلى فتطور له على الفور فى صور مختلفة فقال : فى أى صورة من هذه الصور لم ترن أصلى !! وسيجىء فى ترجمته ، والصوفية يثبتون عالما متوسطا بين عالمى الأجساد والأرواح يسمونه عالم المثال وعالم الخيال واستأنسوا له بآية ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾[2] ووقع أن بعض العلماء[3] رأى فقيرا يتوضا فى المدرسة السيوفية

---

(١) « بمجرد » فى ش » .

(٢) سورة مريم ، الآية ١٧ .

(٣) هو عمر بن الفارض ، انظر ترجمته فى هذا الكتاب .

وضوءا مشوشا غير مرتب ، فقال حرام عليك فقال : لم أتوضأ إلا مرتبا ، وإنما أنت أعمى لو أبصرت لأبصرت هكذا ! وأخذ بيده فأراه الكعبة والطائفين وهو بمصر ، قال في روض الرياحين[1] : وقد سمعنا سماعا محققاً أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا ، قال : ورأيت من شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء ، وقال ابن عربى : كنت أنا وصاحب لى بساحل البحر المحيط فرأيت رجلا وضع حصيرا فى الهواء ووقف يصلى عليه فوقفت تحته وقلت :

شغل الحبيب[2] عن الحبيب بسره　　فى حب من خلق الهواء وسخَّره

العارفون عقولهم معقولـــة　　عن كل كون ترتضيه مُطهَّره

فهم لديه مكرمون وعنـــده　　أسرارهم محفوظـــة ومحرّره

فأوجز فى صلاته وقال : إنما فعلت ذلك لهذا المنكر الذى معك وأنا الخضر ، قال ابن عربى : ولم أكن أعلم أن صاحبى ينكر كرامات الأولياء ، فقلت له : أكنت تنكر ؟ قال : نعم وما بعد العيان إلا الإذعان ! والأخبار فى ذلك كثيرة ، وإنما ذكرنا هنا جملة مجملة وسيأتى بعض ذلك مفصلا فى التراجم ، وقدّمناها ليتحرز الناظر فى تضاعيف الكتاب ، ويلزم الأدب فلا ينكر فيحل به العَطب . وقد قال فى الإحياء[3] : ما حكى عن المشايخ من سماع صوت الهواتف وفنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد مالم يشاهد فى نفسه ، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل ، والدليل القاطع الذى لا يقدر أحد على جحده أمر ان :

أحدهما : عجائب الرؤيا الصالحة الصادقة فإنه ينكشف به الغيب ،

---

(١) للإمام اليافعى ، صاحب « مرآة الجنان » .

(٢) جاءت « المحب » فى « ش » .

(٣) للإمام أبى حامد الغزالى : إحياء علوم الدين .

وإذا جاز ذك فى النوم فلا يستحيل فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا فى ركود الحواس وعدم شغلها بالمحسوس ، وكم من متيقظ لا يسمع ولا يبصر لشغله بنفسه .

والثانى : إخبار الرسول عن الغيب وأمور آتية ، وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره ، إذ النبى رجل كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون فى الوجود شخص يكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا يسمى وليا لا نبيا .

تنبيــــه

قال بعض الكاملين : إظهار الكرامة وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها فمن عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة مع ربه ومن عبر من بساط إحسان اللّه إليه لم يصمت إذا أساء ! وقد صح إظهار الكرامة من قوم وثبت العمل فى إخفائها من آخرين كالمرسى فى الإظهار وابن أبى جمرة فى الإخفاء حتى قال بعض أتباع ابن أبى جمرة : إن طريقهما مختلف فبلغه فقال : واللّه ما اختلفت قط طريقتنا لكنه بسطه العلم وقبضنى الورع ! وقال بعضهم : من الناس من يغلب عليه الفناء باللّه فيظهر الكرامات ، وينطلق لسانه بالدعاوى من غير احتشام ولا توقف فيدعى بحق عن حق لحق فى حق كالكيلانى وأبى يعزى وعامة متأخرى الشاذلية ، ومنهم من يغلب عليه الفقر إلى اللّه فيكل لسانه ويقف مع جانب الورع ، ومنهم من تختلف أحواله فتارة وتارة ، وهوأكمل الكمال لأنه حال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أنه أطعم ألفا من صاع وشد الحجر على بطنه .

تتمة

قال في روض الرياحين : الناس في الكرامات أقسام ، منهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب معروفون وعن التقى والهدى مصروفون ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمنه وهم كبنى إسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه وكذبوا محمدا حين رأوه مع كونه أعظم ، ومنهم من يصدق بالأولياء فى زمنه لكن لا يصدق بأحد معين ، وهذا محروم من الإمداد ؛ لأن من لم يسلم بأحد معين لا ينتفع بأحدٍ أبدا .

خاتمة

لا يبلغ ولى درجة النبى خلافا لما زعمه بعض الكرامية[1] ، ولا تسقط عنه التكاليف بكمال الولاية كما ادعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد ، أن الولى إذا بلغ الغاية فى المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص سقط عنه الأمر والنهى ، ولم يضره ذنب ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر ، وذلك باطل بإجماع المسلمين ، ولا تكون ولاية غير النبى أفضل من النبوة بحال ، وإنما الكلام فى ولايته فقيل : هى أفضل من النبوة لما فيها من معنى القرب وكمال الاختصاص ، وقيل : يا[illegible] نبوته لما فيها من الوساطة بين الحق والخلق والقيام بمصالح الدارين م[illegible] مشاهدة الملك وغير ذلك . ثم إن ظهور الكرامة لا يدل على أف[illegible] بل على فضله ، وقد يكون غيره أفضل منه ، فالأفضلية[illegible] وكمال العرفان ، ولهذا قال سيد الطائفة الجنيد : مش[illegible] بالعطش أفضل منهم ، والله تعالى أعلم .

وهذا أوان الشروع فى المقصود فأقول م[illegible]

(١) أتباع محمد بن كرام السجستانى ، انظر المقريزى خ[illegible]

اعلم وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته أن سيد الأولياء ومسود سادات الأصفياء وجوهر عقد الرسالة الأنظم ، والقاموس الخضم المحيط الأعظم ، الذى منه المدد بدوام المدد ، هو المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلنبتدىء بذكر شىء من ترجمته وإن كان مفردة بمجلدات[1]، بل هى أكثر من أن تحصى ، وأكبر من أن تستقصى ، وينحصر المقصود هنا من ذلك فى ثمانية أبواب :

السيرة والتاريخ والحديث وغيرها ، ولاسيما سيرة ابن هشام لابن إسحاق للسهيلى ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ، وإنسان العيون ، المعروف ابن الحلبى (١٠٤٤هـ) ، وسبل الهدى والرشاد أو السيرة الشامية لمحمد اللدنية للقسطلانى ، وابن قيم الجوزية فى زاد المعاد فى هدى خير ومغلطاى بن قليج فى الزهر الباسم ؛ ونور النبراس لابن خليل كالكامل لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ النبوية للذهبى .

الباب الأول
في
سيرته صلى الله عليه وسلم
من ولادته إلى وفاته

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إليـاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذا مجمع عليه ، ورفع نسبه إلى آدم كرهه الإمام مالك وغيره لعدم ثبوته ، ولد بمكة فى شهر ربيع الأول يوم الاثنين عام الفيل . ورأت أمه آمنة حين وضعته نورا خرج منها أضاءت له قصور بصرى ، ووضع وبصره مرتفع إلى السماوات ، ومات أبوه وعمره عامان وثلث ، وقيل : كان حملا ، وأرضعته ثويبة جارية عمه أبى لهب وبعدها حليمة السعدية فأقام عندها فى بنى سعد أربعة أعوام فأتاه جبريل فشق صدره فخافت عليه فردته إلى أمه فخرجت به إلى المدينة لزيارة أخواله فمرضت وهى راجعة به فماتت ودفنت بالأبواء وعمره نحو ست سنين ، فحملته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان سنين ومات فأوصى به إلى عمه أبى طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته وأمر الله تعالى بشأنه إسرافيل عليه السلام أن يقوم بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة ، فكان قرينه إلى أن تم له إحدى عشرة سنة ، ثم أمر جبريل عليه السلام بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ لكن لم يظهر له ولم يكلمه وسافر مع عمه إلى الشام حتى وصل بصرى فرآه بحيرا الراهب فرأى منه علامات النبوة فقال لعمه : ارجع به لئلا تقتله اليهود ، وكان عمره اثنتىْ عشرة سنة ، ثم سافر إلى الشام مع ميسرة فى تجارة لخديجة

فباع واشترى ورأى منه ميسرة العجائب وما خص به من المواهب ، فأخبر خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين وهى بنت أربعين ، وصار يدعى بالأمين فلما تم له خمس وثلاثون سنة بنت قريش البيت فاختلفوا فيمن يضع الحجر محله وتنازعوا ثم رضوا بأنه الذى يضعه ، فوضعه بيده ، وصار من يومئذ يسمع صوتا أحيانا ولا يرى شخصا ، ثم صار يرى نورا ، ولما قربت أيام الوحى أحب الخلوة والانفراد ، فكان يختلى فى جبل حراء بالذكر ، وزعم أنه كان بالفكر لا التفات إليه : لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع :

الأول : أن تكون لطلب مزيد علم من الحق لا بطريق النظر والفكر ، وهذا غاية مقاصد أهل الحق ؛ لأن من خاطب فى خلوته كونا من الأكوان أو فكر فيه فليس فى خلوة ، قال رجل لبعض الأكابر : اذكرنى عند ربك فى خلوتك فقال : إذا ذكرتك فلست معه فى خلوة ، وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه .

الثانى : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر ليصح نظرهم فى طلب المعلومات وهذه لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل ، وذلك الميزان فى غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الاستقامة وطلاب طريق الحق لا يدخلون هذه الخلوة بل خلوتهم بالذكر وليس للفكر عليهم سلطان ، ومهما وجد الفكر طريقا إلى صاحب هذه الخلوة فليعلم أنه ليس من أهلها فيخرج منها ، وأنه ليس من أهل العلم الصحيح الإلهى ؛ إذ لو كان من أهله حالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر .

الثالث : خلوة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والشغل بما لايعنى .

الرابع : خلوة لطلب زيادة توجد فيها وخلوة حضرة الرسالة من النوع الأول فكان بعيدا من المخالطات حتى من الأهل والمال واستغرق فى بحر الأفكار

القلبية فانقطع عن الأضداد بالكلية وظهر له من الأنس والجلوة بتذكر من له الخلوة ولم يزل فى ذلك الأنس ومرآة الوحى تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال والمراد ، فظهرت تباشير صبح الدجا وأشرقت ، وانتشرت بروق السعادة وتألقت ، وصار لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال بلسان فصيح : السلام عليك يارسول الله فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شبحا ولا خيالا ، فبينما هو كذلك - وذلك عند مضى أربعين عاما من عمره - قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص فقال : أبشر يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بجوهر فوضعها فى يده وقال : اقرأ فقال : ما أنا بقارىء ! فضمه وغطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم قال : اقرأ ! فقال : لست بقارىء ! فغطه كذلك ثلاثا ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك - إلى قوله - مالم يعلم ﴾[1] ثم قال : انزل من على الجبل فنزل معه إلى الأرض فأجلسه على درنوك أبيض وعليه ثوبان أخضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وأمره أن يفعل كفعله ثم أخذ كفا من ماء فرش به وجه الرسول ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب فرجع إلى مكة وقص على خديجة رضى الله عنها وقال قد خشيت على نفسى فثبّتته وصدقته فكانت أول من آمن ، ثم أتت به ورقة بن نوفل فقص عليه ما رأى فصدقه فكان أول رجل آمن به وقال : هذا الناموس الذى أنزل على موسى عليه السلام ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ، قال أو مخرجى هم ؟ قال : ما جاء أحد بمثل ماجئت به إلا عودى ، ثم أسلم على وأبو بكر رضى الله عنهما ، ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الدين وكان يستقبل فى صلاته بيت المقدس ثم بعد الهجرة حولت القبلة للكعبة ، ولما كثر المسلمون اتخذوا دار الأرقم فاختفوا فيه ثلاث سنين ثم أمر بإظهار الدين فدعا إلى الإسلام جهرا وأنزل الله القرآن فتحداهم بسورة منه فلم يقدروا ، فمن قائل : هذا سحر ، ومن قائل : فى أذنى وقر ، وأقر الوليد بن

---

(١) سورة العلق ، الآيات ١ - ٥ .

المغيرة والنضر وعقبة والأخنس وأبو جهل ، بأنه غير مفترى وأنه ليس من كلام البشر ، ولكن غلبت عليهم الشقوة ، واستهزأ به جماعة فاهلكوا وكفاه الله شرهم ، ولما فشا الإسلام مشى كفار قريش إلى عمه أبي طالب وشكوا ما سمعوه منه من سب آلهتهم وذم دينهم وتكرر ذلك وهو يذب عنه ، وفي آخر المرار قالوا : أعطنا محمداً نقتله وخذ بدله عمارة بن الوليد فتبناه فقال : أكفل ابنكم وأعطيكم ابني لتقتلوه ؟!! هذا لا يكون فمضى يجهر بالتوحيد فاجمعت قريش أن يقولوا ساحر وقعدوا بالطرق أيام الموسم يحذرون منه الناس ، فافترقوا وقد شاع أمره وسار ذكره ؛ فأخذوا في إيذائه وتعذيب من أسلم وطلبوا منه آية فأراهم انشقاق القمر فزاد الذين آمنوا إيمانا والكفار طغيانا ، ولما اشتد على المسلمين البلاء هاجر جمع منهم للحبشة فاقاموا بها خمس سنين ثم بلغهم إسلام قريش فعادوا فوجدوه باطلا فرجعوا فعظمت معاداة قريش له ولصحبه ، فكتبوا كتابا أن لا يناكحوا بني هاشم ولا يوالوهم ، ولا ولا ، وعلقوه بالكعبة وحصروهم بالشعب ثلاث سنين حتى اشتد بهم البلاء ، وسمعت أصوات صبيانهم يتضوعون من الجوع ، وأطلع الله نبيه على أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة من جور وظلم ويقى ذكر الله فأخبرهم فأخرجوها فوجدت كذلك وشلت يد كاتبها ؛ فقام رجال من الكفار في نقضها فلبسوا السلاح وأخرجوهم ؛ ثم مات عمه أبو طالب ثم خديجة فحزن لذلك ثم بعد عام ونصف أسرى به من مكة للقدس على ظهر البراق ، ثم علا إلى السماء ومعه جبريل فأتى الأنبياء كل واحد في سماء ففرحوا به ثم علا إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام بالأقدار ، ثم دنا فتدلى ، ففرض الله عليه وعلي أمته خمسين صلاة فلم يزل يراجعه ويسأله التخفيف بإشارة موسى حتى جعلها خمسا ، فلما أصبح أخبرهم فصدقه الصديق رضي الله عنه وكذبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعه إليه جبريل عليه السلام حتى وصفه لهم ، فلم يمكنهم تكذيبه لكن جحدوا عنادا ، ولما اشتد الأذى للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عرض نفسه على القبائل يطلب من يؤويه

ويحميه ليبلغ رسالة ربه ، فكل منهم يعرض ويهزأ به حتى أتاح الله له الأنصار ، فصار الواحد منهم يسلم فيسلم جميع عشيرته ففشى الإسلام بالمدينة فهاجر إليها المسلمون ، وأراد أبو بكر رضى الله عنه أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا معا فخرجا إلى غار ثور ، ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما وابن أريقط يدل على الطريق سلكوا طريق الساحل وأعمى الله عنهم العدو فرآهم سراقة فتبعهم يريد قتلهم فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فساخت فرسه فى الأرض فناداه الأمان يا محمد ، فدعا له فخلص ، وحلف أن لا يدل عليه أحداً فرجع فلقيه الكفار يطلبونه فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ثم مروا بخيمة أم معبد فاستسقوها لبنا فقالت : ماعندى ، فنظر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، إلى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه ؟ قالت : شاة أضر بها الجهد ، وما بها لبن ، فمسح ضرعها فحلبت وشربوا وسافر حتى وصل إلى قباء يوم الاثنين من ربيع الأول فأقام بها أربعا ، ثم رحل يوم الجمعة فصلى بمسجد الجمعة وهى أول جمعة صلاها ثم ارتحل للمدينة فبركت ناقته بمحل مسجده الآن ، فنزل بدار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته وبنى صحبه حوله ، وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال ونقل الله منها الحمى إلى الجحفة فأقام بها شهرا ثم نزل عليه إتمام الصلاة أربعا ، وأقام من ربيع الأول إلى صفر يبنى مسجده ، وفى هذا العام كان ابتداء الأمر بالأذان ، وفى الثانى فرض الصوم وزكاة الفطر والمال وحولت القبلة للكعبة وغزا بدرا ، وفى الثالث أُحُدا ، والرابع بنى النضير وقصرت الصلاة وحرم الخمر وشرع التيمم وصلاة الخوف ، والخامس الخندق وبنى قريظة والمصطلق ، والسادس عمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض الحج ، والسابع خيبر وعمرة القضاء ، والثامن وقعة مؤتة وفتح مكة وحنين ، والتاسع تبوك وحجة الصديق ، رضى الله عنه ، ويسمى عام الوفود ، والعاشر حجة الوداع ، والحادى عشر وفاته .

الباب الثانى

فى

صفـاته الظاهـرة

كان ، صلى الله عليه وسلم ، ربعـا لا بالطويل ولا بالقصير ، لكنه إلى الطول أقرب ، بعيد ما بين المنكبين أزهر اللون عظيم الهامة . واسع الجبين . أزج الحاجبين أبلج ما بينهما كأن ما بينهما الفضة المخلصة أدعج العينين ، فيهما تموج من حمرة ، مفلج الأسنان يفتر عن مثل حب الغمام . شعره غير جعد ولا قطط بل وسط ، أحسن الناس عنقا .لا ينسب إلى طول ولا إلى قصر ، ماظهر من عنقه للريح والشمس كأنه إبريق فضة مشرب ذهباً ، عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالقمر فى بياضه ، موصول ما بين لبته وسرته بشعر كالقضيب ليس فى صدره ولا بطنه غيره ، وله عكن ثلاث يغطى الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان ، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم رؤوس العظام واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة مما يلى منكبه الأيمن ، فيه شامة سوداء ، تضرب إلى صفرة حولها شعرات متوالية كأنها عرف فرس ، عَبِلُ العضدين والذراعين ، طويل الزندين ، رحبُ الراحة ، سايلُ الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة ، كفه ألين من الخز كأنه كف عطار ، يضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، عَبِلُ ما تحت الإزار من الفخذ والساق ، معتدل الخلق فى السمن ، بدن فى آخر عمره ، وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن ، وكان يمشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر[1]من صبب ، يخطو تكفياً ويمشى هونا بغير تبختر ، إذا التفت التفت جميعاً ولا يلوى عنقه ، عرقه كاللؤلؤ فى البياض والمسك فى الريح ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله .

---

(١) « ينحط » فى ش .

الباب الثالث

فى

صفاته الباطنة وأخلاقه الظاهرة وآدابه الباهرة

قد زينه اللّه بالخلق الكريم ، ثم أضاف ذلك إليه ، فقال سبحانه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] فمن مكارم أخلاقه ومحاسن آدابه أنه كان أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفّهم ، وأجودهم ، لا يبيت عنده درهم ولا دينار ، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفاجاءه الليل ، لا يأوى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاجه . وما سئل قط فقال لا ، وكان أصدقهم لهجة ؛ وأشدهم تواضعاً وألينهم عريكة وأكرمهم عِشرة ، وأعظمهم حياء ؛ لا يثبت بصره فى وجه أحد ، أسكت الناس فى غير كبر ، وأفصحهم وأبلغهم فى غير تطويل ، يقبل الهدية ولو جرعة لبن ، وفخذ أرنب ، ويكافىء عليها بأكثر ويأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، يغضب لربه لا لنفسه ، ينفذ الحق وإن عاد بالضرر عليه ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، خافض الطرف من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه ، وإذا أهمه أمر أكثر من مس لحيته ، يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من سمعه ، ويعيد الكلمة ثلاثاً أحيانا لتعقل عنه ، وكان متواصل الأحزان ، دائم الفكر ليست له راحة ، لا يتكلم فى غير حاجة ، كثير البكاء والضراعة ، يمشى مع المسكين والأرملة لقضاء حوائجهما ، ويخصف نعله ويرقع ثوبه ، وينقى الهوام منه ، ويحلب شاته ويخدم أهله ، ويمشى منتعلا وحافيا ، ويعود المرضى حتى بعض الكفار وأهل النفاق ، ويشهد الجنائز ، ويزور قبور المؤمنين ، ويسلم عليهم ويستغفر لهم ، ويركب الفرس والبعير والحمار بأكاف وعريا . لكن أكثر ركوبه

(١) الآية رقم ٤ سورة القلم .

للأولين ، وأما البغل ، فكان قليلا في بر العرب لكن أهدى له فركبه ، ويركب منفردا ، ويردف أحيانا خلفه عبده وزوجته وغيرهما ، ويجالس الفقير ، ويواكل المسكين ، ويكرم أهل الفضل ويتألّف أهل الشرف ، فكان يتواضع لاكابر الكفار للتألف ، ولكونهم مظاهر العزة الإلهية ويقول : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، ولا يواجه أحداً بما يكره ، ويمزح ولا يقول إلا حقا ، ويورى ولا يقول فى توريته إلا صدقا ، ويجلس للاكل مع العبيد ويأتى إلى بساتين إخوانه إكراما لهم ، ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس ،لا يهوله شيء من أمر الدنيا ، لا يحقر مسكينا لفقره ، ولا يهاب ملكا لملكه ، يدعو هذا وهذا إلى اللّه دعاء واحدا ، وقيل له : ادع على الكفار فقال : إنما بعثت رحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، ولم يكن فحاشا ولا لعانا ولا بخيلا ، ولا جبانا ولا صخابا فى الأسواق ، يختار أيسر الأمور. ولا يضحك إلا تبسما ، يعجب مما يعجب منه جلساؤه ، ويضحك مما يضحكون ، ويذكرون ما كان منهم فى الجاهلية فيتبسم ، قد وسع الناس خلقه فهم فى الحق عنده سواء ، وما انتهر خادما ولا قال له فى شيء صنعه لم صنعته ؟ ولا فى شيء تركه لم تركته ، بل يقول لو قدر كان ، ولا ضرب بيده أحدا إلا فى الجهاد ، مجلسه مجلس حلم وصبر، وحياء ، من فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يرسلها الآخر ، ولا يجلس إلا على ذكر اللّه ، وكان أكثر جلوسه مستقبلا ، محتبيا بيديه ، وكان حسن العشرة لأزواجه ويسوِّى بينهم فى الإيواء والنفقة ، وأما المحبة فيقول « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى المحبة والجماع ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام حتى الصبيان ويؤثر الداخل بوسادته ، ويبسط له ثوبه ، فإن أبى عزم عليه حتى يفعل ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق وإذا وعظ احمرت عيناه وعلا صوته كأنه منذر جيش ، وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكان يقدم أصحابه أمامه ويمنع أن يمشى أحد خلفه ، ويقول : خلوا ظهرى للملائكة ، ولا يجزى سيئة بمثلها بل يعفو ويصفح ، جمع

اللّه له السيرة الفاضلة والسياسة التامة الكاملة ، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ ببلاد الجهل فى فقر ، وفى رعاية الغنم يتيما من أبويه .فعلمه اللّه مكارم الأخلاق وأدبه فأحسن تأديبه .

فصـــل

وكان خلقه فى الطعام أنه يأكل ما وجد، ولا يتكلف ما فقد ، وإذا حضر طعام لا يرده ، وما عاب طعاما قط بل إن أعجبه أكله وإلا تركه .وأكل لحم الإبل ، والبقر ، والغنم ، والدجاج ، والسمك ، والرطب ، والتمر، وشرب اللبن حليبا وممزوجا ، وأكل الخبز بتمر ، والخبز بخل ، والخبز بشحم وكبد الغنم مشويا، والقديد ، والدباء ، وكان يحبها ويتتبعها من جوانب القصعة ، والجبن والثريد والخبز بزيت والخبز بزبد ، وإذا لم يجد شيئا صبر حتى شد الحجر على بطنه ، وكان أحيانا لا يجد من الدَّقَلِ ما يملأ بطنه ، وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد ولا يتبعه ، ولا يصيده ، وكان إذا أتى طعامه بسط السفرة على الأرض ووضعه عليها ولم يأكل على خوان ، ولا فى سكرجة ، ويأكل بثلاثة أصابع وربما استعان بالرابع ونهى عن الأكل بأصبع وقال : أكل الشيطان ، وباثنين وقال : أكل الجبابرة ويأكل اللقمة الساقطة ويقول : لا ندعها للشيطان ، ويلحس القصعة ويقول : تستغفر للاحسها ، ويتبع ما سقط من السفرة ويقول من فعله غفر له ، ويسمى اللّه أول طعامه وإذا فرغ حمده ، ولا يأكل متكئا بل مقعيا ، ويقول : آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، ويحب اللحم ويعجبه الذراع وسم فيه ، والعجوة والعسل ، والحلوى ، وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ ، قال الغزالى رحمه اللّه : وكان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعا ، وربما أكل العنب خرطا ، وكان أكثر طعامه التمر والماء ، وكان يحب الهندبا ، والبقلة الحمقاء وهى الرجلة ، وكان يعاف الضب والطحال ، ولا

يحرمهما ، وأتى بلبن وعسل فى إناء فرده وقال أُدْمَان فى إناء !! لا آكله ولا أحرمه لكنى أكره الفخر وكان فى بيته يقوم ويأخذ ما ياكل بنفسه ، ولا يشتهى على أهل بيته طعاما ولا اقترحه وكان لا يأكل وحده ، ولا يجمع بين سمك ولبن ، ولا بين لبن وشيء من الحوامض ، ولا بين غذائين حارين ، ولا باردين ولا قابضين ، ولا مسهلين ، ولا غليظين ، ولا بين لحم مشوى ، ومطبوخ وقديد . ورطب ، وحليب ولحم . ولا يأكل طعاما حارا .ولا يابسا. ولا ما فيه عفونة كالملوحات . وكان يدفع ضرر بعض الأطعمة ببعض كتمر بزبد ، وبطيخ أو قثاء ، برطب ، وينقع التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام . وأمر أن يؤكل ما تيسر قبل النوم ؛ وأن لا يؤكل الخبز وحده . ونهى عن النوم عقب الأكل وقال : أذيبوا طعامكم بذكر اللّه ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم ، وكان يشرب فى ثلاثة أنفاس ويمص مصا ولا يعب ، ويقول : الكباد من العب ، ولا يتنفس فى الإناء ، ويشرب قاعدا غالبا ، ويشرب قائما لعذر ، وكان يحب شرب البارد ، ويكره الحار ، وإذا شرب دفع البقية لمن عن يمينه ، وإن كان من عن يساره أشرف أو أسن قال لصاحب اليمين : الشربة لك ، فإن شئت آثرته .

فصـــــل

وأما خلقه فى اللّباس فكان يلبس ما وجد كتانا أو صوفا أو قطنا والغالب القطن قميصا أو رداء أو إزارا أو غيرها ، ويحب الثياب الخضر ، ولبس البردة والحبرة والجبة والحلة الحمراء ، والقباء ، والثوب السادج ، والأسود والفرو المعلم على أطرافه بسندس ، وكان أحب الثياب إليه القميص وفى خبر ضعيف أنه لبس السروال ولبس جبة خسروانية مفرجة عليها سجف من ديباج ، والطيلسان حال الحر كما فى اليوم الذى أمر بالهجرة فيه ، وكان له ثوبان للجمعة ، وبرد أخضر للعيد ويلبس العمامة البيضاء والسوداء ، والاكثر

البيضاء بغير قلنسوة وبها ، وقلنسوة بغير عمامة ، ويجعل لها غالبا عَذَبَةً بين كتفيه ، ولم تكن عمامته كبيرة تؤذى الرأس ، ولا صغيرة تقصر عن وقاية الحر والبرد ، ولم يتحرر فى طولها وعرضها شىء وما وقع للطبرى أن طولها سبعة أذرع فى عرض ذراع وأنها من صوف لم يثبت ، وكان له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلى رضى الله عنه ، فكان إذا قدم فيها يقول أتاكم علىٌّ فى السحاب ، وكانت ثيابه كلها فوق الكعبين ، وربما جعلها لنصف الساق ، ويلبس ثوبه من ميامنه ، وينزعه بالعكس ويقول عند لبسه الحمد لله الذى كسانى ما أستر به عورتى وأتجمل به ، وإذا لبس جديدا أعطى الخَلِقَ مسكينا ، وكان له ملحفة مصبوغة بزعفران أو وَرْسٍ ، وكان له خاتم من فضة وفصه منه ونقشه محمد رسول الله ، وكان يتختم فى خنصر يمينه ويساره لكن اليمين أكثر ، ويلبس النعال السبتية ، والتاسومة ، والخف ، وكان فرشه من أدم حشوه ليف طوله ذراعان وشىء وعرضه ذراع ونحو شبر ، وكان له عباءة تفرش له حيثما ينتقل يثنى طاقة[1] تحته ، وربما نام على حصير وعلى الأرض جرداء وما عاب مضطجعا قط إن فرش له اضطجع وإلا نام على الأرض ، وكان يحب الطيب وإذا عرض عليه لا يرده : ويكره الريح الكريه ، ويتطيب بغالية ومسك وسك ، ويتبخر بكافور وعود ، ويكتحل بالإثمد ثلاثا فى كل عين ، وكان له جوار وعبيد ، وعتقاؤهم من الغلمان أكثر ، وكان يبيع ويشترى ، لكن الشراء بعد البعثة أغلب والبيع نادر وبعد الهجرة لم يحفظ البيع إلا فى ثلاث صور والشراء كثير ، وآجر واستأجر والاستئجار أغلب ، وأجر نفسه قبل النبوة لرعى الغنم ، ولخديجة للاتجار ، وشارك ووكل وتوكل ، والتوكيل أكثر ، وأهدى له وقبل وعوض ، ووهب له وقبل ، واستعار واشترى بنقد وبنسيئة وضمن عن الله ضمانا خاصا وعاما وشفع وشفع إليه وشفع لعبد عند امرأته ليراجعها[2] فلم تقبل ولم يغضب ، وكان يكثر القسم

---

(١) طاقين فى « ش » .

(٢) وفى « ش » جاءت العبارة على النحو التالى : « وشفع لمغيث عند امرأته بريرة ليراجعها » .

باللّه ، والثابت منه يزيد على ثمانين موضعا ، وكان أكثر دعائه : يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، وكان يسمع الشعر من الشعراء ويعطيهم ويهبهم الخلع ، لأن كل ما قالوه ويقولونه إلى يوم القيامة قطرة من بحر كماله ، فعطاؤه لهم على قول حق ، وأما مدح غيره فغالبا زور وبهتان وكذب صراح ، لا جرم قال : احثوا فى وجوه المداحين التراب ، فزعم التدافع غلط ، وسابق على قدميه ، وصارع ، وطلق ، وآلى ، وزعم أنه ظاهر غلط قبيح ، وضاف وأضاف ، وداوى وتداوى بأدوية مفردة ومركبة ، ورقى واسترقى ، وحذر من التخمة وكثرة الأكل ، وعالج الأمراض بالأدوية الطبيعية والإلهية ، صلى اللّه عليه وسلم .

الباب الرابع
في
معجـــزاتـــه

وهى كثيرة ، منها أنه انشق له القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، فشرب العسكر كلهم وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن بسط يده فيه وحن إليه الجذع الذى كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصوت الإبل فضمه إليه فسكن ، وزويت له الأرض وسبح الحصى بكفه والطعام بحضرته وسلم الحجر والشجر عليه وكلمه الذراع وشكى إليه البعير وسلمت عليه الغزالة وشهد له الذئب بالنبوة وذهبت إليه الشجر من مغارسها وندرت عين قتادة فردها فكانت أحسن عينيه ، وتفل فى عين علىّ وهو أرمد فبرئت وسعت ولم يرمد بعد ، ومسح رجل ابن أبى عتيك لما انكسرت فصحّت ، وأخبر أنه يقتل أبى بن خلف فخدشه يوم أُحُد خدشا يسيرا جدا فمات ، وعد فى بدر مصارع الكفار قبل الوقعة فقتل كل منهم فيما عيَّنه ، وقال فى عثمان : تصيبه بلوى عظيمة فكان ما كان ، وأخبر بمقتل الأسود العنسى فى صنعاء ليلة قتله وبأن كسرى قتل بفارس فى يوم قتله ، ودعا لعلى بذهاب الحر والبرد فلم يحس بهما بعد ، ولابن عباس بالفقه فى الدين وعلم التأويل فصار بحرا، ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرزق كثرة ولد وعاش مائة عام ، وصارت نخله تحمل فى العام مرتين ، ودعا على عتبة بن أبى لهب فقال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد . وأطعم ألفا فى غزوة الخندق من أقل من صاع ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب فامتلأت أعينهم منها وانهزموا ، وأخبر بأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله جيش معاوية ، وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ووضع على رءوسهم ترابا ولم يروه ، وقال لنفر من صحبه مجتمعين : أحدكم فى النار

فماتوا كلهم مسلمين إلا واحدا ارتد ، وأطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو أربع سنين ، وأنذر بأن طوائف من أمته يغزون البحر فوقع « وأخبر » بأن فاطمة أول أهله لحوقا به فكان ، وبأن أطول نسائه يدا أسرعهن لحوقا به ، فكانت زينب أطولهن يدا بالصدقة وأولهن لحاقا به ، ومسح ضرع شاة حائل فدرت ، وجاءه الحكم بن أبى العاص مرتعشا مستهزئا ، فقال : كذلك فكن ! فلم يزل يرتعش حتى مات ، وخطب امرأة فقال أبوها : بها برص امتناعا من إجابته ، ولم يكن بها فقال : فليكن كذلك فبرصت حالا .

الباب الخامس
فى
خصائصـــــــه

وهى أنـواع :

الأول ـ الواجبات عليه :

وهى الضحى والوتر وراتبة الصبح والأضحية ، والسواك ومشاورة العقلاء ، وتغيير منكر مطلقا ومصابرة العدو فى الحرب وإن كثر ، وقضاء دين ميت مسلم معسر وطلاق كارهته وتخيير زوجاته بين الطلاق والمقام ، والتهجد ثم نسخ .

الثانى ـ المحرمات :

وهى الصدقة ولو نفلا ، والكفارة وتعلم الخط والقراءة والشعر وروايته ونزع لامته إذا لبسها قبل القتال ومد عينيه لمتاع غيره والإيماء إلى فعل مباح كقتل وضرب مع إظهار خلافه ، وتزوج الكتابية والأمة والمن ليستكثر .

الثالث ـ المباحات :

وهى التزوج فوق تسع وتزوجه محرما وبلا ولى وشهود وبلفظ الهبة إيجابا لا قبولا ووجوب إجابته على امرأة خلية رغب فيها وتزويجه من شاء لمن شاء ومن نفسه متوليا للطرفين ومكثه بالمسجد جنبا وإدامة قضاء نافلة وقت الكراهة والوصال ، وأخذ صفى المغنم والغنيمة وخمس خمسها مع سهمه كغانم ، وشهادته لنفسه ولفرعه وحكمه لهما ، وجواز الشهادة له بما ادعاه مع عدم علم الشاهد وشهادته كاثنين وحمى الموات لنفسه ، وأخذ طعام وشراب احتاجه من مالكه المحتاج إليه ولا ينتقض طهره بالنوم وكذا الأنبياء .

الرابع - الإكرام :

فمن ذلك تحريم زوجاته وسراريه على غيره وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يقرع باب الجنة ومن يدخلها ثم الأنبياء ، وأول شافع ومشفع ، وأرسل إلى الثقلين وأقسم اللّه بحياته ، وكان لا ينام قلبه ويرى من خلفه ويبصر فى الظُلَمَ كما يبصر فى الضوء ، ولا فيىء له فى شمس ولا قمر ، ولا يقع الذباب على جسده وأجر تنفله بالصلاة قاعدا كقائم ، ويخاطبه المصلى فى تشهده وتلزمه إجابته إذا دعاه وهو فى الصلاة ولاتبطل بذلك ، ويحرم رفع الصوت عنده ونداؤه باسمه ومن وراء الحجرات والتكنى بكنيته ، ولا يورث .

الباب السادس
في
كـلامــــه

وهو لا يحصيه إلا الله ..

لكن نتبرك بمائة* حديث منه بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف يعمل به في الفضائل . قال عليه الصلاة والسلام :« الأجر على قدر النَّصَبْ » وقال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »[1] وقال : اتخذوا عند الفقراء أيادى فإن لهم دولة يوم القيامة »[2] وقال :« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور »[3] وقال : « كونوا فى الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكُّر والبكاء »[4] وقال : « كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه »[5] وقال : « كما تدين تدان »[6] وقال : « ابن آدم لك ما نويت وعليك ما اكتسبت وأنت مع من أحببت » وقال : « قل الحق وإن كان مرا » وقال : « يَسِّروا ولا تُعسِّروا وبشروا ولا تنفِّروا »[7] وقال : « كل ميسر لما خلق له »[8] وقال :

---

* بلغ العدد مائة وثمانية حديث .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الحسين بن على .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن بن عمر ، وأحمد فى مسنده والترمذى وابن ماجه فى سننهما .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الحكم بن عمير .

(٥) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر .

(٦) لابن عدى فى الكامل عن ابن عمر .

(٧) أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى عن أنس .

(٨) أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم فى الصحيحين وأبو داود عن عمران بن حصين .

« حسن الجوار عمارة الديار وزيادة الأعمار ، ومن آذى جاره أورثه الله داره » وقال : « لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك »[١] وقال : « لا يغني حذر من قدر » [٢] وقال : « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » وقال : « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب : « وأن مع العسر يسرا »[٣] وقال : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »[٤] وقال : « أتمكم عقلا أشدكم من الله خوفا »[٥] وقال : « أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما خلق له »[٦] وقال : « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت »[٧] وقال : « اخزن لسانك إلا من خير »[٨] وقال : « أخلص العمل يجزك منه القليل »[٩] وقال : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »[١٠] وقال : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك »[١] وقال :

---

(١) أخرجه الترمذي عن واثلة وقال : حديث حسن .

(٢) الحاكم في مستدركه عن عائشة .

(٣) أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد .

(٥) أخرجه الغزالي ، انظر كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للمناوي ، ١/ ١٠ .

(٦) وهذا الحديث هو : أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها ، أخرجه ابن ماجه في سننه والحاكم في مستدركه ، والطبراني في الكبير عن أبي حميد الساعدي .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء .

(٨) أخرجه الطبراني ، كنوز الحقائق ١/ ١٣ .

٩) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، كنوز الحقائق ١/ ١٢ .

(١٠) أخرجه الترمذي في جامعه ، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة .

« إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا »[٢] وقال : « إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره »[٣] وقال : « إذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا وبصّرهُ بعيوب نفسه وفقهه فى الدين »[٤] وقال : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح » وقال : « إذا ترك العبد الدعاء للوالدين انقطع عنه الرزق فى الدنيا » وقال : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وقال : « إذا حدثتم العباد عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم ويشق عليهم » وقال : « إذا رأيت الفقر مقبلا فقل : مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغناء مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته » وقال : « إذا رأيتم من يزهد فى الدنيا فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة »[٥] وقال : « إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه استدراج » وقال : « إذا سبب الله لأحدكم رزقا بوجه فلا يدعه حتى يتغير ويتنكر » وقال : « إذا غضبت فاسكت »[٦] وقال : « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن حتى يكفرها »[٧] وقال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقال : « إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش »[٨] وقال : « إذا وقع القضاء عمى البصر » وقال : « إذا وقف العباد نادى المنادى ليقم من أجره على الله فيقوم العافون عن

---

(١) أخرجه البخارى فى تاريخه ، وأبو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه عن أبو هريرة والدارقطنى فى سننه ، والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة .

(٢) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ، كنوز الحقائق ١٤/١.

(٣) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس ، الجامع الصغير للسيوطى١٨/١

(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس عن محمد بن كعب القرظى مرسلا

(٥) وجاء بلظ آخر فى سنن ابن ماجه وفى الحلية لأبى نعيم والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة « إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق ، فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » .

(٦) أخرجه أحمد فـ مسنده عن ابن عباس بلفظ آخر « إذا غضب أحدكم فليسكت » .

(٧) أخرجه أحمد فى مسنده عن عائشة .

(٨) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة ، وأبو يعلى فى مسنده والبيهقى فى شعب الإيمان عن أنس .

الناس » وقال : « ازدد عقلا تزدد من الله قربا » وقال : « سل الله العفو والعافية »[١] وقال : « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود »[٢]وقال : استعينوا على كل صنعة بأهلها »[٣] وقال : « استفت قلبك وإن أفتوك »[٤] وقال : « اسمح يسمح لك »[٥] وقال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة إمام جائر »[٦] وقال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »[٧] وقال : « أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة »[٨] وقال : « أصب بطعامك من تحب فى الله »[٩]وقال : « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك »[١٠] وقال : « أعظم الناس خطايا اللسان الكذوب »[١١]وقال : « أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضا فى الباطل » وقال : « مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش فمن كَثَّر كُثر له ومن قلَّل قُلل » له وقال : « ارحموا ترحموا »[١٢] وقال : « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله »[١٣] وقال : « أفضل الأعمال أن يسلم الناس من لسانك ويدك وما

---

(١) « سل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » ، أخرجه البخارى فى تاريخه والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن جعفر .

(٢) أخرجه العقيلى فى الضعفاء ، وابن عدى فى الكامل ، والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن معاذ بن جبل .

(٣) أخرجه الحاكم فى مستدركه ، كنوز الحقائق ١/ ٢٩.

(٤) وفى لفظ آخر « استفت نفسك وإن أفتاك المفتون ، أخرجه البخارى فى صحيحه عن واصبة ، كنوز الحقائق ١/ ٣٠ .

(٥) أخرجه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس .

(٦) أبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الأوسط ، وابو نعيم فى الحلية عن أبى سعيد.

(٧) أخرجه الطبرانى فى الصغير ، وابن عدى فى الكامل ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة .

(٨) ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب ، عن على .

(٩) ابن ابى الدنيا فى كتاب الإخوان عن الضحاك مرسلا

(١٠) أخرجه البيهقى فى شعبه ، كنوز الحقائق ١/ ٣٤ .

(١١) أخرجه الحاكم فى مستدركه ، كنوز الحقائق ١/ ٣٤ .

(١٢) أخرجه أحمد فى مسنده ، والبخارى فى الأدب ، والبيهقى ى شعبه ، عن ابن عمر .

(١٣) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، والبزار عن أنس ، والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت مؤنة الناس عليه »[1] وقال : « ما تنزع الرحمة إلا من شقى » وقال : « ما من كلمة أفضل من كلمة عدل عند إمام جائر » وقال : « مطل الغنى ظلم »[2]وقال : « مداراة الناس صدقة »[3] وقال : « ملاك الدين الورعُ » وقال : « من سعادة المرء حسن الخلق » وقال : « نوم الصبح يمنع الرزق » وقال : « ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله »[4] وقال : « لاتحدثوا أمتى من أحاديثى إلا بما تحتمله عقولهم » وقال : « لا تزال لا إله إلا الله ترفع عن الخلق سخط الله مالم يُؤثروا صفقة دنياهم على أخراهم » وقال : « لا تكثر همك ما قدر يكن وما تُرزق يأتك »[5] وقال : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس » وقال : « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه »[6] وقال :« أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الربح بلا بضاعة » وقال : « يأيها الناس ألا تستحيون ، تجمعون مالا تأكلون ، وتبنون مالا تسكنون » وقال : « يا بن آدم ارض من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثيرٌ » وقال : « لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق »[7] وقال : « أحذرك الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها » وقال : « ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » وقال : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم » وقال : « يُحشر الجبارون يوم القيامة فى صورة الذر » وقال : « يقول الله : اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى » وقال : « اليسر يمن والعسر

---

(١) أخرجه الطبرانى ، كنوز الحقائق ١. ٣٦.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأصحاب السنن الأربعة عن أبى هريرة .

(٣) ابن حبان فى صحيحه ، والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن جابر .

(٤) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ، كنوزالحقائق ٢/١٥٥.

(٥) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن مالك بن عبادة ، وفى القدر عن ابن مسعود .

(٦) « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه بعد عزها بالدين » ، أخرجه أحمد فى مسنده ، كنوز الحقائق ١٩٢/٢ .

(٧) أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أبى ذر .

أن تستجاب دعوته وتكشف كربته ، فليفرج عن معسر » وقال : « من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين اللّه » وقال : « تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإن من كانت الدنيا أكبر همه أفشى اللّه تعالى ضيعته وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع اللّه تعالى أمره ، وجعل غناه فى قلبه ؛ وما أقبل عبد على اللّه إلا جعل قلوب المؤمنين تغدو إليه بالود والرحمه »[١] .

---

(٣) أخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء .

شؤم » وقال : « اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار » وقال : « ما امتلأت دار حيرة إلا امتلأت عبرة وما كانت فرحة إلا تبعتها ترحة » وقال : « ما أوحى الله إلى أن اجمع المال وكن من المتاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين » وقال : « إنك لن تدع لله شيئا إلا عوضك الله خيرا منه » وقال : « ما جبل الله وليا إلا على السخاء وحسن الخلق »[1] وقال : « حق على الله أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا إلا وضعه » وقال : « ما من أحد ذى غنى ولا فقر إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى من الدنيا قوتا » وقال : « ما هو بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » وقال : « ما من يوم تصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » وقال : « مت فقيراً ولا تمت غنيا »[2] وقال : « ما يسر الله على عبد فى الدنيا إلا يسر عليه فى الآخرة » وقال : « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه » وقال : « من سعادة المرء حسن الخلق » وقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقال : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » وقال : « من آذى جاره فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله » قال : « من آذى مسلما بغير حق فكأنما هدم بيت الله » وقال : « من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاد عدوه آمنا » وقال : « من أحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده » وقال : « من أحب قوما حشر معهم » وقال : « من أحب شيئا أكثر من ذكره » وقال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحبَّ آخرته أضر بدنياه ، فآثروا مايبقى على ما يفنى » وقال : « من اتقى ربه كَلَّ لسانه ولم يَشْفِ غيظه »[3] وقال : « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار » وقال « من أراد

---

(١) أخرجه ابن عدى ، كنوز الحقائق ٨٧/٢ .

(٢) أخرجه الطبرانى ، كنوز الحقائق ٩٢/٢ .

(٣) أخرجه ابن عدى ، كنوز الحقائق ٨٧/٢ .

الباب السابع
فى
ذكر شيء من أدعيته

وهى أربعون [١]:

الاول : اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع .

الثانى : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً .

الثالث : اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا ، وعذاب الآخرة .

الرابع : اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تشبع ، ومن صلاة لا تنفع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن قلب لا يخشع .

الخامس : اللهم اجعلنى شكورا واجعلنى صبورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا ، وفى أعين الناس كبيرا .

السادس : اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم .

السابع : اللهم استر عورتى ، وآمن روعتى ، واقض ديني .

الثامن : اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى

(١) أورد الإمام المناوى هذه الأدعية فى كتابه الموسوم بـ « المطالب العليّة فى الأدعية الزهيةّ » ، وهو قيد الطبع بتحقيقنا بدار الغد العربى ، القاهرة ، وانظر كذلك إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج ٣١٨/٢ - ٣٢٨ . .

الدنيا وعذاب الآخرة ، من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء .

التاسع : اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء .

العاشر : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى صديق ملكته أمرى ، إن لم يكن بك سخط على فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الكريم ، الذى أضاءت له السموات ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحل على غضبك ، أو تنزل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

الحادى عشر : اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

الثاني عشر: اللهم اغننى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية .

الثالث عشر : اللهم عافنى فى قدرتك ، وأدخلنى فى رحمتك ، واقض أجلى فى طاعتك ، واختم لى بخير عملى واجعل ثوابه الجنة .

الرابع عشر : اللهم إنى أعوذ بك من شر الريح ، ومن شر ما يجىء به الريح ومن ريح الشمال فإنه الريح العقيم .

الخامس عشر : اللهم آمن روعتى واستر عورتى ، واحفظ أمانتى.

السادس عشر : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك فأعطنا منك ما يرضيك عنا .

السابع عشر : اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقام فإن جار البادية يتحول .

الثامن عشر : اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا

أساءوا استغفروا .

التاسع عشر : اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى وانصرنى على من ظلمنى وخذ منه بثأرى .

العشرون : اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة .

الحادى والعشرون : اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى فسئل عنهن فقال : وهل تركن من شىء .

الثانى والعشرون : اللهم لك الحمد ، كثيرا طيبا مباركا فيه .

الثالث والعشرون : اللهم اجعل لى لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا.

الرابع والعشرون : اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى .

الخامس والعشرون : اللهم اغفر لى وارحمنى ، وألحقنى بالرفيق الأعلى .

السادس والعشرون : اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم إنى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والإنس يموتون .

السابع والعشرون : اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك وجميع سخطك .

الثامن والعشرون : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والكسل ، وعذاب القبر .

التاسع والعشرون : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا

واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

الثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

الحادى والثلاثون : اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما ، الحمد لله على كل حال .

الثانى والثلاثون : اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك وأسمع نصيحتك ، وأحفظ وصيتك .

الثالث والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء .

الرابع والثلاثون : اللهم رب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، أعوذ بك من النار .

الخامس والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه .

السادس والثلاثون : اللهم إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة ، وحسن الخلق والرضا بالقدر.

السابع والثلاثون : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والضلالة والفقر الذى يصيب بنى آدم .

الثامن والثلاثون : اللهم اغفر لنا ، وارحمنا وارض عنا وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار وأصلح لنا شأننا كله ، قالوا : زدنا ، قال ، أولسن قد جمعن الخير ؟ .

التاسع والثلاثون : اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى وعمدى ، اللهم إنى أستهديك لأرشد أمرى وأعوذ بك من شر نفسى .

الأربعون : الهم انصرنى على من بغى علىَّ ، وأرنى ثأرى ممن ظلمنى ، وعافنى فى جسدى ، ومتعنى بسمعى ، وبصرى ، واجعلهما الوارث منى .

الحادى والأربعون : اللهم أعنى على الموت وهونه علىَّ .

الباب الثامن
فى
وفاتـــــه

لما أكمل اللّه تعالى له ولأمته الدين ، وأتم عليهم النعمة نقله إلى دار كرامته شهيدا من أكله من الذراع المسموم الذى أهدى له بخيبر ليجمع اللّه له بين شرف النبوة والشهادة ، فابتدأ به مرضه فى العشر الأخير من صفر سنة إحدى عشر فى بيت ميمونة ، فلما اشتد وجعُه تحول لبيت عائشة رضى اللّه عنها وأقام مريضا نحو اثنى عشر يوما ، وتوفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول عند الجمهور ، وغسله على والعباس وابناه قثم والفضل يعيناهما . وأسامة بن زيد وشقران يصبان الماء ، وأوس بن خولى الخزرجى ينقل الماء من بئر غرس ، ولم يجرد من قميصه ، وجعل على رضى اللّه عنه على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلّكه بماءٍ وسدر ثلاث غسلات ، ثم كُفِّن فى ثلاث ثياب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ثم صلى الرجال عليه فرادى فوجا بعد فوج يدخل فوج فيصلون ثم يخرجون ، ويدخل غيرهم ، ثم صلى النساء ثم الصبيان ، ثم دفن فى البقعة التى قبض فيها لكونه كان قال : « ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض » فرفع فراشه وحفر له تحته ودخل القبر الجماعة المذكورون ، وقيل : إلا أسامة وأوس ، وفرش له فى قبره قطيفة كان يلبسها ، ويفترشها فقالوا : لا يلبسها أحد بعده ، وهى كساءُ له خملُ بجوانبه ، وقيل : أخرجت قبل الإهالة ، وألحدوا له لحدا أى شقوا له فى جانب القبر ، ونُصبت عليه تسع لبنات ثم أطبقت عليه وجعلوه مسطحا لا مُسَنَّما ولا لاطيا بالأرض ، ورشوا عليه ماء باردا ، واشترك الناس كلهم فى العزاء وطاشت العقول وخرست الألسن وأظلمت الدنيا ، ودفن ليلة الأربعاء وقيل : ليلة الثلاثاء ، وكانت ليلة ليلاء أى مظلمة لفقد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانقطاع الوحى ، قال أنس رضى الله عنه : « ما نفضنا أيدينا من ترابه حتى أنكرنا قلوبنا » وكان موته ، صلى الله عليه وسلم ، أعظم المصائب ، وأفظع الدواهى ، وارتد كثير من الناس ، بل قالوا : ما بقى مسجد إلا ارتد بعض أهله إلا ثلاثة مساجد ، ثم أدرك الله الأنام بلطفه وخذل أهل الردة ونصر الإسلام وأهله والحمد لله ، وهذه النبذة يتعين على كل مسلم الإحاطة بها علما ، لأنها خلاصة عدة أسفار ، وشرحها يحتمل مجلدات وهى جديرة بأن تفرد وتحفظ ، والله أعلم ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أذاق أولياءه من لذة معرفته ما شغلهم عن الكرى والأرق
فاض عليهم من مواهبه ما أذهب عنهم كل حزن وفرق ، وآتاهم من حلاوة قربه
هيج عندهم الشوق والقلق ، والصلاة والسلام على أفضل من بالشهادة نطق ،
ـه وصحبه ومن لهم اتبع وبهم اعتلق ، صلاة وسلاما يدومان ما دام الضوء
غسق .

وبعـد .. فهذه هى الطبقة الأولى ، من الكواكب الدرية ، فيمن مات
القرن الأول من نساك الصحابة وزُهَّادهم وهم ستة وثلاثون رجلا ، وقد رأيت
أقدم منهم الخلفاء الأربعة لما لهم من التميُّز على غيرهم ، ثم أرتب البقية على
ِف المعجم ، وبالله المستعان ، وهؤلاء الستة والثلاثون إجمالا :[1].

الإمام أبو بكر الصديق ، الإمام عمر الفاروق ، الإمام عثمان ذو
رين ، الإمام على .أبىُّ بن كعب .أبو الدرداء أبو ذَرٍّ .أبو هريرة .أبو موسى
ـعرى . أبو عبيدة بن الجراح . بلال المؤذن . تميم الدارى . جعفر الطيار .
ـفة بن اليمان .الحسن بن على . الحسين ابنه ، سعيد الجمحى . سلمان
ارسى . شداد بن أوس ، صهيب الرومى . عاصم الأنصارى . عامر بن
ـرة . عامر بن ربيعة .عبد الله بن عمر . عبد الله بن مسعود . عبد الله بن
س . عبد الله بن الزَبير . عبد الله بن جحش . عبد الله بن رواحة .عبد الله
لنجادين . عتبة بن غزوان .عثمان بن مظعون ، عمار بن ياسر . عمير بن
. . مصعب بن عمير . معاذ بن جبل ، المقداد بن الأسود. رضوان الله تعالى
ـهم أجمعين .

---

(1) المذكور هنا سبعة وثلاثون إجمالا .

(١) الإمام أبو بكر الصديق [(١)] رضى الله تعالى عنه

توحد فى الأحوال بالتحقيق ، مختار الاختيار من دعاه إلى الطريق ، حتى صار للمحن هدفا ، وللبلاء عرضا ، وزهد فيما عن له جوهرا كان أو عرضا ، تفرد بالحق عند الالتفات للخلق . حتى جمع بين الجمع والفرق ، وقد قيل : إن التصوف الاعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق ، وقيل : أحوال قاهرة ، وأخلاق طاهرة ، وحقائق ظاهرة ، واسمه عبد اللّه أو عتيق لعتقه من النار كما ورد فى حقه عن سيد الأخيار فى عدة أخبار ، أو لعتاقة وجهه أى حسنه ، أو لعتاقة نسبه أى طهارته ، أو لأن أمه كان لا يعيش لها وَلَدٌ . فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت : اللهم هذا عتيق من الموت فهبه لى ، وأجمعوا على تسميته بالصديق لمبادرته لتصديق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ولزومه للصدق والوفاء ، وكان يقال له : الأوّاه ، لشدة رأفته وكمال تقواه ، وأكرم بسماعه مناجاة جبريل للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، لكنه كان لا يراه ، وله فى الإسلام المواقف العالية ، منها قصة يوم ليلة الإسراء ، وثباتُه وجوابه للكفار فى ذلك ، وهجرته مع الرسول تاركا للمال والعيال والأطفال ، وفداؤه بنفسه فى الغار ، ثم كلامه يوم بدر ، ويوم الحديبية ، وثباته حين اشتبه الأمر على غيره فى تأخر دخول مكة ، ثم فهمه وبكاؤه بشدة حين قال المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، : « أن عبداً خيَّره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ما عنده » ثم ثباته عند المصيبة العظمى التى خرس عندها فصحاء فحُول الرجال ، ولذلك قال بعض أهل الكمال : إنه أشجع الصحابة فى الأقوال والأفعال ، فإنه لما توفى المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، ذهل من ذهل ، وخرس من خرس ، وأُقعد من أقعد ، وقال

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، الترجمة ٤٨٠٨ ، وابن الأثير ٢/ ١٦٠ ، والطبرى ٤/ ٤٦ ، وصفة الصفوة ١/ ٨٨ ، والرياض النضرة ٤٤ ـ ١٨٧ ، ومنهاج السنة ٣/ ١١٨ وما بعدها .

ورضى اللّه عنه وقد سَلَّ سيفه : من قال إن نبينا صلى اللّه عليه وسلم ، مات ضربت عنقه بسيفي هذا ، فصعد أبوبكر المنبر وقال : (أما بعد) فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حى لا يموت ،﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ ، وكان رضى اللّه عنه يتوصل بعد الوفاء ، إلى أرفع مواقف الصفاء ، وقد قيل : التصوف ، تفرد العبد بالواحد الصمد الفرد ، وكان من أخلاقه الفاضلة ، وأحواله الشريفة الكاملة ، العزوف عن العاجلة للأزوف من الآجلة ، وقد قيل : التصوف تطليق الدنيا بتاتا ، والإعراض عن منالها ثباتا ، استسقى يوما فأتى بإناء فيه ماء وعسل فبكا وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا ، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب ، وتواجد البعيد والقريب ، ثم أفاق من غشيته ، ومسح وجهه ببردته فقالوا : ماهاجك على ذلك ؟ حتى ظن كل منا أنه هالك ، قال : كنت مع المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فجعل يدفع عنه شيئا ويقول : إليك عنى إليك عنى ، ولم أر معه أحدا فسألته فقال : « هذه الدنيا تمثلت لى بما فيها فزجرتها فتنحت وقالت : أما واللّه إن انفلتَّ منى لا ينفلت منىٍّ من بعدك » فخشيت أن تكون لحقتنى فذلك الذى أبكانى ، وكان لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ، وقد قيل : التصوف الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ، وكان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار ، وقد قيل : التصوف السكون إلى اللهيب فى الحنين إلى الحبيب ، وكان يقدم الحقير معتاضا للخطير ، وقد قيل : التصوف وقف الهمم على مولى النعم ، أتى المصطفى، صلى اللّه عليه وسلم ، بصدقته فأخفاها ، وقال : هذه صدقتى وللّه عندى معاد ، وجاء عمر رضى اللّه عنه بصدقته فأفشاها ، وقال : لى عند اللّه معاد ، فقال المصطفى ،صلى اللّه عليه وسلم : ياعمر قد وترت قوسك بغير وتر، ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما ، وكان فى المصافاة صافيا ، وفى الموافاة وافيا ، وقد قيل : التصوف استنقاذ الطوق فى معانات الشوق ، وترجئة الأمور على تصفية الصدور ، وكان أحزم الناس رأيا ، وأعلمهم بتعبير الرؤيا ،

وأكمل الصحابة عقلا وأكثرهم صوابا ، قولا وفعلا ، وكفاه شرفا وفضلا ، قول إمام المرسلين : إن اللّه يكره فوق سمائه أن يخطىء أبو بكر الصديق ، وكان أعلم الناس باللّه ، وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ريح الكبد المشوية ، وكان يحتاط فى مأكله ومشربه أشد احتياط وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقاءه بإفراط ، شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال : تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل إصبعه فى فيه وتقايأ حتى ظن أن نفسه ستخرج ثم قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء ، قال فى الإحياء وكان يطوى ستة أيام ، وكان لا يزيد على ثوب واحد ، وكان يأخذ بطرف لسانه ، ويقول هذا الذى أوردنى الموارد ، وقال : لاخير فى قول لا يراد به وجه اللّه ولا فى مال لا ينفق منه فى سبيل اللّه ، ولا فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا فيمن يخاف فى اللّه لومة لائم ، وقال : إذا دخل العبدُ العجبَ بشىء من زينة الدنيا مقته اللّه حتى يفارق تلك الزينة ، وقال : وجدنا الكرم فى التقوى والغناء فى اليقين ، والشرف فى التواضع ، وقال من ذاق من خالص المعرفة شيئا شغله ذلك عما سوى اللّه واستوحش من جميع البشر ، وقال : من مقت نفسه فى ذات اللّه أمنه اللّه من مقته ، وقال : فاز بالمروءة من امتطى التغافل ، وهان على القربى من عرف باللجاج. وقال : إياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم إليه يعود؛ ثم يأكله الدود ، وقال : لا خير فى خير بعده النار . ولا شر فى شر بعده الجنة ، ودخل حائطا فإذا بطير فى ظل شجرة فتنفس الصعداء وقال : طوبى لك ياطير تأكل الثمر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، ياليت أبا بكر مثلك . وكان إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم منى بنفسى وأنا أعلم بنفسى منهم فاجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ، وكان إذا قام فى الصلاة كانه عود مقطوع لما يعتريه من الخشوع ، وقال : وددت أنى شجرة تؤكل وتعضد ، ورأى أم رومان وهى تتمايل فى صلاتها فزجرها زجرا عظيما وقال لها : سمعت رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، يقول : « إذا قام أحدكم

في صلاته فليسكن أطرافه ، ولا يتمايل تمايل اليهود ، فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة » ولما مرض قيل له : ألا ندعو لك طبيبا ، فقال : قد رآني ، قالوا : فما قال ؟ قال : إني فعَّال لما أريد . ثم دعا عمر ، رضي الله عنه ، فوعظه حتى أبكاه ، ثم قال : إن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائبا أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعتها فلا يك غائبا أبغض إليك منه ، ولست بمعجزه ، ثم قال لمن حضره : أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(وعن أبي الطاهر محمد بن موسى ابن عطاء المقدسي عن علي بن أبي طالب أن أبا بكر رضي الله عنهما ، أوصى إليه أن يغسله بالكف الذي غسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حملوه على السرير استأذنوا فقام عليٌّ فقال : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فرأيت الباب قد فتح ، وسمعت قائلا يقول : أدخلوا الحبيب إلى حبيبه فإن الحبيب إلى حبيبه مشتاق ، رواه ابن عساكر)[1] ، مات سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة على الأصح .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة في ش ، ش ١ .

(٢) الإمام عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق(١)

ذو المقام الثابت المأنوق .أيد الله به دعوة الصادق المصدوق لما قال عليه الصلاة والسلام .: « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر ، أو بأبى جهل ابن هشام ، فأسلم بعد تسعة وثلاثين رجلا » وهو أول من جهر بالإسلام ، كما رواه الائمة الأعلام ، فصار للدين معلنا ، ولأعمال البر مبطنا ، وقد قيل : التصوف الوصول بما علن إلى ظهور ما بطن ، قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : استره يا عمر ، فقال : والذى بعثك بالحق نبيا لأعلننه ، كما أعلنت الشرك ، قال ابن عباس : لما أسلم عمر رضى الله عنه نزل جبريل عليه السلام على سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقال : قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر رضى الله عنه ، استدعاه المصطفى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « ادن ياعمر ، فدنا فقال : قد كنت شديد الشَّغَب علينا أبا حفص ، فدعوت الله أن يعز الدين بك أو بأبى جهل فكنت أحبهما إلىَّ فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من الأمة » فأعظم بها من منة ، وجمع الله بما منحه من الصولة ما تشتت من شمل الدولة ، فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد التخافت ، وثبتوا فى أحوالهم بعد التهافت ، وغلب كيد المشركين بما لزم قلبه من اليقين ، لا ينظر إلى كثرتهم ولا يكترث بمنعتهم واتحاد كلمتهم اتكالا على منشئهم ، وانتصارا بقاصمهم وشانئهم ، محتملا لما احتمل الرسول مصطبرا على المكاره لما يؤمل من الوصول ، المخصوص من بين الصحب بمعارضة المبطلين ، والموافق فى الأحكام لرب العالمين ، السكينة تنطق على لسانه ؛ واليقين يسكن فى جنانه كان بالحق صائلا ، وللأثقال حاملا ، وقد قيل : التصوف ركوب الصعب فى جلاء الكرب ،

(١) لقبه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاروق وكناه بأبى حفص ، الإصابة ، الترجمة رقم ٥٧٣٨ ، وحلية الأولياء ٣٨/١ ؛ وصفوة الصفوة ١٠١/١ .

ومن مناقبه المنيفة ، ومزاياه الشريفة إنه ما هاجر أحد إلا مختفيا إلا هو فإنه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه ، وانتضى بيده أسهما وأتى الكعبة ، وأشراف قريش بفنائها فطاف وصلى ثم أتاهم حَلقة حَلقة ، وقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ، وترمل زوجته فليتبعنى خلف هذا الوادى فما تبعه أحد ، ولما استطال أبو سفيان والد معاوية يوم أحد على المسلمين بلسانه ورفع من شأن أوثانه ، قال المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : أجبه يا عمر فخصه من بين الصحب لما اختص به من الصولة والمهابة وما علمه من ملازمته للتفريد ، ومحاماته عن معارضة التوحيد ، وأنه لا ينهنهه عن مصاولتهم العدة والعديد ، ولما ذكر المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فتانى القبر فقال عمر رضى اللّه عنه أترد إلينا عقولنا يا رسول اللّه ؟ قال : نعم ، قال : بفيه الحجر ، وكان إذا أذن فى بيته لم يجلس على فراشه إلا العباس وأبو سفيان بن حرب ويقول : هذا عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وهذا شيخ قريش . وكان مختصا بالسكينة في الإنطاق ، محترزا من القطيعة والفراق ، مشتهرا فى الأحكام بالإصابة والوفاق ، وقد قيل : التصوف الموافقة للحق فى المفارقة للخلق ، وناهيك بقول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فى شأنه مخبرا عن ربه : إن اللّه جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وفى حديث أخرجه الترمذى بسند معتبر : « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وكان يقول : « اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون : فإنه يتجلى لهم أمور صادقة » وكان للمصطفى صلى اللّه عليه وسلم فى حياته وفياً مجامعا ، ولما اختاره له فى يقظته ومنامه متابعا ، يقتدى به فى كل أحواله ، ويتأسى به فى جميع أفعاله ، وقد قيل : التصوف استقامة المناهج ، والتطرق إلى المباهج ، قال الغزالى رحمه اللّه : ولما وُلِّىَ الخلافة كانت له زوجة يحبها ، فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل فيطيعها ويطلب رضاها ، وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس ودخلت له بنته وهو يقسم مال بيت المال ، فأخذت درهما فنهض فى طلبها حتى سقطت ملحفته عن أحد

منكبيه ، ودخلت الصبية البيت تبكي وجعلت الدرهم فى فيها ، فأدخل إصبعه فأخرجه وطرحه على الخراج ، وقال : « أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم » وكسح أبو موسى بيت المال فوجد درهما فمر به بنى لعمر فأعطاه له فرآه فى يده فقال : أعطانيه أبو موسى فقال : يا أبا موسى ما كان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد إلا طالبنا بمظلمته ؟ وردّ الدرهم لبيت المال . وكان يستهدى عيوبه من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ، وعرفه ذنوبه ، وقال فى خطبته :« لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم تصنعون ؟ » فسكتوا فكرره فقال على رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين إذن نستتيبك ، فإن تبت قبلناك والا ضربنا الذى فيه عيناك ، فقال الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا وكان على غاية من التقشف يخطب وهو خليفة بإزار فيه اثنتا عشرة رقعة وقميص فيه أربع رقاع وليس له غيرهما ، وابطأ يوما عن الخروج للجمعة ثم اعتذر بأنه كان يغسل ثوبه وليس له غيره ، وكان بالحقائق لهجا. وعن الأباطيل منعرجا ، وقد قيل : التصوف دفع دواعى الردى مما يرقب من نفع الصدا ، وكفاه شرفا قول أصدق قائل : هذا عمر رجل لا يحب الباطل ، وهكذا سبيل الأبرياء من الشرك والعناد ، الأصفياء بالمعرفة والوداد ، ردت عليه امرأة ، وهو فى خطبته على ملأ ؛ ونهته عن الحق فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل ، وقال :« إذا رأيتم العالِمَ يحب الدنيا فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب يخوض فيما أحب » وقال : ما أصابنى الله بمصيبة إلا رأيت أن لله تعالى علىّ فيها ثلاث نعم ، (الواحدة) حيث لم تكن فى دينى (الثانية) حيث لم تكن أكبر منها ، (الثالثة) ما وعد الله من الثواب عليها ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه (أما بعد) فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر ، وكان يقسم بالذلة لمولاه ليفوز بالقوة والتعزز ويترك فى إقامة طاعته الرفاهية والتلذذ ، وقد قيل :

التصوف النبو عن رتب الدنيا . والسمو إلى المرتبة العليا ، وكان إذا استعمل عاملا شَرَطَ عليه ألا يركب برذونا ، ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ، ولا يغلق بابه عن ذوى الحاجة . فإن فعل حلَّت به العقوبة ، وأرسل إليه قيصر ملك الروم رسولا ، فدخل المدينة فقال : أين الملك ؟ قالوا : ما لنا ملك بل أمير. وقد خرج إلى ظاهر البلد فأتاه فوجده نائما فى الشمس على الرمل الحار قد جعل ذراعه وسادة والعرق يتساقط من جبينه حتى بل الثرى فقال : رجل فرقت جميع الملوك من هيبته . وهذا حاله لكنك عدلت فأمنت فنمت . وخرج إلى بلاد الشام بعد ما فتحت وهو خليفة فأتوا مخاضة فنزل عن ناقته ، وجعل خُفَّيه على عاتقه ، وأخذ بزمامها فخاض فقال له أبو عبيدة رضى اللّه عنه : يا أمير المؤمنين تفعل هذا !! ما يسرنى أن أهل الشام استشرفوك . فقال : أوه لو يقل ذا غيرك يا أبا عبيدة جعلته نكالا للأمة ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا اللّه بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا به أذلنا ، ونظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال : لا تمت علينا ديننا أماتك الله ، وكان يتعاهد العميان والزمنى والعجائز والصبيان ليلا ويحمل إليهم الماء والحطب بنفسه ويخرج عنهم الأذى فيقول له بعض الناس : دعنى أحمل عنك فيقول : من يحمل عنى يوم القيامة ذنوبي ؟!! لقيه عروة بن الزبير وهو يحمل قربة على عاتقه ، فقال : يا أمير المؤمنين لا ينبغى هذا ، قال : لمَّا جاءتنى الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسى نحوه فأردت إذلالها ومضى بالقربة إلى دار امرأة من الأنصار أرملة وكان فانيا عن الملاذ منتهيا ولباقى المعاد مبتغيا ، يلازم المشقات ، ويفارق الشهوات ، وقد قيل : التصوف حمل النفس على الشدائد للرى من أشرف الموارد ، وكان يأكل عام الرمادة ، الزيت حتى اسْوَدَّ جلده بعد ما كان أبيضَ ، وحرم على نفسه اللحم والسمن واللبن ، وقال : « كفى بالمرء شرفا أن يأكل كل ما يشتهى » وقال : « إياك والبطنة ، فإنها ثقل فى الحياة ونتن فى الممات » ، وقال : الصفح عن الإخوان مكرمة ومكافأتهم على الذنوب إساءة . وقال : « لم يعط العبد بعد

فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك ؛ ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك ، ولا تعرض فيما لا يعني ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ،ولا تطلبن حاجة ممن لا يحب نجاحها لك ، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله ، ولا تصحبن الفجار فتتعلم من فجورهم ، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ، وتخشع عند القبور فإن الله يقول : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [(1)]، وقال : ما أبالي أصبحت على يسر أو عسر لأني لا أدري أيهن خير لي ، واستأذنه رجل أن يعظ الناس فمنعه ، فقال : أتمنعني من نصح الناس ؟ قال : أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة ، ولقيه عروة بن الزبير وهو يحمل قربة ماء على عاتقه فقال : يا أمير المؤمنين لا ينبغي هذا ، قال : لما جاءني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت إذلالها ومضى بالقربة إلى دار امرأة من الأنصار أرملة ، وقال : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم وسلوا الله قوت يوم بيوم ، وقال :« احذورا أن تكونوا من الذين يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم »، وقال : « زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ لا تخفى منكم خافية » ، وقال : « اعتزل عدوك واحترز من خليلك ولا تصحب الفاجر ولا تفش سرك إليه » ، وقال : « إن لله عبادا يميتون الباطل بهجره ، ويحيون الحق بذكره رغبوا فرهبوا » وقال :« أشقى الولاة من شقيت به رعيته » ، وقال : « اتقوا من تبغضه قلوبكم » وقال : « لا تؤخر عمل يومك لغدك » وقال : « لي على كل خائن أمينان الماء والطين » وقال : « أكثروا من العيال فإنكم لا تدرون بمن ترزقون » وقال : « من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه »

---

(١) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

الكفر شر من امرأة حديدة اللسان ، سيئة الخلق » وكان يشتهى الشيء وثمنه درهم فيؤخره سنة ، وكان إذا مر بمزبلة وقف عليها ، وقال لصحبه : هذه دنياكم التي تحرصون عليها ، وأتي يوما بماء بارد بعسل فجعل يدير الإناء فى كفه ويقول : أشربها تذهب حلاوتها وتبقى تبعتها . ثم تركه مع علمه بأن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، كان يحب الحلوى والعسل فلم يقس نفسه عليه ، ودخل علي ولده عبد الله فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة ، وقال : لا أم لك كُلْ يوما خبزا ولحما ، ويوما خبزا وسمنا ، ويوما خبزا وملحا ، ويوما خبزا قفارا . فهذا هوالاعتدال ، وأتى بمسك من الغنائم ليعرض عليه فمسك بأنفه لئلا ينال من رائحته شيئا دون المسلمين فيسأل عن ذلك ، وشرب لبنا من إبل الصدقة خطأ فأدخل إصبعه وتقايأ حتى كاد يتلف ، ودخل عليه ابنه وعليه ثياب حسنة فضربه بالدرة حتى أنكاه ، وقال : رأيته قد أعجبته نفسه فأردت أن أُصغرها إليه : ولما ولى الخلافة كان لا ينام ليلا ولا نهارا ويقول : إن نمت النهار ضيعت الرعية ، أو الليل ضيعت نفسي ، ومن مفاريد أقواله الدالة على حقائق أحواله ما قال : وجدنا خير عيشنا الصبر . وقال : الصفح عن الإخوان مكرمة ، ومكافأتهم على الذنوب أساة وقال : لم يعط عبد بعد الكفر شرا من امرأة حديدة اللسان سيئة الخلق ، وقال : لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن من وعى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل ، أخرجه أحمد فى الزهد وقال : إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لا يتم خشوعها ولا تواضعها ولا إقباله على الله فيها ، وقال : من سلك مسالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن ، وقال : من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين لهم بغير ما يعلمه الله من قلبه شانه الله ، وقال : إنى أتزوج النساء ومالى إليهن حاجة ، وأطأهن ومالى إليهن شهوة رجاء أن يخرج من ظهرى من يكثِّر هذه الأمة ، وقال : الطمع فقر واليأس غنى، والرجل إذا يئس من شيء استغنى عنه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله

وقال : « ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع ، وقلما أدبر شيء فأقبل » وقال : « غمِّض عن الدنيا عينيك واقلب عنها قلبك ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك » وقال : « احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، فلهى أخوفهما عليك أن تستدرجك وتخدعك » وكتب إلى ابنه : أما بعد ، فإن من اتقى اللّه وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ووفاه ، ومن شكره زاده ، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا مال لمن لارفق له ، ولا جديد لمن لا خلق له والسلام » ، وقال : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه » وقال : أتدرون لم سمى المزاح مزاحا لأنه زاح عن الحق وقال :« لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح » ، وقال : « المزاح مسيلة للنُّهى مقطعة للأصدقاء » وقال : « من خدعنا فى اللّه انخدعنا له » ، وقال : « من أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه ، فإنما أظهر نفاقا على نفاق » وقال : « لا ينفع تكلم بحق لانفاد له » وقال : « لا تسكنوا نساءكم الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة وعودوهن لا ، فإن نعم ئجرئهن » وقال : « الدنيا أمل مخترم ، وأجل منتقص ، وبلاغ إلى دار غيرها ، وسبيل إلى الموت فرحم اللّه امرأ فكر فى أمره ونصح لنفسه فراقب ربه واستقال ذنبه » وقال : « إياكم والبطنة فإنها مكسِّلة عن الصلاة مفسدة للحس ، مؤدية إلى السقم » وقال : « السيد هو الجواد حين يسأل والحليم حين يستجهل والبار بمن يعاشره » وقال « أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه » وقال : « لو ماتت شاة بشط الفرات ضائعة لظننت أن اللّه سائلى عنها » واستعمل أبا الدرداء رضى اللّه عنه فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين فكتب إليه عمر رضى اللّه عنه قد كان لك فى بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين أذن اللّه بخرابها فإذا أتاك كتابى فقد سيرتك أنت وأهلك إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات ، ورأى

رجلا يطأطىء عنقه ، فقال : ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب ، إنما هو فى القلب . ودخل عليه عدى بن حاتم فكأنه رأى منه جفاء، فقال : أما تعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال بلى والله أكرمك الله بالمعرفة أسلمت إذ كفروا ، وعرفت إذ نكروا، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا فقال : حسبى حسبى يا أمير المؤمنين وبكيا حتى علا نحيبهما ، وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يمر بالآية فى ورده فيبكى حتى يسقط ، وسمع قارئا يقرأ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ [1]، فصاح صيحة خر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا شهرا ، وكان إذا رأى على أحد قميصين علاه بالدرة وقال : دعوا هذه الرفات للنساء ، وخرج مرة للحج أو العمرة ، فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم : لا تنسانا يا أخى من دعائك ، وحج وهو خليفة فلم يضرب له خيمة ، ولا خباء حتى رجع ، وكان عالى الرتبة فى الحكمة استعظم رجل الشطرنج عنده وقال : إنها مختصرة ثم يقع فيها أنواع غير متناهية من اللعب ، فقال : رقعة الوجه أصغر من رقعته ، ولكل عضو من أعضاء الوجه موضع منه لا يتغير ، فالعين لها موضع معين ، وكذا الأنف والفم ، ومع ذلك يقع فيه من الاختلاف مالا يتناهى فإنك لا ترى إنسانين فى جميع المشرق والمغرب مماثل صورتهما من كل الوجوه ، قال الإمام الرازى : وهذا دال على كمال علمه وحكمته .

(**ومن كراماته**) العلية المقدار ما جاء فى بعض الأخبار ومرت الإشارة إليه إنه أمر سارية على جيش وجهزه إلى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال ، وهو يحاصر نهاوند ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون وعمر بالمدينة فصعد المنبر ونادى بأعلى صوته : يا (سارية الجبل) فسمع الجيش صوته وهم بنهاوند ، فلجأوا إلى الجبل فنجوا وانتصروا وكان علىٌّ حاضرا ، فقيل له : ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين وأين سارية منا؟ فقال كرم الله وجهه : دعوه فما دخل فى أمر إلا وخرج منه ، ثم تبين الحال بالآخرة ، ومنها أنه قال لرجل :

---

(١) سورة الطور : الآية ٧ .

ما اسمك ؟ قال جمرة ، قال ابن من قال ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال أين مسكنك ، قال الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لظى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فكان كذلك ، ومنها أنه كان إذا جاء أوان زيادة نيل مصر لايجرى حتى يُلقوا فيه بِكْرا مزينة بالحلى والحلل ، فلما فُتحت ، وجاء وقت الزيادة ، وقالوا لعمرو بن العاص ذلك فأبى ، فلم يجر النيل قليلا ولا كثيرا حتى هَمَّ أهل مصر بالجلاء فكتب إلى عمر ، فأرسل إليه بطاقة ، فقال: ألقها في البحر وفيها من عبد الله عمر إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة فيه ، فزاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعا ، ومنها أنه إذا حدثه أحد بحديث فيكذب الكذبة فيقول : احبس هذه ثم يحدثه بحديث ، فيقول : احبس هذه فيقول : الرجل كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتنى بحبسه ، حج سنة ثلاث وعشرين ، فلما نفر من مِنَى أناخ بالأبطح ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم كبر سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا عن ثلاث وستين سنة على الأصح ، وانكسفت الشمس لموته وناحت الجن عليه ، طعنه أبو لؤلؤة عبد المغيرة ابن شعبة في المسجد لما خرج للصلاة بغلس بخنجر له رأسان وطعن معه اثنى عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل ثوبا فلما اغتم قتل نفسه ، ثم حمل عمر إلى بيته ، وأتى بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك ، قال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه فقال : والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من العذاب ، وكان رأسه على فخذ ابنه فقال : ضعه بالأرض ، فقال وما عليك كان على فخذى أو على الأرض ؟ فقال : ضعه ويْلى إن لم يرحمنى ربى ، وقال له ابن عباس : أبشر يا أمير المؤمنين إن الله مَصَّرَ بك الأمصار ودفع بك النفاق فقال : أبالإمارة تَثنى علىَّ يا بن عباس؟ والله لوددت أن خرجت منها كما دخلت

فيها لا أجر ولا وزر ، وقيل له : ألا تستخلف ولدك ؟ قال : يكفي واحد من آل الخطاب يجيء يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه ، وقد جعلتها شورى في الستة الذين توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهم راض ، ودخل عليه علي وهو مُسجًّى فقال : ما على وجه الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى ، وكان نقش خاتمه ، كفى بالموت واعظا ، ورؤى في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ثل [1] عرشي لولا أني صادفت ربا كريما ، فرضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به .

---

(١) هدم ملكه وأذهب عزّه .

لا يترك النظر في المصحف كل يوم ويقول : هذا كتاب ربى ولا بد للعبد إذا جاءه كتاب سيده أن ينظر فيه كل يوم ليعمل بما فيه ، ومن كلامه : إن لكل شيء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، وإن آفة الدين وعاهة هذه النعمة عيابون طعّانون يُبدون لكم ما تحبون ويُسرُّون ما تكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق ، وقال ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، وقال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وقل الهدية من العامل إذا عزل مثلها منه إذا عمل ، وقال : يكفيك من الحاسد أنْ يغتم وقت سرورك وقال : خير العباد من عصم واستعصم بكتاب الله تعالى ، ونظر الى قبرٍ فبكى وقال هو آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة فمن شُدد عليه فما بعده أشد ، ومن هون عليه فما بعده أهون ، وقال : الناس إلى إمام فعال أحوج منهم إلى إمام قوال ، ولما حصر استسلم ثم قتل والمصحف بين يديه ، فتلوث بالدم وذلك سنة خمس وثلاثين عن نيف وثمانين سنة ، وقال ابن باطيش[1] في كتابه اثبات الكرامات قال عبد الله بن سلام أتيت عثمان رضى الله عنه يوما لا سلم عليه وهو محصور فقال : مرحبا ياأخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الخوخة ، فقال ياعثمان حصروك فقلت نعم ، قال : عطشوك ؟ قلت : نعم قال : فأدلى لى دلوا فيه ماء فشربت منه حتى رويت ، وقال : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم انتهى عنده ـ قال الجلال السيوطى رضى الله عنه : وهذه القصة مشهورة مخرجة من كتب الحديث بالإسناد خرجها الحارث بن أبى أسامة وغيره ، قال : وقد فهم المصنف ابن باطيش أنها رؤية يقظة وإلا لم يصلح عدها فى الكرامات لأن رؤيا المنام يستوى فيها كل أحد وليست من الخوارق المعدودة فى الكرامات ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء انتهى ، لكن رأيت في بعض الروايات تقييدها بأنها اغفاءة أو سنة .

---

(١) إسماعيل بن هبة الله بن سعيد بن باطيش ، المتوفى سنة ٦٥٥ هـ ، السبكى ٥١/٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٦٧/٥

(٣) الإمام عثمان بن عفان الملقب بذى النورين [(١)]

المدعو بذى الهجرتين ، رضى اللّه عنه ، كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حظه من النهارالصيام والجود ، ومن الليل الركوع والسجود ، وقد قيل التصوف الإكباب على العمل ، تطرقا إلى بلوغ الأمل ، وكان مبشرا بالمحن والبلوى ، محفوظا فيها من الجزع والشكوى ، وتحرز من الجزع بالصبر ، وتبرز فى المحن بالشكر ، وقد قيل : التصوف الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى ، وكان بالمال إلى رضا الله متوصلا ، وببذله لعباده متنفلا ، ولحظ نفسه متعللا ، وفى لباسه ومطعمه متقللا ، وقد قيل : التصوف ابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة ، أعتق نحو ألفين واشترى الجنة مرتين حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة ، فقال المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : ما علي عثمان ما فعل بعد هذا ، ورآه يوم جيش العسرة ذاهبا وجائيا ، فقال : اللهم اغفر له ما أقبل وما أدبر وما أخفى وما أعلن وما أسر وما أجهر ، رضى اللّه عنه ، واستدعاه المصطفى صلى اللّه عليه وسلم يوما « فقال : ادن ادن فلم يزل يدنو حتى ألصق ركبتيه بركبتيه ثم نظر إليه ، ثم نظر إلى السماء فقال : سبحان اللّه العظيم (ثلاثا) ثم نظر إلى عثمان رضى اللّه عنه ، فإذا أزراره محلولة فزررها بيده ، ثم قال : اجمع عطفى ردائك على نحرك ، فإن لك شأنا فى السماء أنت ممن يرد على الحوض وأوداجه تشخب دما ، وكان ينام بالمسجد ليس حوله أحد وهو خليفة ، ويردف غلامه خلفه ويخطب فى إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة أو خمسة دراهم ويطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل البيت فيأكل الخل والزيت ، ولم يمس ذكره بيمينه منذ أسلم ، وكان إذا مر بقبر بكى حتى تبتل لحيته . وكان

---

(١) ابن الأثير ، حوادث سنة ٣٥ ، والطبرى ١٤٥/٥ ، وتاريخ الخميس ٢٥٤/٢ ، والرياض النضرة ٨٢/٢ ـ ١٥٢ ، ولقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى النبى صلى اللّه عليه وسلم ، رقية ثم أم كلثوم .

(تتمه)

فى سبب قتله

روى ابن عساكر عن الزهرى قال : قتل عثمان رضى اللّه عنه مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا ، وذلك أنه لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة لمحبته لقومه ، وكان كثيرا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن له مع المصطفى صلى اللّه عليه وسلم صحبة ، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره الصحابة فلا يعزلهم ، فلما كان الست سنين الأواخر استأثر ببنى عمه فولاهم وما أشرك معهم : وأمرهم بتقوى اللّه ، وولى عبد اللّه بن أبى سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ، وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى ابن مسعود وأبى ذر ، وعمار ابن ياسر ، فكان بنو هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم عليه وجاء أهل مصر يشكون ابن أبى سرح فكتب إليه يتهدده فما أفاد وقتل حامل الكتاب فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة فقام طلحة وكلم عثمان رضى اللّه عنه بكلام شديد وأرسلت اليه عائشة رضى اللّه عنها تقول : يقدم إليك أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم ويسألونك عزل هذا الرجل فأبيت ، وهو قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه علىٌّ كرم اللّه وجهه فقال : إنما يسألونك رجلا مكان رجل فاعزله عنهم واقض بينهم فقال لهم : اختاروا رجلا أوليه عليكم فقالوا : محمد بن أبى بكر رضى اللّه عنهما فولاه عليهم وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار فلما كان على ثلاثة أيام من المدينة إذا بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه يطلب أو يطلب ، قالوا : ما شأنك ؟ قال : أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر قالوا : هذا عامل مصر ، قال : ليس هذا أريد ، فأتوا به إلى ابن أبى بكر رضى اللّه عنه ، فقال : غلام من مُرَّة ؛ قال أنا غلام أمير المؤمنين ،

ومرة مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان رضى اللّه عنه فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى عامل مصر قال : بماذا ؟ قال : برسالة قال : معك كتاب ؟ قال : لا ؟ ومعه إداوة يبست وفيها شيء يتقلقل فشقوها فإذا بكتاب من عثمان إلى ابن أبى سرح ففكه محمد بمحضر من المهاجرين والأنصار فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل فى قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجيء إلى يتظلم منك ليأتيك رأيى ، ففزعوا وختم محمد الكتاب ودفعه إلى رجل منهم ورجعوا إلى المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا والصحابة ، وأقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد إلا حنق على عثمان رضي اللّه عنه وقام الصحابة فلحقوا بمنازلهم وحاصر الناس عثمان رضى اللّه عنه وأجلب عليه ابن أبى بكر ببنى تميم وغيرهم ، فبعث على إلى طلحة والزبير رضى اللّه عنهم ، ونفر من الصحابة كلمهم بما جرى ثم دخل على على عثمان رضى اللّه عنه ، ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال هذا الغلام غلامك والبعير بعيرك ؟ فقال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ فحلف بالله ما كتب ولا أمر ، ولا علم ، قال له على : فالخاتم خاتمك ، قال : نعم فقال : كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه ختمك لا تعلم به ؟!! فحلف أنه ما وجهه قط فعرفوا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم فأبي ، وكان عنده بالدار فخرجوا من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان ولزموا بيوتهم ، فحاصر الناس عثمان رضى الله عنه ومنعوه من الماء ، فخرج مروان فأشرف عليهم ، وقال : أفيكم على ؟ قالوا : لا ، قال : ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ، فبلغه فبعث إليه بثلاث قرب ، فما كادت تصله وجرح بسببها عدة حتى وصلته ، فبلغ عليا رضى اللّه عنه أن عثمان رضى اللّه عنه يراد قتله ؛ فقال : إنما أردنا منه مروان ، أما قتله فلا ، وقال للحسن والحسين رضى اللّه عنهما : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على بابه فلا تدعا أحدا يصل اليه ، وبعث الزبير رضى الله عنه ابنه ، وطلحة رضى اللّه عنه ابنه يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان رضى اللّه عنه ويسألونه إخراج مروان فرمى الناس عثمان بالسهام ، حتى خضب

الحسن بالدماء على بابه فخاف محمد بن أبى بكر أن تغضب بنو هاشم فأخذ رجلين ، فقال : إن جاءت بنو هاشم فوجدوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان ، وبطل ما نريد . فتسور ابن أبى بكر وصاحباه من دار حتى دخلوا على عثمان رضى اللّه عنه وليس معه أحد إلا امرأته وجماعته فوق البيت فقال لهما محمد : مكانكما حتى أدخل فإذا أنا ضبطته فتوجياه حتى تقتلاه ، فدخل فأخذ بلحيته ، فقال له عثمان رضى اللّه عنه : لو رآك أبوك لساءه ذلك فتراخت يده ، فدخل الرجلان فقتلاه وخرجا هاربين ، فدخل الناس فوجدوه مذبوحا ، وبلغ الخبر عليا والزبير ، فخرجا وقد ذهبت عقولهما فدخلا عليه فوجداه مقتولا فاسترجعا ، وقال علىٌ كرم اللّه وجه لابنيه ـ رضى اللّه عنهما : كيف قتل أمير المؤمنين رضى اللّه عنه وأنتما بالباب ؟! وضربهما وخرج وهو غضبان يقول : اللهم إنى أبرأ إليك من دمه فإنى لم أرض ، وقد نهيت فعصونى ، وذلك فى أيام التشريق سنة خمس وثلاثين ، فكان قتله رضى اللّه عنه أول الفتن ا هـ

(٤) الإمام على بن أبى طالب[1]

باب مدينة العلوم والمواهب ، ولى المتقين وإمام العادلين ، أقدمهم إجابة وإيمانا ، وأقومهم قضية وإيقانا ، المنبىء عن حقائق التوحيد ، المشير إلى لوامع بوارق علم التفريد ، ذو القلب العقول واللسان السئُول ، والآذان الواعية ، والعهود الوافية ، ختم الله به الخلافة كما ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ؛ الأخيسن فى دين الله الممسوس فى ذات الله ، وقد قيل : التصوف مرامقة المودود ، ومصارمة المعهود ، قال حذيفة قالوا : يا رسول الله ألا تستخلف عليّاً ؟ قال : إن تولوا عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا ، وسئل المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عنه فقال : قُسِّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى تسعة والناس واحدا ، وقدم عليه يوما ، فقال : مرحبا بسيد المسلمين وإمام المتقين ، وقال : إن الله أمرنى أن أدنيك وأعلمك لتعى ، وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه . وقال : علىٌ منى وأنا منه ، وقال : أنا مدينة العلم وعلىٌ بابها ، وقال : لايحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، وقال : من آذى عليا فقد آذانى ، ومن سبه فقد سبنى ، ومن أبغضه فقد أبغضنى ومن أحبه فقد أحبنى » وقال : « على مع القرآن والقرآن مع على » وقال ابن عباس رضى الله عنه : ما نزل فى أحد من كتاب الله ما نزل فى على رضى الله عنه ، وكان إذا غضب المصطفى صلى الله عليه وسلم : لم يجسر أحد أن يكلمه إلا على ، وقال : لعلى ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة ، وقال يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله

---

(١) ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٠ هـ ، والطبرى ٨٣/٦ ، والبدء والتاريخ ٧٣/٥ ، وصفة الصفوة ١١٨/١ ، ومقاتل الطالبين ١٤ ، والمسعودى ٢/٢-٣٩ ؛ والإصابة ، الترجمة ٥٦٩٠ .

ورسوله ، وجعل حبه علامة الإيمان وبغضه أمارة النفاق ، وقال الإمام أحمد : ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل ماورد لعلى رضى اللّه عنه رواه الحاكم وغيره ، وكان رضى اللّه عنه الانقياد والاستسلام شأنه ، والتبرى من الحول والقوة مكانه ، وقد قيل التصوف إسلام الغيوب إلى مقلب القلوب ، وإذا أردت أن تعرف منزلته من المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فتأمل صنيعه فى المؤاخاة بين الصحابة جعل يضم الشكل إلى الشكل والمثل إلى المثل فيؤلف بينهما إلى أن آخى بين أبى بكر وعمر رضى اللّه عنهما ؛ وادخر عليا كرم اللّه وجهه لنفسه واختصه بأخوته ، وناهيك بها من فضيلة وأعظم بها من شرف ، وكان عَلَى الأوراد مواظبا ، وللأرواد مناجيا ، وقد قيل : التصوف الرغبة فى المحبوب فى درك المطلوب ، وكان إذا لزمه فى العيش الضيق والجهد أعرض عن الخلق وأقبل على الكسب والكد ، وقد قيل : التصوف الارتقاء فى الأسباب إلى المقدورات من الأبواب ، وكان مزينا بزينة العباد ، متحققا بحلية الأبرار والزهاد ، زهد فى الدنيا فكشف له الغطاء ، بل فى الإحياء عن ابن عيينة أنه كان أزهد الصحابة ، وقد شهد له بكمال الزهد الإمام الشافعى رضى اللّه عنه لما قيل له : ما نفر الناس عن على رضى اللّه عنه إلا أنه كان لا يبالى بأحد فقال الشافعى رضى اللّه عنه كان عظيما فى الزهد والزاهد لا يبالى بأحد ، وكان بذات اللّه عليما ، وعرفان اللّه فى صدره عظيما ، وقد قيل التصوف البروز من الاحتجاب إلى رفع الحجاب ، ومما حفظ من رشيق عباراته ودقيق إشاراته : كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ، فإنه لن يقل عمل مع التقوى ، وقال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك بل أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وقال : احفظوا عنى لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول اللّه اعلم . وقال : الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، وقال : من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ، ومن ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد ، ومن بالغ فى

الخصومة أثم ، ومن قصر فيها ظلم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ، وقال : من عظم صغار المصايب ابتلاه الله بكبارها ، وقال : إذا كان في الرجل خلة رائعة فانتظر أخواتها وقال : الغيبة جهد العاجز ورب مفتون يحسن القول فيه ، وقال ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه ، وقيل له : ألا نحرسك ؟ قال : حارس كل امرىء أجله ، وقال : من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داومه أربعين يوما قسا قلبه ، واشترى لحما بدرهم وحمله فقيل له نحمل عنك قال : أبو العيال أحق بحمله ، وقال : الدنيا تغر وتضر وتمر إن الله لم يرها ثوابا لأوليائه ، ولا عقابا لأعدائه ، وقال : طول الولد ينتهي في اثنين وعشرين سنة . وعقله في ثمان وعشرين سنة وما بعد ذلك إنما هو تجارب إلى أن يموت ، وقال : من صارع الحق صرعه ، وقال : القلب مصحف البصر ، وقال : كل مقتصر عليه كاف ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما ، وقال : الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فلا تضجر ، وقال : من طلب شيئا ناله أو بعضه ، وقال : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه ، وقال : الركون إلى الدنيا وما يعاني فيها جهد ، والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن ، والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز ، والبخل جامع لمساوى الأخلاق ، من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، وقال : الرغبة مفتاح النصب ، والحسد مطية التعب ، وقال : إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى ، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى ، وقيل له : ما بال العقلاء فقراء فقال : عقل الرجل محسوب عليه من رزقه ، وقال : لبعض الملحدين المنكرين للميعاد : إن كان الذى تظن أنت نجونا نحن وأنت وإلا نجونا نحن وهلكت أنت وحدك ، وقال لعمر رضى الله عنه أن أردت اللحوق بصاحبيك يعنى رسول الله وأبا بكر . فرقع القميص واكس الإزار واخصف النعل ، وقصر الأمل وكل دون الشبع فمن تزيا بزى قوم فهو منهم ، وكان له سويق فى إناء مختوم يشرب منه فقيل له :

تفعل ذلك بالعراق مع كثرة طعامهم ؟ فقال : أما إنى لا أختمه بخلا بل أكره أن يجعل فيه ماليس منه فيدخل بطنى غير طيب ، وقال : القبر صندوق العمل . وبعد الموت يأتيك الخبر ، وقال : العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار ، وقال : السفر ميزان الرجال والحلم والأناة توأمان نتيجتهما علو الهمة ، وقال : ذهب المتقون بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ولم يشاركهم أهلها فى أخراهم ، وقال : اتق الله بعض التقى وإن قَلَّ واجعل بينك وبين الحرام سترا وان رق ، واتق المعاصى فى الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم ، وقال : القناعة سيف لا ينبو والصبر مطيةٌ لا تكبو . وأفضل عدة صبر على شدة ، وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره ، وقيمة كل امرىء ما يحسنه ، وقال : المرء مخبوء تحت لسانه ومن عذب لسانه كثر إخوانه ، وبالبر تستعبد الحر ، وقال : بَشِّرْ مال البخيل بحارث أو وارث ، وقال : الجزع عند البلاء تمام المحنة ، وقال : لا ظفر مع بغى ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صحة مع النَّهم والتُّخْم ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا راحة مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ولا صواب مع ترك مشورة ، ولا مروءة لكذوب ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا رأى أعيا من الجهل ، والمرء عدو ما جهل ، رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ، وقال : إعادة الاعتذار تذكرة بالذنب والنصح بين الملأ تقريع ، وأكبر الأعداء أخفاهم مكيدة ، والبخل جامع لمساوىء العيوب ، وقال إذا خلت المقادير ضلت التدابير ، وقال : عبد الشهوة أذل من عبد الرق ، وقال : الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، وقال : الإحسان يقطع اللسان ، وأفقر الفقر الحمق ، وأغنى الغنى العقل ، وقال : احذروا نفار النعم فما شارد بمردود ، وأكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع ، وإذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه ، وقال : ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه ، وقال : من نظر فى عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه ، وقال : العفاف

زينة الفقر والشكر زينة الغني ، وقال : الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه ، وقال : رد الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر ؛ وقال : أعظم الذنوب ما استخف به صاحبه ، وقال : كانت العلماء والحكماء والأتقياء يتكاتبون بثلاث ليس لهن رابعة : من أحسن سريرته أحسن الله علانيته ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس ، ومن كانت الآخرة همه كفاه الله هم دنياه ، وقال : رأس الدين صحة اليقين وقال : الصبر يفاضل الحدثان والجزع من أعوان الشيطان ، وقال لا تعمل الخير رياء ولا تتركه حياء وإن لم تكن حليما فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم ، وقال : رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ ما ينطق عنك ، وقال : الأماني تعمي أعين البصائر ، وقال : لو حننتم حنين الواله الثكلان وجاورتم جوار الرهبان ثم خرجتم من أموالكم وأولادكم فى طلب اقرب من الله وابتغاء رضوانه ورفع درجة أو غفر سيئة كان قليلا ، وقال : قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ، وقال رَوِّحُوا القلوب فإنها إذا كرهت عميت ، وقال : ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء إلا من عدل وقضى بالحق ، وقال مِنْ أشد الأعمال مواساة الأخ فى المال ، وقال : خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم ، فإن للمرء ما كسب وهو يوم القيامة مع من أحب ، وقال : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب. وقال : إن للنكايات نهايات لابد لأحد أن ينتهى إذا نكب إليها فينبغى للعاقل إذا نكب أن ينام لها حتى تنقضى مدتها ، وقال : جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة .(فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين تضايقت على قضية ذهب فيها أهلى ومالى ، فخرج إلى الرعية فاجتمع عليه الناس فقال : ذمتى بما أقول رهينة وأنا به زعيم إن من صوحب به العبر عما بين يديه من المقولات حجرته عن تقحم الشبهات فان أشقى الناس رجل تمثل علما فى أولا الناس بغير علم ولا دليل بكت فأسيل ما قل منه خير مما كثر

حتى إذا ارتوا من أجاد النسر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ملتبس على غيره فهو مَنْ قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أصوب أم أخطأ خباط عشوات ، ركاب جهالات لم يعض على العلم بضرس قاطع فيعلم ولم يسكت عما لم يعلم فيسلم تبكى من المواريث وتستحل بقضائه الفرج الحرام أولئك الذين حلت عليهم النياحة أيام حياتهم)[1] ولما ضربه ابن ملجم دخل عليه الحسن يبكى . فقال احفظ عنى أربعا وأربعا : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق . قال والأربع الأخر . قال : إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد القريب ؛ ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، والتاجر فأنه يبيعك بالتافه ، وجاء يهودى فقال : متى كان ربنا ؟ فقال لم يكن فكان هو كان ولا كينونة ، كان بلا كيف ، كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية ؛ فأسلم ، وقال القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه والبعيد من بعدته العداوة وإن قرب نسبه ، ولا شىء أقرب من يد إلى جسد وإذا فسدت قطعت وحسمت ، وقال : الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم المعاصى ، ولم يؤمنهم عذابه ، وقال لا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا فى علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها ، وقال الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة لا الدنيا . فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل . وقال : كونوا ينابيع العلم ، مصابيح ، الليل خلق الثياب ، جدد القلوب ، تعرفوا به فى السماء ، وتذكروا به فى الأرض ، وقال : طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ، وقال للمرائى ثلاث علامات يكسل إذا انفرد وينشط عند الناس . ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه . وينقص إذا ذم . وسمع صوت ناقوس فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : يقول : سبحان

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط فى ش ، ش ١ .

لله حقا حقا، إن المولى صمد يبقى ، وقال : إن دين الله بين الغالى والمقصر ـعليكم بالفرقة الوسطى فإن بها يلحق المقصر وإليها يرجع الغالى ، قال لعسكرى : لم يرو فى التوسط أحسن من هذا . وخرج يوما فإذا قوم جلوس قال من ؟ قالوا : نحن شيعتك ، قال : سبحان الله فمالى لا أرى عليكم سيما لشيعة عمش العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من لدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ، وقال : أوحي لله إلى عيسى عليه السلام مر بنى إسرائيل أن لا يدخلوا بيوتى إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد نقية فإنى لا أستجيب لأحد منهم ولأحد عنده مظلمة ، وقال : اطرح عنك واردات الغموم بعزائم الصبر وحسن اليقين . وقال : إن كنت جازعا على ماتفلت من يديك فاجزع عن كل مالم يصل إليك وقال : القلوب أوعية فخيرها أوعاها ،الناس ثلاثة فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح وخطبة ، وقال لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم عليه الصلاة والسلام ، وقال :

تغيرّت البلاد ومن عليها   فوجه الأرض مغبرّ قبيح

تغير كل ذى طعم ولـــون   وقل بشاشة الوجه المليـــح

أخرجه عنه الطبرانى لكن نوزع بما أخرجه الثعلبى عن ابن عباس أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء وأخرج تاج الإسلام بسنده عن شريح رضى الله عنه قال : اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه فقال : ياشريح اشتريت دارا ؟ قلت : نعم قال : أشهدت عدولا قلت : نعم قال : اتق الله فإنه سيأتيك من لا ينظر فى كتابك ولا يسأل عن بيتك .انظر ألا تكون اشتريت دارا من غير مالك . ووزنت مالا من غير حلّه فتخسر الدارين . ولو كنت حين اشتريت الدار صرت إلى كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة إذا ما كنت تشتريها بدرهمين

قلت : وما كنت تكتب ؟ قال : أكتب هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد أزعج بالرحيل . اشترى هذه المفتون بالأمل . من المزعج بالأجل ، دارا بمحلة الغرور من الجانب الفانى فى عسكر الهالكين لها حدود أربعة . فحد منها ينتهى إلى دواعى الآفات . والثانى إلى دواعى العاهات والثالث إلى دواعى المصيبات . والرابع إلى دواعى الهوى المردى والشيطان المغوى ، وفى هذا الحد يشرع باب هذه الدار بالخروج من عز القنوع والدخول فى دار الحرص والفضول ، فما أدرك هذا المشترى من درك . فعلى مبلى أجساد الملوك سالت نفوس الجبابرة ككسرى وقيصر ، وتبع وحمير . ومن بنى وشيد . شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى . والمعرفة إذا حلت من قيد المنى وخطبه والسلام ، وكان يقول فى خطبته على رؤوس الأشهاد وأنا نقطة الباء .أنا جنب الله الذى فرطتم فيه . أنا القلم انا اللوح أنا العرش أنا الكرسى .أنا السموات السبع والأرضون السبع فإذا صح وارتفع عنه التجلى شرع يعتذر ويقر بالعبودية وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية . وكلامه أفرد بعدة أسفار كبار .وأما ما نقل عنه من التقلل والتزهد واشتهر به من الترهب والتعبد فكثير . وقد قيل : التصوف ، السلو عن الأعراض بالسمو إلى الأغراض . جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين امتلأت بيت المال من صفراء وبيضاء فقال : الله أكبر فنادى فى الناس ففرق جميع ما فيه وهو يقول ياصفراء ويا بيضاء غرى غيرى ها وها حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين . وما بنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . وكان يلبس إزارا غليظا أسود بخمسة دراهم . وكان يرقع قميصه فقيل له : يا أمير المؤمنين لم هذا ؟ قال : ليخشع القلب ويقتدى به المؤمن ، وأتى يوما السوق فقال من عنده قميص بثلاثة دراهم فقال رجل : عندى فأتاه به أعطاه فلبسه فإذا به يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع . وباع سيفه فى ثمن إزار وقال : والله لو كان عندى ثمنه ما بعته ، فطالما كشفت به الكرب عن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ودخل ضرار على معاوية فقال صف عليًا قال

أو تعفينى ؟ قال : لا قال : أما إذ لابد ، فكان والله بعيد المدا شديد القوى . يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله . ا هـ .أتاه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال :

أريد حياته ويريد قتلى   عذيرى من خليل من مرادى

هذا قاتلى ، فقيل له : ألا نقتله ؟ قال : ومن يقتلنى ؟!

ونختم ترجمة هذا الإمام بخبر رواه بعض الأعلام . وهو ما خرجه الحافظ أبو نعيم بسند ضعيف جدا عن حذيفة مرفوعا« من سره أن يحيى حياتى ويموت ميتتى ، ويتمسك بالقصبة الياقوتة التى خلقها الله بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتولَّ على بن أبى طالب ». قتله رضى الله عنه عبد الرحمن بن ملجم فى رمضان سنة أربعين . وقد نيف على الستين .

وقد ذكروا لقتله أسبابا منها أن ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها : قطام فأصدقها ثلاثة آلاف وقتل على رضى الله عنه فخرج على كرم الله وجهه ، ينادى لصلاة الصبح ، أيها الناس الصلاة ، فاعترضه ابن ملجم فضربه بسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه فشد عليه الناس فأمسك وأوثق وذلك فى صبح الجمعة ، فأقام على رضى الله عنه الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ، ودفن بقصر الإمارة بالكوفة ليلا على أحد الأقوال . ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل فى قوصرة وأحرق بالنار، وأخرج بن عساكر عن عصمة العباد انه قال جلتُ فى الفلوات فأبصرت ديرا فيه صومعة فيها راهب فقلت له حدثنى بأعجب ما رأيت ؟ قال : بينما أنا ذات يوم هنا وإذا أنا بطائر أبيض كالنعام وقع على تلك الصخرة فتقيأ رأسا ثم رجلا ثم ساقا وكلما تقيأ عضوا

من تلك الأعضاء التأمت بعضها إلى بعض أسرع من البرق حتى استوى رجلا ، فإذا هم بالنهوض نقره الطائر فقطع أعضاءه ثم يرجع فيبتلعه ، فلم يزل كذلك مدة فعجبت وازددت يقينا بعظمة الله وعلمت أن لهذه الأجساد حياة بعد الموت ، فقلت : أيها الطائر بحق الذى خلقك ، إلا ما أمسكت عنه حتى أسأله فيخبرنى بقصته ، فقال الطائر بصوت عربى لربِّى الملك وله البقاء أنا من الملائكة موكل بهذا المجرم ، فقال : يا رجل ما قصتك ؟ قال ابن ملجم قاتل على ـ ولما قتلته أمر الله هذا الملك بعذابى فهو يفعل ما تراه . ثم سكت فنقره الطائر فتناثرت أعضاؤه فابتلعه عضوا عضوا ثم مضى . قال الجلال السيوطى : إسناده ليس فيه من تكلم فيه سوى أبى على شيخ تمام ، فقد قال فى الميزان متهم انتهى .قيل : لما خرج لصلاة الصبح صاح الأوز فى وجهه . فطيرن عنه فقال : دعوهن ، فإنهن نوائح . ومن نظمه رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

ومما عزى له أيضا من قصيدة طويلة رضى الله تعالى عنه :

دواؤك فيك ولا تشعر وداؤك منك وتستخبر
وأنت الكتاب المبين الذى بأحرفه قد طوى المضمر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأخرج ابن عساكر عن أبى يزيد البسطامى قال : رأيت عليا فى النوم فقلت : يا أمير المؤمنين علمنى كلمة تنفعنى ، قال : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء قلت : زدنى . قال : وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بما عند الله ، قلت : زدنى ففتح كفه فإذا فيه مكتوب بالذهب :

كنت ميتا فصرت حيا وعن قليل تكون ميتا
فابن بدار البقاء بيتا واهدم بدار الفناء بيتا

حرف الهمزة

(٥) أبى بن كعب [١]

المنبىء إذا سئل عن الغامض الصعب ، السيد القارى الأنصارى الخزرجي البخارى ، العقبى ، البدرى ، كان نحيفا قصيرا ، أبيض الرأس واللحية شهد العقبة الثانية وبدرا وما بعدها من المشاهد . وكان كاتب الوحى وأحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد النبى ، صلى اللّه عليه وسلم ، وأقرأ الصحابة لكتاب اللّه . قال له رسول اللّه صلى الّه عليه وسلم : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فبكى ثم تلا ﴿ قل بفضل اللّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ وهذه منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ، وناهيك بمن سماه المصطفى صلى اللّه عليه وسلم سيد الأنصار وسماه الفاروق رضى اللّه عنه سيد المسلمين ، وقال له رجل : أوصنى فقال : اتخذ كتاب اللّه إماما وارض به قاضيا وحكما ، وقال : ما من عبد ترك شيأ للّه إلا أبدله اللّه ما هو خير منه من حيث لا يحتسب . وقال : اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة ، مات بالمدينة ودفن بها سنة ثلاثين على الأصح ، وقيل : سنة اثنتين وعشرين ، وقيل غير ذلك . قال ابن حجر رحمه اللّه فى مختصر التهذيب وصحيح أبى نعيم رحمه اللّه : إنه مات فى خلافة عثمان ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص ٢٦١ ، وطبقات ابن سعد ٣ ، القسم الثانى ، ٥٣ ، وصفوة الصفوة ١/١٨٨ ، وحلية الأولياء ١/٢٥٠ . .

(٦) أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصارى[1]

العارف المتفكر ، العالم المتبحر . العامل المتذكر ، داوم على العلم استباقا ، وأحب العمل اشتياقا . تفرغ من الهموم ففتح له الفهوم ، فصار صاحب الحكم والعلوم ، وقد قيل : التصوف مكابدة الشوق إلى من جذب إلى فوق ، كان رضى اللّه عنه حكيما لبيبا ونحريراً طبيبا . كلامه يكثر ومواعظه تغزر ، إذا نظر سبر ، وإذا ذكر خبر ، وكان أكثر عبادته التفكر والاعتبار، ويفضل ذلك على غيره من الأذكار وكان يقعد إلى القبور فقيل له فيه فقال : أجلس إلى قوم يذكرونى معادى ، وإذا قمت من عندهم لم يغتابونى ، وكان إذا قيل له : كيف أصبحت يقول : بخير إن نجوت من النار ، وكان عطاؤه أربعة آلاف ، ومع ذلك لما مات وجدوا له ثوبا واحدا فيه أربعون رقعة وقيل له : ماتحب لمن تحب ؟ فقال : أحب له الموت . قالوا : فإن لم يمت فقال أحب له قلة المال والولد وقال له بعضهم : أوصنى فقال له : اذكر اللّه فى السراء يذكرك فى الضراء وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير ؛ وقال : أحب الموت اشتياقا إلى ربى . وأحب الفقر تواضعا لربى وأحب المرض تكفيرا لخطيئتى ، وقال ان نابذت الناس نابذوك ، وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم أدركوك ، فهب عرضك ليوم فقرك . وقال : لا تبغض من أخيك المسلم إذا عصى إلا عمله إذا تركه فهو أخوك . وقال : احذر أن تبغضك قلوب المؤمنين وأنت لا تشعر ، قال الفضيل رضى اللّه عنه : هو العبد يخلو بالمعاصى يلقى اللّه بغضه فى قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ، وقال : إذا تغير أخوك واعوج فلا تتركه ، فإن الأخ يعوج تارة ويستقيم أخرى ، وقال : لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلىَّ من

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٨ ، والإصابة ، الترجمة رقم ٦١١٩ ؛ والاستيعاب بهامشها ١٥/٣ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ١٠٧/٢ .

مجالسة الأغنياء ، وقال : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء . وإن كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح ، وقال : ما أمن أحدٌ على إيمانه أن يسلب إلا سلب ، وقال : من أحب أن يدخل الجنة وهو يضحك فليكن لسانه دائما رطبا بذكر اللّه وقال : ما وجدت عبادة أشفى لصدر ولا أفضل من مجالس الذكر . وقال : من لم يعرف نعمة اللّه عليه إلا فى مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه . وقال : كم من نعمة لله فى عرق ساكن ، وقال : لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها . وحتى تمقت كل الناس فى جنب اللّه ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا ، وقال : من فقه الرجل رفقه فى معيشته ، وقال : اتقوا اللّه واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا عفروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ، وقال : ذروة الإيمان الصبر للحكم . والرضا بالقدر . وقال : اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور اللّه الذى يقذفه اللّه فى قلوبهم على ألسنتهم . وقال : ياحبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، وقال : ويل لكل جماع فاغر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده لو يمكنه لوصل الليل بالنهار ويله من حساب غليظ وعذاب شديد ، وقال : أخاف عليكم شهوة خفية فى نعمة ملهية ، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم ، ومر بقوم يبنون فقال : تجددون الدنيا ، واللّه يريد خرابها واللّه غالب على ماأراد ، وقال : من لم يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز ، وقال : موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا وبالدهر مفرقا، اليوم فى الدور وغدا فى القبور . وقال : من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده ، وقالوا له : ادع اللّه لنا قال : لا أحسن السباحة وأخاف الغرق ، وقال : لا يزال العبد يزداد من اللّه بعدا كلما خشى خلقه ، وقال : إنا لَنَبُشُّ فى وجوه أقوام وإن قلوبنا تلعنهم ، وقال : ويل لمن كذب وعق ونقض العهد الموثق فلا برٌّ ولا صَدَقْ .

(ومن كراماته) أنه كان يأكل فى قصعة مع سلمان ، رضى اللّه عنه ، فسبحت ، وكان يوما يوقد تحت قدر وعنده سلمان ، رضى اللّه عنه ، إذ سمع فى

القدر صوتا ثم ارتفع بتسبيح كهيئة صوت الصبى ثم انكفأت ثم رجعت مكانها لم ينصب منها شيء ، فعجب سلمان رضى اللّه عنه وقال : انظر يا أبا الدرداء إلى مالا ينظر لمثله قال : أما إنك لو سكت لرأيت من آيات اللّه الكبرى عجبا ، وروى الليث بن سعد رضى الله عنه عن بعض التابعين قال : رأيت أبا الدرداء رضى الله عنه دخل المسجد ومعه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان وهم يسألونه عن العلم ، ومن شعره رضى اللّه عنه :

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ماأرادا

يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادا

ومرض فقيل له : ماذا تشتكى ؟ قال : ذنوبى ، قيل : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى ، قيل : أندعو لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضنى ، ولما احتضر جعل يقول : « من يعمل لمثل يومى هذا من يعمل لمثل ساعتى هذه من يعمل لمثل مضجعى هذا . « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة »، مات سنة اثنتين وثلاثين ، رضى اللّه عنه .

(٧) أبو ذر الغفـــارى[1]

العابد الزهيد ، القانت الوحيد ، رابع الإسلام ، ورافض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام أول من حيا الرسول بتحية الإسلام ، لم تأخذه فى الحق لائمة اللوام ، ولا تقرعه سطوة الولاة والحكام ، أول من تكلم فى علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة والعناء ، وحفظ العهود والوصايا ، وصبر على المحن والرزايا ، وخدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضول ، وقد قيل : التصوف التأله عن غلبات التوله . اعتزل الناس بالربذة دهرا طويلا ؛ وكانت تأتيه العطايا من الأمراء فيردها . ولما مات ابنه ذر مر على قبره وقال : يا ذر ، قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ليت شعرى ما قلت وما قيل لك .

(ومن كلامه) تلدون للموت وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى ، وتتركون ما يبقى إلا حبذا المكروهات الموت والفقر ، وقال : نفس الإنسان مطيته إن لم يرفق بها لم تبلغه ، وكان للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ملازما وجليسا ، وعلى سؤاله والاقتباس منه حريصا ، وللقيام على ما استفاد منه أنيسا ، سأله عن الأصول والفروع ، وعن كل شىء حتى مس الحصى ، وكان من أخوف الصحب وأكثرهم تفكرا فى شأن المعاد ، ولا يدخر قوتا لغد ، ولا يعمر ما انهدم من داره ، ويقول : رب المنزل لا يدعنا نقيم فيه إلا قليلا . مات سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل غير ذلك ، رضى الله عنه .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٥٢ ، وطبقات ابن سعد ٤/١٦١ ـ ١٧٥ ، والإصابة ٧/٦٠ ، وصفة الصفوة ١/٢٣٨ ؛ وحلية الأولياء ١/١٥٦ .

(٨) أبو هريرة عبد الرحمن أو عبد شمس أو غير ذلك [١]

عريف من سكن الصفة من القاطنين ، ومن نزلها من الطارقين ، كان أحد أعلام الفقراء والمساكين صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد ، أعرض عن غرس الأشجار . وجرى الأنهار ومخالطة الأغيار ، زهد فى لبس الليِّن والحرير ، فعوض من حكم الخبير ، وقال : نشأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت أجيرا لابنة غزوان بطعام بطنى ، وعقبة رجلى ، أحدو لهم إذا ركبوا وأحتطب إذا هم نزلوا ، فالحمد للّه الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما وقال لابنته : لا تلبسى الذهب ، أخاف عليك اللهب ، وقال : حفظت عن المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، خمسة جرب ، أخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالثة رجمتونى بالحجارة ، وقال : جلساء اللّه غدا ، أهل الورع والزهد ، ووقف على حوض يسقى إبله فزوحم فأنكسر الحوض فقعد ، ثم اضطجع ، فقيل له فيه فقال : إن المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، إمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإن ذهب وإلا اضطجع ، ومر به رجل فقال له : أين تريد ؟ فقال : السوق قال : إن استطعت أن تشترى الموت قبل أن ترجع فافعل ، وقال : من دخل المقابر واستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم والصلاة عليهم ، ومن كراماته فى تاريخ ابن النجار ، ورحلة ابن الصلاح عن الزنجانى الفقيه قال : حدثنى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى عن القاضى أبى الطيب قال : كنا فى حلقة المناظرة فجاء شاب خراسانى يسأل عن المصراة ويطلب الدليل فاحتج عليه بخبر الشيخين عن أبى هريرة فقال : وكان حنفيا أبو هريرة غير

---

(١) وقال : عُمير بن عامر ، ويقال : سكين ، انظر المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والتهذيب ٢٦٢/١٢ - ٢٦٣ ، وسِيَرْ أعلام النبلاء ٤١٧/٢ ؛ وتاريخ الإسلام ٣٣/٢ ٣ .

مقبول الحديث ، فما تم كلامه حتى سقطت عليه حية ، فتفرق الناس هاربين فتبعت الشاب دون غيره فقال : تبت تبت فلم ير لها أثر ، قال مالك فى الموطأ : بلغنا أن أبا هريرة جاء إلى وليمة وعليه ثياب رثة فردوه فاستعار له ثيابا نفيسة وجاء ، فأدخلوه فلما وضعوا الطعام بين يديه غمس كمه فى الطعام وقال : كل فإنما أدخلونى لأجلك !!! ولما احتضر بكى فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكى على دنياكم بل على بُعْدِ سفرى وقلة زادى ، وإنى أصبحت فى صعود مهبط على جنة أو نار، ولا أدرى إلى أيهما يؤخذ بى ، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين ، رضى الله عنه .

(٩) أبو موسى الأشعرى[1]

عبد اللّه بن قيس بن حضار صاحب القراءة والمزمار ، الرايض نفسه بالسياحة فى المضمار ، كان بالأحكام والأقْضية عالما ، وفى أودية المحبة والمشاهد هائما ، وبقراءة القرآن فى الحنادس قائما ، وعلى مدى الأيام طاويا وصائما ، وقد قيل : التصوف رتوع القلب الهائم فى مرتع العز الدائم ، وهو الذى قال فيه المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » وكان عمر يقول له : ذكِّرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ فيُطرب الأسماع ويبكى كل بطل شجاع ، مات سنة أربع وأربعين وقيل : خمسين ، وقيل : اثنتين وخمسين .

(١) طبقات ابن سعد ٤/٧٩ ؛ والإصابة ، ترجمة رقم ٤٨٨٩ ؛ وصفة الصفوة ١/٢٢٥ ؛ وحلية الأولياء ١/٢٥٦ .

(١٠) أبو عبيدة عامر بن الجراح[1]

أمين هذه الأمة الأمير الرشيد ، العالم الزهيد ، العابد الفريد أحد العشرة الكرام البررة كان لأجانب المؤمنين وديدا وعلى أقاربه من المشركين شديدا ، صبر على الاقتصار على القليل ، إلى أن حان منه النقلة والرحيل ، وناهيك بمن قال المصطفى صلى اللّه عليه وسلم في حقه كما ورد في الأخبار الصحاح : إن لكل أمة أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، قتل أباه كافرا غضبا لله ورسوله ، ولما قدم عمر الشام كان أبو عبيدة أميرها فتلقاه فنزل فاعتنقه ثم دخل بيته فلم ير فيه إلا سيفه ورحله وترسه ، وكان يسير في العسكر ويقول : ألا رُبَّ مُبيض لثيابه مدنس لقلبه ودينه ، ألا رب مُكرم لنفسه وهو لها مهين ، بادروا السيئات القديمات ، بالحسنات الحديثات . مات رضى اللّه عنه سنة ثمان عشرة .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ؛ وطبقات ابن سعد ، والإصابة والحلية ؛ وابن عساكر ١٥٧/٧؛ وصفة الصفوة ١٤٢/١ ، وتاريخ الخميس ٢٤٤/٢ .

حرف الباء الموحدة

(١١) بلال الحبشى المؤذن [١]

وهو ابن رباح ، عتيق الصديق ذى الفضل والسماح ، السيد المتعبد ، الفقير المتجرد ، علم الممتحنين فى الدين المعذبين ، خازن الرسول الأمين ، السابق الرامق ، المتوكل الواثق ، وقد قيل : التصوف ، قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق ، كان قديم الإسلام والهجرة ، بل قيل : إنه أول من أسلم وأظهر الإسلام ، شهد المشاهد كلها ، ولما أسلم توبع عليه العذاب فى الله فما تزلزل ، وناهيك بمن قال الفاروق رضى الله عنه فى شأنه : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « نعم العبد بلال » وقال : « بلال سابق الحبش » اشتراه أبو بكر رضى الله عنه وهو يعذب على دخوله فى الإسلام بخمس أواقٍ فضة وأعتقه فقال : إن كنت أعتقتنى لله فدعنى أعمل لله أو لتتخذنى خازنا فاتخذنى ، فبكى وقال : إنما أعتقتك لله فاذهب فاعمل لله ، وكان يؤذن للمصطفى صلى الله عليه وسلم سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن فى الإسلام ، وكان يقتصر من الدنيا على ما يسد الرمق ، وتشاجر هو وأبو ذر رضى الله عنه فعيره بالسواد فشكاه إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا ذر ما علمت أنه بقى فى قلبك من كِبْرَ الجاهلية ، فألقى أبو ذر رضى الله عنه نفسه وحلف أن لا يرفعها حتى يطأ بلال خده بقدمه ، وكان كثيرا ما يقول رضى الله عنه :

كل امرىء مصبح فى أهلـه والموت أدنى من شراك نعلـه

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ١٧٦ ، وطبقات ابن سعد ١٦٩/٣ ، وصفة الصفوة ١٧١/١ ، وحلية الأولياء ١٤٧/١ ، وتاريخ الخميس ٢٤٥/٢ .

ولما حضرته الوفاة ، قالت امرأته : واحزناه فقال : لا بل واطرباه

غدا نلقى الأحبـــــهْ محمـــــدا وحــــــزبـهْ

وفضائله جمة مات بدمشق سنة عشرين على الأشْهَر عن ثلاث وستين وقيل : سبعين سنة ودفن بباب الصغير ، وقيل : بباب كيسان ، وقيل : مات ودفن بحلب ، وجزم الحافظ ابن حجر رضى اللّه عنه بالأول .

حرف التاء المثناة فوق

(١٢) تميم الداري[1]

الصحابي الكبير الشهير ويقال : الداري والديري ، فالداري نسبة لجده والديري نسبة إلى دير كان يتعبد فيه قبل الإسلام ، وكان نصرانيا أسلم سنة تسع من الهجرة ، ولازم التعبد ، وسلك طريق التزهد ، وفي صحيح مسلم عنه قصة الجساسة ، وتلك منقبة شريفة ، لم يشاركه فيها غيره ، كان كثير التهجد يقوم معظم الليل ، قام ليلة بآية من القرآن حتى أصبح يركع ويسجد ويبكي ، وهي ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ الآية ، ونام ليلة عن تهجده فصام سنة وقام سنة عقوبة لما صنع ، وهو أول من قص على الناس بإذن عمر رضي الله عنه ، وأول من أسرج المسجد ، مات بالشام ودفن ببيت جبريل من بلاد فلسطين .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣/٣٤٤ ، وصفة الصفوة ١/٣١٠ ، والمقريزي ، « ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري » .

حرف الجيم

(١٣) جعفر بن أبى طالب[1]

ذو الجناحين ، والهجرتين ؛ الجواد أبو الجواد الأسد الضرغام ؛ الباسل المقدام ، السخى المطعام ، خطيب العارفين ، مضيف المساكين ، مهاجر الهجرتين ، مصلى القبلتين . البطل الشجاع الجواد الشعشاع . فارق الخلق . ورامق الحق . وقد قيل : التصوف الانفراد بالحق . عن ملابسة الخلق . كان يحب المساكين ، ويقعد معهم ويحدثهم ويحدثونه ، وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين ؛ وقصته مع النجاشى فى أول اجتماعه به وقراءته عليه سورة مريم وقوله إن عيسى عليه السلام عبد الله وغير ذلك معروف مشهور . استشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلا غير مدبر مجاهدا للروم فى حياة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، سنة ثمان ؛ وأخبر ، عليه الصلاة والسلام ، أنه رآه فى الجنة يطير مع الملائكة رضى الله عنه .

---

(١) أوجعفر الطيّار ، الإصابة ١/٢٣٧ ؛ وصفة الصفوة ١/٢٠٥ ؛ ومقاتل الطالبيين ٣ ، وحلية الأولياء ١/١١٤ ، وطبقات ابن سعد ٤/٢٢ .

حرف الحاء المهملة

(١٤) حذيفة بن اليمان[١]

المتعبد على مدى الأيام والأزمان ، العارف بالمحن وأحوال القلوب . المشرف على الفتن والآفات والعيوب . سأل عن الشر فاتقاه . وتحرى الخير فاقتناه . سكن عند الفاقة والعدم ، وركن إلى الإنابة والندم ، وقد قيل : التصوف ، موافقة صنيع الرحمن والمرافقة مع المنع والحرمان ، وهو عبسى حليف لبنى عبد الأشهل ، أسلم هو وأبوه وأراد حضور بدر فأخذهما المشركون فاستحلفوهما فحلف أن لايشهداها فقال لهما المصطفى ، صلى الله عليه وسلم : نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم وشهدا أحدا ، وكان حذيفة صاحب سر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنافقين يعلمهم وحده ، ولاه عمر رضى الله عنه المدائن ، ومن كلامه أحب الأعمال إلى الله كثرة ذكره ، وقال : تعرض الفتن على القلوب ، فأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، وأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى يصير القلب على قلبين قلب أبيض كالصفا لا تضره فتنة وآخر أسود مربد . قال : وكان الناس يسألون المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى . وقال : ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الفتنة ، وقال : شكوت للمصطفى صلى الله عليه وسلم ذرب لسانى فقال : أين أنت من الاستغفار . وقال : رُبَّ فاجر فى دينه اخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته . وقال : ما من يوم أقر لعينى ولا أحب لنفسى من يوم آتى أهلى فلا أجد فيه طعاما . ولما وُلى المدائن قدمها على حمار وبيده

---

(١) ابن عساكر ٤/٩٣ ؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢١٩ ؛ والإصابة ١/٣١٧ ؛ وحلية الأولياء ١/٢٧٠ ؛ وأسد الغابة ، ١٠٧ ؛ وصفة الصفوة ١/٢٤٩ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٦٣ .

رغيف وهو يأكل وقال : أخوف ما أخاف أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون ، وقال : ذهب النفاق فلا نفاق إنما هوالكفر بعد لإيمان ، وقال : اسلكوا الطريق فإن سلكتموه فقد سبقتم سبقا بعيدا . وإن أخذتم يمينا وشمالا فقد ضللتم ضلالا بعيدا ، وقال : إن فى القبر حسابا وإن فى لقيامة حسابا ، فمن حوسب يوم القيامة عذب ، ولما حضره الموت قال : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . ودخل عليه أهله جوف الليل فقال : أى ساعة هذه ؟ قالوا : آخر الليل قال : أعوذ بالله من صباح إلى النار أجئتم بالأكفان قالوا : نعم قال : فلا تغالوا فيها فإن يكن لصاحبكم خير عند الله فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها وإلا سلبها . مات بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان ، رضى الله عنه ، بأربعين ليلة .

(١٥) الحسن بن على بن أبى طالب[1]

سبط رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وريحانته أمير المؤمنين وآخر الخلفاء بنص المصطفى. السيد المحبب ، والحبيب المقرب له فى التصوف الكلام المشرق المرتب ، والمقال المونق المحقق المهذب وقد قيل : التصوف . تنوير البيان ، وتطهير الأركان . ولد فى نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وقيل : فى شعبان منها ، وقيل : سنة أربع وقيل سنة خمس وأولها أشهرها ، سمته أمه حربا ، فقال المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : بل هو الحسن ، ولم يكن هذا الاسم يعرف قبل ذلك فى الجاهلية كما قاله العسكرى ، وعق عنه يوم سابعه وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، وكان أشبه الناس به عليه الصلاة والسلام أى من جهة أعلاه ، والحسين رضى اللّه عنه أشبه به من جهة أسفله كما قال بعض الأعاظم جامعا به بين ما روى عن الصديق : إن أشبه الناس به الحسن رضى الله عنه ، وما روى عن أنس رضى اللّه عنه وغيره أن الأشبه به الحسين رضى اللّه عنه ، فبذلك الجمع زال التعارض من البين . وحمله المصطفى صلى اللّه عليه وسلم على عاتقه وقال : « اللهم إنى أحبه فأحبه » كما رواه الشيخان عن البراء . « وجلس مرة على المنبر للخطبة وأجلسه بجنبه وصار ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ويقول : إن ابنى هذا سيد ، ولعل اللّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » كما رواه البخارى وغيره عن أبى بكرة « وأجلسه هو والحسين رضى اللّه عنهما يوما على وركيه ، وقال : هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما » رواه الترمذى عن أسامة « وسئل أى أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال : الحسن والحسين » رواه الترمذى عن أنس « وأقبل مرة وقد حمل الحسن رضى اللّه عنه على رقبته الشريفة فلقيه رجل فقال : نِعْم المركب

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٢١٠ - ٢١٢ ؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢٩٢٥ ؛ والإصابة ١/٣٢٨ ؛ واليعقوبى ٢/١٩١ ؛ وتهذيب ابن عساكر ٤/١٩٩ ؛ ومقاتل الطالبيين ٣١ ؛ وابن الأثير ٣/١٨٢؛ وحلية الأولياء ٢/٣٥ .

ركبتَ يا غلام ، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : نعم الراكب هو » رواه لحاكم عن ترجمان القرآن : « ودخل عليه عليّ وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهما فرضعهما فى حجره فقبلهما واحتضن عليا بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى وجعل عليهما كساء أسود وقال : اللهم إليك لا إلى النار » رواه أحمد فى المسند عن أم سلمة وقعد فى حجره يوما وجعل أصابعه فى لحية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وهو يفتح فمه ثم يدخل لسانه فى فمه وهو يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه ، قاله ثلاثا رواه أبو نعيم عن أبى هريرة وكان يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل « وأتاه وهو راكع ففرج بين رجليه حتى خرج من الجانب الآخر » رواه ابن سعد عن لزبير . « وأتاه الحسن والحسين رضى الله عنهما مرة بعد صلاة العشاء فجعل واحدا هاهنا ، وواحدا هاهنا ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله أذهب بهما إلى أمهما ، قال : لا ، فبرقت برقة فقال الحقا بأمكما فما زالا يمشيان فى ضوءها حتى وصلا » رواه الحاكم وصححه ، « وكانت عادة العرب أن تنحل أبناءها فجاءت فاطمة رضى الله عنها بهما فقالت : يانبى الله انحلهما فقال نحلت هذا الكبير المهابة والحلم ، وهذا الصغير المحبة والرضى » رواه العسكرى عن أم أيمن ، وكان سيدا كريما حليما ذا سكينة ووقار جوادا ممدحا يكره الفتن والسيف تزوج نحو سبعمائة امرأة فى حياة أبيه فأمر مناديا ينادى فى الناس : لاتزوجوا الحسن فإنه مطلاق فما مر بأحد إلا قال بل نزوجه فما رضى أمسك وما كره طلق ، ولم يطلق امرأة إلا وهى تحبه وأمتع امرأتين بعشرين ألفا وزقاق من عسل فقالت إحداهما : متاع قليل من حبيب مفارق . وكان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف ، وتزوج بامرأة فأرسل لها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم ، وحج خمسا وعشرين حجة ماشيا من المدينة والجنائب تقاد بين يديه ولم يسمع منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه بلغه عن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما كلاما ، فقال الحسن رضى الله عنه ، ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، ومر بصبيان يأكلون

كسرا من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم أنواعا وكساهم وقال : اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونى ونحن نجد أكثر مما أعطيناهم ، وخرج من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطى نعلا ويمسك أخرى ويعطى خفا ويمسك أخرى وقيل له : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلىَّ من الغنى والسقم من الصحة فقال : رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن غير الحال الذى اختاره الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضى بما تصرف به القضا ، وكان يقول لبنيه وبنى أخيه : تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم . ورأى عيسى ابن مريم عليه السلام فى المنام فقال : أريد أن أتخذ خاتما فما أكتب عليه ، وقال : أكتب لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، فإنه آخر الإنجيل . بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه . فأقام بها ستة أشهر وأياما ثم سار لحربه معاوية بن أبى سفيان فبايع الحسن رضى الله عنه على الموت أربعون ألفا ، فلما التقى الجيشان نظر الحسن إليهم أمثال الجبال من الحديد فقال : أيقتل هؤلاء بعضهم بعضا فى ملك من ملوك الدنيا لا حاجة لى به وأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه لا من قلة ولا من ذلة على أن تكون له الخلافة من بعده وأن يقضى عنه ديونه ، وأن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه فأجابه معاوية إلى جميع ذلك واصطلحا وظهرت المعجزة النبوية بذلك ونزل عن الخلافة على تلك الشروط ، قال ابن بطال : ولم يوف له معاوية بشىء مما التزمه ، ولما نزل عنها كان أصحابه يقولون له : ياعار المؤمنين ، فيقول : العار خير من النار . وقال له رجل : السلام عليك يامذل المؤمنين فقال : لست بمذلهم ، لكنى كرهت أن أقتلكم على الملك ، وأتاه رجل فقال : يامُسِّود وجوه المؤمنين ، فقال : لا ترثينى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك ، ثم رحل الحسن ، رضى الله عنه ، عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها فصار أميرها مروان يسبه ويسب أباه على المنبر وغيره ويبالغ فى أذاه بما الموت

دونه وهو صابر محتسب ، وقال لرجل ممن يغلو فيهم أحبوا اللّه فإن أطعنا اللّه فأحبونا وإن عصيناه فأبغضونا ، فقال الرجل : إنكم قرابة رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، وأهل بيته فقال : ويحكم لو كان اللّه نافعا بقرابة منه بغير عمل نفع بذلك من هو إليه أقرب إليه منا أباه وأمه ، والله إنى لأخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين . مات رضى اللّه عنه بالمدينة ، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث لعنها اللّه دس عليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها فلما قتلته بعثت إليه أن ينجز الوعد فقال : إنا لم نرضاك للحسن فنرضاك لأنفسنا ، وجهد به أخوه أن يخبره بمن سمه فلم يفعل وقال اللّه أشد نقمة إن كان الذى أظن وإلا فلا يقتل برىء ، ورأى الحسن رضى اللّه عنه بين عينيه مكتوبا قل هو اللّه أحد فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال : إن صدقت رؤياه فما بقى من أجله إلا أياما فكان كذلك . ولما احتضر جزع فقال له الحسين رضى اللّه عنه : ما هذا أنك ترد على المصطفى صلى اللّه عليه وسلم وعليٌّ كرم اللّه وجهه وهما ابواك وخديجة وفاطمة رضى اللّه عنهما وهما أماك فقال : إنى أدخل فى أمر من أمر اللّه لم أدخل في مثله وأقدم على سيد لم أر مثله وأرى خلقا من خلق اللّه لم أر مثلهم قط يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه اللّه عنه ، ووليها أبو بكر رضى الّه عنه ثم استشرف لها فصُرفت عنه إلى عمر رضى اللّه عنه ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصُرفت عنه فلما قتل عثمان رضى اللّه عنه بويع ثم نوزع حتى جرد السيف ما صفت له وإنى واللّه ما أرى أن يجمع اللّه فينا بين النبوة والخلافة فلا يستخفنك سفهاء الكوفة ، وكان عطاؤه فى كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية عاما فاضاق ذرعا فدعا بدواة ليكتب لمعاوية ثم أمسك فرأى المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فشكى إليه ذلك ، فقال : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك !! قل : اللهم اقذف فى قلبى رجاك ، واقطع رجاى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى ، وقصر عنه أملى ،

ولم تنله رغبتى ، ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والأخرين من اليقين فخصنى به ، يا رب العالمين ، فما ألح به أسبوعا حتى أتاه ألف ألف وخمسمائة ألف ، مات رضى الله عنه سنة تسع وأربعين وقيل خمسين وقيل : إحدى وخمسين ودفن بالبقيع عند أمه فاطمة الزهراء ، ومن كراماته أن رجلا تغوط على قبره فجن فجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم مات فسُمع من قبره يعوى ، أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش ، ومنها أنه مر يوما بامرأة معها مولود فجاء عقاب فاختطفه فتعلقت أمه بالحسن رضى الله عنه وقالت : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى فبسط يده ودعا فجاء العقاب وجعل ولدها على يدها ولم يضره ، ومن كلامه أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، وقال السداد دفع المنكر بالمعروف ، والشرف اصطناع العشيرة وحمل الجريرة ، وقال : المروءة العفاف واصلاح المآل ، وقال : اللوم احراز المرء نفسه وبذله عرسه ، وقال : السماح البذل فى العسر واليسر ، والشح أن تر ما فى يدك شرفا وما أنفقته تلفا ؛ وقال الإخاء المواساة فى الشدة والرخاء ، وقال : الغنيمة الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا فذلك الغنيمة الباردة ، وقال : الحلم كظم الغيظ ، وملك النفس ، والغنى رضا النفس بما قسم لها وإن قل ، والفقر شره النفس إلى كل شيء ، والكلفة كلامك فيما لا يعنيك وقال المجد أن تعطى فى العدم وتعفو عن الجرم ، والعقل حفظ القلب كلما استوعيته . والثناء إتيان الجميل وترك القبيح ، والحزم طول الأناة والرفق بالولاة ، والسفه اتباع الدناءة ، ومصاحبة الغواة والغفلة ترك المسجد ، وطاعة المفسد ، والحرمان ترك حظك وقد عرض عليك ، وكان يقول الطعام أهون من أن يقسم عليه ، ونختم ترجمته بفائدة غريبة وهى أنى رأيت فى شرح مقدمة الوصول للشيخ إبراهيم المواهبى رحمه الله نقلا عن مشيخة العارف أبى المواهب التونسى رضى الله عنه أن أول من تلقى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنها مدة حياتها ثم انتقلت منها إلى أبى بكر ثم

إلى عمر ثم إلى عثمان ثم على ثم الحسن رضى اللّه عنهم أجمعين هكذا ذكره ، لكن سيأتى عن العارف المرسى أن أول الأقطاب مطلقا الحسن بن على رضى اللّه عنهما .

(١٦) الحسين بن على بن أبى طالب [١]

سبط المصطفى ، صلى الله عليه وسلم وريحانته الذى قال فيه : « حسين منى وأنا من حسين ، اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » رواه الحاكم عن يعلى العامرى وصححه ، « وجلس يوما فى المسجد واحتبى ثم قال لأبى هريرة رضى الله عنه : ادع لى لكاع فأتى بحسين رضى الله عنه يشتد حتى وقع فى حجره ثم أدخل يده فى لحيته فجعل المصطفى صلى الله عليه وسلم يفتح فم الحسين رضى الله عنه ويدخل فاه فى فيه ويقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » رواه الحاكم ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع وقيل : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن رضى الله عنهما إلا طهر واحد ، وكان شجاعا مقداما من حين كان طفلا ، أتى عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب على المنبر فصعد إليه فقال : انزل عن منبر أبى واذهب إلى منبر أبيك ، فقال عمر رضى الله عنه لم يكن لأبى منبر وأخذه فأجلسه معه وقال من علمك قال : والله ما علمنى أحد ، وكان ابن عمر رضى الله عنه جالسا فى ظل الكعبة إذ رأى الحسين رضى الله عنه مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم ، وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهده وبقى معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن انفصل ، فرجع للمدينة واستمر بها حتى مات معاوية فأخرج يزيد إليه من يأخذ بيعته فامتنع وخرج إلى مكة فأتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر بعدمه فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم وأرسل إليه يستقدمه ، فخرج الحسين رضى الله عنه من مكة قاصدا للعراق ولم يعلم بخروجه

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣١١/٤ ؛ ومقاتل الطالبيين ٥٤ ، ٦٧ ؛ وابن الأثير ١٩/٤ ، والطبرى ٢١٥/٦ ، واليعقوبى ٢١٦/٢ ؛ وصفة الصفوة ٣٢١/١ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

ابن عمر فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة فقال : ارجع فأبى فقال : إنى محدثك حديثا إن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانك بضعة منه والله لا يليها أحد منكم أبدا ، فقال ان معى حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم فقال : ما تصنع بقوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك فأبى إلا المضى فاعتنقه وبكى ، وقال : استودعتك الله من قتيل ولم يبق أحد بمكة إلا حزن لمسيره ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه ثم سافر فكان ابن عمر رضى الله عنه يقول غلبنا حسين بالخروج ولعمرى لقد رأى فى أخيه والله عبرة ، وكلمة فى ذلك أيضا من وجوه الصحابة جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم ، فلم يطع أحدا منهم وصمم على المسير فقال لهابن عباس والله انى لأظنك ستقتل بين نسائك ، وأبنائك وبناتك كما قتل عثمان رضى الله عنه فلم يقبل فبكى ، وقال أقررت عين ابن الزبير فلما رأى ابن عباس ابن الزبير قال له لقد جاء ما أحببت هذا الحسين خرج وتركك والحجاز فعلم بزيد بخروجه . فأرسل إلى عبيد الله بن زياد واليه على الكوفة يأمره بطلب مسلم وقتله ، فظفر به فقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له : ارجع فإنى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر ولقى الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء فهم أن يرجع وكان معه أخو مسلم فقالوا لا نرجع حتى نصيب بثأره أو نقتل فساروا ، وكان ابن زياد جهز جيشا أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا لملاقاته فوافوه بكربلاء فنزل ومعه خمسة وأربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش وأميرهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان ابن زياد ولاه الرى وكتب له بعهده عليها إن حارب الحسين رضى الله عنه ورجع فلما هم التقيا وأرهقه السلاح قال له الحسين رضى الله عنه اختر منى إحدى ثلاث إما أن ألحق بثغر من الثغور ، وإما أن أرجع إلى المدينة ، وإما أن أضع يدى فى يد ابن معاوية فقبل ذلك عمرو منه وكتب به إلى ابن زياد

فكتب اليه لا أقبل منه حتى يضع يده في يدى فامتنع الحسين رضى الله عنه فتأهبوا لقتاله ، وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والمبايعين له ، ولما أيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل من الأمر ماترون وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ، وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لايعمل به ، والباطل لايتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله فإنى لاأرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين ألا جرماً ، فقاتلوهم ، فكان آخر الأمر أن قتل رضى الله عنه ، وقتل معه سبعة عشر شابا من أهل بيته ، وذلك بكر بلاء كما فى خبر رواه الطبرانى ، فإن قلت : ينافيه ما ورد عن الطبرانى أيضا عن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال :« أخبرنى جبريل عليه السلام أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بأرض الطف وجاءنى جبريل بهذه التربة وأخبرنى أن فيها مضجعه » وما رواه ابن سعد عن على أمير المؤمنين قال : « دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل عليه السلام أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات » قلت : لا تعارض لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهى من بلاد كربلاء فالتأم الكلام واستقام على أحسن نظام ؛ ولما قتلوه جزوا رأسه الشريف ثم أتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم على بن الحسين كان مريضا وعمته زينب رضى الله عنهما فلما قدموا على يزيد سر سروراً كبيراً وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ ، ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب على ثناياه بقضيب كان معه ويقول : لقيت بغيبك يا حسين وبالغ فى الفرح ثم ندم لما مقته المسلمين على ذلك وأبغضه العالم ، قال الجلال السيوطى رحمه الله وغيره ، وحق لهم أن يبغضوه ، وقد أخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة رضى الله عنهما مرفوعا : « لايزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وأخرج

الرويانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا : « أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد » وقد قال أحمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك ، وقد صنف جماعة من القدماء فى مقتله تصانيف منها الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، وفى هذه القصة المساقة غنى ، وقد صح عن إبراهيم النخعى رحمه الله أنه كان يقول : لو كنت ممن قاتل الحسين ، رضى الله عنه ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن عباس ، رضى الله عنهما : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وسط النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت : يارسول الله ، ما هذا ؟ قال : دم الحسين وصحبه لم أزل ألتقطه منذ اليوم ، فكان ذلك اليوم فيه الذى قتل فيه رواه البيهقى وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره ، وقتل يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين وكسفت الشمس وقت قتله كسفة أبدت الكواكب نصف النهار وأحمرت آفاق السماء ستة أشهر يرى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضا ، وقيل : إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلا وجد تحته دم غبيط ، وصار الورس الذى فى عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها النيران وطبخوها فصارت كالعلقم ، ولما ساروا برأسه إلى ابن معاوية ، قعدوا فى أول مرحلة يشربون الخمر ، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط وكتب بدم ...

أترجو أمة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب

ثم إن ابن معاوية أمر برد أهله إلى المدينة ، وأن يطاف برأسه الشريف فى البلاد ، وروى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال بن عمرو الأسدى قال : والله رأيت رأس الحسين رضى الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » فنطق الرأس بلسان عربى فصيح وقال جهاراً أعجب من أصحاب

الكهف قتلى وحملى ، وخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى اللّه عنه « أوحى اللّه إلى محمد صلى اللّه عليه وسلم « إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وإنى قاتل ابنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا » صححه الحاكم ، وقال الذهبى فى التلخيص على شرط مسلم وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللّه وورد من طريق واه عن على عن المصطفى صلى اللّه عليه وسلم « قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا » (واعلم) إنهم اختلفوا فى رأس الحسين رضى اللّه عنه بعد مصيره إلى الشام إلى أين صار وفى أى موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أنه طيف به فى البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنها أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداها منهم الصالح طلائع وزيرالفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائها من عدة مراحل ثم بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة وإلى ذلك أشار القاضى الفاضل فى قصيدة مدح بها الصالح ، وصار آخرون منهم الزبير بن بكار ، والعلاء الهمدانى إلى أنه حمل الى المدينة مع أهله فكفن ودفن بالبقع عند قبر أمه وأخيه الحسن وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل ، ورجح القرطبى الثانى قائلا ماذكر من أنه فى عسقلان فى مشهد أو بالقاهرة باطل لاأصل له انتهى ، والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى ، ولكن ذكر لى بقص أهل الكشف والشهود ، أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الرأس بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشعد القاهرى لأن حكم باب البرزخ حكم الإنسان الذى تدلى فى تيار جار ، فيطف بعد ذلك فى مكان آخر فلما كان الرأس منفصلاً طف فى هذا المحل من المشهد الحسينى المصرى ، وذكر أه خاطبه منه ، وذكر بعضهم أن القطب يزوره كل يوم .

(ومن كلامه) الزموا مودتنا أهل البيت ، فإن من لقى اللّه وهو يودنا دخل فى شفاعتنا ، إن حوائج الناس إليكم من نعم اللّه عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقما ، وقال : من جاد ساد ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا وقال الشافعى : مات ابن للحسين فلم نر عليه

كآبة ، فعوتب فى ذلك فقال : إنا أهل بيت نسأل اللّه تعالى فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا والتزم يوما الركن الأسود وقال : إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم ، وأخرج ابن عساكر أن ابن عباس بينما هو يحدث الناس قام إليه نافع الأزرق وقال : تفتى الناس فى النملة والقملة صف لى إلاهك الذى تعبد فأطرق إعظاما لقوله وكان الحسين رضى اللّه عنه جالسا ناحية فقال إلى يا ابن الأزرق ؟ قال لست إياك أسأل قال ابن عباس إنه من بيت النبوة وهم ورثة العلم ، فأقبل نافع الحسين رضى اللّه عنه فقال : يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى التباس، سائلا ناكبا عن المنهاج ، وطاعنا بالاعوجاج ، ضالا عن السبيل ، قائلا غير الجميل ، أصف لك إلهى بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه ، لا يدرك بالحواس ؛ ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق ؛ بعيد غير منتقص ، يوحد ولايبعض ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات ، لاإله إلا هو الكبير المتعال انتهى ، ورزق من الأولاد خمسة ، على الأكبر وعلى الأصغر ، وله العقب ، وجعفر وفاطمة ، وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب نفيسة رضى اللّه عنهم أجمعين كذا قال شيخنا الشعراوى رحمه اللّه : إنها دفنت بالمكان المذكور وليس ذلك بصحيح فقد قال الثقة الأعظم ، ولى اللّه المعظم ، واسطة عقد الشافعية شيخ الإسلام النووى رضى اللّه عنه بعد أن حكى فى ذلك قولين أقوالا الصحيح قول الأكثر أنها توفيت بالمدينة ، وعبارته قدمت سكينة دمشق مع أهلها ثم خرجت إلى المدينة ويقال عادت إلى دمشق وإن قبرها بها والصحيح ، قول الأكثرين أنها توفيت بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة ، وهذه عبارته فانظر كيف حكى القولين ، ولم يذكر غيرهما ، فدل على أن ما ذكر الشيخ لا أصل له ، وفى لواقح الأنوار « أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضى اللّه عنه » فليحرر ، انتهى

حرف السين المهملة

(١٧) سعيد بن عامر الجمحي القرشي[1]

زهد في الفتانة السحارة ، ونظر إلى طلابها بعين الحقارة ، فرغب عن الدنيا مع تقلده الولايات وقيامه فيها برعاية العهود والأمانات ، وقد قيل : التصوف مصابرة المنون دون تحقيق الظنون ، وكان من عمال عمر رضى الله عنه على حمص دعاه فقال : إنى مستعملك فقال : لا تفتنى يا أمير المؤمنين قال : والله لا أدعك قلد تموها فى عنقى وتتركنى ثم قال عمر رضى الله عنه : ألا نفرض لك رزقا؟ قال : فى عطائى ما يكفينى دونه فكان يخرج منه قوته ويتصدق ببقيته فتقول امرأته : أين فضل عطائك ؟ فيقول : أقرضته فأتاه أناس فقالوا : إن لأهلك عليك حقا ، ولأصهارك عليك حقا ، فقال : ماأنا بملتمس رضا من الناس دون الله ، وبلغ عمر رضى الله عنه أنه يمر به كذا كذا ليلة لا يدخن فى بيته فأرسل إليه بمال فأخذه فى صرة فتصدق به ، مات سنة تسع عشرة من الهجرة .

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/٥١ ؛ وابن عساكر ٦/١٤٥ ـ ١٤٧ ؛ وصفة الصفوة ١/٢٧٣ ؛ وحلية الأولياء ١/٢٤٤ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٣٢٦٣ ؛ ونسب قريش ٣٩٩ .

(١٨) سعد بن أبى وقاص[1]

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، كان مجاب الدعوة ما دعى بشىء إلا استجيب له ، أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : «صلى النبى صلى اللّه عليه وسلم يوم الجمعة العصر بالناس فلما جلس فى الركعتين الأوليين مر كلب ليقطع عليه صلاته فأشفق أن يمر عليه فدعى سعد بن أبى وقاص على الكلب فأهلكه اللّه بقدرته ، فلما فرغ رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، من صلاته نظر إلى الكلب وقال من الداعى منكم على هذا الكلب فلم يتكلم أحد فأعاد الكلام فقال سعد : أنا الداعى عليه يا رسول اللّه بأبى أنت وأمى أشفقت أن يقطع عليك صلاتك ، فدعوت عليه ، قال : بماذا دعوت عليه يا سعد ؟ قال : قلت سبحانك لا إله إلا أنت ياذا الجلال والإكرام أهلك هذا الكلب قبل أن يقطع على نبيك صلاته ، فقال النبى ، صلى اللّه عليه وسلم : « لقد دعوت بشىء لو دعوت بهذه الكلمات على أهل المشرق والمغرب لاستجيب لك » رضى اللّه عنه .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٩٣/٦ ؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٨٣/٣ ؛ والبدء والتاريخ ٨٤/٥ ؛ وطبقات ابن سعد ٦/٦ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٣١٨٧ .

(١٩) سلمان الفارسى[١]

ابن الإسلام رافع الألوية والأعلام ، الكادح الذى لا يبرح والزاخر الذى لا ينزح ، الحاكم الحكيم ، والعالم العليم ، أحد الرفقاء والنجباء ، ومن إليه تشتاق الجنة من الغرباء ثبت على القلة والشدائد ، لما نال من الصلة والزوائد ، وقد قيل : التصوف مقاسات القلق فى مراعاة العلق ، أصلة من أصبهان أو غيرها ، أسلم عند قدوم المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، المدينة ، وكان عبداً لبني قريظة أدى عنه المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، كتابه وأعتقه وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلا قول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : « السباق أربعة وعده منهم وقوله : « سلمان منا أهل البيت » وقوله : « إنه أحد الذين تشتاق إليهم الجنة » وقوله : « إن اللّه يحب من أصحابى أربعة وذكره منهم » لكفى ، كان من أكابر الزهاد ، تزوج امرأة من كندة فدخل بيتها فوجده منجدا فقال : أمحموم بيتكم أو تحولت الكعبة فى كندة أوصانى خلى المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، أن لا يكون متاعى من الدنيا إلا كزاد الراكب فلم يدخل حتى نزع كل ستر فى البيت ، سئل عنه رضى اللّه عنه فقال : أدرك العلم الأول والآخر بحر لايترف ، ونزل هو وحذيفة ، رضى اللّه عنه ، على نبيطة فالتمس منها مكانا يصلى فيه فقالت طهر قلبك وصل حيث شئت ، فبكى وقال لحذيفة رضى اللّه عنه : خذها حكمة من قلب كافر ، وأصاب جارية فارسية فقال لها : صل قالت : لا قال فاسجدى واحدة قالت لا يقبل له ماتغنى عنها سجدة قال لو سجدت صلت وليس من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، إذا جنه الليل

---

(١) طبقاتابن سعد ٤/٥٣ ـ ٦٧ ؛ وتهذيب ابن عساكر ٦/١٨٨ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٣٣٥٠ ؛ وحلية الأولياء ١/١٨٥ ؛ والمسعودى ١/٣٢٠ ؛ وصفة الصفوة ١/٢١٠ .

صلى فإذا أعيا ذكر الله بلسانه فإذا أعيا بكى فإذا أعيا تفكر في آيات الله وعظمته ، ثم يقول لنفسه : استرحتى فقومى فإذا صلى زمانا قال للسانه : استرحت فاذكر وهكذا طول الليل ، وكان عطاؤه خمسه آلاف ، وكان أميراً بالمدائن ، على زهاء ثلاثين ألفا ، ومع ذلك يخطب الناس فى عباءة يفترش بعضها ، ويلبس بعضها ، ولم يكن بيت يظله وإنما يدور مع الظل حيث دار ، وكان إذا خرج عطاؤه فرقه ولا يأكل إلا من كد يده فى عمل الخوص ، وكان يجمع ما عمله بيده فيشبترى به لحما وسمكا ويدعو المجذومين فيأكلون معه ، وكان غالب الناس يسخرونه فى حمل متاعهم وهو أمير لعدم معرفتهم به لرثاثته ، وأرسل أبا الدرداء رضى الله عنه يخطب له امرأة فذكر لأهلها فضله وسابقته ، فقالوا : أما سلمان فلا نزوجه لكن نزوجك فتزوجها فخرج فقال له : قد كان شيء أستحى أن أذكره ، قال ما ذاك ؟ فأخبره فقال : أنا أحق أن أستحى منك أن أخطبها وكان الله قد قضاها لك ، وتفاخرت قريش عنده يوما فقال : لكنى خلقت من نطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم إلى الميزان فإن ثقل ميزانى فأنا كريم وأن خف فانا لئيم ، وخطب عمر رضى الله عنه مرة فقال انصتوا حتى أسمعكم فقال سلمان رضى الله عنه والله : لانسمعك ، قال : لماذا قال لأنك تفضل نفسك على رعيتك ، قال : كيف ؟ قال : عليك ثوبان وعلى الحاضرين ثوب واحد ، فقال : مهلا نادى بابنه ، فقال : أنشدك الله أما تعلم أن هذا الثوب الثانى ؟ قال : اللهم نعم ، فقال سلمان رضى الله عنه : الآن نسمع لك ونطيع ، ودخل عليه أبو قلابة رحمه الله حال إمارته وهو يعجن فقال : لِمَ هذا ؟ قال : قد بعثت الخادم فى عمل فكرهت أن أجمع عليه عملين ، ودخل عليه رجلان فى خص بناحية المدائن ، وهو أميرها فسلما ثم قالا : أنت سلمان ؟ قال : نعم قالا : أنت صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا أدرى ، فارتابا وقالا : لعله غير الذى نريد فقال : أنا الذى تريد أن قد رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجالسته وإنما صاحبه الذى يدخل الجنة ، ودخل على مريض

يعوده وهو فى النزع فقال : أيها الملك أرفق به فقال المريض إنه يقول : أنا بكل مؤمن رفيق ، وكتب إليه أبو الدرداء رضى اللّه عنه أن هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه أن الأرض لاتقدس أحداً وإنما يقدس المرء عمله ، وقد بلغنى أنك جعلت طيبا فإن كنت تبرىء فنعما لك وإن كنت متطيبا فاحذر أن يقتل إنسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء رضى اللّه عنه إذا قضى بين اثنين فأدبرا نظر إليهما وقال : متطبب والله أرجعا إلى أعيدا قصتهما .

(ومن كراماته) أنه خرج من المدائن ، ومعه ضيف فإذا بظباء تسير فى الصحراء وطيور فى الهواء فقال : ليأتينى منكن طير وظبى فقد جاءنى ضيف أحب إكرامه فأتياه فقال : الرجل سبحان اللّه فقال : سليمان أتعجب هذا العجب هل رأيت عبدا أطاع الله فضيعه .

(ومن كلامه) العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم ما تحتاجه لدينك ودع ماسواه ، وقال : إنما تهلك هذه الأمة من قبل نقض مواثيقها ، وقال : مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد قال : المقعد أرى ثمرة فلا أستطيع أقوم إليها فاحملنى فحمله فأكل وأطعمه ، وقال : « لاتكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها رأيته » أخرجه مسلم عنه ، وقال له عبد الله بن سلام : إن مت قبلى فأخبرنى ما تلقاه وإن مت قبلك أخبرتك فمات سلمان قبله فرآه فقال : كيف أنت ؟ قال : بخير قال : أى الأعمال وجدت أنفع ، قال : وجدت التوكل شيئا عجيباً وفى رواية عليك بالتوكل نعم الشىء التوكل . ولما مرض دخل عليه سعد يعوده فقال : أبشر توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنك راض قال كيف وقد سمعته يقول : « لتكن لغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » قال سعد : أعهد إلينا نأخذ به ، قال : أذكر ربك عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا أقسمت ، قيل له : أوصنا فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجراً ولا جابيا وفى راوية إنه بكى عند الموت فقيل

مايبكيك ؟ قال : إنما يحزننى أن حبيبى عهد إلى حين فارقنا فقال : ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب فبيع متاعه كله بعد موته فبلغ أربعة عشر درهما ، مات سنة ست وثلاثين ، قيل سبع وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين عن مائتين وخمسين سنة ، وقيل : ثلثمائة وخمسين ، سنة أما مائتان وخمسون فليس فيها يشكون ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه .

(حرف الشين المعجمة)

(٢٠) شداد بن أوس ـ أخو حسان بن ثابت[(١)]

سكن فلسطين ، وكان ممن أوتى العلم والحلم ، ولما دنت وفاة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم قام ثم جلس وكرره فقال له المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : يا شداد ما سبب قلقك ؟ قال : يا رسول اللّه ضاقت بى الأرض ، قال : ألا إن الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح وتكون أنت وولدك أئمة بها ، فكان كذلك ، وكان ذا عبادة واجتهاد ، وولايته وبهاؤه ظاهر للعباد ، مات سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة ودفن بباب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى وقبره ظاهر هناك يزار .

---

(١) الإصابة ، ترجمة رقم ٣٨٤٢ ؛ وتهذيب التهذيب ٤/٣١٥ ؛ وصفة الصفوة ١/٢٩٦ ؛ وحلية الأولياء ١/٢٦٤ .

(حرف الصاد المهملة)

(٢١) صهيب بن سنان الرومى[١]

السابق المهاجر ، المطعم المناجر ، أسرع الإجابة لله وللرسول ، وصار بربه يجول ويصول ، قد قيل : التصوف ، الأخذ بالأصول والترك للفضول ، والتشمر للوصول ، وهو من السابقين الأولين المعذبين فى اللّه تعالى ، كناه المصطفى صلى اللّه عليه وسلم أبا يحيى ، ولم يشهد مشهداً قط إلا وكان حاضره ، ولا بايع بيعة إلا وكان حاضرها ولا غزا غزوة إلا وكان عن يمينه أو شماله ، ومات سنة أو ثمان وثلاثين .

(١) طبقات ابن سعد ١٦١/٣ ؛ وابن عساكر ٤٤٦/٦ ؛ وصفة الصفوة ١٦٩/١ ؛ وحلية الأولياء ١٥١/١ ؛ والإصابة ، ترجمة رقم ٤٠٩٩

(حرف العين المهملة)

(٢٢) عاصم بن ثابت الأنصاري[١]

الطاهر الزكي العابد الوفي ، وفى لله في حياته فحماه من المشركين بعد وفاته ، وقد قيل : التصوف المفر من البينونة إلى مقر الكينونة قتل في سرية فأراد المشركون أن يبيعوا رأسه لسلافة بنت سعد وكانت نذرت حين أصيب ابناها يوم أحد إن قدرت على رأسه أن تشرب فيها الخمر فمنعه الدبر نهاراً ، ثم بعث الله الوادي ليلا فاحتمله فانطلق به ، وكان أعطى الله عهدا أن لا يمس مشركا ولا يمسه فمنعه الله بعد موته .

---

(١) حسن الصحابة ٦٦و٢٩٦ ؛ والإصابة ، الترجمه رقم ٤٣٤٠ ؛ والمعارف لابن قتيبة ، ١٦٠ .

(٢٣) عامر بن فهيرة [(١)]

المشروع رشده . المنزوع حسده ، المرفوع جسده ، خدم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه فى الهجرة فلم يكن معه فيها إلا هو والصديق رضى الله عنهما وقد قيل : التصوف استطابة الهلك ، فيما يخطب من الملك ، قتل يوم بئر معونة قال عمرو بن أمية : إنه بعد ما قتل رفع إلى السماء جهاراً حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، وقال الزهرى رحمه الله : التمسوا جسده فلم يقدروا عليه فيرون أن الملائكة عليهم السلام دفنته ، أو رفعته رضى الله عنه .

(١) المعارف لابن قتيبة ، ١٧٦ ؛ وتهذيب التهذيب ٥/ ٨٠ .

(٢٤) عامر بن ربيعة[1]

الزاهد فى العطية والقطيعة ، شهد جميع المشاهد ، وعم بالذكر البقاع والمساجد . تحرز بما أيد به من الفطنة ، عن الوقوع فيما امتحن به غيره من الفتنة ، عاش كريما ، ومضى سليما ، وهو من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، ولما وقعت فتنة عثمان ، رضى الله عنه ، قال لأهله : أوثقونى بالحديد فإنى مجنون ، فلما قتل قال : خلوا عنى الحمد لله الذى شفانى من الجنون وعافانى من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، مات سنة ثلاث وثلاثين .

(١) عامر بن ربيعة بن كعب الغزى ، الإصابة ، الترجمة ٤٣٧٤ ؛ وحلية الأولياء ١/١٧٨ ، وتهذيب ابن عساكر ٧/١٣٥ ؛ وتهذيب التهذيب ٥/٦٢. .

(٢٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب[١]

المستغفر التواب ، الزاهد فى الإمرة والمراتب ، الراغب فى القربة والمناقب ، المتعبد المتهجد ، نزيل الحصباء والمساجد ، طويل الرغبة فى المشاهد ، وقد قيل : التصوف ، الرهبة من العتو ، والرغبة فى العلو ، كان شديد الاتباع للمصطفى صلى الله عليه وسلم فى كل شئ من الأحوال والأفعال والأقوال ، طلب للخلافة بعد مقتل أبيه بشرط أن لايجرى فيها محجم دم . قال جابر رحمه الله : مارأيت أحداً إلامالت به الدنيا أو مال بها ، إلا ابن عمر ، ومكث ستين سنة ، وكان إذا اشتد عجبه بشئ من ماله ، قربه إلى ربه ، ولما نزل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) الآية ، دعا بجارية فقال : واللّه إنى أحبك أنت حرة فاذهبى . وزوجها لبعض مواليه فولدت ولداً فكان يعمد إلى نفسه ويقبله ويقول : واها إنى أجد ريح فلانة يعنى جاريته ، وكان إذا رأى من عبيده من يحسن الصلاة أعتقه فكانوا يحسنونها مراءاة له فيعتقهم فقيل له فيه فقال : من خدعنا فى اللّه انخدعنا له ، وقال : إذا سمعتمونى أقول لمملوك : أخزاك اللّه فاشهدوا أنه حر ، كان ربما تصدق فى مجلس بثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأ كل مافيه مزعة لحم ، وأتته اثنان وعشرون ألف دينار فى مجلس واحد فلم يقم حتى فرقها ، وأعتق ألف إنسان أو أكثر وأعطاه ابن جعفر فى نافع عشرة آلاف دينار فقال : هو حر ، وبعث له معاوية بمائة ألف فما حال عليه الحول وعنده منها شئ ، وكان شديد الورع عديم الطمع كثيراً ما يقول : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصليتم حتى تكونوا كالأوتاد ، ما يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز . وأجتمع جمع عند ابن عامر وهو فى مرضه فأشفق على نفسه من

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٤٨٢٥ ؛ وتهذيب الأسماء ٢٧٨/١ ؛ وطبقات ابن سعد ١٠٥/٤ ـ ١٣٨ ؛ وحلية الأولياء ٢٩٢/١ ؛ وصفة الصفوة ٢٢٨/١ ، ونكت الهميان للصفدى ١٨٣ .

ولايته فقالوا : إنا لنرجو أنك حفرت الآبار ، وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر رضي الله عنه ساكت فقال : ما تقول ؟ فقال : أقول : الخبيث لا يكفر وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا وقد أصبت منها شراً ، وكان من البالغين فى التواضع لايأكل إلا مع المساكين حتى أضر ذلك بيديه . وكان لايأكل طعاما إلا ومعه يتيم ولا يرد سائلا حتى إن المجذوم ليأكل معه وإن أصابعه لتقطر دما ، وأهدى اليه جوارش فقال : ما هذا ؟ قالوا : يهضم الطعام قال ماملأت بطنى منذ أربعين سنة ، فما أصنع به ؟ وكان لا يلبس إلا الخشن فأتى بثوب لين فقال : أحرير هذا ؟ فقيل : لا بل قطن فالبسه فقال : إنى أخاف أن يكون مختالا فخوراً والله لا يحبه ، وما وضع لبنة على لبنة قط ولاغرس نخلة منذ قبض المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن اللباس فقال : البس مالا يزدريك به السفهاء ، ولايعبك فقيل عليه العلماء وما ثمنه ؟ فقال : ما يساوى عشرين درهما يعنى فضة وكان إذا قرأ ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ الآية بكى حتى يرحمه من حضره ، وكان إذا فاتته العشاء فى جماعة أحيى بقية ليلتها ، قال الغزالى رحمه الله : كان ابن عمر رضى الله عنه من زهاد الصحابة وعلمائهم ، وكان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل، وذلك لتفريغ قلبه للعبادة ، وإخراج عدة الشيطان منه حتى إنه جامع ثلاثاً من جواريه فى رمضان قبل العشاء ، وروى ابن عساكر عنه أنه قال : « لقد أعطيت ما أعلم أحدا أعطيه إلا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال معاوية بحضرته : من أحق بهذا الأمر؟ قال : فأردت أن أقول له : أحق منك من ضربك عليه وأباك فخفت الفتنة ، ومن كلامه : ابن آدم صاحب الدنيا بيدك ، وفارقها بقلبك وهمك فإنك موقوف على عملك ، فخذ مما فى يديك عند الموت يأتيك الخبر ، وقال : لا يكون الرجل عالما حتى لايحسد من فوقه ولا يحقر من دونه ولا يبتغى بالعلم ثمنا ، وقال : لايبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى بعد الناس حمقى فى دينه ، قال البر شئ هين : وجه طلق وكلام لين ، وقال : لا يصيب

عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجته عند الله وإن كان عليه كريما ، وقيل مات زيد بن حارثة وترك مائة ألف فقال : هى لم تتركه ، وقال رجل : لا تزال بخير ماأبقاك الله فقال : ثكلتك أمك وما يدريك ما يغلق عليه ابن أخيك بابه ، وقال : أحق ما طهر العبد لسانه ، وقال : الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فأخرج منه فجعل يتقلب فى الأرض ويتفسح فيها ، وكان لا يمر على صاحب بيعة ولامسكين إلا سلم عليه ، وقيل له : هل كان الصحب يضحكون قال : نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبال ، ومر برجل ساقط قال : ما شأنه قالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال : إنا نخشى الله ولانسقط .

(ومن كراماته) أنه خرج فى سفر فبينما هو يسير إذا أسد على الطريق قد حبس الناس فاستخف راحلته ونزل إليه فعرك بأذنه وبعده عن الطريق وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو لم يخف ابن آدم إلا الله لم يسلط عليه غيره » رواه ابن عساكر ، ولما احتضر قال : كان خطب إلى ابنتى رجل من قريش وكان له منى شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق اشهدوا أنى زوجته ، مات بمكة سنة ثلاثة وسبعين بعد قتل ابن الزبير ، بثلاث أشهر رضى الله عنه .

(٢٦) عبد الله بن عمرو بن العاص[1]

كان بالحقائق قائلا ، وعن الأباطيل واللهو مائلا ، ويعانق العمل ويفارق الجدل ، يطعم الطعام ، ويغشى السلام ، وقد قيل : التصوف التخلف بأخلاق الكرام والاستسلام لنوازل الأحكام ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، فبلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : إن لجسدك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقا ورأى فى نومه فى أحد أصبعيه سمنا والآخر عسلا وهو يلعقهما فذكره للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما .

(ومن كلامه) لخير أعمله اليوم أحب إلى من مثيله أعمله مع المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنا كنا معه تهمنا الآخرة دون الدنيا ، واليوم مالت بنا الدنيا وقال : دع ما لست منه فى شئ ولا تنطق فيما لايعنيك وأخزن لسانك كما تخزن رزقك ، وقال : مكتوب فى التوراة : (من تجرأ فجر ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها) وقال : إن هذه النار لتستجير من النار الكبرى أن تعاد فيها . ومر برجل نائم بعد صلاة الصبح فحركه برجله وقال : أما علمت أن الله يطلع فى هذه الساعة إلى خلقه فيدخل ثلة منهم الجنة برحمته ، مات سنة ثلاث أو خمس أو ثمان وستين ، رضى الله عنه .

---

(١) طبقات ابن سعد ، ج ٤ ـ٢/٨ ـ١٣ ؛ والإصابة ، ترجمة رقم ٤٨٣٨ ؛ وحلية الأولياء ٢٨٣/١ ، وصفة الصفوة ٢٧٠/١ ؛ والمغرب فى حلى المغرب ، ج ١ من الجزء الخاص بمصر ٥٤ ـ ٦٤ ؛ تهذيب التهذيب ٣٣٧/٥ .

(٢٧) عبد الله بن مسعود [١]

الكلف بالمعبود ، الشاهد للمشهود ، الحافظ للعهود المعروف بالنسك ، صاحب السوار والسرار ، والسباق والبدر، وقد قيل التصوف ، مشاهد المشهود ، ومراعاة العهود ، ومحاماة الصدور ، جاء رجل إلى عمر رضى الله عنه ، فقال : جئتك من عند رجل يملى المصاحف عن ظهر قلب فغضب وقال : ويحك انظر ماذا تقول وأخذ الدرة فى يده ، قال ما جئت إلا بحق من ؟ قال : ابن مسعود قال : ماأعلم أن أحداً أحق به منه ، وكان من عظماء الصحب وفقهائهم ، استمع المصطفى صلى الله عليه وسلم لقراءته ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، وقال « تمسكوا بعهد عبد الله » وسئل عنه على رضى الله عنه فقال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى به علما .

(ومن أحواله) الدالة على أقواله تحفظه من الأوقات ، وتردده فى الساعات ، وقد قيل : التصوف تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة ، دخل السوق يوماً يبتاع الدراهم فى عمامته فلم يجدها فجعلوا يدعون على سارقها فقال : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها أو جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وخرج يوما من منزله فاتبعه الناس ، فالتفت إليهم وقال : علام تتبعونى فوالله لو تعلمون ماأغلق عليه بابى ماتبعنى منكم رجلان ، وقال : أكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى عمل دنيا ولاآخرة ، وقال : ما دمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع بابه يوشك أن يفتح له ، وقال : ليس العلم بكثرة الرواية بل بالخشية ، وقال : إنى لا أحسب الرجل ينسى العلم للخطيئة يعملها ، وكان لفضول الدنيا من أهل وولد شانئا ولأحواله وأوراده راويًا ، ولما منحه الله

---

(١) والإصابة ، ترجمة رقم ٤٩٥٥ ؛ والبدء والتاريخ ٩٧/٥ وصفة الصفوة ١٥٤/١ ؛ وحلية الأولياء ١٢٤/١ ؛ والبيان والتبيين ٥٦/٢ ، والمعارف لابن قتيبة ٢٤٩ .

من توحيده راجيا ؛ وقد قيل : التصوف حث النفس على النجاء للاعتلاء على الخوف والرجاء ، وقال : ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها والموت اليوم تحفة كل مسلم ، وقال : حبذا المكروهان ، الفقر والموت ، وقال : الرزق يأتى العبد فى أى سيرة سار ، لا تقوى متق تزيده ولا فجور فاجر ينقصه بينه وبين العبد ستر والرزق طالبه ، أخرجه عنه أبوعلى النيسابورى فى فوائده ، وقال : كفى بالرجل إثما أن يقال له : اتق الله فيغضب ويقول : عليك نفسك وقال : ليس الجماعة بكثرة الناس ، بل من معه الحق فهو الجماعة ، وقال : لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولايحل بها حتى يكون الفقر إليه أحب من الغنى والتواضع من الشرف ويكون حامده وذامه عنده سواء ، قال : مامنكم إلا ضيف وماله عارية ، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة ، وقال : الحق ثقيل مرىء والباطل خفيف وبىء ، ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا ، وقال والله ما على الأرض شئ أحوج إلى طول سجن من اللسان ، وقال : أنذركم فضول الكلام فحسب إمرئ ما بلغ له حاجته وقال : إن للقلوب شهوة وإقبالا ، وفترة وإدباراً فاغتنموها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها ، وقال يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أهل الريب من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، وقال : لا يقلدأحدكم دينه رجلا فإن كان ولابد فاقتدوا بالميت فإن الحى لاتؤمن عليه الفتنة ، وقال : تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، وقال : لايكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أسأت لكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أسلموا أن لا تظلموا ، وقال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماء والأرض من نور وجهه ، قال : إن الرجل الدين ليدخل على السلطان فلا يخرج ومعه من دينه شيء ، وقال : ماأصبحت فتمنيت أن أكون على سواها ، رضا بما يفعل الله ، وقال : لو قام رجل بين الركن والمقام سبعين سنة يعبد الله وهو يحب الدنيا ليبعثه الله معها ، ولو أن رجلا عبد الله كذلك وهو يحب ظالما بعثه الله معه ، وقال : خط لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه

خطا وخط خطوطا إلى جانب الخط وخط خطا خارجيا وقال : هنا الإنسان للخط ، وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التى حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا ، وذلك الأمل للخط الخارج ، قال : هذا المرء وهذه الحتوف حوله سوارع إليه والهرم وراء الحتوف والآمل وراء الهرم فهو يؤمل ، والحتوف سوارع إليه فأيما أمر بها أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر إلى الأمل ، وقال : لو سخرت من كلب لخشيت إن أكون كلبا ، وقال : جاهدوا المنافقين بأيديكم فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا فى وجوههم فافعلوا ، ولما مرض عاده عثمان رضى الله عنه فقال : ما تشتكى قال : ذنوبى قال : ما تشتهى قال : رحمة ربى قال : نأمر لك بطبيب قال : الطبيب أمرضنى [١] مات بالكوفة سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين ، رضى الله عنه .

(١) ورد هذا بترجمة أبى الدرداء .

(٢٨) عبد الله بن عباس[1]

مطعم الأناس ، ومكرم الوافدين والجلاس ، قطب الفلاك وعنصر الأملاك ، البحر الذخار ، والعين الخرار ، مفسر التنزيل ، ومبين التأويل وقد قيل : التصوف ، المنافسة فى نفائس الأخلاق ، وقصر النفس على أنفس الأعلاق ، وكان يسمى ترجمان القرآن ، وحبر الأمة ، والبحر لكثرة علمه وكان مجرى الدموع من خده كأنه الشراك البالى وكان فى خديه خطان أسودان من البكاء وشدت إليه الرحال من جميع البلدان ، ودعا له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحكمة وقال له : « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ اللّه يحفظك احفظ اللّه تجده أمامك ، تعرف إلى اللّه فى رخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل اللّه ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن » وحنكه بريقه حين ولد وهم فى الشعب وهو أحد العبادلة الأربعة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحب رواية عن المصطفى وقال : عطاء ما رأيت بيتا قط أكثر علما وخيرا من بيت ابن عباس ، وكان عمر رضى الله عنه يدخله مع أشياخ بدر فى المشورة ويقول : إن له لساناً سئولا وقلباً عقولا وكان يجلس يوما للتفسير ، ويوما للحديث ، ويوما للفقه ، ويوما للشعر ، ويوما للمغازى ، ويوماً لأيام العرب ، ومن كلامه : إن لله عباداً أصمتتهم خشيته من غير بكم ولاصمم وإنهم الفصحاء غير أنهم إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم . وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا اشتاقوا تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، وقال : صاحب المعروف لايقع وإن وقع وجد متكأ ، وقال : الحرمان خير من الامتنان ، وقال : القرابة تقطع ، والمعروف يكفر ولم نر كالمودة ، وقال : لا تمازح سفيها ولا حليما فإن السفيه

---

(١) الإصابة ، ترجمة رقم ٤٧٧٢ ؛ وصفة الصفوة ٣١٤/١ ؛ وحلية الأولياء ٣١٤/١ ؛ وتاريخ الخميس ١٦٧/١ ؛ ونكت الهميان ، ١٨٠ ؛ ونسب قريش ٢٦ ، والشذرات ٧٥/١ ـ ٧٦ .

يؤذيك والحليم يقليك . واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات مأخوذ بالسيئات ، وقال : الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك ، وقال : العالم يرى الغيب ، ولكن من وراء ستر رقيق ، وكان إذا وجد حبة رمان في الأرض أخذها فأكلها فقيل له فيه فقال : بلغنى أنه ليس فى الأرض رمانة إلا تلقح حبه من حب الجنة فلعلها هذه وقال : مكتوب على الجرادة بالسريانية إنى أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى الجراد جند من جنودى أسلطه على من أشاء من عبادى وقال : لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح أى لأن الغلمة تشغل القلب ، وقال : أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى ، وقال : لما ضرب الدرهم والدينار أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال : أنت ثمرة قلبى وقرة عينى بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار ، قال : يأتى على الناس زمان يعرج فيه بعقولهم حتى لاتجد أحداً ذا عقل وقال له معاوية : أنت على ملة على . قال ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأستشاره عمر رضى الله عنه فى توليته حمص رجلا فقال : لايصلح إلا أن يكون رجلا منك قال : فكنه ، قال : لا تنتفع بى لماذا ؟ قال : لسوء ظنى فى سوء ظنك بى ، وسأله : ما الفرق بين الغم والغضب ؟ فقال : مخرجهما واحد واللفظ مختلف ، فمن نازع من يقوى عليه أضمره غضبا ، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا ، وقال : إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف سطوته فقل اللّه أكبر (ثلاثا) أعز من خلقه جميعا اللّه أعز مما أخاف وأحذر ، وأعوذ باللّه الذى لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر فلان وجنده وأتباعه وأشياعه من الجن ، اللهم كن لى جارا من شرهم ، جل ثناؤك وعز جارك ، وتبارك أسمك ولا إله غيرك ، وقال أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أحب إلى من حجة بعد حجة ، وقال ، ذهب الناس وبقى النسناس قيل : ما النسناس ؟ قال : الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس ، ولما وضع بالنعش للصلاة جاء طائر أبيض فدخل فى كفتنه فلم يخرج فالتمس فلم يوجد ولما سوى

عليـه سـمع صـوت لايرى شخصـه ﴿ ياأيتـهـا النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾[١] الآية ، مات بالطائف سنة ثمان وستين ، رضى الله عنه .

(١) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٩) عبد الله بن الزبير[1]

الصحابى ابن الصحابى أمير المؤمنين الصائل بالحق القائل بالصدق فيما جل ودق ، المحنك بريق النبوة ، المبجل بشرف الأمومة والأبوة . السيف الصارم ، الهمام الحازم . مبارز الشجعان ، وحافظ القرآن ، وقد قيل : التصوف التظاهر بالحق على التكاثر بالخلق ، ولد بالمدينة بعد عشرين شهر من الهجرة وهو أول مولود ولد فى الإسلام للمهاجرين فى المدينة ولدته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بقباء ، وأتت به المصطفى صلى الله عليه وسلم فوضعته فى حجره ودعا بتمرة فمضغها ووضعها فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان صواما وصولا للرحم كثير التعبد والمجاهدة مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره ، قال فى الإحياء : كان يطوى ستة أيام ، وكان عظيم الشجاعة جداً ، قال بانوف البكالى : إنى لأجد فى كتاب الله ابن الزبير فارس الخلفاء ، وكان أول ما أفصح به وهو رضيع السيف ، وكان لايضعه من فيه فيقول أبوه : ليكونن لك منه يوم ويوم ، أعطاه المصطفى صلى الله عليه وسلم دمه ليريقه فشربه فعلم صلى الله عليه وسلم فقال : ويل للناس منك وويل لك منهم لا تمسك النار إلا تحله القسم ، ولما مات معاوية تثاقل فى بيعة يزيد فبلغه فكتب إليه بعثت بسلسلة وجامة من فضة ، وقيدين من ذهب وحلفت لتأتينى فيها فمزق كتابه وقال :

ولا ألين لغير الحق أسأله   حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

---

(١) ابن الأثير ٤/ ١٣٥ ؛ وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ١/ ٢١٠ ؛ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٠١ ؛ وحلية الأولياء ١/ ٣٢٩ ، واليعقوبى ٣/ ٢ ؛ وصفة الصفوة ١/ ٣٢٢ ؛ والطبرى ٧/ ٢٠٢ ؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٩٦ ؛ وشذور العقود للمقريزى ، ٦ ؛ وجمهرة الأنساب ١١٣و ١١٤ ؛ والشذرات ١/ ٧٩ ـ ٨٠ .

لضربه بسيف في عز أحب من ضربة بسوط فى ذل ثم فر إلى مكة وأظهر الخلافة فلما مات يزيد بويع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخرسان ولم يخرج عنه إلا الشام ومصر غلبه عليهما مروان ثم ابنه وغزا أفريقية وفتحها ، واستمر بمكة خليفة وعمر الكعبة حتى تغلب عبد الملك بن مروان فجهز لقتاله الحجاج في سبعين ألفا فقتله سنة ثلاث وسبعين فى المسجد الحرام بعد مارمى الكعبة بالمنجنيق ، وصلبه على باب الكعبة وعلق بجانبه كلباً ميتاً ومنع من دفنه مدة ، ومر عليه ابن عمر مصلوب منكس ، فقال : رحمك الله فإنك ما علمت ، صواما قواما وإنى لأرجو ألا يعذبك الله أبداً أخبرنى أبو بكر رضى الله عنه أن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم قال : من يعمل سوءاً يجز به ، وكان له مائة غلام ، يتكلم كل منهم بلغة فيكلم كلا منهم بلغته وكنت إذا نظرت إليه فى أمر دنياه قلت : رجل لم يرد غير الله طرفة عين أو فى أمر أخراه قلت رجل لم يرد الدنيا طرفة عين ، وكان يطيل السجود حتى يسقط الطير على ظهرة يظنه جداراً ، وكان يصلى فى الحجر والمنجنيق يصيب ثوبه فلا يلتفت إليه ، وكان أطلس لا لحية له ، ومن كلامه أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من نفوسهم من صبر على البلاء ، ورضا بالقضاء ، وذكر للنعماء وذل لحكم القرآن ، قتل فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ، وحملت رأسه إلى خرسان ، رضى الله عنه وأرضاه ورضى عنا به ، ولعنة الله على قاتله ، ومن رضى بذلك آمين .

(٣٠) عبد الله بن جحش الأسدى [١]

المقسم على ربه المشتهر بحبه ، أول من عقد له راية فى الإسلام ، شهد بدرا وصاهر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، بأخته زينب وقد قيل : التصوف التماس الذريعة إلى الدرجة الرفيعة ، وهو أول أمير أمره صلى الله عليه وسلم ، وغنيمته أول غنيمة فى الإسلام استشهد بأحد . وكان مجاب الدعوة دعا ربه أن يقتل وأن يمثل به ففعل الكفار به ذلك ، ودفن مع حمزة بأحد ، رضى الله عنهما .

---

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٤٥٧٤ ؛ وإمتاع الأسماع ١/ ٥٥ ؛ وحلية الأولياء ١/ ١٠٨ و ٥/ ١٢٠ ، وحسن الصحابة ٣٠٠ ، و المعارف لابن قتيبة ص ١٦٠

(٣١) عبد الله بن رواحة الأنصارى العقبي[1]

المتفكر عند نزول الآيات ، المتبصر عند تناول الرايات . استشهد بأرض البلقاء . زاهداً في البقاء . راغباً فى اللقاء . وقد قيل : التصوف ، الوطء على جمر الغضا . إلى منازل الأنس والرضا . شهد مع المصطفى صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد إلا فتح مكة وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة كان أول خارج إلى الغزو وآخر قادم وكان أحد الشعراء المجيدين الذابين عن المصطفى صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين . ولما أجمع على الخروج إلى مؤتة أتاه أهله للوداع فبكى فقيل له ما يبكيك قال أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة لكم لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسام يقرأ« وإن منكم إلا واردها » فعلمت أني وارد ولا أدرى كيف الصدور بعد الورود . قاتل هناك أشد القتال حتى قتل شهيداً سنة ثمان من الهجرة رضى الله عنه .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢١٢/٥ ؛ وإمتاع الأسماع ٢٧٠/١ ؛ والإصابة الترجمة رقم ٤٦٦٧ ، وصفة الصفوة ١٩١/١ ؛ وحلية الأولياء ١١٨/١ ؛ وابن عساكر ٣٨٧/٧ ؛ وطبقات ابن سعد ٧٩/٣ القسم الثانى .

(٣٢) عبد الله ذو البجادين[1]

المؤاخى للعمرين ، الأواه التالى المتجرد من العرض الخالى . وضعه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حفرته لما قتل بتبوك وسفح عليه من عبرته . قال : رحمك الله إن كنت لأواها تلاء القرآن ثم استقبل القبلة رافعا يديه يقول : اللهم انى أمسيت عنه راضيا فارض عنه ، فقال ابن مسعود: ليتنى كنت صاحب الحفرة ، رضى الله عنه .

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص ٣٢٢ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٤٧٩٥ ؛ وإمتاع الأسماع ١/٤٧٢ ؛ وسمط اللآلى ٣٦٠ ، والفائق للزمخشرى ١/٣٦ .

(٣٣) عتبة بن غزوان [١]

الزاهد فى الإمرة والسلطان ، والتارك لولاية المدن والبلدان .الشاهد لبيعة الرضوان . شائع الإسلام والإيمان ، له الخطب المشهور فى الدنيا وتصرمها . وتغير الأيام وتلونها . أسلم قديما وهاجر الهجرتين وكان أول من نزل البصرة وهو الذى اختطها . خطب يوما فقال : أيها الناس إن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء . ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء . وإنكم فى دار أنتم متحولون منها فانتقلوا بصالح ما عملتم وأعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وعند الله صغيرا مات سنة أربع أو خمس أو ست أو سبع عشرة عن سبع وخمسين سنة ، رضى الله تعالى عنه .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٩/٣ و ١/٧ ؛ وصفة الصفوة ١٥١/١ ؛ وحلية الأولياء ١٧١/١ ؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٤٩/٧ ، والبلاذرى ٣٥٨ ، وتهذيب الأسماء ٣١٩/١ ؛ وإمتاع الأسماع ٥٧/١ .

(٣٤) عثمان بن مظعون [(١)]

المتقشف المحزون ، كان في العبادة ناسكا ، وفي المحاربة فاتكا ، تعجل المحبوب وتسلى من الهموم والكروب ، فحصل على المطلوب ، وقد قيل : التصوف تشوق الصادى عن الكدر إلى صفاء الورود من غير صدر ، أسلم قديما ومات في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم فرأت أم العلاء عينا تجرى له فذكرته للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله ، ودخل عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم حين مات فانكب عليه يُقبله ودموعه تجرى على خده ، وماتت رقية بنته رضى الله عنها فقال : الحقى بسلفنا الخير أو قال : الصالح عثمان بن مظعون مات بعد سنتين ونصف من الهجرة ودفن بالبقيع .

(١) طبقات ابن سعد ٢٨٦/٣ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٥٤٥٥ ، وصفة الصفوة ١٧٨/١ ؛ وحلية الأولياء ١٠٢/١ ؛ وتاريخ الخميس ٤١١/١ .

(٣٥) عمار بن ياسر أبو اليقظان [١]

المتلئ من الإيمان ، المتثبت حال المحنة والافتتان ، الصابر على الذلة والهوان ، سبق من زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى قتال الطغاة و بقى إلى طعان البغاة ، مع الوصى رضى الله عنه وأرضاه كان له من المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا استأذن البشاشة والترحيب ، والبشارة بالتطييب ، وكان لزينة الدنيا واصعا ، وبنخوة النفس قانعاً ، ولأنصار الدين رافعا ، ولإمام الهدى تابعا وهو أحد الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة ، ولم يزل يدأب لها ويحن إليها حتى لقى الأحبة محمداً وحزبه ، وقد قيل : التصوف تسور السور ، إلى التجلل بالغور ، وناهيك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى شأنه : « عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه » ومر به المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، والكفار يعذبونه وأهله فقال : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ، واستأذن عليه فقال : ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب ، ولما بنى ابن مسعود داره قال له : هلم النظر فنظر إليها فقال : بنيت شديداً ، وأملت بعيداً ، وتموت قريبا مات سنة سبع وثلاثين ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

---

(١) الاستيعاب ، بهامش الإصابة ٢/٤٦٩ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٥٧٠٦ ؛ والطبرى ٦/٢١ ، وحلية الأولياء ١/١٣٩ ؛ وصفة الصفوة ١/١٧٥ .

(٣٦) عمير بن سعد الأنصاري[1]

الأوسي الزاهد العابد ؛ الراكع الساجد ، الحافظ للعهد ، الوافي بالوعد ، الملقن الحفيظ ؛ الخشن الغليظ ؛ جمال الولاه حجة الله على الرعاة يقال له نسيج وحده ، استعمله عمر رضي الله عنه على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فقال ما أراه إلا خائنا فكتب إليه : أقبل بما عندك من الفئ فأخذ جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق فيه إداوته ، وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة على عمر رضي الله عنه : وقد شحب لونه واغبر وجهه وطال شعره فقال عمر رضي الله عنه : ما شأنك ؟ قال : ما ترى من شأني ألست صحيح البنية معي الدنيا أجرها بقرنها !!! فظن عمر رضي الله عنه أنه جاء بمال فقال ما معك ؟ قال : جرابي وقصعتي وإداوتي وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها فما الدنيا إلا تبعا لمتاعي ، قال : جئت تمشي ؟ قال : نعم قال : ما من أحد تبرع لك بداية ؟ قال : ما فعلوا وما سألتهم ، قال عمر رضي الله عنه : بئس القوم خرجت من عندهم ، قال : اتق الله ياعمر قد نهيت عن الغيبة قال فأين بعثتك وأي شئ صنعت ، قال : وما سؤلك جمعت صلحاء البلد فوليتهم جباية المال فجمعوه فوضعته مواضعه قال فما جئتنا بشئ ؟ قال : لا ، قال : جددوا لعمير عهداً قال : والله لا علمت لك ولا لأحد بعدك أبداً ثم انصرف مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه وقيل : في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل : معاوية قال الذهبي : له صحبة ورواية حديث ، رضي الله عنه .

---

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٦٠٣٨ ؛ وصفوة الصفوة ٢٩١/١ ، وحلية الأولياء ٢٤٧/١ .

حرف الميم

(٣٧) مصعب بن عمير الدراى[1]

المحب القارئ ، المستشهد بأحد ، سبق الركب وقضى النحب ، ورغب عن التسوف ، لغلبة الحنين والتخويف ، وقد قيل : التصوف ، طلب التأنيس فى رياض التقديس ، وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل مقدم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ونظر إليه يوم أحد مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال : نظروا إلى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون ، ومر عليه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ميت حين رجع من أحد فوقف عليه أصحابه فقال : أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم ، فو الذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه ، قتل فى يوم أحد أخاه من أمه وأبيه عزيز بن عمير أمام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكان لقى رسول الله فريداً فهجم عليه أخوه مصعب رضى الله عنه حتى جعله قطعا قطعا .

(١) نسبة إلى بنى عبد الدار ، انظر طبقات ابن سعد ٨٢/٣ ، والإصابة ، ترجمة رقم ٨٠٠٤ ، وصفة الصفوة ١٥٢/١ ؛ وأسد الغابة ٣٦٨/٤؛ وحلية الأولياء ١٠٦/١ .

(٣٨) معاذ بن جبل[1]

المحكم للعمل ، التارك للجدل ، مقدام العلماء ، إمام الحكماء ، مطعام الكرماء ، القارئ القانت، المحب الثابت ، المولى المأمون الوفى المصون ، مؤتمن على العباد والمال مصون من الموانع فى الأحوال ، وقد قيل : التصوف مزاولة الأنف فى رياض القدس ، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « معاذ أعلم أمتى بالحلال والحرام » وقال « معاذ أمام العلماء يرتوه » وقال : « له يامعاذ إنى أحبك ، وبعثه عاملا على اليمن فلما قدم قال كيف تركت الناس بعدك قال لا هم لهم إلا هم البهائم ثم قال : فكيف أنت إذا بقيت فى قوم علموا ما جهل هؤلاء وهمهم مثل هم هؤلاء » ومن كلامه : أوصيك بأمرين أن حفظتهما حفظت .إنه لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا . وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر فآثر نصيبك الأخروى على الدنيوى . قال : ما عمل آدمى أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . وقال : ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت . الضحك من غير عجب . والنوم من غير سهر . والأكل بغير جوع ؛ وقيل له : إلا تجمع لك آلة تبنى بها مسجداً ؟ قال : أخاف أن أكلف حمله يوم القيامة على ظهرى ، ولما احتضر نزع نزعا شديدا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يارب احتفنى حتفك فوعزتك أنك تعلم أن قلبى أحبك ، مات مطعونا سنة ثمان عشرة عن خمس وثلاثين سنة تقريبا ، رضى الله عنه .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٢٠ القسم الثانى ، والإصابة ، الترجمة رقم ٨٠٣٩ ؛ وأسد الغابة ٣٧٦/٤ ؛ وحلية الأولياء ٢٢٨/١ ، وصفة الصفوة ١٩٥/١ ؛ وانظر كتابى « إمام العلماء : معاذ بن جبل » ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

(٣٩) المقداد بن الأسود الكندى[1]

السابق إلى الإسلام ، والفارس يوم الحرب والإقدام ظهرت له الدلائل والأعلام فأعرض عن العمالات ، ولازم الجهاد والعبادات ، كان ممن عذبتهم المشركون ، وألبسوهم أدراع الحديد وأصهروهم بالشمس ، وناهيك بقول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : « إن اللّه أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم على والمقداد ، وأبو ذر ، وسلمان » قال ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه شهدت : من المقداد رضى اللّه عنه :مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما فى الأرض ، كان المصطفى صلى اللّه عليه وسلم إذا غضب احمرت عيناه ووجنتاه فأتاه المقداد رضى اللّه عنه ، على تلك الحال فقال : أبشر فواللّه لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، مات رضى اللّه عنه سنة ثلاث وثلاثين عن نحو سبعين سنة خرج له الستة ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه ورضى عنا بهم ، وأدخلنا تحت مددهم وفى زمرتهم .

---

(١) الإصابة ، الترجمة رقم ٨١٨٥ ؛ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٥ ، وصفة الصفوة ١/ ١٦٧ ؛ ؛ وحلية الأولياء ١/ ١٧٢ ، ومجمع الزوائد ٩/ ٣٠٦ .

الطبقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الحمد لله الذى قسم عطاءه بين خلقه فى الظاهر والباطن بإحكام ، فالعارفون أودعهم لطائف سره فهم أهل المحاضر والأفهام ، والعاملون وفقهم لخدمته فهجروا طيب المنام ، ونبه هممهم فاستقاموا وقاموا فى جنح الظلام ، والمحبون أذاقهم لذة قربه وأنسه فشغلهم به عن جميع الأنام ، والصلاة والسلام على سيد الأصفياء ومسود الأولياء الفخام ، وعلى آله وصحبه السادة العظام .

وبعد .. فهذه هى الطبقة الثانية من الكواكب الدرية ، فى تراجم السادة الصوفية ، وهم من مات فى القرن الثانى أو قبيله من التابعين أو الآخذين عنهم المذكورين بالنسك والتعبد ، المعروفين بالتقلل والتزهد ، المعرضين عن الدنيا وغرورها ، المستروحين إلى العبادة وحبورها وهم كثيرون اقتصرنا منهم على نفر من مشاهيرهم وهم مائة وخمسة وستون إنسانا ، رضى الله تعالى عنهم آمين .

حرف الهمزة

إبراهيم بن أدهم ، إبراهيم التيمى ، إبراهيم النخعى ، أسلم الجهنى ، أويس القرنى ، أبو الجوزاء الربعى ، أبوادريس الخولانى ، أبو بكر بن عياش ، أبورجاء العطاردى ، أبو حازم سلمة المخزومى ، أبو عمران الجونى ، أبو عبيدة الخواص ، أبو مسلم الخولانى ، أبو عاصم البصرى ، أبو عثمان الخراسانى ، أبو ريحانة بن مطر ، أبو حبيب البدرى ، أيوب السختيانى ، آمنة الرملية ، أم حسان الكوفية ، أم سفيان الثورى ، أخت الفضيل بن عياض ؛ أمة الله زوجة رباح ، أم هارون ، أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، أم طلق ؛ ألوف الموصلية

آمنة الموصلية ، (حروف الباء) بديل بن ميسرة ، بشر بن منصور ؛ بكر بن عبد الله المزني ، بكر بن عمر الناجي ، بلال بن سعد ، بردة الصريمية ، بحيرة العابدة ، (حرف الثاء) ثابت البناني ، (حرف الجيم) أبو الشعشاء جابر بن زيد ، جعفر الصادق ، (حرف الحاء) الحسن البصري ، الحسن بن صالح الكوفي ، حبيب الفارسي ، حذيفة المرعشي ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، حبيبة العدوية . (حرف الخاء) خالد القسري ، خالد بن معدان ، خيثمة بن عبد الرحمن . (حرف الدال) داود الطائي . (حرف الراء) رباح العبسي ، الربيع ابن خيثم ، الربيع بن راشد ، الربيع بن مرة ، ربعي بن خراش ، رابعة العدوية ، رابعة بنت اسماعيل الشامية ، رقية الموصلية ، ريحانة المجنونة . (حرف الزاى) زر بن حبيش ، زرارة الحرشي (حرف السين) سالم بن عبد الله بن عمر ، سلام ابن أبي مطيع ، سابق المجنون ، سعيد بن المسيب ، سعيد بن جبير ، سفيان الثوري ، سفيان بن عيينة ، سليمان الخواص ، سليمان بن طرخان ، سليمان بن المعتمر ، سليمان بن دينار . (حرف الشين) شعبة بن حجاج ، شريح الكندي ، شقيق البلخي ، شقيق الكوفي ، شميط بن عجلان ، شيبان الراعي ، شعوانة العابدة . (حرف الصاد) صالح المري ، صفوان بن سليم ، صفوان بن محرز ، صلة العدوي . (حرف الضاد) ضيغم بن ملك . (حرف الطاء) طاوس الحميري ، طلحة الهمداني . (حرف العين) عامر بن قيس العنبري . عبد العزيز بن أبي دؤاد ، عبد الله بن ثوب الخولاني ، عبد الله بن غالب ، عبد الله ابن زيد الجرمي ، عبد الله بن عون ، عبد الله بن المبارك ، عبد الله الصوري ، عبد الله العمري . عبد الله بن عمرو الأوزاعي ، عبد العزيز بن سلمان ، عبد الواحد بن زيد البصري ، عبيد بن عمير ، عتبة الغلام ، عروة بن الزبير ، علقمة ابن قيس ، العلاء بن زياد ، على بن الحسين زين العابدين ، على بن الفضيل التميمي ، عمران القصير ، على بن بكار الشامي ، عمر بن عبد العزيز . عمر ابن عتبة الكوفي ، عمرو بن قيس الملاءى ، عون بن عبد الله ، عاتكة الغنوية .

عائشة بنت الصادق ، عبيدة بنت أبى كلاب ، عفيرة البصرية ، عمرة زوجة حبيب . (حرف الفاء) فرقد السبخى ، الفضيل بن عياض ، فتح الموصلى . (حرف القاف) القاسم بن محمد ، قتادة بن دعامة الدوسى . قاسمة بن زهير . (حرف الكاف) كعب الأحبار .(حرف الميم) مالك بن دينار ، مالك بن أنس ، مجاهد بن جبير ، محمد بن سيرين ، محمد القرظى ، محمد بن واسع ، محمد ابن السماك ، محمد بن النضر الحارثى ،محمد بن مسلم الزهرى ، محمد الباقر ، محمد بن المنكدر، محمد بن يوسف الأصبهانى ، مخلد بن الحسين ، مسروق بن عبد الرحمن ، مطرف بن عبد الله ، مسلم بن يسار ، معاوية بن قرة ، المنذر بن مالك ، مورق العجلى ، مسعد بن كدام ، مكحول الشامى ، منصور بن زاذان ، منصور بن المعتمر ، موسى الكاظم ، ميمون بن مهران ، موفقة الموصلية ، ماجدة العدوية ، مريم البصرية ، معاذة العدوية ، ميمونة المجنونة ، ميمونة المصرية ، (حرف النون) الإمام أبو حنيفة ، (حرف الهاء) هارون الأسدى ، هرم بن حبان ، (حرف الواو) وكيع بن الجراح ، وهب بن منبه ، وهيب بن المورد .(حرف الياء) يحيى بن أبى كثير . يحيى بن سعيد القطان ، يزيد بن عبد الله الشخير ، يزيد ابن أبان الرقاشى ، يوسف بن أسباط ، اليمان بن معاوية .

حرف الهمزة

(٤٠) إبراهيم بن أدهم[1]

الحازم الأحزم العارف الأعزم ، كان عن المقطوع المرذول ذاهلا ، وبالمرفوع الوصول متشاغلا ، وكان شرع الرسول منهاجه ، واختياره عليه الصلاة والسلام مزاجه ، ألف الميمون الموصول ، وخالف المفتون المغذول ، وقد قيل : إن التصوف ، التكرم والتظرف ،والتنسم والتنطف ، أصله من أولا ملوك بلخ فخرج يتصيد فهتف به هاتف من قربوس سرجه ما لهذا خلقت ولا به أمرت ، فنزل عن فرسه ونزع ثيابه ، ولبس جبة وساح ، وفى رواية أنه بينما هو يركض فرسه سمع صوتا فوقه ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ ، اتق اللّه وعليك بالزاد ليوم المعاد فرفض الدنيا وعمل للآخرة ، وهام بالبادية ، وفى رواية أنه لما سمع النداء نزل عن فرسه ودفع ثيابه لصياد وأخذ ثياب الصياد ومر هائما فرأى على الأثر إنسانا وقع عن قنطرة فقال له وهو فى الهواء : قف فوقف فى الهواء لا يسقط ولا يصعد حتى وصل إليه فأخذ بيده وألقاه على القنطرة سالما وما ذاك إلا لكمال صدق توبته وعظيم حسن نيته فأعظم بها من كرامة ما أسناها ومرتبة ما أعلاها ، ولقى الخضر عليه السلام بالبادية فعلمه الاسم الأعظم وقال له : لا تدع به على أحد بينك وبينه عداوة فتهلكه فى الدنيا والآخرة واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة واعلم أنه أقرب إليك من حبل الوريد ، ثم دخل مكة وصحب الفضيل وسفيان الثورى ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده كالحصاد وحراسة البساتين ، ومر

---

(١) حلية الأولياء ٧/٣٦٧ ـ ٣٩٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٨١ ؛ والرسالة القشيرية ٩ ؛ وصفة الصفوة ٤/١٢٧ ـ ١٣٢ ؛ والشذرات ١/٢٥٥ ؛ وفوات الوفيات ١/٣ ، ومرآة الجنان ١/٣٤٩ ؛ وتهذيب التهذيب ١/١٠٢ ؛ والسلمى ، ٢٧ ـ ٣٨ .

به جندى ، وهو يحرث كَرْماً فاستطعمه عنبا فأبى فعلاه بالسوط فطأطأ رأسه وقال : اضرب رأسا طالما عصى اللّه فأعجز الرجل منه ، وكان يخلط الدقيق بنحو الثلث رمادا ويعجنه ويقول هيهات أن يقوم أحدنا بقيراط من شكره وكان به علة البطن فقام فى ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة وفى كل مرة يتوضأ ويصلى ركعتين ، وكان يلبس مرقعة زنتها ستون رطلا ونام ليلة عن ورده فتكدر فنودى فى سره كن عبدا لنا تسترح فإن أقمناك قم وإن أنمناك نم وليس لك فى الوسط شىء ، قال الغزالى رحمه اللّه : وكان ابن أدهم والثورى رضى اللّه عنهما يطويان ثلاثا ثلاثا ويأكلان فى الرابع ، قال : وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالمجاهدة ، ولما قدم سفيان الثورى رضى اللّه عنه الرملة أرسل إليه ابن أدهم رحمه اللّه ان تعال فحدثنا فجاءهم فقيل له : تبعث إليه بمثل هذا هكذا قال : أردت أن أنظر كيف تواضعه ، وسئل عن لبس المرقعة فقال : إن قلت اختيارا تكون دعوى ، أو اضطرارا تكون شكوى ولكن لبستها عارية ، وصحبه رجل فلما أراد مفارقته قال : يا إبراهيم إن رأيت فِىَّ عيبا فنبهنى فقال : لم أره فيك لأنى لحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رأيت فاسأل غيرى ، وسمع قارئا يقرأ : إذا السماء انشقت فاضطربت أوصاله وارتعدت ، ومر براعى غنم فقال هل شربة من ماء أو لبن قال أيهما أحب إليك ؟ قال : الماء فضرب بعصاه حجرا فانبجس منه الماء فشرب فبقى متعجبا فقال الراعى : لا تعجب إن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شىء .

(ومن فوائده)ان الرجل الحر الكريم من تخرج نفسه عن الدنيا قبل أن يخرج منها ، وقال : لو علم الملوك مانحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب لجالدونا عليه بالسيوف طلبوا الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم ، وقال : من قال لأخيه : أعطنى من مالك فقال : كم تريد فما قام بحق الأخوة ومن دعاه أخوه إلى حاجة فقال : إلى أين فما قام بحق الصحبة ، وقال : طلب الملوك شيئا ففاتهم وطلبناه فوجدناه ما يجاوز همى كسائى ، وقال : تعلمت

المعرفة من راهب دخلت عليه صومعته فقلت منذ كم أنت هنا قال : منذ سبعين سنة قلت : ما قوتك ؟ قال : ياحنفى حمصة كل ليلة قلت : أتراها تكفيك والبلد بحذائك قال : إنهم يأتونى كل عام يوما فيزينون صومعتى ويعظمونى لذلك ، فكلما تشاغلت عن العبادة تذكرت تلك الساعة فأحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنفى جهد ساعة لعز الأبد ، وقال : ذهب السخاء والكرم والجود فمن لم يواس الناس بذلك فليواسهم ببسط الوجه وحسن الخلق ، وقال : قال لقمان عليه السلام لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا فى الحرب ولا الإخوان إلا عند الحاجة ، وقال من لؤم الرجل أن يرفع يده من الطعام قبل أصحابه ، وقال يوما وهو على جبل هو وأصحابه : يبلغ المؤمن من كرامته على اللّه أن لو قال للجبل تحرك لتحرك فتحرك الجبل فقال : ما إياك عنيت وفى رواية ضربه برجله وقال له : اسكن إنما ضربتك مثلا لأصحابى ، وسافر فى مركب فأشرفت على الغرق فخافوا فسمعوا صوتا من الجو أتخافون وفيكم إبراهيم ؟ وسافر فيه مرة أخرى فأشرفت السفينة على الغرق وأيقنوا به فرفع رأسه وقال : يا حى حين لا حى ، ويا حى قبل كل شىء ، ويا حى بعد كل شىء ، يا حى يا قيوم يا محسن يا مجمل قد أريتنا قدرتك فارنا عفوك فهدأت السفينة فورا وسلموا ، وقال : طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر ، وقال : من تعود أفخاذ النساء لا يجىء منه شىء ، وهاجت ريح عاصفة فى البحر فقال له أهل السفينة : ما ترى هذه ؟ قال : إنما الشدة الحاجة للناس ، وقال له إبراهيم ابن بشار : أذهب اليوم اعمل فى الطين قال يا ابن بشار : إنك طالب ومطلوب ، يطلبك من لاتفوته وتطلب ما يفوتك أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت : إن لى دانقا عند البقال قال : تملك دانقا وتطلب العمل ، ومن مناجاته : اللهم إنى لم آت الذنوب جراءة عليك ولا استخفافا بحقك ، ولكن جرى بذلك قلمك ونفذ به حكمك والمعذرة إليك ، ولقيه جندى بالبادية فقال : دلنى على الديار والمدينة فذهب به إلى المقابر فأوقفه عليها ، وقال : هذه الديار فضربه

على رأسه فأدماه فرفع رأسه ، وقال : اللهم إنى أعلم أنك تؤجرنى وتؤزره فلا تؤجرنى ولا تؤزره ، وبكى رحمة له فعرفه بعد ذلك فجاءه مستغفرا معتذرا فقال له : الرأس التى تحتاج إلى اعتذارك تركته ببلخ !!! أى إن نخوة الشرف وكبر الرياسة كان فى رأسى حين كنت أجول فى ميدان الخيلاء على قوس حب الجاه وزينة الدنيا فى بلخ والآن قد خرج ذلك من رأسى ، وقال وقفت على قبر فانشق عن شيخ خضيب فقال : يا إبراهيم سل فإن الله أحيانى من أجلك قلت : ما فعل بك قال : لقيته بعمل قبيح فقال لى : غفرت لك بثلاث لقيتنى وأنت تحب لى من أحب ، ولقيتنى وليس فى صدرك مثقال درة من حرام ، ولقيتنى وأنت خضيب وأنا استحى من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار ، ثم التأم القبر عليه وقال : إعامل الله يريك العجائب ، وقال سبانا إبليس من الجنة بخطيئة فهل لسبى من راحة حتى يرجع إلى ما سبى منه ، وقال خلا المطاف ليلة فطفت وصرت أقول يارب أسألك الحفظ من المعاصى فهتف بى هاتف : يا إبراهيم أنت تسألنى الحفظ وكل عبادى يسألونى ذلك فإذا حفظتهم من المعاصى فعلى من أتفضل ، وقال ما عى أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول اللهم : احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت رجاؤنا وكان يقول :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقال : إياكم والغرة بالله لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، وقال : أفقر مخزون عند الله فى السماء يعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب ،وسئل عما كان بين على رضى الله عنه ومعاوية فبكى كثيرا ثم رفع رأسه إلى السماء وقال من عرف نفسه اشتغل بها عن غيره ، وقال طلب الناس الدنيا بالرضى والغضب فلم ينالوا منها حاجتهم وإنه من أراد الآخرة كان الناس منه فى راحة وقال لا يقل مع الحق فريد ولا يقوى مع الباطل عديد ، وقال : لا يتم الورع إلا بتسوية كل الخلق فى قلبك والاشتغال عنهم بذنبك ، وعليك بالذكر

من قلب ذليل لرب جليل ، وفكر فى ذنبك وتب إليه يثبت الورع فى قلبك ، وقال : إنما يزول عن قلبك هواك ، إذا خفت من تعلم أنه يراك ، وقال : إنما حجبت القلوب عن الله لكونها أحبت ما أبغضه فمالت للدنيا وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد ، وقال : الصائم القائم المصلى الحاجٌّ الغازى من أغنى نفسه عن الناس ، وقيل له : إن فلانا يتعلم النحو فقال : هو إلى تعلم الصمت أحوج ، وقال احسم الطمع إلا من ربك وتب إلى الله ينبت الورع فى قلبك ، وقال حب لقاء الناس من حب الدنيا وتركهم من ترك الدنيا ، ومن أحب الشهرة لم يصدق الله فى أعماله ، وقال : ما أغفل أهل الدنيا عنا ما فى الدنيا أنعم عيشا منا ، وقال : إذا بات الملوك على اختيارهم فبت على اختيار الله لك وارض به ، وقال كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب ، وقال : كل سلطان لا يكون عادلا فهو واللص ؛ بمنزلة واحدة وكل عالم لا يكون ورعا فهو والذئب بمنزلة واحدة ، وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب سواء ، وقال : مررت براهب فى صومعة على عمود على قلة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته : يا راهب فلم يجب فكررت وقلت : بمن حبسك فى صومعتك إلا أجبتنى ؛ فقال : كم تنوح سميتنى باسم لست له بأهل قلت : ياراهب وإنما الراهب من رهب من ربه ، قلت فما أنت ؟ قال سجان سجنت سبعا ضاريا قلت : ما هو ؟ قال : لسانى إن أرسلته مزق الناس يا حنيفى إن لله عبادا صما سمعا ، بكما نطقا عميا بصرا سلكوا خلال ديار الظالمين ، واستوحشوا مؤانسة الجاهلين ، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص ، وكحلوا أبصارهم بسهر الليل ، فلو رأيتهم وقد نامت العيون وهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم ياحنيفى عليك بطريقهم ، وقال فى بعض الكتب الإلهية : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه ، وقال : أطب مطعمك ولا عليك أن تقوم الليل ولا أن تصوم النهار ، وقال : نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة ، وقال : ما بالنا نشكو فقرنا لمثلنا ولا نطلب كشفه من ربنا ، وقال : اهرب من

الناس كهربك من السباع الضارية ، وقال : لا تجعل بينك وبين الله منعما وعد نعمة غيره مغرما ، وقال : قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث الهم والجزع ، وقال : رأيت ملكا نزل من السماء فسألته لم نزلت ؟ قال : لأكتب أسماء المحبين كمالك بن دينار ، وثابت البنانى ، والسختيانى ، قلت : هل أنا منهم ؟ قال : لا ، قلت فاكتبهم واكتب تحتهم محب المحبين ، قال الساعة أمرت أن أكتب فى أولهم ، وقال : رضينا من أعمالنا بالمعانى ، ومن التوبة بالتوانى ، ومن العيش الباقى بالعيش الفانى ، وقيل له : لم لا تكتب العلم ؟ قال : شغلنى ثلاث ، شكر النعمة ، وخوف العاقبة ، والعمل لما بعد الموت ، وقال : إنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت فمهد لنفسك فإنك لا تدرى متى يفجؤك أمر ربك ، وقال لى : منذ عشرين سنة أطلب أخا إذا غضب على لم يقل إلا الحق فلم أجده ، وقال : أعربنا الكلام فلم نلحن ولحنا فى الأعمال فلم نعرب ، وقال : لا تطمع فى الأنس بالله مع الأنس بالخلق ولا فى الحكم مع ترك التقوى ، وقال : سبحان من نظر إلى من يحب بالوصف الذى يحب فأحبه به ، وقال : اتخذ الله صاحبا ، وذر الناس جانبا قل الله ثم ذرهم ، وقيل له : إنا ندعو فلا نجاب ، والله سبحانه وتعالى يقول ادعونى أستجب لكم ، فقال ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء ، عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتم كتابه فلم تعملوا به ، وزعمتم محبة رسوله وتركتم سنته ، وادعيتم عداوة الشيطان ورافقتموه ، وقلتم : نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وقلتم : نخاف النار ووهبتم أنفسكم لها ، وقلتم : الموت حق ولم تستعدوا له ، واشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم ، وأكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها ، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا فأنى يستجاب لكم ، وقال : لا تنال درجة الصلحاء حتى تجوز ست عقبات ، تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة ، وتغلق باب العز ، وتفتح باب الذل ، وتغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجد ، وتغلق باب النوم ، وتفتح باب السهر ؛ وتغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقر وتغلق باب الأمل ، وتفتح باب

التأهب للموت ، وقال : إن أحببت أن تكون وليا فلا ترغب فى شىء من الدارين وفرغ نفسك لله وأقبل عليه يقبل عليك ، وقال : علامة نور القلب أن يكون أكثر هَم صاحبه العبادة وأكثر كلامه الثناء على الله وحكايات الصالحين ، وقال : أثقل الأعمال فى الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفى بالعمل وفى له بالأجرة ومن لا عمل له لا أجر له ، وقال : إنى أتمنى المرض حتى لا تتوجه على الصلاة فى جماعة ولا أرى الناس ولا يرونى ، وقال مررت بحجر مكتوب عليه : اقلبنى تعتبر فقلبته فوجدت مكتوبا عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم مالا تعمل ، وقال : كن ذنبا ولا تكون رأسا فإن الضربة أول ما تقع فى الرأس ، وقال : لقيت الخضر عليه السلام بمكة فقدم لى قدحا أخضر فيه سكباج وقال لى : كُل فرددته ، فقال : سمعت الملائكة تقول : من سئل ولم يأخذ سأل ولم يعط ، وكان يبول الدم من شدة الوجد ويقول فى بسطه : إن كنت وهبت لأحد من محبيك ما يستريح به فهب لى ، أسند عن جماعة من التابعين وتابعى التابعين أحاديث متعددة ، وروى عن يزيد الرقاشى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ومالك بن دينار ، وعنه أبو إسحاق الفزارى ، وشقيق البلخى وبقية ، قاله الذهبى ووثقه النسائى والدارقطنى ، وقال فى التقريب : صدوق خرج له البخارى فى الأدب والترمذى .

(ومن كراماته) أنه كان فى رفقة فعرض لهم سبع فجاؤه فجاء إلى السبع وقال إن كنت أمرت فينا بشىء فأمضه وإلا فارجع فرجع ، وأراد ركوب سفينة فأبى الملاح إلا أن يأخذ دينارا فصلى ركعتين وقال : اللهم إنهم سألونى ما ليس عندى وهو عندك كثير ، فصار الرمل دنانير فأخذ واحدا ودفعه لهم ولم يأخذ غيره ، ونام يوما فى بستان فأتت حية بطاقة نرجس فصارت تروح عليه بها حتى استيقظ ، مات بالجزيرة سنة اثنتين وستين ومائة وحمل فدفن بصور ، وقبره بها مشهور وقال ابن عساكر : غزا فى البحر ، فمات فيه فدفن فى بعض جزائر البحر فى بلاد الروم ، رضى الله تعالى عنه .

(٤١) ابراهيم التيمي بن يزيد الكوفي[1]

كان سالكا طريق التصوف ، جاريا على منهاج التنسك والتقشف ، مكث أربعين يوما لم يأكل فيها إلا حبة عنب ، وكان يكره الشهرة ويحب الخمول .

(ومن كراماته) أنه خرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحوها فإذا هى حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا .

(ومن كلامه) كفى من العلم خشية الله ومن الجهل أن يعجب الرجل بعمله ، وقال : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، وقال : المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك ، والفاجر إنما يرسل لسانه رسلا رسلا ، وقال : يهلك الناس فى خلتين فضول المال وفضول الكلام ، وقال : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه ، وقال كم بينكم وبين القوم أقبلت عليهم الدنيا فهربوا ، وأدبرت عنكم فاتبعتموها ، وقال : ينبغى لمن يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، ولمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لقوله : « إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين » وقال : أعظم الذنب عند الله أن يحدث العبد بما ستره الله عليه ، وقال : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت وذكر الوقوف بين يديه تعالى ، حبسه الحجاج مغلولا فى سلسلة حتى ضنى جسمه فمات سنة اثنتين وتسعين ، فسمع الحجاج فى نومه قائلا يقول : مات الليلة بحبسك رجل من أهل الجنة فقال : انظروا من مات بالحبس فوجدوه فقال : حلم من الشيطان ، وأمر به فألقى على المزابل ولم

(١) طبقات ابن سعد ؛ وتهذيب التهذيب ١٧٦/١ ؛ وحلية الأولياء .

يبلغ أربعين سنة ، وكان من كبار المحدثين ، أخذ عن أبيه يزيد بن شريك ، والحارث بن سويد ، وعمرو بن ميمون ، وعنه بيان بن بشر ويونس بن عبيد والأعمش وخلق ، وخرج له الستة .

(٤٢) إبراهيم بن يزيد النخعي[١]

العامل العالم ، العابد الزاهد ، كان للعلوم جامعا ولنخوة النفس واضعا ، ترك الصول ، وتبرأ من الحول ، وكان يخفى عمله الصالح خوفا من الشهرة بحيث لا يجلس قط إلى اسطوانة .

(ومن كلامه) : أدركنا الناس وهم يهابون أن يفسروا شيئا من القرآن ، والآن كل من أراد تفسيره جلس إليه ، وقال : إن زمنا صرت فيه فقيها لزمان سوء ، وقال : ما أوتى أحد بعد الإيمان أفضل من الصبر على الاذى . وقال : لا بأس أن تبش إلى الكافر إذا كانت لك إليه حاجة أو بينكما معروف ، ولما احتضر جزع وبكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : الساعة يأتينى رسول ربى فلا أدرى أيبشرنى بالجنة أم بالنار ، ولما دفن قال الشعبى : دفنتم ذلك الرجل الأفقه ، قيل : ومن الحسن قال ومنه ومن أهل البصرة والشام والحجاز. أسند عن جمع من الصحب منهم أبو سعيد الخدرى لكن أكثر رواياته عن التابعين ، وأراد أن يماشى الأعمش فقال الأعمش إن رآنا الناس معا قالوا أعور وأعمش قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال ما عليك أن يسلموا ونسلم قال أحسنت مات سنة بضع وتسعين رضى الله عنه .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٨٨/٦ ـ ١٩٩ ؛ وتهذيب التهذيب ١٧٧/١ ؛ وحلية الأولياء ٢١٩/٤ ؛ وطبقات القراء ٢٩/١ .

(٤٣) أسلم بن زيد الجهنى[1]

قال ابن أدهم رضى الله عنه : لقيته بإسكندرية فقال لى : من أنت يا غلام ؟ قلت : من خراسان ! قال : ما حملك على الخروج من الدنيا ؟ قلت : زهدا فيها ورجاء ثواب الله ! قال : إن العبد لا يتم رجاؤه للثواب حتى يحمل نفسه على الصبر ، وأدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال الأذى والمكاره فإذا كان محتملا لهما أورث الله قلبه نورا قلت : فما هذا النور؟ قال : سراج يكون فى قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ، وقال : إياك إذا صحبت لأخيار ، وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم ؛ وقال : إياك والبخل فقيل : وما البخل ؟ قال : أما عند أهل الدنيا فإن يكون الرجل ضنينا بماله ، وأما عند أهل الآخرة فمن يضن بنفسه عن الله ، ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث قلبه الهدى والتقى ، وأعطى السكينة والوقار ، والعلم الراجح ، والعقل الكامل .

---

(١) السلمى ، ٣٢ ؛ وتهذيب التهذيب ١/٢٦٥ .

(٤٤) أويس بن عامر[١]

وقيل : ابن عمرو القرنى المرادى من بني قرن خير التابعين وسيد العباد . وعلم الأصفياء والأولياء من الزهاد روى عن عمر وعلى ، وعنه ابن أبى ليلى وغيره ، سكن الكوفة قال ابن عدى : صدوق ثقة ونعته كما أخرجه أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا أنه أشهل ، ذو صهوبة ، بعيد ما بين المنكبين . معتدل القامة آدم يضرب بذقنه إلى صدره ؛ واضع يمينه على يساره ، يتلو القرآن ذو طمرين من صوف ، مجهول فى الأرض ، معروف فى السماء ، وتحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ، يقال للعباد يوم القيامة : ادخلوا الجنة ، ويقال له : قف فاشفع فيشفع فى عدد ربيعة ومضر، وفيه « ياعمر ويا على إذا لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما » وفيه « إنهما طلباه عشر سنين حتى لقياه بعرفة فسلما عليه وقالا له : من الرجل ؟ قال : راعى إبل وأجير قوم قالا : لسنا تسألك عن ذلك ما اسمك قال عبد الله قالا : قد علمنا أن أهل السماء والأرض كلهم عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك ؟ قال : يا هذان ما تريدان منى ؟ قال : وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى وقد عرفنا الشهولة والصهوبة ثم نظر منكبيه فرأيا اللمعة ، فقالا : استغفر لنا قال ما أخص بالاستغفار أحدا ولكن للمؤمنين والمؤمنات فمن أنتما ؟ قال على كرم الله وجهه : أما هذا فعمر أمير المؤمنين وأما أنا فعلى فاستوى أويس قائما ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ويا ابن أبى طالب فجزاكما الله عن هذه الأمة خيرا ثم عرض عليه عمر رضى الله عنه كسوة ونفقه فقال : ما أصنع بهما أما ترى على

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/١١١؛ وتاج العروس ٤/١٠٢؛ وابن عساكر ، ٣/١٥٧ ؛ وميزان الاعتدال ١/١٢٩ ؛ وحلية الأولياء ٢/٧٩؛ ولسان الميزان ١/٤٧١ ؛ وتهذيب التهذيب ١/٣٨٦ ، والسلمى ، ٤٤٢ والحاشية ب .

إزارا ورداء من صوف متى ترانى أخرقهما ؟ وأخذت من رعايتى أربعة دراهم متى ترانى آكلها ، إن بين يدى ويديك عقبة كئودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول فضرب عمر رضى الله عنه بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ، ياليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها ، ألا من يأخذها بما فيها ، أهو وكان لباسه مايجده على المزابل من الخرق فيلتقطها فيغسلها فى الفرات ، ويلفق بعضها إلى بعض ، وكان يتقوت مما يلتقطه منها من الكسر ونحوها فيأكل بعضها ويتصدق ببعضها ويقول : اللهم إنى أبرأ إليك من كل كبد جائع اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به فنبحه يوما كلب على مزبلة فقال له أويس رضى الله عنه : كل مما يليك وأنا آكل مما يلينى إن دخلت الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير منى . وكان أهله يقولون : هو مجنون وأقاربه به يهزأون والصغار به يولعون وله بالحجارة يرجمون ، فصار لا يراه أحد إلا نحو كل عام مرة فكان شديد المحافظة على إخفاء ، وكان إذا مر بالصبيان فرجموه بالحجارة يقول يا إخوتاه إن كنتم ترونى فارمونى بأحجار صغار لئلا تدمونى فيحضر وقت الصلاة ولا أصب الماء ، وأتاه هرم بن حيان فقال له ما جاء بك قال : جئت لآنس بك فقال له كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ، وقال له رجل : أوصنى فقال : توسد الموت إذا نمت واجعله نصب عينيك إذا قمت ، وقال : الدعاء بظهر الغيب أسلم وأفضل من اللقاء والزيارة ، وقال : لم يدع لى الأمر بالمعروف صديقا ، وقال : لا يبلغ الرجل مقام الخوف حتى يصير كأنه قتل جميع الخلق ، وقال له رجل : أوصنى فقال : فر إلى ربك قال : فمن أين المعاش قال أف لقلوب خالطها الشك يرزقك وأنت مدبر عنه ولا يرزقك وأنت مقبل عليه ، ومر به رجل فقال له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحمد الله قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف هو على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسى وإن أمسى ظن أنه لا يصبح ، إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا وإن علمه بحقوق الله فى ماله لم يترك له مدخرا ، وإن قيامه لله بالحق لم يدع له صديقا ، وقال :

إن هذا القرآن لم يجالسه أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء من الله الذى قضاه شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ، وقال : عليك بذكر الموت فإن استطعت أن لا يفارقك طرفة عين فافعل ، وقال الفارسى : رأيت رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت : من هذا ؟ قالوا : أويس فاتبعته فقلت أوصنى فكلح أى عبس فى وجهى فقلت مسترشدا فأرشدنى أرشدك الله فقال : ابتغ رحمة الله عند طاعته واحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك عنه فى خلال ذلك ، ثم ولى وتركنى ، وفى رواية لابن عساكر أنه قال له : أوصنى فقال : مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم وحواء وإبراهيم ونوح عليهم الصلاة والسلام وصيتى إليك كتاب الله وعليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين وإياك أن تفارق الجماعة ، فتفارق دينك ثم قال : اللهم إن هذا زعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه ما دام فى الدنيا حيا وأرضه باليسير ، ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وقال له رجل : أوصنى فقال : فر إلى ربك ، قال : فمن أين المعاش قال : أف لقلوب خالطها الشك يرزقك وأنت مدبر عنه ولا يرزقك وأنت مقبل عليه ، ومر به رجل فقال له : كيف أصبحت قال : أصبحت أحمد الله قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف هو على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسى وإن أمسى ظن أنه لا يصبح ؟ إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا ، وإن علمه بحقوق الله فى ماله لم يترك له مدخرا وإن قيامه لله بالحق لم يدع له صديقا .

(ومن كلامه) لقلع الجبال بالأبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب ، ولما مات وجدوا معه فى ثيابه أكفانا ووجدوا عنده قبرا محفورا فيه لحد فى صخرة فكفنوه فى تلك الثياب ودفنوه فيه ، وروى سنان بن هارون عن حمزة الزيات حدثنى بشر سمعت زيد بن على يقول قتل أويس رضى الله عنه يوم صفين وفى حديث آخر أنه مات بالحيرة وقال ابن حبان : اختلف فى موته ، فمنهم من

زعم أنه قتل يوم صفين فى رجالة على بين يديه ، وقيل : قتل يوم نهاوند ، ومنهم من زعم أنه مات بجبل أبى قبيس بمكة ، وقيل : مات بدمشق ويحكون فى مرض موته قصصا تشبه المعجزات ، وقد كان بعض أصحابنا ينكرونه فى الدنيا ويرده ما أخرجه أحمد بسند معتبر عن سيد البشر « خير التابعين أويس القرنى » وفى صحيح مسلم نحوه وبه رد ابن عدى وغيره على مالك رضى اللّه عنه إنكاره له ، وقيل : إنه اجتمع بعمر بالموسم وقال له : وددت لو صليت فى الأقصى فجهزه له ثم رجع للكوفة وخرج منها غازيا لأرمينية فأصابه البطن فمات عند أهل خيمة فوجدوا معه جرابا وقعبا فنظروا فى الجراب ثوبين ليسا من ثياب الدنيا وذهبوا ليحفروا له قبرا فوجدوا قبرا مجهزا فى صخرة فدفنوه فيه ، فلما فرغوا من دفنه التفتوا فلم يروا شيئا .

(٤٥) أبو الجوزاء أوس بن عبد اللّه[١]

الربعى المجانب للآراء والأهواء المفارق للتلاعن والأسواء ، ما لعن شيئا قط ، ولا أذى أحدا قط ، ولم يكذب قط ، وكان يواصل سبعة أيام بلياليها ، ثم يقبض على ذراع الشاة فيكاد يحطمها .

(ومن كلامه) نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن ، وقال : الشيطان يأزم بالقلب حتى ما يستطيع صاحبه يذكر اللّه وماله عن القلب طرد إلا قول : لا إله إلا اللّه « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » أسند عن ابن عباس وغيره ، وخرج مع ابن الأشعث فقتل أيام الجماجم .

---

(١) من ربعة الأزد ، تهذيب التهذيب ١/٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٤٦) أبو إدريس الخولاني[1]

الزاهد العابد الرباني ، كان معروفا بالتأله ، مشهورا بالتصوف ، له القبول التام بين الخاص والعام .

(ومن كلامه) : لا يهتك الله ستر عبد وفى قلبه مثقال ذرة من خير ، وقال : ليس بفقيه من لم يعمل بما علم وقال : المساجد بيوت الكرام ، وقال : قلب تقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس فى ثياب نقية ، وقال : إعراب اللسان يقيم جاهك عند الناس وإعراب القلب يقيم جاهك عند الله ، وكان يعلق سوطه في محل تهجده فإذا وجد من نفسه كسلا ضربها به ويقول : أنا أحق بالسوط من الدواب .

(ومن كراماته) أنه كان يمشي على ماء الدجلة ، والناس ينظرونه فلا تبتل رجله ، أسند عن معاذ وغيره .

(٤٧) أبو بكر بن عياش[2]

القارىء الهشاش ، العابد البشاش ، المشهور بالحديث والفقه والتزهد ، المعروف بين الصدر الأول بالتهجد والتجرد ، كان فى القراءة واحدا وفى العبادة شاهدا ، وقيل : إن التصوف اغتراب لا اقتراب ، وانتصاب فى ارتقاب ، قالوا : لم يضع جنبه الأرض أربعين سنة ، ونزل الماء فى إحدى عينيه فأقام

(١) تذكرة الحفاظ ٥٣/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٨٥/٥ ، وحلية الأولياء ١٢٢/٥ ؛ وتهذيب ابن عساكر ٢٠٣/٧ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ٥٠٩ و ٤٥٩٩ ؛ والشذرات ٣٣٤/١ .

عشرين سنة لم يعلم بها أهله .

(ومن كلامه) : مسكين ابن آدم يضيع منه دينار فيظل نهاره يسترجع ، وتقع منه الذنوب فيذهب عمره فلا يحزن عليه ، وقال : أدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى به بلية وحسرة ، وقال من لم يطلب العلم لم يرزق عقلا ، وقال : رأيت عجوزا شوهاء تصفق وخلائق يتبعونها فقال لى : أوه لو ظفرت بك ففعلت بك كهؤلاء قلت : من أنت ؟ قالت : الدنيا ، وختم القرآن ثمانية عشر ألف مرة ، وقال : أود لو كان سببا للصفح عن ذلة واحدة ، وقال : جئت يوما إلى زمزم فاستقيت دلوا فشربت منه لبنا وعسلا ، وقال : الخلق أربعة معذور ، ومخبور ، ومجبور ، ومثبور ، فالمعذور البهائم ، والمخبور ابن آدم ، والمجبور الملائكة ، فإنها جبرت وجبلت على الطاعة ، والمثبور إبليس ، وقال : أدنى نفع السكوت السلامة ، وكفى بها عافية ، وقال : خلص رقبتك فى الدنيا ما استطعت من رق الآخرة فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدا ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائة عن ثلاث وتسعين سنة .

(٤٨) أبو رجاء العطاردى[1]

عمران بن ملحان إمام فاضل ، وصوفى بسهام السنة يناضل ، وافر الديانة والصلاح ، مشكور فى العدو إلى الخيرات والرواح ، نعم وكان من أكابر العباد والفحول ، أدرك أول الدعوة إلى الرسول فأجاب إلى التصديق والقبول وثبت على الإقبال والوصول ، وقد قيل : التصوف قبول الرسول للتوصل إلى الوصول ، وكان يقول : أدركت بحمد الله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم صدرا حسنا كانوا يخافون على أنفسهم النفاق ، قال ابن الجوزى رحمه الله : أسند أبو رجاء عن عمر وابن عباس ، وأم قومه أربعين سنة ، وتوفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه .

(١) الشذرات ١/ ١٣٠ .

(٤٩) أبو حازم سلمة بن دينار[1]

المخزومي المدينى ، الأعرج العابد ، الواعظ الزاهد ، كان فقيه النفس ثقة نبيلا زاهدا كثير العلم كبير القدر عالم المدينة وإمامها ، ورئيسها المقدم وذمامها كان ذا مجد أثيل وقدر يجل عن المثيل ، ورتبة أثيرة ، ومناقب محاسنها كثيرة ، وسماع ورواية وتصوف ودراية ، قال ابن خزيمة : لم يكن فى زمنه أحد مثله ، أدخل على سليمان بن عبد الملك فقال له : يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب ، فقال : كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكآبق يقدم به على مولاه ، وقال له بعض الخلفاء : ما حالك يا أبا حازم ؟ قال : الرضى عن الله والغنى عن الناس .

(ومن كلامه) : كل عمل تكره الموت لأجله فاتركه ثم لا يضرك متى متّ ، وقال : انظر الذى تحب أن يكون معك فى الآخرة فقدمه اليوم والذى تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم ، وقال : لا يكون ابن آدم فى الدنيا على حال إلا ومثله فى العرش على تلك الحالة فقال بعض من سمعه : هذا عظيم ، قال : فنظر الله إليك وأنت مطيع أو عاص أعظم ولو نظر إليك وجوه أهل الأرض أحببت أن يروك على ما تحب دون ما تكره ، فكيف برب العزة الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وقال : لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يعور ما بينه وبين ربه إلا أعور ما بينه وبين العباد ، لمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها ، وقيل له : ما النجاة من هذا الأمر؟ قال : هين لا تأخذ شيأ إلا من حله ، ولا تضعه إلا فى

---

(١) الشذرات ١/٢٠٨ .

حقه وهذا هين لمن أيده الله بالسلامة من الهوى ، وقال له : سليمان : أوصنى قال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك ، وقال له عمر بن عبد العزيز : عظنى فقال له : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك فدعه الآن ، فلعل تلك الساعة قريبة ، مات سنة أربعين ومائة ، رضى الله تعالى عنه .

(٥٠) أبو عمران الجونى[1]

عبد الملك بن حبيب الواعظ اليقظان ، موقظ الوسنان ، ومنفر الشيطان ، وقد قيل : التصوف التيقظ والانتباه ، والتبصر فى رفع التوهم والاشتباه .

(ومن كلامه) لا يغرنكم من الله طول النسيئة ولا حسن الطلب فإن أخذه أليم ، وقال فى وعظه : جعل الله فى قلوبنا وقلوبكم المودة لذكره وجعل فيها أوطارا تحن إليه وأجرى علينا وعليكم المغفرة كما جرت علينا وعليكم الذنوب ، وقال : ليس بين الجنة والنارمنزل لأحد من أخطأته الجنة صار إلى لنار ، وقال : ليت شعرى أى شىء علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار ، وقال : من قرب الموت من قلبه استكثر ما فى يديه ، وقال : لست أجزع من الموت بل أن ييبس لسانى من ذكر الله عند الموت ، وقال : كان لموسى عليه الصلاة والسلام ثلاث بنات فقال : إن بنى إسرائيل سيعرضون عليكن الدنيا فلا تقبلن والقطن السبل فافركنه وكلنه وتبلغن به إلى الجنة ، وقال : مر سليمان بن داود عليه السلام فى موكبه والطير تظله والجن والإنس حوله بعابد من بنى

(١) الشذرات ١/ ١٧٥ .

إسرائيل فقال قد أوتيت يا ابن داود ملكا عظيما ، فقال : لتسبيحة فى صحيفة أفضل مما أوتيت ، ما أوتيته يذهب وتسبيحة تبقى ، وقال : كان سليمان يطعم المجذومين واليتامى النقى ويأكل الشعير ، ولم يترك يوم مات دينارا ولا درهما ، وقال : إذا كان يوم القيامة انقطع كل وصل ليس وصلا فى الله ، وقال : لم ينظر الله قط إلى إنسان إلا رحمه ولو نظر لأهل النار لرحمهم ، لكنه قضى أن لا ينظر إليهم ، وقال : أدركت من أدركت كان يكره أحدهم أن يقول : اللهم اعتقنا من النار لأنه إنما يعتق منها من دخلها ، ويقولون : نستجير بالله من النار نستعيذ به منها ، أسند عن أنس بن مالك ، وأبى برزة ، وجندب وآخرين .

(٥١) ابو عاصم البصرى

عارف كامل ، وإمام عامل ، طلبه الحجاج فلما وقف جماعته بالباب قال لزوجته : ادفعينى فدفعته من ظهره فإذا هو على جبل أبى قبيس وأقام مدة ، فلما حضر سأله عبد الواحد بن زيد ، رضى الله عنه ، كنت تأكل مماذا ؟ قال : الرعيفان اللذان كنت آكلهما بالبصرة قيض الله بإحضارهما عجوزا تأتينى بهما كل يوم وقت فطرى قال عبد الواحد رحمه الله : تلك الدنيا أمرها الله تخدم أبا عاصم .

(٥٢) ابو عبيدة الخواص

المشهور بين العوام والخواص ، المعروف بين السلف الصالح بالاجتباء والاختصاص ، واسمه بين العباد عباد ، وكان إذا غرق فى الوجد اتزر بمئزر

وارتدى بخرقة ، ويقول : واشوقاه إلى من يرانى ولا أراه ، ولم يرفع رأسه إلى السماء سبعين سنة حياء من اللّه وحيرة بما وجد ، مكث أربعين سنة لا يضحك وكان يقبض على لحيته ويبكى ويقول :

هذا ولهى وكم كتمت الولهـا صونا لحديث من هوى النفس لها

(ومن كلامه) عليكم بسيرة السلف الصالح فاهتدوا بهديهم فإنكم في زمن قل فيه الورع وحمل العلم فيه مفسدوه وأحبوا أن يعرفوا بحمله فنطقوا فيه بالرأى ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطأ فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها ، ولذلك كانوا من أشد الناس عذابا .

(٥٣) أبو مسلم الخولانى [١]

العالم الربانى العابد الزاهد العلى البرهان ، التابعى الكبير الشأن ، ريحانة الشام ، وجهبذ الأولياء الفخام ، هاجر فى خلافة الصديق رضى اللّه عنه ، رووى عن عمر ومعاذ وغيرهما ؛ وكان يكثر أن يرفع صوته بالذكر فرآه رجل فقال : مجنون فسمعه فقال : يا ابن أخى ليس هذا بجنون لكنه دواء للجنون .

(وله مناقب غزيرة وكرامات كثيرة) منها أن الأسود العنسى ألقاه فى النار فنجا منها ولم تضره ، ووضعت له جاريته السم فى طعامه فأكله فلم يضره ، وخببت عليه امرأة زوجته فدعا عليها فعميت ، وغزا الروم فكان يعترضهم النهر العظيم فيقول بسم اللّه ويمر بين أيديهم على وجه الماء فيمرون عليه خلفه فلا يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو بعض ذلك فإذا جاوزوا قال

(١) تذكرة الحفاظ ٤٦/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٣٥/١٢ ؛ وحلية الأولياء ١٢٢/٢ ؛ وفوات الوفيات ٢٠٩/١ ؛ واللباب ٣٩٥/١ ؛ وتهذيب ابن عساكر ٣١٤/٧ .

للناس : هل ذهب لكم شيء ، من ذهب له شيء فأنا له ضامن فألقى بعضهم مخلاة عمدا ، فلما جاوز قال مخلاتي وقعت في النهر فقال له : ابتغها فإذا هي تعلقت ببعض أعواد النهر ، ولما كان بأرض الروم بعث سرية ووقت لهم وقتا فأبطأوا عنه فاهتم وجلس يتوضأ وهو يحدث نفسه بأمرهم فوقع غراب على شجرة مقابلة وقال : لا تهتم فإنهم غنموا وترد عليكم يوم كذا قال : من أنت ؟ قال : إرفيائيل مفرح قلوب المؤمنين فجاءوا في الوقت الذى عينه ، وجلس يوما وهو في الروم مع أصحابه فقالوا : نشتهى لحما فلو دعوت ، فقال : اللهم قد سمعت قولهم وأنت على ما سألوا قادر فلما كان إلا أن سمعوا صياح العسكر فإذا بظبى أقبل حتى مر به فوثبوا فأخذوه ، وأقحط الناس في زمن معاوية فقال له : ترى ما حل بالناس فادع اللّه لهم ، فقال : على تغضب أفعل ، فقام وعليه برنس فكشفه عن رأسه ثم رفع يديه فقال : اللهم إنا منك نستمطر وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى فما انصرفوا حتى سقوا ، رواه كله أحمد ، وكان له سبحة يسبح بها فنام وهي في يده فاستدارت فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مسلم ، والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول : سبحانك يامنبت النبات ويا دائم الثبات فقال : هلمى يا أم سلمة وانظرى إلى أعجب الأعاجيب فجاءت والسبحة تدور تسبح بذلك ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، وكان يقال له : حكيم هذه الأمة ، وكان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب نفسه بقضبان كانت عنده ويقول لرجليه أنت أحق بالضرب من دابتى أتظنى أن أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم دوننا واللّه لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا ، وكان إذا وقف على خربة قال يا خربة أين أهلك ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم وانقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة ، ابن آدم ترك الخطيئة اهون من طلب التوبة ، وكان يقول : ما عملت عملا قط أبالى أن يطلع عليه الناس إلا أتانى أهلى والبول والغائط ، قال الغزالى : وهذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه يكره اطلاع الناس عليها سيما ما تختلج به

الخواطر فى الشهوات والأمانى ، أدرك أبا بكر وعمر رضى اللّه عنهما ، وأسند عن معاذ وعبادة ، ومات فى خلافة معاوية أو ابنه .

(٥٤) أبو عثمان الخراسانى

الحاث على التزود للآجلة ، المنفر عن الاغترار بالعاجلة ، كان فقيها كاملا ، وواعظا عاملا ، تزود للارتحال ، وتهيأ للانتقال ، وقد قيل : التصوف تصبر فى الرشاد وتشمر للمعاد وتسابق إلى العباد ، قال : ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام هذه الأمة وقصر آجالهم وشرف رتبهم عند اللّه فقيل له : بم ذلك ؟ قال : بكلمة جرت على ألسنتهم استصعبت على الأمم قبلهم كلمة الشهادة .

(٥٥) أبو ريحانة عبد الله بن مطر

صاحب الأحوال العاليات ، والكرامات الظاهرات ، منها أنه ركب البحر وكان يخيط فيه بإبرة كانت معه فسقطت إبرته فى البحر فقال : عزمت عليك يا رب إلا رددت على إبرتى فظهرت حتى أخذها ، واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج فقال : اسكن أيها البحر ، فإنما أنا عبد حبشى ، فسكن حالا حتى صار كالزيت يختلج .

(٥٦) أبو حبيب البدوى

الراعى العابد الزاهد كان له همة فى اجتهاد وافرة ، وعزمة عن أرباب الدنيا نافرة ، وكان الثورى رضى اللّه عنه يزوره ويتبرك به قال : أتيته لأسلم عليه ولم أكن رأيته فقال : أنت سفيان الذى يقال ؟ قلت : نعم نسأل اللّه بركة ما يقال ، قال : يا سفيان ، ما رأينا خيرا قط الا من ربنا قلت : أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط إلا منه ؟ ثم قال : منع اللّه عطاء منه لك وذاك أنه لم يمنعك من بخل ولا من عدم ، ولكن إنما منعه نظر منه واختبار ثم أقبل على غنيمته وتركنى ، رضى اللّه عنه .

(٥٧) أبو أيوب السختيانى[1]

أعنى ابن كيسان فتى الفتيان ، وسيد العباد والزهاد والرهبان ، كان فقيها محجاجا ، وناسكا حجاجا ، من الخلق آيسا ، وباللّه آنسا ، نعم وكان جهبذ العلماء وسيد الفقهاء الفخماء ، جاء أبو قلابة رضى اللّه عنه إلى الحسن رضى اللّه عنه يستودعه كتبه فقال أودعها سبط الفتيان أبا أيوب ، وذكر عند أبى حنيفة رضى الله عنه فقال : شاهدت منه مقاما عند منبر المصطفى صلى الله عليه وسلم لاأذكر ذلك المقام إلا أقشعر جلدى ، وقيل لأبى أيوب : لم أقللت الحديث عن الحسن رضى الله عنه ، قال : كنت إذا قمت عن مجلسه قال : هذا سيد الفتيان فتركته ، وكان إذا ذكر الحديث بكى حتى يرحمه من حضر ، وحج

(١) الشذرات ١/١٨١ ؛ وتذكرة الحفاظ ١/١٢٢ ـ ١٢٤ ؛ والسلمى ، ص ٤٥٢ .

أربعين حجة ، وكان صديقا ليزيد بن الوليد فلما ولى الخلافة تركه وقال : اللهم أنسه ذكرى .

(ومن كلامه) : لايستوى عبد حتى يكون فيه خصلتان اليأس مما فى أيدى الناس والتغافل عما يكون منهم ، وقال : والله ماصدق عبد الأسرة أن لا يشعر بمكانه . وقال ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا ، وقال : إن قوما يتعمقون ويترفعون ويأبى الله إلا أن يضعهم ، وإن قوما يتواضعون ويأبى الله إلا أن يرفعهم وقال : لا خبيث أخبث من قارئ فاجر ، وقال : الزم سوقك فإنك لاتزال كريما على إخوانك ما لم تحتج إليهم ، وقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال : إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يريد ، وعوتب على طول قميصه فقال : الشهرة فيما مضى كانت فى تطويله وهذا اليوم فى تشميره ، وقال : بينما أنا فى بدايتى أسير فى طريق الشام إذا بأسود يحمل حطبا فقلت : من ربك ؟ فقال : لمثلى يقال هذا ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : إلهى حول الحطب ذهبا فإذا هو ذهب ثم قال : اللهم اردده حطبا فصار حطبا فخجلت منه فقلت : أمعك شئ من طعام فأشار بيده فإذا جام فيه عسل ، وقال : كلوا فليس من بطن نحل فعجبنا فقال : ليس بعارف من يعجب من الآيات فمن عجب منها فهو بعيد من الله ، ومن عَبَدَ الله على رؤية الآيات فهو جاهل به .

(ومن كراماته) أنه كان بطريق مكة فعطش الناس وخافوا فقال لرفقته : أتكتمون علىّ ؟ قالوا : نعم فدعا وحول رداءه فنبع الماء فورا فرووا وسقوا الدواب ثم مر بيده على الموضع فكان كما كان ، وكان مرة بمكة على جبل حراء فعطش رفيقه فغمز برجله الجبل فنبع الماء من تحتها ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة فى الطاعون عن ثلاث وستين سنة ، رضى الله عنه .

(٥٨) آمنة الرملية

ذات الرتب العلية ، والمقامات الكشفية ، كانت من أصفياء العباد ، وأكابر الزهاد ، وكان بشر بن الحارث يتردد إليها ، ومرض فعادته وعنده أحمد ابن حنبل رضى الله عنه ، فقال : من هذه ؟ قال : آمنة قال : سلها تدعو لنا فقالت : اللهم أن بشرا وأحمد يستجيران بك من النار فأجرهما ، فقال أحمد رضى الله عنه : فلما كان الليل نزل على ورقة من الهواء فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد أجرناكما من النار ولدينا مزيد .

(٥٩) أم حسان الكوفية

كانت ذات اجتهاد وعبادة ، وورع وتصوف وزهادة ، وكان سفيان الثورى وابن المبارك رضى الله عنهما وغيرهما يزورونها ، ودخل عليها الثورى رحمه الله مرة فلم ير فى بيتها غير قطعة حصير خلق ، فقال لها : لو كتبت رقعة إلى بعض بنى عمك لغيروا من سوء حالك ، فقالت : يا سفيان قد كنت فى عينى أعظم وفى قلبى أكبر منه ساعتك هذه ، أنى ماأسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها فكيف أسألها من لايقدر عليها ولايحكم ؟ يا سفيان والله ماأحب أن يأتى علىّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله بغيره ، فأبكت سفيان حتى انتحب ويقال : إنه تزوجها ، رضى الله عنه .

(٦٠) أم سفيان الثورى

كانت من أكابر الصالحات قالت له : يابنى أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى ، وقالت له : يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى مشيك وحالك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك .

(٦١) أخت الفضيل[١]

كانت من العابدات الزاهدات ، الورعات الناسكات .

(ومن كلامها) الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهتم بطلب الدنيا فلعله ينشئ لذلك سفرا فيه تعب بدنه وإنفاق ماله ثم لعله لا ينال بغيته ، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته فى حسن نيته حيثما كان من غير أن ينشئ سفرا أو ينفق مالا أو يتعب بدناً ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ، وقالت : ما بيننا وبين أن نرى سفرات السرور ، أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا إلى عبيد يكونون حينئذ ، قال الفضيل رحمه الله : ما رأيت رجلا ولاامرآة قط أطول حزنا منها رحمة الله عليها .

(٦٢) أمة الله زوجة رباح القيسى

كانت على الخير مثابرة ، وللنفس والشيطان غالبة قاهرة ، تقوم الليل كله فإذا مضى ربعه قالت لزوجها : قم ، فإذا لم يقم قامت لنصفه ثم تقول له : قم فإذا لم يقم قامت لثلاثة أرباعه ، ثم تقول له : قم فإذا لم يقم قامت للربع

---

(١) الفضيل بن عياض

الرابع ثم تقول له : قم للصبح فقد مضى عسكر الليل وأنت نائم ، من كان غرني بك يا رباح ، وكانت تأخذ تبنة من الأرض وتقول : والله للدنيا وشهواتها أهون عند الله من هذه ، وكانت إذا صلت العشاء تزينت وتعطرت وتجملت وقالت لزوجها : ألك حاجة فإن قال : لا ، صلت إلى الصبح ، رحمة الله عليها .

(٦٣) أم هـــارون

كانت من العابدات القانتات ، الصابرات على مر المجاهدات ، تأكل الخبز وحده لا قبله ولا بعده وتقول : ماأفرح إلا بدخول الليل فإذا أطلع النهار جاءني الهم والغم إذا دخل السَّحَرْ دخل قلبي الرَّوَحْ ، وكانت إذا كشفت وجهها يضئ كالقمر ، وكانت سواحة فإذا عرض لها الأسد تقول : إن كان لك في رزق فكلني ! فيفر ويولي راجعا ، رحمة الله عليها .

(٦٤) أم البنـــين[1]

أخت عمر بن عبد العزيز ، كانت صوامة قوامة عابدة زاهدة .

(ومن كلامها) أف للبخيل لو كان قميصا ما لبسته ، ولو كان طريقا ما سلكته ، وكانت تتصدق بالكثير ، وتقول الصلة والمواساة أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ ، وكانت تقول : هل نوال الخير إلا باصطناعه ؟ وكانت تعتق في كل جمعة رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله ودخلت عليها عزة فقالت : لها ما يقول كثير .

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فما هذا الدين ؟ فاستحيت وقالت : وعدته قبلة فخرجت منها ، فقالت : أنجزيها له وعلي إثمها ، فأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة ، وكانت إذا ذكرتها

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٣٦٢ .

بكت ، وتقول : ليتنى خرست ولم أتكلم بها .

(ومن كلامها) : ما تحلى المتحلون بشئ أحسن عليهم من عظم مهابة الله فى صدورهم رحمة الله عليها .

(٦٥) أم طــــاق

كانت من العابدات الخيرات الزاهدات ، وكان وردها كل ليلة أربعمائة ركعة ، وسمعت أبنها يقرأ فقالت : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالا .

(ومن كلامها) : النفس ملك إن تبعتها ، ومملوك إن اتبعها، وقالت : ماملكت نفسى مما تشتهى منذ جعل الله لى عليها سلطانا ، رحمها الله .

(٦٦) ألوف الموصلية

كانت من أكابر عُبَّاد الموصل ، تشد إليها الرحال ، خطبها رجل من أشراف الموصل فقالت لرسوله : قل له مايسرنى أنك لى عبد وجميع ما تملكه لى وأنك شغلتنى عن الله عز وجل طرفة عين ، رحمها الله .

(٦٧) أمية بنت أبى المودّع الموصلية

العابدة الزاهدة القانتة الساجدة ، قال رباح : ما رأيت قط مثلها ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : ادخلوا النار ، وأكلوا من النار وشربوا من النار ، وعاشوا ؟ ثم تبكى ، وكانت كأنها حبة على مقلى ، وكانت إذا ذُكرت النار بكت وأبكت ، رحمة الله عليها آمين .

حرف الباء الموحدة

(٦٨) بديل بن ميسرة العقيلى

المخلص العابد ، المجتهد الزاهد ، صوفى أطرب الأسماع بأقواله ، وبلغ المريد نهاية آماله ، وكان مجيداً في تقرير الحقائق ، مرسلا من كلامة ما يخلى القلب الغاسق ، شديد الخوف من الخالق ، بكى حتى ذهب بصره .

(ومن فوائده) من أراد بعمله وجه الله أقبل الله بوجهه عليه ؛ وأقبل بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغيره صرف الله عنه وجهه وصرف قلوب العباد عنه ، وقال : الصيام معقل العابدين ، أسند الحديث عن أنس وغيره من الصحابة ومات سنة ثلاثين ومائة ، رحمة الله تعالى عليه .

(٦٩) بشر بن منصور السليمى[١]

العابد الزاهد ، صوفى ، لو رآه أبو القاسم القشيرى لأقسم بحياته ، ولو أدركه الجنيد لأنس به فى خلواته ، وكان من الذين إذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة ، ولم تفته التكبيرة الأولى قط .

(ومن كلامه) أقل من معرفة الناس فإنك لا تدرى ما يكون ، فإن كان شئ يعنى فضيحة فى القيامة كان من يعرفك قليلا ، وقال : إنى لأذكر الشئ من أمر الدنيا ألهو به عن ذكر الآخرة أخاف على عقلى ، ورؤيت رابعة رضى الله عنها فى النوم فقيل لها : ما فعل ضيغم ؟ قالت : يزور الله متى شاء ، قيل لها : فما فعل ببشر ؟ قالت : بخ بخ أعطى فوق ما يؤمل ، أسند الحديث عن الثورى وغيره .

---

(١) الشذرات ١/٢٩٣ ؛ وحلية الأولياء ؛ وتهذيب التهذيب ١/٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٧٠) بكر بن عبد الله المزنى[1]

الناصح الزكى ، الواثق الغنى ، كان مجاب الدعوة معروفا بالنسك ولزوم الخلوة ، وحيداً فى وصفه ، فريدا فى تقشفه ولطفه ، حسن التربية والأخلاق ، كثير الشفقة على أهل الفاقة والإملاق ، وكانت قيمة ثيابه أربعة آلاف ويجالس المساكين ويحدثهم ، وكان يقول : أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء ، فمات وعليه الدين ، وكان إذا رأى شيخاً قال : هذا خير منى عبد الله قبلى ، وإذا رأى شابا قال : هذا خير منى ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب .

(ومن كلامه) إذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنباً ، وقال : إذا رأيت الرجل موكلا بعيوب الناس خبيراً بها فاعلم أنه مكر به ؛ وقال لا يكون العبد تقيا حتى يكون تقى الطمع تقى الغضب ، وقال : إذا رأيت قبيحا من ناسك فالفظه ، وإذا رأيت حسناً من فاتك فاحفظه ، وقال : لو نادى مناد من السماء لايدخل الجنة منكم إلا رجل واحد ، كان ينبغى لكل إنسان أن يلتمس ذلك الواحد ، ولو نادى أنه لايدخل النار منكم إلا رجل واحد ينبغى لكل أن يعرف ذلك الواحد ، وقال إن الله ليجرع عبده المرارة لما يريد من صلاح عاقبته ، وقال : المرأة توجر ولدها توجر الصبر لصلاحه ، وقال : البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ، قال الغزالى رحمة الله : إنما خاطب به قوما يطلبون التكبر بثياب الصالحين ، وقد قال عيسى عليه الصلاة والسلام : « مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى !! البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية » وقال : « مامن ميت يموت إلا وروحه فى يد ملك الموت فيغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع أهله . فلو قدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل » وقال : حدثت أن الميت يستبشر

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال ص ٤٤ ؛ والسلمى ، ص ٢٨٠ ، والشذرات ١/ ١٣٥ .

بتعجيله إلى المقابر ؛ وقال : كان فيمن قبلكم ملك متمرد فغزاه المسلمون فأخذوه فقالوا : لنذيقه طعم العذاب فجعلوه فى قمقم وأوقدوا عليه ناراً فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً : يا فلان بما كنت أعبدك أنقذونى من النار ، فلم يغنوا عنه فلما لم يغنوا عنه رفع رأسه فقال لا إله إلا اللّه مخلصاً فصب عليه من السماء ماء بارداً فأطفأ النار ، وأحتمل الريح القمقم فجعل يدور بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا اللّه فقذفه اللّه إلى قوم لايعبدونه وهو يقول : لا إله إلا اللّه فأخبرهم بقصته فآمنوا » أسند عن إبراهيم وأنس وجابر وغيرهم

« فائدة » روى ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب أن رجلا من آل عاصم الجحدرى رآه فى النوم بعد موته فقال له : أليس قد مت ؟ قال : بلى ، قال : فأين أنت ؟ قال : فى روضة من الجنة أنا ونفوس أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد اللّه المزنى فنتلاقى أحياء ، كم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال : هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح ، قال : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال : نعلم بها عشية الجمعة ويومها كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمه ، مات سنة ثمان ومائة .

(٧١) بكر بن عمر الناجي

كان فى العبادة سابقاً ، وفى اللياذة صادقا ، إذا وعظ أطرب الأسماع بصوته الحسن ولفظه الفصيح وحيَّر الأفكار بقراءته السريعة وإيراده الصحيح ، قال : « خرج سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام يوما يستسقى فمر بنملة مستلقية رافعة قوائمها إلى السماء تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك ، فأما أن ترزقنا وتسقينا أو تهلكنا ، فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم » وفى رواية « فقد استجيب لكم من شأن النملة » و سمع قارئا يقرأ « وأنذرهم يوم الآزفة » فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل

عليك بعد النذير ، أسند الحديث عن أبى سعيد الخدرى وغيره .

(٧٢) بلال بن سعد[١]

الموفى للعهد ، الصابر على الجهد ، وناهيك بقول ابن المبارك فى شأنه : كان بالشام ومصر كمحل الحسن رضى الله عنه بالبصرة ، وكان يقول : واحزناه على أن لا أحزن ، وقال : لا تكن وليا للّه فى العلانية وعدواً له فى السر ، وقال : يا أهل الخلود ويا أهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتم للخلود والأبد لكنكم تنقلون من دار إلى دار، وقال : ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة ، وقال : رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له أنه من وقود النار ، وقال : لا تنظر إلى صغر الخطيئة لكن انظر من عصيت .

(ومن كراماته) أن الناس خرجوا يستسقون فقام وحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مُقرِّين بالإساءة ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال اللهم إنا سمعناك تقول : ما على المحسنين من سبيل ، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ؟ ، اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ، ورفع يديه فرفعوا أيديهم فسقوا فورا ، أسند عن أبيه عن عبد اللّه بن عمر وعن جابر ، رضى اللّه تعالى عنهم أجمعين .

(٧٣) بدرة الصريمية

كانت من أجلاء العباد ، وأكابر الزهاد بكت حتى عميت ، وكانت إذا قيل لها : كيف أصبحت ؟ تقول : أصبحنا أضيافا منتجعين بأرض غربة ننتظر أجابة الداعى ، وكانت تقوم الليل فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت حزين : هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يامحبوب ، أتراك تعذبنى وحبك فى قلبى ، لا تفعل يا حبيباه .

(١) تهذيب التهذيب ١/٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

(٧٤) بحيرة العابدة

كانت من المجتهدات فى العبادة قد أضر بها الجوع ، تمكث أربعين يوما لا تأكل إلا نحو حمصة ، وكان لها مجلس تذكر فيه ، وإذا تكلمت اضطربت واقشعرت ، وكانت تبكى وتقول : تركتك وأنا رطبة وأتيتك وأنا حشفة ، فأقبل الحشفة على ما كان منها ، وكانت بديعة الجمال .

(ومن كلامها) : إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم واتبعه ، وأحتمل كل ما يرد عليه ، رحمة الله عليها .

حرف الثاء المثلثة

(٧٥) ثابت بن أسلم

الإمام الربانى أبو محمد البنانى[١] المتعبد الناحل ، المجتهد الذابل ، وقد قيل : التصوف محافظة الحرمة ، ومداومة الخدمة ، قال فى الإحياء : كان من أولياء الله ، وقال أنس رضى الله عنه إن للخير مفاتيح وإن ثابتا من مفاتيحه ، وأوصى له بمثل نصيب ابنه فلم يقبله ، وما روى عن الحسن رضى الله عنه أنه أوسع لأحد قط فى مجلسه إلا لثابت ، وكان أعبد أهل زمانه يصوم الدهر كله ويقوم الليل أجمع ولا يمر بمسجد إلا دخله وصلى فيه ركعتين ، وكان إذا مروا بقبره سمعوا منه قراءة القرآن ، وكان قال فى حياته : اللهم إن كنت أعطيت أحداً أن يصلى فى قبره فأعطنى ، فلما دفن سقطت لبنة فأرادوا إخراجها فرأوه يصلى فيه حالا وشهد ذلك من حضر جنازته ، ونقل صاحب الحلية أن صاحب الترجمة كان يسلم على الملكين الكاتبين إذا سلم من صلاة الصبح وإذا سلم من صلاة

(١) نسبة إلى بُنانة ، وهم بنو سعد بن لؤى ـ مولاهم ، خلاصة تهذيب الكمال ٤٨ ؛ والسلمى ،٢٠٧ ؛ والشذرات ١٦١/١ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٧٦ ؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢ ـ ٤ .

المغـرب فما مات حتى كلماه شفاها وصارا يخبرانه عن أحوالهما فى السموات ، وصورة سلامـه عليـهما ، السلام على الملكـين الكريمين الكاتبين الحافظـين ، اكتبا بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمـد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، أعلم أن الله على كل شـئ قـدير ، وأن الله قد أحاط بكل شـئ علما وأحصى كل شـئ عددا ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأشهد أن الجنة وأن النار حق وأن الساعة لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، اللهم إنى وهذا اليوم وهذه الليلة خلقان من خلقك فلا تبتلينى فيه أو فيها إلا بالتى هى أحسن ، ولاترين لى فيه جراءة على محارمك ولا ارتكابا لمعصيتك ولااستخفافا بحق ما أفرطت على ، اللهم انى أعـوذ بك فى هذا اليـوم أو هذه الليلة من الزيغ والزلل ومن البلاء والبلوى ومن الظلم ومن دعوة المظلوم ومن شر شماتة الأعداء ، ومن شر كتاب قد سبق، اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى ولامصيبتى فى دينى ولاتسلط على بذنوبى من لايرحمنى ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

(ومن كلامه) الصلاة خدمة اللّه فى الأرض لو علم شيئا أفضل منها ما قال (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى)[1] وقال : كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة ، واشتكى عينه فقال له الكحال : اضمن لى أن لا تبكى تبرأ عينك ، فقال : لاخير فى عين لاتبكى ولم يفعل ، وقال : ما على أحدكم أن يذكر اللّه كل يوم ساعة فيربح يومه ، وقال : إنى لأعلم حين يذكرنى ربى ، قيل له : كيف ، قال : إذا ذكرته ذكرنى ، وأعلم حين يستجيب لى ، وذلك إذا وجل قلبى واقشعر جلدى وفاضت عيناى وفتح لى الدعاء ، وقال : إن أهل ذكر اللّه ليجلسون إلى الذكر وعليهم من الآثام أمثال الجبال فيقومون لا شئ

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٩ .

عليهم منها وقال : طوبى لمن ذكر الله ساعة الموت وما أكثر عبد ذكره إلا ربىء فى عمله ، وقال : نية المؤمن أبلغ من عمله إنه ينوى أن يقوم الليل ويصوم النهار ويخرج من ماله فلا تشايعه نفسه عليه فنيته أبلغ منه ، وقال : كان داود عليه الصلاة والسلام إذا ذكر الله تخلعت أوصاله لا يشدها إلا الإزر فإذا ذكر رحمته تراجعت ، وقال : ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه تعاليق من كل شئ فقال : ما هذه ؟ قال تعاليق الشهوات التى أصيب بها بنى آدم ، قال : هل لى منها شئ ؟ قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر ، قال : لله على أن لاأملأ بطنى أبداً ، قال إبليس : ولله على ألا أنصح مسلما أبداً ، وقال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتى على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب ، أسند عن ابن عمر ، وابن الزبير وأنس فى آخرين ، مات فى ولاية خالد بن عبد الله ، رضى الله عنه على العراق سنة ثلاث أو سبع وعشرين ومائة .

حرف الجيم

(٧٦) جابر بن زيد[١]

المتسلى بذكره فى الوعورة والوعثاء ، العابد الزاهد أبو الشعثاء ، كان للعلم عينا معينا ، وفى العبادة ركنا مكينا ، وكان مفتى البصرة على عهد الصحابة رضى الله عنهم ، ولقبه عمر رضى الله عنه فى الطواف فقال : يا جابر ، إنك من الفقهاء وإنك تستفتى فلا تفتى إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، وإلا هلكت وأهلكت، فاتَّقِ الله .

(ومن كلامه) : نظرت فى أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن ولاتجهد

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٨/٢ ـ ٣٩ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٥٣ ؛ والسير للشماخى ٧٠ ـ ٧٧ ؛ وتذكرة الحفاظ ٦٧/١ ، وحلية الأولياء ٨٥/٣ ؛ والبداية والنهاية ، ٩٣/٩ ـ ٩٥ .

المال والصوم كذلك والزكاة تجهد المال والحج يجهدهما فرأيت أنه أفضل ، وقال : لا تماكس فى ثلاث ، فى الكراء بمكة وفى ثمن الأضحية ، وفى الرقبة للعتق ، وقال لى ناقة أقف عليها بعرفة ما يسرنى أن لى كل بعير فى الدنيا مكانها ، وقال : إن ملك الموت عليه السلام كان يقبض الأرواح بغير وجع فسببه الناس يلعنوه فشكى إلى ربه ، فوضع الأوجاع ونسى ملك الموت ، أسند عن عمر وابن عباس ، مات سنة ثلاث وتسعين ، ولما دفن قال قتادة : اليوم دُفنَ عالمُ الأرض .

(٧٧) جعفر الصادق[١]

ابن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى اللّه عنهم ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه فكان يقول : ولدنى مرتين ، كان إماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه ، وعروة وعطاء ، ونافع والزهرى ، وعنه السفيانان ومالك والقطان ، خرج له الجماعة سوى البخارى ، قال أبو حاتم : ثقة ، لايسأل عن مثله .

(وله كرامات كثيرة) . ومكاشفات شهيرة ، (منها)أنه سعى به عند المنصور فلما حج أحضر الساعى وأحضره وقال للساعى : أتحلف ؟ قال : نعم ، فحلف فقال جعفر للمنصور : حلّفه بما أراه ؛ فقال : حلّفه فقال : قل : برئت من حول اللّه وقوته والتجأت إلى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا ، فامتنع الرجل ثم حلف فماتم حتى مات مكانه (ومنها) أن بعض الطغاة قتل مولاه فلم يزل ليلته يصلى ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الضجة بموته ، (ومنها) أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبى فى عمه زيد :

(١) نزهة الجليس للموسوى ٢/٣٥ ؛ ووفيات الأعيان ١/١٠٥ ؛ واليعقوبى ٣/١١٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/٩٤ ، وحلية الأولياء ٣/١٩٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/١٠٣ ـ ١٠٥ ، واللباب ٢/٤٤ .

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

قال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، فافترسه الأسد ، (ومنها) ما خرجه الطبرى من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد رضى الله عنه يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فقال : يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا حى يا حى حتى انقطع نفسه ، ثم قال : إلهى إنى اشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلق فاكسنى ، قال الليث رضى اللّه عنه : فما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض يومئذ عنب ، وإذا ببردين لم أر مثلهما فأراد الأكل فقلت : أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمن ، قال : كل ولاتخبىء ولاتدخر ، ثم دفع إلىّ أحد البردين فقلت : لى عنه غنى ، فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، ثم أخذ الخلقين ونزل فلقيه رجل فقال : اكسنى يا ابن رسول اللّه صلى اللّهّ عليه وسلم فدفعهما إليه فقلت : من هذا ؟ فقال : جعفر الصادق (ومنها) أن ابن عمه عبد اللّه بن المحض كان شيخ بنى هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية بغى آخر دولة أراد بنى أمية بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه وأرسلوا لجعفر ليبايعهما فامتنع ، وقال : ليست لى ولالهما أنها لصاحب القباء الأصغر يلعب بها صبيانهم ، وكان المنصور العباسى حاضرا وعليه قباء أصفر فكان كذلك ، وكان مجاب الدعوة فإذا سأل اللّه شيئا لا يتم قوله إلا وهو بين يديه .

(ومن كلامه) : لا يتم المعروف إلا بثلاث أن تصغره فى عينك وتستره وتعجله وقال : إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره ؛ وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه ، وقال لامال أعود من العقل ، ولامصيبة أعظم من الجهل ، ولا مظاهر كالمشاورة إلا وإن اللّه يقول إنى جواد كريم لا يجاورنى لئيم ، وقال : من زعم أن اللّه فى شئ أو من شئ أو على شئ فقد أشرك لأنه لو كان على شئ كان محمولا أو فى شئ كان محصورا ، أو من شئ كان محدثا ، وقيل له : ما بالنا ندعو فلا نجاب قال : لأنكم تدعون من لاتعرفون ، وكان

يلبس جبة تحت ثيابه ويقول : نلبس الجُبَّ لله ونلبس الخز لكم ؛ فما كان لله أخفيناه ومالكم أظهرناه ، قال لأبى حنيفة رضى الله عنه بلغنى أنك تقيس فى الدين وأول من قاس إبليس ، قال : إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصٌ ، وقال : لا تأكلوا من يَدٍ جاعت ثم شبعت وقال : « إذا أذنبت فاستغفر فإنما هى خطايا مطوقة فى أعناق الرجال قبل أن يخلقوا ، وإياك والإصرار ، وقال أوحى الله إلى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن لم يخدمنى فاستخدميه ، قال : لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولاخلة لبخيل ، ولا إخاء لملول ، ولا سؤدد لسيئ الخلق : وقال : كف عن محارم الله وامتثل أوامره تكن عابداً وارض بما قسم لك تكن مسلما ، وأصحب الناس على ما تحب أن يصحبوك تكن مؤمنا ، ولاتصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور فى أمرك الذين يخشون الله وقال : من أراد عزا بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وقال : من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، وقال : حكمة تحريم الربا أن يتمانع الناس المعروف ، وقال : مودة يوم صلة ، ومودة شهر قرابة ، ومودة سنة رحم ثابتة . من قطعها قطعه الله ، وقال : من أدخل قلبه صافى خالص حب الله شغلة عما سواه وقال الغنى والعز يجولان فى قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه فإن يجدوا ارتحلا ، قال : عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى شئ فيوشك أن تكون فى الخمول ، فإن لم توجد فيه ففى التخلى وليس كالخمول فإن لم تكن فيه ففى الصمت فإن تكن فيه ففى كلام السلف الصالح والسعيد من وجد فى نفسه خلوة ، مات مسموما سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله ولد اسمه القاسم ولقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه ، رضى الله عنهم .

حرف الحاء المهملة

(٧٨) حاتم الأصم[1]

المؤثر للأدوم والأعم ، والآخذ فى السنن الأقوم ، تحقق فسكن ، وأيقن فركن ، وقد قيل : إن التصوف التنقى من الشكوك ، والترقى فى السلوك ، اعتزال الناس فى قُبَّةٍ له منذ ثلاثين سنة لايحتاج إلى الناس فى شئ ولايكلمهم إلا جوابا لضرورة .

(ومن كلامه) من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو يتقلب فى رضاء الله ، أولها الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الإخلاص ، ثم المعرفة والأشياء كلها تتم بالمعرفة ، وقال : تعهد نفسك فى ثلاث ، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فانظر سمع الله منك ، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك ، وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب ، من ادعى حب الله بغير ورع فهو كذاب ، ومن ادعى حب الجنة بغير إنفاق فهو كذاب ، ومن ادعى حب رسول الله بغير حب الفقراء فهو كذاب ، وقال رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وآخره الإخلاص وقال : اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها واحذرأن تحرقك ، وقال : من دخل فى مذهبنا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت ، موتا أبيض ، وموتا أسود ، وموتا أحمر ، وموتا أخضر ، فالأبيض الجوع والأسود احتمال الأذى ، والأحمر مخالفة النفس ، والأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض ، وقال : أصل الطاعة ثلاثة ، الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاث ، الكبر ، والحرص ، والحسد . وقال : الكسل عون على الزهد ، وقال له رجل : عظنى ، قال : إن كنت تريد أن تعصى مولاك

---

(١) حلية الأولياء ٧٣/٨ ؛ وصفة الصفوة ١٣٤/٤ ـ ١٣٧ ؛ والرسالة القشيرية ، ٢٠ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٣/١ ؛ وتاريخ بغداد ٢٤١/١ ؛ والشذرات ٨٧/٢ ؛ ومرآة الجنان ١١٨/٢ ؛ والسلمى ٩١ ـ ٩٧

فاعصه فى موضع لايراك ، وأسند عن بعض أتباع التابعين .

(٧٩) الحسن البصرى[1]

حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا ، وقد قيل : التصوف التنقية من الدرن ، والتوقية من الدخن ، والتوفية من البدن للتقبية فى العدن ، كان أبوه من نسان فسبى فهو مولى للأنصار ، ثم صار من رؤوس العباد الأخيار ، صلى الغداه بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان أكثر مشية حافيا ، ومع ذلك له هيبة عظيمة ، وكان أشبه الناس سريرة بعلانية وقولا بفعل ، وإن أمر بأمر كان أول عامل به أو نهى عن شئ كان أترك الناس له ، وكان إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا وإذا تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تخلق إلا له ، وكان كثير البكاء والحزن ما رآه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة ، قال الغزالى رضى الله عنه كان الحسن أشبة الناس كلاما بكلام الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة اتفق العلماء فى حقه على ذلك ، وقال ابن عربى رضى الله عنه : الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله ومن أهل الأسرار والإشارات ، وقال الحافظ : كان يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن وأفصحهم إلا الحسن ، ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح فعدلا إليه فألفياه مفترشا لذقنه ، ظاهر كفه ، وهو يقول يا عجبا لقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل ما الذى ينتظرون .

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال ، ٦٦ ؛ والسلمى ، ٢٥٢ ؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ـ ٢٧٠ ؛ والمعارف لابن قتيبة ، ٤٤٠ ـ٤٤١ ؛ والشذرات ١/١٣٦ ـ ١٣٩ ، وميزان الاعتدال ١/٢٥٤ ؛ وحلية الأولياء ٢/١٣١ .

(ومن كلامه): يحق لمن علم الموت مورده ، والساعة موعده ، والقيامة مشهده أن يطول حزنه ، وقال : لايؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل ، وقال أدركت سبعين بدريا لبأسهم الصوف لو رأيتموهم قلتم مجانين . ولو رأوا خياركم قالوا : مالهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا مايؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، وقال التفكُّر يدعو إلى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه وليس مايفنى وان كثر يعدل ما يبقى ، فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التى قد تزينت بخدعها وغرت بغرورها ، وقال عقوبة العلماء موت القلوب وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقال : هجران الأحمق قربة إلى الله ، وقال : ابن آدم نفسك نفسك إنما هى نفس واحدة إن نجت نجوت وإن هلكَت هلكْت ولم ينفعك من نجا ، كل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار يسير ، وقال : إذا أراد الله بعبد سوءا ختم له بأسوأ عمله ثم توفاه عليه ، وقال جربنا وجرب المجربون فلم نر شيئا أنفع وجدانا ولا أضر فقدا من الصبر ، يداوى الأمور ولايداوى هو بغير ، وسئل أينام إبليس فتبسم ، وقال : لونام لوجدنا راحة ، وقال من انقطع إلى الله فى مسجد للذكر والصلاة أقام الله له الدنيا خادمة ، وقال المقيم فى مسجد مرابط على طاعة الله يدفع الله به وبدعائة البلاء عن العباد والبلاد ، وقال : وددت أنى أكلت أكلة فصارت فى بطنى أجرة فقد قيل : إنها تمكث فى الماء أكثر من ألف عام ، وقال : الدنيا دار عمل من صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها برغبة ومحبة شقى بها وأسلمته إلى مالا صبر له عليه ، وقال غدا كل امرئ بما يهمه ومن هم بشئ أكثر من ذكره ، إنه لا عاجلة لمن لا أجر له ومن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة ، وقال : لو كنت ممن رضى بقتل الحسين رضى الله عنه وعرضت على الجنة ما قبلتها حياء من المصطفى صلى الله عليه سلم ، وقال : عجباً لقوم أمروا بالزاد ونودى بالرحيل فيهم وحبس أولاهم عن أخراهم وهم قعوُد يلعبون ؟ !! ابن آدم السكين تُحد ، والتنور يسجُر ، والكبش يعلف كفى بالتجارب وبتقلب الأيام عظة

ويذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهبت الأيام ، وبقيت الآثام قلائد فى الأعناق ، وقال ماأعطى رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل له : خذه ومثله من الحرص ، وقال : أشد الناس صراخا يوم القيامة رجل سن ضلالة وأتبع عليها ، ورجل سئ الملكة ، ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه ، وقال المؤمن كالعنيزة يكفيه كف من حشف وقبضة من سويق وجرعة من ماء ، والمنافق كالسبع الضارى بلعا بلعا وشرطا شرطا لايطوى بطنه لجاره ولايؤثر أخاه بفضله ، وجهوا هذه الفضول أمامكم ، وقال بذل المجهود فى بذل الموجود منتهى الجود ، قال خَفْقُ النور حول الرجال قلما يثبت له القلوب الحمقاء ، وقال عجبٌ لابن آدم يغسل الخراء بيده مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السماء وقد قال : ﴿ وفى أنفسكم أفلاتبصرون ﴾[1] ، وقال لايغرنك قول من يقول ، المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ، وقال الغزالى رضى الله عنه هذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لاينفع ورأى ناساً فى يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال : إن الله جعل الصوم مضمار العباد ليستبقوا إلى طاعته ولو كشف الغطاء لشغل كل محسن باحسانه وكل مسىء بإساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر ، وقال ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من الموت ، وقال وقد عوتب على تخويفه الناس بمواعظه أن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف ، وقال له رجل : بنيت دارا أحب أن تدخلها وتدعو فدخل فنظرها ثم قال أخربت دارك ، وعمرت دار غيرك ، غرك من فى الأرض ومقتك من فى السماء ، ورأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره ووبخه وقال : أما فى حال هؤلاء الأموات مايكفيك عن تذكُّر الأكل ، ورأى آخر كذلك ، فقال له والله إنك منافق أتأكل بين المقابر !!! ومر بدار بعض المهالبة فقال رفع الطين ووضع الدين ، وقال أدركت أقواما ماتطوى لأحدهم فى بيته ثوب

---

(١) سورة الذاريات : آية ٢١ .

قط ولاأمر فى بيته بصنعة طعام قط ، وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط ، وقال : ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى فى نومه مايحب ثم انتبه وقال رجل : الفقهاء يقولون كذا فقال هل رأيت فقيها إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه ، وقال : بلغنا أن اللّه يقول يا ابن آدم خلقتك وتعبد غيرى ، وتُذكَّر بى وتنسانى إن هذا إلاظلم فى الأرض ، وقال : إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك ، وقال فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذى لب فرحا ، وقال واللّه ما أعز أحد الدرهم إلا أذله اللّه ، وقال رجل : أريد سفرا فأوصنى قال حيثما كنت فأعز أمر اللّه يعزك ، وقال ضحك المؤمن غفلة من قلبه ، وقال الإسلام أن يسلم قلبك للّه ويسلم منك كل مسلم وكل ذى عهد ، وقال : إياكم وماشغل من الدنيا فأنها كثيرة الأشغال لايفتح رجل على نفسه باب شغل ألا يوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرا ، وقال رحم اللّه رجلا لايغره ما يرى من كثرة الناس ، ابن آدم تموت وحدك وتدخل القبر وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك أنت المعنى وإياك يراد ، وقال : بئس الرفيقان الدرهم والدينار لاينفعانك حتى يفارقانك ، وقال ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك ، إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك وقال لاتخالفوا اللّه عن أموه فأن خلافك عنه عمارة دار قضى اللّه عليها بالخراب ، وقال هانوا على اللّه فعصوه ولو عزوا لعصمهم ، وقد سئل عن حديث : « الإيمان الصبر والسماحة » فقال : الصبر عن معصية اللّه والسماحة بأداء فرائضه ، وقال فضل الفعال على المقال مكرمة ، وفضل المقال على الفعال منقصة ، وقال من أقبل بقلبه على اللّه أقبل بقلوب خلقه إليه وقال لو نادى مناد بالمسجد ليخرج أفسق الناس وأقلهم حياء من اللّه ما سبقنى للخروج أحد ، وقال : يستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة والنفس بالصوم والصلاة والمجاهدة والرياضة ، وقال : إذا أذنب عبد ثم تاب لم يزدد من الله إلا قربا ، وهكذا كلما أذنب لأنه دائم السير بذنبه وبغيره حتى يصل للآخرة ، وقال له رجل : إن قلبى قسا فقال :

عليك بمجالس الذكر والإحسان لليتيم ، وقال : أدركت قوما كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله ، وقال طمع العالم فى الدنيا يشينه ويذهب بحرمته من القلوب ، وقال : ذم الرجل نفسه مدح لها ، وقال ليس بأخيك من تحتاج إلى مداراته ، وكان إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا وإذا تكلم تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تُخلق إلا له ، وقال : قد عبد بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا ، وقال أرى رجالا ولاأرى عقولا أسمع أصواتا ولاأدرى أنيسا ، وقال : خصلتان إذا صلُحتا صلُح ماسواهما وإذا فسدتا فسد الركون إلى الظلمة والطغيان فى النعمة ، وقال جمع الله الخير والشر كله فى آية واحدة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية وقال لو علم العابدون إنهم لايرون ربهم يوم القيامة لماتوا ، وقال : من لبس الصوف تواضعا زاده نوراً فى قلبه وبصره ، ومن لبسه إظهاراً للزهد وتكبراً كور فى جهنم مع الشياطين ، وقال : ما كل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يطلب صفاء ومراقبة ، وقيل له : ألا تغسل قميصك ؟ قال الأمر أعجل من ذلك ، وقيل له : ما سبب لبسك الصوف فسكت فقيل له أفلا تجيب قال : إن قلت زهداً زكيت نفسى ، أو فقرا أو ضيقا شكوت ربى ، ولما بلغه موت الحجاج سجد وقال : اللهم عقيرك وأنت قتلته فأمت سنته وأرحنا من عمله الخبيث ، وكان يقول لقاتل المؤمن عمدا فدس اليه عمرو بن عبيد رجلا وقال قل له لايخلو من أن يكون مؤمنا أو كافرا أو منافقا أو فاسقا فإن كان مؤمنا فإن الله يقول ﴿ ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله ﴾ وإن كان كافرا فإنه يقول : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ﴾ الآية ، وإن كان منافقا فإنه يقول : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ الآية وإن كان فاسقا فإنه يقول ﴿ فأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا ﴾ فقال للرجل : من أين لك هذا ؟ قال اختلج فى صدرى ، قال : محال أصدقنى فقال عمرو فقال الحسن عمرو وما عمرو إذا قام بأمر قعد به وإذا قعد بأمر قام به ورجع ، ومناقبه كثيرة مات سنة عشر ومائة ، ورأى بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا

ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض .

(٨٠) الحسن بن صالح الكوفى (١)

الهمدانى الإمام القدوة ، الفقيه الحجة ، كان من العباد الزهاد ، كثير الصدقة والاجتهاد ، ذا حرمة وافرة ، وتربية للمريدين عن الحسن السفارة سافرة ، ودين متين ولطف زائد ، وصلة نفعها على الرائد عائد ، وكان يستحى أن يواجه أحداً بالنصح وإنما يكتب له فى ورقة وكان يتنخم الدم لشدة خوفه من الله ، وإذا أبصر المقابر غشى عليه وإذا بكى سمع صراخه كأهل المصائب .

(ومن كلامه) أن الشيطان يفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير يريد بها بابا من الشر ، وقال : فتشنا الورع فلم نجده فى شئ أقل من اللسان ، وقال : عمل الحسنات يقوى البدن ، وينور الوجه والقلب والبصر والسيآت بالعكس ، وقال : أنا أستحى من الله أن أتكلف النوم وإنما أجلس بين يديه حتى يصرعنى النوم ، وقال : لا يسمى رجل فقيها حتى يفرح إذا زويت الدنيا عنه ، مات سنة أربع وخمسين ومائة عن نحو أربع وخمسين سنة .

(٨١) حبيب الفارسى العجمي (٢)

كان مجاب الدعوة حسن التربية والسياسة ، وافر الهمة والرياسة ، محافظاً على الخلوة لاكتساب الجلوة ، وكان من التجار فحضر مجلس الحسن رحمه الله وهو غافل لا يلتفت إلى شئ مما يقوله الحسن إلى أن التفت إليه الحسن رضى الله عنه يوما فوعظه فخرج عن ما كان يملك وجد واجتهد ، وكان يبكى

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٥ ؛ وتهذيب الكمال والخلاصة ؛ وميزان الاعتدال ١/ ٢٣٠ ، والشذرات ١/٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، وفيها جاءت وفاته سنة ١٦٧ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ١٨٩ ، وحلية الأولياء لأبى نعيم ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

الليل كله فتقول له أمه : ما هذا البكاء فيقول دعينى فإنى أريد أن أسلك طريقا لم أسلكه قبل .

(ومن كلامه) : إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ، وقال : لا تقعدوا فراغا فإن الموت يليكم ، وقال : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه ، وكان يخلو فى بيته ويقول لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح بك ، وعزتك إنك تعلم أنى أحبك .

(ومن كراماته) أن رجلا شكى له دينا فقال : أقترض وأنا أضمن فضمن فطولب عند الأستحقاق فقال لرب الدين : اذهب فان وجدت فى المسجد شيئاً فخذه فذهب فاذا فى المسجد صرة فيها ذلك وزيادة ، وعجبت أمه فذهبت تأتى بنار لتخبزه فأتاه سائل فأعطاه العجين فجاءت فقالت : أين العجين ؟ قال ذهبوا يخبزونه فأكثرت عليه فاخبرها فقالت لابد شئ نأكله فإذا برجل لايعرف جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحما فقالت ماأسرع ما ردوه عليك خبزوه وجعلوا معه لحما ، وكان يحج من بلاد فارس إلى مكة فى الهواء وكان يأخذ متاعاً من التجار فيتصدق فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه فقال يارب ينكسر وجهى عندهم فدخل فإذا هو بجوالق من الأرض إلى سقف البيت مملوءة دراهم فقال : يارب ليس أريد هذا فأخذ حاجته وترك البقية ، وقال له رجل : لى عليك ثلثمائة قال : من أين ؟ قال لى عليك قال اذهب إلى غد ثم قال : اللهم إن كان صادقا فأد إليه وإلا فابتله فى بدنه ، فجئ به محمولا مفلوجا فقال : التوبة فقال : اللهم إن كان صادقا فعافه فكأنما نشط من عقال ، وآذاه رجل وأغلظ فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه فخر ميتاً ، وجزع عند الموت جزعا شديداً وقال أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط وأسلك طريقاً ماسلكته

قط ، وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم أوقف بين يدى اللّه تعالى فماذا أقول ، وكان مشغولا بالتعبد فلم تعرف له رواية رحمه اللّه .

(٨٢) حذيفة بن قتادة المرعشى

العابد الزاهد صوفى أضاء نوره وعظمت مجاهدته ، وتضاعفت أجوره ؛ فصيح العبارة ، مليح الإشارة ، حسن الأخلاق ، جميل الأعراق ،صحب سفيان الثورى وغيره ، وله كلام نافع فى التصوف العبادة .

(فمن كلامه) لو أصبت من يبغضنى على حقيقة فى الله لاأوجبت على نفسى حبه ، وقال : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل عملك فأنت هالك ، وقال : لا تجالس من لم يرخص لك ويعطيك ، وقال : إن أطعت الله فى السر أصلح قلبك شئت أو أبيت ، وقال : لو جاءنى رجل وقال : واللّه ما عملك عمل من يؤمن بيوم الحساب لقلت له ياهذا لاتكفر عن يمينك فإنك لم تحنث ، وقال لجماعته : إنى لأستغفر الله من كلامكم إذا خرجتم من عندى خمسين مرة ، وقال إنما هى أربعة : عيناك . ولسانك . وهواك . وقلبك ، فانظر عينيك لاتنظر بهما إلى مالايحّلّ ، ولسانك لاتقل به شيئا يعلم اللّه خلافه من قلبك ، وقلبك لايكن فيك غلٌ ، ولادغل على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لاتهوى شيئا فمالم تكن فيه هذه الأربع فالرماد على رأسك ، وقال : ثلاث خصال إن كن فيك لم ينزل من السماء خير إلا كان لك فيه نصيب : يكون عملك لله وتحب للناس ماتحب لنفسك ، وهذه الكسرة تحرٌ فيها ماقَدِرْت ، وقال : الخير كله فى حرفين مداراة الخير من حله ، وإخلاص العمل لله حسبك ، وقال : ماأصيب أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه ، وقال : إذا رأيتم الرجل قد جلس ليُجلس إليه فلا تجلسوا إليه ، وقال : ما أعلم من أعمال البر أفضل من لزومك بيتك ، وقال : إياكم وهدايا الفجار ، والسفهاء فإنكم أن قلبتموها

ظنوا أنكم رضيتـم فعلهـم ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائة ، قيل سبع ومائتين ، وكان مشغولا بالرعايـة عن الدراية ، وقد صحب الثورى رضى الله عنه .

(٨٣) حماد بن سلمة[١]

المشـهـور بالإمـامـة ، المعـروف بالاسـتـقـامـة ، كـان لخطيـر الأعـمـال مصطنعا ، وبيسير الأقوات مقتنعا ، وقد قيل : التصوف بذل الروح طول المدة ، وتبديل الروح بالشدة ، وكان عظيم المجاهدة جدا ؛ ولم يُر ضاحكا قط ، قال ابن حيان : وكان من العباد المجابين الدعوة .

(ومن كلامه) : لو قيل لى : إنك تموت غدا ما قدرت أن أزيد فى العمل شيئا ، وقال : من طلب الحديث لغير الله مُكِر به ، وأسند الحديث عن خلق لايحصرون من التابعين بل قيل : وعن أنس وخرج له الجماعة أجمعون ، ومات سنة ثمان وستين ومائة وروى النووى رضى الله عنه بإسناده عن أبى عبد الله التميمى عن أبيه : رأيت حماد بن سلمة فى النوم فقلت : ما فُعل بك ؟ قال : خيراً ، قلت : بماذا قال طالما كدرت ، فاليوم أطيل راحتك وراحة المتقربين من أجلى بخ بخ ماذا أعددت لهم ؟ !!

(٨٤) حماد بن زيد[٢]

الإمام الرشيد ، الآخذ بالأصل الوكيد ، المتمسك بالمنهاج الحميد ، نزل من العلوم بالمحل الرفيع ، وتوصل إلى الوصول بالتصوف المنيع ، واقتبس الآثار عن الأخيار ، وأخذ الأعمال عن الأبرار ، قال عبد الرحمن بن مهدى : ما رأيت أحداً

(١) الشذرات ٢٦٢/١ وفيها توفى سنة ١٦٧هـ ؛ وتهذيب التهذيب ١١/٣ ـ ١٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/٣ ـ ١١ ؛ والشذرات ٢٩٢/١ ، وفيها وفاته سنة ١٧٩ هـ .

أعرف بالسنة منه ، أسند عن خلق كثير من التابعين ، خرج حديثه الأئمة الستة ومات سنة تسع وتسعين ومائة عن إحدى وثمانين سنة .

(٨٥) حبيبة العدوية

العابدة الزاهدة ، كان دأبها إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : إلهى غارت النجوم ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ، فإذا كان السَّحَرُ قالت اللهم هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى هل قبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها على فأعزى ، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبداً ماأبقيتنى ، وعزتك لو انتهرتنى ما برحت من بابك ، ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك .

حرف الخاء المعجمة

(٨٦) خالد بن عبد الله البصرى[١]

صوفى عظيم الرفعة ، بعيد الصيت والسمعة ، أجاد فى السلوك كل الإجادة ، وعمر المريدين بسحائب الإرشاد والإفادة ، كان يقوم الليل ويصوم النهار.

(ومن كلامه) هل منكم من لايحب أن يلقى حبيبه ، فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً كريما ، وقال : المؤمن لا تلقاه إلا فى ثلاث خلاَل ، مسجد يعمره أو بيت يستره ، أو حاجة من أمر دنياه لابأس بها ، وقال : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا، وكلنا أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فعلام تعرجون ، وماعسيتم تنتظرون ، الموت وهو أول وارد عليكم من الله بخير أو شر . فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلا .

---
(١) تهذيب التهذيب ١٠١/٣ .

(٨٧) خالد بن معدان الكلاعى [١]

كان من أكابر العارفين الزاهدين ، العابدين الورعين القانتين ، رفيع الرتب عارفا بالتسليك والأدب ، أخلاقه جميلة ، وأنوار معرفته لغياهب الشكوك مزيله .

(ومن كلامه) مامن عبد إلا وله أربع أعين : عينان في وجهه يبصربهما أمر الدنيا ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، وإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين فى قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب فآمن بالغيب وإذا أراد بعبد غير ذلك تركه على ماهو عليه ثم قرأ ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ الآية ، وقال : خلقت القلوب من طين فهى تلين فى الشتاء ، وقال : لو كان الموت علما يستبق الناس إليه ما سبقنى إليه أحد إلا رجل سبقنى بفضل قوته . وأخذ ابن عبد العزيز بيده وقال : ما علينا ، قال : عليكم أذن سميعة وعين بصيرة ، فأرعد عمر ونزع يده ، أسند عن معاذ وعبادة وأبى ذر وغيرهم ، ومات سنة ثلاث أو أربع ومائة .

(٨٨) خيثمة بن عبد الرحمن الكوفى [٢]

المطعم للإخوان ، المكرم للخلان . كان بالمُنعم واثقا ، وللقائه تعالى تائقا ، وقد قيل : التصوف ، الانتقام من الأغراض للابتغاء من الأعراض .

(ومن كلامه) إذا طلبت شيئا فوجدته فاسأل الله فى ذلك اليوم الجنة فلعله يوم دولتك أو استجيب لك فيه ، ورث مائة ألف ففرقها على الفقراء والفقهاء وأسند الحديث عن عدة من الصحابة ، ومات سنة ثمانين ولأبيه ولجده صحبة .

---

(١) تهذيب التهذيب ١١٨/٣؛ وحلية الأولياء ، والشذرات ١٢٦/١ ؛ وفيها وفاته سنة ١٠٤هـ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٧٨/٣(٣٣٨) .

وستين سنة أعزبَ فقيل له : أما تستوحش ؟ فقال : حالت وحشة القبر بينى وبين وحشة الدنيا وأهلها ، وكان قد ورث من أمه أربعمائة درهم ، فمكث يتقوت بها ثلاثين عاما ، وكان الغالب عليه الحزن .

(ومن كلامه) : إنما شُرع تعلُّم العلم ليعمل به الطالب أولا فأولا فإذا قطع عمره فى تحصيله فمتى العمل ، وقال : علامة كمال الزهد فى الدنيا ترك مجالسة أهلها وعيادتهم إذا مرضوا إلا بنيَّة خالصة عن العلل ، وكان لايتجرأ أن يسأل الله الجنة ويقول : وددت أنى أنجو من النار وأصير ترابا ، وقال له رجل : أوصنى قال : عسكرُ الموتى ينتظرك ، وقال له آخر : أوصنى قال أَقْلِلْ من معرفة الناس ، قال : زدنى قال ارض بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بها مع فساد الدين ، وقال : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم فإن استطعت أن تقدم فى كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ، فتزود لسفرك واقض ماأنت قاضٍ فكأنك بالأمر قد بغتك والسلام ، وقال : لا تمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم ، وسأله رجل أراد تعلم الرمى فقال : الرمى حسن لكنها أيامك فانظر بما تقطعها ، وقال : إن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من الأسد فصغيرهم لا يوقرك وكبيرهم يحصى عليك عيوبك ، وقال : مسكين ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار ، وقال : اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤنة عليك وأكثرهم معونة لك ، وقال : إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل اللذيذ المطيب وتمشى فى الظل فمتى تحب الموت والقدوم على الله ، وأتاه رجل فقال ما حاجتك قال جئت لزيارتك فقال : أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت لكن انظر ماذا ينزل بى أنا إذا قيل لى من أنت فيزار؟ أمن الزهاد أنت لا والله ، أمن العباد ؟ لا والله ، أمن الصالحين ؟ لا والله ، ثم أقبل يوبخ ، نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا ، فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق ، وقال : إنى أستحى من الله أن يرانى أخطو خطوة ألتمس فيها راحة نفسى فى

حرف الدال المهملة

(٨٩) داود بن نصير الطائي[١]

أبو سليمان الفقية الواعي ، البصير الراوي ، العابد الطاوي ، أبصر معتبراً وسبق مبتدراً ، تشمر منتصباً ، وانتظر مرتقبا ، أضناه الغرق ، وأنهاه القلق ، وقد قيل : إن التصوف تَشَمُّر للاستباق ، وتضمُّر للحاق ، وقد أثنى عليه كثير من الأعيان ، فقالوا : كان رفيع المقدار كثير المريدين والأنصار، فسيح الأركان واضح المنهاج ، بحر علمه متراكم الأمواج ، أخذ الحديث عن عبد الملك بن عمير وعروة بن هشام ، والأعمش ، وعنه ابن علية وإسحاق السلولي ، وأبو نعيم ومصعب بن المقدام وجماعة ، قال الذهبي رحمه الله : كان إماما فقيها ذا فنون عديدة ؛ ثم تعبد وآثر الخلوة والوحدة وأقبل على شأنه ، وساد أهل زمانه انتهى ، وقال غيره : كان يحضر مجلس أبي حنيفة رضي الله عنه فقال أبو حنيفة يوما في تقريره ، أما الأدلة فقد أحكمناها فقال له داود رحمه الله : فما بقي ؟ قال : العمل بما علمناه فاعتزله وتزهد وتعبد وانقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلا من الفحول ، هجر الوطن ووقف المواقف التي تهول ، وثبت حيث الأقدام تزل والأحلام تحول ، وأتاه بعض رفقائه في الدرس فقالوا : ياأبا سليمان جفوتنا ، فقال ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شئ استغفر الله ، استغفر الله ثم قام وتركهم ، وقيل : إنما سبب توبته أن امرأة جاءت إلى أبي حنيفة رحمه الله تسأله عن مسألة فأجابها فأعجبت بجوابه ثم قالت : هذا العلم ، فأين العمل ؟ فأثَّر كلامها في قلب داود رحمه الله فاعتزل وتعبد فصار عظيم الشأن علما وعملا وزهداً وورعا ، وكان إذا خرج مشى في الطرق المهجورة البعيدة فيقال له : الطريق من هاهنا أقرب فيقول فِرّ من الناس فرارك من الأسد ، ومكث أربعا

(١) داود بن نصير ، أبو سليمان الطائي ، المتوفى سنة ١٦٥هـ ، تاريخ بغداد ٢٢١/١١ ؛ والسلمي ص ٨٥ ؛ والشذرات ، ٢٥٦/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٠٣/٣ .

الدنيا حتى يخرجنى اللّه منها، وقيل له : لو أصلحت سقف هذا البيت قال : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر ، وقد كان فى سقف مجاهد خشبة مكسورة لم يشعر بها مدة ستين سنة ، وقال : ما خرج أحد من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه اللّه تعالى بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ، وقال : كل نفس ترد على همها فمهموم بخير ومهموم بشر . وقال له رجل : دلنى على رجل أجلس إليه قال تلك ضالة لا توجد ، ورؤى يوماً بشاطئ الفرات واقفا مبهوتا فقيل له : مايوقفك هنا ، قال : أنظر إلى الفُلْك كيف تجرى فى البحر مسخرات بأمره . وكان عامة ليلته لايهدأ يقول : اللهم همك عطل علىّ الهموم وحالف بينى وبين السهاد ، وشوّقني إلى النظر إليك وامنعنى اللذات والشهوات فأنا فى سجنك أيها الكريم . وكان يترنم فى السَّحَر بشئ من القرآن فيرى أن جميع تنعم الدنيا جُمِع فى ترنمه تلك الساعة وكان لايسرج سرجا أبدا . وكان يقول : مانعوِّل إلا على حسن الظن باللّه لاستيلاء التفريط على الأبدان وقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد . ومن طال أمله ضعف عمله وكل آت قريب ، وكل ما شغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، وقال : إن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور وإنما يفرحون بما يقدِّمون ، ويندمون على مايخلفون ، فما عليه أهل القبور ندموا عليه أهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون ، وقيل له : ما تقول فى رجل دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بمعروف ونهاهم عن منكر ؟ قال : أخاف عليه السوط قال : إنه يقوى قال : أخاف عليه السيف قال : إنه يقوى قال : أخاف عليه الداء الدفين العجب ، وكانت النملة تدور فى وجهه طولا وعرضا فلا يفطن لها من الهم والحزن والتفكر . وقال له أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى اللّه عنهما : مارأيت أحداً رضى من اللّه بمثل ما رضيت به ، فقال من رضى بالدنيا كلها عوضا عن الآخرة فقد رضى بأدون مما رضيت ، وقال محمد بن الحسن : كنت إذا جئته أسأله عن المسئلة فإن وقع فى قلبه أنها مما أحتاجه فى أمر دينى أجابنى وإن وقع فى قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم فى وجهى وقال : إن لنا شغلا عن

ذلك ، وقيل له بعد ما انقطع واعتزل : كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه ثم اعتزلتهم ، قال : إذا كنا دهرنا فى جمع الآلات فمتى يكون البناء . وقال : إن ما يبغيه الأكباس ملك لا زوال له وعيش لاموت فيه ، وقال : صم الدنيا وافطر على الموت حتى إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشربة من ماء الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ، ويمكث الناس يترددون فى ظلمة القيامة جياعا عطاشا ما شاء اللّه وأنت ريَّان حتى تدخل الجنة وأنت ريَّان . قال : سبيل الناس كلهم إلى الموت فمن أبغض الدنيا تبتعه ومن أحبها قلته ومن وثق بها خذلته ، فاتق الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ، وقال : لو أملت أن أعيش شهراً لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق ليلا ونهارا ، وبلغه أنه ذكر عند بعض الأمراء فأثنى عليه فقال : إنما نتبلغ سترة بين خلقه ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبداً ، وقال له شعيب بن طلحة أريد : أشترى داراً بقربك ليكثر لقائى لك ، فقال : إن مودة يغيرها قلة اللقاء لمودة مدخولة . وقال ماتت بجوارى ولم يكن لها كبير طاعة فقيل لى : يا داود اطلع فى قبرها فاطلعت فرأيت فيه نوراً عظيماً وفرشا وطيئا وسررا عالية فقلت : بما استوجبت؟ هذا فنوديت : استأنست بنا فى سجدتها فآنسناها فى وحدتها ، وسبب مرض موته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها فأصبح مريضا فدخل عليه إخوانه وهو يبيت على التراب وتحت رأسه لبنة ، فلما مات خرج فى جنازته ألوف حتى ذوات الخدور فقال ابن السماك رحمه اللّه : ياداود سجنت نفسك قبل أن تسجن وحاسبتها قبل أن تحاسب ، وعذبتها قبل أن تعذب فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو وله كنت تنصب فقال ابن عياش وهو على شفير القبر اللهم لاتكل داود إلى عمله فاستحسنوا كلامه ، مات سنة اثنتين وستين ومائة فى السنة التى مات فيها إبراهيم بن أدهم رضى الله عنهما .

حرف الراء المهملة

(٩٠) رباح بن عمرو القيسى

صاحب المجد والفخر ، القانت للّه فى السر والجهر ، كان للدنيا قاليا ومنها هاربا وفى الآخرة راغبا ولها خاطبا ؛ مطرحا للكلف راقيا بهمته إلى أعلى الغرف ، كان إذا دخل المسجد بكى وإذا دخل بيته بكى وإذا دخل الجبانة بكى فيقال له أنت دهرك فى مأتم فيقول : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا ، واتخذ له غلا من حديد فإذا جَنَّه الليل وضعه فى عنقه وتضرع وبكى حتى يصبح ، وقال الحارث بن سعيد : أخذ رباح رضى اللّه عنه بيدى وقال : هلم نبكِ على مر الساعات ونحن على هذا الحال فخرجنا إلى المقابر فلما نظرها صرخ وأغمى عليه فقعدت عند رأسه أبكى فأفاق ، فقال : مايبكيك قلت : ماأرى بك ، قال : لنفسك فابْكِ ثم قال وانفساها وانفساها فغشى عليه وسقط .

(ومن كلامه) شأن العاقل ألا يجعل لبطنه على عقله سبيلا فإن أيام الدنيا قلائل ، وقال : إياكم والإكثار من اللحم فإنه يقسى القلب وقال تحويل جبل من مكانه أسهل من إزالة حب الرياسة إذا استحكم ، وقال : نحت الجبال بالأظفار أسهل من مخالفة الهوى إذا تمكن ؛ وقال : رحم اللّه إخوانا زاروا قبور إخوانهم بقلوبهم وهم فى محاريبهم ، وقال : إذا قال رفيقك قصعتى فليس برفيق حتى يقول قصعتنا ، وقال : كما لاينظر بصر الخفاش نور الشمس لاينظر قلب محب الدنيا نور الحكمة وقال : عليك بمجالس الذكر وحسن الظن بمولاك وكفى بهما خيرا ، وقال : مما أوصى به الخضر موسى عليهما السلام إياك أن تتعلم العلم لغيرك فلا تعمل به فيكون لغيرك نوره وعليك وزره ، وقال : لايبلغ رجل منزلة الصديقية حتى يدع زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام ويأوى

مزابل الكلاب وكان أدمه الملح والخبز ويقول لنفسه أمامك طعام العز والجاه والفرش فى الآخرة .

(٩١) الربيع بن خثيم

المخبت الورع ، المثبت القنع ، الحافظ لسره الضابط لجهره ، المعترف بذنبه المفتقر إلى ربه ، وقد قيل التصوف ، مشارفة السرائر، ومصارفة الظواهر. قال له ابن مسعود رضى الله عنه لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك وانتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الربيع وقال له ابن الكوى : دلّنى على من هم خير منك ، قال : من كان منطقه تذكرا ، وصمته تفكرا ، وسيرْه تدبرا فهو خير منى ، وأقام عشرين سنة لايتكلم بكلمة إلا بكلمة تصعد وقال : من انتظر الناس يرشدونه فقد ضلّ سعيه ، وقال : كن وصى نفسك وإلا هلكت ولا تشعر ، وخرج فى ليلة شاتية وعليه برنس من خز فرأى سائلا فأعطاه إياه ، وتلا ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ الآية ، وكان يصنع الطعام الطيّب كالخبيص ويأتى بجار له مصاب فيطعمه فيقال له : هذا لايدرى مايأكل فيقول : لكن الله يدرى وما كان يتصدق إلا برغيف صحيح ويقول : أستحى أن تكون صدقتى كسرا ، وأصابه فالج فقيل : تداوى ، فقال : التداوى مشروع لكن عن قريب لايبقى المداوى ولا المتداوى ، وقيل له مرة أخرى إلا تداويت فقال : عرفت أن الدواء حق لكن ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع ولهم الأطباء فهل بقى منهم أحد ، وقيل له : ألا تذكر الناس قال : ماأنا عن نفسى براض فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله فى ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم وقيل له: كيف أصبحت قال : ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا ، وكان يبكى حتى تبتل لحيته ويقول : أدركنا أقواما فى جنبهم لصوصا ، وقال من أستغفر الله كثيرا كتب فى راحته آمن من العذاب ، وقال :

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/٢٤٢ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٩٧ .

أكثروا من ذكر الموت الذى لم تذوقوا قبله مثله فإن الغائب إذا طالت غيبته رُجِى مجيئه وانتظره أهله وأوشك أن يقدم عليهم ، وقيل له قد غلا السعر فقال نحن أهون على اللّه من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه ، وجلس على باب داره فجاءه حجر فصك جبهته فشجَّه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول قد وُعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس ببابها حتى أخرجت جنازته ، وقال : كل ما لا يبتغى به وجه اللّه تعالى يضمحل ، وسرق له فرس أعطى فيه عشرين ألفا فقيل له : أدع عليه فقال : اللهم إن كان غنيا فاغفر له وإن كان فقيراً فاغنه ، وكان إذا سجد كأنه ثوب مطروح فيقع الطير عليه ، وكان إذا أتاه سائل قال : أعطوه سكرا فإنى أحبه وكان يكنس الحش بنفسه فقيل له : إنك تكفاه قال : أحب أن آخذ بنصيبى من المهنة ، وكان إذا وجد بالناس غفلة خرج إلى المقابر وقال : كنا وكنتم ثم يحيى هناك الليل كله ، وقالت له بنته : ما لك لاتنام الليل قال : إن أباك يخاف البيات وقد قيل : من خاف البيات لم تأخذه السيئات ، وكان قد حفر فى داره قبرا فإذا وجد بقلبه قساوة دخله واضطجع ومكث ساعة ثم قال : رب ارجعون لعلى أعمل صالحا ثم يقول : يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل أن لاترجع ، مات فى أواخر أيام معاوية ، ولما مات قالت بنية جاره لأبيها : ياأبت الأسطوانة التى كانت فى دار جارنا لاأراها الليلة أين ذهبت ؟ قال : ذاك جارنا العبد الصالح قد مات فكان لطول قيامه فى الصلاة تظنه سارية .

(٩٢) الربيع بن أبى راشد

كان من العلماء الصلحاء الصوفية الأنجاب حتى أنك إذا رأيته قلت : إنه مخمور من غير شراب ، ومن كلامه : حال ذكر الموت بينى وبين ذكر ماأريد ولو فارق ذكره قلبى ساعة لخفت أن يفسد قلبى ، ولولا أن أخالف من قبلى كانت الجبانة سكنى إلى أن أموت ، ورأى مريضا يتصدق بصدقة على جيرانه فقال : الهدايا أمام الزيارة فلم يلبث الرجل أن مات فبكى الربيع وقال : علم أنه لا

ينفعه من ماله إلا ما قدم ، وقال : لولا ما يؤمل المؤمنون من كرامة الله لهم بعد الموت لانشقت فى الدنيا مرائرهم ولتقطعت أجوافهم ،أسند عن سفيان الثورى وغيره .

(٩٣) الربيع بن عبد الرحمن

ويعرف بالربيع بن مرة ، صوفى عرفانه معروف وصفاء مورده موصوف ؛ نعم من أكابر العباد وأعاظم الزهاد .

(ومن كلامه) رضيت لنفسك وأنت الحول القلب أن تعيش عيش البهائم نهارك هائم وليلك نائم والأمر أمامك جد ، وقال : نصب المتقون الوعيد أمامهم فنظرت إليه قلوبهم بتصديق وتحقق ، فهم فى الدنيا منغصون ، وإلى الآخرة متطلعون ، وقال : قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال ، فنحن فى الدنيا حيارى لاننتبه من رقدة إلا أعقبتنا فى أثرها غفلة .

(٩٤) ربعى بن حراش[١]

صوفى طما يم فضله وزخره ، وسما نجم زهده وزهر ، وعارف سار ذكره واشتهر ، وطار خبره إلى الأمصار وانتشر ، كان من أعْبد القوم ، وأكثرهم مجاهدة فى الصلاة والصوم ، ولم يكذب قط ، وكان له ابنان عاصيان أيام الحجاج فطلبهما الحجاج ليقتلهما فلم يجدهما فقيل له : إن أباهما لم يكذب قط فأرسل إليه يسأله عنهما فقال : هما بالبيت فقال عفوت عنهما لصدقك .

(ومن كلامه) من فوائد الجوع أنه يميت الهوى ، ويصغى الفؤاد ، ويورث فهم دقائق العلوم ، وقال : من شبع من حلال يوشك أن يشبع من حرام وألزم نفسه أن لايضحك حتى يعلم أين مصيره إلى جنة أو نار فضحك على

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/٢٣٦ ـ ٢٣٧ ؛ والشذرات ١/١٢١ .

مغتسله ، وقال : قدمت على رب كريم ، وقال : إن استطعت أن لاتعرف فى هذا الزمان فافعل ، مات سنة أربع ومائة .

(٩٥) رزين بن حبيش أبو مريم

وفد ليعلم ، وغزا ليغنم ، وتحمل الكلال طالبا للرفعة فى المآل ، فحفظ من الملال ، وثبت فى الوصال ، وقد قيل : التصوف التحمل للكلال ، والتحرز من الملال ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وأدرك الخلفاء الراشدين ، واقتبس من زهاد الصحب ، رضى الله عنهم والتابعين .

(٩٦) رابعة العدوية[١]

القيسية ثم المصرية رأس العابدات ، ورئيسة الناسكات القانتات ، الخائفات الوجلات ، كانت فى عصر الحسن البصرى رضى الله عنه وهى إحدى النساء اللاتى تقدمن ومهرن فى الفضل والصلاح ، كأم أيوب الأنصارية وأم الدرداء ، ومعادة العدوية ؛ وهى من بينهن المشهورة بعظيم النسك ومزيد العبادة ، وكمال النزاهة والزهادة ، وكانت تصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة فقيل لها ماتطلبين بهذا ؟ قالت : لاأريد به ثوابا وإنما أفعله لكى يسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيقول للأنبياء : انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها ، وكانت تصلى العشاء وتصف قدميها للصلاة وتقول : قد نامت العيون وغفل الغافلون وبقيت رابعة الخاطئة بين يديك فلعلك تنظر إليها نظرة تمنعها بها من النوم عن خدمتك ثم تقول : وعزتك وجلالك لاأنام عن خدمتك فى ليل ولانهار إلا غلبة حتى ألقاك ، وروى أنها كانت تصلى الليل كله فإذا طلع

(١) وفيات الأعيان ١/١٨٢ ؛ والدر المنثور ٢٠٢ ؛ والشذرات ١/١٩٣ ؛ وانظر كتاب مرجريت سميث « رابعة العدوية » بالإنجليزية ؛ وطبقات الشعرانى ١/٥٦ ، والبداية والنهاية ١٠/١٨٦ .

الفجر هجعت في مصلاها قليلا حتى يسفر الفجر ثم تثب وهي فزعة وتقول : يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا قومة لها إلا لصرخة يوم النشور ، وكتب محمد سليمان الهاشمى وكانت غلة ملكه كل يوم ثمانين ألف درهم إلى كبراء أهل البصرة ، فى امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة رضى الله عنها فكتب إليها : أما بعد ، فإن الله ملكنى كل يوم ثمانين ألف درهم وأنا أصيرها مثلها ومثلها اليك فاجيبينى إلى ما سألت ، فكتبت إليه أما بعد فإن الزهد فى الدنيا راحة البدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فهيئ مزادك وقدم لمعادك ، وكن وصى نفسك ولاتجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك وصم الدهر واجعل فطرك الموت ، وأما أنا فلو خولنى الله أمثال ما خولك وأضعافه ما سرنى أن أشتغل عن ذكر الله تعالى طرفة عين والسلام .

(ومن كراماتها) أن لصا دخل حجرتها وهى نائمة فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده فوضعها فوجده فحملها فخفى عليه فأعاد ذلك مرارا كثيرة ثم هتف به هاتف : دع الثياب فإنا نحفظها ولاندعها لك وإن كانت نائمة ، قال العارف البونى : وهذا تحقيق التمكين بقوله تعالى ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾[1] الآية ، وخاطت بعض قميصها فى ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فمزقت القميص فعاد قلبها ، وسئلت متى يكون العبد راضيا فقالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة ، وكانت شديدة الخوف جدا فإذا سمعت ذكر النار أغمى عليها ، وكانت : تقول لو كانت الدنيا لرجل ماكان بها غنيا قيل لها كيف ؟ قالت : لأنها تفنى ، قالوا : مكثت أربعين سنة لاترفع رأسها إلى السماء حياء من الله ، وكانت تقول : ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى يوم القيامة ، وما رأيت الثلج إلا ذكرت تطاير الصحف وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر ، وقالت : استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه وذم بعضهم الدنيا عندها فقالت : قال رسول الله

(١) سورة الرعد : آية ١١ .

صلى الله عليه وسلم : من أحب شيئا أكثر من ذكره ، ذكركم لها دليل على بطالة قلوبكم إذا لو كنتم غرقى فى غيرها ما ذكرتموها ، وأتاها رجل بأربعين دينارا فقال : استعينى بها على بعض حوائجك فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت : هو يعلم أنى أستحى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها فكيف آخذها ممن لم يملكها ، وكانت إذا قال لها إنسان : أدع لى ترتعد وتقول : من أنا أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطر ، وقيل لها : هل عملت عملا ترين أن يقبل منك ؟ قالت : إن كان فخوفى أن يرد على ، وأخذ سفيان رضى الله عنه بيد بعض إخوانه وقال نذهب إلى المؤدبة التى لاأحد أستريح إليه إذا فارقتها فلما دخل عليها رفع سفيان رضى الله عنه يديه وقال : اللهم إنى أسألك السلامة فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : عرضتنى للبكاء أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت فيها متلطخ بها ، وقالت له : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ، وقيل لها : ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولاطمعا لجنته فأكون كالأجير السوء عبدته حبا له وشوقا إليه وقال مالك بن دينار أتيتها فإذا هى تقول : كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها يارب أما كان لك عقوبة ولاأدب غير النار !! ، ومن مناجاتها إلهى تحرق بالنار قلبا يحبك فقيل لها : لا تظنى بنا ظن السوء وكانت رضى الله عنها تنشد .

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وكانت كل ليلة تتطيب وتأتى زوجها وتقول : ألك حاجة فإن كانت له قضى وطره وتطهرت ونصبت أقدامها إلي الصباح ، وكان كفنها لم يزل عندها ويجدون محل سجودها كالماء المستنقع من كثره البكاء ، وقال لها رجل : إنى أكثرت من المعاصى فلو تبت هل يتوب على ؟ قالت : لا بل لو تاب هو عليك

لتبت « ثم تاب عليهم ليتوبوا » وسمعت سفيان الثورى رضى الله عنه يقول : واحزناه فقالت : لا تكذب قل : واقلة حزناه لو كنت حزينا ما هناك عيش ، وقالت له مرة : نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا قال : فيماذا رغبت قالت : فى الحديث ، وقالت سبحت ذات ليلة تسبيحات من السَّحَر ثم نمت فرأيت شجرة خضراء نضرة لايوصف حسنها وعظمها وعليها ثلاثة أنواع من الثمر لا تشبه ثمار الدنيا قدر ثدى البكر ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء وهن يلمعن كالأقمار أو الشموس فى خلال خضرة الشجرة فاستحسنت تلك الشجرة وقلت : لمن هذه ؟ فقيل بتسبيحك آنفا ثم طفت حولها فرأيت ثمرة منتثرة فى لون الذهب فقلت لو كانت هذه الثمرة مع الثمار التى فى الشجرة لكان أحسن فقيل لى : قد كانت ثابتة فى الشجرة ولكن لما سبحت تذكرت العجين هل اختمر فسقطت ، ومرضت فقال لها : عوّادها : ما سبب علتك ؟ قالت : نظرت بقلبى إلى الجنة فآذانى فتبت لا أعود .

(ومن كراماتها) أنها زرعت زرعا فوقع عليه الجراد فقالت : إلهى رزقى تكفلت به فإن شئت فأطعمه أعداءك أو أولياءك فطار الجراد كأنه لم يكن ، وحجت على بعير فمات فى الطريق قبل بلوغها منزلها فسألت الله أن يحييه فأحياه فركبته إلى أن بلغ دارها فخر ميتا ، وقالت لسفيان الثورى رضى الله عنه ، ما تعدون السخاء فيكم ؟ قال : أما عند أبناء الدنيا فمن يجود بماله وعند أبناء الآخرة من يجود بنفسه قالت أخطأتم قال لها فما السخاء عندك ، قالت أن تعبدوه حُبًا له لا طلب جزاء ولامكافأة ، وأصاب رأسها ركن جدار فأدماه فلم تلتفت إلى ذلك فقيل لها : أما تحسين بالألم فقالت : شغلنى بموافقة مراده فيما جرا شغلنى عن الإحساس بما ترون ، وسمعت قارئا يقرأ « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » فقالت : مساكين أهل الجنة فى شغل هم وأزواجهم ، وعاب عليها العارف ابن عربى رضى الله عنه- المقالة وقال : إنها المسكينة فإن شغلهم إنما هو بالله ، وقال : وهذا من مكر الله الخفى بالعارفين فى تجريح الغير ببادئ الرأى والتعويض فى حق نفوسهم بأنهم منزهون عن ذلك لكنه

مع ذلك بالغ فى موضع آخر فى مدحها ، وقال : إنها فى رتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى اللّه عنه فقال : السائرون إلى اللّه بعزائم الأمور المشروعة على قسمين ، طائفة ربطت همتها على أن الرسول أنما جاء منبها ومعلما بالطرق الموصلة إلى جناب الحق فإذا أعطى العلم بذلك زال من الطريق وخلى بينهم وبين الله فهؤلاء إذا سارعوا أو سابقوا إلى الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق تعالى والطائفة الأخرى جعلوا فى نفوسهم إنهم لا سبيل لهم اليه تعالى إلا والرسول هو الحاجب فلا يشهدون أمرا إلا رأوا قدم الرسول بين أيديهم هكذا قال ثم قال والحالة الأولى هى حالة العارف عبد القادر الجيلانى رضى اللّه عنه والعارف أبى السعود بن شبل ورابعة العدوية ومن جرى مجراهم انتهى ، قال بعضهم : كنت أدعوا لرابعة العدوية رضى اللّه عنها فرأيتها فى النوم تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ؛ ماتت رضى اللّه عنها سنة ثمانين ومائة وقيل غير ذلك ، ورأتها خادمتها فقالت : مرينى بأمر أتقرب به إلى اللّه تعالى فقالت عليك بكثرة ذكره أوشك أن تغتبطى به فى قبرك ، وقد أفرد ابن الجوزى لمناقبها وكلامها مؤلفا حافلا (١) .

(٩٧) رابعة بنت أسماعيل(٢)

أم الخير العدوية البصرية مولاة آل عقيل ورابعة هذه بمثناة تحتية وهى شامية والتى قبلها بموحد تحتية وهى مصرية فافترقا ، كانت فى عصرها بالولاية مذكورة ، وبالصلاح والعبادة مشهورة وكانت تقوم الليل كله وتقول إذا عمل عبد بطاعة اللّه أطلعه على مساوىء عمله فاشتغل بها دون مساوئ غيره ، وقالت ماسمعت آذانا قط إلا ذكرت منادى يوم القيامة ولاذقت حرا إلا

(١) « شذور العقود فى تاريخ العهود » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٢ هـ .

(٢) هذه الترجمة تخص السيدة رابعة بنت إسماعيل العدوي ، وهنا تكرار .

ذكرت حر المحشر ؛ وكانت ترى الجن عيانا وقالت : رأيت الحور العين يذهبن فى داري ويجئن ويتسترن منى بأكمامهن ، ورابعة هذه كانت زوجاً لابن أبى الحوارى رضى اللّه عنه ، قال : قالت لها وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه فما رأينا من يقوم الليل من أوله فقالت سبحان اللّه : مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم ، وكانت إذا طبخت قدرا تقول لى : كل واللّه ماأنضجها إلا التسبيح قال وجلست آكل وجعلت تذكرنى فقلت دعينا يهنينا طعامنا قالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة ، وقالت لى : أى أخى أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة اللّه أطلعه الجبار على مساوئ عمله فتشاغل به دون مساوئ خلقه ، وكانت لها أحوال شتى ، فمرة يغلب عليها الحب ، ومرة الأنس ومرة الخوف ، وكانت تقول : إنى لاأطمئن باللقمة الطيبة أطعمها نفسى ، وأنى لاأرى ذراعى قد سمن فأحزن ، وكان إذا أراد زوجها جماعها نهارا قالت له : أسألك باللّه لاتفطرنى اليوم وإذا أراد ليلا قالت أسألك باللّه إلا ما وهبتنى للّه الليلة ، وقال : دفعت إلى خمسة آلاف درهم وقالت تزوج بهذا أو تسر فإنى مشغولة عنك .

(ومن مناجاتها) إلهى تحرق بالنار قلبا يحبك ، فقيل لها : لا تظنى بنا ظن السوء ، وقالت : اكتموا حسناتكم وأنشدت :

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى　　　وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانسى　　　وحبيب قلبى فى الفؤاد جليسى

(ومن كراماتها) أنها قالت : نحُّوا عنى هذا الطشت فإنما عليه مكتوب مات هارون الرشيد فنظروا فإذا هو قد مات ذلك اليوم ، ونادها زوجها يوما فلم تجبه ثم بعد مدة أجابته وقالت : إنما منعنى أن أجيبك أن قلبى كان امتلاء فرحا باللّه فلم أقدر أن أجيبك ، ماتت رضى اللّه عنها سنة خمس وثلاثين ومائة وقيل سنة تسع وعشرين ومائتين ودفنت برأس زيتا ببيت المقدس عند تصعد

عيسى من جهه القبلة وقبرها مأنوس يقصد بالزيارة وقيل : المدفونة هناك : إنما هى الأولى .

(٩٨) رقية الموصلية

كانت من ذوى الهمم العلية .

(ومن كلامها) : إلهى ومولاى لو عذبتنى بعذابك كله لكان ما فاتنى من قربك أعظم من العذاب ولو نعمتنى بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك فى قلبى أكثر ، وقالت : إنى لأحب ربى حبا شديد فلو أمر بى إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه ، وقالت : حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله ولو تركوها لجالت فى الملكوت ورجعت إليهم بظرف الفوائد ، وقالت : تفقهوا فى مذاهب الإخلاص ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على البغال والقلاص[١] رضى الله عنها .

(٩٩) ريحانة المجنونة

العابدة المشهورة بالخوارق والكلام الفائق .

(ومن كلامها) رضى الله عنها ما قال أوس الأعور رأيت ريحانة المجنونة ليلة تدعوا وتقول فى دعائها : أعوذ بك من بدن لاينتصب بين يديك ، وعميت عينان لاتبكيان شوقا إليك ، وجفت شفتان لاتبتهلان بالتضرع إليك ، وكانت كثيراً ماتنشد :

يا حبيب القلوب أنت حبيبى   لم تزل أنت منيتى وسرورى

وقال صالح المرى رضى الله عنه : رأيت ريحانة المجنونة وقد كتبت من

---

(١) قلاص وقلائص وقُلُص جمع قلوص ، وهى الإبل .

وراء جيبها :

أنت أنسى ومنيتى وسرورى قد أبى القلب أن يحب سواكا

يا حبيبى ومنيتى واشتياقى طال شوقى متى يكون لقاكا

ليس سؤلى من الجنان نعيما غير أنى أريدها لأراكا

وكانت تقوم الليل كله ثم تنشد

قام المحب إلى المؤمل قومة كاد الفؤاد من السرور يطير

وبعد انقضاء الليل كله تصيح : واسلباه واحزناه وتنشد .

ذهب الظلام بأنسه وبألفه ليت الظلام بأنسه يتجدد

حرف الزاى

(١٠٠) زرارة بن أوفى الحرشى [١]

صالح ، عبادته لا تنكر ، وزهده أشهر من أن ينكر ، ومناقبه غير محصورة ، وهمته على فعل الخير مقصورة ، كان من حزب الله المفلحين ، معدودا من الأولياء والصالحين ، نافراً عن الناس ، معرضا عن مواطن الألتباس ، يألف المسجد كثيرا ، ويترك الهناء هناء ليرى ثم نعيما وملكا كبيرا ، نعم وكان عابدا زاهدا شديد الخوف من الله وكان يقص فى داره على عهد الحجاج فصلى يوما فى المسجد فقرأ « فإذا نقر فى الناقور » [٢] فخر ميتا فحمل إلى داره ، ثم جهز ودفن . أسند الحديث عن جمع من الصحابة ، منهم ابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهما ، مات سنة ثلاث وتسعين ومائة رضى الله تعالى عنه .

---

(١) زرارة بن أوفى العمرى الحرشى أبو، حاجب البصرى القاضى ، تهذيب التهذيب ٣/٣٢٢ ؛ والشذرات ١/١٠٢ .

(٢) سورة المدثر : آية ٨ .

حرف السين المهملة

(١٠١) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[1]

الفقيه المتخشع ، الرهاب الإمام الشهير التابعى الكبير ، كان للّه خاشعا ، وفى نفسه متواضعا ، وبما يدفع به وقته قانعا ، وقد قيل : التصوف لزوم الخضوع والقنوع ، والتبرئ من الجوع والهلوع ، وكان مبالغا فى التقشف حتى كان يلبس الثوب بدرهمين . قال له الوليد بن عبد : الملك ماأحسن جسمك فما طعامك ؟ قال : الكعك والزيت ، قال : وتشتهيه ؟ قال : أدعه حتى أشتهيه فإذا اشتهيته أكلته ، وقال : إياكم وإدامة اللحم ، فإن له ضراوة كضراوة الشراب ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه : اعلم يا عمر أن عون اللّه تعالى للعبد بقدر نيته فمن ثبتت نيته تمّ عون اللّه له ، ومن قصرت عنه نيته قصر عون اللّه له بقدر ذلك ، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أن اكتب لى من رسائل عمر رضى اللّه عنه فكتب إليه : اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم التى كانت لاتنقضى لذتها ، وانفقأت بطونهم التى كانوا يشبعون بها وصاروا جيفا فى الأرض لو كانت بجنب مسكين لتأذى بريحها ، وكان لا يمر بقبر إلا سلم عليه ، مات سنة ست ومائة رضى اللّه تعالى عنه .

---

(١) تهذيب التهذيب ٤٣٦/٣ ـ ٤٣٨ ؛ والشذرات ١٣٣/١ ؛ وتذكرة الحفاظ ؛ والسلمى ص ٤٣٥ والحاشية د .

(١٠٢) سلام بن أبى مطيع [١]

الشاكر الرفيع ، والشاهد السميع ، شكر فارتفع ، وشهد فاستمع ، وقد قيل : ان التصوف ارتفاع لازدياد ، واستماع فى استشهاد ، قال ابن حنبل رضى اللّه عنه : كان سلام إذا قام يصلى كأنه شيء ملقى لا يتحرك .

(ومن كلامه) : كن لنعمة اللّه عليك فى دينك أَشْكَرُ منك لنعمته عليك فى دنياك ، أسند الحديث عن مالك بن دينار ، وسمع من قتادة ، رضى اللّه عنه .

(١٠٣) سابق العبادانى المجنون

كان يسكن المقابر والخرابات والغياض ، مستوحشا عن الخلق .

(ومن كلامه) خوفا لا يشغلك عن الرجاء فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء أشغلته عن الخوف، وفر إلى لله ولا تفر منه فإنه مدركك ولا تعجزه ولا تطع المخلوق فى معصية الخالق واعلم أن اللّه يوما تشخص فيه الأبصار ، وقال : إن آخذ الكلام للقلوب ما جاء من القلوب وإن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ، وقال له رجل : أوصنى فقال : قل : اللهم اجعل نظرى عبرة وسكوتى فكرة ، وكلامى ذكرا ، ثم ولى مسرعا .

(١٠٤) سعيد بن المسيب [٢]

إمام يقتدى بأفعاله ، ويهتدى إلى طريق الخير بأقواله ، أدرك القصد والأمل ، وقرن بين العلم والعمل وكان كاسمه بالطاعات سعيدا ، ومن المعاصى

---

(١) المعارف لابن قتيبة ١٧٠ ؛ والشذرات ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨٨/٥ ؛ والوفيات ٢٠٦/١ ؛ وصفة الصفوة ٤٤/٢ ، وحلية الأولياء ١٦١/٢ ؛ والشذرات ١٠٢/١ ـ ١٠٣ ، وفيها جاءت وفاته فى سنة ٩٤ هـ .

والجهالات بعيدا ، وقد قيل : التصوف ، التمكن فى الخدمة والتحفظ للحرمة ، كان يسمى فقيه الفقهاء إمام التابعين ، صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة ، وحج أربعين حجة ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ؛ وزوج ابنته بدرهمين ، وقال له عبد الملك بن مروان صرت أعمل الخير فلا أسر به وأعمل الشر لا أساء به قال : الآن تكامل فيك الموت أى موت القلب ، ومر بقوم يصلون ويتصدقون فقيل له ألا تتعبد مع هؤلاء ؟ قال انها غير عبادة ، العبادة التفكر فى أمر الله والورع عن محارمه وأداء فرائضه ، وسئل : ما يقطع الصلاة قال : الفجور وكانت نفسه أهون عليه فى ذات الله من الذباب ، وله كرامات منها إنه كان فى أيام الحرة يسمع الأذان بإذنه من قبر رسول الله صلى الله فى أوقات الصلاة وكان لا يدع أن يقرأ سورة ص فى كل ليلة فسئل فأخبر أن أنصاريا صلى إلى شجرة فقرأ « ص » فمر بالسجدة فسجد فسجدت الشجرة فسمعها تقول ، اللهم أعطنى بهذه السجدة أجرا وضع عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام .

(ومن كلامه) : ما أيس الشيطان من رجل إلا أتاه من قبل النساء ، وقال : ما أكرم عبد نفسه بمثل الطاعة ولا أهانها بمثل المعصية ، وقال : بلغت ثمانين سنة وذهب بصرى ، وما شىء أخوف عندى من النساء وقال : يد الله فوق عباده فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضعها رفعه الله ، وقال : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطى منه حقه ويكف به وجهه عن الناس ، وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، وقال : أصلح قلبك والبس ما شئت ، وقال : ليس من شريف ولا وضيع ، ولا عالم ، ولا جاهل إلا وفيه عيب لكن من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله ، وقال : الناس تحت كنفه يعملون فإذا أراد فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عوراته ، وقال : الدنيا نذلة وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ووضعها فى غير سبلها ، وقال : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ،

وقال ابن حرملة : ما سمعت ابن المسيب سب أحدا قط ، لكنه كان يقول : قاتل الله فلانا ، كان أول من غير قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال الولد للفراش وللعاهر الحجر وما كان رجل يجترىء قلبه عليه أن يسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير ، وكان يقول لنفسه : إذا دخل الليل قومى لعبادة ربك يامأوي كل سوء وضربه عبد الملك بن مروان لما لم يبايعه وألبسه الوشوح وأقامه بالشمس ونهى عن مجالسته فما ازداد بذلك عند الخلق إلا رفعة وفى ذات الله إلا شدة وتصلبا ، وقال : من لم يعرف ما لله عليه فى نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه ، فهو من الأدب فى عزلة ، إذ حقيقة الأدب أن تعامل الله جهرة وسرا على وجه الصدق والإخلاص برؤية المنة عليك فإن كنت كذلك كنت أديبا وإلا فلا ، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين عن نحو أربع وثمانين سنة رضى الله عنه .

(١٠٥) سعيد بن جبير الكوفى الأسدى[١]

الإمام المشهور، الذى شهد بزهده وورعه وعلمه الجمهور ، الفقيه البكاء ، العالم الدعاء ، كان كثيرالبكاء والنحيب ، له من كل سهم من الفضائل نصيب قال الزمخشرى : كان يسمى جهبذ العلماء ومات وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ، وكان له ديك يقوم يتهجد على صياحه كل ليلة فلم يصح ليلة فنام عن ورده فدعا عليه فمات حالا فأقسم أن لا يدعو على أحد ثم صار يقوم الليل كله فقالت بنته : لم لا تنام ؟ فقال : إن جهنم لا تدعنى أنام ، ومن كلامه من أطاع الله فهو ذاكر ومن عصاه فهو ذليل وإن أكثر التسبيح والتلاوة ؛ وقيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل أذنب كثيرا ثم تاب ، وكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله ، وكان إذا طلع الفجر لا يتكلم بغير الذكر حتى تطلع الشمس، قتله الحجاج صبرا سنة خمس أو أربع وتسعين عن تسع وأربعين سنة أو

(١) وفيات الأعيان ٢٠٤/١ ؛ وطبقات ابن سعد ١٧٨/٦ ؛ وتهذيب التهذيب ١١/٤ ؛ وحلية الأولياء ٢٧٢/٤ ؛ وابن الأثير ٢٢٠/٤ ؛ والطبرى ٩٣/٨ ؛ والشذرات ١٠٨/١ ـ ١١٠ .

تسع وخمسين سنة ، ولما قطعت رأسه صاحت بعد سقوطها لا إله إلا الله مرتين ثم الثالثة ولم تتمها ، وقال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدى فمات بعد خمسة عشر يوما ؛ وقيل إنه لما أراد قتله قال له سعيد : أنا آخر الناس غبنا بك ؛ قال : قد قتلت أفضل منك ؛ قال : أولئك كانت قلوبهم متعلقة بالدار الآخرة فلم يبالوا بل كانوا أحرص الناس على قربهم منها وأنا قلبى معلق بنفسى ؛ فقتله ، فكان آخر قتل له بدعائه عليه فظهر الفرق وإن عاقبة كل أحد على حسب حاله ومعاملة الحق له على حسب انتسابه فافهم فإنه دقيق .

(١٠٦) سفيان بن سعيد الثورى[١]

سيد الحفاظ أمير المؤمنين فى الحديث عالم الأمة فى القديم والحديث ، الإمام الرضى ، والورع الزاهد الدرى له النكت الرائعة ، والاستنباطات الشريفة الفائقة ، والهمم التائقة ، والنفس الشائقة العلم حليفه ، والزهد أليفه ،والفقه عريفه ، والفقر تشريفه ؛ والقناعة حريفه ، والصبر قرينه ، والرضا خدينه ، والتوكل مسلكه والتفويض مطلبه ومدركه ، وقد قيل : التصوف براعة فى المعارف وبلاغة فى المخاوف ، قال الذهبي رحمه الله وغيره : كان سيد أهل زمانه لم ير مثل نفسه ، قال : وأقوال الأئمة فى فضله وزهده وعبادته تحتمل مجلدين ، ونقل السهروردى عنه أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن بلا زاد ويعتمد على السؤال فى الطريق وكان يحط على المنصور فظلمه فهم بقتله فلم يمهل ، وقال يحيى القطان سفيان : فوق مالك فى كل شيء .

(ومن كلامه) : لايتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب ولو عشرين سنة ، وقال : إذا فسد العلماء فمن يصلحهم ؟ وقال : العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فإذا جره الطبيب إليه فكيف يداوى غيره ، وقال : من أنفق من الحرام فى

(١) الوفيات لابن خلكان ١/ ٢١٠ ؛ وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧ ؛ وحلية الأولياء ٦/ ٣٥٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ـ ١١٥ ؛ والشذرات ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

طاعة اللّه كان كمن طهر الثوب بالبول ، وقال من تصدى للعلم قبل الحاجة إليه فقد تعجل الذل ، وقال : عليك بإخمال الذكر ما استطعت فإن هذا زمان الخمول ، وقال : النجاة الآن فى ترك الناس فإياك ومخالطة الأمراء ويقال لك : تشفع وتدفع عن مظلوم أو ترد مظلمة فإنه من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك العلماء سلما للقرب منهم واصطياد الدنيا به ، وقال : لو لم أعلم لكان أقل لحزنى ، وقال : ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به ، وقال : لولا إن للشيطان فيه نصيبا ما ازدحمتم عليه يعنى العلم ، وقال : ليس شيء إقطع لظهر إبليس من قول : لا إله إلا الله ، وقال : إذا رأيت رجلا يعمل عملا اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه ، وكتب إليه بعضهم عظنى وأوجز ، فقال : الدنيا غمها لا يغنى وفرحها لا يدوم وفكرها لا ينقضى فاعمل لنفسك لتنجو ولا تتوانَ فتعطب والسلام ، وكان اذا قعد للعلم وأعجبه منطقه قطع الكلام وقام ويقول أخذنا ونحن لا نشعر ، وقال وقد طلبوا منه التحديث واللّه ما أرى نفسى لإملائه أهلا ولا أنتم لسماعه آهلا وما مثلى ومثلكم إلا كما قيل : افتضحوا فاصطلحوا ، وترك الجلوس للعلم فعوتب ، فقال : لو علمت أنهم يريدون وجه اللّه لأتيتهم فى بيوتهم لكن إنما يريدون المباهات ، وقال : إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإذا ولد له انكسر المركب ، وقال : شأن العاقل أن لا يزاحم غيره على الدنيا إذا كفاه غيره ، وقال : قال رجل لعيسى عليه السلام : أوصنى ، قال : انظر رغيفك من أين هو ، وقال رضى المتجنى عليك غاية لا تدرك ، وقال : عليك بالرضى عن اللّه إذا منعك ما طلبت فإن منعه عطاء ، وقال : أحب لطالب العلم كونه فى كفاية فإن الألسن تسرع إلى الوقيعة فيه إذا احتاج وذل ، وقال : أظلم الظالمين لنفسه من قبل مدح من لا يعرفه وهو يعرف من نفسه ضد ذلك ، وقال : أئمة العدل خمسة ، الخلفاء الأربعة وابن عبد العزيز رضى اللّه عنهم ومن قال غير ذلك فقد اعتدى ، وقال : لرجل يخدم الولاة أبعد عنهم ، قال : ما أصنع بعيالى قال : ألا تسمعون هذا يقول : إنه إذا عصى اللّه رزق عياله وإذا أطاعه

ضيعهم ، وقال : لاتقتدوا بصاحب عيال فقلما سلم من تخليط ، وقال : حجة كل متهور فى أكل الحرام والشبه قوله عيالى ، وقال : لو أن رجلا عبد الله بعبادة الثقلين وهو يحب الدنيا نودى عليه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد هذا أحبَّ ما أبغض الله . وقال : أمسك ما بيدك من المال بنية الإنفاق لا يضرك ذلك ، فإن من احتاج للناس لابد أن يبذل لهم دينه ، وقال لأخ له : أبلغك شىء مما تكره عن من لا تعرف ، قال لا ، قال : فأقلل من معرفة الناس فإن معرفتهم ما أبقت لى حسنة ، وقال : ما رأيت للإنسان خيرا من أن يدخل جحره فقال يونس : اليوم ينبغى أن يدخل قبره ، وقال : ما رأينا الزهد فى شىء أقل منه فى الرياسة لأن الرجل يزهد فى المال ويسلمه إذا نوزع وإذا نوزع فى الرياسة لا يسلمها ، وقال : إياكم أن تدخلوا الصلاة وأنتم فى حال ينافى الخشوع فإن من لم يخشع فى صلاته فسدت ، وقال : بلغنى أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة والأطفال ، وكانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرعون فلا يقبل منهم ، فأوحى الله إلى أنبيائهم ، لو مشيتم إلىّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم من الدعاء والتضرع لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم باكيا مالم تردوا المظالم إلى أهلها ، ففعلوا فمطروا من يومهم ، وقال : لا تصحب من يتكرم عليك في السفر فإنك إن ساويته فى النفقة أضر بك وأن تفضل عليك استعبدك ، وقال : نظرت مرة للسماء ففقدت قلبى فذكرته لأخ لى فقال : لكونك لم تنظر إليها نظر اعتبار . وقال : عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك ، وقال : أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام ، وقال : إذا رأيت أخاك حريصا على أن تقدمه فأخره ، وقال : الزم نفسك ألا تضع لبنة على لبنة ؛ وقال : أبعد عن القراء الذين يحبون الدنيا فوالله ما نازعت قارئا فى شىء إلا خفت أن يسعى فى سفك دمى ، وقال : اذا كان لك عند قارىء حاجة فلا تذكر عنده أحدا من أقرانه بخير فإنه لا يقضى حاجتك ، وسئل عن الغوغاء فقال : الذين يطلبون بعملهم الدنيا ، وقال : إياكم وكثرة الإخوان فإنه من رقة

الدين ، وقال : من عرف اللّه تحقق فى التوكل وتشوق إلى التنقل ، وقال : التوكل هدو الضمير عند هجوم التقدير ، وقال : من رأى نفسه على أخيه علما أو عملا حبط أجر عمله وعلمه ، وقال : إن الملائكة لتجد ريح الحسنة أو السيئة إذا عقد القلب على ذلك فكما لا يؤذونك لا تؤذهم ، وقال : كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا كرم اللّه وجهه كان من ازهد الصحب أو أزهدهم وله أربع نسوة وتسع عشرة سرية ، وقال : تعرف محبة الرجل للدنيا بكثرة تعلقه لأهلها وتفقدهم إذا غابوا ؛ وقال : إذا رأيتم جيران فقيه يحبونه فاعرفوا إنه مداهن . وكان شديدا على الولاة جدا لا يخاف فى اللّه لومة لائم ، أدخل عليه المهدى وبيده درج أبيض ، فقال يا سفيان أعطنى الدواة لاكتب ، قال : أخبرنى أى شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك ، ولما خرج المنصور للحج بعث أمامه يقول : إذا رأيتم الثورى فاصلبوه ، فجاء الخبر وهو نائم بالمسجد رأسه فى حجر الفضيل بن عياض رضى اللّه عنه ورجلاه فى حجر بن عيينة رضى اللّه عنه ، فقالوا : تق اللّه ولا تشمت بنا الأعداء واختف فاستوى قاعدا ، وقال : برئت من هذه البنية إن هو دخلها ، فمات قبل دخوله مكة ، مات سفيان رضى اللّه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة عن ست وستين سنة . قال : ابن مهدى : غسلته أنا ويحيى بن سعيد يوم مات فوجدت مكتوبا فى جسده فسيكفيكهم اللّه وهو السميع العليم ، وقد أفرد ابن الجوزى وغيره مناقبه بتآليف حافلة ، وروى النووى بإسناده عن قبصة قالت : رأيته فى النوم فقلت : ما فُعل بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربى كفاحا[1] فقال لى ... هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أى قرب أردته ... وزرنى فإنى منك غير بعيد

---

(١) جاءت « عياناً » فى الشذرات ١/ ٢٥١ .

(١٠٧) سفيان بن عيينة الكوفى[(١)]

ثُم المكى الهلالى مولاهم الإمام الأمين ، ذو العقل الرصين ، والرأى الراجح المكين ، المستنبط للمعانى المرتبط للمبانى ، كان عالما ناقدا زاهدا عابدا ، حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين ، وكتب الحديث وهو ابن سبع ثم برع حتى صار أوحد زمانه علما وزهدا وورعا ، قال : فى الربيع كان يحضر مجلسه مائة ألف ، وكان يقول : أنا لكم مثل جبل أبى قبيس اصعدوا على واطلعوا على التابعين ، وكان يفعل مايقول ولا يقول ما يفعل .

(ومن فوائده) من زيد فى عقله نقص من رزقه ، وقال : طلب مالابد منه ليس من حب الدنيا ، وقال : ماء زمزم كالطيب لا ينبغى رده ، وقال : العلم إن لم ينفع ضر ، وقال : عليكم بكتمان الفقر فإنه من العمل الصالح ، وقال : الجهاد عشرة أجزاء جهاد العدو جزء وجهاد النفس تسعة أجزاء ، وقال : إنما عرف القوم لمحبتهم أن لا يعرفوا ولو أحبوا أن يعرفوا ما عرفوا ، وقال : شرار أهل العام الماضى خير من خياركم فى هذا العام ، وقال : الزهد الصبر وارتقاب الموت ، وقال : حسب امرىء من الشر أن يرى من نفسه فسادا ولا يصلحها ، وقال : من تزين للناس بشىء يعلم اللّه منه غيره شانه ، وقال : إنما أهل العلم الذين يعملون به ، وقال : من كانت معصيته فى الشهوة فارجُ له التوبة فإن آدم عصى مشتهيا فغفر له ، ومن كانت معصيته فى كبر فخف عليه اللعنة فان إبليس عصى متكبرا فلعن ، وقال : لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام اللّه ، وقال : خلقت النار رحمة يخوف اللّه بها عباده لينتهوا ، وقال : العاقل اذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثرة منها إلا شرا ، وقال : من أحب القرآن فقد أحب اللّه ، وقال : عليك بالنصح للّه فى خلقه فإنك لن تلقاه

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ ؛ والرسالة المستطرفة ٣١ ؛ وصفة الصفوة ١٣٠/٢ ؛ وابن خلكان ٢١٠/١ ؛ وميزان الاعتدال ، ٣٩٧/١ ؛ وحلية الأولياء ٢٧٠/٧ ؛ وطبقات الشعرانى ٤٠/١ ؛ وتاريخ بغداد ١٧٤/٩ ؛ والشذرات ٣٥٤/١ .

بعمل أفضل منه ، وقال : لو نادى مناد من السماء إن الناس كلهم يدخلون الجنة وانى وحدى فى النار لكنت بذلك راجيا ، وقال : لا يمنعك من الدعاء ما تعلم من نفسك فإن الله تعالى أجاب شر الخلق ابليس إذ قال : ﴿ رب أنظرنى ﴾ الآية ، وقال : ما شكر الله عبد استعان بنعمته على معصيته ، وقال : ليس فى الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه لقوله تعالى ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب ﴾ الآية ، فهى لكل مفتر مبتدع إلى يوم القيامة ، وقال : العمل الصالح هو الذى لا تحب أن يحمدك عليه إلا الله ، وقال : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وقال : ليس أحد الا ولله عليه الحجة البالغة إما فى ذنب وإما فى نعمة قَصَّر فى شكرها ، وقال : أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام أول من مات ابليس فإنه أول من عصى ، وإنما أعد من عصانى من الموتى ، وقال : لا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما تعلم من نفسك خلافه فإنه ما من أحد يقول فى رجل شيئا من الخير إذا رضى الا قال مثله من الشر إذا سخط ، فاستأنس بالوحشة عن جلساء السوء ، وقال :أرفع الناس منزلة من كان بين الله وعباده وهم الأنبياء والعلماء ، وقال : أصابتنى رقة فبكيت وقلت فى نفسى : لو كان بعض أصحابى حاضرا لرق معى فغفوت ، فأتانى آتٍ فرفسنى ، وقال : خذ أجرك ممن أحببت أن يراك ، وقال : قال لى الثورى فى اليقظة فى حياته وفى المنام بعد مماته : أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ، وقال : المدح لا يضر من عرف نفسه ، وقال : اسلكوا طريق الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها ، وقال : الراضى عن ما لله لا يتمنى سوى المنزلة التى هو فيها ، وقال : كنت أتفكر فى معنى حديث « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم » إلى آخره فلم أقف عليه حتى رأيت أن قائلا يقول : الغنى إذا نابه شيء التجأ إليه ، إلى ماله وجاهه والفقير إذا نابه شيء لا يلتجيء إلا إلى الله فيبقى كل واحد مع من التجأ إليه الغنى مع من له والفقير مع من له ، وقال : خصلتان يعسر علاجهما ، الطمع فيما بأيدى الناس وإخلاص العمل لله . مات رضى الله عنه بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة .

(١٠٨) سليمان الخواص

أبو أيوب العابد الزاهد الورع المجاهد المجمع على ولايته وإمامته ، وجلالته ومهابته ، اقترن عمله بالصلاح وتشخّص أمله فلاح منه نور الفلاح ، كان حسن الأخلاق لين الجانب جميل التربية جزيل المناقب ، لا يعبأ بالدنيا وخضرتها ولا يلتفت إلى نضارتها ونضرتها ، ولا يتكلف لمركوب ولا ملبوس ، ولا يشرئب إلى مزروع ولا مغروس ، وكان يقيم ببيت المسجد ، أخذ عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : يوسف بن أسباط ، ذهب ابن أدهم رضى اللّه عنه بالذكر وذهب سليمان الخواص بالعمل ، وقال بشر رضى اللّه عنه : الأئمة أربعة سفيان ، وسليمان الخواص ، وابن أدهم وابن أسباط ، مات سنة اثنتين وستين ومائة .

(ومن كلامه) : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة أو على رءوس الأشهاد فكأنما وبّخه .

(ومن كراماته) أنه ركب حمارا فتعلق به الذباب وآذاه ، فصار يطأطيء رأسه فضربه على رأسه ، فرفع الحمار إليه وقال : اضرب فإنك على رأس تضرب.

(١٠٩) سليمان بن طرخان [١]

القيسى البصرى التيمى المتعبد ، المتهجد ، المتثبت المتجرد .وقد قيل : التصوف اغتنام الوقت ، والتزام الصمت . قال حماد بن سلمة : كنا نرى أنه لا يحسن أن يعصى اللّه ، مكث أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ، ويصلى الصبح بوضوء العشاء. وطوى فراشه أربعين سنة ، وله امرأتان ، وقيل له : من مثلك ؟ فقال : لا تقولوا هكذا فإنى لا أدرى ما يبدو لى من ربى، وقد سمعته

(١) أو سليمان بن طهمان التيمى ، المعارف لابن قتيبة ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ؛ والشذرات ٢١٢/١ .

يقول « وبدا لهم من اللّه مالم يكونوا يحتسبون »، وكان بينه وبين رجل منازغة في شيء فغمز بطنه فجفت يد الرجل ، وقال أبو شعبة : ما رأيت أصدق منه ، وكان اذا حدث الحديث فرفعه للمصطفى صلى اللّه عليه وسلم تغير وجهه .

(ومن كلامه) : إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح عليه ذلته ، وقال : لو أخذت برخصة كل عالم أو ذلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، وقال :لو كشفت الغطا لعلمت القدرية إن اللّه ليس بظلام للعبيد ، ولما احتضر بكى فقيل له : أتجزع من الموت ؟ قال : لا ، لكن مررت بقدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه . مات رضى اللّه عنه سنة ثلاث وأربعين ومائة عن سبع وتسعين سنة وكان من أكابرالمحدثين ، سمع أنسًا وأبا عثمان النهدى ، وطاوسا والحسن وجماعة وعنه السفيانان وشعبة وابن عاصم والأنصارى ، ويزيد بن هارون وخلق ، وخرج له الستة .

(١١٠) سليمان بن المعتمر [١]

العابد الزاهد العالم العامل المجتهد الورع ، صوفى ورعه مشتهر وزهده غير مستتر ، وفضيلته موصوفة ونفسه بالمعارف مشغوفة ، مكث أربعين سنة محافظا على تكبيرة التحرم مع الإمام ، وكان يكرم الفقراء ويهين الأمراء مع احتياجه إلى لقمة .

(ومن كلامه) نقض العهد وفاء بالعهد لمن لا عهد له ، وقال : علامة فساد الناس أن يُؤمّ عليهم شرارهم ، وقال : إذا متُّ فاذهبوا بى بغير إعلام أحد واطرحونى فى لحدي فإنى أحقر من أن يمشى أحد فى جنازتى ، واللّه لو كانت نفسي بيدى لطرحتها فى بيت الخلاء ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه .

---

(١) لعله سليمان بن طرفان التيمى ابو المعتمر البصرى صاحب الترجمة السابقة ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٠١ ـ ٢٠٣ .

(١١١) سيـار بن دينـار[1]

ويقـال: ابن وردان أبو الحكم العنزى الواسطى ، كان رياضا زهادا ، ذكارا شكارا ، وقد قيل : التصوف تكشر الظاهر ، وتكسر الباطن ، اجتاز به أبو الهذيل وهو يبكى فقال : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكى العابدين قبلى ، وبعث إليه بعض القضاة فأتاه فقال : لم لا تجيء إلينا ؟ قال : إن أنت أدنيتنى فتنتنى وإن باعدتنى غممتنى ، وليس عندك ما أرجوه ولا عندى ما أخافك عليه ثم قام وتركه ، وكان له ثياب حسنة يلبسها ويلبس جماعته الصوف فدخل يوما على مالك بن دينار فقال له مالك تلبس هذه الثياب فقال : ثيابى تضعنى عندك أو ترفعني قال : بل تضعك قال : هذا التواضع يامالك أخاف أن يكون ثوباك نزلا بك من الناس مالمّ ينزلا بك من الله تعالى .

(ومن كلامه) الدنيا والآخرة يجتمعان فى قلب العبد فأيهما غلب كان الآخر تبعا له ، وقال : نعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس ، وقال :قيل للقمان : ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنينى ، أسند الحديث عن جماعة من التابعين ، رضى الله تعالى عنه .

حرف الشين المعجمة

(١١٢) شريح بن الحارث الكندى[2]

أبو أمية القاضى ، كان حاله التسليم والتراضى ، والقيام على نفسه بالمحاسبة والتقاضى .

(ومن كلامه) الرضا هو السرور بمر القضا ، ومن عرف الله تحسر على

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٣٩٩ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٩١/٤ ؛ والشذرات ٣٥٧/١ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ؛ وتهذيب التهذيب ٣٢٨/٤ ـ ٤٢٦ ؛ والشذرات ٨٥/١ ـ ٨٦

ما مضى ؛ وقال : ثبات الإيمان الورع ، وزواله الطمع ، أسند الحديث عن على وعمر رضى الله عنهما وغيرهما .

(١١٣) شعبة بن الحجاج[1]

العتكى الأزدى الواسطى الإمام المشهور ، والعلم المنشور أمير المؤمنين فى الرواية والحديث، وزين المحدين فى القديم والحديث ، له التقشف والتزهد ، والتكشف عن الأخبار والتشدد ، وقد قيل : التصوف التقنع بالكفاف ، والترفع بالعفاف ، أصله من واسط ثم سكن البصرة وهو من أعاظم أتباع التابعين ، وأكابر المحدثين الشامخين ، ورؤوس الزاهدين ، أجمعوا على إمامته فى الحديث وجلالته وتحريه وإتقانه . وزهده وعرفانه ، وناهيك بقول الشافعى رضى الله عنه لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وقول أحمد : كان أمة وحده فى هذا الشأن ، وكان من أعبد الناس عبد الله حتى جف جلده على عظمه واسود بدنه ، وكان يصوم الدهر ويلبس الخشن ويعتب على من لبس ثوبا قيمته ثمانية دراهم ، وقال : إن الشيطان صار يلعب بالقراء كما يلعب أحدكم بالكرة فكيف بغيرهم ؟! مات بالبصرة سنة ستين ومائة عن سبع وسبعين سنة رضى الله عنه .

(١١٤) شقيق بن إبراهيم البلخى[1]

الزاهد العابد العلى الشأن ، العجيب البرهان ، من أكابرالسادة وأعاظم مشايخ الطريق القادة ، كان يقول بطرح المكاسب والمطالب ، والتوجه فى الأسباب

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ ـ ٣٤٦ ؛ والشذرات ، ٢٤٧/١ ـ ٢٤٨ .

(٢) حلية الأولياء ٥٨/٨ ؛ طبقات الشعرانى ٨٨/١ ـ ٨٩ ؛ الرسالة القشيرية ص ١٦ ؛ وفيات الأعيان ٢٨٣/١ ؛ وفوات الوفيات ٢٤٠/١ ؛ وصفة الصفوة ١٣٣/٤ ، والشذرات ٣٤١/١ ؛ وميزان الاعتدال ٤٤٩/١ ؛ ومرآة الجنان ٤٤٥/١ ؛ والسلمى ، ٦١ ـ ٦٦ .

والمذاهب ، قدّم للمعاد ، وتنعّم للوداد ، وثَقَ بكفالة الكفيل فتوكل ، واجتهد فيما ألزمه فتحمّل وحصّل ، وقد قيل : التصوف الركون والسكون ونحول الأعضاء والغضون ، والتخلى عن القرى والحصون ، كان من أجل مشايخ خراسان له كلام حسن فى التوكل فاق به الأقران ، طالما خاض فى المجاهدة الغمرات ، واصطلى فى الرياضة حرّ الجمرات ، حتى قامت الأدلة على فضله ، وأجلب إلى النفس والشيطان بخيْلِه ورجله .

(ومن فوائده) عملت بالقرآن عشرين سنة حتى ميزّت أعمال الدنيا من أعمال الآخرة ووجدتها فى حرفين « وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى » وقال : لا تتعب فى طلب الدنيا فإنه إذا قسم لك الفقر لا تكون غنيا ، وقال : الفقراء إذا طمعوا فى الأغنياء فقد اتخذوهم أربابا من دون الله ، وقال : إذا صار الفقير يخاف من الغنى كما يخاف من الفقر فقد تم زهده ، وقال : الرعاة فى كل عصر العلماء والصوفية ، وإذا صار رعاة الغنم هم الذئاب فمن يحفظ الغنم ، وقال : جعل الله أهل طاعته أحياء فى مماتهم وأهل المعاصى أمواتا فى حياتهم ، وقال : إن أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما يكون أوثق ، وقال : تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة ، فى أخذه ومنعه وكلامه ، وقال : ليس الشأن فى أكل الشعير ولبس الصوف بل فى معرفة الله والرضا عنه وأن يكون بما فى يده أوثق منه بما فى يد الخالق ، وقال : ميِّز بين من تعطيه وبين من يعطيك فإن كان من يعطيك أحب إليك فأنت محب للدنيا أو تعطيه أحب إليك فأنت محب للآخرة ، وقال : من دار حول العلو فى دار الدنيا فإنما يدور حول النار فى الآخرة ، وقال اصحب الناس كما تصحب النار خذ منها منفعتك واحذر أن تحرقك ، وقال العبادة عشرة أجزاء تسعة فى الهرب من الناس وواحد فى السكوت ، وقال : إن أردت أن تكون فى راحة فكل ما أصبت ، والبس ما وجدت وارض بقضاء الله ، وقال : دخلت على أستاذى أبى هاشم الرمانى رضى الله عنه وبطرف كسائى شيء مصرور، فقال : ما هذا ؟

قلت : لويزات دفعهن أخى ، قال : تفطر عليهن ، فقال : تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا أكلمك أبدا وأغلق فى وجهى الباب ، وقال : إنما أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء بأخذهم النعم وتركهم الشكر؛ وبتعلمهم العلم للدنيا وتركهم العمل للراحة ، وبمسارعتهم إلى الذنوب وتسويفهم بالتوبة إلى غد ، وبطول صحبتهم للصالحين ، وتركهم الاقتداء بأفعالهم ، وبدفنهم موتاهم وعدم اعتبارهم بهم ، وبأن الدنيا مدبرة عنهم وهم يتبعونها والآخرة مقبلة نحوهم وهم عنها غافلون ، أسند الحديث وأخذ الفقه عن أبى حنيفة رضى الله عنه وغيره وعنه حاتم الأصم ، وأيوب بن الحسن الزاهد ، قال الذهبى رحمه الله : سافر مرة وفى صحبته ثلاثمائة فقير من العباد الزهاد ، وكان المأمون بخراسان فى أول أمره فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به ، واجتمع به قبله أبوه الرشيد ، وقال : له أنت شقيق الزاهد ؟ قال شقيق ولست بالزاهد ؛ قال : أوصنى قال إن الله قد أجلسك مكان الصديق وإنه يطلب منك مثل صدقه ، وأعطاك موضع الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله ، وأقعدك مقعدى النورين ويطلب منك مثل حيائه وكرمه ، وأحلك محل على كرم الله وكهه ويطلب منك العلم والعدل كما كان ، فقال : زدنى، فقال : إن لله دارا تعرف بجهنم وإنه جعلك بواب تلك الدار، وأعطاك ثلاثة أشياء ، بيت المال ، والسوط والسيف ، وأمرك أن تمنع الناس من دخولها بهذه الثلاث ، فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال ، ومن خالف أمر ربه فأدبه بالسوط ومن تل بغير حق فاقتله بالسيف ، فإن لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار ، والمقدم لدار البوار ، مات سنة أربع وتسعين ومائة ، وقيل غير ذلك .

(١١٥) شقيق بن سلمة الأسدي[1]

الكوفى التابعى ، المخضرم ، أدرك زمن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، اتفقوا على إمامته وورعه ،وكان من أخوف الناس لله وأعظمهم تعظيما للمساجد ،فكان لايدخل الحجر فضلا عن البيت ، وقال : رجل فلان متق فقال : وهل رأيت متقيا ؟ المتقى من إذا سمع بذكر النار ذهبت روحه ، وكان إذا سمع بذكر الله نهض قائما وارتعد كالطير المذبوح ، وقال : أستحى من الله أن أخاف شيئا دونه ، وقال : ما دمت تعلم أن الله يراك فأنت فى ذكره ، وإن كنت بالسوق ، وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها وأدبرت عنكم فتبعتموها . مات سنة تسع وتسعين ومائة .

(١١٦) شميط بن عجلان[2]

صوفى سار إلى الآفاق صيته ، واشتهرت جواهر لفظه ويواقيته ، وطال فى السلوك باعه ، وارتفع فى فلك الفضائل شراعه .

(ومن كلامه) : بادروا بالصحة السقم ، وبالفراغ الشغل ، وبالحياة الموت ، وقال : بئس العبد عبدٌ خلق للعبادة ، فصدته الشهوات عنها ، بئس العبد عبدٌ خلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة ، فزالت عنه العاجلة ، وشقى فى العاقبة ، وكيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ، وقال : إن الله جعل قوة المؤمن فى قلبه لا فى أعضائه ، ألا ترى أن الشيخ الضعيف يصوم ويقوم والشاب يعجز عن ذلك ، وقال : من رضى بالفسق فهو من أهله ، ومن رضى أن يعصى الله لم يرفع له عمل ، وقال : رأس مال المؤمن دينه حيث مازال

---

(١) من أسد خزيمة ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٤٧ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٤٣ ؛ والسلمى ، ص ٢٠١ .

(٢) لعله سميط بن عمير ، انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٢٤٠ .

زال معه لا يخلفه في الرجال ولا يأمن عليه الرجل ؛ وقال : من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها ، وقال : أبغض الساعة إلى الساعة التى آكل فيها ، وقال : إن اللّه وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين به ، وقال : المنافق عبد هواه عبد بطنه عبد فرجه عبد الدنيا ، عبد أهل الدنيا ، وكان إذا وصف أهل الدنيا قال : حيارى سكارى فارسهم يركض ركضا ، وراجلهم يسعى سعيا لا غنيهم يشبع ولا فقيرهم يقنع ، دائم البطنة ، قليل الفطنة ، وقال : العاقبة سترت البر والفاجر فإذا جاء البلاء استبان عنده الرجلان ، أسند شميط عن جماعة من التابعين .

(١١٧) شيبان الراعي [١]

كان من رءوس الزهاد ، وأكابر العارفين الأمجاد ، نعم وكان فى المجاهدة فائقا ، وفى التوكل على ربه مبالغا واثقا ، قال الغزالى فى الإحياء : كان الشافعى رضى اللّه عنه يجلس بين يديه كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله كيف يفعل فئ كذا وكذا ، فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى !! فيقول إنه وفق لما علمناه ، قال فى الفتوحات لما سأله ابن حنبل والشافعى رضى اللّه عنهما عن زكاة الغنم قال على مذهبنا أو على مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل للّه لا نملك شيئا وإن كان على مذهبكم ففى كل أربعين شاةٍ شاةً ، وعن من نسى صلاة من الخمس لا يدرى عنها مايلزمه ، فقال : هذا قلب غُفل عن اللّه فيؤدب بإعادة الخمس حتى لا يغفل عن مولاه بعدها انتهى ، ونازع بعض الحفاظ فى اجتماع الشافعى رضى اللّه عنه به ، وقرىء عنده ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾[٢] الآية ، فهام على وجهه سنة ثم رجع فقيل له : لم هربت ؟ فقال : من الحساب الدقيق .

(١) محمد بن عبد الله المعروف بشيبان الراعى ، انظر السخاوى الحنفى ، تحفة الأحباب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، والنبهانى ، كرامات ، ١/٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٧ .

(وله أحوال ساميات وكرامات ظاهرات) منها أنه كان إذا أجنب ولا ماء عنده جاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها ، ومنها إنه كان إذا ذهب للجمعة خط على غنمه خطا وذهب فلا تتحرك ولا يعترضها وحش ولا إنس حتى يرجع ، وكان هو وسفيان رضى الله عنهما مارين بطريق مكة فعرض لهما سبع ، فقال سفيان :أما ترى السبع ؟ فقال شيبان : لا تخف وأخذ بأذُن الأسد فعركه فبصبص وانصرف ، فقال سفيان : ما هذه الشهرة فقال : لولا خوف الشهرة لوضعت زادى على ظهرى إلى مكة . وكان أميا ومع ذلك إذا سئل عن شىء من الفقه أو غيره أجاب عنه بجواب حسن ، ومرت به رابعة العدوية فقالت له : أريد الحج فأخرج لها من كمه ذهبا وقال أنفقيه فى الطريق فمدت يدها إلى الهواء وقبضت منه فإذا هى مملوءة ذهبا وقالت أنت تنفق من الجيب وأنا أنفق من الغيب ، فحج معها على التوكل من غير زاد ، وكتب إليه أبو على رضى الله عنه الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره فى نفسه ، وما عليه الواجب فيما ينبغى أن يكتسبه بعلمه فتشرف بذلك نفسه ويستكمل ويصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى فى الآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية والعقل له مراتب واسماء بحسب تلك المراتب فالأول هو الذى استعد بـه الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية ، وحده غريزة تهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، ثم يترقى فى معرفة المستحيل والممكن والواجب ، ثم ينتهى إلى حد يقمع الشهوات البهيمية ، واللذات الحسية ، فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها ، فعاين الحقائق الدائمة ، ويعلم بذاته وموضعه ولماذا خلق ، فأجابه بما نصه من شيبان الأبله الأمى إلى الحبر أبى على وصل كتابك مشتملا على ماهية العقل وحقيقته وقد الفيته وافيا بمقصودك لا بمقصودى ، ولست ممن قنع عن الدُرِّ بالصدف ، واقتنى علوما لم يؤمر بها فاستغرقت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور فى مهوات من التلف ، وكلما تذروه راح الموت ، فالهمة تقتضى تركه والسلام .

(ومن كلامه) : حقيقة المحبة أرق بلا رقاد ، وجسم بلا فؤاد ، وتهتك في العباد وتشرد في البلاد ، مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب الشافعي ! رضى الله عنه بالتربة التي فيها المزني وبينه وبين المزني قبر الخياط ، كان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصالحين .

(١١٨) شعوانة العابدة الزاهدة(١)

ذات الكرامات والخوارق التي بفضلها شاهدة ، كانت شديدة الخوف من الله تعالى بحيث لا تفتر عن البكاء وتقول : وددت لو بكيت الدم لا أشتفي ، وتقول : من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين ، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بذنوبه وبما هو صائر إليه ، وكانت لا تسمع الذكر إلا بكت ، وكان يقال : إن كثرة الدموع وقلتها بقدر احتراق القلب ، فإذا احترق كله لم يشأ الحزين أن يبكي ، إلا بكي والقليل من التذكرة يجزئهُ ، وكانت تنادي : يا بني الموتى وإخوة الموتى ، وكانت تردد هذا البيت وتبكي .

لقدأمن المغرور دار مقامه ويوشك يوماً أن يخاف كما أمن

وكان الفضيل رضى الله عنه يتردد إليها ويسألها الدعاء .

(ومن كراماتها) أنه كان لها ولد صغير فلما شب وترعرع قال : يا أماه هبيني لله ، فقالت : يا بني لا يصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب وأنت غرٌّ لم يَأن لك ذلك ، ثم خرج يوما يحتطب فنزل عن دابته ليجمع حطبا ، فرجع فوجد السبع افترسها فجعل يده في عنق السبع وقال : يا كلب الله بحق سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتي ، فحمله وهو طائع مختار حتى دخل على أمه ، فقالت : الآن صلحت للخدمه اذهب فقد وهبتك لله فودعها وذهب ، وحكى أبو عثمان المغربي أنها قالت عند موتها : أنا أكره لقاء الله فقيل : لم ؟ قالت : لكثرة ذنوبي .

---

(١) طبقات الشعراني ٥٧/١ .

حرف الصاد المهملة

(١١٩) صالح بن بشر المرى[١]

البصرى المعروف بالتزهد ، المشهور بالتجرد العارف العابد، حليف المساجد ، سلك الطريقة ، وتكلم فى علم الحقيقة ، وكان ذا رياضة ومجاهدة وسعادة ومساعدة ، وله أتباع وأصحاب ومريدون وطلاب نعم ، وكان صاحب قراءة وشجن ، ومكابدة وحزن ، وقد قيل التصوف تحرك الأخبار ، وتفرد الأسرار ، وكان صاحب حديث ، كثير الخوف من الله تعالى كثير البكاء والنحيب يبكى بكاء الثكلى ويجأر جؤار الرهبان ، ويرعد حتى تكاد مفاصله تتقطع ، وإذا رأى مقبرة مكث يومين أو ثلاثة مبهوتا لا يعقل ولا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يهذى ، وكان يسمع كلام الموتى ويخاطبونه ويعظونه ويقولون له : قد وجدنا كذا حقا وكذا وكذا ، وقال : قيل لى : إن أردت أن يستجاب لك ، فقل : اللهم إنى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطاهر المطهر المقدس فما دعوت به إلا أجبت ، أسند الحديث عن الحسن وغيره من كبار التابعين وروى عنه الترمذى وضعفوه ، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة ، رضى الله تعالى عنه .

(١٢٠) صفوان بن سليم[٢]

المشهور بالتوكل والتسليم ، كان فى الدنيا الدنية زاهداً ، وعن الشهرة نائيا متباعداً ، يتهجد فى الشتاء فوق السطح ، وفي الصيف فى قعر البيت لئلا يأخذه النوم ؛ وناهيك بقول أحمد رضى الله عنه فى حقه : هو من خيار عباد الله يستنزل بذكره القطر ، مكث ثلاثين سنة لا يضع جنبه الأرض مات وإنه لجالس ونقبت جبهته من كثرة السجود ، ورآه سليمان بن عبد الملك قاعداً بالمسجد

(١) تهذيب التهذيب ٤/٣٨٢ ـ ٣٨٣ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٠ ؛ والشذرات ١/٢٨١ . .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/٤٢٥ ـ ٤٢٦ ؛ والشذرات ١/١٨٩ ، وطبقات الشعرانى ١/٣٣ .

فأعـجبه سمـته فأرسل إليه بألف دينار ، فقال للقاصـد : إنك غلطت فارجع فتثبت فلما ذهب هرب ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رحمه اللّه .

(١٢١) صفوان بن محرز المازنى[١]

المتعبد البكّاء ، المتوحد الدعاء ، كان له خص فيه جزع فانكسر فقالوا له : ألا نصلحه لك ؟ فـقـال : دعـوه إنما أموت غداً ، وكـان يقـول : إذا أصـبت رغيـفـا أشدُّ بـه صلبى وأثب إلى أهلى فـجزى الله الدنيـا عن أهلهـا شرا ومـا زاد على رغـيـف حـتـى فـارق الدنيـا ، وكـان له سـرب يبـكى فـيـه ولا يخـرج منه إلا للعبـادة ، وأسند الحديث عن ابن عمـر ، وأبـى مـوسى وحكيم بن حزام وآخرين ، ومات بالبصرة فى ولاية بشر بن مروان[٢] ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه .

(١٢٢) صلة بن أشيم العدوى[٣]

ابو الصـهـبـاء أحد زهاد الدنيـا ، كـان عند النوازل مـحـتـسـبـاً صـابراً وفـى الحنادس منتصباً ذاكرا ، وقد قيـل : التصـوف ، شدة الانتصـاب والاكتسـاب برؤية الاحتسـاب والارتقاب .

(وله كرمات ظاهرة وأحوال بـاهرة) منهـا أن فـرسه مات وهـو فـي الغزو فقال : اللـهم لا تجعل لمخلوق على منة ودعـا الله فأحيـاه له ، فلما وصـل بيـتـه قال لولده : خذ سرج الفـرس فإنه عـارية فأخذه فسقط ميـتا ، وجـاع يومـا وهو بالأهواز فـدعـا اللّه فـوقـع خلفـه سلة رطب فى ثوب حرير فـأكل وبقى الثـوب عند زوجـتـه زمانـا ، وكان إذا جن الليل خرج الى أجمـة يعبد اللّه فيـهـا ، ففطن له رجل فقـام فى الأجمة لينظر عـبادته فـأتاه سبع فـسلم ثم قـعد ، فقال : قـم أيهـا السـبع فـابتـغ

(١) المعارف لابن قتيبة ٤٥٨؛ وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٣٠ .
(٢) سنة ٧٤ هـ .
(٣) طبقات الشعرانى ١/ ٣١ ؛ والنبهانى ، جامع ، ٢/ ٤٧ ؛ والبداية والنهاية ٩/ ١٥ ـ ١٦ .

الرزق فتمطط وذهب وإن له زائيرا تكاد تتصدع منه الجبال ، ثم قام لعبادته فلما كان السَّحر ، قال : اللهم إن صلة ليس بأهل أن يسألك الجنة لكن سترا من النار ، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مسَّ فمه ثم وضع رجله على عنقه وقال : إنما أنت كلب من كلاب الرحمن وإنى لأستحيى من الله أن أخاف شيئا غيره ومرت القافلة ، ودعا الله أن يهون عليه الطهور فى الشتاء فكان يؤتى فيه بالماء له بخار ، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو فى الصلاة فلم يقدر عليه قط ، وكان يصلي حتى لا يمكنه أن يأتى فراشه إلا زحفا ، وقال : طلبت المال من وجهه فأعيانى إلا رزق يوم بيوم فعلمت أنه خير لى ، وقال : له رجل أوصنى ، قال : رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذي لا يسكن إلا إليه ، ولا يُعَوَّل فى الدين إلا عليه ، ومر به رجل أسبل إزاره فهم به أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال : أنا أكفيكم فقال يا ابن أخى إليك حاجة ، قال ما هى ؟ قال : ترفعْ إزارك فقال نعم وكرامة ، فرفعه ، فقال : لأصحابه لو أخذتموه بشدة قال : لا ولا كرامة وشتمكم ، مات سنة خمس وتسعين بمصر ودفن بالقرافة ويقال : إن قبره معروف بإجابة الدعاء لقى عدة من الصحب وتعلم منهم واقتبس ؛ رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

حرف الضاد المعجمة

(١٢٣) ضيغم بن مالك

كان رأسا عظيما فى الزهد والورع ، والخوف : من الله تعالى ورفض الطمع ، كان ورده كل يوم أربعمائة ركعة ، قالت له أمه أتحب الموت ؟ قال : لا يا أماه ، قالت: لم ؟ قال : لكثرة تفريطى وغفلتى عن نفسى .

(ومن كلامه) : لو يعلم الناس ما يستقبلونه غدا ما لذهم عيش ، وقال : أحذرك نفسك على نفسك فإنى رأيت هموم المؤمن فى الدنيا لا تنقضى ، وايم اللّه لئن لم تأت الآخرة للمؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه هم الدنيا وشقاء الآخرة ، قيل له : فكيف لا تأتيه بالسرور وهو ينصب للّه فى الدنيا ويدأب . فقال : فكيف للّه بالقبول ؟ فكم من رجل يرى أنه قد صلح شأنه ، قد أصلح قربانه ، قد أصلح همته ، قد أصلح عمله فيجمع ذلك كله يوم القيامة فيضرب به وجهه . رضى الله تعالى عنه .

حرف الطاء المهملة

(١٢٤) طاوس بن كيسان[١]

المتفقد اليقظان ، المتعبد المخشان ، الإمام أبو عبد الرحمن الحميرى اليمانى التابعى الكبير .كان من فضلاء الصالحين ، وعلماء العابدين ، وعظ وتكلم على المنابر ، وحضر مجلسه الأعيان والأكابر ، أصله من الفرس وأمه حميرية ، وكان يسكن مدينة الجند ويتردد إلى صنعاء ، وأدرك خمسين صحابيا ، صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، وحج أربعين حجة ، قال الغزالى رحمه اللّه : وكان عظيم الورع جدا ففعل ابن له كتابا على لسانه إلى عمر بن العزيز فأعطاه ثلاثمائة دينار ، فباع طاوس ضيعة له فبعث بها إلى عمر هذا مع أن السلطان مثل عمر ، قال الغزالى رحمة اللّه : فهذه هى الدرجة العليا فى الورع ، ودخل على أخى الحجاج فى غداة بردة فقال لغلامه : هلم الطيلسان فألقه عليه فحرك كتفيه حتى سقط فغضب غضبا شديداً فقيل له : كنت غنيا عن غضبه لو أخذته وتصدقت به ، قال : نعم لولا أن يُقال بعدى أخذه طاوس ولا يصنع ما

(١) تهذيب التهذيب ٨/٥ ـ ١٠ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٥٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/ ١٦٠ ، وحلية الأولياء ٤/ ٣ ؛ وابن خلكان فى وفيات الأعيان ١/ ٢٣٣ ؛ والشذرات ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤ .

أصنع به ، وأدخل على هشام بن عبد الملك فقال : كيف أنت يا هشام فغضب ، وقال : لم لا تخاطبنى بإمرة المؤمنين قال : لأن جميع المؤمنين ما اتفقوا علي خلافتك فخفت الكذب ، فمن أمكنه أن يتحرز هذا التحرز فليخالط الناس ، وإلا فاليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين .

(ومن كلامه) لا تنزل حاجتك بمن يغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه بل أنزلها بمن بابه لك مفتوح ، وفضله لك ممنوح ، وأمرك أن تدعوه ووعدك بالإجابة وبالفتوح وقال : ما من شيء يأتى من ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنينه فى مرضه ، وقال : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ، واستأذن رجل عليه فخرج له شيخ ، فقال أنت الطاوس ؟ قال : ابنه قال : إن كنت ابنه لقد خرف ، قال : إن العالم لا يخرف ثم قال : إذا دخلت عليه فأوجز فدخلت فقال : إذا سألت فأوجز قلت : إن أوجزت لى أوجزت لك ، قال : إنى أجمع لك فى مجلسك هذا علم التوراة ، والإنجيل والفرقان قال نعم قال خف اللّه مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك وقال : ارقص للقرد فى زمانه ، وقال : صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجُهّال تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، وقال : لكل شيء غاية وغاية كل إنسان حسن عقله ، وقال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة فلما خلقتم سكنت ، ومر برجل نائم فى وقت السحر فقال : ما هذا ما كنت أظن أن أحدا من المسلمين ينام وقت السحر ، وكان معه رجل فنعق غراب فقال : خير على عادة الجهلة ، فغضب وقال : أى خير أو شر عنده يا جاهل ؟ !! الأمور كلها بيد اللّه منه مصدرها واليه مرجعها ليس لغيره فيها مشيئة ، وقعد إليه ولد سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فلم يحتفل به ولم يلتفت إليه ، فقيل له : ابن أمير المؤمنين ؟ قال : أردت أعلمه أن للّه عباداً يزهدون فيه وفى أبيه وفيما بأيديهم ، وحج عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف فمر بطاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ، وقال : ليست هذه مشية من فى بطنه الخراء ، فقال :

كالمعتذر يا عم قد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ، وكان من أشد الناس ورعا بحيث لا يشرب من المياه التى أحدثتها الملوك بمكة وطرقها ، وكان إذا رأى ناراً طاش عقله ، ولما احتضر قال لولده : إذا وضعتنى باللحد ونصبت اللبن ولم يبق غير قليل انظر فإن وجدتنى فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإن لم تجدن فاحمد الله ، ففعل ابنه ذلك فما عرف الناس الحال إلا بتهلل وجهه ، مات يوم التروية بمزدلفة أو بمنى سنة ست ومائة على الأشهر عن بضع وسبعين سنة ، ولما حمل على النعش أخذ عبد الله بن الحسين بن على ، رضى الله عنهم ، بقائمة السرير فحمله وسار حتى وصل القبر ولم يدع أحدا يزاحمه عليه .

(١٢٥) طلحة بن مصرف الهمداني[١]

الكوفى المحدث الصوفى كان من أعظم الناس ورعا وزهداً ، وأرفعهم منزلة ، وأسماهم سعداً ، له حرمة ومهابة ، وفضيلة وإصابة ، صوفى لاحت أنوار جماله ، وظهرت محاسن جلاله ، ومسلك يستند إلى ركنه ويعتمد على تربيته ويلتمس من يمنه .

(ومن كلامه) : أدركنا أقواما نرى أنفسنا فى جنبهم لصوصا ونرى كثرة أعمالنا لعبا ، وقال : ما عاتب أحد أخاه على أمر إلا وقلاه بعد ذلك ، وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار ، وضحك يوما فوثب علي نفسه فقال : فيم الضحك إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط ولم يضحك بعدها قط ، أسند الحديث عن أنس وغيره وخرج له الجماعة مات سنة اثنتى عشرة ومائة ، رضى الله عنه .

(١) تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥ ـ ٢٦ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٩ : ؛ والشذرات ١/ ١٤٥ .

حرف العين المهملة

(١٢٦) عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبرى البصرى [١]

المراقب المستحى المسالم المستضى ، وقد قيل : التصوف انتصاب لارتقاء ، وارتقاء لالتقاء ، وهو أحد الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد فى التابعين ، وقصدوا من الآفاق واشتهروا بين العالمين ، قال مالك بن دينار هو راهب هذه الأمة وكان يبيت قائما ويظل صائما ، وفرض على نفسه كل يوم وليلة الف ركعة ، حتى انتفخت ساقاه من طول القيام ، ويقول : يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت يوشك أن يذهب العناء ، وكان يقول لنفسه قومى : يا مأوى كل سوء وينادى : اللهم إن النار منعتني من النوم فاغفر لى ، وكان إبليس يتمثل له كالحيّة فيتلوى فى محل سجوده فإذا وجد ريحه نحاه بيده ، ويقول : لولا نتنك لم أزل عليك ساجداً . وصلى يوماً فدخلت حية من ذيله ، وخرجت من جيبه فقيل له : لم لا تنحيها قال : واللّه ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج وإنى لأستحى من اللّه أن أخاف غيره ، وجاءه أسد من خلفه فوضع يديه ، على كتفيه وهو يتلو « ذلك يوم مجموع له الناس » فما قطع تلاوته فلما وجده الأسد لا يكترث به ذهب .

(ومن كلامه) أحببت اللّه حبا سهل على كل مصيبة ورضانى بكل قضية ، فما أبالى مع حبى إياه ماأصبحت عليه ، وقال : فى الدينا الهم والحزن وفى الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح ، وكانت تكتنفه السباع وتثب عليه فلا يكترث بها ويقول : عظمت هيبة اللّه فى صدرى حتى ماأهاب شيئا غيره ، وقال : عليك بما يرغبك فى الآخرة ويزهدك فى الدنيا ويقرّبك إلى اللّه ، وقال : أصفى الناس إيمانا يوم القيامة أشدهم محاسبة لنفسه ، وأشدهم

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٨ ؛ والاصابة ؛ وتهذيب التهذيب ٧٧/٥ ؛ وحلية الأولياء ٨٧/٢ ؛ والنبهانى ، جامع كرامات الأولياء ٥١/٢ .

فرحاً فى الدنيا ، أشدهم حزنا يوم القيامة، وأكثرهم ضحكا فى الدنيا أكثرهم بكاء يوم القيامة ، ورأى ذميا يظلم فخلصه ، كان شديداً فى الأمر بالمعروف فكان ذلك سبباً لتسييره فلما سير الشام شيعه أخوانه إلى ظَهْر المربد ، فقال : أنى داع فأمنوا ، و قالوا : قد كنا نشتهى هذا منك منذ زمان ، فقال : اللهم من وشا بى وكذب على وأخرجنى من مصر وفرق بينى وبين إخوانى فأكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطال عمره .

(ومن كراماته) أنه سأل الله أن يهون عليه الطهور فى الشتاء فكان يؤتى بالماء وله بخار ، وقيل له وقعت النار بدارك فقال : إنها مأمورة وأقبل على صلاته فلما بلغت النار داره عدلت عنها ، ومنها أنه كان إذا سافر صحب ركوة فإن شاء صب منها زيتا أو ماء أو لبنا أو عسلا أو غير ذلك ، وكان معه بعض دراهم ينفق منها على الفقراء ولاتنقص أبداً ، ومنها أنه كان فى قافلة فاعترضها أسد فحبسها فقال : مالكم ؟ قالوا : الأسد ، فمر إليه حتى وضع يده على فمه ومرت القافلة ومنهاأنه عارض جيش الروم على بغلة وحده ورجع سالما ، ومنها أنه كان يأخذ عطاه فيجعله فى طرف ثوبه فلا يلقاه أحد إلا أعطاه ، فإذا دخل بيته رمى به اليهم فيجدو له سواء لم ينقص منه شئ أخرجه ابن المبارك ، وقال : ووشى به إلى عثمان رضى الله عنه فأمر بنفيه إلى الشام على قتب فأنزله معاوية الخضراء وبعث اليه بجارية وأمرها أن تعلمه بحاله فكان يقوم الليل كله ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ولايتناول من طعام معاوية شيأ ، فكتب معاوية إلى عثمان رضى الله عنه يعلمه بحاله ، فأمره أن يدنيه ويصله ، فقال : لا إرب لى فيكم ، وسأل الله أن ينزع من قلبه شهوة النساء فكان لايبالى ألقى ذكراً أم أنثى ، أورده فى الإصابة فيمن أدرك المصطفى صلى الله علـه وسلم ولم يره ، وقال أبو موسى فى الذيل أدرك الجاهلية ؛ مات فى خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس قال ابن الجوزى روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية .

(١٢٧) عبد العزيز بن أبى رواد[١]

العابد السجاد ، الشاكر العواد ، كان بالعبادة متنعماً ، وللمصائب والمحن متكتما ، وقد قيل : إن التصوف تعداد العطايا وكتمان الرزايا ، ذهب بصره عشرين سنة ولم يشعر به أهله ولا ولده فنأمَّله ابنه يوما ، فقال :ياأبت ذهبت عينك ؟ فقال : نعم يابنى الرضا عن الله أذهب عين أبيك ، ومكث أربعين سنة لايرفع طرفه إلى السماء وبينما هويطوف حول الكعبة ، إذ طعنه المنصور فى الطواف بأصبعه فى خاصرته فالتفت إليه ، وقال : علمت أنها طعنة جبار ، وقيل له : كيف أصبحت ؟ فبكى ، وقال : أصبحت والله فى غفله عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بى ، وأجل يسرع كل يوم فى عمرى ، ولست أدرى على ماأهجم ثم بكى حتى أبكى .

(ومن كلامه) : من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشئ الإسلام ، القرآن والمشيب ، وقال : أفضل العبادة طول الحزن ، وقال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : بشر المذنبين وأنذر الصديقين ، فعجب ، فقال: نعم ، بشر المذنبين أنه لايتعاظمنى ذنب أغفره وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنى لم أضع عدلى وحسابى على عبد إلا هلك ، أسند الحديث عن عدة من التابعين .

(١٢٨) عبد الله بن ثوب[٢]

بضم ففتح الخولانى حكيم الأمة وممثلها ، ومديم الخدمة ومحرزها ، المتخلى عن الهموم ، المتسلى بالأوراد عن الغموم ، وقد قيل : التصوف التخلى عن المنتضى الفانى ، والتسلى بالمحتذى الباقى ، كان لايجالس أحداً تكلم فى شئ من الدنيا إلا تحول عنه ، وقد أدرك الجاهلية وسكن الشام بدرايا وأصله من البصرة وقيل : من اليمن وقيل : هو أبو مسلم الخولانى المتقدم .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٨/٦ ؛ والشذرات ٢٤٦/١ ؛ وطبقات الشعرانى ٥١/١ .

(٢) هو أبو مسلم الخولانى المتقدم ، انظر ترجمته ، والنبهانى جامع الكرامات ١٠٤/٢ .

(ومن كلامه) : كان الناس ورقا لا شوك فيه ، والآن شوك لا ورق فيه إن سببتهم سبّوك وإن تركتهم لم يتركوك ، وإن تفر عنهم يدركوك ، وقال : لو قيل لى : إن جهنم تسعر ما استطعت الزيادة في عملى ، وقال : ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة ، وقال : لو رأيت الجنة عيانا ما كان عندى مستزاد ، وكان الظبى يمر به فيقول الصبيان : ادع الله أن يحبسه علينا فيدعو فيحبس فيؤخذ باليد ، ودخل على امرأته فوجدها حزينة فقال مالك ؟ قالت لك منزلة من معاوية فاطلب لنا خادما فقال : اللهم من أفسد على امرأتى فاعم بصره وعندها امرأة ذكرت لها ذلك فعميت حالا فبكت واستغاثت فدعا الله فرد بصرها ، مات فى زمن ابن معاوية .

(١٢٩) عبد الله بن غالب[١]

العابد الراتب ، المتشمر الناجب ، المتشوق الطالب ، وقد قيل : التصوف الحذر من الدنيا والهرب والرغب فى العقبى والطلب ، كان يصلى الضحى مائة ركعة ويقول لهذا خلقنا وبه أمرنا ، وكان يقص بمسجد الجامع زمن الحسن رضى الله عنه ، فيقول له : شققت على أصحابك ، فيقول ماأرى أعينهم انفقأت ولا ظهورهم اندقت ، يا حسن الله يأمرنا أن نذكره كثيرا وأنت تأمرنا أن نذكره قليلا ، كلا لا تطعه واسجد واقترب ، ولما كان يوم الزاوية ، قال : إنى لأرى أمراً ما عليه صبر، روحوا بنا إلى الجنة ، فكسر جفن سيفه ثم قاتل ، حتى قتل فكان يوجد من قبره ريح المسك .

(١٣٠) عبد الله بن يزيد الجرمى[٢]

أبو قلابة اللبيب الناصح ، الخطيب الفاصح ، كبر إشفاقه فكثر إنفاقه ، وقد قيل : التصوف النصح فى الإشفاق ، والفسح فى الأخلاق .

(١) عبد الله بن غالب الحرانى ، تهذيب التهذيب ٣٥٤/٥ ـ ٣٥٥ .

(٢) النبهانى ، كرامات ١٠٤/٢ ؛ والشذرات ، ١٢٦/١ ؛ وتذكرة الحفاظ ٨٨/١ .

(١٣١) عبد الله بن عون[١]

الحافظ للسانه ، الضابط لأركانه ، ذو القلب السليم والطريق المستقيم ، كان للقرآن تاليا وللجماعة مواليا ، أعرض عن أعراض المسلمين ، وأصبح وأمسى وهو عمن جنى عليه عافيا ، وقد قيل : إن التصوف ، بذل الندا وحمل الأذى ، قال خارجة : صحبته أربعة وعشرون عاما فما علمت أن الملائكة كتبت عليه خطيئة ، وقال ابن عباد : ما رأيت أعلم منه ، وما حلف يمينا بارا ولا فاجرا حتى مات ، وقال مرة : كنا نعجب من ورع ابن سيرين وزهده فأنساناه ابن عون ، وكان له جلالة عجيبة ووقع فى النفوس فإنه كان إماما فى العلم ، ورأسا فى التأله والتعبد والتزهد ، والتريض والتجرد ، حافظا لأنفاسه كبير الشأن ، نادته أمه يوماً فأجابها فعلا صوته عليها فعتق رقبة ، وما دخل حماما قط ، وكان يقول : لا ينبغى أن تعاتب أحداً فإنك إن عاتبته أعقبه بما هو أشد ، وقال : لن يصيب عبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى ، أسند الحديث عن أنس وغيره ، ومات سنة إحدى وخمسين ومائة خرج له الستة ، رضى الله تعالى عنه .

(١٣٢) عبد الله بن المبارك[٢]

المروزى فخر المجاهدين . قدوة الزاهدين ، السخي الجواد ، الممهد للمعاد ، المتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد ، جاد فساد ، ورجع فزاد ، وقد قيل إن التصوف اعتداد لازدياد ، واستعداد وارتياد ، وقد أجمعوا على جلالته وتقدمه فى كل شيء ، وإنه ممن تستنزل الرحمة بذكره وتزجى المغفرة بحبه ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه : جهدت جهدى على أن أكون فى السنة

(١) تهذيب التهذيب ٥/٣٤٦ ـ ٣٤٩ ؛ والشذرات ، ١/٢٣٠ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٥٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٥/٣٨٢ ـ ٣٨٧ ؛ وتذكرة الحفاظ ١/٢٥٣ ، والرسالة المستطرفة ٣٧ ؛ وحلية الأولياء ٨/١٦٢ ، والشذرات ١/٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

(ومن كلامه) : إذا أحدث اللّه لك علما فأحدث له عبادة ولايكن همك أن تحدث به الناس ، وقال : مامن أحد يريد خيراً أو شراً إلا وجد فى قلبه آمراً وزاجراً ، وقال الزم سوقك فإن الغنى من العاقبة ، ووجد بعض أصحابه يشترى تمراً رديئا ، فقال : كنت أظن أن اللّه نفعك بمجالسنا أما علمت أن اللّه نزع من كل ردئ البركة ، وقال : ما شئ أطيب من الروح ما نزع من شئ ، إلا أنتن ، وقال : ما أمات العلم إلا القصاص يجالس الرجل القاص سنة فلا يتعلق منه بشئ ويجلس للعالم ساعة فلا يقوم حتى يتعلق منه بشئ ، وقال : يود قوم كانوا يكتبون فى الدنيا أن أقلامهم كانت من نار، وقال : لا تجالسوا أهل الأهواء فربما غمسوكم فى ضلالنهم أو ألبسوا عليكم ما لا تعرفون ، وقال : مثل العاصى كالرجل وقع فى بحر فما عسى أن يسبح حتى يغرق ، وقال له عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه : عظنى فقال : له من عهد آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك ، قال : زدنى ، قال : إن كان اللّه معك فمن تخاف ، وإن لم يكن معك فالى من تلتجىء ؟ فقال حسبى حسبى .

(ومن كراماته) : أنه خرج حاجًا فى يوم صائف وهو صائم فأصابه عطش شديد ، فقال : اللهم انك قادر على أن تذهب عطشى من غير فطر ، فأظلته سحابة على قدره فأمطرت عليه حتى بلت ثوبه وذهب عنه الظمأ ، ولم يصب أحداً من رفقته شيء من المطر ، ولم يكن في عصره أحد أعلم منه بالقضاء فأذن به ، فهرب ومرض بالشام ، فأتاه عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه يعوده ، فقال : يا أبا قلابة تَشَدّد لا يشمت بنا المنافقون ، أسند عن أنس وغيره من الصحابة وأخذ عنه خلائق ، ومات بالشام أربع أو خمس ومائة عن أربع وخمسين سنة .

ثلاثة أيام علي ما كان عليه ابن المبارك فلم أقدر ، وسمع سفيان رجلا يقول : أين ابن المبارك عالم المشرق ، فقال : عالم المشرق والمغرب وما بينهما ، وقال الفراء ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين : وقال ابن معين : هو أعلم من سيفان الثورى رضي الله عنه ، وقال ابن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، ما خلق الله خصلة من خصال الخير إلا وجعلها فيه وهو من أتباع التابعين ، وكان أبوه تركيا مملوكا لرجل من همدان ، وجمع الفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة ، والصيام والقيام وقلة الكلام فيما لا يعنيه ، وكتب الحديث عن مائة وألف شيخ ، وكان يسيح وحده شديد الورع جدا بحيث سافر من مرو إلى الشام في رد قلم استعاره ونسيه في رحلة وسافر ، وما دخل حماما قط لشدة تقشفه ، وقال له خياط أنا أخيط ثياب السلاطين فهل يخاف على أن أكون من أعوان الظلمة ، قال : لا انما أعوان الظلمة من يبيع الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم ، قال الذهبى رحمه الله : كان يتجر وينفق على الفقراء فى العام مائة ألف درهم .

(ومن كلامه) إذا قرأتم من القرآن ما تقيمون به صلاتكم فاشتغلوا بالعلم فإنه يطلع على معانى القرآن ، وقال : لا تسمى عالما حتى لا يخطر حب الدنيا بقلبك ، وقال : من استخف بالعلماء ذهبت آخرته و ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته ، وقال : علامه من عرف نفسه أن تكون عنده أذل من كلب ، وقال : رُبَّ عمل صغير تجعله النية كبيرا وعكسه ، وقال : خرج أهل الدنيا منها قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها ، المعرفة بالله ، وقال : أحب الصالحين ولست منهم ، وأكره الطالحين وأنا شر منهم ، وقال : من ختم بذكر كتب نهاره كله ذكراً ، وكان شديد التحرى لذلك ، وقال : الحبر فى الثوب خلوف العلماء ، وقال : إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال : ذنب قد مضى لا يدرون ما يصنع به الرب ، وعمر قد بقى لا يدرون ما فيه من مهلكات ، وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج ، وضلالة قد زينت له فيراها

هدى ، وقال : لنا فى صحيح الحديث ما شغلنا عن سقيمه ، وقال : من بخل بالعلم إما أن يموت أو ينسى أو يلحق بالسلطان ، وقال : أربع كلمات انتخبت من أربعة آلاف حديث لا تثق بامرأة ، ولا تحمل معدتك ما لا تطيق ، ولا تغتر بمال ولا تتعلم من العلم إلا ما تعلم أنك تعمل به ، وقال : كن محبا للخمول ، كارها للشهرة ، ولا تعتقد أنك تحب الخمول فتعظم نفسك وتقع فى أشر منه ، وقال : دعوى الزهد تخرج عن الزهد ، وقال : سلطان الزهد أعظم من سلطان الرهبة فإن سلطانها لا يجمع الناس إلا بالعصا ، والزاهد يفر من الناس فيتبعونه ، وقال : التواضع التكبر عن الأغنياء ثقة بالله تعالى ، وقال : الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين ، وقال : كاد الأدب أن يكون ثلثى الدين ، وقال : إمساك الدنيا لصون العرض عن ذل السؤال ولا يخرج عن الزهد ، وسئل من الناس ، قال : العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد قيل : فمن السفلة قال : الذى يأكل الدنيا بدينه ، وقال : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرجوا يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش اتزر بأحداهما وارتدى بالأخرى ، فجلس بجنبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه لكثرة الذنوب ومساوىء الأعمال ، وقد حبست عنا الغيث لتؤدب عبادك فأسألك يا حليم ذا الأناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يكرر الساعة حتى اكتست الناس بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وصحبه رجل سيء الخلق فى سفره ، وكان يحتمله ويداويه ، فلما فارقه بكى فقيل له فيه ، فقال : أترّحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه ، ولما احتضر فتح عينيه وضحك ، وقال : لمثل هذا فليعمل العاملون ، مات قافلا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة عن ثلاث وستين سنة ودفن بهيت[١] .

(١) على نهر الفرات بالعراق .

(١٣٣) عبد الله الصورى [١]

الإمام المشهور بالتجرد ، المعروف بالتزهد والتعبد ، كان مخشوشنا مجاهداً صائما راكعا ساجداً ، ولم يزل حتى صار صوفيا ، منازل سيره سامية ، ومناهل همته طافحة طامية ، وجلالته ظاهرة مرتفعة وكلمة أرباب الدولة على اعتقاده مجتمعة .

(ومن كلامه) أعمال الصادقين بالقلوب ، وأعمال المرائين بالجوارح ، وقال : في القلب وجع لا يبرئه إلا حب الله ، وقال من شغل نفسه بما لا حاجة له إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه ، وقال : إذا لم تنتفع بما تقول فكيف ينتفع به غيرك ؟ وقال : من تهاون بالسنن ابتلى بالبدع ، وقال : من زعم أنه من أهل الطريق فليستعد للبلاء ، ثم لا بد أن يضعف عنها ويفتضح ، ومن محى اسمه من أهلها لم يمت حتى تشد إليه الرحال ، وقال : كم من يدعى العبودية ويفضحه ظهور أوصاف الربوبية عليه .

(١٣٤) عبد الله بن عبد العزيز العمرى [٢]

كان من أعبد الناس وأعلاهم همة وأوفرهم حشمة ، وأقواهم عزمة ، يعامله أهل الدولة بالاعتقاد والتكريم ، ويقابلونه بالتبجيل والتفخيم ، ومع ذلك هجر الربع العامر وسكن المقابر ، وكان يقول : ما رأيت أوعظ من قبر ولا أسلم للدين من الوحدة ، وقال : من ترك الأمر بالمعروف خوفا من مخلوق نزعت منه هيبة الإسلام ؛ وقال : من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله ، وقال له رجل : عظني فأخذ حصاة من الأرض ، وقال : زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك

---

(١) طبقات الشعرانى ١/ ٥٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ؛ والشذرات ١/ ٣٠٦ ؛ والمعارف لابن قتيبة ١٨٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٥٥ .

من علوم أهل الأرض ، فقال : زدنى ، قال : كما تحب أن يكون الله لك غدا فكن له اليوم ، وقال : لو أن الدنيا كلها لى ووضعت تحت قدمى لا يمنعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها ما أزلتها ، ولما حج الرشيد قال رجل لصاحب الترجمة : هذا أمير المؤمنين يسعى ، فقال العمرى للرجل : لا جزاك الله خيرا كلفتنى ما كنت غنيا عنه ، ثم قام فتبعه فأقبل الرشيد من المروة فصاح به يا هارون ، قال : لبيّك ، قال : ارق الصفا فرقاه ، فقال : أدم بطرفك إلى البيت ، قال : قد فعلت ، قال : كم هم ؟ قال ومن يحصيهم ، قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد يسألك عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم أجمعين ، فانظر كيف تكون فبكى وجلس حتى انقطع نفسه ، قال : العمرى وأخرى أقولها لك : الرجل يسرف فى ماله فيستحق الحجر ، فكيف بالمسرف فى مال المسلمين ، ثم مضى وهارون يبكى فكان يقول : أحب أن أحج كل سنة ما يمنعنى إلا العمرى يسمعنى ما أكره ، أسند الحديث عن أبى طوالة وغيره وأدرك جمعا من التابعين ، ومات بالمدينة سنة أربع وثمانين ومائة عن ست وستين سنة ، وكان ابن عيينة يعظمه جدا .

(١٣٥) عبد الله بن عمرو الأوزاعى[1]

الشامى الدمشقى الإمام المشهور ، صدر الصدور ، كان جليل القدر رحب الساحة والصدر ، رفيع المنزلة والهمة ، بهى المنظر ، عظيم اللمة ، ذا براعة ولسن ؛ وأخلاق خبرها صحيح وحديثها حسن ، نعم وكان أوحد زمانه ، وإمام عصره وأوانه ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، مقوالا للحق لا يخاف سطوة العظائم ، وكان أهل الشام والمغرب على مذهبه قبل تحولهم لمذهب مالك رضى الله عنه وهو نسبة لبطن من حمير أو همدان أو قرية بباب الفراديس أو قبيلة أو

(١) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، المتوفى سنة ١٥٧ هـ : انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥ ؛ وحلية الأولياء ٦/ ١٣٥ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ؛ والشذرات ، والأعلام للزركلى ٣/ ٣٢٠ .

غير ذلك ، ولد سنة ثمان وثمانين ، ونشأ فى الفقه والتعبد والتزهد حتى كان لا يدخل الخلاء إلا فى كل شهر مرة ، فرقّت بطنه فصار يدخل فى كل شهر مرتين فصارت أمه تقول لصحبه : ادعُ لعبد اللّه فإنه مبطون .

(ومن كلامه) ما من ساعة إلا وهى معروضة على العبد يوم القيامة ، فالساعة التى لا يذكر اللّه تعالى فيها تتقطع نفسه عليها حسرات ، ودخل عليه المنصور فقال : عظنى فوعظه فبكى ، وقال : ادع لى قال ما دعاء رجل لك مع دعاء بقية الرعية عليك ؟ وقال : فضل محمد صلى اللّه عليه وسلم على الأنبياء كفضل جبريل عليه السلام على ملائكة السماء ، وقال ما من أمر أمر اللّه به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالى أيهما أصاب . الغلو، أو التقصير ، وقال : ان أشد الشدة القيام للّه بحقه وإن أكرم الكرم عند اللّه التقوى فمن طلب العز بطاعة اللّه رفعه ومن طلبه بمعصيته أذله ووضعه ، وكتب إلى أخ له أما بعد ، فإنه قد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه يسار بك فى كل يوم وليلة واحذر اللّه والمقام بين يديه والسلام ، وقال : قال سليمان : يا معشر الجبابرة كيف تصنعون إذا رأيتم الجبار؟!! وقال : من عمل سوءا فبنفسه بدا ، وقال : كل عمى ولا عمى القلب ، ولهو العلماء خير من حكمة الجهلاء ، وقال : ما وعظ رجل قوما لا يريد به وجه اللّه إلا زلت عنه القلوب كما يزل الماء عن الصفا ، وقال : عن بعضهم ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ باللّه منه ، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين للرياسة فلا يمقتهم ، هم أحق بالمقت من الشرطى ، وقال : من أكثر من ذكر الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقه من عمله قلّ كلامه ، مات سنة سبع وخمسين ومائة بحمام بيروت .

(١٣٦) عبد العزيز بن سلمان

كان معدودا من شيوخ التصوف، معروفا لديهم بحسن التربية والتعرف ، وكان إذا ذكر القيامة أو الموت صرخ كما تصرخ الثكلى ويصرخ الخائفون من

جوانب المسجد ، وربما وقع الميت والميتان من مجلسه وكان من أكابر العابدين وكانت الجن تصلى معه .

(ومن كراماته) أن بعض أتباعه أبطأ عليه ، فقال : ما أبطأ بك عنا ، فقال : ألتمس للعيال شيئا ، قال : فوجدت ؟ قال : لا ، قال : هلم فلندع فدعا فتناثرت الدراهم والدنانير فى حجورهم ، فقال : دونكها ومضى ولم يلتفت إليها ، وكانت رابعة رضى اللّه عنها تسميه سيد العابدين ، ودعا يوما لمقعد حضر مجلسه فانصرف إلى أهله ماشيا على رجليه ، وقيل له : ما بقى مما تلتذ به ؟ فقال : سرداب أخلو فيه ، قال السعدى رحمه اللّه : كان عبد العزيز يرى الآيات والأعاجيب ، وكان قد بكى شوقا إلى اللّه ستين عاما .

(١٣٧) عبد الواحد البصرى[١]

وهو ابن زيد المتفلت من القيد ، المتصيد للصيد ، الناجى من الخديعة والكيد ، الملاطف بالتبصر والأيد ، كان عابدا قانتا ، زاهدا واعظا رائدا ، من كبار القوم وأعاظم الصوفية ، كثيرالصلاة والصوم ، وعظ يوما فمات فى مجلسه أربعة أنفس قبل أن يقوم ، وله وقائع باهرة ، وكرامات ظاهرة ، (منها) أنه أصابه فالج فدعا اللّه أن يطلقه فى وقت الوضوء فكان إذا أراده انطلق فإذا فرغ عاد مفلوجا ، (ومنها) ما حكاه سعيد البصرى قال : أتيته وهو قاعد فى ظل فقلت : لو سألت اللّه أن يوسع عليك الرزق لفعل ، قال : هو أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصاة من الأرض وقال : اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلت فإذا هى ذهب فألقاها إلى وقال : أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة ، وكان يصلح الصلى بوضوء العشاء أربعين سنة .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٣٤ ، وفيه أنه عبد الواحد بن زياد العبدى البصرى ؛ والسلمى ٣٦٦ ؛ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٩ ؛ والشذرات ٢٨٧/١ .

(ومن كلامه) مثل المؤمن كالولد فى الرحم لا يحب الخروج فإذا خرج لا يحب أن يرجع فكذا المؤمن فى الدنيا ، وقال : أحسن أوقات العبد مع اللّه تعالى موافقته ، وقال : ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه اللّه حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة ، وقال : إن أردت علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد ، وقال : من قوى على بطنه قوى على دينه وقوى على الأعمال الصالحة ، وقال : الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما وقال : ماللعاملين والبطنة ؟ إنما العامل من تكفيه علقة تقوم برمقه ، وقال : لا درجة أرفع ولا أشرف من الرضى وهو رأس المحبة ، وقال : ألا تستحيون من طول مالا تستحيون ، وقال : رأيت راهبا عليه مدرعة من شعر سوداء فقلت : ما حملك على لبس السواد قال : هو لبس المحزونين وأنا من أكثرهم حزنا ، قلت من أى شىء حزنك قال : أصبت فى نفسى وذلك أنى قتلتها فى معركة الذنوب فأنا حزين عليها ثم بكى فقلت ما أبكاك الآن قال : قلة الزاد وبعد المفازة وعقبة لابد من صعودها ولا أدرى أين يهبط بى إلى جنة أم إلى نار ، وقال قصدت بيت المقدس فتهت وإذا بامرأة فقلت يا غريبة أنت ضالة ؟ قالت : كيف يكون غريبا من يعرفه أم كيف يكون ضالا من يحبه !! خذ رأس عصاى وتقدم بين يدى ففعلت ومشيت نحو سبعة أقدام وإذا ببيت المقدس ثم غابت فلم أرها ، وقال : مررت براهب فسألته منذ كم أنت هنا ؟ قال : نحو عشرين سنة ، قلت : من أنيسك ؟ قال : الفرد الصمد ، قلت : ومن الخلق ؟ قال : الوحش ، قلت : فما طعامك ؟ قال : ذكر اللّه قلت : أفلا تشتاق إلى أحد ، قال : نعم إلى حبيب قلوب العارفين ، قلت : ومن الخلق قال : من كان شوقه إلى اللّه كيف يشتاق لسواه قلت فلم اعتزلت الخلق ؟ قال : لأنهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى ، قلت : ومتى يعرف العبد طريق الهدى ؟ قال : إذا هرب إلى ربه من كل شىء سواه واشتغل بذكره عن ذكر من سواه ، وقال : رأيت امرأة بالبحرين تنشج على الآخرة نشيجا كلما نشجت قلت : نفسها خرجت فحرصت أن

أجاريها فى شىء من الخير فلم أقدر فكان أول ما حفظت عنها وآخره تشاغل أيها المرء بنفسك فما هممت قط بموعظة أعظ بها غيرى إلا حال تقصيرى بينى وبينها ولو كان المرء لا يعظ حتى يتعظ أمكن إبليس من نفسه يقوده حيث شاء والله ما أنا بحامدة لنفسى فى ذلك ويود إبليس أنه لو قدر على ذلك من جميع الخلق كما قدر عليه منى فلم يكن أحد على طاعة الله لكن مر بالبر وإن لم تفعله واحذر أن تنهى عن الشر وتأتيه ، وكان يجلس إليه ناس من قريش فقالوا له يوما : إنا نخاف الضيعة فرفع رأسه للسماء وقال : اللهم أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصفاء من إحسانك أن تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنّان المنّان القديم الإحسان اللهم الساعة الساعة ، فسمعت قعقعة من السقف وتناثرت علينا دنانير ودراهم فقال لهم : استغنوا بالله عن غيره فأخذوا ولم يأخذ منه شيئا ، ونظر إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه فقال : أتديم الصوم ؟ قال : لا بل أديم الإفطار ، قال : تديم التهجد ؟ قال لا ، بل النوم قال : فما أنحلك قال هوى لازم وكتمان دائم فقال : اسكت ما أجرأك ؟ قال : اللهم إن كان صادقا فخذنى إليك فخر ميتا فاستغفر عبد الواحد وقال : أقسم على الله فأبره ، أسند الحديث وروى عن جماعة من الأعيان منهم الحسن وعطاء وابن أبى رباح وعنه وكيع وابن السماك والدارانى وغيرهم وهو متروك الحديث ، مات سنة سبع وسبعين ومائة .

(١٣٨) عبيد بن عمير[١]

المجتهد فى السير الملازم للعبادة ؛ المحافظ على الزهادة ، كان إمام الصوفية الزهاد ، عالى المنزلة رفيع العماد ، له مواعظ درر ألفاظها ثمينة ، ومكانة عند صوفية زمانه مكينة ، وحرمة حرمها فسيح ، وسيرة حديثها صحيح .

---

(١) تهذيب التهذيب ، ٧١ ـ ٧٢.

(ومن كلامه) : من علامة كمال الإيمان إسباغ الوضوء على المكاره ، وأن يخلو بالمرأة الحسناء فلا يخطر بباله جماعها ، وقال : من علامة الإخلاص عدم طلب محمدة الناس ومحبة لومهم له ، وقال : علامة التقلل من الدنيا أن لا يأخذ شيئا إلا بحيث أنه لو لم يأخذه لأثم .

(١٣٩) عتبة الغلام [١]

الملحق بالأجلة الكرام ، القائم في الظلام ، كشف له الغطاء وفتح له العطاء ، سمى غلاما لجده واجتهاده لا لصغره ، بكى فى مجلس عبد الواحد بن زيد رضى اللّه عنه تسع سنين لا يفتر بكاه من حين يبدأ عبد الواحد إلى أن يقوم ، وكان يلبس كسائين يتزر بواحدة ويرتدى بالأخرى إذا رأيته قلت : أكارا ، وكان عربيا شريفا ، وكان رأس ماله فلساً يشترى به خُوصًا فيعمله ويبيعه ، وكان يعجن دقيقه ويجففه بالشمس ثم يأكله ثم يقول : كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الطعام الطيب .

(ومن كراماته) أنه كان يدعو الطير فيجيبه ويأتيه فيقع فى يده فيخلى سبيله ، ونظر إلى ورشان[٢] فقال : يا ورشان إن كنت أطوع للّه منى فتعال واقعد على كفى فجاءه الورشان مسرعا وقعد على كفه ، ورأى حورية تقول : يا عتبة أنا لك فلا تعمل شيئا يحيل بينى وبينك ، فقال : طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى فيها حتى ألقاك ، وكان يأوى إلي منزله فيصيب فيه قوته فلا يدرى من أين يأتيه ، وكان سائل ربه تعالى ثلاث خصال ، صوتا حسنا ، ودمعا غزيرا من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره ، ودخل

---

(١) النبهانى ١٤٢/٢ نقلا عن القشيرى ، وحياة الحيوان الكبرى للدميرى ٣٩٤/٢ ، وطبقات الشعرانى ٤٠/١ ، وقد أورد الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين ، ٣١٦/٢ ، الدعاء الذى كان يردده عتبة الغلام .

(٢) ذكر القمارى ، وقيل : إنه طائر يتولد بين الفاضة والحمامة ، انظر الدميرى ، المرجع السابق .

عليه ابن ميمون الجبانة فقال له : أطعمنى رطبا فدعى فإذا دوخله رطب سقطت بين أيديهم فأكلوا ، ولبس قميصاً جديداً ومشى متبخترا فقالت له رابعة رضى الله عنها : ما هذا التيه وليس من عاداتك ؟ قال : من أولى به منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبداً ، وكان يقول طول ليله : إلهى إن تعذبنى فإنى لك محب وإن ترحمنى فانى لك محب ، وقال : من سكن قلبه حبه لا يجد برداً ولا حراً ولا جوعا ، وقال : من عرف الله أطاعه ومن أطاعه أكرمه ومن أكرمه أسكنه فى جواره فطوباه ثم طوباه وقال : كيف يفلح من سره ما يضره ، وكان يقول سبحان جبار السماء إن المحب لفى عناء ، وكان يقول : من لم يكن معنا فهو علينا ، وجاء إلى منزل رجل قد آخاه فقال : أحتاج من مالك إلي أربعة آلاف قال خذ : ألفين فأعرض عنه وقال : آثرت الدنيا على الله إما استحييت أن تدعى الأخوة فى الله ؟ ، قال مسلم العباداني رضى الله عنه قدم علينا مرة عتبة الغلام وصالح المري ، وعبد الواحد بن زيد فنزلوا بالساحل فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فلما وضع بين أيديهم إذا قائل يقول رافعا صوته :

ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيّها غير نافع

فصاح عتبة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة ، قال الغزالى رحمه الله : وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد بالبصر صورة الخضر عليه السلام ، فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفى هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء على حقيقة صورتها أو مثال يحاكى صورتها أسند الحديث عن جمع من أجلة التابعين ، وقتل شهيدا فى بعض الغزوات .

(١٤٠) عروة بن الزبير بن العوام [١]

المجتهد المتعبد القوام الصوام ، مكن من الطاعات فاكتسب ، وامتحن بالمحنة فاحتسب ، وقد قيل : التصوف عرفان المنن وكتمان المحن ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، وقد أجمعوا على توثيقه ووفور علمه وعلو مرتبته .

(ومن كلامه) رب كلمة ذل احتملتها أورثت عزا طويلا ، وقال : إذا رأيت الرجل يعمل حسنة فاعلم أن عنده لها أخوات ، وإذا رأيته يعمل سيئة فعنده لها أخوات فإن الحسنة تدل على أختها والسيئة على أختها ، وقال : مكتوب فى الحكمة لتكن كلمتك طيبة ووجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء ، وكان ينهى عن الدخول للولاة فدخل للوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فمات ، ووقع فى رجل عروة آكلة فقيل له : إن لم تقطعها بالمنشار وإلا سرت ، فقطعت وهو شيخ كبير صائم ولم يمسكه أحد ، وقال : لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يقطع ورده تلك الليلة ، وقال : لئن ابتليت لطالما عافيت ، واتخذ قصرا بالعقيق فقيل له : جفوت مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فيهم فاشية ، فكان فيما هنالك عماهم فيه عافية ، وقال : من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يأخذ منها حاجته وما رأينا من طلب الدنيا فطلبته الآخرة ، وقال: لا يهدى أحدكم إلى ربه ما يستحى أن يهديه إلى كريم فإن الله أكرم الكرماء ، وقال : يقيّض الله للعلم قوما لا ينتفعون به لئلا يضيع فيكونون حملته فقط ، أسند الحديث عن خلائق من الصحابة ، ومات سنة أربع وقيل : تسع وتسعين ومائة .

---

(١) تهذيب التهذيب ، ٧/ ١٨٠ ـ ١٨٥ ؛ وابن خلكان ٣١٦/١ ؛ وصفة الصفوة ٤٧/٢ ؛ وحلية الأولياء ١٧٦/٢ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٢٤ .

(١٤١) علقمة بن قيس الهمدانى[١]

فقيه العراق العالم الربانى ، أوتى علما وفقها وعبادة ، وحسن تلاوة وزهادة ، قال أبو ظبيان رحمه الله : أدركت من شاء الله من الصحابة يسألون علقمة ويستفتونه ، وكان يكره الشهرة ويحب الخمول ؛ وقيل له : ألا تجلس تعلم ؟ فقال : أكره أن يطأ عقبى أحد ويقال : هذا علقمة ، وأجمعوا على جلالته ووفور علمه ، ورفعة محله وجميل طريقته ، مات سنة اثنتين وستين ومائة .

(١٤٢) العلاء بن زياد[٢]

المتجرد عن التلاد ، والمتشمر للمهاد ، قدم العتاد للمعاد ، واعتزل للعبادة عن العباد ، وقد قيل : التصوف الارتياد والاجتهاد لذل الانقياد في عز الاعتماد ، كان له مال ورقيق فأعتق بعضا وباع بعضا ، وأمسك غلاما يأكل غلته واعتزل الناس ، وكان لا يجالسهم إلا فى صلاة الجمعة أو فعل الخير ، وكان يمكث السبعة أيام لا يتناول فيها طعاما ولا شربا ، وقال : رأيت الناس فى النوم يتبعون شخصا فإذا عجوز عوراء شوهاء عليها من كل زينة وحلية قلت : من أنت ؟ قالت : الدنيا ،قلت أسأل الله أن يبغضك إلىّ قالت : نعم إن أبغضت الدراهم ، وكان يحيى كل ليلة أجمع ففتر ليلة فقال لامرأته : إذا مضى كذا فأيقظينى فأتاه آت فى نومه فأخذ بناصيته وقال : قم يا ابن زياد اذكر الله يذكرك ، فقام فمازالت تلك الشعرات التى أخذها منه قائمة حتى مات ، وقال له رجل : رأيتك دخلت الجنة قال : أما وجد الشيطان أحدا يسخر به غيرى وغيرك ، وقال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار فإن شاء الله أن يخرجنا أخرجنا ، وقال : لو علم الناس ما أمامهم لما اطمأنوا ساعة فى هذه الدار ولا غرسوا ولا

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال ص ١٢٩ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٧٦/٧ ؛ وتذكرة الحفاظ ٤٥/١ ؛ وحلية الأولياء ٩٨/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٢٩٦/١٢ ؛ والشذرات ٧٠/١ .

(٢) طبقات الشعرانى ٣١/١ ؛ وتهذيب التهذيب ١٨١/٨ ـ ١٨٢ .

بنوا ، وقال له رجل : إذا صليت وحدى لم أعقل صلاتى قال : أبشر فإن هذا علم الخير أما رأيت اللصوص إذا مروا ببيت خرب لم يلووا عليه أو ببيت عامر فيه متاع زايلوه حتى يصيبوا منه شيئا ، كذا جاء عنه في رواية وفي أخرى أن جرير ابن عبيدة شكى إليه ما يجد فى صدره من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك كالبيت الذى تمر به اللصوص فإن كان به شيء عالجوه وإلا تركوه ، قال الغزالى : يعنى القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان قال تعالى : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾[1] وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ، فلذلك تسلط عليه الشيطان ، أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، مات رضى الله عنه فى ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين ، ويقال لها : سنة الفقهاء ، مات فيها منهم عدة .

(١٤٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]

زين العابدين ، إمام سيد سند ، اشتهرت أياديه ومكارمه ، وطارت الجود فى الوجود حمائمه ، كان عظم القدر ، رحب الساحة والصدر ، رأسا لجسد الرياسة ، مؤملا للإيالة والسياسة ، وكنيته أبو الحسن ، أو أبو محمد أو أبو عبد الله ، وهو علي الأصغر وأما الأكبر فقتل مع أبيه ، وكان هذا عمره ثلاث عشرة سنة وهو مريض فلم يقتل يومئذ وهو ثقة ثَبْت فاضل ، قال الزهرى وابن عيينة رضى الله عنه : ما رأينا قط قرشيا أفضل منه ، روى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع ، وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى ، وأبو الزناد وغيرهم ؛ قال الزهرى رحمه الله : ما رأيت أحدا أفقه منه ، وقال ابن المسيب : ما رأيت أورع منه ، وقد جاء عنه مناقب من خشوعه فى وضوئه وصلاته ونسكه

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٤٢

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠ ؛ وابن سعد ٥/ ١٥٦ ؛ واليعقوبى ٣/ ٤٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/ ٥٢ ؛ وحلية الأولياء ٣/ ١٣٣ ؛ وابن الوردي ١/ ١٨٠ ؛ ونزهة الجليس ٢/ ١٥ .

ما يدهش السامع ، وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة حتى مات ، قال مالك رضى اللّه عنه : وسمى زين العابدين لكثرة عبادته ، وكان إذا هاجت الريح سقط مغيشا عليه ، ووقع حريق فى بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له : النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له : أشعرت بها ؟ قال : ألهتنى عنها النار الكبرى ، وكان إذا نقصه أحد قال : اللهم إن كان صادقا فاغفر لى وإن كان كاذبا فاغفر له ، ولما مات وجدوه يقوّت أهل مائة بيت ، ودخل عليه فى مرض موته محمد بن أسامة بن زيد فبكى قال : ما يبكيك ؟ قال : على دين خمسة عشر ألف دينار فقال : هى علىّ ووفاها .

(ومن كراماته) أن زيدا ابنه استشاره فى الخروج فنهاه ، وقال : أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لايخرج أحد من ولد فاطمة رضى الله عنها قبل خروج السفيانى إلا قتل فكان كما قال ، خرج زيد فى خمسة عشر الفا فطلب فتفرقوا عنه فقتله الحجاج ، ومنها أنه صلبه مكشوف العورة فنسجت العنكبوت عليها فلم تر بعد ذلك قط ، ومنها أن عبد الملك بن مروان حمله من المدينة مقيدا مغلولا فى أثقل قيود وأغلال فدخل عليه الزهرى رحمه اللّه لوداعه فبكى وقال : وددت أنى مكانك فقال : أتظن أن ذلك يكربنى لو شئت لما كان ، وأنه ليذكرنى عذاب اللّه ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ورماهما ثم أعادهما ، وكان يضرب به المثل فى الحلم وله فيه حكايات عجيبة وأخبار غريبة ، وكان شديد الخوف من اللّه تعالى بحيث إذا توضأ اصفر لونه وارتعد فيقال له : ما هذا ؟ فيقول : تدرون بين يدى من أريد أن أقوم ، وكان لا يعينه على طهوره أحد ولا يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا ، وقرب إليه طهره مرة فى وقت ورده فوضع يده فى الإناء ليتوضأ ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكواكب فجعل يتفكر فى خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده فى الإناء فلم يشعر .

(ومن كلامه) : إذا نصح العبد للّه فى سره أطلعه على مساوىء عمله

فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس ، وقال : فقد الأحبة غربة ، وقال : عبادة الأحرار لا تكون إلا شكرا للّه لا خوفا ولا رغبة ، وقال : كيف يكون صاحبك من إذا فتحت كيسه فأخذت منه حاجاتك لم ينشرح لذلك ، وقال : أقرب ما يكون العبد من غضب اللّه اذا غضب ، وقال : إن قوما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار ، وقال : للّه تعالى ثلثمائة وستين نظرة إلى عباده فى اليوم والليلة يمدهم بها فى أمر دينهم ودنياهم ، ولولا ذلك لتلاشى العالم فى أقل من طرفة عين ، وقال : عجبت للمتكبّر الفخور الذى كان بالأمس نطفة وغدا جيفة ، وعجبت كل العجب لمن شك فى اللّه وهو يرى خلقه ، ولمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى الاولى ، ولمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء ، وقال لابنه الباقر : لا تصحبن خمسة ولا ترافقهم فى طريقهم ، الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قيل : فما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والكذاب فإنه كالسراب يبعد منك القريب ويقرّب إليك البعيد ، وقاطع الرحم فإنه ملعون فى ثلاث آيات من كتاب اللّه ، وكان عاملا على كتمان أسرار اللّه تعالى فى العالم كما أشار إليه بقوله :

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ومن مبالغات حلمه إنه خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ وأفرط فبادر اليه العبيد والموالى فكفهم ، وأقبل عليه فقال : ما ستر عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال : أشهد أنك من أولاد المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، ولقيه رجل فسبه فقال له : يا هذا بينى وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى بما قلت ، وإن لم أجزها فإنا أكثر مما تقول ، ألك حاجة ؟ فخجل ، وسبه

رجل فقال له : ما تعرفه منى أكثر مما لا تعرفه فإن كان لك حاجة فاذكرها ، ومات سنة أربع وتسعين عن ثمان وخمسين سنة ، ودفن بالبقيع فى القبر الذى فيه عمه الحسن بن على رضى الله عنهما وهو الآن فى القبة التى فيها العباس كذا رأيته بخط جماعة أعيان منهم ابن رسلان ، والمشهد الذى بقرب مجرات القلعة بقرب مصر القديمة بنى على رأس زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وقدم برأسه سنة اثنتين وعشرين ومائة وبنوا عليه هذا المشهد ، قال بعضهم : والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه .

(١٤٤) على بن الفضيل بن عياض التميمى[١]

كان من الخائفين الخاشعين ، الزاهدين العابدين ، كذا قال الذهبى حتى إنهم فضلوه على أبيه ، وكان يغشى عليه إذا سمع آيات الوعيد إلى أن سمع قارئا يقرأ الآية ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ فسقط ميتا ، مات قبل الكهولة سنة أربع وسبعين ومائة ، روى الحديث عن عباد بن منصور وغيره وخرج له النسائى .

(١٤٥) عمران القصير[٢]

الواعظ البصير ، المحث على المسير إلى المصير ، كان التحفظ من شأنه والتيقظ من مظانه ، عابداً مجاهداً ، عاهد الله أن لا ينام بليل أبداً إلا مستغلباً .

(ومن كلامه) : حرام على قلب يجد طعم الإيمان حتى يزهد فى الدنيا إلاحر كريم يصبر أياما قلائل ، وقال : قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب أين أبغيك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم فإنى أدنو منهم كل يوم باعا لولا ذلك لتهدموا ، وقال : إذا رأيتم الرجل يقتر على عياله فإن عمله بينه وبين الله أخبث

(١) طبقات الشعرانى ٥٨/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٣٧٣/٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٣٧/٨ ـ ١٣٩ و ١٤٣ .

وأخبث ، وكان يقول فى كلامه : ما أحلى ذكرك فى أفواه الأبرار ، وأعظمك في قلوب المؤمنين ، أسند الحديث عن أنس بن مالك وكثير من التابعين .

(١٤٦) على بن بكار الشامى[١]

سكن المصيصة[٢] مرابطا ، وكان فقيها زاهداً متورعا ، ديانا ، من الفقه والتصوف متضلعا ، وكانت الجارية تفرش له فتلمسه بيده وتقول : والله إنك لطيب وإنك لبارد لأعلونك الليلة ، وكان يصلى الغداة بوضوء العتمة .

(ومن كلامه) اتق الله والزم بيتك واملك لسانك واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك .

(ومن كراماته) أنه خرج هو وأبو إسحاق الفزارى يحتطبان فأبطأ ابن بكار على أبى إسحاق فدار الفزارى فى الجبل خلفه ، فجاء فنظر إليه وهو متربع وفى حجره رأس أسد وهو نائم يدب عليه فقال : ما قعودك هنا ؟ فقال : لجأ إلى فرحمته فأنا أنتظره لينتبه وألحقك ، وطعن فى بعض مغازيه فخرجت أمعاؤه على قربوس سرجه فردها إلى بطنه وشدها بعمامته وقاتل حتى قتل ثلاثة عشر علجا ، أسند عن هشام بن حسان ، وصحب ابن أدهم ، رضى الله عنه ، ومات بالمصيصة سنة تسع وتسعين ومائة رضى الله تعالى عنه .

(١٤٧) عمر بن عبد العزيز[٣]

الأمين الميمون ، الأمير المأمون ، الحاكم العادل المصون ، خامس الخلفاء

---

(١) النبهانى ١٥٦/٥ .

(٢) مصيصة دمشق ، انظر ياقوت ١٤٤/٥ ـ ١٤٥ .

(٣) فوات الوفيات ١٣٥/٣ ؛ وتهذيب التهذيب ٤٧٥/٧ ؛ وحلية الأولياء ٢٥٣/٥ ؛ وابن الأثير ٢٢/٥ ؛ وصفة الصفوة ٦٣/٢؛ وابن خلدون ، العبر ٧٦/٣ ؛ وتاريخ الخميس ٣١٥/٢ ؛ والطبرى ١٣٧/٨ ؛ والمسعودى ١٣١/٢ ـ ١٣٧ ؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١٩/٢ ؛ ووفيات الأعيان ١٢٨/٢ ؛ والشذرات ١١٩/١ .

بشهادة الأعلام الحنفاء ، العالم الكامل ، العلى المنزلة ، الذى لم يعدل قط عن المعدلة جمع زهداً وعفافا ، وورعا وكفافا فاشغله آجل العيش عن عاجله ، وألهاه اقامة العدل عن عاذله ، ايه وكان للرعية ركنا متينا وكهفا مكينا ، ونورا مبينا وعلى خلق الله أمينا ، وقد قيل : التصوف الإعراض عن الدنى ، والإقبال على البهى ، متواثبا للدنو ومتعاليا للسمو ، وكان قبل الخلافة عاملا على المدينة على قدم الصلاح لكنه يبالغ فى التنعّم ، فكان حسدته لا يعيبونه إلا بذلك ، فلما بويع بعهد من سليمان سنة تسع وتسعين ، أقام فى الخلافة نحو خلافة الصديق فملأ الأرض عدلا ورد المظالم ، وقدم إليه يوم استخلف مركب الخليفة فأبى وقال : أيمتنى ببغلتى و لما رجع من جنازة سليمان قال له خادمه : مالى أراك مغتما ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليغتم ثم بدأ بأهل بيته فأخذ ما بأيديهم فوضعه ببيت المال ، وكانت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية فى خلافته ، ولما أفضت الخلافة إليه نزع ثيابه الحسنة ودعى باطمار غليظة بالية فلبسها ، وقال : قد جاءنا ما يشغلنا عن لباس الزينة حتى نجاوز الصراط ، ولما مات لم يجدوا له قميصا غير ما عليه ، وكان ابن سيرين يسميه إمام الهدى ، وقال مالك بن دينار الناس أيقولون مالك زاهداً إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا كلها فتركها ، وقال بعضهم : هو أزهد من وأيس لأنه ملك الدنيا فزهدها ، وأويس لم يمتلكها فقيل : لو ملكها لفعل كعمر ، فليس من لم يجرب كمن جرب ، وزاره الحسن البصرى فقدم له كسرة يابسة ونصف خيارة وقال : كل يا حسن هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال السرف ، واجتمع بالخضر عليه السلام فقال له : أوصنى ، فقال : احذر أن تكون وليا لله فى العلانية وعدوا له فى السر ، وكان غلته يوم أفضت إليه الخلافة أربعين ألف دينار كل عام ، فلما مات كانت أربعمائة دينار ولو عاش لنقصت ، ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك فى مرضه فإذا قميصه وسخ ، فقال لامرأته : ألا تغسلونه قالت : وهل له غيره !!! ودخل أبو أمية الخصى غلام عمر إلى مولاته فغدته عدسا فقال : كل يوم عدس ؟ قالت : يا بنى

هذا طعام مولاك أمير المؤمنين ؟ ودخل علي امرأته فقال : عندك درهم أشترى به عنبا ، فقالت : لا أنت أمير المؤمنين ولا تقدر عليه ، قال : هذا أهون على من معالجة الأغلال غدا فى جهنم ، ولم يغتسل من جنابة منذ استخلف حتى مات ، وكان إذا دخل بيته ألقى نفسه فى مسجده فلا يزال يبكى ويدعو حتى يصبح ، وكان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يصلى بالناس الجمعة فى قميص به عدة رقاع فلامه بعض أهله ، فقال أفضل : القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة ، وكان إذا كتب كتاباً ، فاستحسن ألفاظه مزقه ، وكان إذا أراد معاقبة رجل حبسه ثلاثا ثم عاقبه كراهة أن يعجل فى أول غضبه ، وكان يقول : نفسى تواقة لم تعط شيئا من الدنيا إلا تاقت لما هو أفضل منه ، فلما أعطيت منها ما لا شيء فوقه تاقت إلى ما هو أفضل منه وهو الآخرة ، وكانت نفقته كل يوم درهمين ، وكان يسرج الشمعة ما دام فى مصالح الناس فإذا فرغ منها طفأها ثم اسرج سراجه ، وكان للخليفة ثلاثمائة حرسى وثلاثمائة شرطى فقال عمر لهم : إن لى عنكم بالقدر حاجزا ، وبالأجل حارسا . وأبطلهم واشتهى تفاحا فأهداه له بعض أقاربه فقال لغلامه : ماأحسنه رده إليه وأقرئه السلام قال : يا أمير المؤمنين ابن عمك والمصطفى صلى الله عليه وسلم قبل الهداية قال : هى له هدية ولنا رشوة ، وبلغه أن ابنه اشترى خاتما بألف فكتب إليه به وأشبع ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه . وقال مكحول : ما رأيت أخوف ولا أزهد منه كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وكان يجمع الفقهاء كل ليلة يتذاكرون القيامة ثم يبكون حتي كأنهم فى جنازة ، واجتمع بنو مروان ببابه قالوا لابنه : قل لأبيك يعطنا حقنا كمن قبله من الخلفاء ويعرف لنا موضعنا ، فأخبره ، فقال : قل : يقول أبى : إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، وكان إذا أملى على كتابه يقول : اللهم إنى أعوذ بك من شر لسانى ، وكتب إليه عامل خرسان أن أهلها لا يصلحهم إلا السيف والعصا ، فكتب إليه كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسطه فيهم ، وكان يقول :

الفقه الأكبر القنع وكف الأذى ، وقال : إياكم والدخول علينا فإنكم إن أمرتمونا ونهيتمونا لم تسلموا من الإثم ، وقال : ما قضى اللّه بقضاء قط فسرنى أن يكون قضى لى بغيره ، وما أصبح لى هوى إلا في مواقع قدر اللّه ، وقال : لكل سفر زاد لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد اللّه من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، أعوذ باللّه أن آمركم بما أنهي عنه نفسى فتخسر صفقتى ، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لغارت أو الجبال لذابت ، أو الأرض لشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ؟ وإنكم صائرون إلى إحداهما ، وقال : إن اللّه لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من أمركم سدى ، إن لكم معادا ينزل اللّه فيه للحكم والقضاء فخاب وخسر من خرج من رحمة اللّه ، وحرم الجنة فاشترى قليلا بكثير وفانيا بباق وخوفا بأمن ، ألا ترون انكم فى اسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون ، وكذلك حتى ترد إلى خير الوارثين فى كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا قد قضى نحبه حتى تغيبوه فى صدع من الأرض ثم تدعوه قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيراً إلى ربه مما قدم غنيا عما ترك ، فاتقوا اللّه قبل نزول الموت ، وأيم اللّه إنى لأقول لكم هذه المقالة ، عليه وما أعلم عند أحد من الذنوب ما عندى ، ثم وضع رداءه على وجهه فبكى حتى أبكى ، وقال : لو أراد اللّه أن لا يعصى ما خلق إبليس ، وقال : ليس الزهد فى الشبهات بل فى الحلال ، وأما الحرام والشبه فنار تسعر فى بطون الآكلين ، وقال إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة اللّه عليك ، واعلم إنك لا تفعل بهم أمراً من الظلم إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، وأن اللّه يأخذ للمظلوم حقه من الظالم ، وإياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا باللّه تعالى ، فإنه إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فورا « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » وقال : الوالى بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها فإن كان برا أتوه ببرهم أو فاجرا أتوه بفجورهم ، وقال : إنما خلقتم للأبد

ولكنكم تنقلون من دار إلى دار ، وقال : كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل أخا وعاقب بقدر الذنب والجسد ، وقال : من عد كلامه من عمله قل كلامه ، وقال : من قرب الموت من قلبه استكثر ما فى يده ، وقال : إن استشعرت ذكر الموت كل آن بغض إليك كل فان وحبب إليك كل باق . وكان بنو أمية يسبون عليا فى الخطب فأبطله وقرأ مكانه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » فهي إلى الآن ، ولما مرض نظره الطبيب فقال : أراه قد سقى سما ولا آمن عليه الموت فرفع بصره وقال : ولا تأمنه أيضا على من لم يسق السم ، قال : الطبيب هل أحسست به ؟ قال : نعم قال فنعالج أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسه ، وقال : ربى خير مذهوب إليه ، والله لو علمت أن شفائى أن امسح شحمة أذنى ما فعلت ، وقيل له : أوصنا قال : أحذركم مثل مصرعى هذا فإنه لابد لكم منه ، ولما احتضر قال أخرجوا عنى فقعد مسلمة وفاطمة بالباب فسمعاه يقول : مرحبا بهذه الوجوه ثم قرأ « تلك الدار الآخرة » الآية [١] ثم هدأ الصوت فدخلوا فوجدوه ميتا ، قال يوسف بن ماهك : بينما نحن نسوى عليه التراب سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار ، مات بدير سمعان من عمل حمص سنة إحدى ومائة عن نحو أربعين سنة ، سَمَّتْه بنو أمية لتشديده عليهم وإهماله للتحرز فعرف غلامه الذى سمه ، فقال : ما حملك عليه ؟ قال : ألف دينار أعطيتها ، وأن أعتق ، فأخذها فوضعها ببيت المال ، وقال اذهب حيث لا يراك أحد .

(١٤٨) عمرو بن عتبة بن فرقد الكوفى [٢]

صاحب الأحوال الخارقة والكرامات الفائقة ، منها أنه كان يصلى يوما فى شدة الحر فأظلته سحابة ، وكان السبع يحمله ويحرسه وهو يرعى ركاب أصحابه ؛ لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أن يخدمهم ، قال بشر الحافى

(١) (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) ؛ سورة القصص آية ٨٣ .
(٢) القشيرى الرسالة ؛ والنبهانى ، ٢/ ٢٢٥ .

رضى الله عنه رأيته يصلى والغمامة تظله ، والسبع يطوف حوله يحرك ذيله .

(ومن كلامه) نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك الفاعل ، وإنما نظر إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو ردت كلمة سفيه فى فيه لسعد بها رادها كما شقى بها قائلها ، وقال : سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين وأنا أنتظر الثالثة ، سألته أن يزهدنى فى الدنيا فما أبالى ما أقبل وماأدبر ، وأن يقوينى على الصلاة فرزقنى منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها ، وكان يخرج على فرسه ليلا فيقف على القبور فيقول : ياأهل القبور قد طويت الصحف ورفعت الأعْمال ثم يبكى ، ثم يصف قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح ، قال خدامه : صلى ليلة فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو فى صلاته لم ينصرف فقلنا له : أما خفت الأسد حيث جاءك ؟ فقال : إنى أستحى من الله أن أخاف شيئاً سواه ، استشهد فى غزوة آذربيجان فى خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

(١٤٩) عمرو بن قيس الملائى[١]

صوفى لايغفل عن التحفظ من الدنيا والاحتراز ، ومجتهد يقابل فرض الأوقات بالانتهاز ، أقام عشرين سنة لايعلم به أهله ، وكان إذا حضرته الرقة يحول وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه : هذا الزكام ، وإذا نظر إلى السوق قال : ماأغفل هؤلاء عما أعد لهم .

(ومن كلامه) إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله ، وقال : حديث أرقّق به قلبى وأتبلغ به إلى ربى ، أحب إلى من خمسين قضية من قضايا شريح ، وكان سفيان يأتى إليه ينظره يحتسب ذلك ، ولما احتضر بكى فقيل له : علام تبكى من الدنيا فقد كنت منغص العيش أيام

(١) كان يبيع الملاء ، تهذيب التهذيب ، ٩٢/٨ ـ ٩٣ ؛ وتاريخ بغداد ، ١٦٣/١٢ ـ ١٦٦ ؛ والسلمى ، ص ٦٨ .

حياتك ، فقال : إنما أبكى خوفا أن أحرم خير الآخرة ؛ وكان إن لم تجده فى بيته أو المسجد وجدته فى المقبرة قاعدا ينوح على نفسه . فلما مات أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا لجنازته ، فلما أخرجوه سمعوا صائحا يصيح : قد جاء المجلس عمرو بن قيس ، فإذا البرية مملوءة من طير أبيض لم ير على خلقتها وحسنها فجعل الناس يعجبون من حسنها وكثرتها ، فقال أبو حيان : من أى شىء تعجبون ؟ هذه الملائكة جاءت تشهده فامتلأت الصحراء برجال عليهم ثياب بيض ، فلما دفن لم يروا فى الصحراء أحدا .

(١٥٠) عون بن عبد الله بن عتبة المسعودى[١]

صاحب التشمير والعدة والأهبة ، الورع المتزهد ، المجاهد المتعبد ، كان ذا مقام مرتفع ، وحال فنائه متسع ، طارحا للتكلف ملتحفا بالتقشف ، كيف وهو الراكن إلى ذكر الله ، والساكن إلى ضمان الله ، المفارق للمثرين والكبراء ، المرافق للمساكين والفقراء ، وكان على نفسه نائحا ، وإلى الحق غاديا ورائحا ، وقد قيل : إن التصوف النبذ للحقير والأخذ للخطير ، وكان له ثلاثمائة وستون صديقا يفطر عند كل واحد يوما ، وكان إخوانه معلومه ، والمعلوم إذا أقامه الحق الناظر إلى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنية .

(ومن كلامه) : إن لكل رجل سيدا من عمله وسيد الأعمال كلها ذكر الله ، وقال كفى بك كنزا أن ترى لك فضلا على من دونك ، وقال مجالس الذكر صقال القلوب ، وقال من إتهم نفسه بالنفاق فليس عنده نفاق ، وقال : كن ممن الخير منه مأمول والشر منه مأمون ، وقال : من تمام التقوى أن لايشبع العبد من علمه لأن طلبه محمود إن صلحت النية عمل به أم لا ، وإنما كره قوم زيادته لكونهم لم ينتفعوا به ، وقال : من ضبط مايدخل بطنه ضبط الأخلاق الصالحة كلها ، وقال : إذا أزرى أحدكم على نفسه فلا يقل ما فى من خير فإن فيه

(١) طبقات الشعرانى ٣٦/١ ؛ وتهذيب التهذيب ، ١٧١/٨ ـ ١٧٣ ؛ والشذرات ١٤٠/١ .

التوحيد ولكن يقول : خشيت أن يهلكني بما في من الشر ، ورآه أصحابه يوما نائما في الشمس وغمامة تظله فأخذ عليهم العهد ألا يذكروه ، وكان يلبس أحيانا الخز وأحيانا الصوف ويقول : ألبس الخز لئلا يستحى ذو الهيئة أن يجلس إلى ، والصوف لئلا يهابنى المساكين أن يجلسوا إلى ، وقال : لو أتى على الناس ساعة لايذكرون الله فيها هلك أهل الأرض أجمعون ، وقال : صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غما منى فصحبت الفقراء فاسترحت ، وقال : ماأحسب أحدا يفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه ، وقال : كان من قبلنا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم وإنكم اليوم بعكس ذلك ، وقال : قلب التائب كالزجاجة يؤثر فيها ماأصابها ، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة ، وقال : كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما أرى ثوبا أحسن من ثوبى ودابة أحسن من دابتى فجالست الفقراء فاسترحت ، وكان إذا خالفه خادمه يقول : ماأشبهك بمولاك مع مولاه ، وتصدق بجميع ماله عند موته فقيل : مالعيالك ؟ قال : أقدم هذا لنفسى وأدع الله لعيالى ، مات قريب سنة عشر ومائة ، أسند الحديث عن أبى هريرة ، وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

(١٥١) (عاتكة العدوية)

العابدة الصوفية .

(ومن كلماتها السنيّة) توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل فإنك تجد ذلك لك موفرا عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه فى حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولانصب ، وقالت : لن ينال المطيعون فى الدنيا لذة أحلى فى صدورهم من الازدياد فى طاعته ، ولحلاوة ساعة من مطيع ألذ فى قلوب المريدين من كل ماخرج إلى الدنيا من زهرة ولذة ، وقالت : جد قبل أن لا يمكنك الجد وبادر قبل فوت المبادرة فإن الدنيا لاتطيب لعارفها وإنما تورطها أهل المغرة وعما قليل سوف يعلمون .

(١٥٢) عائشة بنت جعفر الصادق[١]

كانت من العابدات المجاهدات القانتات الشاكرات .

(ومن كلماتها الفائقات) ما كانت تقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول وحّدته وعذبنى ، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة .

(١٥٣) عبيدة بنت أبى كلاب[٢]

كانت من أكابر الأولياء الأنجاب ، وناهيك بقول عبد الواحد بن زيد : رأيت الشيوخ والشباب والرجال والنساء من المتعبدين فما رأيت امرأة ولا رجلا أفضل ولاأحسن عقلا منها ، وبكت أربعين سنة حتى ذهب بصرها وقيل لها : ما تشتهين ؟ قالت : الموت ، قيل : ولم ؟ قالت : لأنى كل يوم أخشى أن أجنى على نفسى جناية يكون فيها عطبى أيام الآخرة ، وقالت لمالك بن دينار رضى الله عنه : يا أبا يحيى متى يبلغ المتقى تلك الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة قال : بخ بخ ياعبيدة إذا بلغ المتقى تلك الدرجة التى ليس فوقها درجة لم يكن شىء أحب إليه من القدوم على الله فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشيا عليها ، ورؤيت رابعة رضى الله عنها فى النوم بعد موتها فقيل لها : ما فعلت عبيدة ؟ فقالت : هيهات سبقتنا إلى الدرجات العلى ، قيل : ولم وقد كنت عند الناس أكبر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالى على ماأصبحت من الدنيا وأمست ، رضى الله عنها .

---

(١) طبقات الشعرانى ٥٦/١ .

(٢) طبقات الشعرانى ٥٧/١ ؛ ومرآة الجنان ٢٨٣/١ .

(١٥٤) عفيرة البصرية (١)

العابدة الزهية كانت على قدم كبير من الزهد والتعبد والصيام والتهجد ، وكان عباد زمنها يزورونها ، فقالوا يوما : نسألك الدعاء فقالت : لو أن الخاطئين خرسوا لكنت أول من خرس ، وصار أبكم ، لكن الدعاء سنة أسأل الله أن يجعل قراكم من بيتى دخول الجنة ، وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات ، وقال لها روح بن مسلمة : بلغنى أنك لا تنامين بالليل فبكت ، ثم قالت : ربما أشتهى أن أنام فلا أقدر عليه ، فكيف ينام أم كيف يقدر على النوم من لاتنام عنه حافظاه ليلا ولانهارا ، قال : فأبكتنى وقلت فى نفسى : أراك فى واد وأنا فى واد ، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت ، فدخل عليها يحيى بن بسطام فى جماعة فقال بعضهم لرجل بجنبه : ماأشد العمى على من كان بصيرا ، فسمعته فقالت : يا عبد الله ، عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا ، والله وددت أن الله وهب لى كنه محبته وأنه لم يبق منى جارحة إلا أخذها ، كانت تقول : وعصيتك بكل جارحة منى على حدتها والله لئن عشت لأطيعنك بكل جارحة عصيتك بها . وقيل لها : تسأمين من طول البكاء فبكت ثم قالت كيف يسأم ذو داء من شىء يرجو أن له فيه من دائه شفاء ، وقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به فبكت فقيل لها : ما هذا واليوم يوم سرور فازدادت بكاء ثم قالت : والله ماأجد للسرور فى قلبى موضعا مع ذكر الآخرة ، ولقد ذكرنى قدومه يوم القدوم على الله ، فمن بين مسرور ومثبور ثم أغمى عليها وسقطت .

---

(١) طبقات الشعرانى ١/ ٥٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /١٧٧ .

(١٥٥) عمرة زوجة حبيب[١]

العابدة الزاهدة الداعية للمجيب ، كانت تقوم الليل كله وتقول لزوجها : قم يا رجل ذهب الليل وانقضّ موكب الملأ الأعلى و سافرت قوافل العابدين وأنت راقد !! واشتكت عينها فقالوا : ألا تداويها ؟ فقالت : وجع قلبى شغلنى عنها ، رضى اللّه تعالى عنها وأرضاها .

حرف الفاء

(١٥٦) فرقد السبخى[٢]

المعرض عن الفانى الوفى ، المقبل على الآتى البهى ، وقد قيل : التصوف طرح الشهى والتمنى ، والجد فى اللحوق والتلقى ، وأصله من الكوفة ثم نزل البصرة

(ومن كلامه) الشبع أبو الكفر ، وقال : ويل لذى البطن من بطنه إن أضاعه ضعف ، وإن أشبعه ثقل ، وقال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام : طوبى للناطق فى أذان قوم يسمعون كلامه ، ما تصدق رجل أعظم أجرا من موعظة قوم يصيرون بهاإلى الجنة ، وقال : الغريب من ليس له حبيب ، وقال فى التوراة : أمهات الخطايا ثلاث الكبر والحسد والحرص ، فنشأت من الثلاث ست فصارت تسعا : الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجماع وحب الرياسة ، وقال فيها : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، ومن جالس غنيا فتضعضع له ، ذهب ثلثا دينه ، ومن أصابه مصيبة فشكاها فكأنما شكى ربه ، وقال : رأيت فى النوم مناديا ينادى : ياأشباه اليهود كونوا على حياء من

---

(١) طبقات الشعرانى ١/٥٧ .

(٢) نسبة إلى سبخة البصرة أو الكوفة ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٢٦٢ ـ ٢٦٤ ؛ والشذرات ١/١٨١ .

اللّه فإنكم لم تشكروا إذا أعطاكم ولم تصبروا حين أبلاكم ، وقال مَرَّ عابد من بنى إسرائيل على كثيب رمل وقد أصابتهم مجاعة فتمنى أن يكون الرمل دقيقا ليشبعوا ، فأوحى اللّه لنبى قل له : أوجبت لك من الأجر مالو كان دقيقا فتصدقت به ، أسند عن أنس بن مالك ، وسمع جماعة من أكابر التابعين ، وشغله التعبد عن حفظ الحديث فأعرض النقلة عن نقل حديثه ، مات أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١٥٧) الفضيل بن عياض[١]

الناقل من المهالك إلي الحصون والرياض ، وهو التميمى الخراسانى شيخ الحرم ، كان من الخوف نحيفا ، وللطواف أليفا ، وقد قيل : التصوف المبادرة فى السفر ، والمسامرة فى الحضر ، وكان إماما ربانيا صمدانيا قانتا زاهداً عابداً عظيم الشأن شديد الخوف دائم الفكر ؛ ولد بسمرقند ، ونشأ بآمورد ، ومات بمكة ، وكان أولا يقطع الطريق فعشق جارية فبينما هو يرتقى الجدار إليها سمع هاتفا يقول : « ألم يأن للذين آمنوا » الآية[٢] فتاب وهام على وجهه ، وقال مكثت فى جامع الكوفة ثلاثا لم أطعم طعاما فهزنى الجوع فى الرابع فدخل المسجد رجل مجنون بيده حجر كبير وفى عنقه غل ثقيل ، والصبيان من خلفه فجعل يجول فى المسجد حتى جاءنى فجزعت منه وقلت : إلهى أجعتنى وسلطت على من يقتلنى فالتفت إلى ، وقال :

محل بيان الصبر فيك غريزة   فياليت شعرى هل لصبرك آخر

---

(١) حلية الأولياء ٨/٨٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٧٩ ـ ٨٠ ؛ والسلمى ص ٦ ـ ١٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ١١ ؛ ووفيات الأعيان ١/٥٢٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/١٣٤ ـ ١٣٩ ؛ وميزان الاعتدال ٢/٣٣٤ ؛ ومرآة الخبان ١/ ٤١٥ ـ ٤١٧ ؛ والبداية والنهاية ١/١٩٨ ؛ وتاريخ دمشق ج ٣٤/٦٣٨ ؛ وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ؛ والشذرات ١/٣١٦ ـ ٣١٨ .

(٢) « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه » سورة الحديد ، الآية ١٦ .

فزال جزعى وطار هلعى وقلت : يا سيدى لولا الرجاء لم أصبر ، قال : فأين مستقر الرجاء منك ؟ قلت : بحيث مستقر هموم العارفين ، قال : أحسنت يا فضيل ، إنها لقلوب الهموم عمرنها ، والأحزان أوطانها ، عرفته فأنست به ، وارتحلت إليه ، فعقولهم صحيحة وقلوبهم ثابتة ، ثم ولى وهو ينشد أبياتا ، قال فضيل فبقيت عشرة أيام لاآكل ولاأشرب وجداً لكلامه .

(ومن كلامه) أذا أحب اللّه عبداً أكثر همه وغمه ، وزوى عنه حتى لا يجد عشاء ولاغداء إلا قدر شرك وإذا أبغضه وسع دنياه وفرحه بما آتاه وشغله بها عنه وقال : إنى لأنصرف من صلاتى وأنا مستح من اللّه أكثر من استحيائى إذا شربت خمرا ، وقال : لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت علىّ على أن لاأحاسب عليها لتقذّرتها كما يتقذّر أحدكم الجيفة ، وقال : نرى ترك العمل للناس رياء والعمل لأجلهم شركا ، وقال : إنى لأعصى فأعرف ذلك فى سوء خلق خادمى وحمارى ، وقال : أحق الناس بالرضى عن اللّه أهل المعرفة به ، وأوحى اللّه إلى بعض أنبيائه إذا عصانى مـْن عرفنى سلطت عليه من لايعرفنى ، وقال : طوبى لمن استوحش بالخلق وأنس بالحق ، وقال : من عرف اللّهَ من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والإدلال ، ومن عرفه من طريق الخوف انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عرفه من طريقهما معا أحبه وقربه ومكنه وعلمه ، ومن عرف اللّه حق المعرفة فهو بعيد من الضلال ، ومن أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عنه ، وقال : أهل الفضل هم أهله ما لم يروا فضلهم ، وقال : إذا اغتابك عدوك فهو أنفع لك من الصديق فإنه كلما اغتابك أعطاك من حسناته ، وقال : من أعطى فهم القرآن أعطى علم الأولين والآخرين ، وقال : لو قيل لى : أمير المؤمنين داخل عليك فسويت لحيتى خفت أن أكتب فى جريدة المنافقين ، وقال : جعل اللّه الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل اللّه الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد ، وقال : كانوا يراؤون بما يعملون والآن يراؤون بما لايعملون ، وقيل له : ما لنا لا نرى خائفا ؟ قال : لو كنت خائفا لرأيت الخائفين ؛

لأن الثكلى لا يراها إلا ثكلى ، وقال : من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه ، وقيل له : إن عليًا ابنك يقول : وددت أني بمكان أرى الناس ولايرونني ، فبكى وقال : ويح علي أفلا أتمها فقال : لاأراهم ولايرونى ، وقال : ابعد من القراء مااستطعت فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك فغطوا عليك عيوبك ، وإن أبغضوك جرحوك زوراً وبهتانا وقبل الناس منهم ذلك ، وقال : قراء الرحمن أهل ذبول وخشوع وقراء الأمراء أهل كبر وعجب وازدراء للناس ، وقال : إذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلوا بربى ولا أرى الناس ، وإذا طلع الفجر استرجعت كراهة لقائهم ، وقال : إني لأجد للرجل عندى يدا إذا لقينى لايسلم على ، فإذا مرضت لا يعودنى وقال من حرم العقل فليصب العمل فإن حرمهما فالموت خير له ، وقال : لو خيرت بين أن أبعث فادخل الجنة وأن لاأبعث أخترت أن لا أبعث ، وقال : لو خيرت بين أن أعيش كلبا وأموت كلبا ولا أرى يوم القيامة لاخترت ذلك ولا أراها ، وقال له رجل : كيف أصبحت ، وكان يثقل عليه ذلك فقال : في عافية ، قال : كيف حالك ؟ قال : عن أى حال تسأل عن حال الدنيا أو الآخرة ، أما الدنيا فقد مالت بنا وذهبت كل مذهب وأما الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفنى عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ، وقال : من أحب أن يذكر لم يذكر ومن كره أن يذكر ذكر ، وقال : عامل الله بالصدق فى السر فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته فى قلوب خلقه ، وقال : من خاف الله لم يضره شيء ومن خاف غيره لم ينفعه شيء ، وقال وعزته وجلاله لو أدخلنى النار وصرت فيها ماأيست منه ، وقال : ليست الدنيا دار أقامة وإنما هبط آدم إليها عقوبة ألا ترى كيف يزويها عن أحبابه ويمررها عليهم مرة بالجوع ومرة بالعرى ومرة بالحاجة ، وقال كثير من العلماء زيه أشبه بزى كسرى وقيصر ، منه بزى إمام المرسلين ، فإنه لم يضع لبنة على لبنة ولكن رفع له علم فشمر إليه ، وقال : إن قيل لك : حب الله أو تخاف الله فاسكت ، فإنك إن قلت : لا كفرت ، وإن قلت : نعم وليس وصفك وصف

المحبين والخائفين فاحذر المقت ، وقال : ما بكت عين عبد قط حتى يضع الرب سبحانه يده على قلبه ولا بكت عين إلا من فضل رحمة اللّه ، وقال : ليكن شغلك فى نفسك لا فى غيرك ، ومن كان شغله فى غيره فقد مكر به ، وقال : النظر إلى صاحب بدعة يورث العمى، وقال : ما تزين العباد بشىء أفضل من الصدق أن اللّه يسأل الصادقين عن صدقهم فكيف بالكاذبين ؟ ، وقال : إنما جعلت العلل ليؤدب بها العبـاد ليس كل من مرض مات ، وقال أوه كم من قبيح يكشف يوم القيامة غدا ، ومرض فحبس بوله فقال يحيى : إياك ألا أطلقته فشفى حالا ، وقال : يهابك الخلق على قدر هيبتك للّه ، وقال : لئن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحب إلى من أطلبها بالعبادة ، وقال : من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه وأضمر له البغض والعداوة لعنه اللّه وأصمه وأعمى بصر قلبه ، وقال : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه وليس من اللّه فى شىء ، وقال : إياك ومجالسة القراء ، فإن الغيبة فاكهتهم ، وقال : من طلب صاحبا بلا عيب صار بلاأخ ، وقال : عالم الآخرة علمه مستور وعالم الدنيا علمه منشور فاحذر مجالسه عالم الدنيا ، فإنه يفتن بغروره وزخرفته ودعواه العلم بغير عمل ، وقال : لو زهد العلماء فى الدنيا خضعت لهم الجبابرة ، وقال : من عرف مايدخل جوفه صار عند اللّه صديقا ، وكان إذا صلى العشاء انتصب للصلاة إلى الفجر ، وربما مسك لحيته وهو واقف ويكى حتى بل الثرى من العشاء إلى الصباح ، ويقول : ويحك يا فضيل كنت فى صباك فاسقا ؛ وصرت فى آخر عمرك مرائيا والله للمرائى أشد من الفاسق . وكان كثيرا ما يغلب عليه النوم فيصير دائرا فى داره تصدم رأسه الحيطان إلى الصباح ثم ينشد :

وكيف تنام العين وهى قريرة ولم تدر فى أى المحلّين تنزل

وقال أوحى اللّه إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت وخضع طور سيناء ، فكلم موسى عليه السلام وقال شعيب بن حرب : بينما أنا أطوف إذ لكزنى رجل بمرفقه فالتفت فإذا الفضيل فقال : ياأبا صالح إن ظننت

أنه شهد الموسم من هو شر منى ومنك فبئسما ظننت ، ودخل عليه الحسن بن زياد فقال : يا حسن عساك ترى أن بالمسجد الحرام رجلا شرا منى ومنك إن كان ذلك منك فقد ابتليت بعظيم ، وبلغه أن العيص بن إسحاق اشترى دارا وكتب كتابا وأشهد عدولا فأرسل إليه فقال : بلغنى كذا ، فقال : قد كان ، قال : إنه يأتيك من لا ينظر فى كتابك ولايسأل عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصا فانظر لاتكون اشتريتها من غير مالك أو ورثت مالا من غير حله ولو كتبت حين اشتريت هذا مااشترى عبد ذليل ميت من ميت قد أزعج بالرحيل اشترى منه داراً تعرف بدار الغرور حد منها فى زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين ويجمع هذه الدار حدود أربعة الأول ينتهى إلى دواعى العاهات ، والثانى إلى دواعى المصيبات ، والثالث إلى دواعى الآفات والرابع إلى الهوى المردى والشيطان المغوى ، وفيه يشرع باب هذه الدار على الخروج من عز الطاعة إلى الدخول فى ذل الطلب ، ورأى رجلا يضحك فقال : لا تفرح إن اللّه لايحب الفرحين وقال حقيقة المحبة إيثار المحبوب على الكونين فى القرب والبعد ، وقال : من ادعى العبودية وله مراد باق فقد كذب ، وكان يعاتب نفسه ويقول : أى شئ تخاف ، أتخاف أن تجوع ؟ لا تخف فأنت أهون على اللّه من ذلك إنما يجوع محمد صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه ، وكان يقول : أجعتنى وأجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليل بلا مصباح ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك ، ودخل عليه قوم فقال : ممن ؟ قالوا : من خراسان قال : اتقوا اللّه وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ، ورأى رجلا مغموماً فقال : أتخشى أن يكون لك رزق لا تستوفيه قال : لا قال : أفتخشى أن يكون غير ما شاء اللّه ؟ قال : لا قال : فلأى شئ غمك ، وقال : علمت أن الدنيا تفارقنى اضطراراً ففارقتها اختياراً ، مات سنة سبع وثمانين ومائة عن نحو ثمانين سنة ودفن بباب المصلى ، وكان من أعظم أئمة المحدثين ، خرج له الجماعة إلا ابن ماجه ، وعنه

أخذ الشافعى وابن المبارك رضى الله عنهما وأسند الستة إليه وخلق ، قال الذهبى وغيره : كان سيداً عابداً ورعا زاهداً إماما ربانيا عالما فقيها ، وناهيك بقول ابن المبارك رضى الله عنه : ما بقى على ظهر الأرض أفضل منه ، أخرج ابن عساكر عن بعض المكيين رأيت سعد بن سالم القداح فى النوم ، فقلت : من أفضل من هذه المقبرة ؟ قال : صاحب ذاك القبر ، قلت : بما فضلهم قال : أبتلى فصبر ، قلت : ما فعل فضيل قال : هيهات كسى حلة لاتقوم لها الدنيا بحواشيها .

(١٥٨) فتح بن سعيد الموصلى[1]

كان من أكابر الأولياء . وأعاظم الأصفياء ، ذا جد واجتهاد فى التعبد وشجاعة ، ورفض للدنيا وقناعه ، وجود نفس وكرم ، وتهجد تشهد له حنادس الظلم ، وكان كهيئة الروحانيين معلق القلب بالله وبما هناك ليست له فى الدنيا راحة ، وكان يبكى فينحدر الدم من عيونه ، وكان يقول فى جوف الليل : رب أجعتنى وأعريتنى وفى ظلم الليل أجلستنى فبأى وسيلة أكرمتنى هذه الكرامة ؟ !! وكان يبكى ساعة ويفرح ساعة ، قال المعافا بن عمران : دخلت عليه فرأيته قاعداً فى الشمس وصبية له عريانة وابن له مريض فقلت له : أئذن لى حتى أكسو هذه الصبية قال : دعها حتى يرى الله صبرها وصبرى عليها فيرحمها فتجاوزت إلى الصبى فقعدت عند رأسه فقلت : حبيبى تشتهى شيئا فأحمله إليك ؟ فرفع رأسه إلى السماء وقال : منى الصبر ومنك البلاء .

(ومن كراماته) أنه كان يمشى على الماء ،ومنها ما قال أبو عبد الله ابن الجلاء : كنت ببغداد عند سرى السقطى رضى الله عنه فقام عند مضى جانب من الليل ليزور فتح الموصلى ، فأخذه العسس وأمر بضربه فرفع الجلاد يده بالسوط فوقفت ولم يستطع إرسالها ، فنهره الأمير ، فقال بجانبى شيخ يقول

(١) ابو محمد الفتح بن سعيد الموصلى ، طبقات االشعرانى ١/ ٦٨ ؛ والنبهانى ٢/ ٢٣٣ .

لاتضرب فلم أقدر أن أحرك يدى فنظر فإذا هو فتح .

(ومن كلامه): من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب ومن آثره على هواه ، أورثه ذلك حبه إياه ، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ، أورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم ؛ وزار إبراهيم بن موسى يوم عيد فرأى الناس عليهم الطيالس والعمائم والملابس ، فقال : إنما ترى ثوبا يبلى وجسداً يأكله الدود غدا ، هؤلاء أنفقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم ويقدمون على ربهم مفاليس ، مات سنة عشرين ومائة .

حرف القاف

(١٥٩) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق[١]

الضرع الشفيق ذو الحسب العتيق ، كان بغوامض الأحكام فائقا ، وإلى محاسن الأخلاق سابقا ، وقد قيل : التصوف الفتق للرتق ، والرفو للفتق، قال أيوب السختيانى : ما رأيت أفضل من القاسم لقد ترك مائة ألف وهى له حلال ، وكان عالما فقيها مفتيا ورعا زاهداً حجة ، ولما مات عبد الملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفا منعه من العيش ولبس مسحا سبعين ليلة ، فقال له القاسم : أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النعم بالتجمل ،فراح فى يومه فى مقطعات من حبر اليمن شراؤها ثمانمائة دينار .

(ومن كلامه) : لأن يعيش الرجل جاهلا بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول مالا يعلم ، مات سنة سبع ومائة ،أسند الحديث عن عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم وخرج له الستة .

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/٣٣٣ ـ ٣٣٥ ؛ والشذرات ١ /١٣٥ .

(١٦٠) قتادة بن دعامة السدوسى أبو الخطاب [١]

الحافظ الرغاب ، والواعظ الرهاب كان عالما حافظا ، عاملا واعظا ، وقد قيل : التصوف المراعاة والاحتفاظ ، والمعاناة والاتعاظ ، كان فارس العلم حافظ الدهر .

(ومن كلامه) مانهى الله عن ذنب إلا علم أنه موقع لكن تقدمه حجة ، وقال : عليكم بالوفاء بالعهد فإن الله ذكره فى بضع وعشرين آية نصحا لكم ، وقال : من يتق الله يكن الله معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التى لاتغلب والحارس الذى لاينام والهادى الذى لايضل ، وقال : كل خلة تصير على أهلها عداوة يوم القيامة ، إلاخلة المتقين ، وقال : الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، والآخرة دار بقاء ثم دار جزاء ، فكونوا ممن يصرم حاجة الدنيا لحاجة الآخرة ، مات بين الحرمين حاجا سنة ثمان أو تسع عشرة ومائة عن نحو سبعين سنة ، وقد ذهب بصره ، أسند الحديث عن أنس وغيره .

(١٦١) قسامة بن زهير [٢]

كان عارفا بالتصوف ، ماهراً فى طريق التعرف .

(ومن كلامه) : روِّحوا القلوب بالذكر ، وقال : حدث إبراهيم عليه الصلاة والسلام نفسه أنه أرحم الخلق ، فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم ، فقال : يارب دمر عليهم ، فقال : أنا أرحم بعبادى منك فاهبط فلعلهم يتوبون .

---

(١) تهذيب التهذيب١/٣٥١ ـ ٣٥٦ ؛ والشذرات ١ /١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) قسامة بن زهير المازنى التميمى البصرى ، تهذيب التهذيب ، ٣٧٨/٨ .

حـرف الكاف

(١٦٢) كعب الأحبار أبو إسحاق الحميرى [(١)]

البحر الزخار ، المشتهر بالعلم والزهد كأنه علم على رأسه نار ، وهو صاحب الكتب والأسفار ، الكاشف عن المكتوم والأسرار ، والمشير إلى المشاهد والآثار ، المحدث بما فى الكتب المتقدمة من العجائب والأخبار ، وقد قيل : التصوف مفارقة الأشرار ، ومصادقة الأخيار، ومتابعة الآثار والأخبار ، كان يهوديا فأسلم وقدم المدينة ، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص ، قال ابن عباس له : ما منعك أن تسلم حتى لزمن عمر ؟ قال : كتب لى أبى كتابا من التوراة وختمه وعهد لى ألا أفضه ، فلما رأيت الإسلام يظهر ، قلت : لعله غيبُ غيبَ عنى علما ففضضته فإذا فيه صفة المصطفى وأمته فأسلمت ، ومن فوائده العظيمة المقدار : أنيروا بيوتكم بذكر الله كما تنيرون به قلوبكم ؛ وقال : ما استقر لأحد ثناء فى الارض إلا بعد استقراره فى السماء ، وقال : ماأحد يساق إلى النار إلاّ وهو مسودّ الوجه مغلول إلا هذه الأمة يساقون إليها بألوانهم ، وقال : إنما سمى الخليل أواها ؛ لأنه كان إذا سمع بذكر النار قال : أوه ، وقال : يوشك أن تروا الجهال يتباهون بالعلم ويتغايروا على التقدم عند الأمراء كمايتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم ، وقال : لا يذهب ألم الموت عن الميت ما دام فى قبره ، وقال : ما من بيت فيه أحد إلا والموت يقف على بابه فى كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر به فيتوفاه ، وقال : أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام تعلم الخير وعلمه الناس فإنّى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لايستوحشوا لمكانهم ، أخرجه عنه أحمد فى الزهد ، وقال : لئن أبكى من خشية الله ودموعى تسيل على وجهى أحب إلى من أن أتصدق بوزن

---

(١) ابن الأثير ٢/٩ ؛ والطبرى ٢/١٨٥ ؛ والمرزبانى٣٤١ ؛ والسبائك ٦٢ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٣٠ ؛ وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠ ، والشذرات ١/ ٤٠ .

جبل ذهبا ، وقال : ما سرق سارق شيئا إلا احتسب عليه من رزقه ، وقال : مؤمن عالم أشد على إبليس من مائة ألف مؤمن عابد ، وقال : فاتحة التوراة فاتحة سورة الأنعام وخاتمتها خاتمة سورة هود ، وقال : إن للذكر دويا تحت العرش كدوى النحل يذكر صاحبه ، وقال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج ببنى إسرائيل فاستسقوا مرارا فلم يسقوا ، فأوحى الله إليه : لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام ، فقال : ومن هو حتى نخرجه يا رب ، فقال : يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فقال : موسى توبوا بأجمعكم من النميمة فتابوا ، فأرسل الله الغيث ، وقال : اغتنم تنفس الأجل وإمكان العمل ، واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك فى أجل محدود وعمر غير محدود ، وقال : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ، وقال : لا تستشر الحاكة فإن الله سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم ، نقله عنه فى الربيع ، وقال : من أراد أن لايتخم من طعام فليقرأ عندأكله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وقيل له : ما الداء الذى لا دواء له ؟ قال : الموت ، وقال لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك فى قومك ؟ قال : حسنة ، قال : إن التوراة تقول : إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وقال : من يعبد الله ليلة حيث لايراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته ، وقال : التخلق إلى أربعين يوما ثم يعود إلى خلقه الذى هو خلقه ، وقال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى المصلين بالليل فى بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء ، وقال له عمر رضى الله عنه : خوفنا يا كعب فقال : ياأمير المؤمنين : لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب فقال : لو فتح من جهنم مقدار منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها ، فأطرق مليا ثم قال : زدنا فقال : إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى

ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا خر جاثيا ويقول : يا رب نفسى نفسى لاأسألك اليوم غيرها ، أسند كعب عن عمر وصهيب وعائشة ، رضى اللّه تعالى عنهم ، ومات بحمص سنة ثنتين وثلاثين في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى اللّه عنه .

(حرف الميم)

(١٦٣) مالك بن دينار [1]

الإمام المكثار ، والعارف النظار ، صوفى قدره كبير ، وعالم ليس له نظير ، قدوة فى معرفة التصوف مشار إليه فى المحافل ببنان التقدم والتعرف ، نعم وكان لشهوات الدنيا تاركا ، وللنفس عند غلبتها مالكا ، وقد قيل : التصوف تذلل وإضجار ، وتملق وافتقار ، قال ابن الجوزى فى كتاب التوابين : إنه كان أولا شرطيا وإنه سئل عن توبته فقال : اشتريت جارية فوقعت منى أحسن موقع وولدت منى بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض من قلبى حبا وألفتنى وألفتها ، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدنى حزنها ، فلما كانت ليلة نصف شعبان وكانت ليلة جمعة رأيت فى منامى أن القيامة قامت ونفخ فى الصور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أسود أزرق فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا مرعبا فمررت فى طريقى بشيخ نقى الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت : أجرنى من هذا التنين أجارك اللّه فبكى وقال : أنا ضعيف وهذا أقوى منى مر وأسرع لعل اللّه أن يقيض لك ما ينجيك منه ، فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فكدت أهوى فيها من فزعى فصاح صائح ، ارجع فلست من أهلها فاطمأننت لقوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت : سألتك أن تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى وقال : أنا ضعيف ،

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٤٠ ؛ وحلية الأولياء ٢/ ٣٥٧ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٤ ـ ١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ٤٧٠ ؛ والشذرات ١/ ١٧٣ ، ومرآة الجنان ١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فتنصرك ، فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة ، ستور معلقة على كل طاقة مصراعان من ذهب أحمر على كل مصراع ستر من حرير فلما نظرت إليه هرولت ، والتنين من وراءى حتى أذا قربت منه صاح بعض الملائكة أرفعوا الستور وافتحوا المصارع فأشرفوا على فرأيت أطفالا كالأقمار وقرب التنين منى فحرت فى أمرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجا بعد فوج فإذا أنا بابنتى التى ماتت فنظرت إلى وبكت وقالت : أبى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندى ومدت يدها الشمال إلى يدى اليمين فتعلقت بها ومدت يدها اليمين إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستنى وقعدت فى حجرى وضربت بيدهـــا اليمين إلى لحيتى وقالت ياأبت « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فبكيت وقلت : وأنتم تعرفون القرآن ؟ قلت : نحن أعرب به منكم ، قلت : فأخبرينى عن التنين الذى أراد أن يهلكنى ، قلت : ذلك عملك السيىء قويته فأراد إغراقك فى نار الجحيم ، قلت : فالشيخ ، قالت : عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السيىء ، فقلت : يا بنية ما تفعلون فى هذا الجبل ، قالت : أطفال المسلمين أسكنوا فيه إلى قيام الساعة ، ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم ، قال مالك رحمه الله : فانتبهت فزعا مرعوبا فكسرت آلات المخالفة وعقدت مع الله عز وجل توبة نصوحا فتاب على سبحانه ، (وحكى) قال : كان لى جار يفعل الفواحش فتأذى منه الجيران وأتونى فأحضرناه ، وقلنا : اخرج من المحلة ، قال : أنا فى منزلى لا أخرج قلنا : بعه قال : لا أبيع ملكى ، قلنا : نشكوك للسطان ، قال : أنا من أعوانه قلنا : ندعو عليك ، قال : الله أرحم بى منكم ، فغاظنى ذلك ، فلما جن الليل دعوت عليه فقيل لى : إنه من الأولياء ، فحضرت إلى بابه فعرج لى باكيا تائبا وفارقنا فلم نره إلا بالمسجد الحرام مريضا مطروحا فلم يلبث أن مات ، قال الغزالى رحمه الله : قال مالك : لا يتفق اثنان فى عشرة إلا أن كان فى أحدهما وصف من الآخر ، وأشكال الناس

على أجناس الطير فلا يتفق نوعان منه إلا وبينهما مناسبة ، فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب ثم طارا فإذا هما أعرجان ، قال : من هنا أتفقا ، ولذلك قال الحكماء : كل إنسان يألف إلى شكله وإذا اصطحب اثنان برهة ولم يتشاكلا فلابد أن يفترقا ، انتهى ، ودخل لص داره فما وجد شيئا يسرقه فجاء ليخرج ومالك ينظره فقال سلام عليك ، اعلم أن شيئا من الدنيا ما حصل لك فترغب فى شئ من الآخرة ؟ قال : نعم قال : توضأ وصلِّ ففعل إلى الصبح فخرج به مالك إلى المسجد فقال أصحابه : من هذا ؟ قال جاء يسرق فسرقناه .

(ومن كلامه) : خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيب شىء فيها وهو معرفة الله ، وقال : ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله ، وقال : قال فى التوراة : أيها الصديقون تنعموا بذكرى فى الدنيا فإنه لكم فى الدنيا نعيم وفى الآخرة جزاء ، وقال : لايبلغ الرجل منزلة الصِّديق حتى يأوى مزابل الكلاب ، وقال : نظرت فى كل إثم فلم أجده إلا حب المال ، وقال : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وقال : يا معشر الأغنياء موتوا كمداً فإن العيش عيش الآخرة ، وقال : درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الغنى ، وقال : ما أنصفنا إخواننا الأغنياء يحبوننا فى الله ويفارقوننا فى الدنيا وإنه يأتى يوم يسرهم أن يكونوا بمنزلتنا ولايسرنا أن نكون بمنزلتهم ، وقال فى بعض الكتب : يقول الله : أهون ما أنا صانع بالعَالِم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه ؛ وقال : إذا ذكر الصالحون فأف لى وتف ، وقال : تلقى الرجل وما يلحن حرفا وعملهم لَحنُ ، كلهم ، أعربوا فى كلامهم ولحنوا فى أعمالهم ، فما أعربوا ؟ وقال : إذا لم يكن فى القلب حزن خرب كما إذا لم يكن فى البيت ساكن يخرب ، وقال : البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا راحة ، وكذا القلب إذا غلبه حب الدنيا لا ينجع فيه وعظ ، وقال : اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء ، وقال : من كان فى قلبه شعبة من الأيمان فلا يركن إلى التسويف ، وقال : من كانت دنياه همه كثر فى الدارين غمه ، وقال : إن لله عقوبات فتعاهدوا أنفسكم والأبدان ضيقا فى المعيشة ووهنا فى العبادة وسخطا فى الرزق ، وما ضرب عبد بعقوبة

أعظم من قسوة القلب ، وقال : قال موسى : يا رب ، أين أبغيك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم ، وقال : من فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه وقال : رأيت جبلا عليه راهب فناديته : أفدنى شيئا مما يزهِّد فى الدنيا ، قال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد فافعل ، وقال : من علامة حب الدنيا أن يكون دائم البطنة قليل الفطنة همته بطنه وفرجه ، يقول : متى أصبح فألهو وألعب وآكل وأشرب ، متى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطّال بالنهار ، وسئل عن لبس الصوف ، فقال : أما أنا فلا أصلح له لأنه يطلب صفاء ، وقال : ما بقى لأحد رفيق يساعده على عمل الآخرة إنما هم يفسدون على المرء قلبه ، وقال : من غلب شهوته فذاك الذى يفر الشيطان من ظلّه ، وقيل له : ألا تتزوج ؟ قال : لو استطعت أن أطلق نفسى طلقتها ، وقال : إنما بطن أحدكم كلب فألق إلى الكلب كسرة يسكن ولا تجعلوا بطونكم حربا للشيطان يرعى فيها ما شاء ، وقال : حلوا أنفسكم من الدنيا وثاقا وثاقا ، وقال : قال فى الزبور : إنى أنتقم من المنافق للمنافق وأنتقم من المنافقين جميعاً ، وقال : قال عيسى : خوف اللّه وحب الفردوس يباعدان من حب الدنيا ويورثان الصبر على المشقة ، وقال بحق أقول لكم : أكل الشعير والنوم على المزابل قليل فى طلب الفردوس ، وقال : أجيعوا أنفسكم وأعروها لعل قلوبكم تعرف اللّه ، وقال : لولا يقول الناس جن مالك للبست المسوح ووضعت الرماد على رأسى وأنادى فى الناس من رآنى فلا يعصى ربه ، وقال : كل جليس لاتستفيد منه خيراً فاجتنبه ، ومر برجل فوجد كلبا قد وضع حنكه على ركبته فذهب يطرده ، فقال : دعه هذا لايضر ولايؤذى وهوخير من جليس السوء ؛ ووقع حريق بحيّه فقال شباب القوم ببيت مالك فأسرعوا إليه فخرج إليهم متزراً ببادية وبيده مطهرة وهو يقول : نجا المخففون ، وقيل له : ألا ندعو لك قارئا يقرأ ؟ قال : الثكلى لاتحتاج لنائحة ، وكان لايخرج مع الناس للاستسقاء ، ويقول أخشى أن لا تجابوا من أجلى ، وقال : علامة محبه اللّه مداومة ذكره لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره ، وقال من لم يأنس بمحادثة اللّه عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وعمى قلبه ، وضيع عمره وقال : الناس يستبطئون المطر ، ومالك يستبطئ

الحجر، وقال : قد اصطلحنا كلنا على حب الدنيا ، فلا عالم ولاصالح يعيب على أخيه حبها مع أنها رأس كل خطيئة ، وشفع عند مكاس فأجاب ، وقال : ادع لى ، فقال كيف أدعو لكم وألوف تدعو عليكم ؟ أيستجاب لواحد دون إلف ، وقال : أصاب بنى إسرائيل قحط فخرجوا مراراً للاستسقاء فأوحى الله إلى نبيهم أن يخبرهم أنكم تخرجون إلىّ بأبدانٍ نجسة وترفعون إلى أكفًا سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام ، الآن قد اشتد غضبى عليكم ولم تزدادوا منى إلا بعداً، وقال فى بعض الكتب : يقول الله : يا ابن آدم خيرى ينزل عليك وشرك يصعد إلى ، وأتحبب إليك بالنعم وتتبغض إلى بالمعاصى ، وفى بعضها : إنى أنا الله مالك الملوك قلوب العباد بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشتغلوا بسب الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم ، وقال : عرس المتقين يوم القيامة ، وقال : من صَفِيَ صفى له ومن خلط خلط له ، وقال : افتضحوا فاصطلحوا ، وقال : دخل عيسى بيت المقدس فوجدهم يتبايعون فيه فجعل ثوبه مِخْراقا وسعى عليهم ضربا ، وقال : يا بنى الحيات والأفاعى اتخذتم مساجد الله أسواقا !! ، وقال : السوق مكثرة للمال مذهبة للدين ، وقال : حُبس المطر فاستسقينا مراراً فلم نسق ، فانصرف الناس وبقيت بالمصلى ، فلما أظلم الليل إذا أنا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن فصلى ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : سيدى إلى كم ترد عبادك فيما لاينقصك أنفذ ما عندك ؟ !! أقسمت عليك بحبك لى إلا سقيتنا الساعة ، فما تم كلامه حتى أمطرت كأفواه القرب فخرجنا نخوض فتعرضت له ، فقلت : أما تستحى تقول بحبك لى وما يدريك أنه يحبك ؟ قال : يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصنى بتوحيده ومعرفته أتراه بدأنى بذلك إلا لمحبته لى ثم بادر يسعى فقلت أرفق فقال : أنا مملوك على طاعة مالكى الصغير ، فسألت عن مالكه فقلت : بعينه فقال : هذا غلام مشئوم لاهمة له إلا البكاء ، قلت : و لذلك أريده فاشتريته ، فقال : لماذا اشتريتنى ؟ فقلت : لأخدمك فدخل مسجداً فصلى ، وقال : سرّ كان بينى وبينك أظهرته لمخلوق أقسمت عليك إلا قبضتنى ، فإذا هو ميت ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة ، ورؤى فى النوم فقيل : ماذا قدمت به على الله ؟ قال : قدمت بذنوب كثيرة محاها حسن الظن بالله تعالى .

(١٦٤) الامام مالك بن أنس[1]

الإمام المشهور صدر المدرسين الصدور ، أكمل العقلاء ، وأعقل الفضلاء ورث حديث الرسول ، ونشر فى أمته الأحكام والأصول ، تحقق بالتقوى ، وابتلى بالبلوى ، قد قيل : التصوف تحقق فى التقوى ، وتخلق فى البلوى ، أخذ العلم عن سبعمائة شيخ فأكثر ، وماأفتى حتى شهد له سبعون إماما أنه أهل لذلك ، وكتب بيده مائة ألف حديث ، وجلس للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة ، وصارت حلقته أكثر من حلقة مشايخه فى حياتهم ، وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه كازدحامهم على باب السلطان ، وله حاجب يأذن عليه فيأذن أولا للخاصة فإذا فرغوا أذن للعامة ؛ وإذا جلس للفقه جلس كيف كان ، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيّب ولبس ثيابا جددا وتعمم وقعد على منصة بخضوع وخشوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى آخره بعودٍ أدباً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى بلغ من تعظيمه له أنه لدغته عقرب وهو يحدث ست عشرة مرة فصار يصفر ويتلوى حتى تم المجلس وتفرق الناس ، وقال : صبرت إجلالا للمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وكان ربما يقول للسائل : انصرف حتى أنظر فقيل له فيه فبكى وقال : أخاف أن يكون لى من السائل يوم وأى يوم ، وكان اذا أكثروا سؤاله كفهم ، وقال : حسبكم من أكثر أخطأ ومن أحب أن يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجيب ، وقد أدركناهم إذا سئل أحدهم فكأن الموت أشرف عليه ، وسئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين لاأدرى ، وقال : ينبغى للعالم أن يُورِّث جلساءه لاأدرى ليكون أصلا فى أيديهم يفزعون إليه ، وكان إذا شك فى الحديث طرحه ، وإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسه ، وقال : تصحح ما قاله ثم تخرج ، وكان يقام بين يديه الرجل كمايقام بين يدى الأمراء ، وكان شديد التمسك بالسنة وكثيراً ماينشد :

---

(١) الديباج المذهب ١٧ ـ ٣٠ ؛ والوفيات ٤٣٩/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٥/١٠ ؛ وصفة الصفوة ٩٩/٢ ؛ وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦ ، واللباب ٨٦/٣ ، وتاريخ الخميس ٣٣٢/٢ ، وسركيس ، معجم ، ١٦٠٩ ، والشذرات ٢٨٩/١ ـ ٢٩٢ ، ومرآة الجنان ٣٧٣/١ .

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وناهيك بقول الإمام أحمد رضى اللّه عنه فيه : إذا رأيت الرجل يكرهه فاعلم أنه مبتدع ، وألف الموطأ فى أربعين سنة فأكثر الناس من عمل الموطآت فقيل له شغلت نفسك بعمله وقد أشركك الناس فيه ، قال لتعلمن ما أريد به وجه اللّه فكأنما ألقيت تلك الموطآت فى الآبار ، وكان يقول عند قيامه ما شاء اللّه لا حول ولا قوة إلا باللّه ، قال ابن إسحاق : ما صعبت على مسألة نقلتها له إلا انكشفت لى ، وقال الحارث بن حسن : دخلت على مالك وابن القاسم وابن وهب فودعه كلٌّ ، فقال له ابن وهب أوصنى ، فقال اتق اللّه وانظر عمن تنقل ، ولابن القاسم اتق اللّه وانشر ما علمت ، ولى : اتق اللّه وعليك بتلاوة القرآن فلم يرن أهلا لذلك ، وكان يرى المصطفى صلى اللّه عليه وسلم كل ليلة فى النوم ، وكان مهابا جدا اذا أجاب فى مسألة لايمكن أن يقال له : من أين ؟ ودخل عليه المنصور وهو على فرشه وصبىّ يخرج ثم يدخل ، فقال تدرى من هذا هو ابنى وإنما يفزع من هيبتك ، ومن ثم انشد فيه .

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وأقام خمساً وعشرين سنة لايخرج للجماعة ، ويقول : أخاف أن أرى منكرا لا يمكننى تغييره ، ومكث سنين لا يخرج للجمعة فسُئلَ عنه ، فقال : للناس أعذار واحتمل الناس له ذلك فكانوا أرغب ما كانوا فيه وأشد تعظيما له ، وفى الإحياء أنه كان يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك واحداً واحداً ثم تركها كلها ، وقال : لا يتهيأ للرجل أن يخبر بكل عذر له ، وقيل له : كيف أصبحت قال فى عمر ينقص وذنوب تزيد ، وقال أشهب بن عبد العزيز رأيت أبا حنيفة رضى اللّه عنه بين يدى مالك رضى اللّه عنه كالصبى بين يدى أمه ، قال الذهبى رحمه اللّه وهذا يدل على حسن أدب أبى حنيفة رضى اللّه عنه وتواضعه مع كونه أسن من مالك رضى اللّه عنه بثلاث عشرة سنة ، وكان

لا يدخل الخلاء إلا كُلّ ثلاثة أيام مرة ويقول : واللّه قد استحييت منه من كثرة ترددى للخلاء ، وكان يرخى الطيلسان على رأسه حتى لا يَرى ولا يُرى ، ولما ألف الموطأ اتهم نفسه فى الإخلاص فيه فألقاه فى الماء ، وقال : إن ابتل لا حاجة لى به فلم يبتل منه شئ .

(ومن فوائده ودقائق إشاراته) ماثم أحد يخاف عليه يوم القيامة كالعلماء فإنهم يسألون عما يسئل عنه الأنبياء ؛ وقال : المنافق بالمسجد كالعصفور فى القفص ، إذا فتح طار ، وقال : العلم ليس بكثرة الرواية بل نور يضعه اللّه فى القلب يفرق به بين الحق والباطل ، وقال : إذا علمت علما ظهر عليك أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لحديث « العلماء ورثة الأنبياء » وقال : أدركت الناس وهم يتعلمون العلم حتى يصل أحدهم إلى الأربعين فينقطع للعبادة ويطوى الفراش ويقوم الليل كله ، وقال : ما جالست سفيها قط ، قال : لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلا ، وقال : المراء والجدال فى العلم يذهب بنوره من القلب ، وقال : من صدق فى حديث متع بعقله ولم يصبه هم ولا خوف ، وقال طلب الرزق فى شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس ، وسئل عن كيفية الأستواء على العرش ، فقال بعد إطراق وتفكّر : الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ووقع فى زمنه أن امرأة غسلت أخرى فضربت بيدها فرجها ، وقالت : ما كان أزناك فلصقت يدها به وتحيروا فى خلاصها ، فسألوه ، فقال : الغاسلة قذفت الميتة فخذوها للقذف ففعلوا فخلصت يدها ، ولما اختفى أيام الفتنة ، قال لمطرف : ما يقول الناس فىَّ ؟ قال : الصديق يثنى والعدو يقع ، قال : ما زال الناس هكذا عدو وصديق ، لكن نعوذ باللّه من تتابع الألسنة بالذم ، وقال بكر بن سليم الصواف : دخلنا على مالك العشية التى مات فيها فقلنا : كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ماأقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو اللّه ما لم يكن لكم فى حساب ، ثم ما برحنا أن أغمضناه ، وذكر القشيرى أنه قيل له : ما فعل اللّه بك بعد موتك ؟ قال : غفر

لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى اللّه عنه عند رؤية الجنازة ، سبحان الحى الذى لايموت ، ولد سنة بضع وتسعين بعد ما حملت به أمه ثلاث سنين وامتحن فى خلافه المنصور أو الرشيد لإفتائه بعدم وقوع طلاق المكره أو تقديمه عثمان على على رضى اللّه عنهما ، فضربه أمير المدينة من ثلاثين إلى مائة ومدت يداه حتى أنحلت كتفاه ، وصار بعد ذلك لا يمكنه رفع يديه حتى مات وصار يقول حين ضربه : اللهم اغفر لهم فأنهم لايعلمون ، وحُمل مغمى عليه فلما أفاق قال : أشهدكم إنى جعلت ضاربى فى حل ومازال يعد الضرب فى رفعة من الناس وإعظام حتى كأن تلك الأسواط حليا حلى به ، مات بالمدينة سنة سبع وتسعين ومائة ، وقيل : اثنتين وتسعين ومائة ، وقيل غير ذلك ؛ وأفرد الذهبى رضى اللـه عنه ترجمته بمؤلف حافل ، وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : رأيت أبى فى النوم وعليه قلنسوة طويلة فقلت : ما فعل اللّه بك ؟ قال : زينّى بزينة العلم ، قلت فأين مالك بن أنس ؟ قال : فوق فوق فلم يزل يكرر فوق ويرفع رأسه حتى سقطت القلسوة عن رأسه ، رضى اللّه تعالى عنه وأرضاه .

(١٦٥) مجاهد بن جبر[1]

الإمام أبو الحجاج المخزومى المكى المقرى المفسر الحافظ الواعظ العابد الزاهد ، أحد أوعية العلم وعظماء التابعين ، كان يضرب به المثل فى كثرة الصيام والقيام .

(ومن كلامه) : إنى لأرى الرجل على معصيته فأرجو له المغفرة أكثر من رجائى فى طاعتى ، وإذا نظرت إلى عظمة من تعصيه كانت الصغائر كبائر ، وقال : لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ربه : ابن للخراب وَلدْ للفناء ،

(١) طبقات الفقهاء ٤٥ ؛ وغاية النهاية ٢/ ٤١ ، وصفة الصفوة ٢/ ١١٧ ؛ وميزان الاعتدال ٣/ ٩ ؛ وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ ، ومرآة الجنان ١/ ٢١٤ ؛ والشذرات ١/ ١٢٥ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢ ـ ٤٤ .

وقال : ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت ، فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا ، وقال ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكر ، فمن أهل الذكر وإن كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو ، وقال : إذا مات الميت فملك قابض نفسه ، فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وحمله حتى يصل إلى قبره ، وقال : لا تكون من الذاكرين الله كثيراً حتى تذكره قائما وقاعداً ، ومضطجعا ونائما ، وقال : ليكن آخر كلامك عند نومك : لا إله إلا الله ، فقد تكون المنية ، مات وهو ساجد سنة اثنتين أوثلاث ومائة عن ثلاث وثمانين سنة وخرج له الستة .

(١٦٦) محمد بن سيرين[1]

ذو العقل الرصين والورع المتين ، كان ذا زهادة وأمانة ، وحيطة وصيانة ، كان بالليل بكّاء نائحا وبالنهار بسّاما سائحا ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً . وقد قيل : التصوف ، التذلل والإطعام ، والطول والإنعام ، وكان إماما في العلوم الشرعية والتعبير والزهد والورع ، أدرك ثلاثين صحابيا ، وقيل له : ياأبا بكر إن رجلا اغتابك افتحله ؟ قال : ما كنت لأحل شيئا حرمه الله ، وكان إذا سئل عن حرام أو حلال تغيّر لونه ، وقال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، وحبس في دين فقال له السجان : امض لبيتك ليلا وامكث هنا نهارا ، فقال : ماأعينك على خيانة أمانتك ، وسئل عن من يحضر السماع فيصعق ، فقال : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن كله فإن سقطوا فهم كما يقولون ، وقال : إن كلفتني ما لم أطق ساءك

---

(١) تهذيب التهذيب ٢١٤/٩ـ ٢١٧ ؛ ووفيات الأعيان ٤٥٣/١ ؛ وحلية الأولياء ٢٦٣/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٣٣١/٥ ؛ والوافي بالوفيات ١٤٦/٣ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ص ٢٨٠ ، والشذرات ١٣٨/١ ؛ ومرآة الجنان ، ٢٣٢/١ .

ما سرك منى من خلق ، قال العجلى رحمه الله : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ولا أروع فى فقهه منه ، وكان المتمنى إذا تمنى يقول : ياليتنى فى ورع ابن سيرين ، واشترى أربعين جبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من جب ثم لم يدر من أيها أخرجها فصبها كلها ، وكان لا يدع أحداً يمشى معه وله بيوت لا يكريها إلا لأهل الذمة فسئل عنه ، فقال : إذا جاء رأس الشهر روعته وأكره أن أروع مسلما ، كان له سبعة أوراد ليلا فإذا فاته منها ورد قرأه نهارا وما رآه أحد إلا ذكر الله ، وكان إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته ، وقال : إذا اتقى الله العبد فى اليقظة لم يضره مارئى له فى المنام ، وقال : مثل من يجلس ولا يخلع نعليه كدابة يوضع عنها الحمل دون الإكاف ، وقال : من رأى ربه فى نومه دخل الجنة ، وقال له رجل : رأيت إنى أبول دما ، قال تأتى امرأتك وهى حائض ، ورأى رجل كأن فى حجره صبيا يصيح فقال له : اتق الله ولا تضرب بالعود ، ورأت امرأة أنها تحلب حية فقال : اللبن فطرة والحية عدو وهذه يدخل عليها أهل الأهواء ، ورأى كأن الجوزاء تقدمت الثريا ، فقال يموت الحسن وأموت بعده ، وقال له رجل : رأيتنى أحرث أرضا لا تنبت ، قال : أنت تعزل عن امرأتك ، وقال رجل : رأيتنى أغسل ثوبى ولا ينقى ، فقال : أنت مصارم لأخيك ، وقال آخر : رأيت أنى أطير بين السماء والأرض ، قال : أنت تكثر المشى ، مات بالبصرة سنة عشر ومائة ، عن نيف وثمانين سنة .

(١٦٧) محمد بن كعب القرظى[١]

التابعى الكبير ، الصائم القائم ، المحب الهائم كان للحق نافذا ، وللباطل نابذا ، وللفقر وافدا وللغنى جاحداً ، وإلى المعالى صاعداً ولأسباب الخير صائدا ، وقد قيل : التصوف ، الحذر من الأهاويل والنفور عن الأباطيل ، وكان

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٢٩ ؛ والشذرات ١/ ١٣٦ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٥٨ .

يحث أصحابه على كثرة الذكر ليلا ونهاراً ، ويقول : لو رخص لأحد فى تركه لرخص لزكريا عليه السلام حين نذر ألا يكلم الناس ، لقوله : اذكر ربك كثيراً ، وقال : قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة ، وقال : لا تدخل الحكمة قلبا فيه عزم على معصية ، وقال : إذا صحت الضمائر غفرت الكبائر ، وقال رجل : أريد أعطى الله ميثاقا أن لا أعصيه أبداً ، فقال : ومن أعظم جرما منك الآن ، وأنت تتألى على الله أن لا ينفذ فيك قضاؤه وقدره ، إنما على العبد أن يتوب كلما أذنب ، وكان أصاب مالا كثيراً ففرقه فقيل له لو : ادخرت لولدك ، قال : لكنى أدخره لنفسى عند ربى وادخر ربى لولدى ، مات سنة ثمان ومائة وقيل : سبع عشرة وقيل : عشر وقيل : عشرين ومائة ، وكان يقص فسقط عليه المسجد ، أسند حديثا كثيراً ، خرج له الجماعة .

(١٦٨) محمد بن واسع(١)

العالم الخاشع ، الخامل الخاضع ، كان لله عاملا ، وفى نفسه خاملا ، وقد قيل : التصوف ، والخضوع والخمول ، والقنوع والذبول ، وكان يسمى زين القراء ، وعى فارعوى ، ونوى فاستوى ، قليل الكلام ، والرواية طويل الصمت والسعاية ، شديد التقشف بحيث لايلبس إلا قميصا واحداً خشناً ، وكان إذا وجد أحداً من أهل البصرة فى قلبه قسوة نظر إلى وجهه ، وكان وجهه كأنه وجه ثكلى ، ومن اشتهى أنه يبكى نظر إلى وجهه فبكى .

(ومن كلامه) : إذا أقبل العبد على الله أقبل عليه بقلوب المؤمنين ، وقال : القرآن بستان العارفين أينما حلوا منه حلوا فى نزهة ، وقال : لو كان للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا منى لنتن ريحى ، وقال : من مقت نفسه فى ذات الله أمنه الله من مقته ، وقال : أربعة يمتن القلب ، الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء وحديثهن ، وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك ، ومجالسة

(١) تهذيب التهذيب ٩/٤٩٩ ـ ٥٠٠ ؛ مرأة الجنان ١/ ٢٦٠ ؛ والشذرات ١/ ١٦١ .

الموتى ، قيل : ومن الموتى ؟ قال : كل غني مترف وسلطان جائر ، وقال : إذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه ؟ قيل : بلى ، قال : فمن يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى ما يصير أعجب ، وقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة ، وقال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ، وقال : من قل مطعمه فهم وأفهم وصفا ورق ، ومن كثر مطعمه ثقل عن كثير مما يريد ، وقال : سف التراب خير من الدنو من السلطان ، وقال : ليس لملول صديق ، ولا لحاسد غنى ، وإياك والاشارة على المعجب برأية فإنه لايقبل ، وكان إذا انتبه من نومه ضرب بيده إلى دبره ، ويقول : أخاف أن أمسح قردا ، وعرض حمارا للبيع فقال له رجل : أترضاه لى ؟ قال : لو رضيته لم أبعه ، وقال : أوصيك أن تكون ملكا فى الدارين ، قال : كيف ؟ قال : ازهد فى الدنيا ، وقال : إذا خرج الذّكر من القلب وقع على القلب ، وقيل له : ما تقول فى القضاء والقدر ؟ قال : إن اللّه لا يسأل عباده يوم القيامة عنهما بل عن أعمالهم ، ودخل على بلال بن أبى برده فى يوم حار وبلال فى جيشه وعنده البلح ، فقال بلال : يا أبا عبد اللّه كيف ترى بيتنا هذا ؟ . قال : إنه لطيِّب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهى عنه ، قال ما تقول فى القدر ؟ قال : جيرانك أهل القبور ففكر فيهم عن القدر فإن فيهم شغلا ، وقال أدع لى ، قال : ما تصنع بدعائى وعلى بابك كذا وكذا كل يقول : إنك ظلمته ، لا تظلم فلا تحتاج إلى دعائى ، وقال : رأيت فى طريق الشام فتى وعليه جبة وبيده ركوة فقلت أين تريد ؟ قال : لا أدرى قلت : من أين جئت ؟ قال : لا أدرى ، قلت : من خلقك ؟ قال : من لا يعزب عنه مثقال ذرة ، قلت : أنا من إخوانك فلا تنقبض منى ، قال : إنى أود أن انفرد فى شاهق جبل أوغار لعلى أن أجد قلبى ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها ، قلت : وما جنت عليك الدنيا حتى أبغضتها ، قال : جناياتها العمى عن جناياتها ، قلت : هل من دواء يعالج به هذا العمى ؟ قال : ماأراك تقدر عليه ، قلت : صف لى ؟ قال : اشرب المكاره

الصعبة ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : إلزم الصبر الذى لا جزع معه والتعب الذى لا راحة فيه والوحشة التى لا أنس معها ، قلت : دلنى على عمل يقربنى إلى اللّه تعالى قال : لم أر فى جميع العبادات أنفع من الفرار من الناس ، ورأى ولده يختال فدعاه فقال : تدري من أنت ؟ أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم وأما أبوك فلا كثر اللّه فى المسلمين مثله ، أسند عن أنس بن مالك وروى عن جمع من التابعين . ومات بعد الحسن بعشر سنين كأنه سنة عشرين ومائة ، قال : بعضهم رأيت القيامة قامت فقيل : أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة ، فنظرت أيهما يتقدم ، فتقدم ابن واسع ، فسألت عن سببه ، فقيل : كان له قميص واحد عند خروجه من الدنيا ، ولمالك رضى اللّه عنه قميصان .

(١٦٩) محمد بن صبح [١]

رائد النساك ، وصائد الفتاك ، المشهور بأبى العباس بن السماك ، الواصل علم شهرته إلى السماك ، كان من رؤوس العباد وأكابر الزهاد ، تخرج له عدة أئمة ، وانتفع بوعظه كثير من نجباء هذه الأمة ، وسرت سيرته فى الآفاق ، وجرت أنهار مالديه من الزهد والورع ومكارم الأخلاق ، جدد السنان ، وشدد العنان ، فأوضح البيان بأفصح لسان ، وقد قيل : إن التصوف التوثق بالأصول للتحقق للوصول ، وقيل : الأخذ بالأصول وترك الفضول ، وقد شهد له الأولياء بالولاية ، قال ابن أبى الحوارى مرض فأخذنا ماءه وذهبنا إلى طبيب نصرانى ، وإذا بشاب حسن الوجه نقى الثوب فقال : أين تذهبون ؟ فأخبرناه فقال : تستعينون على ولى اللّه بعدو اللّه ، ارجعوا قولوا له يضع يده على الوجع ، ويقول : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » ثم غاب فلم نره فرجعنا فأخبرناه ففعل فشفى فوراً .

---

(١) مرآة الجنان ١/٣٩٣ ؛ والشذرات ١/٣٠٣ ـ ٣٠٤ ؛ والنبهانى ١/١٠٢ .

(ومن كلامه) : صمت الأذان فى هذا الزمان عن المواعظ ، وذهلت القلوب عن المنافع ، فلا موعظة تنفع ولا واعظ ينتفع ، وقال : هب أن الدنيا كلها فى يديك فانظر ما فى يدك منها عند الموت ، وقال : كم من مذكر بالله وهو له ناس ، وكم من داع إليه وهو منه فار ، وكم من قائل لآيات الله وهو منها منسلخ ، وقال : إن الله ملأ الدنيا من اللذات وحشاها بالآفات ومزج حلالها بالمراءات ، وحرامها بالتعبات ، وقال : همة العاقل فى النجاة والهرب ، وهمه الأحمق فى اللهو والطرب ، وقال : دليل الخوف الحزن ، ودليل الشوق الطلب ودليل الرجاء العمل ، وقال : من أذاقته الدنيا حلاوتها طيله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها ، وقال : من أجمع اليأس استغنى عن الناس ؛ ومن أهمته نفسه لم يول مؤنتها غيره ، ومن أحب الخير وفق له ، ومن كره الشر جنبه ومن رضى بالدنيا من الآخرة حظا أخطأ حظ نفسه ، وقال : إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاين ما بعده ثم سأل الرجعى فأسعف بطلبته فهو متأهب مبادر ، فافعل ، فإن المغبون من لم يقدم عملا صالحا بين يديه ، وقال ابن آدم : ألم يأن لك أن لا تطيع الحاسدين فيه ، وعزته لو أطاعهم فيك لجعلك نكالا ، أو قال : أوصيك بتقوى الله الذى محبك فى سريرتك ورقيبك فى علانيتك ، فاجعل الله من بالك على حالك فى ليلك ونهارك ، وخف الله قربه منك وقدرته عليك ، وقال : قال عيسى عليه السلام متى تصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون فى محلة المتحرين !!! كم من مذكر بالله ناس له ، وقال : لا يغرنكم سكون هذه القبور فكم من مغموم فيها ، ولا يغرنكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها ، وقال : من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه برحمته ، وأقبل بجميع وجوه خلقه إليه ، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتا ما ، وقال له الرشيد : عظنى ، قال : احذر أن تصير إلى جنة عرضها السموات والأرض فلا يكون لك فيها موضع قدم ، وقال : المصيبة واحدة فإن جزع صاحبها فهما اثنتان ، أى فقد الصبر وفقد الثواب ، وقال : ما

كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم ، وقال : سبعك بين لحييك تأكل به من مر عليك ، قد آذيت أهل الدور حتى تعاطيت أهل القبور ، ارحم أخاك واحمد من عافاك ، وقال : إن أهل الدنيا تعجلوا غموم القلوب والنفوس وتعب الأبدان مع شدة الحساب ، فالرغبة متبعة لأهلها فى الدنيا والآخرة والزهد راحة لأهله فيهما ، وقال : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بدا فافعل ، وقال : ليكن الموت منك على بال ، فإنك صائر إليه بكل حال ، وقال : إذا طاش العقل فقدت الحرقة وقطعت الدمعة ، وقيل له : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحد ، فإذا تكلمت سمع البكاء من كل جهة ، فقال : ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى ، وقال لا تسأل من يفر منك أن تسأله لكن من أمرك أن تسأله ، وقال عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إن كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لى إليك ، أسند الحديث عن عدة من التابعين . ومات بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة .

(١٧٠) محمد بن النضر الحارثى

كان أعبد أهل الكوفة ، ومرجع أهل الصوفة ، نعم وكان بالذكر أنيسا ، وللحق جليسا ، وقد قيل : إن التصوف مذاكرة العهود ، ومسامرة الشهود ، وكان عظيم المجاهدة حتى لو جرد ما عليه من اللحم ما بلغ رطلا بالعراقى ، وكان إذا ذكر عنده الموت اضطربت مفاصله حتى تكاد تنفصل .

(ومن كلامه) : أول العلم الإنصات ثم الاستماع ، ثم حفظه ثم العمل به ثم بثه ، وقال : شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا فما رجعوا إليها فى سرور بعد معرفتهم بكربه وغصصه ، وقال له رجل أين أعبد الله ؟ قال أصلح سريرتك واعبده حيث شئت ، وكان من المجدين فى العبادة المؤثرين للعزلة ، وقيل له : أما تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرنى ، وكان

لايخرج من مسجده حتى يتعالى النهار فيقال له ، إن للناس إليك حوائج فيقول : وأنا لى إلى الله حوائج ، وقال : فى بعض الكتب الإلهية . أيها الصديقون بى فافرحوا وبذكرى فتنعموا ؛ وقال : إن أهل الأهواء قد أخذوا فى تأسيس الضلالة وطمس الهدى فاحذروهم ، وقال : تفقه ثم اعتزل ، وقال : إنك فى دار تمهيد وأمامك منزلان لابد لك من أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ولا براءة فتقصر ، وبعث إلى صديق له بعباءة ونعلين وقال : اعلم أن بك عنهما غنى لكن أحببت أن تعلم أنك منى على بال ، وقال : أصبت فى بعض الكتب الإلهية قال الله : ابن آدم لو علم الناس منك ما أعلم لنبذوك وقد سترت عليك وغفرت لك على ما كان فيك ما لم تشرك بى ، وقال أوحى الله إلى موسى بن عمران ، كن يقاظا مرتاداً لنفسك إخوانا ، وكل خدن لايواتيك على مسرتى فلاتصحبه فإنه يقسى قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكرى تستوجب شكرى والمزيد من فضلى ، وقال : الجوع يبعث على البر كما تبعث البطنة على الأشر ، وقال أبو نعيم : كان محمد بن النضر قليل الحديث ولم تكن الرواية من شأنه وكان هو وضرباؤه من المتعبدين إذا ذكروا الحديث ذكروه أرسالا .

مات سنة أربع وسبعين ومائة ولما نزلوا ليدلوه فى حفرته فإذا اللحد مفروش بالريحان فأخذ بعض من نزل القبر منه شيئا فمكث سبعين يوما طريا لا يتغير يغدو الناس ويروحون ينظرون إليه فكثر الناس على ذلك حتى خاف أمير البلد أن يفتنوا فأخذه من الرجل ففقده الأمير من منزله حالا فلم يدر أين ذهب .

(١٧١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى[١]

العالم السرى ، والراوى الروى ، كان ذا عز وسنا ؛ ومجد وسخا ، وعهد ووفا ، وقد قيل : التصوف دراية وصدق ، وسخاوة وخلق ، قال ابن دينار : كان اذا حدث فى الترغيب والترهيب قلت : لا يحسن غير هذا ، وإذا حدث فى الكتاب والسنة كان فيهما بحرا .

(ومن كلامه) : ما عبد الله بشئ أفضل من علم ، وقال : العلم ذكر لا يحبه إلا ذكور الرجال ، وقال : الزاهد من لم يمنع الحلال شكره ، ولم يغلب على الحرام صبره ، أسند الحديث عن جمع من الصحابة ، ومات سنة أربع وعشرين ومائة عن اثنتين وسبعين سنة ، رضى الله عنه .

(١٧٢) محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين

سمى به لأنه بقر العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه ، وأثار مخبآته ومكامنه ، فلذلك أظهر من كنوز المعارف ودقائق الأحكام والحكم واللطائف مالا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه باقر العلم وجامعه ، وشاهر المجد ورافعه ، صفا قلبه ، وزكا علمه ولبه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، وظهرت خوارقه وكراماته ، وله من الرسوخ فى مقام العارفين ما تكل عنه ألسن الواصفين ، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف يعجز عن حكايتها الواصف .

(فمن كلامه) : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولاتصيب ذاكر الله عز وجل ، وقال : ما دخل قلب امرىء شىء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ ؛ ووفيات الأعيان ٤٥١/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ ؛ وغاية النهاية ٢٦٢/٢ ؛ وصفة الصفوة ٧٧/٢ ، وحلية الأولياء ٣٦٠/٣ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ١٣٦/٥ - ٢٥٢ ، ومرآة الجنان ٢٦٠/١ .

دخل منه أو أكثر ، وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، وقال : ليس فى الدنيا شىء أعون من الإحسان للإخوان ، وقال : بئس الأخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيراً ، وقال : اعرف المودة فى قلب أخيك بما له فى قلبك ، وكلامه من هذا المهيع كثير ، وكفاه شرفا أن ابن المدينى روى عن جابر أنه قال له وهو صغير : رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك قال : كيف ؟ قال : كنت جالسا عنده والحسين رضى الله عنه فى حجره وهو يداعبه ، فقال : يا جابر يولد له مولود اسمه على اسمى إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم العباد فيقوم ولده محمد ، فإذا أدركته فأقرئه منى السلام ، مات سنة سبع عشرة ومائة مسموما كأبيه عن نحو ثلاث وسبعين سنة وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه رضى الله عنه ، وهو علوى من جهة أبيه وأمه ودفن فى قبة الحسن والعباس بالبقيع .

(١٧٣) محمد بن المنكدر القرشى التيمي

المدنى الصوام القوام ، المشهور بالولاية والعلم بين الخواص والعوام ، كان من معادن الصدق تجتمع إليه الصلحاء والأولياء ، قصير الأمل كثير العلم والعمل ؛ مع ربه زاهداً ناسكا ، ومع العباد لاعبا ضاحكا ، وقد قيل : إن التصوف موافقة الحق ومضاحكة الخلق .

(ومن كلامه) : كابدت نفسى أربعين سنة حتى استقامت على آثار السلف ، وقال : لما تبت عن الشبهات أكلت الحشيش ثلاثين سنة فنوديت الآن نقى بدنك من الشبهات ، وقال : المفتى يدخل بين الله وخلقه فلينظر كيف يفعل ، وقال : أستحى من الله أن أعتقد أن رحمته تعجز عن أحد من العصاة وأن فعل ما فعل ، ولولا النص ورد فى المشركين ما أخرجتهم من الرحمة ، وكان يحج بأطفاله كل سنة ويقول : نعرضهم على ربهم فى تلك المواقف لعله ينظر إليهم ، مات رضى الله عنه سنة ثلاثين ومائة .

(١٧٥) مخلد بن الحسين[١]

المعروف بالزهد والصلاح فى المغربين والمشرقين ، صوفى ظهرت جلالته واشتهرت رتبته وعدالته ، ولمح برق المعرفة على جوارحه وشام ، وتقدم على كثير من مشايخ العراق والشام ، أصله من أهل البصرة ، وتحول فنزل المصيصة فانتفع به أهل ذلك القطر ، واشتهر ذكره وبعد صيته ، وكان عجباً فى حسن الخلق والتواضع ، وذكر عنده شئ من أحوال الصلحاء فقال :

لاتعرضن لذكرها فى ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وقال : ما ندب اللّه العباد إلى شئ إلا اعتراض فيه إبليس بأمرين لا يبالى بأيهما ظفر إما غلواً فيه أو تقصيراً عنه ، وشكى اليه رجل رجلا من أهل الكوفة فقال له كيف أنت من المداراة انى أدارى هذه وأشار إلى جارية له تغربل شعيراً ، وقال لى : منذ خمسين سنة ما تكلمت بكلمة يعتذر عنها ! أسند عن هشام بن حسان وغيره ، ومات سنة إحدى وتسعين ومائة .

(١٧٦) مسروق بن عبد الرحمن الهمدانى[٢]

العالم الربانى ، العارف بربه الهائم فى حبه ؛ الذاكر لذنبه ، وقد قيل : التصوف ، التشمر للورود واللحوق ، والتبصر فى الوجود والطروق ، سرق وهو صغير فسمى به ، وكان من المبالغين فى الورع شفع شفاعة فأهدى له دجاجة فغضب وردها ، وقال : لو علمت ما فى قلبك ماتكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها أبداً .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/٧٢ ـ ٧٣ ؛ وجاء اسمه « محمد بن الحسين الأزدى المهلبى البصرى » فى مرآة الجنان ١/٤٢٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ ـ ١١١ ؛ والإصابة ، ترجمة رقم ٨٤٠٦ ؛ والإكليل ١٠/٧٧ ؛ والزركلى ، أعلام ٧/٢١٥ ، وطبقات الشعرانى ١/٢٥ ، والمعارف لابن قتيبة ١٠٥.

(١٧٤) محمد بن يوسف الأصبهاني [١]

عابد زاهد اشتهرت فضائله ، وعامل عارف ظهرت براهين خيره ودلائله ، وكان يلقب عروس الزهاد ، لكثرة الجد والاجتهاد ، والتشمير والارتياد في التبادر والتسابق إلى المعاد ، وقيل : إن التصوف انتقال عن اعتلال ، وارتحال عن اعتقال ، وكان إذا أصبح كأن وجهه وجه عروس لكثرة مناجاته ، وكان يقول لنفسه : هب أنك عالم أوقاض أوصالح ماذا يكون وراء ذلك ، وكان لا ينام الليل أبداً بل يضطجع بعد الفجر ساعة ثم يقوم ، وقال : لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا ، وكان لا يوقد في بيته سراج وجيرانه يرون من خارج بيته الضوء وهو لا يشعر أنهم رأوه ولو علم انتقل وقال : ليس هذا زماناً يبتغي فيه الفضل ، هذا زمان تبتغي فيه السلامة ، وقال : من أحب الله أحب أن لا يعرفه أحد ، وقال : الحقد والدين لا يجتمعان ، وقال : ما وارد يرد على أحب إلي من الموت ، وقال : الدنيا عصمة الله أو الهلكة ، والآخرة عفو الله أو النار ، وقال إن أستطعت أن لا يكون شئ أهم إليك من ساعتك فافعل ، وقال : اتق الله الذى لا يطاق انتقامه وإن أستطعت أن تختم عمرك بحجة فافعل ، فإن أدنى ما روى في الحج أن الحاج يرجع كيوم ولدته أمه ، وقال : قصر في الأمل وبالغ في العمل فإن بين يديك أهوالا تفزع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقال : إذا كان يحزنك ماترى من نفسك فقلبك حي ، وقال : تزود لآخرتك وتجاف عن دنياك واستعد للموت وبادر الفوت واعلم أن أمامك أهوالا أرعبت الصلحاء ، وقال : لا ينبغي لمن عمل المعاصي أن ينكر العقوبة ولا أرى ماأنتم فيه من الجور إلا من شؤم الذنوب ، وأتاه مال ليفرقه على الفقراء فقال السلامة مقدمة على الغنيمة ومن جمعه أولى بتفرقته ، مات سنة أربع وثمانين ومائة ولم يكمل له أربعون سنة قال أبونعيم : كان ممن كملت عنايته فقلت روايته عمر أيامه وأوقاته بالإحسان والبيان فحماه الحق سبحانه وتعالى عن المناظرة والتبيان .

(١) طبقات الشعراني ١/٥١ .

(ومن كلامه) : من سره أن يقرأ علم الأولين والآخرين والدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وأخذ بيد أخ له فارتقى على كناسة ، وقال : هذه الدنيا أكلوها فأفنوها ولبسوها فأبلوها ، سفكوا فيها دماءهم واستحلوا محارمهم وقطعوا أرحامهم ، وقال : ما من شيء خير للمؤمن من لحد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله ، وقال : إنى أحسن ماأكون ظنا بالله حين يقول لى الخادم : ليس في البيت خبز ولا درهم ، وقال : إذا بلغ العبد أربعين سنة فليأخذ حذره من الله ، وكان يقضى بين الناس ولا يأخذ أجرا من بيت المال ولا من غيره .

(١٧٧) مسلم بن يسار[١]

المشاهد البصار المجاهد المحضار، وقد قيل : التصوف ، التمتع بالحضور ، والتتبع للحصور ، كان قائما يصلى فوقع حريق بجنبه فما شعر به حتى طفئت النار ، وكان يقول لأهله إذا كانت لكم حاجة فتكلموا وأنا أصلى فإنى لا أسمعكم ، وسقط المسجد وهو يصلى فيه فما علم ، وكان إذا كان فى غير صلاة فكأنه فى صلاة .

(ومن كلامه) : اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : لا أدرى ما حسب إيمان عبد لا يترك شيئا يكرهه الله ، وقال : ما شيء من عملى إلا أخاف أن يكون دخله ماأفسده ليس الحب فى الله ، وقال : إذا لبست ثوبا فظننت أنك فى ذلك الثوب أفضل مما فى غيره فبئس الثوب ، وقال : إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وبه يبتغى الشيطان زلته ؛ وقال : ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلو لمناجاة الله .

(ومن كراماته) أنه قال لأصحابه بالبصرة يوم التروية : هل لكم فى

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤٠ - ١٤١ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٠٨ ، والمعارف لابن قتيبة ٢٣٤ ؛ والشذرات ١/ ١١٩ ؛ وحلية الأولياء ٢/ ٢٩٠ .

الحج ؟ قالوا : خرف الرجل على ذلك لنطيعنّه ، قال : من أراد فليخرج إلى الجبانة فخرجوا إلى الجبانة برواحلهم فقال : خلو أزمتها فأصبحوا وهم ينظرون ، إلى جبال تهامة وجاء يوما إلى دجلة وهى تقذف بالزبد فمشى على الماء ، ثم التفت فقال لأصحابه هل تفقدون شيئا ، أسند عن جماعة من الصحابة ، ومات سنة إحدى ومائة فى خلافه عمر بن عبد العزيز ، ورآه مالك بن دينار رحمه اللّه بعد موته بسنة فسلم عليه فلم يرد فقال : ما منعك أن ترد قال : أنا ميت كيف أرد؟ قلت : ما رأيت قال : أهوالا وزلازل عظاما شداداً ، قال : فما كان بعدها ؟ قال : وما تراه يكون من الكريم ، قبل الحسنات وعفى عن السيئات وضمن عنا التبعات .

(١٧٨) مطرف بن عبد الله بن الشخير [١]

المتعبد المتنسك الشكير ، كان لنفسه مذلا ولذكر ربه مجلا ، وقد قيل : التصوف إدمان الإذلال والأعمال ، وإيثار الإقلال والإخمال .

(ومن كراماته) أنه كان إذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان يضئ له سوطه إذا سار ليلا كالسراج ووقع ذلك بحضرة رجل صاحب له فقال : لو حدثنا بهذا كذبنا فقال له : المكذب بنعم اللّه يكذب بهذا ، وكان يسمع منه التسبيح حتى يسمعه من معه ، وكان مجاب الدعوة ، آذاه رجل فقال : اللهم أمته فخر ميتا حالا ، ومر بين يديه كلب وهو يصلى فقال : اللهم أحرمه صيده فلم يصد بعدها أبداً ، وكان يسكن البادية فإذا كان يوم الجمعة ركب وجاء إليها فمر بالمقابر يوما فنعس على فرسه فرأى أهل القبور على أفواهها فقالوا : مطرف أتى الجمعة فقال : وتعرفون يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ونعرف ما يقول الطير

---

(١) حلية الأولياء ١٩٨/٢ ـ ٢١٢ ؛ ومرآة الجنان ١٩٨/١ ؛ تهذيب التهذيب ١٧٣/١٠ ؛ ووفيات الأعيان ٩٧/٢ ؛ والشذرات ١١٠/١ ؛ وطبقات الشعرانى ٢٩/١ .

فيه قال : وما يقولون ؟ قالوا : سلام سلام يوم صالح ، وكان بين مطرف وبين رجل من قومه شئ فكذب عليه فقال له مطرف : إن كنت كاذبا فعجل اللّه حتفك ، فمات الرجل مكانه .

(ومن كلامه) : ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إليَّ نفسي ، وقال : لو أتاني آت من ربي أني في الجنة اخترت أني أصير ترابا ، وقال : لأن يسألني ربي يوم القيامة فيقول : ألا فعلت ؟ أحب إليَّ من أن يقول لي : لم فعلت ؟ وقال : لو أخرج قلبي فجعل في يدي اليسرى وجئ بالخير فجعل في اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئا حتى يكون اللّه يضعه ، وقال : لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجباً ، وكان يقول : اللهم إني أستغفرك من كل عمل ادعيت الإخلاص فيه وإني أريد به وجهك ، وقال : أكثر الناس خطايا أكثرهم لذكر خطايا الناس وقال من ترك النساء والطعام فلابد له من ظهور كرامة ، وقال : نظرت إلى الأموات فرأيتهم جالسين فسلمت عليهم فلم يردوا فقلت لهم في ذلك ، فقالوا : رد السلام حسنة ولا نستطيع أن نزيد في الحسنات ، وقال : ليس لأحد أن يصعد فيلقي نفسه من فوق البئر ويقول : قدر لكن يحذر ويجتهد ويتقي فان أصابه شئ علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل ، وقال : عقول الناس على قدر زمانهم ، وقال : الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فواللّه ما نراهم إلا والهين ، وقال : وجدت ابن آدم كالشئ الملقى بين يدى اللّه تعالى وبين الشيطان فان أراد أن يبعثه اجتره إليه وإن أراد به غير ذلك خلا بينه وبين عدوه ، وقال : لو علم الرجل متى موته خيف عليه ذهاب عقله ، لكنه تعالى مَنَّ على عباده بالغفلة التي ألقاها في قلوبهم رحمة بهم ولولاها ما هنأ لهم العيش أبداً ، وقال : اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة اللّه وعفوه كان لنا درجات ، وإن يكن شديداً كما نخاف لم نقل : ربنا أرجعنا نعمل صالحا نقول

قد عملنا فلم ينفعنا ، ودخل عليه البنانى رضى الله عنه يعوده فى مرضه وهو مغمى عليه فسطع منه أنوار ثلاثة نور من رأسه ونور من وسطه ونور من رجليه ، فهالهم ذلك فلما سألوه فقال : تلك تنزيل السجدة سطع أولها على رأسى ووسطها فى وسطى وآخرها من قدمى وقد صورت تشفع لى و « تبارك » تحرسنى ثم مات حالا ، وقال : أقبح ما طلب به الدنيا عمل الآخرة ، وقال : إذا تساوت سريرة عبد وعلانيته قال الله : عبدى حقا ، وكان يقول : اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض ، مات سنة خمس وتسعين ومائة وقيل غير ذلك ، أسند الحديث عن على وعثمان وأبى بن كعب وأبى ذر وغيرهم .

(١٧٩) مسعر[١]

بكسر أوله وسكون المهملة وفتح المهملة وآخره راء ابن كدام بكسر الكاف وفتح المهملة الهلالى العامرى الكوفى المحدث الإمام ، أحد الأعلام ، والمعروف بالصيام والقيام ، كان عالما متعبداً متنسكا متزهداً ، مجتهداً فى العلم والعمل ، مشابراً على ما يصل به إلى الأمل ، سالكا طريق التصوف مائلا إلى العزلة وطرح التكلف ، نعم وكان للخلق ناصحا ودودا ، وفى عبادة ربه كادحا كدودا ، وكان يجتهد فى إخفاء عمله الصالح ، وطلب للقضاء فأكره عليه فاحتال فخلص ، وذلك أنه لما دخل على الخليفة قال له : كيف طبيخك وكيف خميرك ؟ فقال : مجنون أخرجوه ، وكان إذا فتح المصحف فوجد قصة قوم قد عذبوا قال : إلهى أدخلت رحمتهم قلبى فإن شئت اغفر لى وإلا عذبنى ، وكان لا يخرج من المسجد إلا لخدمة أمه ، وقيل له : أتحب من يبدى إليك عيوبك ؟ قال : أما من ناصح فنعم وأما من مويخ فلا ، وقال شعبة : ما من أحد إلا وقد أخذ عليه غير مسعر .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/١١٣ ـ ١١٥ ؛ ومرآة الجنان ١/٢ ٣٣ ؛ والشذرات ١/٢٣٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٤٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٨١ .

(ومن كلامه) : أشتهى أن أسمع صوت باكية حزينة ، ودخل عليه سفيان الثورى فى مرضه وهو جزع فقال : ما هذا الجزع إنى أود لو أموت الساعة قال : إنك إذاً لواثق بعملك ، لكنى والله كأنى على شاهق جبل لا أدرى أين أهبط ، فبكى سفيان رضى الله عنه ، وكان إذا ظلمه رجل قال : اللهم لا تمته حتى تجعله محدثا أو مفتيا ، وقال : إن لله عباداً لو علموا بما ينزل القدر لاستقبلوه استقبالا حبا لربهم ولقدره فكيف يكرهونه إذا وقع ، وقال : لاينبغى أن يثنى على عالم وهو يأخذ جائزة السلطان ويبنى بيته بالآجر ، وقال : من رضى بالخل والبقل لم يستعبد الناس وقال : من أراد هذا العلم لنفسه فليقل منه ومن طلبه للناس فليكثر فإن مؤنتهم شديدة وقال : من أهمته نفسه تبين ذلك عليه ، وقال : من أبغضنى جعله الله محدثا ، وقال : هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، ورؤى فى النوم فقيل له : أى شئ وجدته أنفع ؟ قال : ذكر الله ؛ وقال : ينادى مناد يوم القيامة يامادحين الله فلا يقوم إلا من كان يكثر قراءة سورة الإخلاص . وكان كثير البكاء أن خرج بكا وأن دخل بكا وأن جلس بكا فقيل له فيه فقال وهل خلقت النار الا لمثلى ، وبكى يوما فبكت أمه فقال : ماأبكاك ياأماه ؟ قالت رأيتك تبكى فبكيت قال : ياأماه لمثل مانهجم عليه غدا فليطل البكاء قالت وما ذاك فانتحب وقال : القيامة وما فيها ثم غلب عليه البكاء فقام ، وكان من دعائه اللهم من ظن بنا خيرا أو ظنناه به فصدق ظننا وظنه .

مات سنة خمس وخمسين ومائة أسند الحديث عن جماعة كثيرين ، وكان شعبة يسميه المصحف ، قال ابن سعد : وكان شعبة وسفيان إذا اختلفا فى شئ قال : إذهبا إلى الميزان مسعر ، وكان عنده الف حديث خرج له الستة ، قال مصعب بن المقدام : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام وسفيان الثورى آخذ بيده وهما يطوفان ، فقال سفيان : يا رسول الله مات مِسعر ؟ قال : نعم ، واستبشر بموته أهل السماء .

(١٨٠) معاوية بن قرة [١]

المزنى البصرى ، المحدث الصوفى ، البسام بالنهار ، البكاء بالأسحار ، قال : أدركت سبعين صحابيا لو خرجوا فيكم ما عرفوا شيئا مما أنتم عليه إلا الآذان ، وقال : إن الله يرزق العبد شهراً فى يوم واحد فإن أصلحه أصلح الله عمله على يديه وعاش وعياله بقية شهرهم بخير وإن أفسده أفسد الله على يديه وعاش وعياله بقية شهرهم بشر ، وقال : جالسوا وجوه الناس فإنهم أحلم وأعقل ، وقال : إن القوم ليصلون ويصومون ويحجون ولايعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم ، وقال : مكتوب فى الحكمة : لا تجالس بحلمك السفهاء ولا بسفهك العلماء ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة وحدث عن ثلاثين صحابيا ، وخرج له الستة .

(١٨١) مكحول الدمشقي [٢]

إمام أهل الشام و الفقيه الصوام ، العابد القوام ، الرفيع المقال و المقام ، أصله من كابل ، وقيل : من أولاد كسرى ثم سكن دمشق ، وأخذ عن أبى بن كعب وعبادة بن الصامت وغيرهما وطاف الأرض فى طلب العلم .

(ومن كلامه) : إن كان الفضل فى الجماعة فالسلامة فى العزلة ، وقال : من طاب ريحه زاد عقله ، ومن نظف ثوبه قل غمه ، وقال : إذا تكلم الفقيه بالإعراب ذهب الخشوع من قلبه ، وقال : أرق الناس قلوبا أقلهم ذنوبا ، وقال : يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أشر من جيفة حمار ، وقال : لرجل أتحب الجنة قال : ومن لا يحبها ؟ قال : فأحب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت ، وقال : وجد إبليس يسجد على صفاة ودموعه تسيل على خده فقيل له : وما يغنيك هذا ؟ قال : أرجو إذا

---

(١) تهذيب التهذيب ٢١٦/١٠ ـ ٢١٧ ؛ ومرآة الجنان ٢٤٣/١ ؛ والشذرات ١٤٧/١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٠١/١ ؛ وحسن المحاضرة ١١٩/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٨٩/١٠ ؛ وحلية الأولياء ١٧٧/٥ ؛ والجرح والتعديل فى القسم ٤٠٧/١ وتاريخ الإسلام للذهبى ٣/٥ ـ ٦ ؛ ووفيات الأعيان ١٢٢/٢ ؛ وميزان الاعتدال ١٩٨/٣ ، والمعارف لابن قتيبة ٤٥٢ ؛ ومرآة الجنان ٢٤٣/١ ؛ وطبقات الشعرانى ٣٨/١ ؛ والشذرات ١٤٦/١ ؛ والبداية والنهاية ٣٠٥/٩ .

بر ربى قسمه أن يخرجنى من النار ، وقال : طول الكمد أعجب من طول الدمعة للخائفين ، وقال : إذا طاش العقل فقدت الحرقة ، وإذا فقدت الدمعة ، وإذا ثبت العقل فهم صاحبه الموعظة فأحرقته فحزن وبكى ، وقال : لاتبذل عملك لمن لايسأله فإنه يستهين به ، وقال : أدركنا الناس وهم يسمون الدنيا الدنية ولو وجدوا لها اسما شرا منه سموها به ، وقال : كانت أحبار بنى إسرائيل كبيرهم وصغيرهم لا يمشى إلا بعصى خوفا أن يختال فى مشيته فيمقت ، وقال : من لم ينفعه علمه لم يضره جهله ، وقيل له فى مرضه : عافاك اللّه قال : كلا ، اللحاق بمن يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره ، ولما احتضر ضحك فقيل له فيه فقال : كيف لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وأؤمله ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة ، سند الحديث وخرج له مسلم والأربعة .

(١٨٢) المنذر بن مالك (١)

أبو نضرة ، مفيض الدموع والعبرة ، وقد قيل : التصوف التحفظ من العثرة ، والتيقظ من الفترة .

(ومن كلامه) ينتهى القدر إلى هذه الآية : ﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ وقال : لولا هول المطلع لسر رجالا أن يكونوا قد فارقوا ما هنا ، مات سنة ثمان ومائة ، وكان من كبار المحدثين ، وروى عن أنس وأبى موسى وابن عباس ، رضى اللّه عنهم وغيرهم ، وخرج له مسلم والأربعة .

(١٨٣) منصور بن زاذان (٢)

زين القراء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن ، كان زاهداً متعبداً كبير الشأن ، ومن أكابر أولياء واسط ، مكث يصلى الفجر بوضوء العشاء عشرين عاما ،

(١) تهذيب التهذيب ٣٠٢/١٠ ـ ٣٠٣ ؛ ومرآة الجنان ٢٢٩/١ ؛ والشذرات ١٣٥/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٠٦/١٠ ؛ ومرآة الجنان ٢٧٦/١ ؛ والشذرات ١٨١/١ .

وكان إذا توضأ بكى حتى يرتفع صوته ويقول : أريد أن أقوم بين يدى من لا تأخذه سنة ولا نوم فأخاف أن يعرض عنى ، وكان عظيم المجاهدة لو قيل له : ملك الموت بالباب ما كان عنده زيادة فى العمل .

(ومن كلامه) الهم والحزن يزيدان فى الحسنات والأشر والبطر يزيدان فى السيئات ، وقال : أخبرت أن بعض أهل النار يتأذى أهلها بريحه فيقال له : ما كنت تعمل فيقول : كنت عالما فلم أنتفع بعلمى ؛ ولما مات شهد جنازته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس كل على حدته ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة أسند الحديث عن جماعة رضى الله عنه .

(١٨٤) منصور بن المعتمر[١]

الحافظ الحجة ، الصائم القائم ، والمحب الهائم ، كان كبير القدر ، على الشأن جليل المناقب كثير البرهان عظيم التأله والتعبد والصيام والتهجد ، صام ستين سنة وقامها لم يفطر ولم ينم وكان يبكى طول ليله حتى يرحمه أهله حتى عمش من البكاء فيقول له أهله : قتلت قتيلا !!! فيقول : أنا أعلم بنفسى ، ومن رآه وهو يصلى ظن أنه يموت حالا .

(ومن كلامه) لو لم يكن لنا ذنب إلا حب الدنيا استحققنا أن يخسف بنا ، وقال : من أعظم الزهد فى الدنيا الزهد فى لقاء الناس ، وكان يقول لعلماء زمنه : إنما أنتم متلذذون يسمع أحدكم العلم ويحكيه ، وإنما يراد العلم للعمل ، ولو عملتم بعملكم هربتم من الدنيا لأنه يبعث على بغضها ، وكان فيه تشيع أكرهه عامل الكوفة على القضاء فامتنع فقيده فقيل له : لو نثرت لحمه لم يل فخلاه ، وأخرج وكيع عن الثورى قال : أراد ابن هبيرة أن يستعمل منصور بن المعتمر على القضاء فقال : ما كنت لألى

---

(١) تهذيب التهذيب ٣١٢/١٠ ؛ ومرآة الجنان ٢٧٧/١ ؛ والشذرات ١٨٩/١؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٧٤.

بعد ما حدثنى إبراهيم ، وقال : وما حدثك ؟ قال : حدثنى عن علقمة عن ابن مسعود قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون فى تابوت من حديد ويرمى بهم فى جهنم ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، رضى اللّه عنه .

(١٨٥) مؤرق العجلى أبو المعتمر البصرى[1]

كان بالحق عن الخلق ساليا ، وبالشهود عن الصدود ساهيا .

(ومن كلامه) : المتمسك بطاعة اللّه حين جبن عنها الناس كالكار بعد الفار ، وقال : تعلمت الصمت فى عشر سنين وما قلت شيئا قط إذا غضبت أندم عليه إذا ذهب غضبى ، وقال : ما تكلمت شيئا فى الغضب ندمت عليه فى الرضا ، وقال : سألت اللّه حاجة منذ عشرين سنة فما أعطانيها ولا أيست منها ، وكان يجد نفقته تحت رأسه ؛ وكان يقول : ما فى الأرض نفس فى موتها أجر إلا وددت أنها قد ماتت ، وقال : مامن أمر يبلغنى أحب إلىّ من موت أحب أهلى إلىّ ، أسند الحديث عن أبى ذر ، وأبى الدرداء وعمر وسلمان وجندب وأنس ، وعنه العنبرى ، مات سنة نيف ومائة ، خرج له الستة .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٣١/١٠ ؛ والمعارف لابن قتيبة ٤٧ ؛ والشذرات ١٢٢/١ ؛ وفيه وفاته سنة ١٠١هـ .

(١٨٦) موسى الكاظم بن جعفر الصادق[(١)]

سمى بذلك لكثرة تجاوزه وحلمه ، كان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه ، ومن أكابر العلماء الأسخياء ، سأله الرشيد كيف يقولون نحن أبناء المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء على كرم الله وجهه ؟ فقرأ قوله تعالى : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ إلى أن قال : « وعيسى وليس له أب » .

(ومن بدائع كراماته) ما حكاه ابن الجوزى والرامهرمزى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنه خرج حاجا فرآه بالقادسية منفردا عن الناس فقال فى نفسه : هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس لأوبخنه فمضى إليه فقال : يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم فأراد أن يعانقه فغاب عن عينه ثم رآه بعد ذلك على بئر قد سقطت ركوته فيها فدعا فطف الماء حتى أخذها فتوضأ وصلى ثم مال إلى كثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب فقلت له : أطعمنى مما رزقك الله فقال يا شقيق لم تزل أنعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت فإذا هو سويق ولبن وسكر فأقمت أياما لا أشتهى شرابا ولا طعاما لم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية ، وأموره على خلاف ما كان عليه فى الطريق ، ولما حج الرشيد سعى به إليه وقيل له : إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى إنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فقال له الرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة أنت الذى يبايعك الناس سرا ؟ قال له أنا امام القلوب وأنت أمام الجسوم ، ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم فقال الكاظم : السلام عليك ياأبنى فلم يحتملها فحمله الرشيد إلى بغداد مقيدا وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا مقيدا ميتا مسموما .

---

(١) وفيات الأعيان ١٣١/٢ ؛ وابن خلدون ١١٥/٤ ؛ والبداية والنهاية ١٨٣/١٠؛ وصفة الصفوة ١٠٣/١؛ ومقاتل الطالبيين ٣٣١؛ وميزان الاعتدال ٢٠٩/٣ ؛ وفرق الشيعة ٨١ ؛ وتاريخ بغداد ٢٧/١٣ ؛ ومرآة الجنان ٣٩٤/١ ـ ٣٩٥ ؛ والشذرات ٣٠٤/١ .

(١٨٧) ميمون بن مهران [١]

الحكيم اليقظان ، المكرم بالمعرفة والعرفان ، عالم أهل الجزيرة ، كان حميد السيرة ، شديد السريرة ، وقد قيل : إن التصوف اعتقاد السريرة واحتمال الجريرة ، وهو كاتب عمر بن عبد العزيز ، رضى اللّه عنه .

(ومن كلامه) العذب الوجيز : لا تتخذوا القرآن بضاعة تحترفوا بها ، أطلبوا الدنيا بالدنيا والآخرة بأعمالها ، وقال : كراهة الرجل المعصية أثقل فى ميزانه من كثرة الطاعة مع ميله للمعاصى ، وقال : حصلوا قوتكم ثم أغلقوا عليكم بيوتكم ، وقيل له : إن قوما يقولون نقعد فى بيوتنا ويرزقنا اللّه ، فقال : هؤلاء حمقاء ، هذا لا يصح إلا لمن له يقين كيقين إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام ، وقال : من أراد أن يعلم منزلته عند اللّه فلينظر فى عمله فإنه قادم على عمله كائنا ما كان وقال : إن استطعت أن لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه فافعل ، وقال : أدركت السلف وهم إذا رأوا رجلا راكبا يتبعه قالوا : قاتله اللّه جبار ، وقال : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبته شريكه ، وقال : التقى أشد محاسبته لنفسه من سلطان جائر وشريك شحيح ، وقال : من وقع فى ظلم أحد وأراد أن يتحلل من مظلمته فلم يقدر فليستغفر اللّه دبر كل صلاة فإنه يخرج من مظلمته إن شاء اللّه تعالى ، وقال : من رضى من الإخوان بترك الأفضال فليواخ أهل القبور ، أسند الحديث عن ابن عباس وغيره ، ومات سنة ست أو سبع عشرة ومائة وعن نحو ثمانين سنة خرج له مسلم والأربعة .

(١) تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٥١ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٣٥ ؛ والشذرات ١/ ١٥٤ ، والبداية والنهاية ٩/ ٣١٤ ـ ٣١٩ .

(١٨٨) ماجدة بنت عبد الله العدوية القرشية[(١)]

العابدة الزاهدة تسكن البحرين كان الغالب عليها قصر الأمل ، ومن كلامها سكان دار نودى فيهم بالرحيل وهم فى لهوهم يلعبون !!! كأن المراد غيرهم والنداء ليس فيهم ، والمعنى سواهم ، يالها من عقول ماأنقصها وجهالة ما أتمها ، بؤسا لأهل المعاصى ماذا غروا به من الامهال والاستدراج ، وقالت : بسطوا آمالهم ، وأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال ، وطووا الآمال ، خفت عليهم الأعمال ، وقالت : لو رأت أعين الزاهدين ماأعد الله لأهل الإعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقا إلى الموت لينالوا ماأملوه من فضله ، وقالت : ما نال المطيعون مانالوا من رضى الرحمن وحلول الجنان إلا بتعب الأبدان لله والقيام بحقوقه فى المنشط والمكره ، وقالت : كفي المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلا ، وقالت : طوى أملى طلوع الشمس وغروبها فما من حركة تسمع ومامن قدم توضع إلا ظننت أن الموت فى أثرها .

(١٨٩) معاذة بنت عبد الله العدوية المصرية[(٢)]

زوجة صلة بن أشيم[(٣)] ، كانت زاهدة روت عن على و عائشة ، وهشام وعامر الأنصارى ، وعنها قتادة والحرمى وأيوب وغيرهم ، خرج لها الجماعة ووثقها ابن معين ، وكانت إذا جاء النهار قالت لعلى : أموت اليوم فلاتنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت : لعلى أموت الليلة فلاتنام حتى تصبح ، وإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : يا نفس أصبرى النوم أمامك فى القبر و كانت إذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

---

(١) طبقات الشعرانى ٥٦/١ .

(٢) طبقات الشعرانى ٥٦/١ ؛ والشذرات ١٢٢/١ .

(٣) انظر ترجمته رقم ١٢٢ .

وكانت تقول : عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلمة القبور . وكانت أرضعت أم الأسود العدوية فقال لها : لاتفسدى رضاعى بأكل الحرام فإنى جهدت جهدى حين أرضعتك حتى فى أكل الحلال فاجتهدى ألا تأكلى إلا حلالا لعلك أن توفقى لخدمة سيدك والرضى بقضائه ، وكان وردها فى كل يوم وليلة ستمائة ركعة ولم ترفع بصرها للسماء أربعين عاما ، قال ثابت البنانى رضى الله عنه : كان صلة بن أشيم ، رحمه الله ، فى مغزى ومعه ابن له فقال : أى يا بنى تقدم فقاتل لأحتسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل فاجتمعت النساء عند أمه معاذة فقالت : مرحبا إن كنتن جئتن لتهنئنى فمرحبا ، وإن كنت جئتن لغير ذلك فارجعن ، ولما مات زوجها لم تتوسد فراشا بعده حتى ماتت ، ماتت فى أوائل القرن الثانى ، رضى الله عنها ، ولما احتضرت بكت ثم ضحكت فقيل لها فيه فقالت : أما البكاء فلمفارقة العبادة وأما الضحك فنظرت إلى أبى الصهباء ، تعنى زوجها ، وقد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوتان فضحكت إليه .

(١٩٠) مريم المصرية[١]

العابدة الزاهدة كانت تخدم رابعة العدوية[٢] رضى الله عنها ، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت فحضرت بعض المذكورين فتكلم فى المحبة ، فماتت حالا فى المجلس

(ومن كلامها) : ما اهتممت بالرزق ولا تعبت فى طلبه منذ سمعت قوله تعالى : ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾[٣] .

---

(١) أورد اليافعى فى مرآة الجنان ٢٨٣/١ ، أنه كان لها خادمة تسمى « عبدة » ، وذلك نقلا عن ابن الجوزى .

(٢) انظر ترجمته رقم ٩٦ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٢٢ .

(١٩١) موفقـــة

ويقال : موافقة الموصلية ، كانت من أكابر الصوفية ، حكى فتح الموصلى رضى اللّه عنه ، أنها عثرت فسقط إبهامها فضحكت فقيل لها : يسقط إبهامك وتضحكين ؟ فقالت : حلاوة ذكره أزالت عن قلبى مرارة وجعه .

(١٩٢) ميمونة السوداء المجنونة العاقلة[١]

قال عبد الواحد بن زيد[٢] : سألت اللّه ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة فرأيت قائلا يقول : رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء قلت : وأين هى ؟ قال : بالكوفة فخرجت فسألت عنها فقيل : هى ترعى غنيمات لنا فتبعتها فإذا هى تصلى وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى وإذا الغنم مع الذئاب فلا الذئاب تأكل الغنم ، ولا الغنم تخاف الذئاب ، فلما رأتنى فقالت : ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا إنما الموعد ثم ، فقلت : من أين علمت أنى ابن زيد ؟ قالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، فقلت : عظينى ، قالت : واعجباه لواعظ يوعظ ؟ ثم قالت : يا ابن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بكنون ما فيها ، يا ابن زيد بلغنى أنه ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه اللّه حب الخلوة معه ؛ وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة ، فقلت : أرى هذه الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم ، فأى شئ هذا ؟ قالت : إليك عنى إنى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح بين الذئاب والغنم .

---

(١) اليافعى ، روض الرياحين ، والنبهانى ٢/٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) مرآة الجنان ١/٣٧٠ ؛ والشذرات ١/٢٨٧ ، والبداية والنهاية ١٠/١٧١ .

(١٩٣) ميمونة السوداء[١]

العابدة المصرية وهى غير تلك لها كرامات كثيرة (منها) أنها كانت إذا نزعت ثيابها اجتمعت عليها الطيور تتبرك بلقط هوامها ؛ ماتت فى القرن الثاني ودفنت بالقرافة بقرب أشهب ، رحمة اللّه تعالى عليها .

حرف النون

(١٩٤) النعمان بن ثابت أبو حنيفة[٢]

الإمام البارع ، البدر الكامل الساطع ، ولد سنة ثمانين من الهجرة بالكوفة ونشأ بها ثم نقله المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات وهو إمام أهل العراق ، والمقدم فى الفقه على أهل زمنه بالاتفاق ، المنتشر مذهبه فى جميع الآفاق ، المعروف بالورع وحسن الأخلاق ، المشهور بالصيانة وطيب الأعراق ، صاحب السبق والتقدم والحفظ والتفهم ، والإشارات اللطيفة ، والاستنباطات البديعة الظريفة ، الفقيه القوى ، سالك السمت المرضى ، بالعلم الواضح المضى والحال الزاكى الرضى ، التارك لتكلف الأثقال ، المعتق لتكلف الواجب من الأثقال ، وقد قيل : التصوف تطهر من تكدر ، وتشمر فى تبدر وكان من أعبد الزهاد ، وزاهد العباد يحيى الليل كله صلاة وبكاء وتضرعا وابتهالا ، ورأى فى أول أمره أنه نبش قبر المصطفى صلى اللّه عليه وسلم فسأل عنه ابن سيرين فقال : صاحب هذه الرؤيا يثير علما لم يسبقه إليه أحد ، ودخل يوما على المنصور ، فقال : هذا عالم الدنيا اليوم ، وقال النضر بن سهل : كان الناس نياما عن الفقه

(١) انظر السخاوى الحنفى ، تحفة الأحباب وربما السيوطى .

(٢) تاريخ بغداد ٤٢٣/١٣ ؛ وابن خلكان ١٦٣/٢ ؛ والنجوم الزاهرة ١٢/٢ ، والبداية والنهاية ١٠٧/١٠ ؛ والجواهر المغنية ٢٦/١ ؛ وتاريخ الخميس ٣٢٦/٢ ؛ ومفتاح السعادة ٦٣/٢ ـ ٨٣ ؛ ومرآة الجنان ٣٠٩/١ ـ ٣١٢ ، وتهذيب التهذيب ٤٤٩/١٠ ـ ٤٥٢ .

حتى أيقظهم أبو حنيفة رضى اللّه عنه بما بينه ولخصه ، وكان فى زمنه أربعة من الصحابة ، أنس ، وابن أبى أوفى ، وسهل بن سعد وابن الطفيل ، وقال الثورى رضى اللّه عنه : ولم يأخذ عن أحد منهم ، وكان أحمد رضى اللّه عنه إذا ذكره بكى وترحم عليه ، وأكرهه المنصور على القضاء فأبى ، فحبسه حتى مات بالسجن ، وكان كل قليل يخرجه فيهدده ويتوعده فيقول : واللّه ماأنا مأمون فى الرضى فكيف فى السخط ، هكذا حكاه بعضهم فى سبب موته ، لكن فى تاريخ الشام مانصه : أخرج أبو الشيخ فى التاريخ بسنده عن زفر ، قال : كان أبو حنيفة رضى اللّه عنه يجهر أيام ابراهيم بالكلام جهراً فأقول له : ما ترضى إلا أن توضع الحبال فى أعناقنا !! فلم يلبث أن جاء كتاب المنصور ؛ بأن يحمل إلى بغداد فغدوت إليه أودعه وهو على بغلته وقد أسود وجهه حتى صار كأنه مسح فحمل إلى بغداد فعاش خمسة عشر يوما سقاه فقتله سنة خمسين ومائة أ .هـ ، وكان حسن الوجه طيب الريح ، كريم النفس يعرف بطيب الريح إذا أقبل فى ظلام ، وكان يسمى الوتد لكثرة تهجده قائما ولم يفطر منذ ثلاثين ، وصلى خمساً وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد ، وقال الشافعى رضى اللّه عنه : الناس عليه عيال فى الفقه ، وكان طويل الصمت فإذا سئل عن شئ فى الفقه انفتح وسال كالوادى ، وكان عظيم الأمانة يؤثر رضا اللّه على كل شئ ولو أخذته السيوف فى اللّه لاحتملها ، وقال ابن المبارك : ما سمعته يغتاب عدوا له قط ولا يكاد يسأل حاجة إلا قضاها ، وقال الرشيد لأبى يوسف صف لى أخلاقه ، فقال : إن اللّه يقول ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وهو عند لسان كل قائل ، كان شديد الذب عن المحارم أن تؤتى ، شديد الورع أن ينطق فى دين اللّه بما لا يعلم ، يحب أن يطاع فلا يعصى ؛ طويل الصمت دائم الفكر ، على علم واسع لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً إن سئل ، بذولا للعلم والمال مستغنيا بنفسه عن الناس ، لا يذكر أحداً إلا بخير ، فقال الرشيد لكاتبه : اكتب هذه الصفات واختلطت غنم الكوفة بغنم البادية فسأل : كم تعيش الشاه ؟ قالوا : سبع سنين ،

فترك أكل اللحم سبع سنين ، وكان خزازا يشترى الخز الخام ويقصره ويبيعه ، ففتح غلامه رزمة خز فإذا الأحمر أحمر والأصفر أصفر ، فقال : نسأل اللّه الجنة ، فبكى أبو حنيفة رضى اللّه عنه ، اختلج صدغاه ، وقال : مثلنا يسأل اللّه الجنة ! أنما نسأل العفو ، وكان لا يقعد فى ظل شجرة من له عليه دين ويقول : كل قرض جر نفعا فهو ربا ، وكان جيرانه يسمعون بكاءه بالليل فيرحمونه ، وختم القرآن فى المحل الذى مات فيه سبعة آلاف مرة ، وسئل : أيهما أفضل الأسود أو علقمة ؟ فقال : واللّه مانحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم ! وقال جالست الناس خمسين سنة فما وجدت من غفر لى ذنبا ، ولا وصلنى حين قطعته ، ولا ستر عليّ عورة ، وقال : لو لم يكن من صفة الدنيا إلا أن الحق يعصى فيها لكفى فى بغضها ، وقال : لا ينبغى أن يترك القاضى على القضاء أكثر من سنة ، وقال : من هان عليه فرجه هان عليه دينه ؛ وقال : إذا تكلم العبد بما علم فلا إثم عليه إنما الأثم فى الظن ، وقال : لا ينبغى لمن لا يعلم دليلى أن يفتى بكلامى ، وقال : ليس فى الدنيا أقل من فقيه ورع ، وقال : من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل فى ذل ما بقى فى طول زمانه ، وقال : غوغاء الناس هم القصاص الذين يأكلون بوعظهم الدنيا ، وقال له رجل : إنى أحبك قال : وما يمنعك ولست بجار لى ولا ابن عم ؟ ورؤي بعد موته فقيل له : ما فعل بك ؟ قال : غفر لى ، قيل بالعلم ؟ قال : هيهات أن للعلم شروطا قلما يخلص منها ، بل بقول الناس فيّ ما ليس فيّ ، وقال اللخمى : كنت أشتهى أن أرى أبا حنيفة رضى اللّه عنه فى النوم فرأيته فقلت : ادع لى ، قال : بماذا ؟ قلت : بالجنة ، قال : على شرط ، قلت : وما هو ؟ قال : تترك ملازمة الناس إلا فى طلب العلم ، قلت : قد فعلت ، قال : ولك ذلك .

(ومن كراماته) أنه لما مات شريح القاضى ، رحمه اللّه ، طلب هو والثورى وصلة وشريك للقضاء ، فقال أما سفيان فيهرب ، وأما أنا فأحبس ، وأما صلة فيتحايل ويتخلص ، وأما شريك فيقع ، فكان كما قال ، ولما منعه

المنصور من الإفتاء سألته بنته ليلا عن الدم الخارج من بين الأسنان هل ينقض الوضوء ؟ فقال : سلى عمى حماداً فإن الخليفة منعنى أن أفتى ، ولم أكن ممن يخون إمامه بالغيب ، مات سنة خمسين ومائة ، رضى اللّه تعالى عنه .

حرف الهاء

(١٩٥) هارون بن رياب الأسيدى[١]

المخفى لزهده ، الموفى لعهده ، كان يسرد الصوم ويلبس الصوف تحت ثيابه ، كان يقول : أوحى اللّه إلى بعض أنبيائه أن أخبر قومك أنهم عمروا بنيانهم ؛ وخربوا قلوبهم ، وسمنوا أنفسهم كما يسمن الجزور ليوم نحر ، فنظرتهم فقلوتهم فدعونى فلم أستجب لهم ، أسند الحديث عن عدة من الصحابة منهم أنس .

(١٩٦) هرم بن حيان[٢]

الهائم الحيران ، الصائم العطشان ، عاش فى حبه محترقا ولهان ، وقد قيل : التصوف الأحتراق حذرا من الافتراق ، والاشتياق لدار الاستباق ، كان من كبارالتابعين وزهادهم ومحدثيهم ، ولد لسنتين وقد نبتت ثناياه فسمى هرما .

(ومن كلامه) أخرجوا من قلوبكم حب الدنيا تدخلها الآخرة ، وقال : عليكم بقلة الكلام فان المتكلم إما أن يقصر فيخصم أو يبالغ فيأثم ، وكان إذا أكثر أهله الضحك أمرهم بالصلاة ، وقال : لو قيل لى إنى من أهل النار لم أدع العمل لئلا تلومنى نفسى ، فتقول ألا فعلت ، ألا صنعت؟ وقال : ماآثر الدنيا

---

(١) هارون بن رياب الأسيدى ، أبو بكر ، ويقال أبو الحسن العابد البصرى ، تهذيب التهذيب ١١/٥ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ٤٢١ ، ٤٣٥ ؛ وطبقات ابن سعد ٩٥/٧ ؛ وأسد الغابة ٥٧/٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢١١/٣ ؛ والإصابة ، الترجمة رقم ٨٩٤٨ ؛ وصفة الصفوة ١٣٧/٣ ، والبيان والتبين ٣٦٣/١ .

على الآخرة حكيم ، ولا عصى الله كريم ، ولما مات أتت سحابة فى يوم صائف فظللت سريره ، فلما دفن رست على القبر ولم تصب ما حوله ونبت عليه العشب فى يومه .

حرف الواو

(١٩٧) وكيع بن الجراح الرؤاسى [١]

الكوفى الصوفى المحدث ، كان إماما فى صناعته ، كاملا فى براعته ، فصيحا فى عبارته ، مليحا فى إشارته ، من رءوس الزهاد وأكابر العباد قال أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، حدثنا وكيع ، لو رأيت وكيعا رأيت عجبا ، ورأيت رجلا لم تر عيناك مثله قط ، حج أربعين حجة ، ورابط فى عبادان أربعين ليلة وتصدق بأربعين ألفا ، وروى أربعة آلاف حديث ، وما رؤي واضعاً جنبه بالأرض أربعين سنة .

(ومن كلامه) ما بقى الآن زهد فى الدنيا يصح ؛ لأن الزهد لا يكون إلا فى حلال والحلال فقد ، فانزلوا الدنيا منزلة الميتة وخذوا منها ما يقيمكم ، وقال طريق القوم بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق ، وقال من تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه ، وقال : الدنيا حلال وحرام وشبهات ، فالحلال حساب ، والحرام عذاب ، والشبهات عقاب ، فأنزلها منزلة الميتة ، وقال : إنما العاقل من عقل عن الله أمره ليس من عقل أمر دنياه ، وقال ابن معين : له من المصنفات مالا يعد ومن مثل وكيع فى العلم والحفظ والحلم مع خشوع وورع وزهد ، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة ، وكان إذا آذاه رجل رفع التراب

---

(١) نسبة إلى رؤاس وهو بطن من قيس عيلان : تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ ، وحلية الأولياء ٣٦٨/٨ ؛ ومفتاح السعادة ١١٧/٢ ؛ وميزان الاعتدال ٢٧٠/٣ ؛ وتاريخ بغداد ٤٦٦/١٣ ؛ والشذرات ٣٤٩/١ ـ ٣٥٠ ، ومرآة الجنان ٤٥٧/١ ـ ٤٥٨ .

على رأسه ، وقال : لولا ذنبي لما سلط على ثم يأخذ في الاستغفار مات راجعا من الحج سنة سبع وتسعين ومائة عن ست وستين سنة ، أسند الحديث عن الأعمش ، وهشام بن عروة ، وسفيان الثوري ، وخلق ، وعنه أحمد بن حنبل وابن راهويه وآخرون ، خرج له الجماعة الستة .

(١٩٨) وهب بن منبه[١]

العالم العليم ، العابد الحليم ، صاحب الكتب السابقة ، والأنفاس الطاهرة الصادقة ، قال الحافظ أبو عبد الله الصنعاني عالم أهل اليمن ، ولد سنة أربع وثلاثين ، وجد واجتهد بحيث لم يضع جنبه على الأرض ثلاثين سنة ، وأخذ عن ابن الحنفية ، وغالب أخذه عن ابن عباس ، صار من أكابر الزهاد ، ورءوس العباد ، وكان جده أحد الأكاسرة ملوك الفرس ، وكان مولد وهب ومنشؤه بصنعاء ، وكانت أمه من حمير ورأت في النوم وهي حامل به أنها ولدت ولداً من ذهب فأول بولد عظيم الشأن ، وكان فصيحا بليغا لا يجارى ولا يبارى ، وكان واعظا ينطق بالحكمة ، وكان مقصودا لأخذ العلم عنه من جميع الأقطار ، وكان إذا دخل على ابن الزبير أيام خلافته قام وأجلسه على سريره ولا يفعل ذلك لغيره ، وكان ذا هيبة ووقار ، صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، وكان يكره القياس في الدين ويقول : أخاف على العالم أن يقيس فتزل قدمه بعد ثبوتها ، وقال : إذا تعلم الشريف العلم تواضع وإذا تعلمه الوضيع تكبر ، وقال : من لم يسمح لعدوه بالمال احتاج لقتاله ، وقال : عليكم بالتكسب فإنه ما افتقر أحد الإرق دينه وقل عمله وذهبت مروءته واستخف به ، وقال : البلاء للمؤمن كالشكال للدابة ، وقال : إن للعلم طغيانا كطغيان المال ، وقال : خلق ابن آدم

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ١٥٠ ؛ وابن سعد ٥/٣٩٥ ؛ ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٠ ، وحلية الأولياء ٤/٣٣ ، وطبقات الخواص ١٦١ ؛ وتهذيب التهذيب ١١/١٦٦ ، وتهذيب الأسماء ٢/ ١٤٩ ؛ ومرآة الجنان ١/٢٤٨ ـ٢٤٩ ؛ والشذرات ١/ ١٥٠ .

أحمق ، ولولا حمقه ما هنأه عيش ، وقال له رجل : شتمك فلان ، فقال : أما وجد إبليس رجلا يرسله لى غيرك !! وقال : قرأت نيفا وسبعين كتابا من الكتب الإلهية فوجدت فيها كلها : من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر ، يا ابن آدم ، ما قمت لى بما يجب عليك ، أذكرك وتنسانى وأدعوك وتفر منى . خيرى إليك نازل وشرك إلىّ صاعد ، وقال : فى التوراة علامة الرجل الصالح أن يخاصمه قومه الأقرب فالأقرب ، وقال : من كانت بطنه واديا من الأودية كيف يصح له زهد فى الدنيا ؟ وقال : العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتنشر به الشجر بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة ، فكذا العلم يحفظه الزجال فتحوله على قدر هممها وأهواءها فيزيد المتكبر تكبراً والمتواضع تواضعا ، وقال : ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور ولا يملؤها إلا التراب ، فارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، وقال : إن الله يحفظ بالرجل الصالح القبيلة من الناس ، وقال : ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعل الله ذلك طبيعة فيه ، وقال : الدنيا غنيمة الأكياس وحسرة الحمقى ، وقيل له : فلان بلغ من العبادة ما علمت ثم رجع ، قال : لا تعجب ممن يرجع لكن ممن يستقيم ، وقال من بكى على ذنبه فى الدنيا ضحك فى الآخرة وبالعكس ، وقال : أوحى الله إلى داود عليه السلام أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يرضون بحكمى ، وألسنتهم رطبة من ذكرى ؛ وقال : من أعظم الذنوب بعد الشرك السخرية بالناس ، وقال : من تعبد ازداد قوة ، ومن كسل ازداد وهنا ، وقال : الإيمان عريان وثوبه التقوى وزينته الحياء ، وقال : علامة الخوف طاعة الله ومن يعصيه ثم يزعم محبته فقد كذب ، وقال الاعتماد على من يموت كالاستناد إلى بيت العنكبوت ، وقال : ما ينفع التدبير إذا خالف التقدير ، وقال : لأن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكى وأنت مدل بعملك فإن المدل لايرفع له عمل قط ، وقال : دخول الحمل فى سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة ، وقال : من جعل شهوته

تحت قدمه فزع الشيطان من ظله ، وقال : التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما إلى الآخر : إلى أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى ، وقال الآخر : أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد ، قال الغزالى رحمه اللّه : وهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ، وقال : في الألواح التى قال اللّه تعالى « وكتبنا له في الألواح من كل شيء » يا موسى اعبدنى ولا تشرك بى شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإنهم خلقى وأنا إذا أشرك بى غضبت وإذا غضبت لعنت ، واللعنة تدرك الولد الرابع ، وإذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت ، والبركة تدرك الأمة بعد الأمة ، وقال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام بقدر ما تحرث الأرض تلين وبقدر ما تتواضعون ترحمون ، وقال : فى بعض الكتب ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ما ترجو من أملك ، وقصرت من حرصك وابتغيت الزيادة فى عملك ، وإنما تلقى الندم وقد زلت لك القدم وأسلمك الأهل والحشم ، وانصرف عنك الحبيب ، وأسلمك القريب .فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا فى عملك زائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، وقيل له : بم زهدت فى الدنيا ؟ قال : بحرفين قرأتهما فى التوراة : « يا من لا يستتم سروره يومين ، يا من لا يأمن على روحه طرفة عين ، الحذر الحذر ، وأسند الحديث عن عدة من الصحابة ، مات بصنعاء سنة أربع عشرة ومائة ، وقيل : عشرين ومائة عن نحو ثمانين سنة وكان يشبه كعب الأحبار فى زمانه روى عن ابن عباس وغيره ، وخرج له الجماعة سوى ابن ماجه .

(١٩٩) وهيب بن الورد المكي المخزومى[١]

الورع التقى ، الضرع الوفى ، ظفر بالخير ، وتنزه عن الضير ، وقد

---

(١) صفة الصفوة ٢/١٢٣ ؛ و حلية الأولياء ٨/١٤٠ ، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٧٠ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٣٢٣ ؛ والسلمى ، ص ٤٤ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ٣٥٠ ؛ ١/ ٢٣٦ .

قيل : إن التصوف الأنين من الوضيع والحنين إلى الرفيع ، وكان رأسا فى الزهد ، وسبب زهده أنه بينما هو واقف ببطن الوادى إذا برجل آخذ بمنكبيه وقال : يا وهيب خف اللّه لقدرته عليك و استحى منه لقربه منك فالتفت فلم ير أحداً . وقال بشر رحمة اللّه : أربعة وفقهم اللّه بطيب المطعم ؛ وهيب ، وابن أدهم ، وابن أسباط ، والخواص .

(ومن كلامه) : إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى اللّه فافعل ، وقال : عجبا للعالم عجبا كيف تجيبه دواعى قلبه إلى الضحك وقد علم أن له فى القيامة روعات ووقفات وفزعات ، وقال : لا يجد طعم العبادة من يعصى ولا من هَمَّ بمعصية ، وقال : البناء الذى لا سرف فيه ما سترك من الشمس وأكفك من المطر ، وقال : لا يكن هم أحدكم فى كثرة العمل بل فى إحكامه وتحسينه ، فإن العبد قد يصلى وهو يعصى فى صلاته ، وقال : الزهد فى الدنيا أن لا تيأس على ما فاتك ولا تفرح بما أتاك ، وقال : احذر أن تكون صديق إبليس فى السر وتظهر عداوته فى العلانية ، وقال : بينما أنا فى الطواف إذا بامرأة فيه تقول : يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات ، يا رب سبحانك وعزتك إنك لأرحم الراحمين ، يا رب مالك عقوبة إلا النار ، فقالت صاحبة لها : أيا أخية دخلت بيت ربك اليوم ، قالت : واللّه ما أرى قدمى أهلا للطواف حول بيت ربى ، فكيف أراهما أهلا أن أطأ بهما بيت ربى في العلانية .

(ومن كراماته) أنه كان يشتهى الشيء فيجده فى بيته في إناء قد كفىء عليه ، وكان له سويق فى جراب فخرقته الفأرة فقال : اللهم آخذها فقد أفسدت علينا ، فخرجت فاضطربت بين يديه حتى ماتت ، وكان سفيان الثورى ، رضى اللّه عنه ، يستفيد منه ويجله وإذا فرغ يحدث بالمسجد الحرام ، قال : قوموا بنا إلى الطبيب ، أسند عن عدة من التابعين ، ومات سنة ثلاث وخمسين ومائة وخرج له مسلم وأبو داود والنسائى .

حرف الياء المثناة تحت

(٢٠٠) يحيى بن أبى كثير [١]

الراوى الخبير ، الواعى البصير ، الطائى اليمامى ، أحد الأعلام الكبار المشاهير ، كان ذا بصر وهدى واجتهاد وتقى ، وكرم وسخاء ، وقد قيل : إن التصوف السخاء والوفاء ، وسلوك طريق المصطفى صلى اللّه عليه وسلم .

(ومن كلامه) : ميراث العلم خير من ميراث الذهب ، وقال : ليس شئ من الأهواء أخوف على هذه الأمة من الإرجاء ، وقال : العلماء كالملح هو صلاح كل شئ فإذا فسد لم يصلحه شئ ، فينبغى أن يوطأ بالأقدام ، وقال : لا يعجبك حلم رجل حتى يغضب ولاأمانته حتى يطمع : فإنك لا تدرى على أي شقيه تقع ، وقال : ثلاث لا تكون فى بيت إلا نزعت منه البركة ، السرف ، والزنا ، والخيانة ، وقال : يفسد النمام فى ساعة مالا يفسده الساحر فى شهر ، وقال : قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : إياك والنميمة فإنها أحدُّ من السيف ، وإياك وغضب الملك الظلوم فإنه الموت ، وإياك والمراء فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان ، وقال عنه : إن أردت أن تغيظ عدوك فلا تبعد عصاك عن ابنك ، وقال عنه : لا تكثر الغيرة على أهلك ولم تر منها سُوءاً فترمى بالشر من أجلك ، وإن كانت منه برية ، وقال عنه : ماأقبح الفقر بعد الغنى ، وأقبح الخطيئة مع المسكنة ، وأقبح من ذلك كله عابد ترك عبادته ، وقال : عليك بخشية اللّه فإنها غلبت كل شئ ، وقال : من عمل بالسوء فبنفسه بدا ، وقال : لا تقتطع أمرا حتى تشاور مرشداً فإنك إذا فعلت ذلك لم تحزن عليه ، وقال : عليك بالحبيب الأول فإن الآخر لايعدله ، وقال : لا تعجب ممن هلك كيف هلك ، بل اعجب ممن نجا كيف نجا ، يا بنى لا غنى أفضل من صحة جسم ،

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ، ص ٣٦٧ ؛ والسلمى ، ص ٢٩٢؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٧٣ ؛ و الشذرات ١/١٧٦ .

ولا نعيم أفضل من قرة عين ، وقال : يا بنى إن من عيش السوء نقلا من منزل إلى منزل ، أسند عن عدة من الصحابة .

(٢٠١) يحيى بن سعيد القطان البصرى(١)

أحد الائمة الأعلام ، كان رأسا فى العلم والعمل وافرا فى الزهد والورع ، نافراعن الشبه والبدع معرضا عن العرض ، مشغولا بما هو مسنون ومفترض ، وناهيك بقول أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ما رأت عيناى مثله قط ، وقال غيره : إمام أهل زمانه حفظا وورعا ، وزهدا وتصوفا ، وكان يقف بين يديه أحمد بن حنبل رضى الله عنه وابن معين وابن المدينى رضى الله عنهما يسألونه عن الحديث هيبة له وإعظاما ، وأقام أربعين سنة يختم القرآن فى كل يوم وكل ليلة ولم يفته الزوال فى المسجد أربعين سنة .

(ومن كراماته) أنه رؤى قبل موته بعشر سنين مكتوبا على قميصه : بسم الله الرحمن الرحيم براءة ليحيى بن سعيد ، وبشر بأمان من الله تعالى يوم القيامة ، مات سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢٠٢) يزيد بن عبد الله بن الشخير(٢) أخو مطرف(٣)

من مشايخ أهل البصرة وعلمائهم وصوفيتهم له فى العبادة ذكر مشهور ، وكلامه وإن قل مذكور فمما حفظ عنه أنه قيل له إلا نسقف مسجدنا فقال : أصلحوا قلوبكم يكفكم فى مسجدكم ، مات سنة ثمان ومائة على الأصح أسند حديثا كثيراً وخرج له الجماعة .

(١) تهذيب التهذيب ١١/٢١٦ ـ ٢٢٠ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٤٦٠ ؛ والشذرات ١/ ٣٥٥ ؛ وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤ ، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٥ ؛ والعبر للذهبى ١/ ٣٢٧ ؛ والمعارف لابن قتيبة ص ٥١٤ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ؛والمعارف لابن قتيبة ٤٣٦ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٢٢٩ ؛ والشذرات ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٣) طبقات الشعرانى ١/ ٢٩ .

(٢٠٣) يزيد بن أبان الرقاشي[1]

العالم الباكى ، الصائم الظامى ، وقد قيل : التصوف تحمل للتخفف وتذبل للتشرف ، جوع نفسه ستين سنة حتى ذبل بدنه وتغير لونه ، وكان يقول : غلبتنى بطنى فما أقدر على حيلة ، وقال : إن المتجوعين لله يوم القيامة فى الرعيل الأول ، وقال : خذوا الحكمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها ، وقال : إنما سمى نوح نوحا لطول ما ناح على نفسه ، أسند الحديث عن أنس وغيره ، مات سنة تسع وعشرين ومائة .

(٢٠٤) اليمان أبو معاوية الأسود[2]

العارف الأمجد ، نزل طرسوس صالح كثير الاجتهاد ، غزير الارتياع والارتياد ، ملازما للتهجد والتلاوة والاعتكاف ، متصفا بما للأولياء من الكرامات والأوصاف ، العابد الزاهد ، كان للبصر فاقداً ، وللخير سائرا وناقداً .

(ومن كراماته العلية المقدار) أنه كان إذا أراد القراءة فى المصحف ، ونشره ليقرأ أبصر ، فإذا رد المصحف عاد له العمى ، وكان إذا آذاه رجل قال : اللهم اغفر لى الذنب الذى سلطته على به ، وكان يلقط الخرق من المزابل فيطبقها ثم يستتر بها ويقول : أمامنا اللبس فى دار البقاء .

(ومن كلامه) بادر قبل نزول ما تحاذر، وقدم صالح الأعمال ، ودع عنك كثرة الاشتغال ، وقال : من كانت الدنيا أكبر همه طال فى القيامة غمه ، وقال : إن كنت تريد لنفسك الجزيل فلا تنم الليل ، ولاتقيل ، وقال : إخوانى كلهم خير منى ؛ لأن كلهم يرى الفضل لى على نفسه ، ومن فضلنى على نفسه

(١) تهذيب التهذيب ١١/٣٠٩ ـ ٣١١ ؛

(٢) اليمان بن معاوية الأسود ، طبقات الشعرانى ١/٥٣ .

فهو خير منى ، وقال : من خاف ما بين يديه ضاق فى الدنيا ذرعه ، ومن خاف الوعيد لها من الدنيا عما يريد ، وقال : الصبر ملاك الأمر ، وفيه أعظم الأجر ، فاجعل ذكر اللّه تعالى من أجل شأنك .

(٢٠٥) يوسف بن أسباط[1]

ذو الجد والنشاط ، والسبق إلى الصراط ، وهو أحد مشايخ الطريق ، المشهورين بالتحقيق ، كان صاحب تعبد وأقوال ، وتجرد وتنسك وأحوال ، ونظام يضرم نار عظيم الغرام ، وكلام يبرى ما بالقلوب من الكلام ، وسمع وروى ، وما ضل عن طريق القوم ولا غوى ، نعم وكان العلم والخوف شعاره ، والتخلى من فضول الدنيا دثاره ، وقد قيل : إن التصوف ، التخلى للتراقى ، والتحلى بالتلاقى ، وكان شديد المجاهدة لنفسه يصوم النهار ويقوم الليل ، ويأكل من عمل يده من الخوص ، وله مواعظ من الحكم علية المقدار ، وكان من المحدثين الأخيار ، أخذ عن سفيان الثورى رضى اللّه عنه وزائدة ، ومخلد بن خليفة رضى اللّه عنهما ، وعنه المسيب بن واضح ، وعبد اللّه بن الأنطاكى وغيرهما .

(ومن كلامه) : اصبر تحت ما قدر عليك فإنه قلما فر إنسان من شر إلا وقع فى أشر منه ، انظروا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام لما فر من خضوع بنى إسرائيل له وهرب إلى البرية عبدوه من دون اللّه تعالى ، فكان مكثه بينهم أولى ، وقال : من قرأ القرآن ثم مال إلى الدنيا اتخذ آيات اللّه هزءاً ولعبا ، وقال : لا يكون العالم عالما حتى يكون خير أعماله أضر عليه من ذنوبه ، وقال : إياكم ولذة إقبال الناس عليكم فإنها مصيبة ، وقال : لا تفرح بما أقبل ولا تأسف على ماأدبر ، وقال : التواضع ألا ترى أحداً رأيته خيراً منك ، وقال : الدنيا جيفة من أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، وقال : خلق اللّه القلوب مساكن

---

(١) يوسف بن أسباط الشيبانى ، وتهذيب التهذيب ١١/٤٠٧ ـ ٤٠٨ ؛ وميزان الاعتدال٢/٣٢٨ ؛ والسلمى ، ص ٣٦ ؛ طبقات الشعرانى ١/٥٢ ؛

فصارت مساكن للشهوات ، ولايمحو الشهوات منها إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، وقال : أدركت أقواما فساقا كانوا أشد بغيا على مروءتهم من قراء هذا الزمان على دينهم ، ونظر إلى رجل بيده دفتر ، فقال : تزينوا بما شئتم فلن يزيدكم اللّه إلا اتضاعا ، وقال : اعمل عمل رجل لاينجيه إلا عمله ، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، وقال : قلت لوكيع رضى اللّه عنه : ربما عرض لى بالليل شئ فداخلنى رعب فقال : من خاف اللّه خاف منه كل شئ فما خفت بعدها شيئا ، وقال من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى اللّه ، وقال : انتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق فإن الدنيا ميدان السابقين ولا تغتر بمن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، وقال : الزهد فى الرياسة أحب من الزهد فى الدنيا ، وقال : يرزق الصادق ثلاثة ، الحلاوة ، والملاحة والمهابة ، وأتى بباكورة فقبلها ووضعها بين يديه ، ثم قال :إن الدنيا لم تخلق لينظر اليها بل لينظر بها إلى الآخرة ، وقال : العلم الأكبر خشية اللّه ، وقال : لا تؤمرن التسويف على نفسك ولا تمكنه من قلبك فإنه محل الضلال ، وفيه تنقطع الآجال ، فبادر فإنك مبادر بك ، وأسرع فإنك مسروع بك ، وجد فإن الأمر جد ، وقال : من كان طلب الفضائل أهم إليه من الذنوب فإنه مخدوع ، وربما كان خير أعمالنا أضر علينا من ذنوبنا ، وقال : احذر القراء المتصنعين والعلماء المتجبرين الذين جثوا بطرق الهلكة وصدوا الناس عن سبيل الهدى ، وقال : خضعوا لما طعموا فى نائلهم ، وسكتوا عما سمعوا من باطلهم ، وداهن بعضهم بعضا ، وقال أوحى اللّه إلى إبراهيم : تدرى لم اتخذتك خليلا ؟ لأنك تعطى الناس ولا تأخذ من أحد شيئا ، وقال : إذا رأيت الرجل قد أشر وبطر فلا تعظه ، فليس للوعظ فيه موضع ، وقال : ذهب من يؤنس به ويستراح إليه وإن علم اللّه منك الصدق رجوت أن يصنع لك وإن كان الصدق رفع من الأرض ، وكتب إلى حذيفة المرعشى ، رحمه اللّه : ما ظنك بمن بقى لا يجد أحداً يذكر اللّه معه إلا كان آثما ، وكانت مذاكرته معصية ، وقال الغزالى ، رحمه اللّه ، وصدق : فإن

مخالط الناس لا ينفك عن غيبة أو سماعها وأحسن أحواله أن يفيد علما ، ولو تأمل علم أن المستفيد إنما يريد جعل ذلك آلة لطلب الدنيا ووسيلة للشر فيكون معينا له كبائع السيف لقاطع الطريق ، وكتب إليه أيضا أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك والمراقبة حيث لا يراك إلا هو والاستعداد إلى ماليس لأحد فيه حيلة ، ولا ينفع الندم عند نزوله فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسؤال غدا ، واعلم أنه لابد لى ولك من الوقوف بين يديه يسألني ويسألك عن وساوس الصدور ولحظات العيون ، وإنه لا يجزى من العمل القول ولا من البذل العدة ، ولا من الفعل الصفة ، ولا من التوفى التلاوم ، وقد صرنا فى زمان هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرض للمهالك ، أسند الحديث عن الأعلام كسفيان الثورى رضى الله عنه وأضرابه ، مات سنة ثنتين وتسعين ومائة وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء والصوفية .

وهذا آخر الطبقة الثانية ويليها الطبقة الثالثة فيمن توفى بعد المائتين إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون رجلا منهم إمامنا الشافعى ، رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الحمد لله مانح العطاء ، كاشف عن بصائر أوليائه الغطاء ، الذى منح أهل وده أنواع اللطائف وعمر أفئدتهم بأنواع الذكر والمعارف ، فوردوا موارد الأوراد ، وصدروا مصادر الإسعاد والإرشاد ، والصلاة والسلام على قطب دائرة الوجود ، وبحر علم الجود ، الذى أسرى به حتى جاوز السبع الطباق ، وآله وصحبه وتابعيهم مفاتيح الأغلاق .

(وبعد) فهذه هى الطبقة الثالثة من الكواكب الدرية فيمن توفى بعد المائتين إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون ، رحمهم الله .

(حرف الهمزة) إبراهيم الخواص ، إبراهيم العلوى ، إبراهيم الهروى ، إبراهيم الخرسانى ، إبراهيم الحربى ، إبراهيم الخراز ، إبراهيم القصار ، الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد أبو الحسين الثورى ، أحمد بن أبى الورد ، أحمد بن مسروق الطوسى ، أحمد بن عاصم الأنطاكى ، أحمد بن خضرويه البلخى ، أحمد ابن أبى الحوارى ، أحمد بن نصر الخزاعى ، أبو إبراهيم السائح ، أبو تراب النخشبى ، أبو جعفر المحولى ، أبو بكر الهلالى ، أبو قاسم المناوى ، أبو حمزة الخراسانى ، أبو عبد الله الدبيلى ، أبو هاشم الزاهد ، أبو شعيب البرانى ، إسماعيل الديلمى ، أيوب الحمال ، أم هارون الشامية .(حرف الباء) بشر الحافى ، بقى بن مخلد ، بهلول المجنون ، (حرف الجيم) أبو القاسم الجنيد ، جبلة الدقى ، (حرف الحاء) الحارث المحاسبى ، حاتم الأصم ، حمدون القصار ، حبيب العجمى ، الحسن الفلاس ، (حرف الخاء) خير النساج ، (حرف الذال) ذو النون المصرى ، (حرف الزاى) زهراء الوالهة ، (حرف السين) السرى السقطى ، سعيد الجبرى سعيد النباجى ، سعيد الرازى ، سمنون الخواص ، سهل التسترى ، سهل الفرحان ، (حرف الشين) شقران المغربى ، (حرف الطاء) طيفور أبو يزيد البسطامى ، الطيب الذهلى ، (حرف العين) عبد الرحمن أبو سليمان الدارانى ، عبد الله بن حسن الكوفى ، عبد الله الحداد ، على بن الموفق وعلى بن موسى الرضى ، على بن سهل الأزهر ، على بن الصائغ الدينورى ، عمر أبو حفص النيسابورى ، عمرو بن عثمان المكى ، (حرف الفاء) فتح أبو نصر الكشى ، فاطمة النيسابورية ، (حرف القاف) القاسم بن عثمان الجوعى ، (حرف الميم) محمد بن أبى الورد ، محمد البغدادى ، محمد بن خمش ، محمد بن أسلم الطوسى ، محمد بن منصور الطوسى ، الإمام الشافعى ، محمد المغربى ، محمد القنطرى ، محمد بن يوسف البنا ، محمد بن المبارك الصورى ، مضاء الشامى ، معروف الكرخى ، ممشاد الدينورى ، منصور بن عمار ، (حرف النون) نفيسة السيدة بنت الحسن (حرف الياء) يحيى بن معاذ الرازى .

حرف الهمزة

(٢٠٦) إبراهيم بن أحمد الخواص[١]

المشهور بين العام والخاص ، أوحد مشايخ وقته ، وأجل أصحاب التوكل في سمته ، وهو من أقران العارف الجنيد ، رضى الله عنه . عارف كثرت فوائده ، وحسنت أخلاقه ومقاصده وانتفع به الطلاب ، وارتفع قدره بين ذوى الألباب ، وله فى التوكل الحال المشهور ، والذكر المنشور ، والرياضة التامة ، والسياحة العامة ، قال الغزالى رحمه الله : كان لا يقيم فى بلد أكثر من أربعين يوما ، وكان رأسا فى التوكل يرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحة فى التوكل ، قال : وكانت عادته أن يخوض مع المريد فى كل رياضة ، والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم ، وتلطفا فى سياقهم إلى السعادة ، وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء انتهى ، وكان يوما فى السياحة وإذا بعفريت صفعه فرفع رأسه إلى السماء وقال : هكذا يفعل عن عيشى فى خفارتك فاستقبله ملك برأس العفريت ، وقال الخطيب ، رضى الله عنه : له كتب مصنفة .

(ومن فوائده) : من لم يصبر لم يظفر ، وعقوبة القلوب أشد العقوبات ، ومقامها أعلى المقامات ، وذكرها أشرف الأذكار ، وبذكرها تستجلب الأنوار ، وعليها وقع الخطاب ، وهى المخصوصة بالتنبيه والعتاب ، وقال : من أراد الله لله بذل له نفسه فأدناه من قربه ، ومن أرادهُ لنفسه أشبعه من جنانه وأردأ له رضوانه ، وقال : الناس رجلان حر وعبد ، فالحر مهموم بتدبير نفسه ، ومعتوب بالسعى فى مصلحته ، والعبد طرح نفسه فى ظل الربوبية ، والمتوكلون الواثقون

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٢٥ ؛ وصفة الصفوة ٤/٨٠ ؛ والرسالة القشيرية ص ٣١ ؛ وطبقات الشعرانى ٨٣/١ ؛ وتاريخ بغداد ٧/٦ ؛ والسلمى ص ٢٨٤ ؛ والنبهانى ٢٣٣/١ ، والأعلام للزركلى ٢٨/١

بضمانه غابوا عن الأوهام وعيون الناظرين ، فعظم خطر ماأوصلهم إليه ، وجل قدر ما حملهم عليه ، وعظمت منزلتهم لديه ، فيا طيب عيش له لو عقل ، ويا لذة وصل لو كشف ، ويا رفعة قدر لو وصف ، وكان عامة مناجاته إلى الصباح .

برحَ الخفاءُ وفى التلاقى راحةٌ * هلْ يشْتفى خلٌّ بغيرِ خليلهِ

وتأوه فقيل له : ما هذا التأوه ؟ فقال : كيف يفلح من يسره مايضره !! وأنشد .

تعودتُ مسَّ الضُّرِّ حتى ألفْتهُ   وأحوجنى طول البلاءِ إلى الصبْرِ
وقطَّعتُ أطماعى من الناس آيساً   لعلمى بصنعِ اللّهِ من حيثُ لا أدرى

وقال : انتهيت إلى رجل صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه : دعنى أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق ؛ وقال : جعت فى البادية شديداً فاستقبلنى أعرابى فقال الدعوى تهتك ستر المدعين فما لك والتوكل ؟ وقال رأيت بطريق الشام شابا حسن المراعاة فقال : هل لك فى الصحبة ؟ ، قلت : إنى أجوع ، قال أجوع معك ، فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشئ فقلت : هلم قال : عقدت أن لا آخذ بواسطة ؛ قلت : دققت ، قال : لا تبهرج فإن الناقد بصير ، مالك والتوكل أقله أن ترد عليك موارد الفاقات ، فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات ، وقال : العالم من عمل بعمله وإن قل ، وقال : بقدر إعزاز المؤمن لأمر اللّه يلبسه من عزه ويقيم له العز فى قلوب الناس ، وقال : شرط الفقير استواء أوقاته فى الانبساط ، وقال : شيئان عزيزان عالم يعمل بعلمه ومريد لا طمع عنده ، وقال : لقيت الخضر عليه السلام ببادية فسألنى الصحبة فخفت أن يفسد على توكلى بالسكون له ففارقته ، وقال : المفاخرة والمكاثرة يمنعان الراحة ، والعجب يمنع معرفة عيوب النفس ، والتكبر يمنع معرفة الصواب ، والبخل يمنع الورع ، وقال : من ذم الدنيا علانية واعتنقها سرا تحمل مقته ، وقال : الهالك من ضل أواخر عمره حين قارب المنون ، وقال : أعظم

مايؤتى على المريدين قلة الوفاء بالعهد ، وقال : التسليم أن تعلم أنه تعالى أشفق عليك من نفسك ، وقال : أشد مايعذب الله به عباده مفارقة حضرته ، وقال : اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء ، وقال لا تطمع فى لين القلب مع فضول الكلام ، ولا فى حب الله مع حب المال والشره ، ولا فى الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين ، وقال : رأيت الخضر عليه السلام فقلت له : بماذا رأيتك ؟ قال : ببرك لأمك ، وقال : دواء القلب خمسة قراءة القرآن بالتدبير ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقال المحبة : محو الإرادات ، واحتراق جميع الصفات والحاجات ، وقال : آفة المؤمن ثلاثة حب الدنيا وحب النساء وحب الرياسة ، وقال : اذا تحرك عبد لإزالة منكر فحالت دونه موانع فانما ذاك لفساد العقد بينه وبين الله ، وقال : من شرب من كأس حب الرياسة خرج من إخلاص العبودية ، وقال : سلكت فى البادية إلى مكة سبعة عشر طريقا منها طريق من ذهب وطريق من فضة ، وقال : نمت فى البادية على حجر فإذا بشيطان جاء وقال : قم من هنا ، و قلت : اذهب ، قال : إنى أرفسك فتهلك ، قلت : افعل فرفسنى فوقعت رجله علىّ كأنها خرقة ، فقال : أنت ولى الله من أنت ؟ قلت : الخواص قال : يا إبراهيم معى حلال وحرام أما الحلال فرمان من الجبل الفلانى وأما الحرام فحيتان من البحر مررت على صيادين فتخاونا الخيانة فكل الحلال ودع الحرام ، وقال : طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدمت السمك فيوماً وقع بالشبكة سمكة فأخرجتما وطرحت الشبكة قوقعت أخرى ، فهتف بى هاتف لم تجد معاشا إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتله ؟!! فقطعت الشبكة وتركت الاصطياد ، وقال : دخلت فى سيا حتى موضعاً فإذا بسبع عظيم فخفته فهتف بى هاتف : اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك ، ولقيه فى سياحته رجل فوجده وحده فطمع أن يسلبه ثوبه فجاءه وقال : انزع ما عليك فقال له : مر فى حفظ الله فقال : الثانية والثالثة فقال : لابد ؟ قال : لابد . قال : لابد ؟ قال : لابد ، فأشار بأصبعيه إلى عينيه

فسقطتا فوراً وسئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ويجد فى سماعه ، فقال : إن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته وعظمته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه ، وقال : دخلت البادية فوجدت نصرانيا فى وسطه زنار فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام قال : يا راهب الحنيفية هات كرامة مما عندك فقد جعنا ، فقلت : إلهى لا تفضحنى مع هذا الكافر ، وإذا بطبق عليه خبز وشواء ورطب ، وكوز ماء فمشينا سبعة أيام وقلت له : يا راهب النصرانية انتهت النوبة فهات ما عندك فاتكأ على عصاه ودعا فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما على طبقى فتحيرت ولم آكل منه فألح على فلم أجبه قال كل فإنى مبشرك ببشارتين أنى قد أسلمت وحل الزنار وقد قلت : اللهم إن كان لهذا العبد خطر وهو على الحق فافتح علىَّ ففتح بهذا ومكث خادمه حامد الأسود معه سبعة أيام فى البادية فضعفت قوته وجلس فالتفت إليه وقال : أيما أحب إليك الماء أو الطعام ؟ قال : الماء ، قال : هو وراءك فالتفت إليه فإذا بحر كاللبن فشرب وتطهر ولم يقربه الشيخ فأراد أن يحمل منه فزجره الشيخ وقال : ليس هذا مما يتزود منه ، وقال : ركبت البحر وفى المركب يهودى لم أره يتحرك ولا يأكل من مكانه ولا يتطهر ولا يشتغل بشئ وهو ملتف بعباءة فكلمته فوجدته متجرداً متوكلا يتكلم بأحسن كلام ، ويأتى بأكمل بيان ، فأنس بى وقال : ياأبا إسحاق إن كنت صادقا فى دعواك التوكل فالبحر بيننا حتى نعبر الساحل وكنا فى اللج فقلت : قم فزج نفسه فى البحر ورميت بنفسى خلفه فعبرنا الساحل فقال نصطحب على شرط أن لا نأوى المساجد ولا البيع ولا الكنائس ، فقلت : لك ذلك ، فأتينا مدينة فأقمنا على مزبلة ثلاث أيام ففى الثالث أتاه كلب وفى فمه رغيفان فطرحهما له وانصرف ، فأكل ثم أتانى شاب حسن الوجه ظريف طيب الريح بطعام نظيف فوضعه وقال : كل وغاب عنا فأسلم اليهودى وقال : يا إبراهيم طريقنا صحيح لكن الذى لكم أحسن وأملح ، وحسن إسلامه وصار من أصحابنا المتصفين بالتصوف كذا ذكر هذه الحكاية عنه جماعة ، وقوله : طريقنا

صحيح غيرصحيح ، ونظير هذه الحكاية ما ذكره الشيخ ابن حجر الهيثمى[١] رحمه الله أن الكفر قد يصحبه نور باطنى ينشأ عن الرياضة والأجتهاد فى السلوك قال : ألا ترى أن يهوديا قدم مصر فكان لانكشاف الكون يتحدث بالمغيبات حتى كاد أن يفتن أهلها فتلطف به بعضهم حتى قال له : ما سبب ذلك ؟ قال : سببه أنى لازمت الرياضة التامة وخالفت نفسى فى كل شئ حدثتنى به ، فآل أمرى إلى ما ترى . قال : له أعرض عليها الإسلام . قال قد أبت . قال خالفها ، فتأمل ساعة ثم أسلم فهذا بتمام الرياضة ومخالفة النفس تنور باطنه حتى صار إذا وجه همته إلى شئ لم يحجب عنه . ولنرجع إلى كلام الخواص رضى الله عنه ، وقال إن لإبليس وثاقين ماأوثق بنى آدم بأوثق منهما خوف الفقر والطمع ، وقال : الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة الركون إلى الدنيا . وهم غد . وحب الفضول ، وحسد أخ ، وقال : لا يكمل فقير حتى يكون نظر الله إليه فى المنع أفضل من نظره له فى العطاء . وعلامة صدقه فيه أن يجد للمنع من الحلاوة مالايجد للعطاء . فلا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه . وقال : من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له ، وقال : الورع ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى ، وقال : العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت ، وقال : عطشت لما تهت بطريق الحجاز فإذا بفارس عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح أظنه من ذهب أو جوهر فسقانى وأردفنى خلفه ثم قال : هذا نخل المدينة أقرىء صاحبها السلام وقل له : أخوك الخضر يسلم عليك ، ومكث سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وحيرة بما وجد . كان رضى الله عنه يقبض على لحيته ويقول :

هذا ولهى وكم كتمتُ الولها   صوناً لحديثٍ من هوى النفسِ لهَا

ياآخرُ محنتى ويا أولَّهَا   أيامُ عناى فيك ما أطولهَـا

وجاءته امرأة فبشكت تغيراً وجدته فى قلبها وحالها ، فقال : عليك

(١) ابن حجر المكى الهيثمى ، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ .

بالتفقد ، فقالت : تفقدت فما رأيت شيئا قال : أتذكرين ليلة المشعل . فهذا التغير منه . فبكت وقالت : نعم كنت أغزل فمر مشعل السلطان فغزلت فيه خيطا ونسجت من المغزل قميصا فلبسته ، ثم نزعته فتصدقت به فعاد صفاء قلبها ، واضطجع يوماً بالبادية ومعه رفيقه فجاءته السباع فأحاطوا به فلم يبال بها ففر صاحبه وصعد شجرة وبات الليلة الثالثة فسقطت بعوضة على يديه فجزع . وتألم فقال له صاحبه : ما جزعت من الأسد وجزعت من بعوضة ؟ !! قال : كان نزل فى القلب البارحة سلطان الجلال فبقوته لم أبال بجميع الملكوت . والآن غاب فظهر العجز ، ومن شعره :

صبرتُ على بعضِ الأذى خوفَ كلِّهِ ودافعتُ عن نفسى لنفسى فقرّتِ

وجرّعتُها المكروهَ حتى تدربت ولو جرعتهُ جملةً لا شمأزّتِ

ألا ربُّ ذُلٍّ ساقَ للنفسِ عزّةً ويا ربَّ نفسٍ بالتذللِ عزّتِ

ولم يزل على حالته هذه حتى فقد الوجود ، وترك العيون عليه بالدموع تجود ، سنة إحدى وستين أو أربع وثمانين ومائتين ، مرض بالرى لقلة القيام ، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود فيصلى ركعتين فقام ليغتسل فخرجت روحه فى وسط الماء ، رحمة اللّه تعالى عليه ونفعنا به .

(٢٠٧) إبراهيم بن سعد العلوى

العابد الزاهد من أهل بغداد ، ثم انتقل عنها إلى الشام . وكان حسنيا يقال له : الشريف الزاهد ، وكان يقصد بالزيارة ، ويؤم لحسن التربية والسفارة ، وتلتمس بركاته وتستدعى دعواته ، ومقالاته ترشد إلى طريق الهدى وله مقامات وأحوال خارقة وكرامات باهرة .

(منها) أنه كان إذا صلى بسط رداءه على البحر ووقف عليه وصلى

على الماء ، وقال أبو الحارث الأولاسى خرجت من حصن أولاس أريد البحر فقال بعض إخوانى : هيأت لك عجة فقعدت وأكلت معه ونزلت الساحل فإذا إبراهيم العلوى رضى اللّه عنه قائما يصلى على الماء ، فقلت فى نفسى : إن قال لى : امش معى على الماء لأمشين معه فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال لى ذلك ، فقلت : نعم فذهبت أمشى فغاصت رجلى ، فقال : يا أبا الحارث العجة أخذت رجلك ، وكان لا يأكل إلا فى كل ثلاثة أيام سفة خرنوب ، ولقيته امرأة وقد سخر جندى حماراً لها فاستغاثت به فكلمه العلوى فلم يفد . فدعا عليه فخر الجندى والحمار والمرأة ، ثم أفاقت المرأة ، ثم أفاق الحمار ، ثم مات الجندى .

(ومن كلامه) : عليك بالرمال والتخلى فى بطون الجبال ووار نفسك ما أمكنك . حتى يشغلك بذكره عن ذكر سواه . وعليك بالنقلة من الدنيا ما إستطعت حتى يأتيك اليقين ، وقال : إذا نزل بك أمر من اللّه تعالى فاستعمل الرضى فإن اللّه مطلع عليك يعلم ما فى ضميرك فإن رضيت فلك الثواب وأنت فى رضاك وسخطك لا تقدر أن تزيد فى الرزق المقسوم والأمر المكتوب فإن لم تجد إلى الرضى سبيلا فاستعمل الصبر ، فإنه رأس الأيمان ، فإن لم تجد فعليك بالتحمل فإذا اضطربت وقل صبرك فالجأ إليه بهمك . واشك إليه بثك واحذر أن تستبطئه أو تسئ به ظنا فإن كل شئ بسبب ولكل سبب أجل ، ولكل أجل كتاب . ولكل هم من اللّه فرج . ومن علم أنه بعين اللّه استحيا أن يراه يرجو سواه ، ومن أيقن بنظر اللّه اليه أسقط اختيار نفسه . ومن علم أن اللّه الضار النافع أسقط مخاوف المخلوق من قلبه ، فراقب اللّه فى قربه . واطلب الأمر من معدنه ، واحذر أن تعتمد على مخلوق أو تعلق قلبك به تعليق خوف أو رجاء . أو تفشى إليه سرا . أو تشكو إليه شيئا . أو تعتمد على إخائه أو تستريح إليه استراحة فيها شكوى بث ؛ فإن غنيهم فقير فى غناه ، وفقيرهم ذليل فى فقره . وعالمهم جاهل فى علمه ، فاجر فى فعله . إلا القليل ممن عصم اللّه ، وقال : اتق الفاجر من العلماء والجاهل من العباد فإنهم فتنة إلى كل مفتون . وقال : احفظ

حدود الله وارحم خلقه ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

(٢٠٨) إبراهيم الهروى المعروف بستنبه[١]

من أقران أبى يزيد صحب ابن أدهم رضى الله عنه وغيره ، وهو من المذكورين بالتوكل والتجرد الكبير ، أقام فى البادية مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب ولا يشتهى شيئا ، فحدثته نفسه بأن له مع الله رتبة فلم يشعر حتى كلمه رجل عن يمينه ، فقال : يا إبراهيم ترائى الله فى سرك ، !! لى ثمانون يوما لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئا وأنا زمن مطروح وأنا أستحى من الله أن يقع لى خاطرك . ولو أقسمت على الله أن يجعل لى هذا الشجر ذهبا لفعل .

(ومن كلامه) طريق الجنة ثلاثة أشياء سكون القلب لوعود الله . والرضا بالقضاء . وإخلاص العمل فى جميع النوافل . وقال : من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع[٢] ، فإن الأولياء اختاروها فبلغوا سنام الأمر . الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح وقال : من أصاب هذه الثلاثة أصاب الشرف فى الدارين أولها فتح القلب يعنى يفتح الله قلبه فيجعله مأوى الذكر . والثانى غنيمة البر فكل رزق رزقه الله إياه يقبله بالمنة . ويحفظه بالخوف ويتممه بالخشية والصبر . والثالث يجد الظفر على عدوه فيستقيم على الطاعة . مات بقزوين[٣] .

(١) تاريخ بغداد ٦/١٢٠ ؛ السلمى ص ٧١ ؛ والشعرانى ، ١/٥٥ .

(٢) الأصح « ستا على ست » كما ورد بعد ذلك .

(٣) مدينة مشهورة بينها وبين الرَّىّ سبعة وعشرون فرسخا ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٢٠٩) إبراهيم بن على الخراسانى[1]

صاحب الخوارق القاطعة ، والكرامات الساطعة ، لزم الجد والاجتهاد فى خدمة رب العباد . ما يوصله إلى دار الخلود . ولبس من أثواب الثواب ما يرفل به فى منازل السعود . قال إبراهيم الخواص : نزلت إلى دجلة وكان الماء مدا والريح تلعب بالموج فرأيت رجلا بين الموج يمشى على الماء فسجدت وجعلت بينى وبين الله ألا أرفع رأسى حتى أعلم من الرجل فلم أطل السجود حتى حركنى وقال قم ولا تعاود أنا إبراهيم الخراسانى . وقال : احتجت يوما إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك . وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت ، وقال : بينما أنا فى سياحتى وبقيت أياما لم أر أحداً من الناس ولاطائرا ولا ذا روح وكنت مستقلا بلا طعام ، ولا شراب فوقع فى نفسى أننى فى معين فخرج علىَّ شخص مع الخاطر لاأدرى من أين خرج ، فقال : يا إبراهيم ذلك المرائى تعرفه ؟ فقلت : أنا هو . وكان بجانبى شجرة فقال : قل للشجرة تحمل دنانير فقلت لها : أحملى فإذا بشماريخ دنانير معلقة فاشتغلت أنظر إليها ثم إلتفت فلم أره . وقال : بينما أنا فى يوم صائف إذ عدلت إلى مغارة فدخلتها فما لبثت أن دخل على ثعبان كأنه نخلة فجعل ينظر إلى فقلت لعلى رزق له فخرج ثم أقبل إلى وفى فيه رغيف حوارى قد ذهب بعضه فوضعه عندى ورجع فتطوق بباب المغارة فأكلت الرغيف ، فلما برد النهار خرجت فسرت فلقينى رفقة فقالوا : من أين ؟ قلت : من هذا المغار قالوا : هل رأيت ما رأينا ؟ قلت : ما هو ؟ قالوا : اعترضنا ثعبان وقام على ذنبه ونفخ فقلنا : لعله جائع فرمينا له رغيفا فأخذه ومضى .

---

(١) تاريخ بغداد ٤٧/٦ ؛ والسلمى ص ٢٩ ؛ والنبهانى ٢٣٥/١ ، وطبقات الشعرانى ٨٨/١ .

القوم فى كل فن من علومهم وأحسنهم كلا ما خلا الجنيد ، فإنه الأمام الأكبر ، ولذلك كان الطرسوسى وغيره يقولون الخراز قمر الصوفية فأفاد أن أمثلهم مطلقا الجنيد ثم الخراز فذاك الشمس وهذا القمر . وكان عظيم المراقبة جاءه فى بادية الموصل أسدان من ورائه فلم يلتفت فقربا منه وتعلقا به ولحسا خديه ونزلا عنه . وهو لا يعبأ بهما ، ودخل بادية مرة بغير زاد فأصابته فاقة فرأى قافلة من بعد فسر بوصوله ثم تفكر أنه اتكل على غير اللّه وسكن إلى الخلق فأقسم أنه لا يدخلها إلا محمولا فحفر له فى الرمل إلى صدره ووارى جسده فيه فسمعوا صوتا فى الليل إن للّه وليا حبس نفسه فى الرمل فالحقوه ، فلحقوه فجاءوه فأخرجوه وحملوه إلى القرية .

(ومن فوائده) : جعل اللّه العلم دليلا عليه ليعرف ، وجعل الحلم رحمة منه على عباده ، فالعلم دليل عليه والمعرفة دال . وقال : للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأشياء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية وعبارة أزلية أى لأنهم ينطقون باللّه كما قال فى الحديث القدسى « فبى يسمع وبى ينطق » وهو العلم اللدنى الذى أوتيه الخضر ، وقال : المعرفة تأتى إلى القلب من عين الوجود وبذل المجهود والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وقال : علامة الفناء ذهاب الحظ من الدارين ، وقال : لا يكون شريفا أبداً من لا يسكن جوعه إلا بالغذاء ، فإذا صارت الأذكار هى الغذاء فقد حصل الشرف الأعلى ، ومحى الوصف الأدنى ، وقال : ليس فى طبع المؤمن قول لا ، وقال : ليكن فرحك عند العطاء بالمعطى سبحانه لا بالعطاء . وتنعمك بالمنعم لا بالنعمة ، وقال : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، وقال : من أدعى أنه مغلوب فى السماع فعلامته الصحيحة ألاَّ يبقى فى ذلك المجلس محق إلا أنس به ولا مبطل إلا استوحش منه ، وقال : من ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو متعن . ومن ظن أنه بغير بذل يصل فهو متمن ، وقال الغزالى ، وقال الخراز لابن له عند موته : يا بنى عظنى ، قال لا تخالف اللّه فيما يريد ، قال : زدنى ، قال : لا تطيق ذلك ،

(٢١٠) إبراهيم بن بشير الحربى [1]

براء قبلها حاء مهملة نسبة لقرية من قرى بغداد اسمها حربية وأصله من مرو ولد سنة ثمان وتسعين ومائة . وصار إماما فى العلم رأسا فى الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيراً بالأحكام حافظا للحديث ، عارفا بالعلل والرجال ، قائما بالأدب جامعا للعفة ، له التصانيف المفيدة فى علوم عديدة ، وكان مطبوعا على الزهد أقام ثلاثين سنة يتقوت كل يوم برغيف . وكانت نفقته فى الشهر نحو درهمين . وأرسل له المعتضد بعشرة آلاف فردها فعاد الرسول إليه وقال فرقها لجيرانك ، فقال : قل لأمير المؤمنين : هذا مال لم نشتغل بجمعه فلا نشتغل بتفرقته ، فقال لابد فقال : إن تركنا وإلا تحولنا عن جواره .

(ومن فوائده) أجمع عقلاء كل أمة على أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن له عيش . مات سنة خمس وثمانين ومائتين .

(٢١١) إبراهيم بن عيسى [2]

وقيل : أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز البغدادى شيخ الطائفة المجاهد المراقب ، عارف يضرب به المثل . خبير بالأدواء بصير بالعلل . ناصر للتصوف وأهله . قائم برفع منار الذكر وجمع شمله ، قال الخطيب : كان أحد المشهورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث يسيراً ، صحب السقطى وذا النون وغيرهما ، قال الجنيد : لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا ، أقام كذا كذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين ، وقال السلمى : الخراز إمام

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٧ ـ ٤٠ ؛ والشذرات ٢/١٩٠ ؛ والسلمى ص ٤٦ .

(٢) حلية الأولياء ١/٢٤٦ ـ ٢٤٩ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٧ ؛ والرسالة القشيرية ٢٩ ؛ واللباب ١/٢٥١ ؛ وتاريخ بغداد ٤/٢٧٦ ـ ٢٧٨ ؛ والبداية والنهاية ١١/٥٨ ؛ والمقطم ٥/١٠٥ ؛ ومرآة الجنان ٢/٢١٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٧ ؛ والشذرات ، ٢/١٩٢ ـ ١٩٣ ، والسلمى ٢٢٨ ـ ٢٣٢ .

قال : قل ، قال : لا تجعل بينك وبين اللّه قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة . وقال إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا اللّه بدموعهم ، وقال : العافية سترت البر والفاجر . وقال : إذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال . وقال : كان لى معلم يعلمنى الخوف من اللّه ، فقال يوما : إنى معلمك خوفا يجمع كل شئ مراقبة اللّه فى كل حال ، وقال : رأيت إبليس فى النوم يمر عنى ويذهب ناحية قلت : تعال إيش أعمل بكم طرحتم عن أنفسكم ماأخادع به الناس . قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا . وقال : إن اللّه عجل لأرواح أوليائه التلذذ بدوام ذكره والوصول لقربه وعجل لأبدانهم عظيم النعمة مما نالوه من عبادته . وقال : الأنس استبشار القلوب بذكر مولاها وسرورها به وسيرها إليه وأمنها معه . وقال فى معنى الحديث : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، واعجباه لمن يرى محسنا غير اللّه كيف لا يميل بكليته وقال : كل باطن يخالف ظاهر العلم فهو باطل ؛ لأن اللّه جعل العلم طريقا إليه ليعرف . وقال : المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شئ ولا يتسلى عنه بشئ ويتبع آثاره ولايدع استخباره ، وقال : إذا أراد اللّه أن يوالى عبدا فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم رفع عنه الحجب ثم أدخله دار الفردانية وكشف له حجاب العظمة والجلال فبقى بلا هو فصار زمنا فانياً فوقع فى حفظه سبحانه ، وقال كنت فى سفر وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شئ آكله وأستقل به فمضى ثلاث لم يظهر لى شئ فضعفت وقعدت فهتف بى هاتف أيما أحب إليك أن تعطى ؟ قوة أوسببا ؟ قلت : قوة فقمت فورا ومشيت نحو اثنى عشر يوما لم أرزق شيئا ولم أضعف ، وقال : كنت ببادية ، فجعت شديداً فغلبتنى نفسى أن أسأل اللّه صبرا ، فسمعت هاتفا يقول .

ويزعم أنه منا قريب   وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القوى جهدا وصبرا   كأنا لا نراه ولا يرانا

الكلاب فطردهم عنى ولم يفارقنى حتى بعدت عنها ، وقال : رأيت ، المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : اعذرنى ، فإن محبة الله شغلتنى عن محبتك ، فقال : يامبارك من أحب الله فقد أحبنى . مات سنة سبع وسبعين ، ومائتين وقيل غير ذلك ، ولما احتضر كان كثير التواجد عند الموت فقيل : ذلك للجنيد فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا .

(٢١٢) إبراهيم بن داود أبو إسحاق[(١)]

القصار الرقى . كان من أكابر القوم وسادات الصوفية من أقران الجنيد وابن الجلاء عمر وصحب أكثر صوفية الشام . وجد واجتهد ورحل إلى البلاد وقطع ليل التحصيل بالسهاد ، وأخذ عن كثير من المشايخ ؛ وتعلق من هذا الشأن بالطود الشامخ .

(ومن كلامه) المعرفة إثبات الرب خارجا عن كل موهوم ، وقال : الأبصار قوية والبصائر ضعيفة ، ومن اكتفى بغير الكافى افتقر من حيث استغنى ، وقال : الكفاية تصل إليك بلا تعب . والشغل والتعب فى الفضول ؛ وقال : أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته وأقواهم من قوى على ردها ، وقال : قيمة كل إنسان بقدر همته ، فمن همته الدنيا فلا قيمة له ، ومن همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ، وكان ملازما للفقر متجردا فيه محبا لأهله ، مات سنة ست وعشرين ومائتين .

---

(١) حلية الأولياء ١٠ /٣٥٤ ؛ وصفة الصفوة ١٦٩/٤ ؛ والرسالة القشيرية ٣٢ ؛ وغاية النهاية ١٤/١ ؛ وطبقات الشعرانى ١١٩/١ ؛ والسلمى ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

فأخذني الأستقلال فقمت ومشيت . وقال : النفس كماء واقف طاهر صاف فإذا حركته ظهر ما تحته من الحمأة والتغير ، وكذا النفس عند المحن والفاقة والمخالفة ، وقال : رأيت فقيراً بالمسجد الحرام وعليه خرقتان ، فقلت : فى سرى هذا وشبهه كل على الناس ، فنادانى واعلموا أن اللّه يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ، فاستغفرت اللّه فى سرى فنادانى وهوالذى يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عنى فلم أره وقيل له : بم عرفت اللّه ؟ قال : بجمعه بين الضدين أى فى صنعه ثم تلا « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » وقال : إذا غرقت العقول فى الأذكار ضعفت النفوس ، وقال : كنت بمكة فجزت على باب بنى شيبة فرأيت شابا حسنا ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم وقال : ياأبا سعيد ، أما علمت أن الأخيار أحياء وإن ماتوا . وإنما ينقلون من دار إلى دار ؟ وقال : من لم يعرف نفسه كيف يعرف ربه ، وسمع الناس يقولون يوم عيد : تقبل اللّه منا ومنكم . فقال : هذه غفلة وقلة رعاية ، كيف يقول الرجل ذلك ولايدرى أعمله مرضى أم لا وإنما اللائق سؤال العفو والتجاوز عن التقصير اللازم ، ولا أبلغ فى طلب العفو من الإقرار بالعجز والذلة والافتقار مع بذل الجهد فى الاخلاص ، وقال من شهد صنع الربوبية فى إقامة العبودية فقد انقطع إلى ربه وحينئذ يسلم من الاستدراج ، وقال : الزهد أن لا يرغب قلبك فى مقصود الدنيا ولا يسكن لموجودها . وقال : إذا أراد اللّه موالاة عبد فتح عليه باب ذكره ثم قربه ثم رفعه لمجالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم سواه على عرش الصفا ، ثم حجب عنه حجب النفس والهوى ثم أدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا شاهد ذلك فنى عن نفسه وحينئذ يرفع فى حفظ اللّه وكلاءته وقال : حقيقة المحبة تقطيع الفؤاد وتشتيت المراد ولولا لطف اللّه بعبده موسى أصابه أعظم مما أصاب الجبل حال التجلى ، وقال : المحبة أن لا ترى الإحسان إلا من محبوبك ولا تطيع إلا مطلوبك ، وقال : كنت بالصحراء فإذا نحو عشرة كلاب من كلاب الرعاة شدوا على فلما قربوا منى جعلت أستعمل المراقبة فخرج من بينهم كلب فحمل على

(٢١٣) أحمد بن محمد بن حنبل[1]

الإمام المبجل ، والهمام المفضل ، علم الزهاد وقلم النقاد ، امتحن فكان فى المحنة صبوراً ، واجتبى فكان للنعمة شكوراً ، عرضت عليه الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها ، وكان للحلم والعلم واعيا ، وللفهم والذكر راعيا ، وقد قيل : إن التصوف التحلى بالآثار والتخلى عن الأكدار ، وقد ترجمه بعض أرباب المعانى ، فقال : هو الصديق الثانى المروزى ثم البغدادى ، الصابر على المحنة الناصر للسنة ، شيخ العصابة ومقتدى الطائفة وإمام الدنيا ، ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد وتفقه على الشافعى وأخذ الحديث عن عبد الرازق ويزيد بن هارون ومن عدد لا يحصى . وعنه البخارى ومسلم وأبو داود ولما خرج الشافعى من بغداد قال : ماخلفت بها أفقه ولاأروع ولاأزهد ولاأعلم منه ، وكان يحفظ ألف ألف حديث وقيل لابن المبارك : تضم أحمد إلى أحد التابعين ؟ قال : إلى كبارهم ، وقد صارت بزهده وورعه وتقلله من الدنيا الركبان واتفق عليه الأعيان .

(ومن فوائدة) رأيت رب العزة فى المنام ، فقلت له : بِمَ يتقرب إليك المتقربون ؟ (قال : بكلامى) قلت : بفهم ، وبغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم ، وكان مجلسه خاصا بالحديث وبأمور الآخرة لا يذكر فيها شيئا من شئون الدنيا إلا لضرورة ، وكان أكثر إدامه الخل ، وإذا اشتهى الطعام طبخوا له عدسا وشحما فى فخارة ، وكان يحيى الليل كله ويميل إلى العزلة ويؤثرها حتى كان لا يرى إلا بالمسجد أو جنازة أوعيادة مريض ، وحج خمس حجات ثلاثة منها ماشيا ، وألف مسنده وهو أصل من أصول هذه الأمة . ورأى الشافعى فى النوم المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له : اكتب إلى أبى عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له : ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم ، فيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة ، فكتب إليه بذلك كتابا وجهزه مع الربيع ، فلما وصله الكتاب قال له

---

(١) حلية الأولياء ٩/١٦١ ؛ وصفة الصفوة ٢/١٩٠ ؛ وابن عساكر ٢/٢٨ ؛ والوفيات ١/١٧ ؛ وتاريخ بغداد ٤/٤١٢ ؛ والبداية والنهاية ١٠ / ٣٢٥ ـ ٣٤٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٤٦ ؛ والشذرات ٢/٩٦ ـ ٩٨ .

الربيع البشارة ، فخلع أحمد قميصه فأعطاه إياه ؟ فلما عاد للشافعى قال : ماأعطاك ؟ قال : قميصه ، قال : لانفجعك فيه لكن أغسله وادفع الماء لأتبرك به ، وقد قام فى تلك المحنة مقام الصديقين ، وحبس ثمانية عشر شهرا وضرب حتى غاب عقله ثم خلى عنه .

(ومن كلامه) : طوبى لمن أخمل الله ذكره ، وقال : زهد العوام عن الحرام ، وزهد الخواص عن الفضول من الحلال ، وزهد العارفين فى ترك ما يشغل عن الله ، وقال : لأن تطلب بالدنيا بالدف والمزمار خير من أن تطلبها بدينك ، وقال : ماأوقعنى فى بلية إلا صحبة من لا أحتشمه ، وقال : سألت ربى أن يفتح علىَّ بابا من الخوف ففتح ، فخفت على عقلى ، يا رب على قدر ماأطيق ، ففعل ذلك فسكنت ، وقال الفتوة ترك ماتهوى لما تخشى ، وقال الطرسوسى ذهبت أنا ويحيى بن الجلاء ، وكان من الأبدال إلى أحمد فسألناه : بِمَ تلين القلوب ؟ فقال : بأكل الحلال ، فمررنا من عنده إلى بشر فسألناه عنه فقال : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[1] فقلت : إن أحمد سألته فقال : إيش قال ؟ فقلت : قال : بأكل الحلال ، قال : جاء بالأصل ، الأصل ما قاله أحمد ، وقال : إذا كان فى الرجل مائة خصلة من الخير وكان يشرب الخمر محتها كلها ورهن سطلا له عند بقال بمكة ، فجاء يفكه فأخرج إليه سطلين فقال أحدهما لك فقال : أشكل على سطلى هو لك والدراهم ، قال : سطلك هذا وإنما أردت أن أختبرك ، وقال : لا آخذه وتركه ومضى ، وقيل له : ما تقول فيمن جلس بيته أو مسجده وقال : لا أعمل ويأتينى رزقى ، فقال : هذا الرجل جهل العلم ، أما سمع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وكان بينه وبين يحيى بن معين صحبة أكيدة فهجره لقوله ، لا أسأل أحداً شيئا ولو أعطانى الشيطان شيئا لأكلته حتى اعتذر وحلف أنه كان مازحا ، فقال : تمزح فى الدين ، أما علمت أن الأكل من الحلال قدمه الله على العمل الصالح ، فقال : ﴿ كلوا من الطيبات ﴾ الآية .

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(ومن كراماته) ماأخرجه الطبرانى أنه كان لرجل أم مقعدة نحو عشرين سنة ، فقالت : له اذهب إلى أحمد وسله يدعو لى ، فأتاه فدق الباب فلم يفتح له ، وقال : من هذا ؟ فقال : أمى مقعدة وتسألك الدعاء ، فقال ، نحن أحوج أن تدعوا لنا ، فرجع فورا إلى الباب ، فخرجت له أمه على رجليها تمشى من ساعتها ، وأخرج أيضا أن رجلا دخل عليه وعنده جمع فقال : من منكم أحمد ابن حنبل ؟ فقال أحمد : هاأنا ، ما حاجتك ؟ قال : جئت من أربعمائة فرسخ برا وبحرا من وادٍ أتانى آت فقال : تعرف أحمد بن حنبل ؟ فقلت : لا ، فقال : ائت بغداد وسل عنه فإذا رأيته فقل له : الخضر يقرئك السلام ويقول لك : إن ساكن السماء الذى علي عرشه استوى راض عنك والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله ، وقد أفرد جمع مناقبه بالتأليف منهم البيهقى ، وابن الجوزى وأخرج السلفى فى الطيوريات عن العتيقى عن الطرسوسى عن الطبرانى عن عبد الله ابن أحمد ، قال : سمعت أبى يقول : وقد قيل له : إن هؤلاء الصوفية قعود فى المساجد على التوكل بغير علم ، قال : العلم أقعدهم ، قيل له : أن همتهم كسيرة وخرقة ، قال : لا أعلم أعظم قدرا ممن هذه صفته ، قيل فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون ، قال : دعهم يفرحوا بربهم ، وكان مع سمو مقامه يتردد إلى بعض الصوفية ، فقيل له : أتتردد مع جلالة قدرك إلى زاوية هذا الشيخ !! قال : عنده رأس الأمر تقوى الله أو قال معرفة الله ، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وارتجفت الدنيا لموته وأغلقت بغداد لمشهده ، ومسحت الأرض المبسوطة التى وقف الناس للصلاة عليها فحصر مقادير الناس بالمساحة ستمائة ألف ، وكان يقول للمبتدعة : بيننا وبينكم يوم الجنائز ، وأسلم يوم موته من اليهود ، والنصارى ، المجوس عشرة آلاف ، قال ابن أبى الورد : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت ماشأن أحمد ؟ قال : سيأتيك موسى فاسأله ، فإذا بموسى فقلت : يانبى الله ما شأن أحمد ؟ قال : بلى فى السراء والضراء فوجد صادقا فألحق بالصديقين ، وذكر ابن عربى أنه رأى المصطفى ، عليه الصلاة والسلام

فأمره أنه إذا كان البرد أن يسخن الماء للغسل من الجنابة ولا يصبح على جنابة ، قال : ورأيته يشكر على الجماع ويستحسنه من فاعله ، ثم رأيت أحمد بن حنبل في تلك الليلة فذكرت له ذلك فقال لي : هكذا ذكر البخاري أنه رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم فأمره بذلك ، كذا في الفتوحات .

(٢١٤) أحمد بن محمد النوري[١]

أبو الحسين بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل ، وكان علي الهمم ، عظيم الكرم ، وقد قيل : التصوف كف فارغ وقلب طيب ، وهو من أقران الجنيد صحب السري وابن أبي الحواري ، نعم وكان كبير الشأن عجيب الفطنة عظيم البيان ذا رياسة في الفنون وسيادة في التصوف وتفنن في علوم الحقائق ، وجد واجتهد في طلب خير الطرائق بلغ به السمو الحسنى وزيادة ، انتهت إليه رياسة الصوفية في عصره ، وسيادة أهل الطريق في عصره ، وكان الجنيد يعظمه جدا ، قال الخطيب البغدادي : وهو أعلم العراقيين بلطائف القوم ، واعتل النوري فبعث إليه الجنيد بصرة دراهم فردها ثم اعتل الجنيد فعاده النوري وقعد عنده ووضع يده على جبهته فعوفي فورا ، فقال له : إذا عدت إخوانك فارزقهم بمثل هذا البرء ، ولما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة وأمر بضرب أعناقهم فأحضروا وأحضر السياف فبادر إليه النوري ، فقال السياف : تدري لم تبادر ؟ قال : نعم لضرب العنق أوثر أصحابي بحياة لحظة ، فتحير السياف ورمى السيف وأخبر الخليفة فرد أمرهم لقاضي قضاة بغداد فسألهم عن مسائل ، فالتفت النوري يمينا وشمالا ثم أطرق ثم أجاب فأعجبه ، ثم قال : إن لله عبادا يقومون بالله ، ويروحون بالله ، يحيون بالله ويموتون بالله ، ويرجعون في كل أمورهم

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٢٤٩ ـ ٢٥٥؛ وصفة الصفوة ٢/٢٩٤ ؛ والمنتظم ٦/٧٧ ؛ وتاريخ بغداد ٥/١٣٠ ـ ١٣٦ ؛ والبداية والنهاية ١١/١٠٦ ؛ وطبقات الشعراني ١/ ٢٦ ؛ والسلمي ١٦٤ ـ ١٦٩ .

إليـه ، ويتـوكلـون عليه ، ويثـقـون بجمـيـل نظره إليـهـم فبكى القـاضـى ، وقـال للخليـفـة : إن كـان هؤلاء زنادقـة فـمـا علـى وجه الأرض مـسلم ، فـأطلقـهم وسـأله القاضي عن التـفـاته ، فـقـال : سـألـت صـاحـب اليـمين فـقـال : لا أعـلم ، وصـاحب الشمـال ، فقال كذلك ، فسألت قلبى فأخبرنى عن ربى فأجبت ، وكـان شديداً فى تغيير المنكر ولو كان فيه تلفه ، نزل الدجلة يوماً يتوضأ فرأى زورقا فـيه ثلاثون دنا خمرا فسأل عنها فقيل للخليفة المعتضد ، وكان قليل الرحمة جدا فأخذه مدراة فكسرها إلا واحداً ، فقبض عليه وأحضر إلى المعـتضـد وكان يسـبق سيـفـه كـلامه فلمـا رآه قـال : من أنت ؟ قـال : محـتـسب ، وقـال : ومـن ولاك الحسـبـة ، قـال : الذى ولاك الإمـامـة ، فـأطرق ثم قـال : مـا الذى حـمـلك علـى ذلك ؟ قـال : الشـفـقـة عليك قـال : كـيـف تركـت دنا واحـدا ، قـال أعـجـبـتنى نفـسى عند وصـولى إليـه فتركته ، فخلّى سبيله .

(ومـن فـوائده) : التـصـوف تـرك كـل حظ للنفس ، وقـال : أعـز الأشـيـاء فى زمـانـنـا عـالـم يعمـل بعلمـه وعـارف ينطق عن حقـيـقـة ، وقـال : كـانـت المرقـعـات غطـاء على الدر فـصـارت مزابل على الجيف ، وسـئل عن الرضا ، فـقـال عـن وجدى تسـألـون أو عـن وجـد الخـلائق ؟ قـالـوا : عـن وجـدك ، قـال : لو كـنـت فـى الدرك لأسفل من النار كنت أرضى ممن هو فـى الفردوس الأعلى ، وقـال : لا يـصـح لعبـد مقام المشاهدة وفيه نظر لغير اللّه ، ومتى طلع الصباح استغنى عن المصباح وساح فجاع فى البادية أياما فهتف به هاتف أيهما أحب اليك سبب أو كفـاية ؟ قـال : كفـاية ليس فـوقـهـا كـفـاية ، فـقعد بعـده بضعـة عشر يوما لا يأكـل . وقـال : الجمـع بالحق تفـرقه عن غـيـره والتفـرقـة عـن غـيـره جمـع بـه ، وقـال : مـن وصـل وده أنـس بقربه ومن توصل بالوداد فـقد اصطفـاه اللّه مـن بين العـبـاد ، وقـال : مـن عـقـل أن الأشـيـاء كلهـا باللّه فرجوعـه فى كل حـالاتـه إلـيـه ، وقـال : الفـقـيـر الصـادق مـن لا يتم اللّه فى الأسبـاب ؛ ويسـكـن إليه فـى كـل حـال ، ودخل عليه الشبلى وهـو مـعـتـكـف فـوجـده سـاكنا لا يـتـحـرك ، فـقـال لـه : من أيـن أخـذت هـذه المراقـبـة

والسكون ؟ قال من سنور لى أراد الصيد لا يتحرك منه شعرة ، وقال : لا تصل إلى أوائل مبدأ حواشى علم المعرفة حتى تخوض إلى الله سبعة بحار أشد من النيران بحرا بعد بحر فعسى بعد ذلك يقع لك أوائل مبدأ المعرفة ، وقال : نعت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجدان ، قال : أباح الله العلم لجميع العامة وخص بالمعرفة أولياءه وبالمكاشفة أصفياءه وبالمشاهدة أحباءه ، واحتجب بربوبيته عن جميع بريته ، فإذا ظنوا أنهم عرفوا أنهم تحيروا وإذا توهموا أنهم كوشفوا احتجبوا ، فسبحان من أمره عجيب ، وسمع رجلا يؤذن فقال : طعنه وسم الموت ، وسمع كلبا ينبح ، فقال له : لبيك وسعديك فأنكر عليه ، فقال المؤذن : ذكره على رأس غفلة والكلب يسبحه حقيقة وإن من شئ إلا يسبح بحمده . وكان يكره ظهور الكرامة عليه ، وأتى ليلة دجلة ليعدى فالتصق له الشط بالشط فوقف ، وقال : وعزتك وجلالك لا أعبر على دجلة فى هذه الليلة إلا على زورق بقيراط ، ونزل فى الماء ليغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه ومضى فرجع بعد ساعة بالثياب وقد جفت يداه فقال : إلهى كما رددت ثيابى فاردد عليه يديه فعوفى ، وقال بعضهم : احتبس على أهلى الولد فجئته بجام أتبرك بخطه فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فانفلق الجام وسقط مغمى عليه فأتيته بآخر فكان كذلك ، ثم ثالث ورابع وخامس وهكذا والحال الحال فقال : يا هذا اذهب إلى غيرى فلو جئت بما أمكن أن تجئ به لم يمكن إلا مارأيت فإنى عبد إذا ذكرت الله ذكرته بهيبة وحضور ، وسبب موته أنه سمع قائلا يقول :

لا زلتُ أنزلُ من ودادِك منزلا　　　تتحيّرُ الألبابُ عندَ نزولِهِ

فتواجد وهام فى الصحراء فوقع فى أجمة قصب قطع وبقيت أصوله كالسيف فمشى عليها ، ولم يشعر فسال الدم من بدنه ثم وقع كالسكران ومات ، ولما احتضر قيل له : ما تشتهى ؟ فرفع رأسه وقد انكسر لسانه وقال : أشتهى شهوة كبيرة ، قيل : وما هى ؟ فقال : رؤية الله ثم تنفس نفسا عاليا كالمتواجد وفارق الدنيا سنة خمس وتسعين ومائتين ، ولما حملت جنازته صاح

الشبلى خلفه : أضرموا على الأرض النار فقد رفع العلم ، وقيل له عند النزع ، قل : لا إله إلا الله فقال : أليس إليه نعود ؟ ! .

(٢١٥) أحمد بن أبى الورد[١]

من أكابر مشايخ الوقت المعدودين ورءوس زهاد البغداديين ، جاهد نفسه حتى صفت بعد الكدر ، وعالج طبعه حتى انقاد وانقهر ، وقد قيل : التصوف صفوة القرب بعد كدورة البعد ، نعم وكان من أصحاب العطايا والمواهب له من الكرامات عجائب يحملها الصبا والجنائب ، صحب السرى السقطى والمحاسبى وغيرهما ، وأخذ الحديث عن جمع .

(ومن كلامه) : إنما بسط بساط الأنس للأولياء ليأنسوا به ويدفع به عنهم حشمة بديهة المشاهدة ، وبسط بساط الهيبة للأعداء ليستوحشوا من قبائحهم لعلهم يرجعون ، وقال : ولى الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه ، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده ، وقال : التواضع أحد مصائد الشرف ، وكل نعمة يحسد عليها صاحبها إلا التواضع ، وقال : وصل القوم بخمس بلزوم الباب وترك الخلاف والنفاذ فى الخدمة والصبر على المصائب وصيانة الكرامات ، وقال : المريد يعمل بعمله فيرى زيادة عمله ونقصانه والمراد يعمل بعلم الله فيه ولا يشاهد شيئا من أفعاله بل يشاهد جريان الحق عليه . وكان المسموحى يقول : من أراد أن يخدم الفقراء فليخدم خدمة ابنى أبى الورد ، خدمانى عشرين سنة فما سألانى قط ، وقال السلمى[٢] كان أحمد ومحمد ابنا أبى الورد من أجلة مشايخ بغداد وأحمد أصغر ، ومات قبل أخيه محمد .

---

(١) صفة الصفوة ٢٢٣/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٦٠/٥ ؛ والسلمى ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١١٥/١ .

(٢) السلمى ، المرجع السابق ٢٤٩ .

(٢١٦) أحمد بن محمد بن مسروق [1]

الطوسى المستأنس بالحق ، المستوحش من الخلق ، كان مفوضا مستريحا ، ومسامحا سميحا ، سكن بغداد وصحب المحاسبى والسقطى ، وأخذ لحديث عن كثيرين ، وهو من أجلة علماء القوم وكان معروفا بالخير مذكورا بالفضل متين الديانة متوحشا بالصيانة معروفا ، بالعفة ، والأمانة ، وكان إذا وعظ فى بقعة أخذت زخرفها وازينت وعدت من الخيرات وتعينت .

(ومن فوائده) : كثرة النظر إلى ما سوى الله تذهب معرفة الحق من القلب ، وقال : من لم يحترز بعقله من عقله العقله هلك بعقله ، وقال : المؤمن يقوى بذكر الله والمنافق بالأكل والشرب ، وقال : الحب قيد المحبين إذا صح ، وزمام المحبوبين إلى المحبين ، وقال : من ترك التدبير عاش فى راحة ، وقال : من كان سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم ، ومن لم يكن أنسه فى خدمة ربه فهو من أنسه فى وحشة ، وقال : متى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت فى غفلة عما تطلبه ؛ وسئل عن التصوف فقال : خلو الأسرار عما منه بد وتعلقها بما ليس منه بد ، وقال : رأيت القيامة قامت والخلق يجتمعون أذ نادى مناد الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتانى ملك عرض وجبهته ميل فى ميل فقال : تقدم فصل بالناس ، فتأملت فإذا مكتوب بين عينيه جبريل الأمين فقلت أين رسول الله ؟ قال : مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية ، قلت : وأنا منهم قال : نعم لكن شغلك كثرة الحديث ، وقال : قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا فى هذا الشأن بكلام حسن وكان عذب الكلام جيد الخاطر ، فقال : لنا كلما وقع فى خاطركم فقولوه لى فوقع فى قلبى أنه يهودى ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول ، فذكرته للحريرى فكبر عليه ، فقال : لابد أن أخبره فأخبرته ،

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٢١٣ - ٢١٦؛ وصفة الصفوة ٤/١٠٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢٠ ؛ وتاريخ بغداد ٥/١٠٠ -١٠٣ ؛ وميزان الاعتدال ١/٧١ ؛ والمنتظم ٦/٩٨ - ٩٩ ؛ ومرآة الجنان ٢/٢٣١ ؛ والسلمى ص ٢٣٧ - ٢٤١ ؛ والشذرات ٢/٢٢٧ .

فقال : صدقت وتشهد ، ثم قال : مارست جميع المذاهب وكنت أقول : إن كان مع قوم شئ فمع هؤلاء ، فصحبتكم لإختبركم وأنتم على الحق ، وقال : دخلت على أبى الفضل الهاشمى ، وهو عليل ، وكان ذا عيال ولاسبب له فقلت فى نفسى من أين يأكل هذا الرجل ؟ فصاح : يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله ألطافا خفية ، مات سنة ثمان أو تسع وتسعين ومائتين .

(٢١٧) أحمد بن عاصم[١]

الأنطاكى الإمام الزاهد العالم العابد صدر حوى أسرارا من العلوم ، وصوفى ظهر فى أهل قطره كالبدر بين النجوم ، سلك طريق الزهادة والصلاح ، وطار إلى أوطار المعارف بجناح الجناح ، وكان للهوى قاصما ، ولشرور النفس هاشما ، يلوم القوام وينقم على النوام ، وكان يسمى جاسوس القلوب ، ومن فوائده البديعة النظام إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح ، وقال : غنيمة باردة ، أصلح فيما بقى يغفر لك ما مضى ، وقال : الخير كله فى حرفين يزوى عنك الدنيا ويمن عليك بالقنع ويصرف عنك وجوه الناس ويمن عليك بالرضى ، وقال : التزين اسم لثلاث معانٍ متزين بعلم ومتزين يجهل ، ومتزين بترك التزين وهو أغمضها وأحبها إلى إبليس ، وقال : ما وجدت فى الشر نوعا أكثر ضررا من الغيبة فى العاجل والآجل ، وقال : احذر الغيبة كما تحذر عظيم البلاء فإنها إذا ثبتت فى القلب أتتها أخواتها من النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان وهى مجانبة الإيمان ، وقال : كل نفس مسئولة فمرتهنة أو متخلصة ، وفكاك المرهون بعد قضاء الديون فإذا غلقت الرهون أكدت الديون فاستوجبوا السجون ، وقال : ارجع إلى الاستعانة بالله على شرور هذه الأنفس ومخالفة هذه الأهوية ومجاهدة هذا العدو ، وقال : يسير اليقين يخرج كل شك من القلب ،

---

(١) حلية الأولياء ٩/٢٨٠ ؛ وصفة الصفوة ٤/٢٥٢ ؛ والمنتظم ٦/٧٧ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢٣ ، والبداية والنهاية ١٠/٣١٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٩٧ ؛ والسلمى ص ١٣٧ ـ ١٤٠

غير الله ، وقال القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق فاضت زيادة أنوارها على الجوارح أو من الباطل ظهرت زيادة ظلماتها على الجوارح ، وقال : الصبر زاد المضطرين والرضا درجة العارفين فمن صبر على صبره فهو من الصابرين لا من صبر وشكى ، وقال حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب وذكره باللسان مع الحضور والاحترام ، ورفع الهمة عن كل ما سواه ، والمغبون من رضى بسواه ، وقال : لا نوم أثقل من نوم الغفلة ، ولا رق أملك من رق الشهوة ، ولا غبن أشد من رضى العبد بغير مولاه ، وقال : أمت نفسك بالمجاهدة حتى تحييها بالمشاهدة .

(ومن كراماته) أنه كان يلبس فى شدة البرد قميصا واحدا وهو مع ذلك يعرق ، وكان إذا تكلم على الناس يفرش بساطه على وجه نهر جيحون ويجلس عليه ويجلس معه أربعمائة رجل ؛ وكان عليه سبعمائة دينار دينا وحضر غرماؤه وهو فى النزع فنظر اليهم ، وقال : اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الديون وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فادعنى فدق داق الباب فقال : هذه دار أحمد بن خضرويه قالوا : نعم ، قال : أين غرماؤه فخرجوا فقضى دينه فخرجت روحه فورا مات سنة أربع ومائتين ، وقيل : أربعين ومائتين وأسند الحديث عن محمد بن عبدة المروزى وغيره .

(٢١٩) أحمد بن أبى الحوارى[١]

بفتح الراء وكسرها ، قال فى البستان والكسر أشهر والفتح سمعته من شيخنا الحافظ أبى البقاء يحكيه عن أهل الإتقان ، وهو السيد الجليل المتخلق بكل خلق جميل الزاهد فى الأموال والسرارى النابذ للنساء والجوارى ، العابد فى القفار والبرارى ، كان لفضول الدنيا قليا وعن الملاذ ساليا ، وفى مكين الأحوال

(١) حلية الأولياء ١/٥ ـ ٣٣ ؛ وصفة الصفوة ٢١٢/٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢١ ، وطبقات الشعرانى ٩٦/١ ؛ والسلمى ص ٩٨ ـ ١٠٢؛ ومرآة الجنان ١٥٣/٢ ؛ والبداية والنهاية ٣٤١/١٠ ؛ وتهذيب التهذيب ٤٩/١ ؛ والشذرات ١١٠/٢ .

عاليا ، ولصحيح الآثار حاويا ، نعم وكان شريف الجلال منيف الخلال ؛ وارف الظلال صارف الملال طود حلم وبحر علم ، يتموج بفضائل ويتبرج ببراهين ودلائل ، بذهن يتوقد ، وقريحة تدور على قطب الصواب كالفرقد صحب الدارانى وابن عيينة وغيرهما ، قال القشيرى : هو ريحانة أهل الشـــام ، وقال يحيى بن معين أهل الشـــام به يمطرون ، وقال مرة أخرى : يسقيهم الله الغيث به ، وقال محمود بن خـالد : ما بقى على وجه الأرض مثله .

(ومن كراماته) أنه كان بينه وبين الدارانى عقد لايخالفه فجاءه وهو يتكلم بمجلسه وقال : يا سيدى التنور قد سجر فما تأمر ، وكرره فلم يجبه ، فكرره فقال له : اذهب فاقعد فيه كأنه ضاق به صدره وتغافل ساعة طويلة ثم قال اطلبوه من التنور فإنه عقد على إلا يخالفنى فنظروا فإذا هو داخله لم يحترق منه شعرة .

(ومن كلامه) من نظر إلى الدنيا نظر محبة أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، وقال : ما ابتلى عبد بشئ أشد من القسوة والغفلة ، وقال : من أحب أن يعرف بشئ من الخير ،يذكر به فقد أشرك فى عبادته ، وقال : من عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور ، وقال إن دخلت القبر ومعك الإسلام فابشر ، وقال إن الرجل لينقطع إلى ملوك الدنيا فيرى أثرهم عليه فكيف بمن ينقطع إلى الله ، وقال : من أيقن بما بعد الموت شد مئزر الحذر ، ولم يكن للدنيا عنده خطر ، وقال العذاب على العارفين أهون من العصيان ، وقال : الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عطف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته ويفارقها ومحبها لا يفارقها ، وقال : مررت براهب نحيف فقلت أنت عليل ؟ قال : نعم قلت : منذ كم ؟ قال : منذ عرفت نفسى ، قلت : فنداويك ، وقال : قد أعيانى الدواء وقد عزمت على الكى ، قلت وما الكى ؟ قال : مخالفة النفس ، وقال : رأيت فى النوم جارية وجهها كالبدر ، قلت : ما أنور وجهك ، قالت

ويسير الشك يخرج اليقين كله من القلب ، وقال : قلة الخوف من قلة الحزن فى القلب ، وإذا قل الحزن فى القلب خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب ، وقال : مامن عافية إلا وقد تقدمها عفو ، ولولا العفو لجاءت البلية ، وقال : من قل صبره على علاج عدوه ساعد عدوه على مجاهدته ، فهو أهل لأن يضحك منه الضاحكون ، وقال : كفى بالعبد عارا أن يدعى دعوى لا يحققها ، بفعله أو يجعل لغير ربه من قبله نصيبا أو يستوحش مع ذكره ، وقال : من كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وقال : إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون ، وكان من أكابر المحدثين روى عن معاوية الضرير والهيثم بن جميل ومخلد بن حسين وغيرهم وعنه محمود بن خلدون وأبو زرعة النضرى وجماعة .

(٢١٨) أحمد بن خضرويه البلخى[١]

ولى عارف ، سخى ببذل التالد والطارف ، على المقدار ، جلى الأنوار ، عجيب الشأن من كبار شيوخ خراسان أيس من الفضول فأونس بالوصول ، وقيل : إن التصوف تطهير من الأدناس وتشمير للإيناس لقى النخشبى والأصم وأبا يزيد وغيرهم وكان يجلب القلوب بوعظه الذى ينفث فى العقد ، وينبه بزواجره من أغفى ومن رقد ، ما رآه فقيه جاحد أو مكابر منتقد ، إلا اعترف ، ووقف على شاطئ التسليم ، وربما اغترف .

(ومن كلامه) : من أراد أن يكون مع الله فى جميع الأحوال فليزم الصدق فأن الله مع الصادقين ، وقال : القلوب جوالة فإما أن تجول حول العرش أو تجول حول الحش ، وقال : أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شئ

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٤٢ ؛ وصفة الصفوة ٤/١٣٧ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢١ ، وتاريخ بغداد ٤/١٣٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٩٥ ؛ والسلمى ص ١٠٣ ـ ١٠٦

تذكر ليلة بكيت فيها ؟ قلت نعم ، قالت حملت دموعك إلى فمسحت بها وجهى فصار كما ترى ، وقال : فى بعض الكتب الإلهية أن بدن آدم خلق من الأرض وروحه من ملكوت السماء فاذا أجاع بدنه وأعراه وأشقاه وأسهره وأقماه نازع الروح إلى الموضع الذى خرج منه ، وإذا أطعمه وسقاه ونعمه ونومه أخلده فى الموضع الذى خلق منه ، فلم يكن شئ أحب إليه من الدنيا ، وقال : شكوت للداراني قسوة قلبى ، فقال : بما كسبت يداك شهوة أصبتها ورمى بكتبه فى البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال ، وفى رواية أنه طلب العلم ثلاثين سنة ، فلما بلغ حمل كتبه إلى البحر فغرقها ، وقال : يا علم لم أفعل بك هذا هوانا بك ، ولا استخفافا بحقك ، لكن كنت أطلب لأهتدى بك إلى ربى والآن استغنيت عنك ، وقال : لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة ، وقال ثلاثة هن أخذة للمتعبد المرض والحج والتزويج فمن ثبت عندهن فقد ثبت ، وقال : علامة حب الله حب ذكره ، وقال إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، واذا حدثتك بتركها عند إقبالها فذاك ، وقال : إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ يقول الله مالك ولكلامى ، وقال : قلت لراهب : أى شئ أقوى ماتجدونه فى كتبكم ، قال : ما تجعل شيئا أقوى من أن تجعل قوتك كلها فى محبة الخالق ، وقال علامة الرضى أن لايختاره إلا مايختاره مولاك ، وقال : قلت للداراني : كنت لبعض الأولياء قبل اليوم أشد حبا فقال إنما يتقرب إليه أولياؤه أولا ، ثم تأتى بعد منزلة تشغل القلب ، وقال : ما تفرغ عبد لله ساعة الا نظر الله اليه بالرحمة ، وقال اذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه انما رجع من رجع من الطريق وقال القلب بمنزلة القمع يصب فيه الزيت أوالعسل فيخرج منه وتبقى فيه لطاخته ، وقال : قيل لموسى عليه السلام : إنما مثل كتاب أحمد فى الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبده ، وقال : كنت جالسا ببيت المقدس وإذا بشاب طلع علينا والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وهو يقول : اللهم أرحنى من هذه الدار

التى لا أرى فيها إلا الأكدار ، فقلت له : هذا كلام حكيم يا هذا من أين لك هذه الحكمة ؟ قال : من أخلص له الخدمة أورثه طرائق الحكمة ، وأيده بأسباب العصمة وما بى جنون وزلق ، بل قلق فى فرق فقلت غلط من سماك مجنونا فولى هاربا ، وقال : إذا صار ابن آدم فى قبره لم يبق شئ كان يخافه دون اللّه إلا مثل له فى قبره يفزعه لأنه خافه فى الدنيا دون اللّه ، وقال : كنت بالمدينة فأتيت مسجد ، محمد صلى اللّه عليه وسلم ، بلبل فاذا شاب يتهجد بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى على جنبه ، وقال : عند الصباح يحمد القوم السرى ، فقلت يا ابن أخى لك ولأصحابك لا للجمالين وقال : ابن آدم ليس لمابقى فى الدنيا من عمرك ثمن ، والتقيا يوما هو وأحمد بن حنبل بمكة فقال ابن حنبل حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك الدارانى ، فقال : يا أحمد قل سبحان اللّه بلا عجب فقال ابن حنبل : سبحان اللّه وطولها بلا عجب ، قال : سمعت أبا سليمان يقول : إذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علما فقام أحمد ثلاثا وقعد ثلاثا وقال : ماسمعت فى الإسلام حكاية أعجب إلى منها ، وقال قال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غيب لم يره وقال : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره . وقال : إذا عرض لك أمران لاتدرى فى أيهما الرشاد فانظر إلى أقربهما إلى هواك مخالفة فإن الحق فى مخالفة الهوى ، وقال : ما أخلص عبد قط إلا أن يكون فى حب لايعرف ومن أدخل فضولا من الطعام أخرج فصولا من الكلام ؛ وقال : لأن أترك من عشاى لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره ، وقال : إذا عرض لك أمران لاتدرى فى أيهما الرشاد فانظر إلى أقربهما إلى هواك مخالفة فان الحق فى مخالفة الهوى وقال : إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استيقظت قلوبهم فنطقت بالحكمة وورثوا السر . وقال : الزهد إعطاء المجهود وخلع الراحة وقطع الآمال ،

وقال : قال أويس القرنى لهرم بن حبان ، أوصنى ، فقال : عليك بالأسياق يعنى ساحل البحر قال : فمن أين المعاش ؟ قال : أف أف خالط الشك الموعظة تفر إلى الله بذنبك وتتهمه فى رزقك ، وقال : إن الله إذا أحب قوما أفادهم فى اليقظة والمنام لأنهم طلبوا رضاه فى اليقظة والمنام ؛ وقال : من أحب الدنيا وسر بها نزع خوف الآخرة من قلبه ، وقال : والله لولا ما جرى من السنة وسار فى الناس من تقدمه أبى بكر وعمر وعثمان ما قدمنا على على أحدا ، رواه عنه تمام وابن عساكر أسند ابن أبى الحوارى عن الأعلام والمشاهير مالا يعد كثرة ، قال الذهبى كابن عساكر : وهو آخر الثقاة ، ومات سنة ست ومائتين وقيل ست وأربعين ومائتين .[١]

(٢٢٠) أحمد بن أبى نصر الخزاعى[٢]

العالم العابد الزاهد الصائم الراكع الساجد ، ذو الجنان واللسان والثبات ، وإن اضطرب المهند والسنان والوثبات ، وإن ملأت نار الفتنة كل مكان ، كان شيخا جليلا قوالا بالحق آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر متصديا للإفتاء والإفادة ، راغبا فى تحصيل الحسنى وتكميل الزيادة ، امتحن بالقول بخلق القرآن على يد الواثق قيل له : ماتقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله وأصر فقال بعض الحاضرين : هو حلال الدم ، وقال ابن أبى داود : يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل يؤخر أمره ويستتاب ، فقال الواثق : ما أراه إلا كافرا ثم قام إليه بالسيف ، وقال : لايقوم معى أحد فإنى أحتسب خطاياى إلى هذا الكافر فضرب عنقه بيده فصارت الرأس بعد سقوطها تقول بلسان فصيح : الله الله ، لا إله إلا الله ، ثم نصب الرأس ببغداد أياما فصار لسانه يقرأ القرآن ، ومن

---

(١) جاء فى الشذرات ، المرجع السابق ، أنه توفى سنة ست وأربعين ومائتين .

(٢) تهذيب التهذيب ٨٧/١ ؛ وصفة الصفوة ٢٠٥/٢ ؛ وطبقات الحنابلة ٤٥ ، وابن الأثير ٧/٧ ؛ والطبرى ١٥/١١ ؛ وتاريخ بغداد ١٧٣/٥ ، والأعلام للزركلى ٢٦٤/١ ؛ والشذرات وفيات سنة إحدى وثلاثين ومائتين ٦٩/٢ ـ ٧٠ .

جملة ما سمع منه ﴿ آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقول آمنا وهم لايفتنون ﴾ مات سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة بضع عشرة ومائتين ورؤى فى النوم وعلى رأسه تاج فقيل له ما فعل اللّه بك ، قال : أدخلنى الجنة ، لكنى كنت مغموما ثلاثة أيام فمر بى المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فلما بلغ خشبتى حول وجهه عنى فقلت : يارسول اللّه ، قتلت على الحق أم على الباطل ؟ قال : على الحق ، لكن قتلك رجل من أهل بيتى فلما بلغت إليك استحييت منك ، ورآه آخر فقال : ما فعل اللّه بك ؟ فقال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت اللّه عز وجل ، فضحك إلى .

(٢٢١) أبو إبراهيم السائح

كان من أكابر الصالحين ، ووجوه العابدين ، سالكا طريق التصوف ، جاريا على منهاج التنسك والتقشف ،وقال عبد اللّه بن أحمد بن حنبل : كان فى دهليز أبى دكان فإذا جاءه إنسان يريد أن يخلو به أجلسه عليه والا كلمه قائما فجاءه رجل وقال : قل له إبراهيم السائح ، فخرج فجلس معه وقال لى : سلم عليه فإنه من خيار المسلمين وكبارهم ، ثم قال له : حدثنى يا إبراهيم ، قال : خرجت إلى محل كذا بقرب الدير الفلانى فأصابنى مرض منعنى من الحركة فقلت فى نفسى : لو كنت بقرب الدير لعل من فيه من الرهبان يداوينى فإذا أنا بسبع عظيم قصدنى حتى جاءنى فاحتملنى على ظهره حتى ألقانى على باب الدير فنظر الرهبان إلى حالى مع السبع فأسلموا وهم أربعمائة راهب . وقال بينما أنا أطوف وإذا بجارية متعلقة باستار الكعبة تقول بحبك لى إلا رددت على قلبى ، فقلت : من أنى لك أنه يحبك ؟ قالت : بالعناية القديمة فإنه جيش فى طلبى الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى فى الموحدين وعرفنى نفسه بعد جهلى أياه فهل هذا إلا بالعناية والمحبة ؟ قلت : فكيف حبك للّه قالت : أرق من الشراب وأحلى من الحلاب ، ثم ولت وتركتنى .

(٢٢٢) ابو تراب النخشبى[١]

بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر ، عربت فقيل لها نسف ، واسمه عسكر بن حصين ولم يشتهر الا بكنيته حتى كاد لايعرف إلا بها ، وكان شيخ عصره بالاتفاق . جامعا بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق ، متقشفا متوكلا ، متخشعا متبتلا قد أضاء فى سماء المعالى بدره ، واشتهر فى الآفاق حسنه وذكره وخدمه أكابر الصوفية وتطفلوا عليه لهمته السرية ، وخضع المريدون له ودانوا ، وتطامنوا لرفعته واستكانوا له الرياضيات المذكورة والسياحات المشهورة ، صحب حاتما الأصم والخواص والطبقة وكتب الحديث الكثير وتفقه على مذهب الشافعى وأخذ عنه أحمد بن حنبل وابن الجلاء وآخرون من الأجلاء ، قال ابن الجلاء : لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب ، ووقف خمساوخمسين وقفة بعرفة ومر به بعض الأمراء وهو يحلق رأسه فأعطاه ألف دينار فقال له : أعطها للمزين فردها المزين فردها أبو تراب ، وكان إذا وجد من أتباعه فترة جدد توبة ، وقال : بشؤمى وقعوا فيما وقعوا إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وقال : لقيت غلاما فى التيه يمشى بلا زاد فقلت فى نفسى إن لم يكن معه يقين هلك فقلت : ياغلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد !!! قال : يا شيخ ارفع رأسك ، هل ترى غير الله ، قلت : الآن اذهب حيث شئت .

(ومن فوائده العلية المقدار): إن الله تعالى ينطق العلماء فى كل وقت بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمن ، وقال : إذا تواترت على أحدكم النعم فلبيك

---

(١) حلية الأولياء ١٠ / ٤٥ ـ ٥١ ؛ وصفة الصفوة ١٤٥/٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢٢ ؛ وطبقات الشافعية ٢ / ٥٥ ـ ٥٦ ؛ وتاريخ بغداد ١٢ / ٣١٥ ـ ٣١٨ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٦/١ ؛ والسلمى ١٤٦ ـ ١٥١ ؛ والشذرات ١٠٨/٢ ـ ١٠٩

على نفسه فإنه قد سلك به غير منهج الصلحاء ، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ وقال : العارف الذى لايكدره شئ ويصفو به كل شئ ، وقال الناس يحبون ثلاثة وليست لهم ، النفس والروح وهما لله والمال وهو للورثة ، ويطلبون اثنتين ولا يجدونهما الفرح والراحة هما فى الجنة ، وقال لابد للأستاذ من أربعة أشياء تميز فعل الله من فعل الخلق ، ومعرفة مقامات العمال ، ومعرفة الطبائع والنفوس ، وتمييز الخلاف من الاختلاف ، وقال : لاأعلم شيئا أضر بالمريدين من أسفارهم على متابعة نفوسهم ، وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة ، ونظر إلى صوفى مد يده إلى قشور البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام فقال تمد يدك إلى هذا ؟ !! لايصلح لك التصوف ، الزم السوق ، وقال : عرض على طعام فامتنعت فبليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبة ، وقال : إذا ألفت القلوب الأعراض عن الله صحبتها الوقيعة فى الأولياء وقال : مثل الدنيا مثل ظلك إن طلبته تباعد وإن تركته يتتابع ، وقال : حقيقة الغنى أن تستغنى عن من هو مثلك ، وحقيقة الفقر أن تفتقر إلى من هو مثلك ، وإذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله ، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته قبل مباشرته ، وقال : الفقير قوته ما وجد . ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل ، وقال : من شغل مشغولا بالله أدركه المقت للوقت ، وقال : شرط التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربونية ، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر وقال صحبت مائة شيخ مانفعنى شيء مثل سد رأس الجراب يعنى القنع والتقلل من الدنيا ، وكان يكثر ذكر أبى يزيد البسطامى ويقول لتلميذ حظى عنده لو رأيته ، فقال : قد أكثرت من ذكر أبى يزيد البسطامى من يتجلى له الحق كل يوم مرات ما يصنع بأبى يزيد ؟ فقال : لو رأيته لرأيت مراى عظيما ، فلم يزل يشوقه حتى ارتحل إليه فقيل له : إنه فى الغيضة مع السباع ، وكان يأوى إليها فقعد على طريقه فعند ما وقع بصر الفتى عليه خر ميتا فعجب أبو تراب من ثبوته لتجلى الحق دون رؤية أبى يزيد

قال ابن المنير : واصطلاح أهل الطريق معروف فى التجلى ، وحاصله رتبة من المعرفة جلية وحالة بين اليقظة والنوم سوية ، والإيمان يزيد وينقص ولا تظنهم يعنون بالتجلى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى على خصوصيته «لن ترانى» والتى قيل فيها على العموم : « لاتدركه الأبصار» فإذا فهمت أن مرادهم الذى أثبتوه غير المعنى الذى حصل الناس منه على اليأس فى الدنيا ووعد به الخواص فى الآخرة ، فلا ضير عليك ولاطريق لسوء الظن إليك . والله يتولى السرائر ، قال السبكى : وكلامه أعنى ابن المنير فى تفسيرالتجلى يقرب من قول شيخه ابن عبد السلام فى قواعده التجلى والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان واعلم أن القوم لايقتصرون فى تفسير التجلى على العلم ولايعنون به ثم لايفصحون بما يعنون بل يلوحون تلويحا ولم يفصح القشيرى فى رسالته بتفسيره ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق وحاصل ما قاله متأخروهم أن التجلى ضربان « ضرب للعوام » وهو أن يكشف صورة كما جاء جبريل فى دحية وكما جاء فى حديث « رأيت ربى فى صورة شاب » قالوا: وهذا تجلى الصفة ويضربون له مثلا المرآة فأنت تنظر وجهك فيها وليست محلا لوجهك ، ولا وجهك حال فيها وإنما هناك مثال تعالى الله أن يكون له مثال ، وحديث « فى صورة شاب أمرد » موضوع ، « وضرب للخواص » وهو تجلى الذات نفسها ويذكرون هناك لتقريب الفهم الشمس فإنك ترى ضوء النهار فتحكم بوجودها وحضورها برؤية الضوء ، وهذا تقريب فنور البارى لو سطع لأحرق الوجود بأسره ، وقال : وقد سألت العارف الأردبيلى عن الذى يراه العارف فى الدنيا أهو الذى وعده الله فى الآخرة ؟ قال : نعم ، قلت فبم تتميز رؤية يوم القيامة ؟ قال : بالبصر والرؤية فى الدنيا إنما هى بالبصيرة لا بالبصر ، ثم ضرب مثل المرآة فقلت : هذا نوع من الحلول وهو كفر قال : لا فإن الحلول معناه أن الذات تحل فى ذات أخرى والمرآة لايحل فيها إلا صورة ؛ قلت : فالمشاهدة غير التجلى قال : المشاهدة دوام تجلى الذات والتجلى قد يكون معه مشاهدة وهو ما

إذا دام وقد لا ، انتهى وإذا تبرأ القوم من تفسير التجلى بما لا يجوز وصف الرب به فلا لوم عليهم ولا اعتراض .

(ومن كراماته) أنه لما حج قال له بعض أصحابه : أنا عطشان فضرب بيده الأرض وناوله قدحا من الزجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وأسقاهم ، وما زال القدح معهم لمكة ، (ومنها) أنه حج مرة أخرى فأصاب أصحابه جوع فعدل عن الطريق وأخرج لهم موزا وعنبا وقثاء وكان معه أبو محمد البناء ، فقال له كل ، قال : الذى أعتقده ترك المعلومات وصرت أنت معلومى فلا أصحبك ، فقال : كن مع ما وقع لك ، مات أبو تراب سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية قيل : نهشته السباع وقيل : بل وجد بها قائما ميتا لا يمسكه شئ ، فأراد بعض صحبه حمله ليواريه فما أمكنه ، وسمع هاتفا يقول : دع ولى الله مع الله بلا تكلف .

(٢٢٣) أبو جعفر المحولى[1]

كان عالما عارفا صوفيا مرتفعا عماده ، متصلة أسباب تربيته ثابتة أوتاده .

(ومن كلامه): حرام على قلب بحب الدنيا أن يسكنه الورع الخفى ، وحرام على كل نفس عليها ريائية الناس أن تذوق حلاوة الآخرة وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماما .

(ومن مناجاته): إليك أشكو بدنا غذى بنعمتك ثم توثب على معاصيك ، وقال : إذا جاع العبد صفا قلبه ورق بدنه وهطلت دمعته ، وأسرعت

(١) نسبة إلى باب محوّل فى بغداد .

إلى الطاعة جوارحه وعاش فى الدنيا كريما ، وذكر عنده الفالوذج ، فقال : إن قلباً يتفرغ لصنعة الفالوذج حتى يأكله قلب فارغ جدا ، ثم بكى .

(٢٢٤) أبو بكر الهلالى

من مشايخ الشام وأكابر القوم الكرام ،ذو عزمة فى التجرد أغصانها باسقة ، وهمة فى التعبد عقودها متناسقة .

(ومن كلامه) : من عنى بمجاهدة الأسرار اشتغل عن الحكايات والأخبار ، وقال : رقوا بهممهم إلى أعلى الفضائل وضيعوا الفرائض فلا إلى هممهم وصلوا ، ولا قاموا بقليل ما به وكلوا ، ومن قام بقليل ما وكل به ائتمن على الكثير ، ومن لم يقم بقليل ما وكل به لم يؤتمن علي كثير ولا قليل ، وأشار إلى شجرة فى منزله فقال : هذه الشجرة ، مانظرت اليها نظرة فرجع طرفى إلا بعقوبة وتوبيخ فى سرى يقال لى تكون بين أيدينا فتنظر إلى سوانا ؟! ، وتمنى على الله أن يريه الخضر ، فلما كان بعد مدة دق الباب فقال : من ؟ قال : الخضر الذى تمنيته قال : الذى طلبناه له قد وجدناه ، ارجع بسلام .

(٢٢٥) أبو يعقوب الهاشمى

من أكابر أصحاب ذى النون ، قال : كنت مع ذى النون فى يوم عيد فوجد الناس خارجين من صلاتهم قال : هؤلاء يفرحون ظانين أنهم قد أدوا أمانتهم أو قال : صومهم ، ومن أين لهم ذلك ؟ ! فحقهم البكاء ثم جلس فبكى هو وصحبه ، قال الهروى : هذا كلام كالجوهر، فإن اللائق بذلك اليوم هو الاستغفار من التقصير الواقع فى شهر الصوم ، وقال لى شارح الموصلى : قال : يارب أنت أمرتنا أن نغسل أعضاءنا الظاهرة فى الوضوء بالماء فنغسل قلبنا بماذا ؟ فقيل له غسل القلب بالهموم والأحزان قال أبو يعقوب : فلا يمكن غسل

القلب إلا بهذا الطريق .

(٢٢٦) أبو القاسم المنادى[1]

كان كبير الشأن على البرهان ، وهو من أجل مشايخ نيسابور ومن أكبرهم حالا وعلما ، صحب الكثير من ذوى الخوارق والفضائل بل وأقام على عرفانه من عرفه أوضح الدلائل ، وله أحوال ظاهرة وكرامات باهرة .

(منها) أنه مرض فعاده أبو الحسن البوشنجي والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحا فى الطريق نسيئة وحملاه فلما قعدا ، قال لهما : ما هذه الظلمة ؟!! فخرجا وتفكرا فيما فعلا فذكرا أنهما لم يفيا ثمن التفاح فوفياه وعاد إليه ، فنظر إليهما وقال : يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة ؟ أخبرانى عن شأنكما ، فذكرا له القصة فقال : نعم كان يعتمد كل منكما على صاحبه فى دفع الثمن والبائع يستحى منكما فى التقاضى وأنا السبب فرأيت ذلك فيكما .

(٢٢٧) أبو حمزة الخراسانى[2]

أصله من محلة ملقاباد ، ومن أقران أبى تراب والجنيد والخراز ، وكان ورعا زاهداً صوفى وقته ، آية فى حسن سيرته وسمته ، وكان بالأوامر متكفياً ، وعن الزواجر منتهياً، تاركا لتكلف الأثقال ، مغتبطا لتحصيل الواجب من الأفعال ، وكان ابن حنبل يجله ويعظمه .

(ومن كلامه) : من استشعر ذكر الموت أى اتخذه شعاره حبب إليه كل

---

(١) السلمى ص ٤٢٥ ؛ والنبهانى ١/٢٨٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٣٣ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١/١٨٥ ؛ وطبقات السلمى ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٢٠ .

باق ، ويغض إليه كل فان ، وقال : العارف يدافع عيشه يوما بيوم ويأخذ عيشه يوما ليوم ، وقال : علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة ، وسمع بعض إخوانه يلوم بعض أصحابه على إظهار وجده وغلبة الحال وإظهار سره في مجلس فيه بعض الأضداد فقال : أقصر يا أخي فالواحد الغالب يسقط التميز ويجعل الأماكن كلها مكانا واحدا والأعيان عينا واحدة فلا لوم على من غلبه الوجد فاضطر إلى إبدائه ، وسئل هل يتفرغ المحب لشئ سوى محبوبه : فقال : لا لأنه بلاء دائم وسرور منقطع وأوجاع متصلة لايعرفها إلا من باشرها ، وقال له رجل : أوصني ، قال : هيئ زادك للسفر الذي بين يديك وكان يقول : في بدايتي أقيم محرما في عبادة ألف فرسخ في كل سنة كلما حللت أحرمت ، أي كلما أتيت شهوة من الشهوات أتوب منها .

(ومن كراماته) أنه حج فسقط في الطريق في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث فقلت لا والله ، فماتم الخاطر حتى مر رجلان فقال أحدهما للآخر : نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها إنسان فطمس رأسيها ببادية وقصب فهممت أن أصيح قلت : الجأ إلى أقرب إلي منهما ، فسكت فجاء شئ فكشف البئر وأدلى رجله وهمهم فتعلقت بها وأخرجت فإذا هو سبع ، قالوا : وكان حسن الكلام فتكلم يوما فأحسن ، فهتف به هاتف : تكلمت فأحسنت بقي أن تسكت فتحسن ، فما تكلم بعدها حتى مات بعد نحو أسبوع سنة تسعين ومائتين .

(٢٢٨) أبو عبد الله الدبيلي [١]

كان من رءوس العباد وأكابر الزهاد ، وكان من أرباب الخطوة ويطير في

---

(١) لعله أبو عبد الله محمد بن وهبان البصري الهناني الدبيلي ، انظر أغا بزرك ، مصفى المقال ص ٤٢٦ ، وفيها أنه من أعيان القرن الرابع الهجري .

الهواء ، فكلمه بعض إخوانه أن يشترى لعياله دارا ففعل فقص جناحه فبعث إليه بعض إخوانه أن القنا فى موضع كذا على مسافة بعيدة فبعث إليه قد قص جناحى فادع لى ، فبعث إليه : صله من الموضع الذى أنقص ، فخرق الصك فرد اللّه عليه ما ذهب منه .

(٢٢٩) أبو الأسود المكى

كان من أكابر الصوفية دخل عليه إنسان فقال : السلام عليكم ، إنى أحبك فصعق ، ثم أغمى عليه ، فأقام ثلاثا ، ثم أفاق فلم ير أحدا .

(٢٣٠) أبو الأسود الدرعي

كان من مشايخ الصوفية ، أراد أن يسيح فى البادية فملأ مطهرته ماء ثم ساح فكان إذا أراد أن يتوضأ صب منها ماء ، وإن أراد الأكل أو الشرب صب منها لبنا .

(٢٣١) أبو هاشم الزاهد

كان إلى الحق وافدا ، وعن الخلق عائدا ، وفيما سوى الحق زاهدا .

(ومن كلامه) : إن اللّه وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها وليقبل المطيعون إليه بالإعراض عنها فأهل المعرفة باللّه فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون ، وقال : قلع الجبال بالإبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب وقال : لو أن الدنيا قصور وبساتين والآخرة كيمان ومزابل كانت الآخرة أهلا أن تؤثر عليها لبقاء تلك ونفاد هذه .

(٢٣٢) أبو شعيب البراثى[1]

العابد الزاهد ، كان ذا طريقة محمودة ، وسيرة بالشكر مقصودة ، صاحب أحوال وكرامات وخوارق ومكاشفات .

(ومن فوائده) : لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن اللّه على كل حال ، ومن وهب له الرضى فقد بلغ أفضل الدرجات ، ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال .

(ومن مناجاته): كرمك أطمعنا فى عفوك ، وجودك أطمعنا فى فضلك وذنوبنا تؤيسنا من ذلك وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها منك فتفضل أيها الكريم وجُدْ بعفوك يا رحيم .

(٣٢٣) إسماعيل بن يوسف الديلمى[2]

كان من أكابر العباد ورءوس الزهاد ، جامعا بين العلم والعمل ، مبلغا أهل الحديث والتصوف من فضله غاية الأمل ، جمع بين التصوف والفقه والحديث وأكثر السماع حتى كان يذكر بسبعين ألف حديث .

(له من الكرامات) ما قال : « اشتهيت حلوا وأبلغت شهوته إلى فخرجت من المسجد بالليل لأبول فإذا بجنبتى الطريق قرابين من الحلو فنوديت يا إسماعيل هذا الذى اشتهيته وإن تركته فهو خير لك ، فتركته » .

---

(١) نسبة إلى محلة براثا فى طرف بغداد فى قبلة الكرخ وجنوبي باب محول ، وكان أبو شعيب العابد أول من سكن براثا فى كوخ يتعبد فيه ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ١/٣٦٢ ـ ٣٦٤ .

(٢) هذه الترجمة ساقطة من ش ، و ش ١ .

(٢٣٤) إسرافيل المغربي[1]

كان من سادات الصوفية ، وله كلام كثير فى الزهد والتوكل ، سأله بعضهم عن ستمائة مسألة منها هل تعذب الأشرار قبل الزلل ؟ فقال : أمهلنى ثلاثة أيام فأتاه فى اليوم الرابع فقال له : يمكن العذاب قبل الزلل والثواب قبل العمل ، فصعق ثم مات .

(٢٣٥) أيوب الحمال

كان من العابدين المجاهدين المجتهدين ، تميز عن أعيان صوفية مصره ، وترجح على كثير من أكابر عصره ، ومن أقران بشر وسرى ، صحبه سهل بن عبد الله ، قال : عقدت على نفسى أن لا أمشى غافلا ولا أمشى إلا ذاكراً ، فمشيت مشية فأخذتنى عرجة فعلمت من أين أتت فبكيت واستعفيت واستغفرت ، فزالت العلة ، فرجعت إلى الموضع الذى غفلت فيه فرجعت إلى الذكر فمشيت سالما ، وحكى الجنيد قال : حججت مع أبى أيوب فلما طفنا فى البادية إذا عصفور يحوم علينا وحولنا ، فرفع أيوب إليه رأسه وقال : جئت إلى هنا ففت خبزا فى كفه فوقع العصفور عليه فأكل فقال له : اذهب الآن ثم رجع من الغد ففعل أيوب مثل ذلك ، ثم لم يزل يفعل به ذلك إلى آخر السفر ؛ واشترى أحمد بن حنبل دقيقا فوافى أيوب الجمال فحمله معه إلى بيته فوجد فيه خبزا فرآه أيوب فقال أحمد : ياصالح أعطه رغيفين فناوله رغيفين ، فردهما وذهب فقال أحمد لابنه : الحقه بهما ففعل فأخذهما فعجب صالح ، فقال : أحمد لاتعجب استشرفت نفسه للخبز حين رآه فرده ، فلما ذهب أيس فأعطيه فقبل .

---

(١) هذه الترجمة ساقطة من ش ، ش١ .

(٢٣٦) أم هارون الشامية

العابدة الزاهدة الصوفية ، كانت من الخائفات القانتات العابدات الورعات ، قد أنزلت الدنيا منزلتها ، ووجهت إلى الآخرة طلبتها ، وكانت تصوم النهار الدهر وتفطر على الخبز وحده وتقول : ما أطيبه ، وخرجت تريد موضعاً فصاح صبى بصبى : خذوه ، فسقطت مغمى عليها فوقعت على حجر فدميت ، قال الدارانى[١] ماأرى أن فى الشام مثلها ، وكانت لما تكشف وجهها يضئ كالقمر ، وكان يعرض لها الأسد فتمشى نحوه ، فإذا قربت منه نظرت إليه وقالت : تعالى ياكلب ،إن كان لك رزق فِيَّ فكلنى فإذا سمع كلامها أقعى ثم ولى راجعا ، وقيل[٢] لها : أتحبين الموت ؟ قالت : لا ، لأنك لو عصيت آدميا ماأحببت لقاءه فكيف لقاء اللّه وقد عصيته .

حرف الباء الموحدة

(٢٣٧) بشر بن الحارث[٣]

الحافى المكتفى بكفاية الكافى اكتفى فاشتفا ، وقد قيل : إن التصوف الا كتفاء والاشتفاء من الابتلاء ، كان كبير الشأن عظيم المقدار على المنزلة رفيع المنار ، لطيف الإشارة ، عذب الكلام ، طلق العبارة عديم النظير زهداً وورعا ، وصلاحا ، كثير الحديث ، لكنه كره الرواية آخرا قال الدارقطنى : وهو ثقة لايروى إلا حديثا صحيحا وأصله من رؤساء مرو ثم سكن بغداد وأخذ عن الفضيل ، وتلك الطبقة ، وكان أسفل قدمه أسود من التراب من كثرة المشى

(١) عبد الرحمن بن عطية بن سليمان الدارانى ، انظر ترجمته رقم ٢٥٩ .

(٢) القائل هو الدارانى كما جاء في ترجمته المشار إليها فى الحاشية ١ .

(٣) حلية الأولياء ٣٣٦/٨ ـ ٣٦٠ ؛ والرسالة القشيرية ص ١٤؛ ووفيات الأعيان ١١٢/١ ؛ وصفة الصفوة ١٨٣/٢ ـ ١٩٠ ؛ طبقات الشعرانى ٨٤/١ ـ ٨٦ ؛ وتاريخ بغداد ٦٧/٧ ـ ٨٠ ؛ ومرآة الجنان ٩٢/٢ ـ ٩٤ ؛ والبداية والنهاية ٢٩٧/١٠ ؛ والسلمى ص ٣٩ ـ ٤٧ ؛ والشذرات ٦٠/٢ .

حافيا وسبب حفائه أنه كان فى ابتدائه فى لهو ولعب فجلس مع رفقائه لذلك فدق رجل بابه فخرجت الجارية ، فقال صاحب هذه الدار : حر أم عبد ؟ قالت : حر قال : صدقت لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو ثم ولى ، فدخلت الجارية فأخبرته فخرج يعدو خلفه حافيا حتى أدركه ، وقال : أعد الكلام فأعاده فهام على وجهه حافيا حتى عرف بالحفاء فقيل له : لم لاتلبس نعلا ، فقال : ماصالحنى مولاى إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحالة ، وقيل : إنما سببه أنه انقطع أحد نعليه فطلب من اسكاف شسعا ، فقال ما أكثر كلفتكم على الناس ، فألقاه ، وحلف لايلبس نعلا أبدا ، وقال محمد بن الصلت : كان اسمه بين الناس كأنه اسم نبى ، وسببه أنه وجد ورقة فيها البسملة بالطريق فرفعها وطيبها بغالية ، فقيل له : طيبتها لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة .

قال الغزالى : وكان بشر من الورعين ، فقيل له : من أين تأكل ؟ فقال : من حيث تأكلون لكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك ، ويد أقصر من يد ولقمة أقصر من لقمة ، بكى حتى ذهبت أشفار عينيه ، وكان لايشرب من الأنهار التى حفرها الأمراء ، فيقول النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا فى نفسه ، وبلغ من رفيع قدره أن الخليفة المأمون تشفع بأحمد بن حنبل فى أن يأذن له فى زيارته ، فأبى ورأى شابا عليه مرقعة فقال له ثوب شهرة يكرمُك الناس لأجلها ، فقال :إنى لبستها لأعلم الناس أنى عبد اللّه فيكرمونى لأجله ، فقال له بشر : أحسنت ، مثلك من يصلح له لبس المرقعة ، وقيل له : لم لا تتزوج ؟ فقال : المرأة لاتصلح إلا للرجال وأنا لم أبلغ مبلغ الرجال ، فللقوم أوان يعرفون به أوان استحقاق التزويج ، قال الخواص : وأوانه أن يبلغ إلى حد لايشغله عن اللّه شاغل ، فمن لم يبلغ هذا الحد لاينبغى له التزوج . قال الشعرانى : ويتعين حمل هذا على من لم تتق نفسه إلى التزوج ولم يخف الفتنة بقرائن الأدلة الشرعية وإلا فيستحب له التزوج انتهى ، وقيل له : لم تؤنس بالقدس ؟ قال : لأنه يذهب بالهم ولاتستملى النفس بها ، وقال :

مابقى عندى من لذات الدنيا إلا استلقاء على جنبى ببيت المقدس .

(ومن كلامه) من أراد أن يلقن الحكمة فلايعصى الله ، وقال : إذا قصر العبد فى الطاعة سلبه الله من يؤنسه ، وقال : ماتقى الله من أحب الشهرة ، وقال : لاتعمل لتذكر ، وقال : إ ذا أعجبك الكلام فاصمت أو السكوت فتكلم ، وقال : إنما أنت متلذذ تسمع وتحكى ، إنما المرادمن العلم العمل ، تعلم واعمل واهرب ، وقال : من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه ، وقال : الزهد ملك لايسكن إلا قلبا مخلياً ، وقال : من عامل الله بالصدق استوحش من الناس ، وقال : لو تفكر الناس فى عظمة الله لما عصوه ، وقال : انظر خبزك من أين هو ، ولا تعرض لحمك للنار ، وقال : ماأعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح ، وقال : لايجد حلاوة الآخرة رجل أحب أن يعرفه الناس ، وقال : سلموا على أهل الدنيا بترك السلام عليهم ، وقال : من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله ببغضه فإنه مقت فى السماء والأرض ، وقال : أقلل من معرفة الناس فإنك لاتدرى مايكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ، وقال : العبادة من الفقير كعقد جوهر على جيد حسناء ومن الغنى كشجرة خضراء على مزبلة ، والفقير الزاهد المتعبد كعقد جوهر فى جيد الحسناء ، وقال : سكون النفس إلى المدح أضر عليها من المعاصى ، وقال : من حرم المعرفة لايجد للطاعة حلاوة ، وقال : النظر إلى من تكره حمى باطنة ، وقال : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث طلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسى فقط ، واتساعه فى النكاح وضيقى عنه ، وكونه نصب إماما للعامة ، وقال : ما أعلم أحد إلا مبتلى ، رجل بسط الله زرقه فلينظر كيف شكره ، ورجل قبض عليه رزقه فلينظر كيف صبره ، وقال : قال موسى يارب إنى جائع فأطعمنى ، قال : متى أشاء ، وقال : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، وقال : قل لمن يطلب الدنيا : تأهب للذل ، وقال : لايجد عبد حلاوة العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطا من

حديد ، وقال : لو سقطت قلنسوة من السماء لما سقطت إلا على رأس من لا يريدها ، وقال : يأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقاء على الأكياس ، وقال : النظر إلى البخيل يقسى القلب ، وقال : هب أنك ماتخاف أما تشتاق ؟ وقال ليس طلب الحديث من عدة الموت ، فقيل له : قد خرجت إلى أبى نعيم ، قال أتوب إلى الله من ذهابى ، وقال : قد شهرنى ربى فى الدنيا فليته لايفضحنى فى القيامة ، وقال : غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه ، ورآه رجل سكران فأقبل عليه يقبله وبشر لايدفعه من نفسه ، فلما ولى تغرغرت عيناه ، وقال : رجل أحب رجلا على خير توهمه فيه ولعل المحب نجا والمحبوب لايدرى ماحاله ، وقال تدعى الأمم يوم القيامة بانبيائها ويقال للمحبين ياأولياء الله فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا ، وقال ليس من المروءة أن تحب مايبغض حبيبك ، وقال إياك والأغترار بالستر والأتكال على حسن الذكر ، وقال الليل والنهار حثيثان يعملان فيك فاعمل فيهما ، وقال : ليس المتوكل من يتوكل على الله ليكفى ، ولو حلت هذه الصفة بقلوب المتوكلين لضجوا إلى الله بالتوبة منها ، بل المتوكل تحل بقلبه الكفاية من الله ويصدقه فيما ضمن ، وقال : أفضل أعمال البر الصبر على الفقر ، قال : حقيقة المحبة ترك مخالفة المحبوب بكل حال والتسليم إليه فى الحال والمآل ؟ وقال : المحبة ذل فى عز المحبوب ومشاهدة للحتف المجلوب مع امتناع المطلوب ، وقال : القرب من الأغيار بعد من الحبيب والأنس بهم وحشة منه ، وقال : عانق الفقر وتوسد الصبر ، وعاد الهوى وخالف الشهوات وضيق الدنيا عليك كحلقة خاتم فبهذا يطيب السير إلى الله ، وقيل له : لم لاتدخل الجامع تعظ الناس ؟ قال : إنما يدخل الجامع جامع ، وقيل له ألاتصلى فى الصف الأول ؟ فقال : إنما يريد قرب القلوب لا قرب الأجسام ، وقال : عقوبة العالم فى الدنيا أن يعمى بصر قلبه ، وقال : لقى حكيم حكيما فقال لاأراك الله عند ما نهاك عنه ولا فقدك حيث أمرك ، وقال : أشد الأعمال ثلاثة ، الجود فى القلة والورع فى الخلوة وكلمة الحق عند من يخاف ويرجى ، وقال : دخلت فرأيت

رجلا طويلا يصلي فراعنى لكون المفتاح معى ، فلما سلم قال : أنا الخضر قلت : علمنىماينفعنى ، قال : قل : أستغفر اللّه من كل عهد نقضته ومن كل نعمة استعنت بها على معصيته ، وقال : رأيت الخضر فقلت ادع لى ، قال : هون اللّه عليك طاعته ، وقلت زدني ، قال : وسترها عليك ، وقال : الفقراء ثلاثة : فقير لايسأل ، وإن أعطي لايأخذ فذاك من الروحانيين ، وفقير لايسأل وإن أعطى قبل فذاك من أوسط القوم ، وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فإذا طرقته الحاجة خرج لإخوانه وقلبه إلى اللّه بالسؤال ، فكفارة مسألته صدقه فى السؤال ، وقال علماء زماننا إنما هم متلذذون بالعلم يسمعونه ويحكونه فقط ، وقال : كل حرف من العلم يدل صاحبه على الهرب من الدنيا ، وقال : إنى لأجل اللّه أن أذكره عند من لايجله ، وقال :أمس قد مات واليوم فى النزع وغدا لم يولد ، فبادروا بالعمل الصالح وقتكم ، وقال إذا كتبت لأخيك كتابا فلا تزخرفه بحسن الألفاظ فإنى كتبت كتابا فعرض لى كلامى إن كتبته حسن الكلام وكان كذبا وإن تركته سمج وكان صدقا ، فذكرت السمج الصدق ، فنادانى مناد ﴿ ويثبت اللّه الذين آمنوا ﴾[1] وقال : من طلب أن يكون عزيزاً فى الدنيا سليما فى الآخرة ، فلايحدث ولايشهد ولايؤم ولايأكل لأحد طعاما ، وطلب منه الناس التحديث وألحوا ، فأبى ، فقالوا : ماتقول لربك إذا قال : لم لاتحدث عبادى بحديث نبى ؟ قال : أقول أمرتنى بمخالفة نفسى ونفسى كانت تحب التحديث والرياسة فخالفتها وكان من الذين إذا رأوا ذكر اللّه ، فصلى يوما فاطال وأحسن ورجل يصلى خلفه ففطن به بشر ، فقال لايعجبنك مارأيت منى فابليس عبد اللّه مع الملائكة دهرا ثم صار إلى ماصار إليه ، وقال : لاتؤثروا على حذف العلائق شيئا فإنى لو اجبت نفسى بكل ما تشتهى ، خفت أن أكون مكاسا أوشرطيا ، وقال : من لم يحتج إلى النساء فليتق اللّه ولا يألف أفخاذهن ، ولو جمع رجل بين أربع نسوة يحتاجهن لم يسرف ، وقال : صحبة الأشرار تورث سوء الظن به بالأخيار وصحبة

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

الأخيار تورث حسن الظن بالأشرار ، وإن اللّه لايسأل العبد يوم القيامة لم حسنت ظنك بعبادى ، وقال : لايفلح مريد يقول بأى شىء آكل خبزى ، وقال أدركنا العلماء وفيهم ثلاث خصال صدق الحديث والزهد وأكل الحلال ، ولانرى فيهم اليوم واحدة منها فلذلك لايعبأ بهم ، وقال : من يأكل الدنيا بالعلم كمن يغسل يده من الزهومة بماء تنظيف السمك القديد ، وقال : إذا قصر العبد فى العمل فيما بينه وبين اللّه سلبه من كان يؤنسه من أخ أو علم أومال ، وقال : التصوف اسم لثلاث معان : أن لا يطفئ نور عرفانه نور ورعه ، وأن لايتكلم بباطن ينقصه ظاهر من كتاب أو سنة ، وأن لاتحمله الكرامة على هتك الأستار ، وكان إذا رأى أحدا يضحك يقول : احذرأن يأخذك اللّه على هذه الحالة ، ودخل عليه رجل فى يوم شديد البرد جدا فوجده عريانا يرعد فلامه ، فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه وليس لى ما أواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد ، وتعلق رجل بامرأة وبيده سكين لايدنو منه أحد إلا عقره ، وهى تصبيح فى يده ، فمر به بشر فحك كتفه فسقط الرجل وخلصت المرأة فسألوه ماحالك ؟ فقال : ما أدرى لكن حاكنى شيخ وقال : اللّه ناظر إليك فوقعت من هيبته ، وحم الرجل من وقته فمات اليوم السابع ، وكان يقول فى مرضه إلهى رفعتنى فوق قدرى وشهرتنى بين الناس بالصلاح ولست صالحا ، فأسألك بوجهك الكريم أن لاتفضحنى يوم الحساب ، وفى الإحياء عن بعضهم ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها غير بشر ، أتاه رجل فى مرض فشكى إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه فاستعار ثوبا فمات فيه . وفى الفتوحات[1] عن بعض الصالحين أنه لقى الخضر ، فقال له : ماتقول فى الشافعى ؟ قال : من الأوتاد ، قال : فأحمد بن حنبل ، قال : صديق ، قال : فبشر الحافى ، قال : ما ترك بعده مثله . مات سنة سبع وعشرين ومائتين ببغداد وأخرجت جنازته عقب الصبح فلم يصل إلى المقبرة إلا فى الليل ، فصار التمار وابن المدينى يصيحان فى الجنازة هذا واللّه شرف الدنيا قبل شرف

(١) الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى .

الآخرة ، وقيل له : مافعل بك ؟ قال غفر لى ولكل من شيع جنازتى أوأحبنى إلى يوم القيامة ، ورآه آخر فقال له : ما فعل بك ؟ فقال : غفر لى ، وقال يابشر ماعبدتنى على قدرما نوهت باسمك ، ورآه آخر فسأله ، فقال : غفر لى وجعل يذكر مابه من الكرامة ، فقال له قال لك شيئا ؟ قال : نعم ، قال : يابشر ما استحييت منى تخاف ذلك الخوف على نفس هى لى ؛ ورآه آخر ماشيا فقال له : من أين ؟ قال من عليين ، قال مافعل أحمد بن حنبل ، قال تركته الساعة يأكل ويشرب ويتنعم بين يدى الله ، قال : فأنت ، قال : علم الله قلة رغبتى فى الطعام فأبا حنى النظر إليه ، ورآه آخر فقال مافعل بك ؟ قال غفر لى وقال يابشر لو سجدت لى على الجمر ما كافأت ما جعلت لك فى قلوب عبادى ، وجاءت أخته إلى ابن حنبل فقالت إنا نغزل على سطوحنا فتمر المشاعل فيقع الشعاع علينا ، فهل لنا أن نغزل فى شعاعها ؟ فقال : من أنت ؟ قالت : أنا أخت بشر فبكى حتى أبكى من حوله ، وقال : من بيتكم خرج الورع ، لا تغزلى فى شعاعها .

(٢٣٨) بقي بن مخلد[١]

ابن مزيد أبو عبد الرحمن الأندلسى ، كان عابدا زاهدا مفسرا محدثا فقيها صوفيا ، مُجاب الدعوة ، صنف المسند روى فيه نحو ألف وثلثمائة شيخ ، قال ابن عساكر: وتفسيرة أقطع قطعاً لا أستفتى أنه لم يؤلف فى الإسلام مثله ، لاتفسير ابن جرير ولاغيره ، وقال ابن عبد البر : كان دينا عابدا فاضلا تقياً قواما صواما مجاهدا منقطع القرين فى مصره ، منفردا عن النظير فى عصره ، رحل فى طلب العلوم وأخذ عن أهل الحرمين ومصر والروم وعسقلان والقدس والرملة

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ٧/٧٥ ـ ٨٥ ؛ والذهبى ، تذكرة الحفاظ ٢/١٨٤ ـ ١٨٥ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ١١/٥٦ ؛ والمقرى ، نفح الطيب ٩/٢٨٥ ـ ٢٩٣ ؛ والحميدى ، وجذوة المقتبس ١٦٧ ـ ١٦٨ ؛ وأبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ٣/٧٥ ؛ ومختصر دول الإسلام ، ١/١٣١ ؛ واليافعى مرآة الجنان ، ٢/١٩٠ ؛ والسيوطى ، طبقات المفسرين ٩ ـ ١٠ ؛ والشذرات ٢/١٦٩ ، وكحالة معجم المؤلفين ٣/٥٣ ـ ٥٤ .

ودمشق وحلب والرقة وحران والجزيرة وحلوان والبصرة والكوفة وواسط وبغداد وخراسان وعدن والإسكندرية والقيروان ، ثم حسده أهل الأندلس وثاروا واتهموه بالزندقة وشهدوا عليه وأرادوا قتله فلم يساعدهم سلطانها على ذلك .

(وله كرامات) منها أن امرأة جاءته فقالت له :إن ابنى فى أسر ولاحيلة لى ، فلو أشرت إلى من يفديه فإنى والهة ، فقال نعم ، انصرفى حتى أنظر فى أمره ، ثم أطرق وحرك شفتيه فبعد مدة جاءت المرأة بابنها ، فقال : كنت فى يد بعض ملوك الروم فى الأسارى فبينما أنا فى العمل انفك قيدى وسقط وذكر اليوم والساعة فوافق وقت دعاء الشيخ ، قال : فصاح على المرسم بنا ثم نظر وتحير وأحضر الحداد وقيدونى ، فلما فرغ ومشيت سقطت القيود ، فأعادوا فسقطت ، فبهتوا ودهشوا ودعوا رهبانهم ، فقالوا : دعوة أجيبت فلم يمكنكم من تقييده أبدا ، فزودوه وأطلقوه . مات سنة ست وسبعين ومائتين .

(٢٣٩) بهلول المجنون[١]

كان عظيم الشأن مر به السرى السقطى ، وقد دلى رجليه فى قبر وهو يلعب بالتراب ، فقال : أنت هنا ، قال : نعم ، أنا عند قوم لايزدرونى وإن غبت عنهم لايغتابونى ، قلت له : يحرم ، فولى ، وأنشأ يقول :

تجوَّعْ فإنَّ الجوعَ من عَلَّمَ التُّقَى ... وإن طويلَ الجوعِ يوماً سيْشبعُ

فقلت له : إن الخبز قد غلا ، فقال : ماأبالى ولو بلغت حبة بمثقال[٢] علينا أن تعبده كماأمر وعليه أن يرزقنا كما وعد ، ثم ولى وهو يقول :

أفٍّ للدنيا فليست لى بدار ... إنما الراحة فى دار القرار

---

(١) بلهول بن عمرو ، أبو وهيب الصيرفى المجنون ، من أهل الكوفة ، قال ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات ٢٢٩/١ : إنه توفى فى حدود التسعين والمائة ، وانظر ترجمته فى الوافى للصفدى .

(٢) جاءت « بدينار » فى الفوات ، المرجع السابق ، حيث وردت هذه الرواية منسوبة إلى محمد بن أبى إسماعيل بن أبى فديك .

حرف الجيم

(٢٤٠) جبلة بن محمود[١]

ابن عبد الرحمن الصدفى أبو يوسف الأفريقى

سمع من سحنون وغيره ثم غلب عليه التنسك والزهد ، قال أبو العرب : صالح ثقة زاهد سيد أهل زمانه وأزهدهم ، وقال سحنون : سيكون له نبأ ! ومامدح الدنيا ولاذمها ، وقال القطان : لو فاخرنا بنو إسرائيل بعبادهم لفاخرناهم به ، وقال : اشتهيت يوما تينا وكان فى غير زمنه فأخرج لى من قلة خمسة ؛ وكان لايبصر شيئا من دنياه ولايشتغل بأخبارها ، مات سنة تسع وتسعين ومائتين .

(٢٤١) الجنيد أبو القاسم بن محمد[٢]

المزين بفنون العلم ، المتوشح بجلاليب التقوى والحلم ، المنور بخالص الإيقان ، المؤيد بثابت الإيمان ، العالم بمودع الكتاب العامل بمحكم الخطاب ، الموفق فيه للبيان والصواب ، كان كلامه بالنص مربوطا ، وبيانه بالأدلة مبسوطا ، وهو نهاوندى الأصل ، بغدادى المنشأ ، القواريرى الزجاج نسبة لحرفة أبيه ، سيد الطائفة ، ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ طريق التصوف ، بهلوان[٣] العارفين مرجع أهل السلوك فى زمنه فمن بعده ، رزق من القبول وصواب القول مالم يقع لغيره ؛ بحيث كان إذا مر بشارع بغداد ، وقف الناس له صفوفا كالملوك ولم ير فى عصره من اجتمع له علم ومال غيره ، وكنت إذا رأيت علمه رجحته

(١) وجاء اسمه « جبلة بن محمد الصدفى » فى السلمى ، الطبقات ص ١٦ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ـ ٢٨٧ ، وصفة الصفوة ٢/٢٣٥ ـ ٢٤٠ ؛ والرسالة القشيرية ص ٢٤ ؛ ومرآة الجنان ٢/٢٣١ ـ ٢٣٦ ، ووفيات الأعيان ١/١٤٦ ؛ وطبقات الشافعية ٢/٢٨ ـ ٣٧ ؛ وتاريخ بغداد ٧ / ٢٤١ ـ ٢٤٩ ؛ والبداية والنهاية ١١/١١٣ ؛ والسلمى ص ١٥٥ ـ ١٦٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٩٨ ـ ١٠١ ؛ والشذرات ٢/٢٢٨ .

(٣) كلمة فارسية معناها الشجاع الجرىء .

على حاله وعكسه ، وناهيك بجعلهم من العقائد الدينية والأصول الإسلامية أن نعتقد أن طريقه وصحبه طريق مقوم ، وقال ابن عربى فى الفتوحات : هو سيد هذه الطائفة ، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية ، تفقه على أبى ثور وكان يفتى بحضرته وهو ابن عشرين سنة ولم تزل أعناق الفريقين له خاضعين ، وعلى تبجيله مجتمعين فى كل عصر وحين ، وقد نقل شيخ الشافعية فى الروضة عنه قبيل الصيام أن أخذ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة .أخذ التصوف عن خاله السرى وحارث المحاسبى قال : قال لى شيخى السرى: إذا قمت من عندى فمن تجالس ؟ قلت المحاسبى ، قال : نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ، ثم لما وليت سمعته يقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولاجعلك صوفيا صاحب حديث ، قال الغزالى أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف ومن تصوف أفلح قبل العلم خاطر بنفسه انتهى ، وكان يقول : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، قال ابن عربى يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان ، وصحب الجنيد من هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثين رجلا وانتهت إليه الرياسة ، وكان صائم الدهر لايفطر إلا إذا دخل عليه إخوانه فيفطر فيأكل معهم وهو ساكت ويقول : ليست المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم ، وأقام عشرين سنة لايأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ووروده كل يوم ثلثمائة ركعة وكانت الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه ، والمتكلمون لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه ، ودخل عليه إبليس فى صورة نقيب وقال أريد أن أخدمك بلا أجرة ، فقال له : افعل ، فأقام يخدمه عشر سنين فلم يجد قلبه غافلا عن ربّه لحظة واحدة فطلب الانصراف ، وقال له : أنا إبليس ، فقال : عرفتك من أول ما دخلت وإنما استخدمتك عقوبة لك فإنه لا ثواب لأعمالك فى الآخرة ، فقال مارأيت قوتك يا جنيد ، فقال له : اذهب ياملعون ، أتريد أن تدخل على الإعجاب بنفسى ، ثم خرج خاسئا ، وكان إذا طلب أحد منه الطريق يقول : اذهب

فاخدم الملوك ثم تعال فإن بداية طريقنا نهاية مقام بعض الملوك .

(ومن فوائده وحكمه) لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

وقال : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من أتبعه .

وقال : العارف من نطق عن سرك وأنت ساكت .

وقال : ماأخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوف ، وسئل ما الفرق بين المريد والمراد ؟ فقال المريد تولته سياسة العلم والمراد تولته رعاية الحق فإن المريد يسير والمراد يطير وأين السائر من الطائر .

وقال : الاخلاص سر بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيهلكه ، وقال : الصادق ينقلب فى اليوم أربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة .

وقال : الإستئناس بالناس حجاب عن الله والطمع فيهم فقر الدارين ، وقال : لا يسمى عبد عاقلا حتى لا يظهر على جوارحه شئ ذمه ربه .

وقال : بنى الطريق على أربع لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ولا تسكت إلا عن خشية .

وقال : صفاء القلوب على صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب ، وقال : كلام الأنبياء عن حضور والصديقين عن المشاهدة .

وقال : من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه ، فإن تنبه وانقطع إليه وحده كشف عنه المحن ، وإن داوم السكون إلى الخلق نزعت من قلوبهم الرحمة عليه وألبس لباس الطمع فيهم فتصير حياته عجزا وموته كمدا وآخرته أسفا نعوذ بالله من الركون لغيره ، وسئل

عن العارف فقال ، لون الماء لون إنائه أى هو بحكم وقته .

وقال : مكابدة العزلة أشد من مداواة الخلطة .

وقال : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة فى نفسك فلا تفتك أن تصدق بها فى غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطل ، وقال يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة ، وقال كنت بين يدى السرى ألعب وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون فى الشكر قال ياغلام ماالشكر ؟ قلت : أن لا يعصى الله بنعمة فقال : ما أحسن هذا أخشى أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكى على هذه الكلمة ، وسئل ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون بخلاف ما إذا سمعوا الرباعيات ؟ فقال : لأن القرآن كله أحكام ومواعظ كلفوا بالعمل بها ومن كلف بشئ لايطرب به ولا كذلك الرباعيات فإنها كلام جنسهم ومما عملته أيديهم بخلاف القرآن فإنه حق صدر عن حق فلا مجانسة بينها وبينه ، وقال ماأخرج الله علما إلى الأرض وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لى فيه حظا ونصيبا .

وقال : القرآن كلام الله وهو صعب الإدراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين ؛ وقال لأبى بكر الشبلى : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد ثانيا فإنه لا يجئ منك شىء فى الطريق .

وقال : لو رأيتم الرجل قد تربع فى الهواء ومشى على الماء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروه عند الأمر والنهى ، فإن كان عاملا بالأمر مجتنبا لما نهى عنه فاعتقدوه .

وقال : من ادعى أن له حالا مع الله أسقط عنه التكليف وهو حاضر العقل فهوكاذب ، ومن يسرق ويزنى أحسن حالا ممن يقول ذلك .

وقال : ما بلغ أحد درجة الحقيقة إلا وجب عليه التقيد بحقوق العبودية وحقيقتها وصار مطالبا بآداب كثيرة لم يطالب الله بها غيره .

وقال : الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود .

وقال : لو كنت ذا سلطان لضربت عنق كل من يقول ماثم إلا الله لأنه يلزم من ظاهر مقالته هذه نفى الخلق ونفى جميع الشرائع المتعلقة بهم .

وقال : أقل مافى الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب ، والقلب إذا عرى من الهيبة عرى من الإيمان .

وقال : ما دام الشاكر يطلب من الله المزيد بشكره فهو غريق فى حظ نفسه ، إنما الشكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل أن تناله الرحمة لشهوده كثرة معاصيه .

وقال : إذا صدق المريد أغناه الله عن حفظ النقول بنور يجعله فى قلبه يفرق به بين الحق والباطل .

وقال : الطريق مسدود إلا على المتبعين آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقال : طريق التصوف عنوة لاصلح فيها .

وقال : التوحيد الخالص أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون .

وقال : التوحيد الذى انفرد به الصوفية انفراد القدم من الحدث ، والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله ، وترك الاعتماد على كل ماعلم وجهل وأن يكون الحق مكان الكل لا يعول إلا عليه .

وقال : قد طوى علم التوحيد منذ زمان وإنما الناس يتكلمون فى حواشيه .

وقال : سبب اضطراب القلب والجوارح عند السماع أنه تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول بقوله ﴿ ألست بربكم ﴾[١] استفرغت عذوبة سماع كلامه

---

(١) سورة الأعراف : الأية ١٧٢ .

الأرواح فإذا سمعوا نغما طيبا حركهم لذكره وقال : تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن عند السماع والطعام ومجاراة العلم .

وقيل له : ممن استفدت هذا العلم الذى لم يسمع من مشايخك ؟ قال : من قعودى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة .

وقال : لايصفو قلب لعمل الآخرة إلا إن تجرد عن حب الدنيا .

وقال : حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك .

وقال : المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عن صفاء القلب من الدنس وخلوصه من الأضداد والأغيار فى مراقبة الجبار ، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وبرد اليقين .

وقال : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك .

وقال : لولا أنه روى « أنه يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم » ، وقال : إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسئ بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلا لهم ، فقال ابن عطاء متى تبدو ؟ فقال هى بادية ، قال تعالى : « سبقت رحمتى غضبى »[1] وقال : لوكان العلم الذى أتكلم به من عندى لفنى ، لكن من حق بدأ وإلى الحق يعود .

وقال : من الأعمال مالا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وماطويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله واعتقاد الخوف وإجلال أوامره ونواهيه .

وقال : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب .

---

(١) من حديث قدسى هو « إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتى غضبى ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فله الجنة » رواه الديلمى عن ابن عباس .

وقال : التواضع خفض الجناح ولين الجانب .

وقال : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع اللّه فى ميدان فكر التوحيد .

وقال : احفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والحسرة على الغفلة من فوتها واقعة ، وصلوا أورادكم تجدوا نفعها فى دار الإقامة ، ولا يشغلكم عن اللّه قليل الدنيا ، فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة .

وقال : حكايات الصالحين جند من جنود اللّه تقوم بها أحوال المريدين وتحيا معالم أسرار العارفين ، وحجة ذلك من الكتاب « وكلا نقص عليك »(١) الآية ، وقال : من فارق الجماعة بجسمه وقع فى الضلال ، ومن خالص الناس بسره افتتن بهم ، ومن افتتن حجب عن الحق بالطمع فى الخلق ، وقال : أول مقام التوحيد قول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : أن تعبد اللّه كأنك تراه(٢) .

وقال : مؤاكلة الإخوان رضاع فانظروا من تواكلون ، وقال : لا يصلح السؤال إلا لمن العطاء عنده أحب إليه من الأخذ .

وقال : الشفقة على الناس أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحملهم مالا يطيقون ولاتخاطبهم بما لا يعلمون .

وقال : قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منها وقد بقى عليه من التى نقل عنها بقية فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها ، وكان إذا سأل سائل عن مسألة يجيبه ، ثم يسأله آخر عنها فيجيبه بجواب آخر ويقول على قدر السائل يكون الجواب .

وقال : من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة .

---

(١) سورة هود : الأية ١٢٠ .

(٢) من حديث « الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان عن عمر رضى اللّه عنه .

وقال : إذا أراد اللّه عبدا للمحبة كشف له عن قدم إنعامه عليه وبره وكثرة الأيادى القديمة عنده .

وقال : تنتهى عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم ، وقال : على العاقل أن لا يفقد نفسه من ثلاثة مواطن ، موطن يعرف فيه حاله أفى زيادة أم نقص ، وموطن يستحضر فيه عقله لرؤية مجارى التدبير عليه ، وكيف تغلب عليه الأحكام ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها مالزمها .

وقال : إن اللّه كشف لعباده معايبهم فى ذكر الطين لهم ، وعرفهم مقاديرهم بذكر النطفة ، وأشهدهم على عجزهم فى تقلبهم ليعرفوا فاقتهم إليه فى كل حال .

وقال لابن شريح : طريقنا أقرب إلى الحق من طريقكم فطالبه بالبرهان ، فقال الجنيد لرجل : ارم حجرا فى حلقة الفقراء فصاحوا كلهم « اللّه » ثم قال ألقه فى حلقة الفقهاء فألقاه ، فقالوا : حرام عليك أزعجتنا فقبل رأسه واعتذر .

وقال : لا يرتقى فى الدرجات من لم يحكم بينه وبين اللّه أول البداية وهى الفروض الواجبة ثم الأوراد الزاكية ومطايا الفضل وعزائم الأمر فمن أحكمها من اللّه عليه بما بعدها .

وقال : التصوف تجنب كل خلق دنى ، واستعمال كل خلق سنى وأن تعمل للّه من غير رؤية العمل .

وقال : من سكن أو شكى إلى غير اللّه ابتلاه اللّه بحجب سره عنه .

وقال : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفة .

وقال : من عرف اللّه أطاعه ومن عرف نفسه ساء بها ظنه ، وخاف على حسناته أن لاتقبل .

وزاره الحريرى فوجده يصلى فأطال ، فلامه ، فقال : طريق عرفنا بها

ربنا لانقتصر على بعضها فالنفس ماحملتها تتحمل ، والصلاة صلة والسجود قربه ومن ترك طريق القرب أوشك أن يسلك طريق البعد .

وقال : لا تيأس من نفسك مادمت تخاف من ذنبك وتندم عليه .

وقال : الورع فى الكلام أشد منه فى الكسب . وقال : العلم يوجب لك استعماله ، فإن لم تستعمله فى مراتبه كان عليك لالك .

وقال : المرء لايعاب بما فى بطنه ، وسئل العناية قبل أم البداية ؟ فقال : العناية قبل الطين والماء .

وقال : أعلى درجة الكبر وأشدها أن ترى نفسك ، وأدناه فى الشر أن تخطر نفسك ببالك .

وقال : إن اللّه يعطى القلوب من بره بحسب ماأخلصت له فى ذكره .

وقال : رأيت فى النوم كأنى أتكلم على النـاس ، فجاء ملك ، فقال : ما أقرب مايتقرب به المتقربون إلى اللّه ؟ قلت : عمل خفى بميزان وفى ، فولى وهو يقول كلام موفق .

وقال : لقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا ، وقيل له : متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ قال : إذا تحقق أنه عبد مخلوق .

وقال : الغفلة عن اللّه أشد من دخول النار .

وقال : بلغنى أن يونس عليه السلام بكى حتى عمى ، وقام حتى انحنى ، وصلى حتى أقعد ، ثم قال : وعزتك لو كان بينى وبينك بحر من نار لخضته شوقا إليك .

وقال : لاتقوم بما عليك حتى تترك جميع مالك ، وليس شىء أغر من الدنيا ، وقال : اليقين استقرار العلم الذى لايحول ولايتغير فى القلب .

وقال : إذا صدقت الله فاصدقه فى سرك ، فإنه تعالى جعل لإبليس على كل شيء طريقا إلا صدق الأسرار .

وقال : ما رأيت من عظم الدنيا فقرت عينه بها وما حقرها أحد إلا أتته وهى راغمة .

وقال : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ، وقال الغزالى : ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أولا ثم يضعها ، والموحد لايثبت نفسه ولايراها شيئا حتى يضعها ويرفعها .

وقال : أتيت مسجد الشونيزية[١] فوجدت جمعا من الفقراء يتكلمون فى الآيات ، فقال فقير : أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهبا كانت كذلك فصارت ، وقال : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت ، فالزوجة على التحقيق قوت ، وسبب لطهارة القلوب .

وقال : حسنات الأبرار سيئات المقربين ثم أنشد :

طوارقُ أنــوارٍ تلوح إذا بَدتْ　　　فتظهرُ كتمانا وتخبرُ عن جمْعِ

وسئل عن العشق فقال : لاأدرى ماهو لكن رأيت رجلا أعمى عشق صبيا ، وكان الصبى لاينقاد له ، فقال الأعمى : ياحبيبى إيش تريد منى ، فقال روحك ففارق روحه حالا ، ومر ببعض دروب بغداد فسمع قائلا يقول :

منــازلَ كنتَ تهواهــا وتنزلهَا　　　أيامَ كنتَ على الأيامِ منصورا

فبكى وقال : ماأطيب منازل الألفة والسرور وأوحش مقامات المخالفة ؛ لاأزال أحن إلى بدايتى وحدة سعيى وركوبى الأهوال طمعا فى الوصول ، وأنا فى أيام فترة أتأسف على أوقاتى الماضية ، وسئل على ماذا يتأسف المحب من أوقاته ؟.

---

(١) والشونيزية مقبرة ببغداد بالجانب الغربى، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين منهم صاحب الترجمة ، ورويم ، وسمنون المحب ، وهناك خانقاة الصوفية ، ياقوت ٣٧٤/٣ .

قال : على زمان بسط أورث قبضا أو زمان أنس أورث وحشة .

وقال : من لم يصل علمه باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل ، وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمجاهدة فهو من الهالكين .

وقال : اليقين أن لا تهتم لرزقك الذى كفيته وتقبل على عملك الذى كلفته ، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوقا حثيثا .

وقال : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجر الخلق فى جنب الحق شديد ، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد .

وقال : الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس والرضى رفع الأختيار .

وقال : الفتوة كف الأذى وبذل الندا .

وقال : الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب .

وقال : وقد سأله جمع : أنطلب الرزق : إن علمتم أى محل هو فاطلبوه ، قالوا : فنسأل الله فيه ؟ قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه . قالوا : فندخل البيت ونتوكل ؟ قال التجربة شك ، قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة !

وقال : اليقين ارتفاع الريب فى مشاهدة الغيب ، ولما جلس يتكلم على الناس بأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم كان أول مجلسه أن وقف عليه غلام نصرانى متنكرا فقال مامعنى قول النبى : « اتقوا فراسة المؤمن »[1] قال : معناه أنك تسلم فقد حان وقت إسلامك ، فأسلم ، وكان يقول فى مجلسه : لولا أنه عليه السلام قال « يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم » ماتكلمت عليكم .

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير عن ابى سعيد الخدرى .

وسئل عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهم فقيل له : أعد الجواب فإنا مافهمنا ، فقال جوابا آخر ، فقيل له : هذا أغمض ، فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه ، فقال : إن كنت أجريه فأنا أمليه ، وقال ابن عربى : أشار إلى أنه لاتعمد له فيه وإنما هو بحسب مايلقى اللّه مما يقتضيه وقته ويختلف الإلقاء باختلاف الأوقات ، والقوم إنما يوردون مايعطيه الكشف ويمليه الحق ، وقيل له : أبو يزيد يقول سبحانى أنا ربى الأعلى فقال : الرجل استهلك فنطق ماهلك به لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد فى الحق إلا الحق .

وقال : صحبت قوما بالبصرة فاكرمونى ، فقلت يوما أين أزارى فسقطت من أعينهم ، ودخل عليه الشبلى متواجداً فقال : أن كنت ترى نفسك فى حضرة اللّه فهذا سوء أدب وإن كنت خارجها فماذا حصلت حتى تتواجد ، فقال التوبة يا إمام .

وقال : أرقت ليلة فقمت لوردى فلم أجد ماأجد من الحلاوة فأردت النوم فلم أقدر ، فأردت القعود فلم أطق ثم ارتج البيت للسقوط فخرجت فإذا برجل ملتف ببرد مطروح بالطريق فرفع رأسه قال : إلى الساعة ياأبا القاسم ، قلت : بغير موعد ياسيدى ؟ قال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك قلبك للخروج متى يصير داء النفس دواءها ؟ قلت إذا خالفت هواها ، قال اسمعى اسمعى يانفس قد أجبتك بهذا سبعا فأبيت أن لاتسمعيه إلا من الجنيد ثم انصرف فلم أعرفه .

وقال لاأتشبع مايرد على من العالم فإنى أصلت أصلا هوأن الدار دار غم وبلاء وفتنه ، والعالم كله شر فحكمه أن يلقانى بكل ماأكره ، فإن تلقانى بماأحب فهو فضل وإلا فالأصل الأول ، وقال له أبو عمرو الزجاجى : أريد الحج فأعطاه درهما فشده على مئزره فما زال فى سعة حتى رجع والدرهم معه فمد يده وتناول الدرهم .

وجاءه رجل فى وقت كدره فقال : ادع لى ، فقال جمع اللّه همك

ولاشتت سرك ، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه ، ووصل بك إلى كل واصل يوصلك إليه ، وجعل غناك فى قلبك وشغلك به عمن سواه ، ورزقك أدبا يصلح لمجالسته ، وأخرج من قلبك ما لا يرضى به ، وأسكن فى قلبك رضاه وذلك عليه من أقرب الطرق إليه .

وقيل له عند النزع : قل : لا إله إلا الله فقال : ما نسيته فأذكره .

مات ببغداد سنة سبع أوثمان وتسعين ومائتين وأحرز من صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفا ، ورؤى فى النوم فقيل ما فعل بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ، وبليت تلك الرسوم ، وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها فى السحر .

وقال الإمام الرازى : فكل أحد يظن أن مامعه من العلوم والأعمال وسيلة إلى وجدان ملك الجنة والوصول إلى عتبة حضرة الحق تعالى ، فإذا جاء وقت الموت بطلت تلك الأوهام ، وزالت تلك الأفكار وبقى المسكين على تراب الحرمان ، وموضع الذلة والعجز ، انتهى .

ووقع له ، أعنى الجنيد ، أنه قال : الأرض محتاجة للمطر » فلما مات قيل له ما فعل بك ؟ قال : خيرا ، لكنه عاتبنى على كلمة قلتها فذكرها ، وقال : أتنبئنى بأرضى وتقول محتاجة للمطر وأنا العليم الخبير ، وما ننزله إلا بقدر معلوم !

حرف الحاء المهملة

(٢٤٢) الحارث بن أسد[1]

المحاسبى البصرى علم العارفين فى زمانه وأستاذ السائرين فى أوانه . عالم سار بنا فضله ، وصوفى طار نبله ، برع فى عدة فنون ، وتكلم على الناس فأراهم الجوهر المكنون ، وأحيا القلوب بوعظه ، وشنف الأسماع بدر لفظه تصانيفه مدونة مسطورة ، وأقواله مبوبة مشهورة ، وأحواله مصححة مذكورة ، وكان فى علم الأصول راسخا راجحا ، وعن الخوض فى الفضول جانحا ، وللمخالفين الزائغين قامعا وناطحا ، وللمريدين مربيا وناصحا ، وقد قال : التصوف الأخذ بالأصول وترك الفضول واختيار ما اختاره الرسول ؛ سمى بالمحاسبى لكثرة محاسبة نفسه أو لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها حال الذكر ، أو لغير ذلك ، صحب الشافعى وقيل بل عاصره فقط ، قال التميمى : هو أمام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام ، وقال غيره : له المصنفات النافعة الجمة بحيث تبلغ نحو مائتى مؤلف ، وناهيك برعايته ، وكتبه فى هذه العلوم أصول لمن صنف فيها ، وقال فى الإحياء : المحاسبى خير الأمة فى علم المعاملة ، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس ، وآفات الأعمال وأغوار العبادات ، وكلامه جدير بأن يحكى على نفسه ، وقال ابن الأثير : هو أول من تكلم فى إثبات الصفات .

(ومن فوائده البديعة) : من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة .

وقال : أكمل العارفين من أقر بالعجز أنه لايبلغ كنه معرفته .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٧٣ - ١٠٩ ؛ وطبقات الشافعية ٢/٣٧ - ٤٢ ؛ والرسالة القشيرية ١٥؛ ووفيات الأعيان ١/١٥٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٨٧ - ٨٨ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٠٧ ؛ وتاريخ بغداد ٨/٢١١ - ٢١٦ ؛ وميزان الاعتدال ١/١٩٩ ؛ ومرآة الجنان ٢/ ١٤٢ ؛ والسلمى ص ٥٦ - ٦٠ ؛ والشذرات ٢/١٠٢ ، وابن ظفر الصقلى [illegible] الأبنا ، بيروت ١٩٨٠ ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وقـال : لو أن نصف الخلق تقربوا منى مـا وجدت بهـم أنسـاً ، ولو أن النصف الآخر أعرضوا عنى ما استوحشت لبعدهم .

وقال : مكثت ثلاثين سنة لايسمع لسانى إلا من سرى ثم ثلاثين لايسمع سرى إلا من ربى .

وقال : فى حديث خير الرزق مايكفى ، هو قوت يوم بيوم لا تهتم لرزق غد ، وقال فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة .

وقال : كل زاهد زهده على قدر معرفته ، ومعرفته على قدر عقله ، وعقله على قدر قوة إيمانه .

وقال : العلم يورث المخافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة .

وقال : أصل الطاعة الورع ، وقال : وأصل الورع التقوى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، وأصل محاسبتها الخوف والرجاء ، وأصلهما معرفة الوعد والوعيد .

وقال : قال اللّه لداود : إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما . وقال : حسن الخلق إحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الرحمة وطيب الكلام ، ولكل شىء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب فى مطالعة الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح .

وقال : إذا لم تسمع نداء اللّه فكيف تجيب دعاءه ، ومن استغنى بشىء دون اللّه جهل قدره ، والظالم نادم وإن مدحه الناس والمظلوم سالم وإن ذمه الناس ، والقانع غنى وإن جاع والحريص فقير وإن ملك ، ومن لم يشكر اللّه على النعمة فقد استدعى زوالها .

وقال : خير الناس من لاتشغله آخرته عن دنياه ولا دنياه عن آخرته .

وقال : التشوق سراج نور من نور المحبة غير أنه يزيد على نورها .

وقال : المتوكل يلحقه طمع من طريق الطبع لكنه خطرات لا تضره .

وقال : بلية طالب الدنيا تعطيل قلبه عن ذكر الآخرة .

وقال : من خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة .

وقال : تفاوت الناس فى الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب فأفضلهم أعقلهم وأفهمهم عن الله .

وقال : الرضى سكون القلب تحت مجارى الأحكام .

وقال : عملت كتابا فى المعرفة وأعجبت به فبينما أنا أنظره مستحسنا إذ دخل شاب وسلم . وقال : ياأبا عبد الله هل المعرفة حق للحق على الخلق أو عكسه ؟ قلت : حق للحق على الخلق ، وقال : هو أولى أن يكتشفها لمستحقها ، قلت : بل حق للخلق على الحق ، قال : هو أعدل من أن يظلمهم . ثم سلم وخرج ، فغسلته وقلت : لا أتكلم فى المعرفة بعدها أبداً .

وكان بينه وبين أحمد بن حنبل وحشة ، فإن أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم فى علم الكلام والحارث يتكلم فيه فهجره لذلك ، واتفق أنه أمر بعض صحبه أن يجلسه بحيث يسمع كلام الحارث ولايراه ففعل ، فتكلم الحارث فى مسألة فى الكلام وأصحابه يسمعون كأنما على رؤوسهم الطير ، فمنهم من بكى ومنهم من صفق ، فبكى أحمد حتى أغمى عليه ، وقال لصاحبه : ما رأيت كهؤلاء ، ولا سمعت فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ومع ذلك لا ارى لك صحبتهم ، قال السبكى : إنما قال له ذلك لقصور الرجل عن مقامهم فإنهم فى مقام ضيق لايسلكه كل أحد .مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(٢٤٣) حاتم البلخي المعروف بحاتم الأصم[1]

المؤثر للأدوم والأعم ، تحقق فسكن وأيقن فركن ، وقد قيل : التصوف التنقى من الشكوك ، والترقى فى السلوك ، وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربى[2] ، صحب شقيقا البلخى ثم اعتزل الناس فى قبة منذ ثلاثين سنة لايكلمهم إلا جوابا لضرورة . وهو من أجل مشايخ خراسان .

(ومن كلامه) : من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو يتقلب فى رضى اللّه ، أولها الثقة بالله فالتوكل فالإخلاص فالمعرفة ، والأشياء كلها تتم بالمعرفة .

وقال : تعهد نفسك فى ثلاث ، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فانظر سمع الله إليك ، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك .

وقال : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم ، فقد خان نفسه وخانهم ؛ ودخل عليه بعض الأمراء فقال : ألك حاجة ؟ قال : أن لا تراني ولا أراك .

وقال : من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله بغير ورع ، ومن ادعى حب الجنة بغير إنفاق ، ومن ادعى حب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بغير حب الفقراء .

---

(١) حلية الأولياء ٨/٧٣ ـ ٨٤ ؛ وصفة الصفوة ٤/١٣٤ ـ ١٣٧ ؛ والرسالة القشيرية ٢٠ ؛ والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢/٣٨ ؛ وتاريخ بغداد ٨/٢٤١ ـ ٢٤٥ ، ومرآة الجنان ٢/١١٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٩٣ ؛ والسلمى ص ٩١ ـ ٩٧ ؛ والشذرات ٢/٨٧ .

(٢) المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال أبو على التميمى، المعروف بالبازيدى نسبة إلى بازيدى قرية قبالة جزيرة ابن عمر غربى الدجلة ، توفى سنة ٢٢٣ هـ . معجم البلدان ١/٣٢١ .

وقال : رأس الزهد الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الإخلاص .

وقال : اصحب الناس كما تصحب النار ، خذ نفعها واحذر أن تحرقك .

وقال : من دخل فى مذهبنا فليجعل فى نفسه أربع خصال موتا أبيض وهو الجوع ، وموتا أسود ، وهو تحمل الأذى ، وموتا أحمر ، وهو مخالفة النفس ، وموتا أخضر ، وهو طرح الرقاع بعضها على بعض .

وقال : أصل الطاعة ثلاثة : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة الكبر والحسد والحرص .

وقال : الكسل عون على الزهد وقيل له : عظنى ، قال : إن كنت تريد عصيان مولاك فاعصه في موضع لا يراك .

وقال : لا تغتر بموضع صالح ففى الجنة لقى آدم مالقى ، ولا بكثرة عبادة فإبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ، ولا بكثرة علم فبالعلم كان يعرف الاسم الأعظم لقى مالقى ، ولا برؤية الصلحاء فلاأعظم من خاتم الرسل ولم ينتفع بلقائه ناس كثير حتى من أهل بيته .

وقال : الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه ، والمتزهد بعكسه ، .

وقال : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل ، أسند الحديث عن بعض التابعين .

قال فى روض الرياحين : وقد اجتمع به أحمد بن حنبل وسأله فأجابه فاستحسن جوابه وهو من كبار المشايخ .

(٢٤٤) حمدون القصار النيسابورى[1]

أحد الائمة الكبار ، مواعظه سديدة ، وكلمته مفيدة ، وديانته وافية وافرة ، وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة سافرة ، وهو شيخ الملامتية صحب النخشبى وغيره .

(ومن كلامه) : كفايتك تساق إليك من غير تعب ولانصب وإنما التعب فى الفضول .

وقال : إذا رأيت سكرانا فاعدل عنه وتمايل لئلا تبغى عليه فتبتلى بمثل ذلك .

وقال : لايجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه .

وقال : لاأحد أدون ممن يتزين إلى دار فانية ، ويتذلل إلى من لايملك له ضرا ولانفعا .

وقال : من نظر فى سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

وقال : إنما كان كلام السلف أنفع من كلامنا لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ورضى الخلق .

وقال : من ظن نفسه خيرا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر ، أى لأن خاتمته مغيبة .

وقال : أنت عبد مالم تطلب من يخدمك فإذا طلبته خرجت من حد العبودية .

---

(١) حلية الأولياء ، ١٠ /٢٣١ ـ ٢٣٢ ؛ وصفة الصفوة ٤/١٠٠ ؛ والرسالة القشيرية ٢٤ ؛ والسلمى ص ١٢٣ـ ١٢٩ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٨/١ .

وقال : إذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة ، مؤمن قتل مؤمنا ورجل يموت كافرا وقلب فيه خوف الفقر .

وقال : اصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من الأعذار وليس للحسن عندهم مقدار.

وقال : كل ماتحب أن يكون مستورا منك ولاتحب أن يفشى عليك فلا تفشه على غيرك .

وقال : مادمت لاتعرف عيب نفسك فأنت محجوب .

وقال : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا .

وقال : أوصيكم بصحبة العلماء واحتمال الجهال ومن رأيتم فيه خصلة من الخير فلا تفارقوه .

وقال : إن استطعت أن تصبح مفوضا لامدبراً ، فافعل .

وقال : من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل .

وقال : من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل فى الدنيا والآخرة .

ولم يزل على حاله راقيا فى كماله إلى أن غاب بدره فما طلع ، وسار على النعش فما رجع ، مات سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ودفن بنيسابور ، وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان ، وروى عنه آخرون .

(٢٤٥) حبيب العجمي[1]

كان من أبناء الملوك فأنقذته العناية الربانية فصار من أهل السلوك ، ولزم مجلس وعظ الحسن فأقبل على الآجلة ، وتحول عن العاجلة ، واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار تصدق بها .

وله وقائع شهيرة وكرامات كثيرة (منها) أنه كان يرى بالبصرة يوم التروية ، وبعرفة عشية عرفة ، ونزل بأهل البصرة قحط فاشترى طعاماً بنسيئة وفرقه على المساكين ، وخاط كيساً وجعله تحت رأسه فلما حل الأجل وجاءوه طالبين ، أخذ الكيس فوجده مملوءاً دراهم فقضى الدين ، ودخل الحسن مسجدا يصلى المغرب ، فإذا حبيب يصلى بالناس فلم يصل خلفه لكونه كان يلحن لعجمة فى لسانه ، فرأى تلك الليلة فى النوم يقال له : لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم من ذنبك ، وكان يقول لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح بك ، وعزتك أنت تعلم أنى أحبك ، وقال : من أوقعه الله فى ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى بعلها ، ورؤى بعد موته فى النوم فقيل له : ماحالك ؟ فقال : هيهات ذهبت العجمة وبقيت فى النعمة .

(٢٤٦) الحسن الفلاس

صوفى بالتربية والإرشاد ، متصف عارف تقر له الألسن بالفضل وتعترف ، تأدب ببشر[2] وعاصر سريان[3] ، وكان سرى يفخم أمره ، وجاء حسن إلى بشر مرارا يتردد إليه فى مسألة ليكون حجة فيما بينه وبين الله فيتركه بشر

---

(١) أبو محمد حبيب الفارسى المعروف بالعجمى ، انظر ترجمته المفصلة فى النبهانى ١/٣٨٧ ـ ٣٨٨ عن الإمام القشيرى واليافعى .

(٢) بشر بن الحارث الحافى ، انظر ترجمته رقم ٢٣٧ .

(٣) السرى السقطى ، انظر ترجمته رقم ٢٥٠ .

ويذهب ، فلما كان بعد ذلك تبعه إلى المقابر فلما صار إليها وقف وقال : يا حسن ! أيَوَدُّ هؤلاء أن يرجعوا فيصلحوا ماأفسدوا أولا ، اعلم أنه من فرح قلبه بشئ من الدنيا أخطأ الحكمة قلبه ، ومن جعل شهواته تحت قدميه فرٍ الشيطان من ظله ، ومن غلب هواه فهو الصابر الغالب ، ألا والبلاء كله والشقاء كله في مخالفتك إياه ، فإذا لقيته فقل : قال لي : فرجع الحسن فعاهد الله أن لا يأكل ما يباع ولا يشترى ولا ما يلبس ، ولا يمسك بيده ذهباً ولا فضة ولا يضحك أبدا ، وكان يلبس صافي المزابل ويأوى حول دار البطيخ ولا يأكل إلا القمامة ، ولقيه رجل على هذه الصورة ، فقال : ياحسن من ترك شيئا لله عوضه الله ماهو خير ، فما عوضك ؟ قال : الرضى بما ترى ، وكان لا يأكل إلا القمامة . غزا فجرح فكانت منيته ، طلب الماء فشرب ، وقال : قد أعطاني مايتنافس فيه المتنافسون وقضى .

حرف الخاء المعجمة

(٢٤٧) خير النساج[1]

بالجيم أستاذ الجماعة ، وكان ممن أقام دولة الصوفية وقام بنصرها وقعد بالمصلحة فى نفع أمرها ، وأقيمت به دعوتها ، وعزت بعزمه ذروتها ، وكان عظيم المراقبة ، كثير الأدب والمجاهدة ، وقد قيل : التصوف مراقبة الأحوال ، ولزوم الأدب فى كل حال ، أخذ عن السرى وتلك الطبقة العالية ؛ ودخل جنة المعارف وجنى قطوفها الدانية من أشجارها العالية ، وكان له حظ وافر فى الكرامات وتاب فى مجلسه الشبلى والخواص لما أبصرا فيه الخوارق والآيات ، وأصله من أهل سامرا ثم سكن بغداد وكان شديدا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(ومن فوائده) الصبر من أخلاق الرجال ، والرضى من أخلاق الكرام ، وقال : العمل الذى يصل به العبد إلى الدرجات العلى ويبلغ رؤية به إلى الغايات ، التقصير والعجز والضعف ، وقال : لا نسب أشرف من نسب من خلقه اللّه بيده فلم يعصمه ، ولا علم أرفع من علم من علمه اللّه الأسماء كلها فلم تنفعه فى وقت جريان القضاء عليه ، وقال : قص موسى لبنى إسرائيل فصعق واحد فانتهره فأوحى إليه « بطيبى باحوا ، وبوجدى صاحوا فلم تنكر على عبادى ؟ وقال الخوف سوط اللّه يقوم به أنفسا قد تعودت سوء الأدب » .

(ومن كراماته) ما قال : أتانى شاب من البغداديين وقد انطفت يده وجفت . فقلت : مالك ؟ قال : حللت عقدة من عقدة إزارك فأخذت منه درهما فشلت يدى ، فمسحت يده بيدى فردها الله عليه ، وناولته الدرهم فقلت له :

---

(١) حلية الأولياء ٣٠٧/١٠ ؛ وصفة الصفوة ٢٥٥/٢ ؛ والرسالة القشيرية ، ٣٣ ؛ ومرآة الجنان ٢٨٥/٢ ؛ والمنتظم ٢٧٤/٦ ؛ ووفيات الأعيان ٢١٩/١ ؛ وتاريخ بغداد ٣٤٥/٨ ـ ٣٤٧ ؛ والبداية والنهاية ١٨١/١١ ؛ وطبقات الشعرانى ١٢٠/١ ؛ والشذرات ٢٩٤/٢ .

اشتر به حاجتك ولا تعد ، وقال لتلميذه أبى الحسن المالكى قبل موته بثمانية أيام : أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة ، وكان كذلك ، ولما احتضر قال لملك الموت : قف عافاك الله حتى أصلى العصر ، فإنك عبد مأمور وأنا مأمور وماأمرت به أنت لا يفوت وماأمرت به أنا يفوت فصلى وتشهد ، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن نحو مائة وعشرين سنة ، فهو من أقران الثورى وطبقته ، لكنه عمر طويلا ، فلذلك ذكر فى طبقته وإن تأخرت وفاته إلى أهل القرن الرابع ، ورؤى فى النوم فقيل له : مافعل بك ؟ قال : لاتسألنى عن هذا ، لكن استرحت من دنياكم الوضرة .

حرف الذال المعجمة

(٢٤٨) ذو النون المصرى[١]

العارف الناطق بالحقائق ،الفاتق للطرائق ، ذو العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة ، والصفات الكاملة والنفس العالمة العاملة ، والهمم الجليلة والطريقة المرضية ، والمحاسن الجزيلة المتبعة ، والأفعال والأقوال التى لاتخشى منها تبعه ، زهت به مصر وديارها ، وأشرق بنوره ليلها ونهارها ، قال ابن يونس : كان عالما فصيحا حكيما ، امتحن وأوذى لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه ، وكان أول من تكلم بمصر فى ترتيب الأحوال ، وفى مقامات الأولياء فحول الرجال ، فقال : جهله المتفقهة : هو زنديق ، وقال مسلمة بن قاسم : كان عالما صالحاً زاهدا ورعا مفتيا فى العلوم واحدا فى عصره ، وقال الجوزقانى : كان زاهدا عالما ضعيف الحديث ، وقال : الدارقطنى عن مالك أحاديث فيها نظر ، وقال الذهبى فى تاريخه الكبير : روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وابن عيينة ومسلم الخواص وغيرهم وروى عنه الحسن بن مصعب النخعى وأحمد بن صبح الفيومى والطائى وغيرهم ، وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الغيض وأصله من النوبة ثم نزل أخميم فأقام بها فسمع يوما صوت لهو ، ودفافا ، فقال ما هذا ؟ قيل : عرس وسمع بجانبه بكاء وصياحا فقيل : ما هذا ؟ قيل : فلان مات قال : أعطى هؤلاء فما شكروا وابتلى هؤلاء فما صبروا لله على إن بت بهذا البلد ، فخرج فورا إلى مصر فقطنها ، وسئل عن سبب توبته

---

(١) حلية الأولياء ٩/٣٣١ - ٣٩٥ ؛ الرسالة القشيرية ١٠ ؛ ووفيات الأعيان ١/١٢٦ ، وصفة الصفوة ٤/٢٨٧ - ٢٩٣ ؛ ومرآة الجنان ٢/١٤٩ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٨١ - ٨٤ ؛ والسلمى ١٥ - ٢٦ ؛ وتاريخ بغداد ٨/٣٩٣ - ٣٩٧ ؛ والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٧ ؛ والشذرات ٢/١٠٧ .

فقال : نمت بالصحراء ثم فتحت عيني فإذا بقنبرة[1] عمياء سقطت من وكرها ، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة في إحداهما سمسم والأخرى ماء فجعلت تأكل من ذا وتشرب من ذا فقلت : حسبي فتبت ؛ ولما تكلم بعلوم لدنية لا علم لأهل مصر بها . وشوا به إلى خليفة بغداد فحمل إليه في جماعة مغلولا مقيداً فقدم للقتل فكلم الخليفة فأعجبه فأطلقه ورفقته .

وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم ، ولما حبس لم يأكل في السجن أياما فكانت له أخت تبعث له من مغزلها طعاما علي يد السجان فلا يأكله فعاتبته بعد ، فقال : كان حلالا لكن جاءني على طبع ظالم وأشار إلى يد السجان ، قال الغزالي : وهذا غاية الورع .

(ومن مقاماته العلية الفائقة وأحواله المدهشة الخارقة) أن روحه الشريفة كانت تدبر أجساما متعددة فقد قال العارف ابن عربي : الروح الواحد يدبر أجساما متعددة ، إذا كان له الاقتدار على ذلك ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطى ذلك ، قال : وكان ذو النون المصري وقضيب البان ممن له هذه القوة كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ماوقع منها ، فكذا هذه الأجساد التي تدبرها روح واحدة أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد ، وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم عين مايقع من الآخر انتهى ، وأقام سهل سنين لايسند ظهره للمحراب ولايتكلم ، فلما كان ذات يوم بكى واستند وتكلم وبالغ في إبراز المعاني العجيبة والإشارات الغريبة ، فقيل له فيه فقال : كان ذو النون بمصر حيا فما تكلمت ولا استندت إجلالا له ، والآن قد مات فقيل لي : تكلم فقد أذنت .

(ومن فوائده) : من راقب العواقب سلم .

---

(١) القنبرة ضرب من الطير يشبه العصفور ، ويقال أيضا قبرة ، انظر الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢ .

وقال : إياك أن تكون للمعرفة مدعيا ، أو بالزهد محترفا ، أو بالعبادة متعلقا ، وفر من كل شيء إلى ربك .

وقال : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه .

وقال : الزهاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين ، وقال : ثلاثة من علامة التوفيق ، الوقوع فى عمل البر بلا استعداد له ، السلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه ، واستخراج الدعاء والابتهال . وثلاث من علامات الخذلان : الوقوع فى الذنب مع الهرب منه والامتناع من الخير مع الاستعداد له ، وانغلاق باب الدعاء والتضرع .

وقال : من وثق بالمقادير لم يغتنم .

وقال : الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع .

وقال : الشوق أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقا إلى ربه وحبا للقائه ، والنظر إليه ، وكان يقول فى قوله تعالى « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » كأنه الآن فى أذنى .

وقال : إذا خرج مريد عن حوزة الأدب يرجع إلى حيث شاء .

وقال : مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى .

وقال : الصبر السكون عند تجرع غصص البليَّة ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .

وقال : أكثر الناس هما أسوأهم خلقا ، وتذاكر جماعة عنده أعنى ذا النون فى حديث « طاعة ما سوى الله للأولياء » فقال : من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع لمكانه ففعل ذلك .

وقال : مدار الطريق على أربع ، حب الجليل وبغض الفانى القليل ، واتباع التنزيل وخوف التحويل . وسأله رجل عن مسألة فقال : إن قلبى لك مقفل

فإن فتح لك أجبتك وإلا فاعذرنى واتهم نفسك .

وقال : احذر أن تنقطع عن اللّه فتكن مخدوعا وكل من نظر إلى عطائه ولم ينظر إليه فهو مخدوع ، وقال : ماأخلص عبد للّه إلا أحب أن يكون فى جُبٍّ لا يعرف .

وقال : إن الله مامنع الكفار الجنة بخلا بل ليصون من أطاعه عن أن يجمع بينهم وبين أعدائه فى دار واحدة .

وقال : البلاء ملح المؤمن فإذا عدمه فسد حاله .

وقال : لكل شيء عقربة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله .

وقال : إن لله عبادا عبدوه بخالص من السر فشرفهم بخالص من شكره فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فزعا حتى إذا صارت إليه ملأها لهم من سر ما أسروا .

وقال : من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء ، وطلب الآخرة بالرفاء . ومودة النساء بالغلظة والجفاء .

وقال : من ادعى مقاما حجب به عن الله .

وقال : من أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من الصدق .

وقال : من تزين بعمله فحسناته سيآت .

وقال : الكريم يعطى قبل السؤال فكيف يبخل بعده ؛ ويعذر قبل الاعتذار فكيف يحقد بعده !!

وقال : ثلاثة من أعلام الصواب : الأنس بالله فى جميع الأحوال والسكون إليه فى كل الأعمال ، وحب الموت بغلبة الشوق فى جميع الأشغال .

وقال : ثلاثة من أعلام اليقين النظر إلى الله فى كل شىء والرجوع إليه فى كل أمر والاستعانة به فى كل حال .

وقال : صدور الأحرار قبور الأسرار .

وقال : إنما أحب الناس الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها .

وقال : أدنى منازل الأنس أن يلقى فى النار ولايغيب عن مأموله .

وقال : لاتسكن الحكمة معدة ملئت طعاما .

وقال : العبودية أن تكون عبده فى كل حال كما هو ربك فى كل حال .

وقال : الحسد داء لايبرأ ، وحسب الحسود من الشر مايلقاه .

وقال : تنال المعرفة بثلاث : بالنظر فى الأمور كيف دبرها ، وفى المقادير كيف قدرها ، وبالخلائق كيف خلقها .

وقال : قرأت فى بعض برابى مصر بالسريانية « يقدر المقدرون والقضاء يضحك » .

وقال : الصادق لايبكى فإن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا ضعف عندنا يابطال .

وقال : العاقل يعترف بذنبه ويجود بما لديه ويزهد فيما عنده ويكف أذاه ويتحمل أذى غيره .

وقال : يأتى زمان تكون الدولة فيه لأهل الدنيا على أهل الآخرة .

وقال : لم يزل المنافقون يسخرون بالفقراء فى كل عصر .

وقال : طوبى لمن تطهر ولزم الباب طوبى لمن تضمر للسباق ، وطوبى لمن

أطاع اللّه أيام حياته .

وقال : من وثق بالمقادير استراح ، ومن تقرب قرب ، ومن صفى صفى له .

وقال : من توكل وتق ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه ، وسأله بعضهم عن حاله فقال : مالى حال أرضاها ولاحال لا أرضاها ، كيف أرضى حالى لنفسى وأنا لا أفى بما أراد منى ؟ أم كيف لاأرضى حالى ولايكون منى إلا ماأراد من الأحوال ولست أدرى أيما أحسن ؟ حسن حالى فى حسن إحسانه إلى ، أم حسن حالى فى سوء حالى إذا كان هو المختار لى .

وقال : من وجد خمس خصال رجوت له السعادة ولو قبل موته بساعة ، استواء الخلق وخفة الروح وغزارة العقل وصفاء التوحيد وطيب المولد .

وقيل له : أوصنى قال : لا تكن خصما لنفسك على ربك تستزيده فى رزقك وجاهك ، بل كن خصما لربك على نفسك فإنه لا يجتمع معك عليك ، ولا تلقين أحداً بعين الازدراء والتصغير ولو مشركا خوفا من عاقبتيكما ، فلعلكما فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها .

وقال : ماهلك من هلك إلا بطلب أمر قد أخفاه وإنكار أمر قد أبداه .

وقال : من نظر فى عيوب الناس عمى عن عيوب نفسه ومن عنى بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال ، ومن هرب من الناس سلم من شرهم ومن شكر المزيد زيد له .

وقال : احفظ عنى خمسا فإن حفظتها لم تبال ماذا أصبت بعدهن ، عانق الفقر وتوسد الصبر وعاد الشهوات وخالف الهوى وافزع إلى اللّه فى أمورك كلها ، فعند ذلك يورثك الشكر والرضى والصبر والخوف ، وقال : خذ لنفسك بسلاح الملائكة واقمعها بردٍّ الظلامة تلبس غدا سرابيل السلامة ، واقصرها فى روضة الأمان ، وذوقها مضض فرائض الإيمان ، تظفر بنعيم الجنان ، وجرعها كأس الصبر ووطها على الفقر حتى تكون تام الأمر .

وقيل له : وأى نفس تقوى على هذا ؟ قال : نفس على الجوع صبرت ، وفى سربال الظلام خطرت ، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنياء نفس تدرعت رهبانية القلق ؛ وفرعت الدجا إلى واضح الفلق .

وقال : تعوذوا بالله من القبطى إذا استعرب .

وقال : قد غفلت القلوب عنه وهو منشيها وأدبرت النفوس عنه وهو يناديها ، فسبحانه ماأمهله للأنام مع تواتر الأيام والإنعام .

وقال : طوبى لعبد أنصف ربه ، أقر له بالآفات فى طاعته وبالجهل فى معصيته ، فإن أخذه بالذنوب رأى عدله وإن غفر رأى فضله .

وقال : من المحال أن يحسن الظن ولايحسن منه المن .

وقال : كيف أفرح بعملى وذنوبى مزدحمة ، أم كيف أفرح بعملى وعاقبتى مبهمة .

وقال : الكيس من بادر بعمله وسوف بأمله ، واستعد لأجله ، وقال : من علامة سخط الله على العبد أن يخاف الفقر .

وقال : لكل شيء علامة وعلامة طرد العارف عن حضرة الله انقطاعه عن ذكره .

وقال : إذا تكامل الحزن قلصت الدمعة .

وقال : من القلوب قلوب تستغفر قبل أن تذنب فيتاب عليها قبل أن تتوب .

وقال : من آنسه الله بقربه أعطا ه العلم بغير تعب .

وقال : ليس بعاقل من لم ينصف من نفسه وطلب الإنصاف من الناس .

وقال : لا تتواضع لمتكبر فتذل نفسك فى غير محل وتكبر نفسه بغير حق .

وقال : من عمى عن عيوب نفسه انكشفت له عيوب الناس فمقتته القلوب .

وقال : من طلب مع الخبز ملحا يأكله لم يفلح فى الطريق أبداً .

وقال : لولا شغلى بنفسى اشتغلت بكتابة الحديث .

وقال : أهل القرآن هم الذين أنصبوا الركب والأبدان حتى نحلت أبدانهم وذبلت شفاههم وهملت عيونهم .

وقال : من علامة إعراض الله عن العبد أن تراه ساهيا لاهيا لاغيا معرضا عن ذكر ربه تثقل عليه مجالسة الذاكرين .

وقال : إن الله يغارأن يجمع بين أحبابه وأعدائه فى دار ، فلذلك جعل لكل فريق دارا .

وقال : مارجع من رجع الأمن الطريق ولو وصلوا اليه مارجعوا اليه فازهد فى الدنيا ترى العجب .

وقال : متى يأنس العبد بربه ؟ قال : إذا خافه أنس به أما علمتم أن من واصل الذنوب نحى عن باب المحبوب .

وقال : وجدت مكتوبا على صخرة بيت المقدس : كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب وكل قانع غنى وكل محب ذليل ففكرت فإذا هى أصول لكل ما استعبد الله به الخلق ، وقال : لاعيش إلا مع رجال تحن قلوبهم إلى التقوى وترتاح إلى الذكر ؛ ودق عليه رجل الباب فشوش وقته فنظر إليه من عالم الهيئة ، وقال : اللهم من شغلنى عنك فاشغله بك .

وقال : ثلاثة من أعلام الإيمان اغتنام القلب بمصائب المسلمين . وإرشادهم إلى مصالحهم وإن كرهوه ، وقال : لا تشغلنك عيوب الناس عن عيوب نفسك فلست عليهم برقيب .

وقال : أحب عباد الله إليه أغفلهم عنه .

وقال ابن عربى : وصية مجربة قالها مجرب ثم أخرج بسنده عن صاحب

الترجمة قال : رأيت في بربا بموضع يقال له دندرة مكتوب فيها : احذر العبيد المعتقين ، الأحداث المقرنين والجند المتغندرين ، والقبط المستعربين .

وقال : العارف في هذه الدار كرجل توج بتاج الكرامة واقعد على سرير وعلق على رأسه سيف ! بشعرة وأرسل على بابه سبعون ضاريا فأنى له السرور .

وقال : من تقرب إلى الله بما فيه تلف نفسه حفظها عليه ، وقال ماشبعت قط إلا عصيت أوهممت بمعصية .

وقال : كن عارفا خائفا ولا تكن عارفا واصفا .

وقال : الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه ، وسئل عن السماع والصوت الحسن فقال وارد يزعج القلب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق أو بنفسه تزندق ، وسئل عن التوحيد فقال : أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله ، وكل مايتصور في وهمك فالله بخلاف ذلك .

(ومن كراماته) أن تلميذه يوسف بن الحسين الرازي دخل عليه فقال له : مايقول الناس في ؟ قال : زنديق ؟ فقال : الأمر سهل حيث لم يقولوا يهودي فإن الناس تنفر قلوبهم من اليهود أشد ، فخرج فسمعهم يقولون يهودي فعاد فأخبره ، وخرج فوجد فقهاء أخميم تعصبوا ونزلوا إلى زورق ذاهبين إلى سلطان مصر ليشهدوا بكفره فانقلب الزورق ، والناس ينظرون فغرقوا حتى الملاح ، فقيل له مابال الرايس ؟ قال حمل الفساق ، ودخل غلام من غلمانه بغداد فسمع قوالا فصاح ووقع ميتا فلما دخل ذو النون بغداد وسأل عن القوال .

وقال : له قل فقال فصاح ذوالنون فخر القوال ميتا فخرج وهو يقول النفس بالنفس ، وأخرج ابن الطحان في ذيل تاريخ مصر في ترجمة ذي الكفل وهو أخو ذي النون أن رجلين اختصما في ثلثمائة أردب قمح فاعترف أحدهما

بالحق ، وادعى العجز فوعظه ذو النون فأصر ، فقال لصاحب الدين تصالحه على مائة أردب ؟ فرضى ، فقال لأخيه ذى الكفل : كِلْ له من هذا البيت وأومأ إلى بيت مهجور مملوء بالتراب ففتحه فرأى القمح يخرج من شقوقه فكال له مائة فقال : اردد الباب فعاد مملؤا ترابا كما كان ، وقال بكر بن عبد الرحمن : كنت معه فى البادية فجلسنا تحت أم غيلان فقلت ماأطيب الموضع لو كان فيه رطب فحرك الشجرة ، وقال أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطبا جنيا فتساقط علينا الرطب فأكلنا وشبعنا ثم نمت وقمت فحركت الشجرة فنثرت شوكا ، وكسر إنسان ثنية آخر فأراد الترافع للأمير فمرا على الشيخ فأخذها ووضعها فى محلها فوجد الرجل أسنانه كما كانوا ولم ير لمحل القلع أثر ، وقال السلمى : دخلت عليه فرأيت بين يديه طستا من ذهب وحوله ند وعنبر فأعطانى درهما فأنفقت منه إلى أن وصلت إلى مقصدى .

(ومن وقائعه فى سياحاته) ماحكى ، قال : بينما أنا أسير فى نواحى الشام إذ وقعت على روضة خضراء وإذا بشاب يصلى تحت الشجرة فسلمت فأوجز فى صلاته ولم يرد ثم كتب بأصبعه فى الأرض .

منع اللسان من الكلام لأنه ... سبب الرداء وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربِّك ذاكرا ... وإذا سكتَّ فعد موتك آت

قال : فبكيت وكتبت بأصبعى فى الأرض :

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقى الدهر ماكتبت يداه
فلاتكتب بكفك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه

فصاح الشاب فمات فقمت لأجهزه وأدفنه وإذا بقائل : خل عنه فإن اللّه وعده أن لا يتولاه إلا ملائكته فالتفتُّ فلم أره .

وقال : بينما أنا أسير فى بعض سياحتى فإذا أنا بصوت حزين كئيب موجع القلب أسمع الصوت ولاأرى الشخص وهو يقول : سبحان مفنى الدهور سبحان مخرّب الدور ، سبحان باعث من فى القبور ، سبحان مميت القلوب ، فاتبعت الصوت فإذا بإنسان يقول : سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره ، سبحانك ماألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك ، سبحانك ماأحلمك على من عصاك ، !! ثم قال سيدى بحلمك نطقت وبفضلك تكلمت ، فيا إله من مضى قبلى ومن يكون بعدى بالصالحين فألحقنى ، ولأعمالهم وفقنى ، ثم قال : إن الزهاد والعباد نزل بهم الزمان فأبلاهم ، وحل بهم البلاء ، فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل ماأصابهم فانصرفت وتركته باكيا ، وقال : وصف لى رجل بالجبل المقطم فقصدته فمكثت عنده أربعين يوما ثم سألته فقلت : فيم النجاة ؟ ، قال : فى التقوى والمراقبة ، قلت : زدنى ، قال : فر من الخلق ولاتأنس بهم ، قلت : زدنى ، قال : إن للّه عبادا حالفوه فسقاهم كأسا من محبته فهم فى شربهم عطاش وفى عطشهم أروياء ثم تركنى ، وقال : صحبت زنجيا فى التيه فكان إذا ذكر اللّه ابيضّ ، فورد على أمر عظيم ، فسألته فأنشد :

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر

فأحيا به عنى وأحيا به له إذ الحق عنه مخبر ومعبر

ثم قال أيضا :

أنت فى غفلة وقلبك ساهى نفد العمر والذنوب كما هى

جمة حصلت عليك جميعا فى كتاب وأنت عن ذاك لاهى

لم تُبادر بتوبة منك حتى صرت شيخا فحبلك اليوم واهى

فاجتهد فى فكاك نفسك واحذر يوم تبدو السمات فوق الجباه

وقال : دخلت مغارا بجبل فوجدت فيه رجلا يتعبد فسألته عن مسألة فى

المحبة فذاب كما يذوب الرصاص ثم صار قدر النطفة بلا عظم ولا لحم فالتقطته بقطنة ودفنته ، وقال : بينما أنا أسير فى جبال بيت المقدس إذ سمعت قائلا يقول : ذهبت الآلام عن أبدان الخدام ، ولهيت بالطاعة عن الشراب والطعام وألفت أبدانهم طول القيام بين يدى الملك العلام ؛ فتبعت الصوت فإذا شاب أمرد قد علاه اصفرار يميل الغصن إذا ميلته الريح فلما رآنى توارى منى بالشجر فقلت له ليس الجفاء من أخلاقهم فأوصنى فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك وألف محبتك فيا إله القلوب وماتحويه من جلال عظمتك احجبنى عن القاطعين لى عنك ، ثم غاب فلم أره ، وقال : رأيت فى جبل لبنان رجلا أغبر نحيفا يصلى فسلمت فرد فما زال راكعا ساجدا حتى صلى العصر ثم استند إلى حجر ولم يكلمنى فقلت : ادع لى ، فقال : آنسك الله بقربه ، قلت : زدنى ، قال : من آنسه الله بقُرْبه أعطاه أربعا : عزا من غير عشيرة ، وعلما من غير طلب ، وغنى بغير مال ، وأنسا بغير جماعة ، ثم شهق فلم يفق إلا بعد ثلاث ، فقال : انصرف عنى بسلام ، قلت : أوصنى ، قال : أحبب مولاك ولاترد بحبه بدلا ، وقال : بينما أنا أسير فى جبال أنطاكية إذا بجارية كأنها مجنونة عليها جبة صوف فسلمت فردت وقالت : ذا النون قلت : كيف عرفتنى قالت : بمعرفة حب الحبيب ، ثم قالت : ما السخاء ؟ قلت : البذل والعطاء ، قالت : هذا سخاء الدنيا فما سخاء الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة رب العالمين ، قالت : فإذا سارعت إلى طاعته فهو أن يطلع على قلبك وأنت لاتريد منه شيئا ، ويحك إنى أريد أن أطلب منه شيئا منذ عشرين سنة فأستحى منه مخافة أن أكون كأجير السوء ، إذا عمل طلب الأجر ، لكن أعمل تعظيما لهيبته وعز جلاله ، وذهبت وتركتنى ، وقال : رأيت فى تيه بنى إسرائيل سوداء قد استبلها الوله من حب الرحمن ، شاخصة ببصرها نحو السماء ، فقلت : السلام عليك ياأختاه ، قالت : وعليك السلام ياذا النون ، قلت : من أين عرفتنى ؟ قالت : يا بطال ، إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام ثم أدارها حول العرش ، فما تعارف

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان ، قلت : أراك حكيمة فعلميني مما علمك الله ، قالت : يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله ويبقى القلب مصفى لا شيء فيه غيره فحينئذ يقيمك على الباب ويوليك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة ، قلت : زيديني ، قالت : خذ من نفسك لنفسك وأطلع الله إذا خلوت يجيبك إذا دعوت والسلام ، وقال : كنت في جبل الكام فرأيت رجلا قاعدا مطرقا ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أنظر وأرعى ، قلت : ما أرى عندك إلا الأحجار فما الذي تنظره وترعاه ؟ فنظر إلى مغضبا ، وقال : أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي ، فبحق من أطلعك على ألا رحت عني ، قلت : كلمني بشئ أنتفع به وأذهب ، قال : من لزم الباب أثبت من الخدم ، ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم ، ومن استغنى بالله أمن من العدم ، ثم تركني ومضى ، وقال : مررت في وادي كنعان ليلا وإذا بشخص أقبل يقرأ « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » فلما قرب إذا به امرأة ، فقالت : من أنت ؟ قلت : غريب ، قالت : وهل تجد مع الله غربة مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء !! فبكيت فقالت : ما هذا البكاء ؟ قلت : قد وقع الدواء على الداء ؛ قالت : إن كنت صادقا فلم بكيت ؟ قلت : والصادق لا يبكي ! ، قالت : لا لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ اليه ، وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير ، وأما البكاء فهو ضعف ، وقال : كنت على شاطيء النيل ، فرأيت عقربا فأردت قتلها فهربت فوقفت على الشاطيء فركبت على ظهر ضفدعة ، فقامت بها حتى وصلت للجانب الآخر فنزلت عن ظهرها ، وإذا برجل نائم وهو سكران وثعبان قد أقبل عليه ليلدغه فأسرعت العقرب نحو الثعاب فلدغته فتقطع ، فأيقظت الرجل فقام مرعوباً فأخبرته الخبر فأطرق ثم قال : يارب هكذا تفعل بمن عصاك ، فكيف بمن أطاعك ؟ فوعزتك لا عصيتك أبداً ، وقال : اجتمعت في جبل نيسان بامرأة متعبدة كالشن البالي ، كأنها تخبر عن أهل المقابر فسألتها أين وطنك ؟ قالت :

مالى وطن إلا النار أو يعفو العزيز الغفار ، قلت : هل من وصية ؟ قالت : شمِّر عن ساق الجد ودع مايتعلق به البطالون من الرجاء الكاذب الذى لا تحقيق لهم فيه ولا يدرون كيف العواقب ، فوالله لايرد غدا المنزل إلا المضمرون ، وقال : ركبت سفينة فسرقت منها قطيفة فاتهموا رجلا نائما ، فقلت دعونى أترفق به وإذا الشاب أخرج رأسه من عباءته ، وقال : أقسمت عليك بى يارب لا تدع واحدا من الحيتان إلا أتى بجوهرة ، وإذا بوجه الماء كله حيتان فى أفواهها الجواهر ثم ألقى نفسه فى البحر ومر على وجه الماء الساحل كالبرق ، وقال : رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود ، فقلت له فيه فقال : أنتظر الإذن من ربى بالانصراف فسقطت عليه رقعة « من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق مغفورا لك »، وقال : مررت فى سياحتى برجل عنده عين ماء تجرى فأقمت عليه يوما وليلة فلم يكلمنى ثم قال : رأيتك يا بطال حين أقبلت لكن ما ذهب روعك من قلبى إلى الآن ، قلت : ما الذى أفزعك منى ؟ قال : بطالتك فى يوم عملك وشغلك فى يوم فراغك ، وتركك الزاد ليوم معادك ، ومقامك على المظنون ، قلت : إن الكريم ما ظن به أحد شيئا إلا أعطاه ، قال : إنه لكذلك إذا وافقه عمل صالح وتوفيق ، قلت : أوصينى ، قال : عليك بمعاتبة نفسك إذا دعتك إلى بلية ، ومنابذتها إذا دعتك إلى فترة فإن لها مكرا وخداعا فإذا فعلت هذا أغناك عن الخلق وسلمك عن مجالسة الفاسقين ، وقال : رأيت بسواحل الشام امرأة فقلت : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، قلت : والى أين ؟ قالت : إلى قوم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقال : رأيت على شاطئ البحر جارية مكشوفة الرأس مسفرة ، فقلت لها : استرى وجهك بخمار ، قالت : وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار ، إليك عنى يا بطال فإنى شربت البارحة بكأس المحبة مسرورة فأصبحت اليوم من حبه مخموره ، قلت : أوصينى ، قالت : عليك بالسكوت ، ولزوم البيوت ، وارض بالقوت ، حتى تموت ، وقال : رأيت فى سياحتى شيخا ، فقلت : كيف الطريق

إلى اللّه ؟ قال : دع طريق الخلاف والاختلاف قلت : أليس اختلاف العلماء رحمة ؟ قال : إلا في تجريد التوحيد ، قلت : ما تجريده ؟ قال : فقدان رؤية ما سواه لوجدانه أوليس من عرف اللّه طار همه ، قال : بل من عرفه زال همه ، قلت : هل يكون العارف مسرورا ؟ قال : وهل يكون محزونا ؟ قلت : أليس من عرف اللّه صار مستوحشا ؟، قال : معاذ اللّه بل يكون مهاجرا متجددا ، قلت : وهل يأسف العارف على شيء غير اللّه ؟ قال : وهل يعرف غير اللّه فيأسف عليه ، قلت : وهل يشتاق إلى ربه ، قال : وهل يغيب عليه طرفة عين حتى يشتاقه ، قلت : ماأسم اللّه الأعظم ، قال : أن تقول اللّه وأنت تهابه ؛ قلت : كثيراً ما أقوله ، ولا تداخلنى هيبة ، قال : لا تقول اللّه من حيث أنت لا من حيث هو ، قلت عظنى ؟ قال : حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك ، قلت : فما تأمرنى ؟ قال : اطلاعه عليك فى جميع أحوالك لا تنسه ، وكلموه وهو فى النزع ، فقال : لا تشغلونى فقد عجبت من كثرة لطف اللّه بى ، ولما احتضر قيل له ما تشتهى ؟ قال : أن أعرفه قبل موتى ! مات سنة خمس وأربعين ومائتين ، ودفن بالقرافة[١] وقبره بها ظاهر مقصود بالزيارة وعليه أنس ومهابة ، وهو بقرب قبر عقبة بن عامر الجهنى الصحابى ، وقيل : بل هو عقبة وعمرو بن العاص الثلاثة فى قبر واحد ، وعند قبر ذى النون قبر صاحب الدراية وذلك أن ذا النون قيل له فى النوم : اقعد غدا على شفير الخندق يجيء ميت من الأولياء ، فصل عليه ، فلما أصبح قعد فجاء رجلان يحملان ميتا على درابة ، فوضعوه ، فصلى عليه ودفنه وأوصى أن يدفن تحت رجليه .

(عجيبة) حكى صاحب الترجمة عن الجوهرى ، أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وهو جنب ، فجاء إلى شط النيل فنزل الماء ليغتسل فرأى وهو فى الماء مثل ما يرى النائم كأنه ببغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين وأولدها أولادا ، ثم رد إلى نفسه وهو فى الماء فخرج ولبس ثوبه وأخذ خبزه من الفرن ،

---

(١) السخاوى الحنفى ، ٣٦٦ ـ ٣٦٨ .

وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره فبعد أشهر جاءت تلك المرأة التى رأى أنه تزوجها فى تلك الواقعة تسأل عن داره ، فلما رآها عرفها وعرف الأولاد ، وقيل لها : متى تزوجك ؟ قالت منذ ست سنين وهذه أولاده منى ، فخرج فى الحس ما وقع فى الخيال ، وقال ابن عربى : وهذه من مسائل ذى النون الست التى تحيلها العقول ، فللّه قوى فى العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل فى العامة من حكم السمع والبصر وغيرهما ، فاختص اللّه أولياءه بقوى مثل هذه الحكاية ، فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغى للجناب الإلهى من الاقتدار ، ولا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة اللّه فى وجود الخيال فى العالم الطبيعى وما يجده به من الأمور الواسعة فى النفس المفرد وطرفة العين ، ثم يرى أثر ذلك فى الحس بعين الخيال ، فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين فى الزمن القليل من زمان والحياة الدنيا .

حرف الزاى

(٢٤٩) زهراء الوالهة[١]

كانت من عقلاء المجانين وأكابر العارفين ، قال ذو النون[٢] : بينما أنا أطوف فى بعض أودية المقدس سمعت قائلا : يا ذا الأيادى التى لا تحصى ويا ذا الجود والبقاء متع بصر قلبى بالجولان فى بساتين جبروتك واجعل همى متصلا بجود لطفك يا لطيف وأعذنى من مسالك المتجبرين بجلالك وبهائك يا رءوف ، واجعلنى لك فى الحالات خادما وطالبا وكن لى يامنور قلبى ويا غاية طلبتى صاحبا ، فتبعت الصوت فإذا امرأة كأنها عود محترق عليها درع صوف وخمار شعر أسود قد أضناها الجهد ، وقتلها الكمد ، وذوبها الحب ، فقلت : السلام

(١) النبهانى ٢/١٧ .

(٢) انظر ترجمته وما جاء فيها بشأن ما رآه فى تيه بنى إسرائيل ، الترجمة رقم ٢٤٨ .

عليك قالت : عليك السلام ياذا النون ، قلت : كيف عرفت اسمى ولم ترينى ؟ قالت : كشف عن سرى الحبيب فرفع لقلبى حجاب العمى فعرفنى اسمك فقلت : ارجعى إلى مناجاتك ؛ فقالت : أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عنى شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة ثم خرت ميتة ، فبقيت متحيراً فأقبلت عجوزة كالوالهة نظرت ، ثم قالت : الحمد لله الذى أكرمها ، قلت : من هذه ؟ قالت : ابنتى زهراء الوالهة لها منذ عشرين سنة توهم الناس أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها تعالى .

حرف السين المهملة

(٢٥٠) السرى السقطى[1]

خال الجنيد وأستاذه ، إمام أزهرت روضة رياسته ، واشتهرت أخبار تربيته وسيادته ، وانتهت إليه مشيخة الصوفية وتفجرت عيون مورده فى المعارف الإلهية ، ومع ذلك كان وجيها عند الملوك والأكابر ، معظما بين أرباب السيوف والمحابر ، أخذ عن الكرخى وغيره ، وسمع الحديث من الفضيل وهشيم وأبى بكر عياش وعلى بن غراب ويزيد بن هارون ، وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق وإبراهيم المخرمى وغيرهم . وقال السلمى[2] : وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم فى الحقائق والإشارات ، وكان أوحد أهل زمانه ورعا وزهدا ذا أحوال ومقامات ، وسبب توبته أنه مر بجارية سقط منها شئ فانكسر فارتابت فأعطاها بدله ، والكرخى مار فنظر إليه فأعجبه صنعه ، فقال : بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه ، فترك حانوته وقام وهام .

(ومن فوائده) عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه ، وعجبت لمن سافر فى طلب الربح ولم يربح تاجر مثل نفسه .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/١١٦ ـ ١٢٦ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٠٩ ـ ٢١٨ ؛ والرسالة القشيرية ، ١٢ ؛ ووفيات الأعيان ١/ ٢٥١ ؛ وتاريخ بغداد ٩/١٨٧ ـ ١٩٢ ؛ ومرآة الجنان ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ ؛ والبداية والنهاية ١١/١٣ ؛ والشذرات ٢/١٢٧ ؛ وابن ظفر ، أنباء نجباء الأبناء ، ص ١٤٦ ،

(٢) السلمى ، طبقات ص ٤٨ .

وقال للجنيد : ياغلام احفظ عنى ، المعرفة ترفرف على القلب فإن كان فيه حيا وإلا ارتحلت ، ودخل عليه الجنيد فقال له : يا جنيد عصفور يجئ كل يوم أفت له الخبز فى يدى فيأكله ، فنزل الساعة ولم يسقط على يدى فتذكرت أنى أكلت ملحا بأبزار فآليت أن لا آكله بعدها فعاد كما كان .

وقال : القلوب ثلاثة : قلب كالجبل لايزعزعه شئ ، وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح يميلها ، وقلب كالريشة يميلها الريح يمينا وشمالا .

وقال : علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس .

وقال : من أحب أن يسلم له دينه ويقل همه وغمه فليعتزل عن الناس .

وقال : أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها ، ومن عجز عن أدب نفسه فهو عن غيره أعجز .

وقال : من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين اللّه ، وقال : اللهم مهما عذبتنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب .

وقال : لى منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى بغمس خريزة فى دبس فما أطعتها .

وقال : آه على لقمة ليس لله على فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة .

وقال : انتهيت إلى حشيش فى جبل وماء يخرج منه ، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء ، وقلت لنفسى : إن كنت أكلت يوما حلالا فهذا ، فهتف بى هاتف القوة التى أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هى ، فرجعت وندمت . وذكر عنده حديث الوجد الحاد الغالب فقال : هو أن يضرب وجهه بالسيف وهولايدرى ، فروجع فيه واستعبد فلم يرجع .

وقال : عجبا لضعيف كيف يعصى قويا .

وقال : أهل الحقائق من أكله أكل المرضى ونومه نوم الغرقاء .

وقال : لو دخل رجل بستانا فيه من كل ما خلق اللّه من الأشجار وعليه كل ما خلق من الأطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته : السلام عليك يا ولى اللّه فسكنت نفسه لذلك كان فى يديها أسيرا .

وقال : إن فى النفس لشغلا عن الناس .

وقال : المغبون من فنيت أيامه بالتسويف ، والمغبوط من تمنى الصالحون مقامه ، وقال : وسئل حكيم متى يكون العالم مسيئا ، قال : إذا كثرت بقبقته وانتشرت كتبه وغضب أن يرد عليه شيء من كلامه .

وقال : احذر أن تكون ثناء منشورا وعيبا مستورا .

وقال : جاءنى أبو جعفر السماك وكان شديد الوله فوجد حولى جمعا فوقف ولم يقعد ، ثم نظر إلىّ فقال : صرت مناجيا للبطالين فكره اجتماعهم حولى .

وقال : الشكر أن لا يعصى اللّه فى نعمه .

وقال : من ذكرنى بسوء فهو فى حل إلا رجلا تعمدنى بشئ يعلم منى خلافه .

وقال : من الناس من لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ، ولا أحسبنى إلا منهم ، وقال : الشوق والأنس يرفرفان على القلب فإن وجدا فيه هيبة وإجلالا وإلا ارتحلا ، وقال : لولا الجمعة والجماعات سددت على نفسى الباب .

وقال : كيف يستنير قلب فقير يأكل من طعام قاضى أو من غش فى معاملته ؟.

وقال : من صغى إلى قول الناس عنه: إنه ولى فهو أسير فى يد نفسه ما برح ، وقال : ثلاثة من علامة سخط اللّه على العبد : كثرة الغفلة والاستهزاء بالناس والغيبة .

وقيل له : كيف الطريق إلى اللّه ؟ قال : إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام ، وإن أردت اللّه فاترك كلّ ما سواه تصل إليه ، وليس إلا المساجد والخراب ، وقال : لا تكمل محبة بين اثنين حتى يقول كل للآخر : ياأنا .

وقال : ما رأيت شيئا أحبط للعمل ولا أفسد للقلب ولا أسرع لهلاك العبد ولا أدوم لاضطراره ولا أقرب للمقت ، ولا ألزم لطريق الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفته بذنوبه .

وقال : الدنيا أفاعى قلوب العلماء ، وسحارة قلوب العباد والقراء .

وقال : كم أطبق أهل بلده على اعتقاده وهو من الهالكين .

وقال : قد توعرت طريق الصالحين وقل فيها السالكون وهجرت فيها الأعمال ، وقل فيها الراغبون ، وزهد الحق ودرس هذا الأمر ، فلا أراه إلا فى لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال ، وقد افترش الرخص وتمهد التأويلات واقتدى بذلك الهالكون .

وقال : من قام بين يدى اللّه فى الظلام نشرت له يوم القيامة الأعلام .
قال الغزالى : وأرسل السرى إلى أحمد بن حنبل شيئا فرده ، فقال له : احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ ، فقال : أعد على ما قلت ، ما رددت إلا لأن عندى قوت شهر فاحسبه عندك وأرسله بعد شهر .

وقال : قلوب العارفين معلقة بالسوابق وقلوب الأبرار بالخواتيم ، هؤلاء يقولون : بماذا يختم لنا ، وأولئك بماذا سبق من اللّه لنا .

وقال : من اشتغل بمناجاة اللّه أورثه حلاوة ذكره مرارة ما يأتى به الشيطان وقال : من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة .

وقال : الأدب ترجمان العقل ، واللسان ترجمان القلب ، والوجه مرآة القلب ، يتبين على الوجوه ما تضمره القلوب .

وقال : من أطاع من فوقه أطاعه من دونه .

وقال : التوكل الانخلاع عن القوة والحول .

وقال : رأس الأعمال الرضى عن الله ؛ وعمود الدين الورع ، ومخ العبادة الجوع ، وضبط اللسان حصن حصين ، ومن شكر الله جرى فى ميدان الزيادة .

وقال : صحبتُ شيخا فأقمت سنة لا أسأله عن شئ ، ثم قلت : ما المعرفة التى ما فوقها معرفة ؟ قال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شئ ، وأن ينمحى من سرك كل شئ ، قلت : وما يوصل إلى هذا ؟ قال : زهدك فيك ورغبتك فيه ، فكان كلامه سبب نفعى .

وقال : سمعت برجل بالجبل مجاب الدعوة فطلبته ، فإذا بخلق كثير من المرضى والعميان ينتظرون خروجه كل سنة مرة ليدعو فيشفوا ، فخرج فدعا لهم ورجع فتعلقت به وقلت : بى علة باطنة ، فقال : خل عنى يا سرى فإنه غيور لا يراك تُساكن غيره فتسقط من عينه .

وقال : اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، وألح فى المسألة عند وجل القلب ، وإياك والتسويف ، ومرض ولم ير عليه تغير فأخذ الجنيد بوله فذهب لطبيب نصرانى فتأمله ، وقال : بول عاشق فصعق الجنيد وأغمى عليه ، ثم أخبر السرى فقال : قاتله الله ما أخبره ؟ ما كنت أظن أن الحب يظهر فى هذا .

مات ببغداد سنة إحدى أو ثلاث وخمسين ومائتين ، وقال له الجنيد حال النزع : أوصنى بوصية أنتفع بها بعدك ، وقال : إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار ، أسند الحديث عن أبى بكر بن عياش ويزيد بن هارون وهشيم وغيرهم .

(٢٥١) سعيد بن إسماعيل

أبو عثمان الحيرى[١]

شيخ الجماعة ومقدم الطائفة إمام جليل وحبر نبيل ، عارف لا يحتاج نهار فضله إلى دليل ، أصله من الرى ونشأ بها ثم تحول إلى نيسابور فسكنها وسمع الحديث على الجماعة ، قال الخطيب : وكان مجاب الدعوة ، وقال أبو نعيم : كان بالحِكَمِ منطيقاً ، وللمريدين نصيحا شفيقا .

(ومن فوائده) من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى عليها نطق بالبدعة ، « وإن تطيعوه تهتدوا »[٢] وقال : لى أربعون سنة ماأقامنى الله فى حال فكرهته ، ولا نقلنى لغيره فتسخطته ، وقال : لا يكمل الرجل حتى يستوى عنده المنع والعطاء والعز والذل ، وقال : حق على من أعزه الله بالطاعة أن لا تذله نفسه بالمعصية وقال : أصل التعلق بالخير قصر الأمل وما دمت تتبع شهوتك وإرادتك فأنت مسجون فإذا فوضت أمرك إلى الله وسلمت استرحت ، وقال له رجل كنت أجد بقلبى حلاوة عند إقبال الليل والآن لا أجده ، وقال : لعلك سررت بشئ من الدنيا فذهبت بحلاوة ذلك ، وقال : اصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل ، فإن التعزز على الأغنياء تواضع لله ، والتذلل للفقراء شرف . وقال : من تفكر فى الدنيا وزوالها أورثه الزهد فيها ، ومن تفكر فى الآخرة وبقائها أورثه الرغبة فيها ، وقال : من أضر به الرجاء حتى قارب الأمن فالخوف له أفضل ، ومن أضر به الخوف حتى قارب اليأس فالرجاء له

---

(١) نسبة إلى الحيرة ، قرية من قرى نيسابور ، انظر نتائج الأفكار القدسية ١/١٤٤ ؛ انظر ترجمته فى حلية الأولياء ١٠/٢٤٤ ـ ٢٤٦ ؛ وصفة الصفوة ٤/٨٥ ـ ٨٨ ؛ والرسالة القشيرية ، ٢٥ ؛ ومرآة الجنان ٢/٢٣٦ ؛ والمنتظم ٦/١٠٦ ؛ ووفيات الأعيان ١/٢٥٥ ؛ وتاريخ بغداد ٩/٩٩ ـ ١٠٢ ؛ والسلمى ، ص ١٧٠ـ ١٧٥ ، وطبقات الشعرانى ٢/١٠١ ؛ والبداية والنهاية ١١/١١٥ ؛ والشذرات ٢/٢٣٠ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٤ .

أفضل ، وقال : طول العتاب فرقة وتركه حشمة ، وقال : الذكر الكثير أن تذكر اللّه فى سرك وتعلم يقينا أنك لا تصل لذكره إلا بعطائه وفضله ، وقال : علامة السعادة أن تطيع اللّه وتخاف أن تكون مردودا ، والشقاوة أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولا ، ومر بالطريق ومعه صحبه فوقع عليه رماد من كوة ، فهموا أن يكلموا أهل الدار فزجرهم ، وقال : من استحق النار فصولح على الرماد لا يغضب ، وقال : دخلت على رجل بيته فرأيت ثم حصيراً وكوزا مكسرا ، فكنت أنظر فى البيت ، ففطن الرجل فقال : العفاء خير من العافية ، وقيل له : بم يكون الرجل صادقا فى حب مولاه ؟ قال : إذا خلا من خلافه ، فبكى السائل ووضع التراب على رأسه ، وقال : كيف أدعى المحبة ولم أخل طرفة عين من خلافه ، فبكى الجبرى ، وقال : صادق فى حبه مقصر فى حقه ، وكان يوما واقفا على رأسه تلامذته أبو زكريا بالنخشبى ، وكان بينه وبين امرأة سبب قبل توبته فتفكر فى شأنها فرفع إليه رأسه ، وقال : ألا تستحى ، وخرج يوما فقعد فى موضعه الذى يقعد فيه للتذكير ، فسكت طويلا فقال له رجل : نرى أن تقول فى سكوتك شيئاً فأنشد :

وغيرى تقى يأمر الناس بالتقى   طبيب يداوى والطبيب مريض

فضج الناس بالبكاء ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل غير ذلك .

(٢٥٢) سعيد بن يزيد النباجى[١]

كان يعج من نفسه إلى ربه عجيجا ، ويشتاق إليه ساكنا أنينا وضجيجا ، وقد قيل : إن التصوف عرفان الحدود والحقوق ، ووجدان السكون والوثوق .

(١) نسبة إلى النباج ، قرية من بادية البصرة ، الأنساب ص ٥٥٢ ، وياقوت ، معجم البلدان ٥/٢٥٦ .

(ومن كلامه) : خمس خصال ينبغى للمؤمن أن يعرفها : معرفه الله ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله ، والعمل على السنة وأكل الحلال ؛ فإن من عرف الله ولم يعرف الحق لم ينتفع بالمعرفة ؛ وإن عرف الحق ولم يخلص لم ينتفع بالمعرفة ، وإن لم يكن على السنة أو لم يكن أكله حلالا لم ينتفع بالخمس .

وقال : إذا كان المطعم حلالا صفا له القلب فأبصر به أمر الدنيا والآخرة ، وإن كان من شبهة اشتبهت عليه الأمور بقدر المأكل ؛ وإن كان من حرام أظلم عليه أمر الدارين ، وإن وصفه الناس بالبصر فهو أعمى .

وقال : من وثق باللّه فقد أحرز قوته ، ومن حَيِىَ قلبه فقد لقى ربه .

وقال : القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من حركات الأعمال من نحو صلاة وصوم .

وقال : احذروا أن يغضب اللّه عليكم فيعطيكم الدنيا ، فإنه غضب على عبد من عبيده إبليس فأعطاه إياها .

وقال : قال موسى أى رب أين أجدك ؟ قال : إذا انقطعت إلى فقد وصلت ، وقال : لا شئ أقطع لظهر إبليس من قول ابن آدم : ليت شعرى بماذا يختم لى فعندها ييأس منه ويقول متى يعجب هذا بعمله .

وقال : إن أحببتم أن تكونوا أبدالا فأحبوا ماشاء الله ، وأوحى الله إلى موسى : ما استحثنى عبد لحاجته بمثل قوله : ما شاء اللّه ، وقال : ينبغى أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا ، وقال : ما بقاء عمر تقطعه الساعات ؟! وسلامة بدن معرض للآفات ، وقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو سبيله إلى الثواب وما أرانا إلا سيدركنا الموت ونحن أبق .

وقال : من خطرت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله حجب عن الله .

وقال : أصل العبادة ثلاث ؛ لا ترد من أحكامه شيئا ، ولاتدخر عنه

شيئًا ؛ ولا تسأل غيره حاجة .

وقال : إن أعطاك أغناك وإن منعك أرضاك ، وقال : إذا ذكرت قوله الوهاب فرحت بها .

وقال : من جعل الله المعرفة عنده يتنعم فى كل أحواله .

وقال : لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلا لأن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى .

وقال : من عمل لله على حبه أشرف ممن عمل على خوفه .

وقال : إنما ذكر الله درجة الخائفين وأمسك عن درجة المحبين لأن القلوب لا تحتمل ذلك .

وقال : لو جعلت لى دعوة مستجابة ما سألت الفردوس ، وإنما أسأل الرضى فهو تعجيل الفردوس فى الدنيا .

وقال : قال يونس عليه السلام :يا رب أرنى أحب خلقك إليك فدفع إلى رجل أكلت محاسن وجهه ولم يبق إلا عيناه ، فقال يونس لجبريل : هذا الأحب ؟!! قال : نعم وقد أمرت أن أسلب عينيه فسلبهما ، فقال الرجل : الحمد لله متعتنى ببصرى ثم قبضته وأبقيت فى الأمل فيما عندك فلم تسلبنيه .

وقال : إنما سميت الصلاة لأنها اتصال بالله وما أحسب أن أحدا يكون فى صلاة فيقع فى سمعه غير مايخاطبه الله ، وقال : من استعجلت عليه شهوته انقطعت عنه مواد التوفيق .

وقال : من أكل من الشهوات والتبعات وردت عليه البليات .

وقال : الغفلة عن الله أشد من دخول النار .

وقال : ميراث الذكر لغير ما يوصل إلى الله قسوة فى القلب .

وقال : قال إبليس : من ظن أنه ينجو منى بحيلته فبعجبه وقع فى حبالى .

وقال : إذا دخل الغضب على العقل ارتحل الورع فكيف بمن لا عقل له ولا ورع يدخل عليه الغضب .

وقال : اشتهيت شيئا فرأيت فى المنام قائلا يقول : أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد ؟! وقال الحافظ أبو نعيم [١] : وكان له آيات باهرة وكرامات ظاهرة منها أن عاينا نظر إلى ناقته فسقطت تضطرب ، وكان غائبا فلما حضر وقف على العاين ، وقال : بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس ، رددت عين السائل عليه وعلى أحب الناس إليه فى كل تيه رشيق وفى ماله يليق ، ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ إلى قوله : ﴿ وهو حسير ﴾[٢] ، فخرجت حدقتا العاين وقامت الناقة .

(٢٥٣) سعيد بن العباس الرازى[٣]

الواثق بالوصول ، الناطق بالأصول ، التارك للفضول ، له البيان الشافى والكلام الكافى ، عمل فى تصفية الباطن ، وركن إلى لطيفة الضامن .

(ومن كلامه) : استعن بالله فإن جميع الشر حب الدنيا ، هل رأيت رجلا عصى الله فى التهاون والزهد فى الدنيا والرضى بالقليل ، احذر الدنيا وأهلها ومن يدعوك لها ، فإن محبها زعم بلسانه أنه يعبد ربه ، وهو يعبد هواه ، ودنياه بقلبه ونيته وغدوه ورواحه ، وطواعيته وغضبه ورضاه .

وقال : لا يسلم من الدنيا من سالمها .

وقال : العالم بالله الخائف ، يهدم بحق الله باطن أهل الرغبة فى

---

(١) فى حلية الأولياء ١٠/٢٤٩

(٢) سورة الملك : الأيتان ٣ ، ٤ .

(٣) حلية الأولياء ، ١٠/ ٢٣٦ .

الدنيا ، والعالم المغتر يطفئ نور الحق بظلمة الباطل .

وقال : إذا أراد الله أن يغنى فقيرا أو يفقر غنيا أو يرفع وضيعا أو يضع رفيعاً فعل ماأراد ، فلا يغالب الله على أمره .

وقال : باب الآخرة مفتوح فادخله تصل إلى رحمة الله وتكن فى كنفه وحفظه وولايته وستره وكفايته فإن الله لا يخلف الميعاد .

وقال : ليس بين الله وبين العباد وسيلة إلا طاعته ، وديان يوم الدين إنما يدين العباد غدا بأعمالهم لا بمنازلهم فى الدنيا .

وقال : قد كفيت مؤنة من بعدك فلا تتكلف مؤنته ، وقد جمع الناس قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا لهم ولا من جمعوا له .

وقال : ازهد فى الدنيا تجد لليقين نوراً وترى للترك فضلا وسرورا .

وقال : اختر القلة وارتع فى رياض المقلين تدرك ثمرة قلبك أما علمت أن النار حفت بالشهوات والجنة بالمكاره ؟ اختر ما اختاره المصطفى صلى الله عليه وسلم وادع إلى ما دعا إليه تكن لله وليا وللرسول أمينا وللمتقين إماما .

وقال : كن داعيا إلى الله بما دعا به رسوله ، والتمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين ، وليكن ذلك فى ترك دنياك لآخرتك .

وقال : اطلب حقيقة الإيمان تردك نفسك عن الدنيا ، واجهد نفسك على طلب الآخرة فإن الكيس من دان نفسه وعمل لآخرته ، وقال أبو نعيم : وله من كثرة الحديث مسانيد ، حدث عن الأعلام .

(٢٥٤) سمنون المحب بن حمزه الخواص[١]

إمام بالورع متصف ، عارف يقر له أهل الفضائل بالفضل وتعترف ، ناسك فى العرض زاهد ، صوفى نفعه على المريدين عائد ، وهو بصرى الأصل سكن بغداد ، وأخذ عن السقطى والقصاب والقلانسى سمى نفسه سمنون الكذاب لقوله .

وليس لى سواك حظ   فكيف ما شئت فاختبرنى

فحصر بوله فورا واستمر أربعة عشر يوما وعجز ، فسمى نفسه الكذاب ، وكان يطوف على المكاتب ويقول للأطفال ادعوا لعمكم الكذاب ، وكان يتلوى كالحية على الرمل ، وقال ابن عربى : لما أساء الأدب مع الله وأراد أن يقاوم القدرة الإلهية لما وجد فى نفسه من حكم الرضى والصبر ، ابتلى بذلك أذ مقاومة القهر الإلهى سوء أدب ، وما ابتلى عبده إلا ليضرع إليه ويسأله العافية ، والنفس مجبولة على طلب حظها من العافية ، فلما سأل هذا كان فى حكم العافية ، فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه ، ألا ترى إلى عالم العلماء وحكيم الحكماء كيف سأل العافية وأمر بها ؟ فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه وضعفه وفقره وفاقته انتهى ، وكان سمنون عظيم الشأن جدا ، حكى فى فواتح الجمال أنه كان إذا تكلم فى المحبة جعلت قناديل الشونيزية تجئ وتذهب يمينا وشمالا ، وفى الروض أنه تكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها من اضطرابها ، وقيل له : تكلم فى المحبة ، فقال : لا أعلم أحدا على وجه الأرض يستأهل الكلام فيها ، فوقع بين يديه طائر فقال : إن كان هذا وجعل يكلمه فى المحبة والطير يضرب بمنقاره الأرض حتى سال دمه واضطرب

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٠٩ ـ ٣١٤ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٤٠ ـ ٢٤٢ ؛ والرسالة القشيرية ، ٢٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٠٤ ؛ وتاريخ بغداد ٩/٢٣٤ ـ ٢٣٧ ؛ والبداية والنهاية ١١/١١٥ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١/١٥٩ ـ ١٦١ ؛ والسلمى ، طبقات ص ١٩٥ ـ١٩٩، والمنتظم ٦/١٠٨ .

ومات ، وقيل له : أنا نذكر الله ولا نجد فى قلوبنا حلاوة ، فقال : احمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بذكره .

(ومن فوائده) المحب لايعبر عن شئ إلا بما هو أرق منه ؛ ولا شئ أرق من المحبة فيما يعبر عنها .

وقال : أول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .

وقال : مضى الوقت فصار الوقت مقتا ، وقتك خراب وقلبك فى المحراب ، ومن كانت عبادته عنىً كانت ثمرته ضنىً .

وقال : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لحديث « المرء مع من أحب » .

وقال : إذا بسط الجليل فعند بساط المجد دخلت ذنوب الأولين والآخرين فى حاشية من حواشيه ، وإذا أبدى عينا من عيون الجود ألحق المسئ بالمحسن .

وقال : الفقير الصادق الذى يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر .

وسئل عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ، وعن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئا ولا يملكك شئ .

وكان جالسا على شاطئ دجلة وبيده قضيب يضرب فخذه حتى بأن عظم ساقه وتبدد لحمه وهو يقول : [1]

كان لى قلب أعيش به   ضاع منى فى تقلبه
رَبِّ فاردده على فقد   ضاق صدرى فى تطلبه
وأغث مادام بى رمق   ياغياث المستغيث به

(١) انظر السلمى ، المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

ومن نظمه من جملة قصيدة :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم　　تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
أديرت رؤوس المنايا عليهم　　فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى سكر
همومهم جوالة بمعسكر　　به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسادهم فى الأرض قتلى بحبه　　وأرواحهم فى الحجب نحو العلى تسرى
فما غرسوا إلا بقرب حبيبهم　　وما عرجوا عن مس بوس ولا ضر

مات بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومائتين

(٢٥٥) سهل بن عبد الله التسترى[١]

الشيخ الأمين ، الناصح المكين ، الناطق بالعقل الرصين ، من أعاظم المشايخ المشهورين ، ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله وأطلعه على عدد مريديه وأسمائهم وأنسابهم ، ومن يفتح عليه منهم ومن يموت قبل الفتح ، جبر تجمل الإسلام بوجوده ، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده ، وكان أوحد زمانه فى علوم الرياضات ، صحب خاله محمد بن سوار ولقى ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة ، وطبق الأرض من علوم الحقائق فحسده فقهاء بلده فقاموا عليه ونسبوه إلى عظائم وقبائح بسبب قوله التوبة فرض على العبد فى كل نفس ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة ، فمات بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة ، وهو ابن عشر فيحسن الإجابة ، وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يوما ، وإذا دخل رمضان يأكل أكلة واحدة فى أول ليلة منه ثم يطوى بقيته

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩ - ٢١٢ ، وصفة الصفوة ٤/٤٦ - ٤٩ ؛ والرسالة القشيرية ، ١٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٩٠ ؛ ووفيات الأعيان ١/٢٧٣ ؛ واللباب ١/١٧٦ ؛ والمنتظم ٥/١٦٢ ؛ ومرآة الجنان ٢/١٤٨ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ؛ والسلمى ، ٢٠٦ - ٢١١ ؛ والشذرات ٢/ ١٨٢ .

لكنه يفطر كل ليلة على الماء القراح أو على زبيبة ليخرج عن الوصال المنهى عنه ، وكان يكفيه لطعامه فى السنة كلها درهم ، وإذا جاع قوى وإذا شبع ضعف ، وكان إذا دخل عليه ضعيف يأكل معه وإن لم يكن له شهوة إلى الأكل ذلك الوقت ، وكان يسمع القرآن وغيره فلا يتحرك ، فلما كان أواخر عمره صار يتواجد ويقول : ضعفنا واللّه عن التحمل ، وصار واردنا أقوى منا ، وكان يطوى ثلاثين وأربعين ، وقيل سبعين ليلة لا يأكل شيئا ، وقال الغزالى : وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو المغربى ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، وإبراهيم التيمى وحجاج بن قراقص ، وحفص العابد المصيصى وزهير وسليمان الخواص وإبراهيم الخواص ـ كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة ، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت أى كوشف ببعض الأسرار الإلهية انتهى ، قال ابن عربى : وكان بدأ سهل فى هذا الطريق سجود القلب وكم من ولى كبير الشأن طويل العمر ، مات وما حصل له سجود القلب ولا علم أن للقلب سجودا مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها ، فإن سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجدته ، فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التى تتفرع منها أقدام كثيرة ، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال ، ولهذا سمى قلبا ، وصاحب هذا المقام وإن تقلبت أحواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب ، ولهذا لما رأى سهل فى ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع ، فبقى حائراً فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدا يعرفها ، فإنهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق ، فقيل له : إن فى عبادان شيخا معتبرا لو رحلت إليه ؟ ففعل ، فقال له : أيها الشيخ أيسجد القلب ؟ فقال إلى الأبد ، فوجد شفاءه عنده فلزم خدمته ، فالله تعالى يؤتى ما شاء من علمه من يشاء من عباده ، ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾[1]

---

(١) سورة غافر : الآية ١٥ .

(ومن فوائده) الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا انتبهوا ندموا لم ينفعهم الندم .

وقال : من الأولياء من إذا مر على قوم عصاة فسلم عليهم أو سلموا عليه فرد غفر اللّه لهم جميع ذنوبهم وأمنهم من عذابه ، ومنهم من لا تأكل النار من جالسهم ولو لحظة أو حضر جنازتهم . وقال : الصبر عن النساء خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ؛ وقال المستمع عن المعنى الذى استمع لأجله لأنه من الأسرار التى تقصر عنها العبارات ، وسئل عن ذات اللّه فقال : ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا . وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولاحلول وتراه العيون فى العقبى ظاهرا فى ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ، ينظر اليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ؛ ولا أدراك نهاية .

وقال : الجاهل ميت والناسى نائم والعاصى سكران ، والمصر هالك ،

وقال : ما من ساعة إلا واللّه يطلع فى القلوب ، فأى قلب وجد فيه غيره سلط عليه العدو ، وقال : التائب من يتوب من غفلته فى كل لمحة .

وقال : لا يستحق الرجل الرئاسة على الناس إلا إن احتمل أذاهم ، وبذل لهم ما بيده ، وزهد فيما بيدهم .

وقال : دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات ، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر .

وقال : لا يرى فى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام والأقتداء بالمصطفى صلى اللّه عليه وسلم فى أكله ، وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا .

وقال : لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل .

وقال : جعل العلم والحكمة فى الجوع وجعل المعصية والجهل فى الشبع .

وقال : ما عبد اللّه بشئ أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال ، وقد قال فى الحديث « ثلث للطعام » فما زاد فإنما يأكل من حسناته .

وقال : إنما صار الأبدال أبدالا بإخماص البطون والصمت والسهر والخلوة .

وقال : رأس كل بر بين السماء والأرض الجوع ، ورأس كل فجور بينهما الشبع .

وقال : إقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله .

وقال : لو كانت الدنيا دما غبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكله عند الضرورة بقدر القوام فقط .

وقال : من انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر فقد ضيع حاله .

وقال : من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة وسماع كلام أهل الغفلة ، وكل عالم خاض فى الدنيا فلا تُصْغِ لقوله بل يتهم فيما يقول ؛ لأن كل أنسان يدفع ما يوافق محبوبه .

وقال : أصول طريقنا سبعة ، التمسك بالكتاب والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذى وتجنب المعاصى والتوبة وأداء الحقوق .

وقال : من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو جاهل به .

وقال : قد أيس علماؤنا من ثلاث ، لزوم التوبة ومعانقة السنة وترك أذى الناس .

وقال : العيش أربعة ، عيش الملائكة فى الطاعة والأنبياء فى العلم وانتظار الوحى والصديقين فى الاقتداء ، وسائر الناس فى الأكل والشرب كالبهائم .

وقال : الولى من توالت أفعاله على الموافقة .

الله سوء المطعم وأذى الخلق .

وقال : ما دامت النفس تشتهى المعصية فلا يصل للقلب شئ من نور الطاعة ، فأدبوا أنفسكم بالجوع والعطش .

وقال : حياة القلب الذى يموت بذكر الحى الذى لا يموت .

وقال : علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف أحدا دون الله ، وسئل عمن لا يأكل أياما أين يذهب لهب جوعه ، فقال يطفئه نور القلب . .

وقال : كل عبد يفعل طاعة أومعصية بغير اقتداء فهو عيش النفس ، وكل فعل يفعله باقتداء فهو عذاب على النفس ، وكان يداوى الناس ، ولا يداوى نفسه من الأمراض فعوتب فيه ، فقال : ضربة الحبيب لا تؤلم .

وقال : لا تفتش عن مساوىء الناس ، ومعرفة أخلاقهم ، ولكن فتش عن أخلاق الإسلام وما حالك فيه حتى يعظم قدره فى نفسك وتجتهد فى التلبس بتلك الأخلاق .

وقال : إن الله قال لآدم : أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجى غير فضلى وخاف غير عدلى لم يعرفنى .

وقال : ماأعطى عبد شيئا أفضل من علم يزداد به يقينا وافتقاراً إليه .

وقال : من طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان . قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾[1] .

وقال : البلوى قسمان ، بلوى رحمة وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره وفاقته إليه تعالى وترك تدبير نفسه واختياره ، وبلوى العقوبة تبعثه على اختيار نفسه وتدبيرها .

وقال : الابتلاء كالمرض يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت ، ويمرض

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٣ .

وقال : خلق الله الخلق ولم يحجبهم عنه فجاءهم عنه الحجاب عن تدبيرهم ، واختيارهم معه ، وذلك هو الذى كدر عليهم عيشهم .

وقال : مخالطة الفقير للناس ذل وبعده عنهم عز .

وقال : ما من ولى صحت ولايته إلا يحضر إلى مكة كل ليلة جمعة لا يتأخر .

وقال : اجتمعت برجل من أصحاب المسيح عليه السلام فرأيت عليه جبة صوف فيها طوارة ، وقال : لهذه من أيام المسيح سبعمائة سنة ، فعجبت فقال : الأبدال لا تخلق ثيابهم ، وإنما يخلقها رائحة الذنوب ومطاعم السحت ، ولذلك قيل : إن للخضر عليه السلام إزاراً ورداء لا يبليان ولا يخلقان .

وقال : إذا أصابتكم مصيبة فلا تقولوا : أخ فإنه اسم الشيطان وقولوا : آه فإنه اسم الرحمن ، وكذا وه فإنه مقلوب هو .

وقال : إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده ؛ لأنه لم يرضها لهم ، وقال : إياكم ومعاداة من أشهره الله بالولاية : فإنه كان بالبصرة ولى فعاداه أهلها وآذوه فغضب الله عليهم فهلكوا أجمعين فى ليلة .

وقال : طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه ربما استدرك ما فاته من الطاعة وإن لم يستدرك شفعوا فيه لأنهم أهل فتوة .

وقال : الدنيا حرام على صفوة خلق الله لايتناولون فيها إلا بقدر الضرورة .

وقال : إذا قام عبد بما يجب لله عليه قام اللّه بما يجب عليه من الحقوق .

وقال : من لم يكن مطعمه من حل لم يكشف عنه حجاب .

وقال : أعظم ما يحجب به العبد عن مشاهدة الملكوت وعن دخول حضرة

آخر ساعة فيموت .

وقال : مانظر واحد إلى نفسه فأفلح ولا ادعى لنفسه حالا فتم له ، والسعيد من صرف نفسه عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل والإفضال ، ورؤية منة اللّه عليه فى جميع الأفعال .

وقال : السرور باللّه هوالسرور ، والسرور بغيره هو الغرور .

وقيل له : ما القوت ؟ قال : ذكر الحى الذى لا يموت ، قال : هذا قوت الأرواح فما قوت الأشباح ، قال : دع الدنيا لبانيها إن شاء عمرها ، وإن شاء خربها ، وفى رواية عنه قيل له : ما القوت ؟ قال : اللّه ؟ قيل له : سألناك عن قوة هذا الجسد ، قال : اللّه الذى به يقوم كل شىء ، فلما ألحوا قال : ما لكم وله دع الديار إلى مالكها وبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها ، ويقول : ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الشكل الخاص ، فلابد تشتغل بما هو عين حياتها ووجودها وأى بيت أسكنها فيه سكنته .

وقال : ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب .

وقال : أصفى ما يكون ذكرى له إذا كنت محموما .

وقال : التوكل الاسترسال مع اللّه على ما يريد .

وقال له رجل : دخل لص دارى وأخذ متاعى ، فقال : اشكر اللّه لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ .

وقال : العلوم ثلاثة ، علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر وعلم باطن لا يظهر إلا لأهله خوف الفتنة ، وعلم بين العبد وربه يستحيل إظهاره لأحد من الخلق ، وسئل عن الاسم الأعظم ، فقال : أرونى الأصغر أريكم الأعظم ، أسماء اللّه كلها عظيمة ، أصدق ، وخذ أى اسم شئت يفعل معك .

وقال : من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا

يعمل إلا فى سنة أو ضرورة .

وقال : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم .

وقال : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف ، الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين .

وقال : المرء يعصى الله مائة سنة ثم يطيعه ويختم له بخير وينجو ، وآخر يتكلم بكلمة فى ساعة فتجره للكفر ، فيهلك ومن ذلك عظم الحذر واشتد البلاء وأصله حديث « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة » إلى آخره ، وقال : الغضب أشد على البدن من المرض لأنه إذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل من المرض ، ولهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لاتغضب»(١) وكرره ، وقال : الفرح كله فى تدبير الله لعباده .

وقال : ليس بين العبد حجاب أغلظ من الدعوى ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار ، ونحوه قول البسطامى : نوديت فى سرى خزائننا مملوءة من الخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار .

وقال : أول دلائل المحبة دوام ذكر المحبوب ، ولا يستقر ذلك فى صميم القلب إلا بعد أن يكون التصديق والتحقيق زاده ، أوالتسليم والرضى مراده .

وقال : من ثقلت عليه الوحدة فهو بعيد من باب الله .

وقال : من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية . وقال : لما دخلت البصرة وجدت بها أربعة آلاف يتكلمون فى علم المعرفة .

وقال : من تمام المحبة أن تحب ما يحبه حبيبك وتكره ما يكرهه . وقال : دع التدبير والاختيار لله الواحد القهار فإن تدبير الخلق لأنفسهم هو

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ، والبخارى والترمذى عن أبى هريرة ، والحاكم فى مستدركه عن جارية بن قدامة .

المكدر لعيشهم .

وقال : من علم أن الله قريب منه فقد بعد عن كل ما سواه .

وقال : من أسلم قلبه لله تولى اللّه جوارحه .

وقال : إن اللّه خجب عقول الخلق بحجب لطيفة ، فحجب العلماء عنه بالعلم ، والزهاد بالعمل ، والحكماء بلطائف الحكمة ، أما العارفون فأسكن قلوبهم من نور معرفته فلم يحجبهم بشئ .

وقال : يا مسكين ، كان الله ولم تكن ويكون اللّه ولا تكون ، فلما كونك اليوم صرت تقول أنا وأنا !! كن الآن كما كنت قبل تكوينك ، واعرف فاقة نفسك وحقارتها ونزلها منزلتها من الذلة والاحتقار .

وقال : الهجرة فرض إلى يوم القيامة ، من الجهل إلى العلم ومن النسيان إلى الذكر ، من المعصية إلى الطاعة من الإصرار إلى التوبة ، وقال : ليس خوفنا من النار ولا رضاؤنا للجنة بل خوفنا من الحجاب ومطلبنا لقاء اللّه ،

وقال : طوبى لمن عرف الحق وأهله فإنه يتدارك ما فرط منه فإن لم يتدارك كانوا له شفعاء . وقال : الدنيا حرام على صفوة اللّه من خلقه ؛ لأن صيد الحرم حرام على المحرم .

وقال : أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما بمحمود .

وقال : أجمع العلماء على تفسير العافية بأن لا يكل اللّه العبد إلى نفسه وأن يتولاه ، وهو قول المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : « لا تكلنى إلى نفسى » .

وقال : الأنفاس معدودة فكل نفس يخرج بغير ذكر اللّه فهو ميت .

وقال : يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم ، فمن كان أغزر يقينا كان من دونه فى ميزانه ، وأدنى مراتب اليقين الثقة باللّه وأدنى مراتب التوكل

ترك الأختيار .

وقال : أنما منع الله الغافلين لذة مناجاته لأنه لم يرض عقولهم لمعرفته . ولا أبدانهم لخدمته فأذلهم وجعلهم عبيدا للدنيا .

وكان يقول : الرجل من يصلى فى فلاة فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم .

وقال ابن عربى : وأنا أقول : الرجل من يصلى فى فلاة فينصرف بالحال الذى هو فى صلاته فلا ينصرف معه أحد من الملائكة فإنهم لا يعرفون أين يذهب وهؤلاء هم رجال الغيب انتهى ،

وقال : صعدت جبل قاف ورأيت سفينة نوح مطروحة فوقه ، وقال لله عبد يرفع رجله وهو بالبصرة فيضعها على جبل قاف .

وقال : أعمال البر كلها فى صحائف الزاهدين ، وقال اليافعى : هذا فى نهاية التحقيق فإن أهل الدنيا يخرج بعضهم عن بعض بماله فى عمل البر ، والزهاد خرجوا عن الكل لله وجمعوا بين العبادة البدنية والقلبية والمالية .

وقال : لى أربعون سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم .

قال القيصرى : هذه كلمة شأنها عظيم قليل من يفهم حقيقته فإن فهمت فاحمد الله وإلا فسلم كل صنعة لأهلها ولا تنكر مالا تفهم تخسر أول أنصبة المؤمنين وهو التصديق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال : تحاججت أنا وإبليس فى القضاء والقدر من طلوع الشمس للغروب فكان من آخر ما قاله لى : هل أنا شئ ؟ قلت : نعم ، قال : قال تعالى ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾[1] فبأى دليل لا تنالنى الرحمة ؟ فأوقفنى وغضضت وولى ، فتدبرت الآية فرأيته عقبها بقوله ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾[1] فصحت

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .

به إرجع أجبك ، فرجع متبسما ، فقلت : قد خرجت بقوله : فسأكتبها الآية ، وقال : ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل إلى ماأرى ؛ ليتك سكت ، من أين أعطيت أنى لاأتقى وقد غيانى بيوم الدين وانتفاع أهل الأعراف بسجدتهم ، هناك أطمعنى فى قبول توبتى ، وأيضا أما علمت أن التقييد صفتك لا صفته ، قال : إن آخذ عنه طريق المعرفة ، كان له تلميذة لها ولد فأخبره بأنه غرق فدخل عليه فتكلم فى الصبر والرضى ، فقالت : ما تريد بهذا ؟ فقال : ابنك غرق ، قالت : ما غرق ، فقوموا فقاموا معها حتى انتهى إلى النهر ، فقالت : أين غرق ؟ قالوا هنا ، فصاحت به فأجابها ، فنزلت فأخذت بيده ومضت به فبهت الحاضرون ، فقال السرى : إن المرأة مراعية لما للّه عليها ، وحكم من كان مراعيا لذلك أن لاتحدث حادثة حتى يعلم بها ، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بشئ ، فأنكرت أن ربها ما فعل ذلك .

(ومن كراماته) أنه حصل له فالج آخر عمره ، فكان إذا حضرت الصلاة زال عنه فإذا فرغ منها عاد إليه ، ومنها احتاج فى سياحته إلى الوضوء وفقد الماء ، فاغتم فأتاه دب بجرة خضراء مملوءة ماء فوضعها بين يديه وانصرف ، منها أن رجلا دخل إليه يوم جمعة قبل الصلاة فرأى فى بيته حية عظيمة فوقف ، فقال : ادخل لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شئ يخافه . ثم قال : هل لك فى صلاة الجمعة ، فقال بيننا وبين الجامع مسيرة يوم ، فأخذ بيده فأدخله إليه فورا فصليا ثم خرج ينظر الناس خارجين ، فقال : أهل لا إله إلا اللّه كثير ، والمخلصون منهم قليل ، وكانت السباع يأتونه زائرين ، وعنده بيت يسمى بيت السباع فينزلهم فيه ويضيفهم باللحم جهارا ثم يأذن لهم بالأنصراف ، وقال له تلميذه عبد الرحمن بن أحمد : ياسيدى وبِمَ أتوضأ ؟ فالماء الذى يسيل من أعضائى يصير قضبانا من الذهب والفضة ، فقال له : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة يشتغلون بها ، وسأله رجل الصحبة ، فقال : إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبنى .

وله ذكر عظيم الشأن جربه أهل العرفان ، وقال ابن عربى : دخلت به الخلوة ففتح لى به فى ليلة واحدة ، وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة ، ومن أكثر ذكره حبب إليه الطاعات وبغضت إليه المنكرات ، قال بعضهم : ومن تعلق به لم يعجزه شئ من الموجودات ، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو فى فراشه وجد له حلاوة فى سره وهو هذا ، والله معى ، الله ناظر إلى ، الله شاهد على ، وحكى عن نفسه أنه فى بدايته توضأ للجمعة وذهب للجامع فوجده امتلأ بالناس والخطيب يخطب ، فتخطى الرقاب حتى وصل للصف الأول فقعد فأخذته حرقه البول فأكربه وقد قربت إقامة الصلاة ، وبجنبه شاب لا يعرفه فالتفت إليه ، وقال : يا سهل أخذك البول ثم نزع بردته عن منكبه وغشاه بها وقال : اقض حاجتك وإسرع إلى الصلاة ففتح عينه فإذا بباب مفتوح فدخله فإذا بقصر ونخلة بجنبها مطهرة فأراق الماء وتوضأ ، فنزع الشاب بردته عنه فإذا هو قاعد فى محله ولم يشعر به أحد . وله تصانيف نفيسة منها رقائق المحبين ومواعظ العارفين وجوابات أهل اليقين وغير ذلك ، مات سنة ثلاثة وثمانين ومائتين ، عن ثلاث وثمانين سنة .

(٢٥٦) سهل بن عبد الله الفرحان الأصبهانى[١]

صوفى دينه متين ، ولسانه بدوام الذكر غير ضنين ، وعلمه مقرون بالإخلاص ، ونفسه مجتهدة فى تحصيل الزاد ليوم الإشخاص ، وكان مجاب الدعوة ، لقى الأنطاكى وابن أبى الحوارى وغيرهما ، وأقام بالثغر مدة وكتب بمصر والشام الحديث الكثير .

(وله كرامات كثيرة) منها أنه دخل الحمام للتنظيف فرأى بعض العورات مكشوفة ، فسأل ربه أن يكفيه أمر التنظيف ودخوله الحمام ، فسقطت

---

(١) طبقات الشافعية ، والنبهانى ٢/٣٤ ـ ٣٥ .

شعرته حالا ولم تنبت بعد دعوته ، وكان له شجرة جوز تحمل كل سنة كثيرا فسقط عنها رجل ، فقال : اللهم أيبسها فيبست فورا وله من هذا كثير ، وأما حاله من إدمان الذكر والمشاهدة والحضور والتعرى من حظوظ النفس ، والمسامرة والموافقة والتبرى من رؤية الناس والمخالطة فشائع ذائع ، وهو أول من حمل من علم الشافعى مختصر حرملة[١] فاستعظم ذلك الناس وآذوه كثيرا ، فصبر على أذاهم حتى مضى حميدا ، مات سنة ست وسبعين ومائتين .

حرف الشين المعجمة

(٢٥٧) شقران المغربى[٢]

شيخ ذى النون المصرى عارف ظهر ضياؤه ، وطاب ذكره وثناؤه ، كان ذا أحوال باهرة ومقامات فاخرة .

(ومن كلامه): إن لله عبادا خرجوا إليه بإخلاصهم ؛ وشمروا إليه بنظافة أسرارهم ، فأقاموا على صفاء المعاملة ، وبادروا إلى استماع كلامه بحضور أفهامهم ، فعند ذلك نظر إليهم بعين الملاحظة فأجزل لهم المواهب ، وحفت لهم منه العطايا ، فشموا روائح القرب من قربه ، وهبت عليهم رياح اللقاء من تحت عرشه ، فتطايرت أرواح قلوبهم إلى ذلك الروح العظيم ثم نادت لا براح ، وقال : ألا خل خدوم !! ألا صديق يدوم ، ألا حليف وداد ، ألا صحيح اعتقاد ، أين من استراح قلبه بحب الله ؟ أين من ظهر على جوارحه نور خدمة الله ، أين من عرف الطريق ، أين من نظر بالتحقيق ، أين من سقى فباح ، أين من بكى وناح ؟ أولئك تحف بهم الملائكة بالليل والنهار ، وتسلم عليهم الحيتان من البحار .

(ومن كراماته) أنه أراد ليلة أن يغتسل فلم يجد ماء فلحظ إلى

(١) المختصر فى فروع الشافعية ، لأبى حفص حرملة بن يحيى المتوفى سنة ٢٤٣ .
(٢) شقران بن عبيد الله المغربى ، انظر السخاوى الحنفى ص ٣٧٠ ؛ والنبهانى ، ٤٢/٢ .

السماء ، وقال : اللهم قد عجزت عن الماء وانقطع رجائى من غيرك فاعطف على قلة حيلتى ، فسمع وقع الماء فى الإناء ، فقام إليه فوجده باردا ، فحرك شفتيه فإذا به قد سخن ، وكان لا يكلم الناس ولا يخرج من بيته إلا كل أربعين يوما مرة ، مات بمصر ودفن بالقرافة بقرب قبر عقبة[(١)] .

حرف الطاء المهملة

(٢٥٨) طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى[(٢)]

أشهر من أن يذكر ، وأعرف من أن يعرَّف ، كان نادرة زمانه حالا وأنفاسا وورعا وعلما وزهدا واتقاء وإيناسا ، وناهيك بقول الخوافى : هو سلطان العارفين ، و كان ابن عربى يسميه أبا يزيد الأكبر وهو القائل :

أريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للعقاب

وكل مآربى قد نلت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

فانظر إلى هذا النفس ماأسماه ! وإلى هذا المقام ماأسناه ، أوحشه السراج ليلة ، فقال لأصحابه : إنى أجد وحشة فى السراج ، قالوا : ياسيدنا استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدهر مرة واحدة فسقناه فيها مرتين ، فقال : اعرفوا البقال وأرضوه ، ففعلوا فزالت عنه الوحشة ، قال ابن عربى ، وكان حاله التجريد وعدم الادخار ، فقال يوما فقدت قلبى فاطلبوا البيت فوجدوا فيه معلاق عنب ؛ فقال رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه ، وذكر ،

---

(١) ويقال : إنه لم يمت بمصر بل مات بالقيروان ، وقبره بها إلى الآن بباب سالم ، مشهور مقصود بالزيارة ، انظر أبو الفضل بن ناجى ، معالم الإيمان فى التعرف برجال القيروان .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣٣ ـ ٤٠ ؛ وصفة الصفوة ٤/٨٩ ـ ٩٤ ؛ والرسالة القشيرية ١٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٨٩ـ ٩٠ ؛ ووفيات الأعيان ١/٣٠١ ؛ وميزان الاعتدال ١/٤٨١ ؛ والبداية والنهاية ١١/٣٥ ؛ ومرآة الجنان ٢/١٧٣ ؛ والشذرات ٢/١٤٣ ؛ والسلمى طبقات ٦٧ ـ ٧٤ .

أعنى ابن عربى ، أنه كان القطب الغوث فى زمانه حيث قال : من الأقطاب من يكون ظاهرا لحكم ويحوز الخلافة الباطنة من جهة المقام : كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وابن عبد العزيز ، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له فى الظاهرة كأبى يزيد انتهى ، وقال فى موضع آخر : أبو يزيد كان على قلب إسرافيل ، له الأمر ونقيضه ، جامع للطرفين ، وهذا المنصب لا يكون فى الزمان إلا لواحد فقط انتهى ، قال الذهبى : نقلوا عنه أشياء كبيرة الشأن فى صحتها منها « سبحانى » و « مافى الجنة إلا الله » « ما النار لا ستند إليها وأقول اجعلنى لأهلها فداء ولأبلغنها » ، « ما الجنة الا لعبة الصبيان » ، « هب لى هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم » ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول : قاله حال سكره انتهى ، قال ابن حجر بعد حكايته ذلك عنه ، قلت : أبو يزيد يسلم له حاله والله متولى السرائر انتهى ، ولما تكلم فى علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه فرموه بالعظائم ونفوه من بلدهم سبع مرات ، وهم فى كل مرة يختل أمرهم وينزل لهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه ، وكان إذا ذكر الله يبول الدم ، وصلى الجمعة فسمع الخطيب يقرأ ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾[1] ففرح فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر ، وقال : يا عجبا ! كيف يحشر إليه من هو جليسه ؟ فإن الله يقول : أنا جليس من ذكرنى ، والمتقى ذاكر الله ذكر حذر ، فلما حشر إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان من الحذر فرح بذلك ، قال ابن عربى : فكان دمع أبى يزيد دمع فرح لا دمع ترح كيف حشر منه اليه حتى حشر غيره إلى الحجاب ، قال وكان يحتج على مواجيده بالقرآن وما تقدم له به حفظ ومن لم يعط ذلك لم يحكم عليه بقبول ولا رد كاهل الكتاب إذا أخبرونا عن كتابهم بأمر لا نصدق ولا نكذب هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتركه موقوفا ، قال : أعنى ابن عربى ، قال بعض المحجوبين لأبى يزيد ، شربت شربة فلم أظمأ بعدها أبدا ، فقال أبو يزيد : الرجل

---

(١) سورة مريم : الآية ٨٥ .

من يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش فأشار إلى أن الحب شرب بلا رى ، قال ابن عربى : جربت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمر ما فإنه لا بد من وقوع ذلك المضروب به المثل ، كان أبو يزيد البسطامى يشير عن نفسه أنه قطب الوقت ، فقيل له يوما عن بعض الرجال أنه يقال فيه : إنه قطب الوقت ، فقال : الولاة كثيرون وأمير المؤمنين واحد ، لو أن رجلا شق العصا وقام ثائرا فى هذا الموضع وأشار إلى قلعة هناك وادعى أنه خليفة ، قتل ولم يتم له ذلك ، ويبقى أمير المؤمنين ، فما مرت إلا أيام حتى ثار فى تلك القلعة ثائر ادعى الخلافة فقتل وما تم له ذلك فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه ، وكان إذا رآه الناس يتمسحون بمرفقته تبركا فلاموه على ذلك ، فقال : هم لا يتبركون بى إنما يتبركون بخلعة ربى التى خلعها على ، وكان على قدم المسيح عليه السلام ، قتل نملة خطأ فنفخ فيها فأحياها خوفا من المطالبة ، وقال : أوقفنى الله بين يديه ، وقال : يا أبا يزيد بأى شئ جئتنى ؟ قلت : بالزهد فى الدنيا ، قال : إنما مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ، ففيم زهدت ؟! قلت : إلهى أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل إليك ، فقال : عند ذلك قبلناك ، وقال : وقفت مع العابدين فلم أر لى معهم قدما ، فوقفت مع المجاهدين فلم أر لى معهم قدما ، فوقفت مع المصلين والصائمين فلم أر لى معهم قدما ، فقلت : يارب كيف الطريق إليك ؟ فقال لى : اترك نفسك وتعال ، قال الخواص : فاختصر له الطريق بألطف كلمة وأخصرها ، فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه .

(ومن فوائده) التى لا تكاد تحصى ، سر فى ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التغريد وطر فى دار التغريد حتى تلحق وادى الديمومية ، وقال : ليس الرجل من يسير مع القافلة أنما الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها فى المنزل ، وقال : علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد ، ومبيته حيث أدرك ، وشغله بربه ، وجاء رجل بابه فدقه ، فقال : من تطلب؟ قال : ليس فى البيت غير الله ، وطرق طارق بابه ، وقال : هاهنا أبو يزيد ؟ فصاح إن أبا يزيد

فى طلب أبى يزيد منذ أعوام فما رآه ، يشير إلى ذهابه عن الخلق إلى الحق بلا رجوع ، وقال : أمر الله العباد ونهاهم فأطاعوا فخلع عليهم خلعا فاشتغلوا عنه بالخلع ، وأنى لاأريد من الله إلا الله ، وذكر عنده الزهد ؛ فقال : ماأهونه زهدت فى اليوم الأول فى الدنيا وما فيها ، وفى اليوم الثانى فى الآخرة وما فيها ، وفى الثالث فيما سوى الله ، وقرئ عليه « إن بطش ربك لشديد »(١) فقال : بطشى أشد ، ووجهه كما قال ابن عربى : إن بطش العبد معرى عن الرحمة فليس عنده حالة بطشه من الرحمة شئ ، وبطش الحق وجه فيه رحمة بالمبطوش به فهو الرحيم له فى بطشه ، وسئل من أين تأكل ؟ فقال :مولاى يطعم الكلب والخنزير ، أفترى أنه لا يطعم أبا يزيد ؟ وقال : انسلخت من جلدى فرأيت من أنا ؟ قال : السهروردى أشار إلى النفس الناطقة وصلى خلف إمام الجامع فلما سلم الإمام ، قال : ياأبا يزيد من أين تأكل ؟ قال : اصبر حتى أعيد صلاتى فإنك شككت فى رزق المخلوق ، ولا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرازق ، وقال : غلطت فى بدايتى فى أربعة توهمت أنى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما نظرت رأيت ذكره لى ومعرفته بى وحبه لى وطلبه إياى كان أولا حتى طلبته ، وقال : قلت يوما : سبحان الله فنادانى الخالق فى سرى هل فى عيب تنزهنى عنه ؟ قلت : لا يا رب ، قال : فتفسك نزه عن ارتكاب الرذائل ، فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتحلت بالفضائل فصرت أقول سبحانى ماأعظم شانى !! من باب التحديث بالنعمة ، وقال : ليس العالم من يحفظ من كتاب فإذا نسى ما حفظ صار جاهلا بل من يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الربانى ، وقال : إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذا الطريق فقل له يدعولك فإنه مجاب الدعوة ، وقال : قال لى الحق اخرج إلى خلقى بصفتى فمن رآك رآنى ، قال ابن عربى : هو ظهور صفات الربونية عليه ، ألا ترى خلفاء الحق فى العباد لهم الأمر والنهى والحكم والتحكم وهذه صفة الإله ، والسوقة

---

(١) سورة البروج : الآية ١٢ .

مأمور بالسمع والطاعة ؛ وقال : حظوظ كرامات الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم من أسم منها الأول والآخر والظاهر والباطن ، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، أو الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره ، أو الأول كان شغله بما سبق أو الآخر كان مرتبطا بما يستقبله .

وقال : أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . وقال ابن عربى : علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ، فبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن اللّه ، ألقاه فى صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم انتهى .

وقال : كنت فى حالة توهمت أنى وصلت إلى غاية الوصال ففاجأنى شيخ ، وقال : ياأبا يزيد نهايتك بداية القوم ، وقيل له : هل بلغت جبل قاف ؟ قال : جبل قاف ليس بغريب بل الشأن جبل كاف وجبل صاد وجبل عين ، هذه جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها .

وقال : رأيت الحور فى النوم فنظرت إليهن وقد سلب وقتى ، ثم رأيتهن فأعرضت عنهن فأنعم على بوقتى .

وقال : الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التى هى عين الكرامات كالمشى على الماء والهواء وطى الأرض وركوب السماء ، فإن أدعية الكفار تجاب والأرض تطوى للشياطين ، والدجال والهواء مسخر للطير ، والماء للحوت ، فمن أنعم عليه بشئ منها فلا يأمن المكر !

وقال : ما وجدت المعرفة إلا ببطن جائع وبدن عار.

وقيل له : حدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك ، فقال : دعوتها إلى اللّه فنكلت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة فأذعنت ،

وقال : إنما نالوا ما نالوا بتضييع مالهم وشهود ماله تعالى .

وقال : حركات الظواهر توجب بركات السرائر ، وقال : ليس العجب من حبى لك وأنا عبد ، بل من حبك لى وأنت ملك قدير ، وقال : لله عباد لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار .

وقال : لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أغسل فمى ولسانى إجلالا لله .

وقال له رجل : بلغنى أنك تمر فى الهواء ، فقال : أى عجب ! فيه طير يأكل الميتة يمر فى الهواء ، المؤمن أشرف من طير .

وقال : طلقت الدنيا ثلاثا وصرت إلى ربى وحدى فناديته : إلهى أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك ، فعلم صدقى فأنسانى نفسى بالكلية ونصب الخلق بين يدى مع إعراضي عنهم ،

وقال : فى الطاعات من الآفات ما لا يحتاج أن تطلبوا المعاصى .

وقال : ما دام العبد يظن فى المسلمين من هو شر منه فهو متكبر ، وسئل متى يكون الرجل متواضعا ؟ فقال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه .

وقال : للخلق أحوال ولاحال للعارف لكونه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره .

وقال : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزهده ، والعابد بعبادته ، والعالم بعلمه ، مسكين الزاهد لو علم أن الدنيا كلها سماها الله قليلا ما زهد فيها ، مسكين العالم لو علم أن جميع ماأوتيه من العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ مانظر لعلمه ، وقال : طوبى لمن كان همه هما واحدا ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه .

وقال : أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه .

وقال :أقرب الناس من اللّه أكثرهم شفقة على خلقه .

وقال : لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروضة .

وقال : العارف من لا يفتر عن ذكره ولا يمل من خلقه ولا يأنس بغيره .

وقال له رجل : علمنى الاسم الأعظم ، قال : ليس له حد محدود ، وإنما هو فراغ قلبك لوحدانيته ، فإذا كنت كذلك فارجع إلى أى اسم شئت تسير به من المشرق إلى المغرب .

وقال : الجوع سحاب فإذا جاع عبد أمطر القلب الحكمة .

وقال : إذا صفت لى تهليلة ما باليت بعدها بشئ .

وقال : إذا وقفت بين يدى ربك فاجعل كأنك مجوسى يريد قطع الزنار بين يديه .

وقال : دعوت الناس إلى الله أربعين سنة فما أجابونى فلما تركتهم ورجعت إليه وجدتهم قد سبقونى .

قال ابن عربى : فقيل له في هذا المقام : أيعصى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وقال ، أعنى ابن العربى : وهذا غاية فى الأدب حيث لم يقل نعم ، ولا لا ، وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضى الله عنه ، وكان يقول : الطريق تقتضى أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريده المختص به فإنه من فتوة أهل الطريق ، ومعرفته بالنفوس أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من أذاهم فى الدنيا فأول ما يشفعون فيمن أذاهم ، قال ابن عربى : هذا نصه ، وهو مذهبنا فإن الذين أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم ، فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند اللّه بما قدموه فى حق ذلك الولى .

وقال : الناس يفرون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لى : يا عبدى ،

فأقول : لبيك ، ثم بعد ذلك يفعل بى ماشاء .

وقال له رجل : دلنى على عمل أتقرب به إلى الله . قال : أحبب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر فى قلوبهم فلعله ينظر إلى اسمك فى قلب وليه فيغفر لك .

وقال : لو أذن لى فى الشفاعة لشفعت أولا فيمن آذانى وجفانى ثم فيمن برنى وأكرمنى .

وقيل له : شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ، فقال : صحيح لكن لا يفتح المفتاح إلا مغلاقا ، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء ، لسان بغير كذب ولا غيبة وقلب بغير مكر ولا خيانة وبطن بغير حرام ولا شبهة ، وعمل بغير هوى ولا بدعة ، وسمع رجلا يكبر فقال : مامعنى : الله أكبر ؟ فقال : أكبر من كل ما سواه ، قال : ليس معه شئ فيكون أكبر منه ، قال : فما معناه ؟ ، قال أكبر من أن يقاس بالناس أو يدخل تحت القياس ، أو تدركه الحواس .

وقال : لم أزل أسوق نفسى إلى الله وهى تبكى حتى ساقتنى إليه وهى تضحك .

وقال : خصصت رجالا فأكرمتهم فأطاعوك فلم يبلغوا ذلك إلا بك ، فكان رحمتك إياهم قبل طاعتهم جل جلالك ماأعظم شأنك ، وقال : لا يشكو قلب العارف وإن قرض بالمقراض ولا ييأس منه ولا يأمن مكره وإن نودى بالغفران .

وقال : هلاك الخلق فى شيئين ، ترك الحرمة ونسيان المنة ، وصلى ليلة فأضاء البيت كأنه نهار ، فقال : إن كنت شيطانا فأنا أمنع جانبا من أن يطمع فى ، وإن كان من عند الله فأسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى دار الكرامة .

وقال : حسب المؤمن أن يعلم أن الله غنى عن عمله

وقال : الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه

وقد نصحتك فاختر لنفسك المسكينة

وقال : ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكى ،

وقيل : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لى ولا مساء ، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة ولاصفة لى .

وقال : عرفت الله بنور صنعه وعرفت صنعه بنوره .

وقال : الدنيا للعامة والآخرة للخاصة ، فمن أراد أن يكون من الخاصة فلا يشارك العامة فى دنياهم ، وقال : إنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة فمن نظر فيها للآخرة نجا ومن شغل بها عن الآخرة أظلمت مرآته وهلك .

وقال : لا عقوبة أشد من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفه عين أشد من النار .

وقال : لا يكون العبد عاملا على معنى العبودية حتى تكون إرادته وأمنيته وشهوته تابعة لمحبة الله .

وقال : من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ، ومن نظر بعين الحقيقة عذرهم .

وقال : الدنيا لأهلها غرور فى غرور ، والآخرة لأهلها سرور فى سرور ، ومحبة ومحبة اللّه لأهل محبته نور على نور .

وقال : من اختار الدنيا على الآخرة غلب جهله علمه . وفضوله ذكره ، وعصيانه طاعته ، ودخل الجامع فوقف على فقيه فسئل عن رجل مات وخلف كذا فأخذ يصحح المسألة ويضرب الأعداد ، فصاح به : يا فقيه ما تقول فيمن مات ولم يخلف إلا اللّه ؟ فبكى القوم وأبكوا ، فقال : العبد لا يملك وإذا مات لا يخلف إلا مولاه كما كان أولا فإن آخره يرجع إلى أوله لأن أوله فرد ومعه الشهادة ، فإذا كان آخرة كأنه لم ير مع اللّه سواه ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما

خلقناكم أول مرة ﴾[١] .

وقال : إن لله عبادا لو بدت لهم الجنة بزينتها مع حجبهم عنه لضجوا منها .

وقال : أقمت عشرين سنة أكابد المجاهدة وأكافح المراقبة ولا أجسر أن ألبس مرقعة ولا أتظاهر بالطريق ، وقال : متى وجدت قلبك مستريحا ودمعك جامدا وعقلك حاضرا فأنت بعيد عن المحبة .

وقال : من أراده وفقه ، ومن أحبه قربه .

وقال : الفائز فى محشر الساعة ، من قام بأوامره وتلقاها بالسمع والطاعة ، وقال : معرفة العوام معرفة العبودية ، والربوبية والطاعة والمعصية والعدو والنفس ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة والإحسان والمنة والتوفيق ، ومعرفة خواص الخواص ، ومعرفة الأنس والمناجاة والتَّلطف ثم معرفة القلب ثم السر .

وقال : خلق اللّه الخلق لإظهار قدرته ، ورزقهم لإظهار جوده ، وأماتهم لإظهار قهره ويحييهم لإظهار عظمته .

وقال : محال أن تعرفة ثم لا تحبه ، وقال : حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شئ واحد وهو طلب العفو .

وقال : التوحيد اليقين ، واليقين معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم فعل اللّه ، وسئل ماعلامة العارف ؟ فقال ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾[٢] .

وقال : أمل الزاهد فى الدنيا الكرامات ، وفى الآخرة المقامات ، وأمل العارف فى الدنيا بقاء الإيمان معه وفى الآخرة العفو .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٣٤ .

وقال : اختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد .

وقال : لا يعرف نفسه من صحبته شهوته .

وقال : للّه عباد لو حجبهم عنه طرفة عين ثم أعطوا الجنان ما قبلوها .

وقال : كانت أمى لما حملت بى إذا قدم لها طعام حلال امتدت يدها له ؛ أو حرام انقبضت فالعناية من الأزل .

ورأى تفاحا أحمر فقال : هذا تفاح لطيف ، فقال : أما استحييت أن تضع اسمى على تمرة !! فنسى الاسم الأعظم أربعين يوما . وقال : حسبك من التوكل أن لا ترى لك ناصرا غيره ، ولا لرزقك رازقا غيره ، ولا لعملك شاهدا غيره .

وقال : الناس تظن أن الطريق أشهر من الشمس وأبين وأنا أسأل اللّه أن يفتح على منها ولو قدر رأس إبرة .

وقال : النفس تنظر إلى الدنيا والروح إلى الآخرة والمعرفة تنظر إلى اللّه فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين .

وقال : الغزالى قال أبو يزيد : رأيت الحق فى منامى ، وقال : سلنى ، قلت : وعزتك تعلم أنه ليس لى لسان يقدر على النطق الآن ؛ فقيل له : لم لا تسأله المعرفة ؟ فصاح وقال : اسكت المعرفة معرفتان معرفة حقيقة ، ومعرفة حق . أما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان والإيقان ، وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها ولا يحيطون بها علما ، وكان يعظ نفسه فيقول : ياأمارة بالسوء المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاث أو سبع ، وأنت منذ ثلاثين سنة ما طهرت فما تطهرين ، إن وقوفك بين يدى اللّه لابد منه فاجتهدى أن تكونى طاهرة .

وقال : كنت أظن فى برى لأمى أنى لا أقوم فيه لهوى نفسى بل لتعظيم

الشارع حيث أمر ببرها ، فكنت أجد فى نفسى لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم الحق عندى لا من موافقة نفسى ، فقالت لى فى ليلة باردة : اسقنى فثقل على وقمت بمجاهدة وجئتها بكوز فوجدتها نامت ، فوقفت به حتى انتبهت فناولتها وقد بقى فى أذن الكوز قطعة من جلد أصبعى لشدة البرد انقرضت فرجعت إلى نفسى ، فقلت لها : حبط عملك لكونك كنت تدعين النشاط فى عبادتك ورأيتك تثاقلت عن ذلك ، فعلمت أن كل ما نشطت فيه من عمل البر وفعلتيه لا عن كسل وتثاقل ، بل لذة فإنما هو لهواك لا لله ، وقال : أوقفنى الحق بين يديه مواقف فى كلها يعرض على المملكة ، فيقول : أتريد التحف ؟، قلت لا، قال الظرف ؟ قلت لا، قال الغرف ، قلت لا ، قال ماتريد ؟ قلت أريد أن لا أريد فإنك المراد ، وأنا المريد ، قال لى : أنت عبدى حقا .

وقال : ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى ثم الشوق حتى بلغت السماء ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى ، فنوديت يا أبا يزيد ما تريد ؟ قلت : أريد أن لا أريد .

وقال : قال لى الحق تقرب إلى بما ليس لى الذلة والافتقار ،

وقال : دخلت على أستاذى أبى على السندى وبيده جراب فصبها فإذا هى جواهر ، قلت من أين هذا ؟ قال : وافيت واديا فإذا هو يضئ كالسراج فملأته منه ، قلت : كيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى ؟ قال : الفترة عن الحال الذى كنت فيها .

وقال : مددت رجلى ليلة فى الظلام فى محرابى فهتف بى هاتف من يجالس الملوك لايجالسهم إلا بأدب .

وقال : عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنور الله .

وقال : إنما خلع الله على عباده ليرجعوا بها إليه فعكسوا واشتغلوا بها عن ، وقال : رأيت رب العزة فقلت يا رب كيف أجدك ، قال : اترك

سواه ، وقال الديلمى : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل ، فقال : إذا دخلت يدك فى فم التنين لاتخاف مع اللّه غيره ، فخرجت قاصدا أبا يزيد لأسأله فدققت عليه الباب ، فقال : أليس لك من قول عبد الرحمن كفاية ماجئت زائرا ، وقد أتاك الجواب من وراء الحجاب ، فلبثت سنة ثم قصدته ، فقال : مرحبا الآن جئت زائرا ، ودخل مدينة فهرع إليه جميع أهلها ، فقال : من هؤلاء ؟ قيل قوم رغبوا فيك ، فقال : اللهم إنى أسألك أن لا تحجب الخلق بك عنك فكيف تحجبهم عنك بى ، ثم صلى بهم الفجر والتفت ، فقال : إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون ، فتركوه وقالوا : مجنون مسكين ، وصحبه رجل من الشهود ثلاثين سنة مع الصيام أيامها وقيام لياليها ، فقال له : يا سيدى خدمتك وأطعتك ولم يظهر لى شئ مما يودع الحق قلوبكم ، قال : يا ولدى لو صمت وقمت ثلثمائة سنة ما تجد منها ذرة لأنك محجوب بنفسك منقطع برؤيتك طاعتك ، قال : دلنى على دواء ؟ قال : اذهب فاحلق لحيتك وانزع لباسك ، وعلق بعنقك مخلاة فيها جوز ، وقل للصبيان من صفعنى صفعة أعطيته جوزة ثم در الأسواق كذلك عند من يعرفك ، فقال : سبحان الله !! لمثلى يقال هذا ، قال : قولك فى معراض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك ، فسبحتها ، فقال : دلنى على غير ذلك ؟ فقال : لا دواء لك غيره ، وقيل له : بم وصلت إلى ما وصلت ، قال : جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت ، وأمر تلميذاً له فخالفه فلاموه ، فقال : دعوه فإنه سقط من عين الله فسرق فقطعت يده .

وقال أحمد بن خضرويه : رأيت رب العزة فى النوم فقال : يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد ! فإنه يطلبنى ، مات سنة إحدى وستين ومائتين . عن ثلاث وسبعين سنة . وقد أفردت ترجمته بتصانيف[1] حافلة وفى هذا القدر كفاية .

---

(١) انظر كتاب مناقب سيدنا أبا يزيد البسطامى ، المنشور ضمن كتاب شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوى ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٨ ـ ١٨٧ وما بعدها .

نفسك وتعال .

وقال : صفة العارف صفة أهل النار لا يموت ولا يحيى .

وقال : أولياء الله عرائس فى الدنيا والآخرة لايراهم إلا من كان منهم .

وقال : إنما لم يكن العارف صاحب حال لأن هويته قلبت فى هوية غيره ، وآثاره غيبت فى آثار غيره ، فالعارف طيار والزاهد سيار .

وقال : لو شفعنى الله فى كل أهل عصرى لم يكن عندى تكبر لأنه شفعنى فى قطعة طين ، وكتب إليه يحيى بن معاذ إنى سكرت من كثرة ما شربت من كأس المحبة ، فكتبت إليه هنا رجل يعنى نفسه شرب بحار السموات والأرض وما روى بعد ، وقال له فقيه : علمك هذا أخذته عن من ؟ قال : علمى من عطاه الله وعن اللّه ، ومن حيث قال رسوله « من عمل بما علم أورثه اللّه علم ما لم يعلم » وسئل الجرجانى عن الكلام المنقول عن أبى يزيد مما لا يفهم ، فقال : يسلم له حاله ، وأيكم يجاهد نفسه كما جاهد ، دعا نفسه يوما إلى عبادة فأبت ، فمنعها الماء سنة ، فجاهدوا وتفهموا إشاراته ، قال ابن معاذ : رأيته فى بعض مشاهداته كالغريق ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه من العشاء إلى الفجر ثم سجد عند السحر فأطال سجوده ثم قعد ، فقال : اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طى الأرض والمشى على الماء وركوب الهواء وانقلاب الأعيان ، وإنى أعوذ بك منها . ثم التفت فرآنى فقلت : يا سيدى حدثنى ، قال : أحدثك بما يصلح لك ، أدخلنى الحق فى الفلك الأسفل فذرونى فى الملكوت الأسفل فأرانيه ، ثم أدخلنى الفلك العلوى وطوف بى السموات وأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفنى بين يديه ، فقال : سلنى أى شئ رأيته حتى أهبه لك ، قلت : يا سيدى ما رأيت شيئا حسنا أسألك إياه ، فقال : أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن بك وأفعلن بك وذكر أشياء ، قال ابن معاذ : فهالنى ذلك ، وقلت : لم لم تسأله المعرفة ؟ قال : غرت عليه منى ، لا أحب أن يعرفه

(٢٥٩) الطيب بن إسماعيل الذهلى [١]

ويعرف بابن حمدون

كان من القراء الكاملين والزهاد الصالحين زهد وتحنث وأكثر الخلوة ، والتلاوة ، والصلاة ، والصوم حتى صفى قلبه وأشرق بأنوار المعارف لبه ، وصار من أصحاب الكرامات .

(فمن كراماته) أنه عمى ، فكان يقوده خادمه إلى المسجد فقال له : يوما ياأستاذ أخلع نعليك ، قال : لم ؟ قال : فيهما أذى ، فاغتم ورفع يديه فدعا بدعوات ومسح بها وجهه ، فأبصر حالا ، وصلى ليلة فأدغم حرفا فرأى نوراً قد تلبث به وهو يقول بينى وبينك الله ، قال : من أنت ؟ قال : الحرف الذى أدغمتنى ، فقال : لا أعود أبدا ، وكانت له صحيفة فيها مكتوب ثلثمائة من أصدقائه يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة ونام فقيل له : لم لاتسرج مصابيحك الليلة ؟ فقعد فأسرج السراج وأخذ الصحيفة ودعا لواحد واحد حتى فرغ .

حرف العين المهملة

(٢٦٠) عبد الرحمن بن عطية بن سليمان الدارانى [٢]

بنون بعد الألف الثانية ، ويقال بهمز بدل النون وبالنون أشهر وأكثر ذكره السمعانى ، وهو الإمام الكبير الشأن فى علوم الحقائق ، ومعانى بديع البيان ، ارتفع قدره ، وعلا ذكره حتى صار تشد إليه الرحال لإقامة شعار الدين ، ونصره

---

(١) النبهانى ٤٩/٢ .

(٢) حلية الأولياء ٢٥٤/٩ ـ ٢٨٠ ؛ وصفة الصفوة ١٩٧/٤ ـ ٢٠٨ ؛ والرسالة القشيرية ١٩ ؛ ووفيات الأعيان ٣٤٧/١ ؛ وطبقات الشعرانى ٩١/١ ؛ والشذرات ١٣/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٢٤٨/١٠ ـ ٢٥٠ ؛ ومرآة الجنان ٢٩/٢ ؛ والبداية والنهاية ٢٥٥/١٠ ـ ٢٥٩ ؛ ومعجم البلدان ، ٤٣١/٢ ؛ وطبقات السلمى ٧٥ ـ ٨٢ .

حزب الموحدين ، على حزب النفوس الأمارة والشياطين ، قال النووى فى بستانه : كان من كبار العارفين وأصحاب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، والحكم المتناظرة ، وهو أحد مفاخر بلادنا دمشق وما حولها.

(ومن فوائده) لا ينبغى لفقير أن يزيد فى نظافة ثوبه على نظافة قلبه ليشاكل باطنه ظاهره .

وقال : ليت قلبى فى القلوب كثوبى فى الثياب .

وقال : من صارع الدنيا صارعته ، وإذا سكنت الدنيا قلبا ترحلت منه الآخرة ، وقال : من أظهر الانقطاع إلى الله فقد لزمه خلع ما دونه من عنقه .

وقال : يا رب إن طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وإن طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك ، وإن جعلتنى من أهل النار أخبر أهلها بحبى إياك .

وقال : أقرب مايتقرب به العبد إلى الله أن يطلع على قلبه فيراه لا يريد أحداً غيره فى الدارين .

وقال : من أحسن فى نهاره كفى ليله ، ومن أحسن فى ليله كفى نهاره ، وقال : إذا بلغ العبد غاية الزهد أخرجه إلى التوكل .

وقال : كلما ارتفعت منزلة العبد كانت العقوبة إليه أسرع .

وقال : أسكنهم الغرف قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه ، لا يسأل عما يفعل .

وقال : القناعة أول الرضى ، والورع أول الزهد .

وقال : مفتاح الآخرة الجوع ، ومفتاح الدنيا الشره ، وأصل كل خير الخوف من الله .

وقال : هانوا عليه فعصوه ، لو كرموا عليه لمنعهم منها .

وقال : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا أبدا وإنما رجع من رجع من الطريق ، وإنما حرموا الوصول لتضييع الأصول ، ومن لم يتخلق لم يتحقق ، وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع والأدب مع الشرع واتباعه حيث سلك .

وقال : من عرف الدنيا عرف الآخرة ومن لم يعرفها لم يعرف الآخرة .

وقال : كيف يعجب عاقل بعمله ، وإنما عمله عطية من الله ونعمة منه عليه شكرها .

وقال : من أكل ليس أخاه لم يضره أكله .

وقال : إذا فتح لك بابا فالزمه .

وقال : من حسن ظنه بالله فقد فتح عليه باب الرحمة .

وقال : القلب كالمرآة إذا جليت لا يمر بها شئ إلا مثل فيها .

وقال : القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة ، فأى باب فتح له عمل فيه .

وقال : عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوى .

وقال : أحلى ما تكون العبادة إلى إذا لصق ظهرى ببطنى .

وقال : القلب إذا جاع وعطش صفا ورق ، وإذا شبع عمى وثار .

وقال : من شبع دخل عليه خمس آفات ، فقد حلاوة العبادة ، وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق لظنه أن الخلق كلهم شباع ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوة .

وقال : من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها .

وقال : الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية .

وقال : إن اللّه يفتح للعارف على فراشه مالا يفتح له وهو قائم يصلى .

وقال : ذهب المطيعون للّه بلذيذ العيش فى الدنيا والآخرة .

وقال : إذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد ، وإذا لذّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ ، والأمر الذى يفتح لك فيه الزمه .

وقال : من كان يومه مثل أمسه فهو فى نقصان .

وقال : إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، وإذا كانت فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأنها كريمة والدنيا لئيمة واللئيم يزاحم الكريم ولاعكس .

وقال : إذا تكلف المتعبدون أن لا يتكلموا إلا بالأعراب ذهب الخشوع من قلوبهم .

وقال : سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يقتلنى ، ولم أخف من الموت بل خفت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فسكت ، وسئل على النكاح ، فقال : الصبر عنهن خير من الصبر عليهن ، والصبر عليهن خير من الصبر على النار .

وقال : التوحيد يجد من حلاوة العمل ، وفراغ القلب مالا يجد المتأهل .

وقال : ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى .

وقال : ثلاث من طلبهن ، فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوجا ، أو كتب الحديث .

وقال : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفك فاحرزه ثم تعبد .

وقال : لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجل ترتفق به فى دنياك أو رجل

تنتفع به فى آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير .

وقال : إذا واخيت أخا فلا تعاتبه على ما تكرهه ، فإنك لا تأمن أن ترى فى جوابك ما هو شر من الأول ، قال الغزالى : جربته فوجدته كذلك ، وقال مرة أخرى : لا تعاتب أحدا من الخلق فى زمننا فإنه إن عاتبته أعقبه بأشد منه دعه بالأمر الأول ، وقال ابن أبى الحوارى : جربته فوجدته كذا .

وقال : أى شئ يزيد عليكم الفاسقون إذا كنتم إذا اشتهيتم شيئا أكلتموه .

وقال لأم هارون[1] : أتحبين الموت ؟ قالت : لا ، قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا مااشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه ، وقد عصيته . وقال : واحزناه على الحزن فى دار الدنيا ، وقال : إذا سماك الله باسم فكن عندما سماك وإلا هلكت ، وقال : كنت ذات ليلة بالمحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدى وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتنى عيناى ، فقيل لى وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى مكشوفة لوضعنا فيها ، فآليت أن لا أدعو إلا ويداى خارجتان .

وقال : إنما يحيى الوسواس وكثرة الرؤيا إلى كل ضعيف فإذا خلص انقطعت عنه الرؤيا ، وقال : وربما أقمت سنين لا أرى رؤيا ، وقال : العيال يضعفن اليقين .

وقال : ما رأيت صوفيا فيه خير إلا واحدا ، وقال : أوحى الله إلى داود أنذر صاحبك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنى .

وقال : إنما ارتفعوا بالخوف فإن ضيعوا نزلوا .

وقال : احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبيرها .

وقال : الرضى عن الله والرحمة للخلق درجة المرسلين .

---

(١) أم هارون الشامية ، أنظر ترجمتها رقم ٢٣٦ .

وقال : ما عمل داود عملا أنفع له من خطيئته ما زال خائفا حتى لحق بربه .

وقال : أرجو أن أكون رزقت من الرضى طريقا لو أدخلنى النار كنت بذلك راضيا .

وقال : كلما شغلك عن اللّه من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم .

وقال : إذا تعبد الرجل ثم ترك العبادة ، ثم عاودها لم يبلغ ما كان فيه أبدا ؛ لأنه دخلها ومعه آلةُ الخوف فلما عاد ، عاد وليست تلك الآلة معه .

وقال : الدنيا تطلب الهارب منها وتهرب ممن طلبها ، فإن أدركت الهارب منها جرحته وإن أدركها طالبها قتلته .

وقال : إنما يعجب بعمله من يرى له شركة حقيقة مع الله فى الفعل ، أما من يرى نفسه مستعملا بقدرة اللّه لا بقدرته فلا عجب عنده .

وقال : لو اجتمع الناس على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ماقدروا ، ومن رأى لنفسه قيمة لم يجد الحلاوة فى الخدمة ، واشتهى يوما رغيفا حارا بملح فأتاه به ابن أبى الحوارى فعض منه عضة ، ثم طرحه وبكى ، وقال : عجلت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى وشقوتى ، قد عزمت على التوبة ، فما أكل بعد ذلك ملحا حتى لقى الله ، وسئل بِمَ نال أهل المحبةِ المحبةَ من الله ؟ قال : بالعفاف ، وأخذ الكفاف .

وقال : اختلفت إلى مجلس قاض فأثر كلامه فى قلبى ، فلما قمت لم يبق منه شئ فعدت إليه فسمعته فبقى أثر كلامه بقلبى ثم رجعت إلى منزلى فكسرت آلات المخالفة ، ولزمت الطريق ، فحكى هذا ليحيى بن معاذ ، فقال : عصفور اصطاد كركيا ، وقال له ابن أبى الحوارى : صليت أمس صلاة فى خلوة فرأيت لها لذة ، قال : ما لذتك منها ؟ قال : كونى لم يرنى أحد ، قال : إنك لضعيف حيث خطر بقلبك ذكر الخلق .

(ومن كراماته الخارقة) ما ذكره فى التجليات أنه كان له تلميذ ، فقال : الق نفسك فى التنور وهو جمر يتوقد فألقى نفسه فيه فعاد بردا وسلاما ، وهذه نتيجة الوفاء ، روى الحديث عن جمع منهم سفيان الثورى وعنه ابن أبى الحوارى وغيره ، ولم تزل كلماته فى الطريق باقية وعزماته فى تربية المريدين راقية حتى مات سنة خمس عشرة ومائتين وقيل غير ذلك ، ورؤى فى النوم فقيل ما فعل بك ؟ قال : غفر لى وما كان على أشر من إشارات القوم .

(٢٦١) عبد الله بن خبيق الموصلى[1]

الكوفى أصلا ، الأنطاكى مسكنا ، صوفى نما روض تعففه ، وصفى مورد نضرته وتصوفه ، نعم وكان إماما علمه موصوف ، وصلاحه معروف ، وزهده مشتهر ، وسحاب عبادته منهمر ، ترفق بالصفاء وتحقق بالوفاء وتخرج عن ابن أسباط ، فأعرض عن الشبهات وأماط .

(ومن كلامه) : إن لم تخش أن يعذبك الله على أفضل أعمالك فأنت هالك .

وقال : رأس الأدب أن يعرف الرجل قدره .

وقال : أنفع الرجاء ما سهل عليك العمل .

وقال : أوحى الله إلى موسى : لا تغضب على الحمقاء فيكثر غمك .

وقال : وكان حبرا من أحبار بنى إسرائيل يقول : يا رب كم أعصيك ، ولا تعاقبنى !! فأوحى اللّه إلى نبى من الأنبياء قل له : كم أعاقبك وأنت لا تدرى ، ألم أسلبك حلاوة مناجاتى ، ؟ وقال : من عاتب نفسه فى مرضاة اللّه أمنه اللّه من مقته .

وقال : مكتوب فى الحكمة من رضى بدون قدرة رفعه اللّه فوق غايته .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨ - ١٨٩ ؛ وصفة الصفوة ٤/٢٥٤ ، والرسالة القشيرية ، ٢٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٩٧ ؛ وطبقات السلمى ١٤١ - ١٤٥.

وقال : أنت لا تطيع من يحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسئ إليك .

وقال : لا يستغنى حال من الأحوال عن الصدق وهو مستغن عنها كلها ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله حق الصدق اطلع على خزائن الغيب .

وقال : وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ، ولو أنسوا بربهم ، ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد .

وقال : طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب ، من أراد أن يعيش هنيئا فى حياته فليزل الطمع من القلب .

وقال : لا تغتنم إلا من شئ يضرك غدا ولا تفرح إلا بشئ يسرك غدا ، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصى ، وأطال منك الحزن على ما فاتك ، والزم الفكرة فى بقية عمرك .

وقال : خلق الله القلوب منازل للذكر فصارت مساكن للشهوات ولا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج ، أو شوق مقلق .

أسند ابن خبيق الكثير من الحديث ، وروى عنه كثيرون .

(٢٦٢) عبد الله بن داود الهمدانى[١]
ثم الشعبى المعروف بالخريبى

كوفى الأصل ، أخذ الحديث عن جماعة منهم الأوزاعى ، ثم تنسك وتزهد . أتاه أبو العيناء ، فقال له : ما جاء بك ؟ قال : جئت أطلب الحديث ، قال : اذهب فاحفظ القرآن ، قال : حفظته ، قال : فتعلم الفرائض ، قال : تعلمتها ، قال : فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو ابن عمك ؟ قال : ابن أخى ، قال : ولم ؟ قال : لأن أخى من أبى وعمى من جدى ، قال : اذهب الآن فتعلم

(١) الشذرات ٢٩/٢ ؛ وانظر ترجمته فى التقريب ؛ وفى مرآة الجنان ٥٦/٢ .

العربية ، قال : تعلمتها قبل ذين ، قال : فلم ، قال عمر حين طعن : ياللّه ياللمسلمين لم فتح تلك اللام وكسر هذه ؟ قال فتح تلك للدعاء وكسر هذه للانتصار ، قال : لو حدثك أحد لحدثتك .

(ومن كلامه) كل صديق لك ليس له عقل هو أشد عليك من عدوك ، وقال : من أمكن الناس من كل مايريدون أضروا بدنياه وآخرته ، قال بشر بن الحارث : دخلت عليه فى مرضه الذى مات فيه يقول ويمد يده إلى الحائط لو خيرت بين دخول الجنة وبين أن أكون لبنة من هذا الحائط لاخترت أن أكون لبنة فيه متى أدخل أنا الجنة ، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين .

(٢٦٣) عبد الله بن محمد الرازى[1]

المعروف بالحداد ، كان عن حظه حائدا ، ولمشهوده عابدا مشاهدا ، ذا رتبة فى التصوف ركنها منيع ومنزلة عالية طودها شامخ رفيع .

(ومن كلامه) العبارة تعرفها العلماء والإشارة تعرفها الحكماء ، واللطائف تقف عليها السادة النبلاء .

وقال : علامة الصبر ترك الشكوى وكتمان الضر والبلوى ، ومن علامة الإقبال على اللّه صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار ، وأحسن العبيد حالا من رأى نعمة اللّه عليه بأن أهّله لمعرفته ، وأذن له قربه وأباح له سبيل مناجاته ، وخاطبه على لسان أعز أنبيائه ، وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره .

وقال : أخس العبيد من عد تسبيحه وصلاته وظن أنه يستحق به على ربه شيئا .

وقال : كنت أتأدب بأبى عمران الأصطخرى ، فإذا خطر لى خاطر أحضره فيجيبنى من غير مسألة ، ثم لما شغلت عن حضوره كنت إذا خطر على سرى أجابنى من إصطخر جواب مخاطبة فأسمعه وأنا بنيسابور .

---

(١) النبهانى ١٠٩/٢ .

(٢٦٤) على بن الموفق أبو الحسن[1]

العابد الزاهد كان صوفيا دينا عفيفا نزها سيدا صينا ذا ورع زائد ، زهد فرعه في روض الرضى مايد ، وجد فى التعبد بشجاعة ، وخلوة وعذلة وقناعه ، كان يقول كثيرا : اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فعذبنى بها ، أو حبا منى لجنتك وشوقا إليها فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم أنى إنما أعبدك حبا لك وشوقا إلى وجهك فلاتخيبه ، واصنع بى ما شئت .

وقال : خرجت يوما لأؤذن فأصبت قرطاسا فأخذته فوضعته بكمى وصليت ثم قرأته فإذا فيه : بسم اللّه الرحن الوحيم ياعلى بن الموفق تخاف الفقر وأنا ربك .

وقام فى ليلة باردة للصلاة فإذا شقاق فى أطرافه فبكى ، فهتف به هاتف : أيقظناك وأنمناهم وتبكى علينا .

وقال : حججت نيفا وخمسين حجة فقعدت بحذاء الميزان وتفكرت ما أدرى ما حالى عند اللّه وقد كثر ترددى فى هذا المكان ، فكأن قائلا يقول : يا على لا تدعُ إلى بيتك إلا من تحبه ، ورؤى أحمد بن حنبل فقيل : ما فعل بك ؟ قال : حيانى وأعطانى وقربنى وأدنانى ، فقيل : فالشيخ المزمن على بن الموفق ما صنع به ؟ قال : الساعة تركته فى زلال يريد العرش ، أسند ابن الموفق الحديث عن أبى عماد وابن أبى الحوارى وغيرهما ، مات سنة خمس وستين ومائتين .

(٢٦٥) على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق[2]

كان عظيم القدر ، مشهور الذكر ، أحله المأمون محل مهجته ، وأشركه فى مملكته وعهد إليه بالخلافة من بعده ، بعد ما أراد أن يخلع نفسه ويفوضها إليه فى حياته ، فمنعه بنو العباس ، فمات قبله فأسف عليه .

---

(١) النبهانى ٢ / ١٥٨ .

(٢) خلاصة تهذيب الكمال ص ١٣٥؛ والسلمى ص ٨٥ ؛ والشذرات ٢/٦، ومرآة الجنان ٢/١١ - ١٣ .

(وله كرامات كثيرة) منها أنه أخبر أنه يأكل عنبا ورمانا فيموت ، فيريد المأمون دفنه خلف الرشيد فلا يمكنه فكان كذلك ، ومنها أنه قال لرجل صحيح سليم : استعد لما لابد منه ، فمات بعد ثلاثة أيام ، رواه الحاكم ، ومنها ما رواه الحاكم أيضا عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب ، قال : رأيت المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فى النوم فى المنزل وهو الذى ينزله الحجاج ببلدنا فوجدت عنده طبقا من خوص فيه تمر صيحانى ، فناولنى ثمانى عشرة تمرة فبعد عشرين يوما قدم علىٌّ الرضى من المدينة ونزل ذلك المنزل ، وهرع الناس للسلام عليه ومضيت نحوه ، فإذا هو جالس بالموضع الذى رأيت المصطفى قاعدا فيه وبين يديه طبق فيه تمر صيحانى فناولنى قبضة فإذا عدتها بقدر ما ناولنى المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فقلت : زدنى ، فقال : « لو زادك رسول اللّه لزدناك » .

(٢٦٦) على بن سهل الأصبهانى [١]

من قدماء مشايخ أصبهان ، وأقران الجنيد صحب النخشبى ، وابن معدان وغيرهما ، وجاب القفار والبلاد ، وما هاب الوحش والجلاد ، وقطع المفاوز بحظ هابط ، وعزم صاعد ، وسام كل باذل ، وانتجع كل راعد ، إلى أن أقمر ليله الحالك بعد ما تطور فى أطوار واقتحم المهالك .

(ومن كلامه)حرام على من عرف اللّه أن يسكن لغيره ، قال : من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأهلها : فإن من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم ، وقال : التصوف التبرى عمن دونه والتخلى عما سواه ، وقال : التوحيد قريب من الظنون بعيد فى الحقائق ، [وأنشد لبعضهم][٢] .

وقلت لأصحابى هى الشمس ضوؤها قريب ، ولكن فى تناولها بُعْدُ

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٤٠٤ ؛ وصفة الصفوة ٤/٦٦ ؛ والرسالة القشيرية ٢٠ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٠ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١/١٧١ ؛ وتاريخ أصبهان ٢/١٤ ؛ والمنتظم ٦/١٥٥ ؛ وطبقات السلمى ٢٣٣ ـ ٢٣٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من السلمى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، وفيها جاء بيت الشعر على النحو التالى : فقلت لأصحابى : هى الشمس ، ضوؤُها قريب ، ولكن فى تناولها بُعْدُ

(٢٦٧) على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينورى المشهور[١]

كان من صدر الصدور ، استند صوفية الآفاق من تربيته إلى ركن شديد ، وعطفوا إلى العكوف عليه كل جيد ، وكان وافر الورع والديانة ، قوى التمكن على المكانة ، نير الوجه ، حسن الأخلاق ، سار سيرة سارت فعطرت بأرجها أرجاء الآفاق ، أخذ عن ابن الجلاء ومن فوقه .

(ومن كراماته الباهرة وآيات ولايته الظاهرة) أن النسور كانت تظله إذا قام يصلى فى الحر .

(ومن فوائده) طريق الحق بعيد ، والصبر على مقدور اللّه تعالى شديد ، وقال : لو جمعت علم الأولين والآخرين ، وأحوال الأولياء والمقربين لا تصل العارفين حتى يسكن سرك إليه ، وتثق بضمانه فيما وعد وقسم ، وقال : ما دخلت قط على فقير إلا فارغا من جميع العلوم والمعارف والآداب ، انتظر مايرد علىّ من رؤيته وكلامه ، فإن من دخل على شيخ بحظ نفس انقطع عنه إمداده وربما مقت ، وقال : أحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية رعاية الخلق ، ورأى سره مع اللّه ، واعتمد عليه فى كل أمر ،

وقال : أرواح الأنبياء لا تزال فى حضرة المكاشفة والمشاهدة ؛ وأرواح الأولياء فى القرب والاطلاع ، وقال : تناولت مرة شهوة ففقدت قلبى عشرين سنة ، ثم جمعته على الحق عشرين سنة ، ثم تركت قولى للشئ كن فيكون عشرين سنة أدبا مع اللّه تعالى ، مات بمصر سنة سبع وتسعين ومائتين ، هكذا رأيته بخط بعضهم ، ورأيت فى كلام ابن الجوزى ثلاثين وثلثمائة ، ودفن بالقرافة تحت الجبل[٢]، وأسند الحديث .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٥٣ ـ ٤٠٨ ؛ وصفة الصفوة ٤/٦٠ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٩ ؛ وحسن المحاضرة ١/٢٩٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ٣٢ ؛ ونتائج الأفكارالقدسية ١/١٨٠ ـ ١٨٢ ؛ والمنتظم ٦/٣٢٨ ، والسلمى ، طبقات ٣١٢ ـ ٣١٥ .

(٢) السخاوى الحنفى ، ٢٥٦ .

(٢٦٨) عمرو بن سلمة الحداد [١]

الإمام أبو حفص النيسابوري شيخ خراسان

كان عظيم الشأن ، عالى المقام واضح البرهان ، مباركا على صوفية الاسلام ، وتربيته عائدة عليهم بصلات المعارف التى لا تحصرها الأقلام ، مشكور السيرة فى السر والجهر ، ومن نوادر العصر ، وأفراد الدهر و له الفتوة الكاملة والمروءة الشاملة ، صحب الأبيوردى وتتلمذ للجبرى وغيرهما ، وكان حدادا ، فبينما غلامه ينفخ غاب فكره فى ذكر محبوبه ، فغاب عن الحس البشرى الظاهرة ، ونسى أن يخرج الحديد من الكير بالآلة وأخرجه بيده ، فصاح الغلام الحديد فى يدك بلا كلبتين ، فرماه به وخرج سائحا فى البرية وهو يقول : شرط المحبة التستر والكتمان لا الافتضاح والإعلان ، قال المرتعش : دخلت مع أبى حفص على مريض يعوده ، فقال أبو حفص للمريض : أتحب أن تخرج معنا وتبرأ ؟ قال : نعم ، قال للقوم : احملوا عنه فخرجنا وخرج المريض معنا ، وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد ، ودخل على مريض يعوده ، فقال : آه ، فقال ممن ؟ فسكت ، فقال مع من ؟ فقال كيف أكون ، قال لا يكون أنينك شكوى ولا سكوتك تجلدا ، ولما ورد على الجنيد عمل له أنواعا من الأطعمة ، فأنكر عليه ، وقال : صيَّرتُ أصحابى كالمخانيق ، فقال : إنما فعلت ذلك إكراما للضيف ، فقال : الإكرام أن لا يتولد منه ضرر .

(ومن كلامه) من تجرع كأس الشوق هام هياما لا يفيق منه إلا عند المشاهدة واللقاء .

وقال : إذا رأيت المحب ساكنا هادئا فاعلم أنه رد إليه عقله فإن المحب لا يهدأ ،

---

(١) حلية الأولياء ٢٢٩/١٠ ـ ٢٣٠ ؛ وصفة الصفوة ٩٨/٤ ؛ والرسالة القشيرية ٢٢ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٦/١ ؛ والشذرات ١٥٠/٢ ؛ ومرأة الجنان ١٧٩/٢ ؛ وطبقات السلمى ١١٥ ـ ١٢٢ .

وقال : البخل ترك الإيثار عند الحاجة .

وقال : لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبودا .

وقال : تركت العمل فرجعت إليه وتركنى العمل فلم أرجع إليه .

وقال : الكرم ترك الدنيا لمحتاجها والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

وقال : إن استطعت أن لا تعرف ولا يشار إليك بشئ فافعل .

وقال : إنما القلب كقبة مضروبة لها أبواب فأى باب فتح له عمل الفكرة فيه .

وقال : ينبغى للعبد المعنى بنفسه أن يميت الحياة العاجلة الزائلة المنغصة بالآفات من قلبه بذكر الموت وما وراءه من الأهوال ، والوقوف بين يدى الجبار .

وقال : الزاهد حقا لا يذم الدنيا ولا يمدحها ، ولا ينظر إليها ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت .

وقال : إذا جاع القلب وعطش صفا ورق ، وإذا شبع وروى عمى .

وقال : أستجلب الزهد بقصر الأمل ، وأدفع أسباب الطمع باليأس والقنوع تخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض .

وقال : رد سبيل العجب بمعرفة النفس .

وقال : إنى لأمرض فاعرف الذنب الذى بسببه المرض .

وقال : من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها فى جميع الأحوال ، ولم يجبرها على مكروهها فى سائر الأيام فهو مغرور ، ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها ، وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه ، والكريم ابن الكريم يقول ﴿ وما أبرىء نفسى ﴾ (١) .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٥٣ .

وقال : أحسن ما يتوسل به العبد لمولاه دوام الفقر إليه فى كل حال ، وملازمه السنة فى جميع الأفعال ، وطلب القوت من حلال .

وقال : ماأسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصى بريد الكفر .

وسئل عن التوبة فقال : ليس للعبد من التوبة شئ لأن التوبة إليه لامنه .

وقال : لا يفلح قلب يهتم بجميع القراريط .

وقال : العارف إذا صلى ركعتين لم ينصرف عنهما حتى يجد طعمهما .

وقال : ضحك العارف التبسم .

وقال : لا أحسب عملا لا يوجد له فى الدنيا لذة يكون له فى الآخرة ثواب .

وقال : كل من كان فى تطوع يلذ به فجاء وقت فرض لم يقطع وقته لذة التطوع فهو مخدوع .

وقال : تحرز من إبليس بمخالفة هواك وتزين للّه بالصدق والإخلاص فى العمل ، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة ، واستدم النعمة بخوف زوالها ، ولا عمل كطلب السلامة ولا سلامة كسلامة القلب . ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاحتقار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمة كالعافية من الذنوب ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة فى الدرجات ، ولا عدل كالإنصاف ، ولا تعدى كالجور، ولا عدم كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة يقين ، ولا قلة يقين كفقد الخوف ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة النفس ، ولا ذل كالطمع .

وقال : من عمل شيئامن أنواع الخير بلا نية أجزأته النية الأولى حتى اختيار الإسلام على الأديان كلها ، وقال : لاتشهد لأحد بالزهد فإنما هو شئ فى القلب .

وقال : ماأوتى من أوتى من قارون وبلعام إلا أن أصل نياتهم على غش فرجعوا إلى الغش الذى فى قلوبهم ، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه .

وقال : أنما أوتيت أنت وأنا من التخليط ، تقوم ليلة وتنام ليلة وتصوم يوما وتفطر يوما ، ولايستنير القلب على هذا .

وقال : إنما يمثل للقلب على قدر ما يسمع من الحديث أو على قدر ما يتوهم .

وقال : من حسن ظنه بالله ممن لايخاف الله فهو مخدوع .

وقال : ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح إنما تلك راحة ، إنما الزهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته .

وقال :أهل الزهد فى الدنيا قسمان ، منهم من يزهد فيها فلا يفتح له فيها روح الآخرة ، ومنهم من يفتح له .

وقال :أهل الطاعة فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ماأحببت البقاء فى الدنيا .

وقال : ماخلق الله خلقا أهون على من ابليس ، ولولا أمرت بالتعوذ ما تعوذت ، وذم بعض أصحابه الدنيا وأهلها بحضرته ، فقال له : أظهرت ماكان سبيلك أن تخفيه لاتجالسنا بعد هذا ، فلم يرخص فيه لما فى ضمنه من دعوى الزهد فيها .

وقال : حرست قلبى عشرين سنة ثم حرسنى عشرين سنة ثم صرنا جميعا محروسين ، وقيل له فلان يدور حول السماع فإذا سمع بكى وهاج ، فقال : إيش يعمل الغريق يتعلق بكل شئ فيه نجاته ، ولما قدم بغداد لقيه الجنيد فرأى أصحابه من الأدب معه كأنما على رءوسهم الطير ، فقال له : أدبتهم بآداب

الملوك ، فقال : لأن حسن الأدب فى الظاهر عنوان لأدب الباطن ، فقد قال عليه السلام : « لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[(١)] وكان لايذكر اللّه إلا على الحضور وتعظيم الحرمة ، فإذا ذكر تغير حاله ، فإذا رجع قال : ماأبعد ذكرنا من ذكر المتحققين ، وماأظن من ذكر اللّه حاضرا من غير غفلة يبقى بعد ذكره حيا إلا الأنبياء ، وسأله أصحابه حال النزع ما الذى تعظنا به ، قال : الانكسار بالقلب على التقصير ، مات سنة أربع أو سبع وستين ومائتين .

(٢٦٩) عمرو بن عثمان المكي[(٢)]

العارف البصير ، العالم الخبير ، له اللسان الشافى والبيان الكافى ، معدود فى الألباء محمود فى الأطباء ، أحكم الأصول وأخلص فى الوصول ، وساح فى البلاد ، وناح بالوداد ، وكان من أئمة القوم الأمجاد له القبول التام بين الخاص والعام ، بحيث أقبلت عليه جميع الخلق من جميع الأقطار كبيرها وصغيرها أميرها ومأمورها ، صحب الخراز وغيره .

(ومن فوائده) : المروءة التغافل عن زلل الإخوان .

وقال : كل ما توهمه قلبك ، أو سنح فى مجارى فكرك ، أو خَطر فى معارضات لبك من حسن أدب أوأنس أوضياء أو جمال أو شبح أو نور أو خيال ، فاللّه بعيد عن ذلك ، منزه عنه ليس كمثله شئ .

وقال : العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون جموح خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال : إنه حديث ضعيف ، انظر الجامع الصغير ٢/٣٧١ .

(٢) حلية الأولياء ٢٩١/١٠ ـ ٢٩٦ ؛ وصفة الصفوة ٢٤٨/٢ ؛ والرسالة القشيرية ٢٨ ، وطبقات الشعرانى ١٠٤/١ ؛ وتاريخ بغداد ٢٢٣/١٢ ـ ٢٢٥ ؛ وطبقات السلمى ٢٠٠ ـ ٢٠٥ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١٥٧/١ ـ ١٥٩ ؛ والمنتظم ٩٣/٦ ؛ والشذرات ٢٢٥/٢ .

وقال : ان اللّه جعل الاختيار موصولا بالاختبار .

وقال : الصبر الثبات مع اللّه وملاقاة بلائه بالرحب والدعة .

وقال : واغماه من عهد لم يقم له بوفاء ، ومن خلوة لا تصحب بحياء ، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا .

قال الحافظ أبو نُعيم : كانت حظوظه فى فنون العلم غزيرة ، وتصانيفه بالروايات والمسانيد شهيرة ، مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين أو غير ذلك .

حرف الفاء

(٢٧٠) فتح بن شخرف أبو نصر الكشى[١]

كان صالحا زاهدا ذا معارف نامية وافية ، وإعراض عن الدنيا بالجملة الكافية ، لا يكترث بنضرتها وبهجة نضارها ، ولايلتفت إلى المنقوش من درهمها ودينارها ، أقام لم يأكل الخبز ثلاثين سنة ، ويطعم الفقراء والأصحاب الطعام الطيب ، قال رأيت رب العزة فى النوم فقال : يافتح احذر لاآخذك على غرة فَهِمْتُ فى الجبال سبع سنين ، قال أحمد بن حنبل : ماأخرجت خراسان مثله ، ومكث ثلاثين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء ، ثم رفع رأسه وفتح عينيه ونظر اليها ، ثم قال قد طال شوقى إليك فعجل قدومى عليك ، فمات سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وقال ابن أبى الحوارى : غسلته فإذا على فخذه الأيمن لا إله إلا اللّه فتوهمناه مكتوبا فإذا عرق داخل الجلد ، وصلى عليه نحو ثلاثين ألفا .

---

(١) نسبة إلى مدينة « كس » أو « كش » » مدينة بما وراء النهر بالقرب من « نخشب » ، توفى ببغداد سنة ٢٧٣ هـ ؛ انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٨ ؛ وطبقات السلمى ١١ والحاشية (ج) ؛ والنبهانى ٢/٢٣٣ .

(٢٧١) فاطمة النيسابورية[١]

كانت من المصطفيات العابدات العارفات ، وهى أستاذة ذى النون المصرى ، وزارها أبو يزيد البسطامى ، وقال : مارأيت فى عمرى إلا رجلا وامرأة ، والمرأة فاطمة النيسابورية ، وما أحدثها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عيانا ، وقال ذو النون : ما رأيت أجل منها ؛ وكانت مقيمة بمكة .

(ومن كلامها): من كان اللّه منه على بال أخرسه إلا عن الصدق ، وألزمه الحياء منه والإخلاص ، وقالت : من لم يراقب اللّه فى كل حال فإنه ينحدر فى كل ميدان ويتكلم بكل لسان ، ومن راقب اللّه فى كل حال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص له ، وقالت : الصادق والمقرب فى بحر تطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأله الخلاص والنجاة ، وقالت : من عمل للّه على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة اللّه إياه فهو مخلص ، وقال لها ذو النون : وقد اجتمعا ببيت المقدس ، عظينى قالت : الزم الصدق وجاهد نفسك فى أفعالك ، ماتت بمكة فى طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

حرف القاف

(٢٧٢) القاسم بن عثمان الجوعي[٢]

بضم الجيم وسكون الواو لكونه كان يبقى جائعا كثيراً ، كانت له الرعاية الوافية ، فأيد بالقوة الكافية .

---

(١) طبقات الشعرانى ٥٦/١ ؛ والنبهانى ٢٣٢/٢ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ، ١١٨/٢ ، وفيها جاء اسمه « القسم بن عثمان الدمشقى الزاهد المعروف بالجوعى ، المتوفى سنة ٢٤٨هـ ؛ وطبقات السلمى ص ٩٨ ، الحاشية ج » .

(ومن كلامه) شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ، ففقدوا لذة الطعام والشراب وشهوات الدنيا لتلذذهم بما ليس فوقه لذة ، فقطعهم عن كل لذة .

وقال : أصل المحبة المعرفة وأصل الطاعة التصديق ، وأصل الخوف المراقبة وأصل المعاصى طول الأمل ، وحب الرياسة أصل كل موبقة .

وقال : أفضل الدين الورع ، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر .

وقال : رأيت ببيت المقدس راهبا فقلت : أوصنى .

وقال : كن كمن استوحشته السباع والهوام فهو خائف مذعور ، وإن يسهر فيفترسه أو يلهو فتنهشه ، فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطالون ، ثم ولى فقلت لو زدتنى ، فقال يكفى الظمآن من الماء أيسره .

وقال : قليل العمل مع المعرفة خير من كثيره بدونها .

وقال : رأس الأعمال الرضى عن الله ، والورع عمود الدين ، والجوع مخ العبادة ، والحصن الحصين ضبط اللسان ومن شكر الله حبس فى ميدان الزيادة ، ومن تم عمله عد المصائب نعما وشكر الله عليها .

وقال : البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بدنه يملك من الزهد وبقدر ما تملكه بطنه تملكه الدنيا .

وقال : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وكأنى جالس بمسجد دمشق وأترنم وأدق فى صدرى ، فصعد رسول الله المسجد ،معه أبو بكر وعمر ، وقال : ياأبا القاسم الغلط فى هذا أكثر من الصواب .

أسند الحديث عن جماعة من الأعيان .

حرف الميم

(٢٧٣) محمد بن أبى الورد[1]

قريب الجنيد

كانت له الهمة العلية فى الإرشاد إلى الطريق المسلوك ، ويقول الصوفية وديعة اللّه عند مشايخ السلوك ، أمتع المريدين بنفائسه ، ونشر عليهم الدر فى مجالس وعظه ومدارسه ، سار ذكره فى الآفاق وانتهت إليه رئاسة الصوفية بالعراق ، صحب السقطى والمحاسبى والحافى وغيرهم ، وطريقه فى الورع طريق بشر .

(ومن فوائده) الغفلة عن الطاعة نقمة ، وقال : علامة الولى أن يوالى أولياء اللّه ويعادى أعداءه ، وقال : من لاتحب نفسه الدنيا فأهلها يحبونه ، وقال : إنما منع الناس الوصول ، لتضييع الأصول وقال : هلاك الناس فى حرفين ، اشتغال بنافلة وتضييع فريضة ، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب ، وقال : أشكر الخلق للّه من لم ير أنه شكر الله قط ، وقال : من آداب الفقير فى فقره ترك الملامة والتعبير لمن ابتلى بطلب الدنيا ، والرحمة والشفقة عليه والدعاء له ليريحه الله من تعبه فيها ، وقال : إن لله عز وجل يوما لاينجو من شره منقاد لهواه ، وإن أبطأ الصرعى يوم القيامة صريع شهوة ، أسند الحديث عن أبى النضر وغيره ، مات سنة ثلاث وستين ومائتين .

---

(١) لعله المذكور فى الترجمة رقم ٢١٥ ، الخاصة بأحمد بن أبى الورد .

(٢٧٤) محمد بن إبراهيم البغدادى[1]

أخذ عن السقطى والمسوحى وإليه انتماؤه ، وكان فقيها عالما متكلما بالحقائق ، خبيراً بسلوك الطرائق ، واشتهر بذلك حتى حلت له مشايخ الصوفية خباءها ، وحمى به حرمها وحماها ، واتسقت به عقودها ، وحفظت به عهودها ، وكان أحمد بن حنبل يعظمه جدا .

(ومن فوائده) من المحال أن تدعى محبة الله وأنت لاتذكره ، وأن تذكره ثم لايوجدك طعم ذكره ، وأن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره ، وقال : الأنس ضيق الصدر من معاشرة الخلق ، وقال : من استشعر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان ، ومن استوحش من نفسه أنس بموافقة مولاه ، وقال : خفت سطوة العدل ، وأرجو دقة الفضل ، ولا تأمن مكره ، وإن آثرلك الجنة ففيها وقع لأبيك آدم ما وقع ، وقد يقطع بقوم فيها فيقال : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فيشغلهم عنه بذلك ، ولامكر فوق هذا ولاحسرة أعظم منه ؛ وقال : وقفت على راهب فقلت ، هل عندك شئ من خبر من مضى ؟ قال : نعم ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، وقال : لايصبر على حب ضيق للعيش إلا صديق ، وقال : إذا فتح عليك بشئ من المقامات فإياك والنظر إليه افتخارا بل اشتغل بذكر المنعم ، به فإن الحق غيور لايحب أن يرى عبده محبا لغيره إلا بإذنه ، وسئل هل يتفرغ المحب لشئ سوى محبوبه ، قال : لا لأنه فى بلاد ألم وأوجاع متصلة وغصص يتجرعها لايعرفها إلا من باشرها ، ولام رجل بعض أتباعه على إظهار وجده ، فقال الشيخ : أقصر ياأخى بالوجد الغالب يسقط التمييز وتجعل الأماكن كلها مكانا واحدا والأعيان عينا واحدة ، فلا لوم من غلب عليه وجده فاضطر لذلك ، وتكلم يوما على الناس فأحسن فهتف به هاتف : تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن ، فما تكلم بعد ، مات سنة تسع وثمانين ومائتين ، وقيل : هذا أبو حمزة المار ذكره لاغير .

---

(١) الرسالة القشيرية ص٣٢ ؛ وطبقات السلمى ٢٩٥ ـ ٢٩٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١١٦/١ ، وتاريخ بغداد ٣٩٠/١ ـ ٣٩٤ ، ونتائج الأفكار القدسية ١٧٧/١ .

(٢٧٥) محمد بن إبراهيم بن حمش

العابد الزاهد ، الراكع الساجد ، له فى التصوف القدم الراسخ ، والكلام الشامخ .

(ومن كلامه) إذا لم تطع ربك فلا تأكل رزقه ، وإذا لم تجتنب نهيه فاخرج من مملكته ، وإذا لم ترض بقضائه فاطلب ربا سواه ، وإذا عصيته فاخرج إلى مكان لايراك فيه ، وقال : يضحك القضاء من الحذر ، ويضحك الأجل من الأمل ، ويضحك التقدير من التدبير ، وتضحك القسمة من الجهد والعناء .

(٢٧٦) محمد بن أسلم [١]

السليم الأسلم المذكور بالسواد الأعظم ، وهو الطوسى ، أحواله منتشرة مشهورة ؛ وشمائله مستطرة مذكورة ، كان بالآثار مقتديا وعن الآراء منتهيا ، أعطى بيانا وبلاغة ، وزهداً وقناعة ، نقض على المخالفين ببيانه ، وأقبل على تصحيح حاله وشانه ، سأل رجل ابن المبارك عن السواد الأعظم المذكور فى قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسواد الأعظم »[٢] فقال محمد بن أسلم ؛ وإذا ذكرته فى أربعة أشياء ، لا تقرن معه غيره النضر للدين ، واتباع أثر المصطفى صلى اللّه عليه وسلم والزهد فى الدنيا وفصاحة اللسان ؛ وقال ابن نصر : محمد بن أسلم ركن من أركان الإسلام ؛ ولما مات صلى عليه ألف ألف ومائة ألف إنسان يقول صالحهم وطالحهم لم نعرف له نظيرا .

(ومن كلامه): إنما يعمل الذنب جاهل ينظر فلا يرى أحدا ، فيقول :

(١) محمدبن أسلم الطوسى الكندى ، المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ؛ انظر ترجمته فى مختصر دول الإسلام ١١٤/١ ، والصفدى ، الوافى ٢٠٤/٢ ؛ وإسماعيل باشا البغدادى ، هدية العارفين ١٣/٢ ؛ وكحالة معجم المؤلفين ٥٢/٩ ، والأعلام للزركلى ٣٤/٦ ؛ وتذكرة الحفاظ ١٠٣/٢ ؛ وحلية الأولياء ٢٣٨/٩ ، والجرح والتعديل ٢ـ٢٠١/٣ ، والشذرات ٢ / ١٠٠ ؛ وطبقات الشعرانى ٥٤/١ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٦٢/٤ و ٣٩٧/٥ .

لايرانى أحد أذهب فأذنب ، أما أنا فكيف يمكنني ذلك ، وقد علمت أن داخل نميصى من يشهد عليَّ ، وكان يقول لخادمه : اشتر لى شعيراً أسود قد تركه لناس فإنه يصير إلى الكنيف ، وإنما تعلمت العلم لأعمل به ، وقال : والله سارأيت نفسا تصلى للقبلة شرا من نفسى فكيف أطعمها النقى ، وقال : الإيمان عطية الله يعطيه من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو قوله ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان ﴾[1] الآية ، وقال : من أكل خبز الحنطة تأدب بحياء لم يقبل إلا علة الموت ، قيل : وما الأدب ؟ قال : يأكل بعد الجوع ، ويرفع بعد الشبع ، أدرك ابن أسلم من التابعين جماعة ، وروى حديثا كثيراً عن الأوزاعى وغيره .

(٢٧٧) محمد بن منصور الطوسى[2]

كان قلبه باليقين معمورا ، وفى محبته بمأموله مسروراً ، وعن كل ما سواه مأخوذا ومأسورا .

(ومن كلامه) خمس من السعادة ، اليقين ، والورع فى الدين ، والزهد فى الدنيا ، والحياء والعلم .

وقال : ست خصال يعرف بها الجاهل ، الغضب من غير شئ ، والكلام فى غير نفع ، والعظة فى غير موضعها ، وإفشاء السر ، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه . وكان مجاب الدعوة ، سأله قوم وهو ببغداد : هل اليوم يوم عرفة ؟ وكان فيه خلاف ، فقال : اصبروا فدخل البيت ، ثم خرج ثم قال : نعم فعدوا الأيام فكان اليوم الذى وقفوا فيه ، فقيل له : من أين علمته ؟ فقال : سألت ربى فأرانى الناس فى الموقف ، أسند حديثا كثيراً ، مات سنة أربع وخمسين ومائتين ببغداد .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٢) محمد بن منصور بن داود إبراهيم أبو جعفر العابد المعروف بالطوسى ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ ، عن ثمان وثمانين سنة ، انظر تاريخ بغداد ٣/٢٤٧ ـ ٢٥٠ ، وطبقات السلمى ، ص ٢٣٧ .

(٢٧٨) محمد بن إدريس الشافعي[1]

الإمام الأعظم ، والهمام الأقوم ، ابن عم المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، عالم قريش الذى ملأ الله به طباق الأرض علما ، وأسمع من مناقبه الطاهرة وعلومه الفاخرة الظاهرة آذانا صماء ، الحبر الذى أسس بعد الصحب قواعد بيت النبوة وأقامها ، وشيد مبانى الإسلام بعد ماجهل الناس حلالها وحرامها ، وقد أكثر القوم التصانيف فى مناقبه ، فمن أفرد ذلك بالتأليف الإمام أبو داود الظاهرى والساجى وابن أبى حاتم والأبرى والحاكم والأصبهانى والقطان والقراب ، والأستاذ أبو منصور البغدادى والبيهقى والخطيب البغدادى ، والإمام الرازى ، وابن المقرئ ، وفندق ، وإمام الحرمين ، والدار قطنى ، والآجرى ، والسرخسى ، والصاحب بن عباد ، ونصر المقدسى ، والسبكى ، وخلائق ما بين متقدم ومتأخر ، فنذكر من ذلك نبذة يسيرة ، فنقول : هو إمام الأئمة علما ، وزهدا وورعا ، ومعرفة وذكاء وحفظا ، فإنه برع فى كل فن مما ذكر ، وفاق فيه أكثر من تقدمه سيما مشايخه ، واجتمع له من تلك الأنواع وكثرة الأتباع فى أكثر الأقطار سيما فى الحرمين والأرض المقدسة ، وهذه الثلاثة وأهلها ، أفضل الأرض وأهلها ، ما لم يجتمع لغيره ، ولذلك خص بحديث عالم قريش يملأ طباق الأرض علما ، وزعم وضعه ، حسد أو غلط ، قال أحمد بن حنبل نراه الشافعى ، وكاشف صحبه بوقائع وقعت بعد موته ، ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أعطاه ميزانا فأولت بأن مذهبه أعدل المذاهب وأوفقها للسنة التى هى أعدل الملل ولد بغزة أو بعسقلان سنة خمس ومائة اتفاقا ، وهى السنة التى مات فيها

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣٢٩/١ ؛ وتهذيب التهذيب ٢٥/٩ ، والوفيات لابن خلكان ٤٤٧/١ ؛ وإرشاد الأريب لياقوت الحموى ٣٦٧/٦ ـ ٣٩٨ ؛ وغاية النهاية ٢/ ٩٥ ؛ وصفة الصفوة ١٤٠/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٥٦/٢ ـ ٧٣ ؛ وحلية الأولياء ٦٣/٩ ؛ ونزهة الجليس ١٣٥/٢ ؛ وتاريخ الخميس ٢ /٣٣٥ ؛ وتهذيب الأسماء واللغات ، ١ ـ ٤٤/١ ـ ٦٧ ؛ وطبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ؛ وطبقات الشافعية للسبكى ١٨٥/١ ؛ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٥١ ؛ والأعلام للزركلى ٢٦/٦ ـ ٢٧ .

أبو حنيفة ، ومااشتهر أنه ولد يوم مات لم يثبت ، وأجيز بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ثم دخل إلى الإمام مالك ، وأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ،ولقب ناصر السنة ، ثم عاد لمكة ، ثم لبغداد ثم لمصر فأقام بها حتى مات سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة .

(ومن حكمه ونوادره وفوائده التى ينبو عنها نطاق الحصر) : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه به ، وقال : ماأفلح فى العلم إلا من طلبه فى القلة ، وقال : لايطلب أحد هذا العلم بعزة نفس فيفلح ، وقال : زينة العلماء التوفيق ؛ وحيلتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس ، وقال : زينة العلم الورع والحلم ، وقال : لاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبهم فيه ، وقال : ليس العلم ماحفظ العلم مانفع ، وقال : فقر العلماء فقر اختيار ، وفقر اضطرار ، وقال : المراء فى العلم يقسى القلب ويورث الضغائن ، وقال : ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتى ، ولما ابتدأ الشيب فى لحيته أدمن مسك العصا ، فقيل له فيه ، فقال : لأتذكر أنى مسافر من هذه الدار ، وقال : ماتزوج أحد من أصحابنا إلا ونزل عن مرتبته ، وقال لى منذ ثلاثين أسأل إخوانى المتزوجين ، هل رأيتم خيراً ؟ فما منهم أحد قال رأيت بالتزويج خيراً قط ، وقال : الكامل من الرجال من يصير يأخذ من الأشياء ولاتأخذ الأشياء منه ، وقال : من تعود أفخاذ النساء لم يفلح لأن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الإشتغال بالله من قيام وصيام وتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وغير ذلك مما هو بعيد من حال المتجرد عن النساء ، وقال أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام ، فقيل : من اللئيم ؟ فقال : هو من إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه ، وقال : لاتقصر فى حق أخيك اعتمادا على مروءته ، وقال : أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وقال : ما وقف أحد مع هؤلاء الخلق وراعاهم فى أعماله وأحواله إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل ، وقال : الإنكار فرع من النفاق ، قال المزنى :

بل هو النفاق كله ، وقال : الكذب كالميتة لايباح شئ منه إلا عند الضرورة ، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب ، وقال : من لم تعزه التقوى فلاعز له ، وقال : طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد ، وقال : إذا ولى أخوك ولاية فارض منه بعشر وده وإقباله الذى كان قبل ، وقال : لاتخرج من علم إلى غيره حتى تحكمه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة فى الفهم ، وقال : من شهد من نفسه الضعف نال الاستقامة ، وقال : من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع ، وقال : أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان ، وقال : من أحب أن يفتح الله قلبه فعليه بترك الكلام فيما لايعنيه وتجنب المعاصى ، وقال : من أحب أن ينور الله قلبه فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالفة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولاأدب ، وقال : لاتتكلم إلا فيما يعنيك ، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها ، وقال : لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضى كل الناس فلا سبيل إليه فأخلص عملك ونيتك لله ، وقال : لايعرف الرياء إلا المخلصون ، وقال : لو أوصى بمال لأعقل الناس صرف للزهاد ، وقال : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب ، وقال : العاقل من عقله عقله عن كل مذموم ، وقال : لو علمت أن شرب الماء ينقص مروءتى ما شربته ، وقال : للمروءة أربعة أركان ، حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك ، وقال : المروءة عفة الجوارح عما لايعنيها ، وقال : لايكمل الرجل فى الدنيا إلا بأربع ، بالديانة والأمانة والصيانة والرزانة ، وقال : ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته ، وقال : من صدق فى أخُوة أخيه قبل علله وغفر زلله ، وقال : علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ، ولعدو عدوه عدوا ، وقال : لاسرور يعدل صحبة الإخوان ولاغم يعدل فراقهم ، وقال : لاتقصر فى حق أخيك اعتمادا على مودته ، وقال : لاتبذل وجهك لمن يهون عليه ردك ، وقال : من برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك ، وقال : من نم لك نم بك ، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك :

فإذا أغضبته ، قال فيك ما ليس فيك ، وقال : الكيس العاقل هو الفطن المتغافل ، وقال : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه ، وقال : من سام بنفسه فوق ما تساوى رده اللّه إلى قيمته ، وقال : التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام ، وقال : التواضع يورث المحبة ، والقناعة تورث الراحة ، وقال : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لايكرمه ورغب فى موده من لاينفعه ، وقال : لاتنفق على ولدك وخادمك بما فوق الضرورة فإن طاعتهما لك بقدر حاجتهما إليك ، وقال : أرفع الناس قدرا من لايرى قدره ، وأكثرهم فضلا من لايرى فضله ، وقال : ماضحك من خطأ رجل الا ثبت صوابه فى قلبه ، وقال : ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل من الجانب الآخر ، وقال : من صدق اللّه نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردا ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من الثواب غدا ، وقال : الدنيا دحض منزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها للقبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر موصوف ، الإكثار منها إعسار فيها يسار ، فافزع إلى اللّه وارض برزقه ، وقال : الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فكن بين منقبض ومنبسط ، وقال : ماأكرمت أحداً فوق قدره إلا اتَّضع من قدرى عنده بقدر ما زدت فى إكرامه ، وقال : لا وفاء لعبد ولا شكر للئيم وقال : صحبة من لايخاف العار عار ، وقال : عاشر كرام الناس تصر كريما ، ولا تعاشر اللئام تنسب إلى اللؤم ، وقال : إن اللّه خلقك حرا فكن كما خلقك ، وقال : مداراة الأحمق غاية لا تدرك ، وقال : من ولى القضاء ولم يفتقر فهو لص ، وقال : إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقى اللّه فاصنعها إلى من يتقى الميعاد . وله نظم أكثره حكم ومنه :

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال :

إذا نحن فضلنا عليًّا فإننا روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل

وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته رميت بنصب عند ذكرى للفضل

فلازلت ذا رفض ونصب كلاهما بحبهما حتى أوسد فى الرمل

وقال :

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض دينى ولا اعتقادى

لكن توليت غير شك خير إمام وخير هادى

إن كان حب الولى رفضا فإننى أرفض العباد

وقال :

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا إذا سار الحجيج إلى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

قال البيهقى : إنما قاله حين نسبه الخوارج إلى الرفض بغيا وحسدا ، ولما احتضر دخل عليه جماعته ، فقال : أما أنت ياأبا يعقوب فتموت فى قيودك ، وأما أنت يامزنى فيكون لك بمصر هنات وهنات ، وأنت ياابن عبد الحكم ترجع إلى مذهب أبيك ، وأنت ياربيع أنفعهم لى فى نشر الكتب ، قم ياأبا يعقوب فتسلم الحلقة فكان كما قال ، ودفن حول قبته[1] أولياء كثيرون ؛ منهم الصرفندى[2] قبره عند الحائط البرانى الشرقى ، كان رجلا صالحا مجاب الدعوة ويستجاب عنده الدعاء ، وتحت رجليه شيخه[3] رؤى فى النوم وهو يقول زوروا شيخى فإنى ما أنا شئ إلا به ! وهناك قبر الشيخ عبد الرحمن المُسَيْنى له كرامات .

---

(١) انظر السخاوى الحنفى ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٢) الشيخ خلف الصرفندى ، السخاوى الحنفى ص ٣٤٧ .

(٣) وشيخه هو أبو الحسن على الأرصوفى ، المرجع السابق .

(٢٧٩) محمد بن إسماعيل المغربى [١]

أستاذ إبراهيم الخواص [٢] عمدة الصوفية ومرجع أهل الاختصاص ، كانوا كافه يأتمرون بأمره ، ويعرفون له جلالة قدره ، وينتهون إلى إشاراته فى سر كل عمل وجهره . أخذ عن ابن رزين وجَمْعٍ كثير من الأعيان ، وكان عجيب الشأن انتهت إليه رياسة الصوفية وتربية المريدين بالمملكة العرفية ، وبعث بكمال الزهد والنفس الأبية ، ولم يأكل مما وصلت إليه أيدى بنى آدم عشر سنين ، وحدث بشئ من علوم الحقائق فقام عليه أهل الظاهر وآذوه وطاف به العلوية على جمل فى أسواق مكة بعد ضربه على رأسه ضربا مبرحا ، وأخرجوه منها فأقام ببغداد حتى مات .

(ومن كلامه) أفضل الأعمال عمارة الأوقات فى الموافقات ،

وقال : الفقير لايرجع إلى مستند فى الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره ليغنيه بالاستغناء به .

وقال : الراضون بالفقر أمناء اللّه فى أرضه ، وحجته على عباده ، بهم يُدفع البلاء عن الخلق .

وقال : من ادعى العبودية وله مراد باق فهو فيه كذاب ، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراده سيده .

وقال : العارف تضئ له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب .

وقال : مارأيت ظلمة منذ سنين كثيرة ، فكان يتقدم أصحابه فى الليل المظلم وهو حاف حاسر ، فإذا عثر أحدهم يقول : يمينا أو شمالا وهم لايرون ما بين أيديهم .

---

(١) طبقات الشعرانى الكبرى ١/٧٩ ، والبداية والنهاية ١١/١١٧ .

(٢) انظر ترجمته رقم ٢٠٦ .

وقال إبراهيم بن شيبان : مارأيته انزعج إلا يوما واحداً كنا على الطور وهو مستند إلى شجرة خرنوب وهو يتكلم علينا ، فقال فى كلامه : لاينال العبد مراده حتى ينفرد فردا بفرد ، فانزعج واضطرب ورأيت الصخور قد تدكدكت وبقى فى ذلك ساعات ، فلما أفاق كأنه نشر من قبر ، مات سنة تسع وتسعين ومائتين عن نحو مائة وعشرين سنة على جبل طور سيناء .

(٢٨٠) محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطرى[١]

كان ذا خبرة بالتصوف تامة كاملة ، ولم تزل سحب تربيته على المريدين هامية هاملة ، وكان يشبه فى الورع والزهد ببشر الحافى ، وكان قوته شيئا قليلا إنما كان يكتب جامع سفيان الثورى لقوم لايشك فى صلاحهم ببضعة عشر درهما فمنها قوته .

(ومن كراماته) أنه كان له ابن أخت حدث فرآه يلعب بالطيور[٢] فدعا الله أن يميته فمات فى يومه .

(ومن كلامه): الدنيا لا شئ تراد إن كان إنما تراد للذة ، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها إنما تراد الدنيا أن يطاع الله فيها ، مات سنة ستين ومائتين وهو من مشايخ الجنيد .

---

(١) نسبة إلى قنطرة البردان ، وهى محلة ببغداد ، وهو محمد بن مسلم بن عبد الرحمن أبو بكر القنطرى الزاهد ، كان يشبه ببشر الحافى ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ٤/٤٠٥ ؛ والنبهانى ١/١٠٠ .

(٢) كذا فى الأصول ، وقال النبهانى ، المرجع السابق ص ١/١٠١ : « الطبول » .

(٢٨١) محمد بن يوسف البناء[١]

كان يبنى بالأجرة فيأخذ منه دانقا لنفقته ويتصدق بالبقية ، ويختم كل يوم ختمة ، ولقى ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير ، وكان يقول بمكة : يارب إما أن تدخل قلبى المعرفة أو اقبضنى إليك ، فسمع قائلا يقول : إن أردت هذا فصم شهراً ولاتكلم أحداً ، ثم ادخل قبة زمزم وسل الحاجة ، فسمع من البئر قائلا يقول : اختر أيهما أحب إليك ، العلم مع الغنى أم المعرفة مع الفقر ؟ فقال : المعرفة مع الفقر ، قيل : قد أعطيته ، مات سنة ست وثمانين ومائتين .

(٢٨٢) محمد بن المبارك الصورى

العابد ، الزاهد ، الراكع ، الساجد ، ذو العقل الوافى والورع الصافى ، والبيان الشافى ، كان سمته صحيحا وخلقه شحيحا .

(ومن فوائده) أعمال الصادقين بالقلوب وأعمال المرائين بالجوارح ، وقال مهلا رحمك الله فإن فى قلبك وجعا لايبرئه إلا حبه ، وحزنا لايزيله إلا الأنس به ، وقال : ماخدم القلب خادم أحب إليه من البكاء ولا خدم البكاء خادم أحب إليه من الشهيق والزفير ، وقال : من ألزم نفسه شيئا لايحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه ، وقال : إذا لم تنتفع بكلامك فكيف ينتفع به غيرك ، وقال : من دخل هذا الأمر بضعف قوى فيه . ومن دخله بقوة ضعف وافتضح ، وقال : لو صح لعبد فى عمره نفس بغير رياء ولا شرك أثر بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر ، وقال : كذب من ادعى المعرفة بالله ويداه ترعى فى قصع المتكبرين ، ومن وضع يده فى قصعة غيره ذلت له رقبته ، وقال : ليس من المعرفة بالله أن تجعل النفس مطية لهوى غيرك وطريقا لطلب دنيا مخلوق مثلك ،

---

(١) النبهانى ، كرامات ١/١٠١ .

أسند محمد هذا عن الأعلام والأثبات ، وروى عن الأكابر الثقات .

(٢٨٣) مضاء بن عيسى الشامى(١)

صوفى على المكانة ، وافر الصلاح عظيم الديانة ، جزيل العرفان ، لهج بذكر أهل الأكفان ، اجتذبه الحب واستلبه الخوف .

(ومن كلامه) خف الله يلهمك ، واعمل له لايحوجك إلى دليل ، وقال : حب الله يلهمك العمل له بلا دليل يلجئك إليه ، وإذا استقرت المحبة فى القلب ذهل عن الأهل والولد ، وقال : من أحب رجلا فى الله وقصر فى حقه فهو كاذب فى حبه ، وإذا أراد الله بشاب خيراً وفق له رجلا صالحا ، وقال : اتفقوا على أن ترك لقمة خير من قيام ليلة ، أسند الحديث عن جماعة .

(٢٨٤) معروف بن فيروز الكرخى(٢)

الملهوف إلى المعروف ، عن الفانى مصروف ، وبالباقى مشغوف ، وبالتحف محفوف ، وباللطف مرؤوف ، وقد قيل : التصوف التوقى من الأكدار والتنقى من الأقذار ، وكان شيخ السلسلة وهو أستاذ السرى السقطى ، ولم يكن فى العراق فى زمنه من يربى المريدين مثله حتى كان جميع المشايخ يعرفون فى ذلك فضله ، قال الغزالى : كان أحمد بن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه ولم يكن فى علم الظاهر مثلهما ، فيقال لهما : مثلكما يفعل ذلك ؟ فيقولان : كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله ، وقد قال

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/ ٢٠ ـ ٢١ ؛ والسلمى ، طبقات ص ٩٨ ، والحاشية (ج) .

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠ ـ ٣٦٨ ؛ وصفة الصفوة ٢/ ٧٩ ـ ٨٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ٨٤ ؛ والرسالة القشيرية ص ١٢ ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٦ ؛ والسلمى ، ٨٣ ـ ٩٠ ؛ وتاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٩ ؛ ومرآة الجنان ١/ ٤٦٠ ـ ٤٦٣ ؛ والشذرات ١/ ٣٦٠ .

المصطفى صلى اللّه عليه وسلم : سلوا الصالحين ، وكان مجاب الدعوة ويقول أهل بغداد : قبر معروف درياق مجرب ، وكان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا ، فصار المعلم يقول : قل ثالث ثلاثة ، فيقول : بل إله واحد ، فضربه ضربا مبرحا فهرب وأسلم وهو مولى على بن موسى الرضى .

(ومن كراماته) ماقاله خليل الصياد : غاب أبى فتأملت فجئت إلى معروف ، فقلت : غاب أبى فقال : ما تريد ؟ قلت : رجوعه ، فقال : اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك ائت بمحمد ، فأتيت باب الشام فإذا هو واقف ، فقلت أين كنت ، قال : كنت الساعة بالأنبار ، ولا أعلم ما صار .

(ومن فوائده) كلام الرجل فيما لايعنيه مقت من اللّه .

وقال : حقيقة الوفاء إفاقة النفس من رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات .

وقال : إذا أراد اللّه بعبد خيراً فتح عليه باب العمل بما علم ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد به شراً فعكسه .

وقال : توكل على اللّه حتى يكون هو معلمك وأنيسك ، وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لايفارقك ، وكان من دعائه : اللهم لاتجعلنا بثناء الناس مغرورين ولا بالستر مفتونين .

وقال : طول الأمل يمنع خير العمل ، وقال : كيف يكون تقيًا من لايدرى مايتقى .

وقال : من قال كل يوم عشر مرات : اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد كتب من الأبدال .

وقال : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، ورجاء رحمة من لايطاع جهل وحمق .

وقال : السخاء إيثار ماتحتاج إليه عند الإعسار .

وقال : ماأكثر الصالحين ، وما أقل الصادقين منهم .

وقال : لولاخروج الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات ، ولو بقى من حبها ذرة فى قلوبهم ما سلمت لهم سجدة واحدة .

وقال :العارف يرجع إلى الدنيا اضطرارا ، والمعنى اختيارا .

وقال : إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين فلايكرهه إلا من بقلبه مرض .

وقال : إذا أراد الله بعبد خيرا ذوى الخذلان عنه وأسكنه بين الفقراء الصادقين ، وإذا أراد به شرا عطله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء .

وقال : شفاء كل بلاء نزل بالعبد كتمانه ، فإن الناس لاينفعونه ولا يضرونه ولا يعطونه ولا يمنعونه .

وقال : ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله .

وقال : إنما الدنيا قدر تغلى وكنيف يملأ .

وقال : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم ، وقال التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما بأيدى الخلائق ، ومر بسقاء يقول رحم الله من يشرب فشرب فقيل ألم تكن صائما ؟ قال نعم لكن رجوت دعاءه . ونزل الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فأخذتهما امرأة فتبعها فقال : ياأختى لابأس عليك ألك ابن يقرأ أوزوج ؟ قالت : لا . قال : هاتى المصحف وخذى الثوب ، ولما مرض قيل له : أوصى قال : تصدقوا بقميصى فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ، وكان يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل ، فيقال له : إن أخاك بشراً لايأكله . فيقول : أخى قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ، وإنما أنا ضيف فى دار مولاى مهما أطعمنى أكلت ، وقيل له : كل من دعاك تمر

إليه ؟ قال : إنما أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى ، وكان يقول : يانفس أخلصى تتخلصى ، ولم يزل على حاله إلى أن دنا من قبره فتدلى ، وأعرض عن الدنيا وولى سنة إحدى ومائتين ببغداد ، وقيل سنة مائتين وقد أسند الحديث عن جماعة .

(٢٨٥) مُمشاذ الدينورى[1]

من كبار المشايخ ، كان حسن الخلق والسياسة ، متحليا بعقود الديانة والرياسة ، متلفعا برد التواضع والأدب ، بالغا فى طريق القوم أعلى الرتب ، مقتفيا آثار مشايخ الطريقة ، سالكا سبيل التصوف على الحقيقة ، صحب ابن الجلاء ومن فوقه ، وكان رأسا عظيما فى الزهد ، متين الديانة ، رصين الصيانة ، له أوراد يقوم بأوقاتها ، ويعد ذلك لنفسه من أطيب أقواتها .

(ومن فوائده) الهمة مقدمة الأشياء ، فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال .

وقال : أحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية الخلق ، وكان فى الخلوات لسره مراعيا ، واعتمد فى جميع أموره على من له أضحى كافلا كافيا .

وقال : للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه فيها .

وقال : إنما ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكر ، وقال : طريق الحق بعيد والصبر عليه شديد .

وقال : من دخل على شيخ بخطه انقطع عن بركته .

وقال : صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٥٣ ؛ وصفة الصفوة ٤/٦٠ ، والرسالة القشيرية ، ٣٣ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١/١٨٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٢٠ ، والسلمى ، طبقات ، ٣١٦ - ٣١٨ .

وقال : لو جمعت حكمة الأولين والآخرين وادعيت أحوال الأولياء والصادقين ، لم تصل إلى درجة العارفين حتى تسكن سرك إلى الله وتثق به فيما ضمن لك .

وقال : ماأقبح الغفلة عن طاعة من لايغفل عن برك ، وعن ذكر من لايغفل عن ذكرك ، وأشرف على قوم فيهم قوال فسكتوا ، فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفا بعض ما بى .

وقال : منذ علمت أن أحوال الفقراء كلها جد لم أمازح فقيرا ، وذلك أن فقيراً قدم على فقال : أتريد أن تتخذ لى عصيدة ؛ فجرى على لسانى إرادة وعصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر ، فأمرت باتخاذها وطلبته فقيل إنصرف فورا وهو يقول إرادة وعصيدة وهام على وجهه فى البادية ، ولم يزل يقولها حتى مات .

(ومن كراماته) أنه خرج من داره فنبحه كلب ، فقال : لا إله إلا الله فمات الكلب مكانه فورا ، وذكر الذهبى فى تاريخ الإسلام وقيل لممشاذ عند الموت : كيف تجدك العلة ؟ قال : سلوا العلة عنى ، فقيل له : قل لا إله إلا الله فحول رأسه إلى الجدار ، وقال : أفنيت كلى بكلك هذا جزاء من يحبك ، مات سنة تسع وتسعين ومائتين .

(٢٨٦) منصور بن عمار المروزى[١]

من كبار حكماء الشيوخ ، وعظماء علماء أهل الرسوخ ، كان لآلاء الله اصفا ، وعلى بابه عاكفا بحوش العباد إليه ، ويلح فى المسألة عليه ، وكان كبير الشأن ، واعظا وورعا ، اقتحم البرارى وقطع المفاوز فى الليل السارى ، حتى بلغ

---

(١) حلية الأولياء ٩/٣٢٥ ـ ٣٣١ ؛ الرسالة القشيرية ٢٣ ؛ طبقات الشعرانى ١/٩٧ ؛ تاريخ بغداد ١٣/ ٧١ ـ ٧٩ ؛ وميزان الاعتدال ٤/٢٠٢ ، والسلمى ، طبقات ١٣٠ ـ ١٣٦ .

ماأراد من الوصول ، واستنفد الحاصل واستغرق المحصول .

(ومن كلامه) : سلامة النفس فى مخالفتها ، وبلاؤها فى اتباعها ، وقال : الناس رجلان عارف بنفسه فشغله المجاهدة والرياضة ، وعارف بربه فشغله الخدمة والعبادة ، طلبا لمرضاته ، وكتب إليه بشر المريسى : ما قولك فى القرآن أمخلوق أم لا ؟ فكتب إليه : أما بعد ، عافانى الله وإياك من كل فتنة ، فإن يفعل فأعظم بها من نعمة وإلا فهو الهلكة ، اعلم أن الكلام فى القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس له ، والله تعالى الخالق وما دون الله مخلوق والقرآن كلام الله وائته إلى أسمائه التى سماه الله بها تكن من المهتدين ، ولاتبتدع فى القرآن من قبلك أسماء تكن من الضالين ، ﴿ وذر الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾.

وقال : الغالب لهواه أشد من الذى يفتح المدينة وحده . وقال : الدمعة إذا بقيت فى الجفوف كان أبقى للحزن فى الجوف ، ولولا ذلك لاستراحوا إلى إسبال الدموع ، وقال : قلوب العباد كلها روحانية فإذا دخلها الشك أو الخبث امتنع منها روحها .

وقال : الحكمة تنطق فى قلوب العارفين بلسان التصديق وفى قلوب الزاهدين وفى قلوب العباد بلسان التوفيق ، وفى قلوب المريدين بلسان التفكير ، وفى قلوب العلماء بلسان التذكير .

وقال : من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبتة فى دينه ، وقال : سبحان من جعل قلوب العاوفين أوعية الفكر ، وقلوب أهل الدنيا أوعية الطمع ، وقلوب الزاهدين أوعية التوكل .

وقال : سلامة النفس فى مخالفتها ، وبلاؤها فى متابعتها .

أسند منصور عن جماعة من المحدثين ، ورؤى فى النوم فقيل : ما فعل

اللّه بك ؟ فقال : أقامنى ، وقال : يامشغب أنت المشغب لولا أنك أثنيت على فى بعض مجالسك فمر بك ولى من أوليائى فاستحسن ثناءك علىّ فاستوهبك منى لعذبتك .

حرف النون

(٢٨٧) نفيسة بنت الحسن[١]

ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ، ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهادة ، تصوم النهار وتقوم الليل ، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، ثم قدمت مصر بها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ، وكان لها بها الشهرة التامة بالولاية فخعلت عليها الشهرة واختفت ، فصار لنفيسة القبول التام بين الخاص والعام ، ولازالت كذلك حتى ماتت فى رمضان سنة ثمان ومائتين ، احتضرت وهى صائمة فألزموها بالفطر وألحوا وأبرموا ، فقالت : واعجباه لى ، منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة أفطر الآن ؟ هذا لايكون ، ثم قرأت سورة الأنعام ، فلما وصلت إلى قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم » ماتت ، وكانت قد حفرت قبرها بيديها وصارت تنزل فيه وتصلى وقرأت فيه ستة آلاف ختمة ، فلما ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع تلك الليلة ، وسمع البكاء من كل دار بمصر ، وعظم الأسف عليها وصلى عليها فى مشهد حافل لم ير مثله بحيث امتلأت الفلوات والقيعان ، ثم دفنت فى قبرها الذى حفرته فى بيتها بدرب السباع بالمراغة محل معروف بينه وبين مشهدها الذى يزار الآن مسافة بعيدة ، ثم ظهرت فى هذا المكان الذى يزار الآن لأن حكم أرباب البرزخ

---

(١) فوات الوفيات ٢ / ٣١٠ ؛ ووفيات الأعيان٢/١٦٩ ؛ وخطط على باشا مبارك ٥ / ١٣٥ ؛ والعبر للذهبى ١ / ٣٥٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٥٨؛ السخاوى الحنفى ، ص ١٠٤ وما بعدها .

حكم إنسان تدلى فى تيار جار فيطف بعد ذلك فى مكان آخر ، فطفت فى هذا الموضع الذى هى فيه الآن وخاطبت بعض الأولياء منه ، قاله الشيخ على الخواص ، وذكر لى الشيخ حشيش الحمصانى أنها خاطبته من الأول أيضا ، وكان الشافعى يعتقدها ويزورها ، ولما مات أمر أمير مصر أن يمروا على بيتها فمروا به عليها حتى صلت عليه مأمومة فى جماعة من النساء ، قال الذهبى : وكان والدها من سروات العلويين وأشرافهم وأجوادهم ، ولى المدينة للمنصور خمس سنين ثم حبسه حتى مات المنصور ، فأخرجه المهدى وأكرمه ولم يزل معه حتى مات فى طريق الحج .

(ولنفيسة كرامات كثيرة) منها أن النيل توقف فى أوان الوفاء فضج الناس وأتوها فأعطتهم قناعها وقالت : اطرحوه فيه ففعلوا ، فأوفى من ساعته ، ومنها أن أمتها جوهرة خرجت ليلة ذات مطر كثير لتأتيها بماء للوضوء فخاضت ماء المطر فلم يبتل قدمها ، ومنها أنها لما قدمت مصر نزلت ببيت يهودى له ابنة مقعدة فذهبوا إلى الحمام وتركوها عندها ، فأخذت من فضل وضوئها وجعلته على مكان وجعها فقامت تمشى كأنها نشطت من عقال فأسلم أهلها كلهم ، وقبرها معروف بإجابة الدعاء ، عليه مهابة ونور مقصود للزيارة من كل جهة ، وأراد زوجها نقلها إلى المدينة ودفنها بالبقيع فسأله أهل مصر فى تركها عندهم للتبرك ، يقال : بذلوا له مالا كثيراً ، وقيل بل رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ياأبا إسحاق[1] لاتعارض أهل مصر فى نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها ، وكان أخوها أبو القاسم بن الحسن زاهداً عابداً سكن أولاده نيسابور ، والسيد العدوى شيخ البيهقى من أولاده .

---

(١) أبو إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق زوج السيدة نفيسة ، رضى الله عنها .

حرف الياء المثناة تحت

(٢٨٨) يحيى بن معاذ الرازى[1]

المادح الشكار ، القانع الصبار ، كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، له سطوة تكف الأيدى عن الجور ، ومهابة تزعزع كل جبار متعدى الطور ؛ لزم الحداد توقيا من المعاد ، واستلذ السهاد تحريا للوداد ، واحتمل الشداد توصلا إلى العتاد ، وكان يلبس الخلقان والعباءة فى بداية أمره ، ثم صار يلبس الناعم من الثياب ، فبلغ ذلك أبا يزيد البسطامى ، فقال : مسكين من لم يقدر على لبس الخشن ، فكيف يقدر على الناعم أو يصبر عليه بلا ميل وشهوة .

(ومن فوائده) إن وضع الله على عباده عدله لم يبق لهم حسنة ،وإن أنالهم فضله لم يبق عليهم سيئة ، وقال : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة بالقلوب .

وقال : من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلق .

وقال : الوحدة جليس الصديقين .

وقال : من خالط الناس داراهم ومن داراهم رياهم .

وقال فى مناجاته : رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال ، لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وأنا بالآفات معروف ، وأعتمد فى الذنوب على عفوك وأنت بالجود موصوف .

وقال : مسكين ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار .

وقال : العارف يشتغل بربه عن مفاخرة الأشكال فى مجالس العطايا ،

---

(١) حلية الأولياء ٥١/١ ـ ٧٠ ؛ وصفة الصفوة ٧١/٤ ـ ٨٠ ؛ والرسالة القشيرية ٢١ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٤/١ ؛ والسلمى ، ١٠٧ ـ ١١٤ ؛ ووفيات الأعيان ٢٩٦/٢ ؛ وتاريخ بغداد ٢٠٨/١٤ ـ ٢١٢ ؛ والشذرات ١٣٨/٢ .

وعن منازعة الأضداد فى مجالس البلايا ، وقال : تضاحكت الأشياء إلى العارفين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون فيها ويعانون من بدائع خلقه معها فلهم فى كل شئ معتبر ، وعند كل شئ مدكر .

وقال : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها .

وقال : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال : العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

وقال : اذا لم يكن الإيمان هادما للسيآت كما أن الكفر هادم للحسنات فما فضل الإيمان ؟

وقال : لايفلح من شمت منه رائحة الرئاسة .

وقال : جماع الأمر فى شيئين ، سلوك القلب مع اللّه على حصول ما قسم والاجتهاد فى رضاه .

وقال : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته يؤخذ عنه كله ، ويسأل عنه كله .

وقال : لاتستبطئ الإجابة إذا دعوت وأنت سددت طرقها بالذنوب وأكل الحرام .

وقال : اترك الدنيا قبل أن تتركك ، واجتهد فى رضا ربك قبل لقائه وعمر بيتك الذى تسكنه قبل انتقالك إليه ، يعنى القبر .

وقال : الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولاتعمروها .

وقال : ليس من العقل بنيان القصور على الجسور .

وقال : ذنب أفتقر به أحب إلى طاعة أعجب بها .

وقال : حقيقة المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء .

وقال : الدنيا خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة عمران فاعمر منها قلب من يطلبها .

وقال : أخوك من عرفك العيوب وصديقك من حذرك الذنوب ، وعجب ممن يحزن على نقص ماله كيف لايحزن على نقص عمره .

وقال : من قوة اليقين ترك ما ترى لما لاترى ، وقال : لا تأسف على مفقود لايرده عليه القرب ، ولا تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت .

وقال : الدنيا خمرالشيطان من سكر منها لايفيق إلا فى عسكر الموتى .

وقال : التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الأغنياء أحسن ، والتكبر قبيح فى كل أحد لكنه فى الفقراء أقبح .

وقال : الجوع نور ، والشبع نار ، والشهوة كالحطب يتولد منه الإحراق ولاتنطفئ ناره حتى تحرق صاحبه .

وقال : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات .

وقال : إن اللّه رضى عن قوم فغفر لهم السيآت ، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات .

وقال : الدنيا بحر التلف والنجاة منه الزهد .

وقال : يا غفول يا جهول ، لو سمعت صرير القلم حين تجرى بذكرك فى اللوح المحفوظ مت طربا .

وقال : من أصبح بالدنيا مشغولا أصبح الخير عنه مصروفا .

وقال : على قدر حب العبد للّه يحببه إلى عباده ، وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه .

وقال : لاتكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ، ويوم حشره ميزانه .

وقال : بقدر تعلق قلبك بالدنيا يكون بعدك عن الله .

وقال : إذا أحب القلب الخلوة فقد يوصله حبه إلى الله والأنس به ، ومن أنس بالله استوحش من غيره ، وقال : أعمال كالسراب ؛ وقلوب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد التراب ، وتطمع مع هذا فى الكواعب الأتراب ؟! هيهات هيهات أنت سكران بغير شراب .

وقال : الوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من الموت ، لأن الفوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق .

وقال : الزهد ثلاثة أشياء ، القلة والخلوة والجوع ؛ ومن خان الله تعالى فى السر هتك ستره فى العلانية .

وقال : من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبا ، ومع العارفين درا وياقوتا ، فليس من حكماء الله المريدين .

وقال : أحسن شئ كلام صحيح من لسان فصيح .

وقال : ما بعد طريق إلى صديق ، وقال : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة .

وقال : ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهاه اشتهاء الجائع إلى الطعام .

وقال : من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء .

وقال : التوحيد نور والشك نار ، ولنور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشك لحسنات الموحدين .

وقال : إن نظر إليك مرة فرغك لذكره ، وإن فرغك لذكره من عليك بحبه ، وإن من عليك بحبه ناجاك بقربه .

وقال : إن لله عبادا إذا مشوا على الأرض اهتزت تحت أقدامهم سروراً بهم ، وقرئ عنده « فقولا له قولا لينا »[1] وقال : هذا رفقك بمن يقول : أنا إله ، فكيف رحمتك بمن يقول : أنت الإله ؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف بمن يتولاك ويناديك ، هذا رفقك بمن يقول :أنا الرب فكيف بمن يقول : أنا العبد وأنت الرب .

وقال : كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم ، هذا استغفر اللّه وقلبه فاجر ، وهذا ساكت وقلبه ذاكر ، ودخل على علوى زائر ا فقال العلوى : ما يقول الأستاذ فينا أهل البيت ؟ فقال : ماأقول فى طين عجن بماء الوحى وغرس بماء الرسالة ، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فملأ العلوى فاه دراً ثم زاره العلوى من الغد ، فقال له صاحب الترجمة : إن زرتنا فبفضلك ، وإن زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائرا ومزورا .

مات بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين .

---

(١) سورة طه : الآية ٤٤ .

(الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذى جعل المريد الصادق ذا بصر وبصيرة فى سلوك الطريق حافظا لأوقاته ضابطا لما يتوصل به فى مدارج العز والتحقيق ، عمت نعمته تعالى على عباده فخص من شاء بمزيد الإنعام ، وشملت مواهبه أهل وداره فقربهم وأقرّ أعين من شاء من خاص وعام ، أدناهم وهذبهم فدخلوا فى حزب المفلحين فى الجنان مطمئنين بغير إزعاج ، هب عليهم نسيم القرب فى روضة الأنس والحب فسرحت نفوسهم لنيل المطالب والابتهاج ، وساق إليهم هدايا الهداية تحفا موصلة للمآرب والرواج ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسوله صاحب المعراج وآله وصحبه والتابعين ما اضطرب البحر العجاج بالأمواج ، وبعد :

فهذه الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية ، فيمن مات فى القرن الرابع إلى آخر الخمسمائة وهم خمسة وتسعون :

(حرف الألف) إبراهيم بن أحمد بن المولد . إبراهيم القرميسينى .إبراهيم أبو إسحاق السبائى . إبراهيم بن محمد النصراباذى . إبراهيم الآجرى أحمد بن حمدان . أحمد بن سعدان البغدادى . أحمد أبو على الرودبارى . أحمد بن محمد الحريرى . أحمد أبو سعيد بن الأعرابى . أحمد بن محمد الدينورى أحمد أبو الطيب بن بنت الشافعى .أحمد أبو على المسوحى . أحمد بن جعفر بن هانئ . أحمد بن سهل البوشنجى .أحمد الخياط الدبيلى .أحمد المغربى .أحمد السبتى المقرىء . أحمد بن محمد الآدى . أحمد بن يحيى الجلاء . أحمد بن عطاء الرودبارى .أبو سعيد بن أبى هاشم . أبو بكر بن الأبيض . أبو بكر القاسى الطمستانى . أبو على الزقاق . أبو الخير التينانى . أبو عمرو الدمشقى . أبو الحسين بن بنان الجمال .أبو على المعتوه المجذوب . أبو العباس القاسم

اليسارى أبو القاسم بن أحمد المغربى .أبو عبد اللّه البرائى .أبو الفتح يوسف القواس أبو أحمد القلانسى . اسماعيل بن نجيد السلمى .اسحق أبو يعقوب النهر حورى (حرف الباء) بنان الجمال الواسطى . بقدار بن الحسين الشيرازى . بشر بن بشار المجاشعى (حرف الجيم) جعفر الخلدى البغدادى (حرف الحاء) الحسين الحلاج البيضاوى .حسن أبو الحسين الكابشى .الحسن الصبيحى البصرى .الحسن بن أحمد الكاتب المصرى . الحسين بن على بن بزدانيار . الحسين بن على الجوزجانى (حرف الدال) دلف أبو بكر الشبلى . دينار العابد الزاهد .(حرف الراء) رويم بن أحمد الفطن (حرف الزاء) زهير بن نعيم البابى . زكريا بن الصلت (حرف السين) سعيد أبو عثمان المغربى (حرف الشين) شاه الكرمانى (حرف الطاء) طاهر المقدسى . طاهر بن بابشاذ النحوى (حرف العين) عبد اللّه الشعرانى . عبد اللّه الراسبى البغدادى . عبد اللّه المرتعش النيسابورى .عبد الله بن طاهر الأبهرى. على بن ابراهيم الحصرى البغدادى .على بن بندار الصوفى .على أبو الحسن الدينورى .على أبو الحسن الأصبهانى . على المزين البغدادى .على أبو الحسن بن بشار الزاهد .على بن هند القرشى الفارسى . عائشة بنت أبى عثمان الحيرى (حرف الميم) محمد الوراق البلخى . محمد الزجاجى النيسابورى .محمد أبو بكر الدقى الدينورى محمد بن أحمد النيسابورى . محمد بن حمدون القزاز . محمد بن أحمد المقرىء .محمد بن عبد الخالق الدينورى .محمد بن على الترمذى .محمد أبو سهل الصعلوكى .محمد بن شمعون البغدادى .محمد بن اسحاق .محمد بن الحسين الخشوعى . محمد بن يعقوب العرجى . محمد الضبى الشيرازى .محمد أبو بكر الكنانى البغدادى .محمد بن عليان النسوى .محمد بن الفضل البلخى . محمد بن الحسن النزوعندى .محمد بن سعد الوراق . محمد ابن عبد الجبار النفرى . محمد بن عبد الوهاب الثقفى . محمد بن منازل النيسابورى .محمد أبو بكر المعلم التيمى .محمد أبو بكر الواسطى . محمد بن معدان البناء . محمد بن يوسف الرازى . محفوظ بن محمود النيسابورى .مظهر القرميسينى .

حرف الهمزه

(٢٨٩) إبراهيم بن أحمد بن المولد[١]

كان صوفيا عالما مفننا ، ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح وحسن أخلاق من كبار مشايخ الرقة[٢] ، صحب القصار وابن الجلاء وغيرهما .

(ومن كلامه) من تولته رعاية الحق أجل ممن تولته رعاية العلم[٣] ، وقال : خلقت الأرواح فى الأفراح فهى تعلو أبدا إلى محل الفرح من المشاهدة ، وخلقت الأجسام من الأكماد فلاتزال ترجع إلى كمدها من طلب الشهوات الفانية والاهتمام بها ، ومن قام إلى أوامر الله بالله كان مقبولا قطعا ، ومن قام بنفسه كان بين قبول ورد ، والفترة بعد المجاهدة من فساد الابتداء ، والحجب بعد الكشف من السكون إلى الأحوال ، وقال : نفسك سائرة بك وقلبك طائر بك فكن مع أسرعهما ، وقال : السياحة بالنفس لأرباب الظواهر علما وشرعا وخلقا ، والسياحة بالقلب لأرباب البواطن حالا ووجدا وكشفا .

(٢٩٠) إبراهيم بن شيبان القرميسينى[٤]

شيخ الجبل فى زمانه ، وإمام أهل الحقائق فى أوانه

كان من رجال الزمان هيبة وإقداما ، وممن يتعب الشيطان إرغاما ،

---

(١) إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولد الرقى ، أبو الحسن الزاهد الصوفى الواعظ ، شيخ الصوفية ، المتوفى سنة ٣٤٢ هـ . انظر ترجمته فى حلية الأولياء ١٠/٣٦٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٦؛ والشذرات ٣/٣٦٢ ، والسلمى ٤١٠ ـ ٤١٣ .

(٢) مدينة مشهورة على الفرات ، معجم البلدان ٣/٥٨ ـ ٦٠ .

(٣) جاءت « من تولاه الله برعاية الحق » فى الشذرات ، المرجع السابق .

(٤) اللباب ٢/٢٥٥ ؛ والسلمى ٢٤٢ والحاشية (أ) ؛ وحلية الأولياء ١٠/٣٦١ ؛ والرسالة القشيرية ٢/٣٤٤ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١/١٩٩ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٢ ؛ والشذرات ٢/٣٤٤ ـ ٣٤٥ حيث جاءت وفاته سنة ٣٣٧ هـ .

لايهاب الأسود إذا فغرت فاها ولا الأيام إذا أدبرت وأولته جفاها ، صحب الخواص والمغربى وكان شديداً على المدعين متمسكا بالكتاب والسنة ملازما لطريق الأئمة .

(ومن كلامه) من أراد أن يتعطل عن السير فليلزم الرخص ، وقال : ما قطع الطريق على الفقراء وأهلكهم إلا ميلهم لما عليه أهل الدنيا ، وقال : علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ؛ وما عدا ذلك مغاليط وزندقة ، وقال : من تكلم فى الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه اللّه بهتك سره عند الأقران والإخوان ، وقال : بينما أنا أدور فى جبل لبنان إذ خرج شاب أحرقته السموم والرياضة ، فلما رآنى ولى هاربا فتبعته وقلت : عظنى بكلمة ، فقال : احذره فإنه غيور ولايحب أن يرى فى قلب عبده سواه ، وسئل عن وصف العارف ، فقال : كنت على جبل الطور مع شيخنا أبى عبد اللّه المغربى فبينا نحن ذات يوم قعود تحت شجرة بمكان فيه عشب فتكلم الشيخ فى علوم المعارف ، فرأيت شابا يتنفس فاحترق ما بين يديه من العشب الأخضر ، ثم غاب فلم نره ، فقال الشيخ : هذا هو العارف ، وقال : إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات فيه وطرد رغبة الدنيا عنه ، وقال : من ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها ، وقال : لا تصحب من يقول : نعلى أو قصعتى ، وقال : إياك أن يشغلك عن اللّه شاغل فقل من أعرض عنه فأقبل عليه ، وقال : الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرمة فى القناعة ، وقال : ما بت تحت سقف ولا بمحل عليه غلق أربعين سنة ، وكنت أشتهى شبعة من عدس فلم يتفق ، فدخلت الشام فحمل إلى غضارة فيها عدس فتناولت منه وخرجت ، فرأيت قوارير معلقة فيها خمر فكسرتها فَحُملتُ إلى السلطان فأمر بضربى مائة وسجنت ، فبقيت مدة حتى دخل أبو عبد اللّه المغربى أستاذى البلدة فشفع فى ، فلما وقع بصره على قال : إيش فعلت ؟ قلت : شبعة عدس بمائة خشبة والسجن ، قال : نجوت مجانا ، وقال : كنا مجتمعين على جبل مع أستاذنا

المغربى ، وكانوا يتحاورون فى العلم فوقعت عينى على شاب قد انتفخ بطنه وعيناه قد خرجتا ، فقلت فى نفسى : هذا الشاب ينتشق الساعة فتنفس فأحرق كل حشيش حوله ، مات سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(٢٩١) إبراهيم بن أحمد الحسبانى [١]

ابن أسلم أبو إسحاق الحسبانى البكرى بن بكر بن وائل

كان من الأبدال ، وأحد الائمة المقتدى بهم فى الأفعال ، حتى أفرد أبو القاسم اللبيدى ، وأبو بكر المالكى أخباره وسيره بالتأليف ، وكان سلفه من أهل الخطط بالقيروان ، وله الحظ الوافر فى التعبير واختلاف العلماء واللغة ، والعربية ، والتفسير وناسخه ومنسوخه ، قال القابسى : هو إمام يقتدى به ، وابن أبى زيد : طريق أبى إسحاق خالية لايسلكها أحد ، وكان ما يتغير على أحد فيفلح ، واذا رؤى ذكر اللّه من هيبته ، وكان من كثرة العبادة قد جف جلده على عظمه واسود لونه ، وكثر صمته وقل كلامه ، وإذا تكلم نطق بالحكمة .

(ومن كلامه) اتبع ولا تبتدع ، اتضع ولا ترتفع ، من ورع لا يتسع ، مات بقيروان سنة تسع وستين وثلاثمائة عن تسعين سنة .

إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق السبائى [٢]

ثم القيروانى

أحد العلماء الذين ينزل بدعائهم القطر ، وتظهر لهم البراهين وأنفاسهم كالقطر ، وصحب ابن نصر وابن بشار والقصرى وغيرهم ، وأخذ عنه الجم

---

(١) النبهانى ١/ ٢٣٥ .

(٢) لعله نفس الشخص المذكور أعلاه .

الكثير ، وأخذ من علم الظاهر والباطن الحظ الوافر الغزير ، وكان إذا وقف أهل عصره كابن أبى يزيد والقابسى فى المشكلات وحضروا لديه انحلت إليهم تلك المهمات ، وكانت أكابر قيروان إذا نزلت بهم الحوادث اقتدوا به فى أفعاله ، فإن أغلق بابه أغلقوه وإن فتحه فتحوه تأسيا به فيه ، قال ابن نصر : لو وزن إيمان أبى إسحاق بأهل المغرب لرجحهم ، وكان كثير الورع والاجتهاد فى العبادة ، وقافا عن الشبهات ، حسن الأخلاق ، غزير الدمعة مجاب الدعوة ، وكان خبزه السميد ، فقيل له في ذلك : لو علمت أن الجوهر يزيد فى عقلي لسحقته وأكلته فإن نفسى لاتصلح إلا إذا أكلت طيبا ، وقال : اتجر بالعلم والبس بالورع ، وقال بعضهم : كنا إذا دخلنا عقدنا التوبة ببابه مخافة أن ينطق فينا بشئ ، مات سنة ست وخمسين وثلاثمائة سنة عن ست وثمانين سنة .

(٢٩٢) إبراهيم بن محمد أبو القاسم النصر اباذى[١]

شيخ خراسان علما وحالا ، كان فى علم التصوف إماما ، وفى فن التعرف لمن تقدم ختاما . محالفا للزهد والورع ، مخالفا لمن زاغ عن الطريق وابتدع ، كاشف الهم ، هاطل الغمام ، حسن الأخلاق ، لطيف الكلام ، فصيح اللسان عذب العبارة لايلهيه عن ذكر الله بيع ولاتجارة ، أخذ الحديث عن ابن خزيمة وابن أبى حاتم والطحاوى وغيرهم وعنه الحاكم وغيره ، وصحب الشبلى والمرتعش والطبقة ، وكان فيه نفع للناس فى الشفاعة فى قضاء أشغالهم ، ومبادرة إلى تلقى مصالحهم ، وتمشية أحوالهم لايتوقف فى خير يقصد فيه ، ولا يبالى إن كان فيه تلفه أم تلافيه .

(ومن كلامه) : إذا أعطاك حباك ، وإذا لم يعطك حماك ، وشتان ما بين الحباء والحماء ، فإذا حباك شغلك ، وإذا حماك حملك ، وقال : إن الله

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٩ ؛ والسلمى ٤٨٤ ـ ٤٨٨ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١٣/٢ ـ ١٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٤/١ ؛ والشذرات ٥٨/٣ ؛ وتاريخ بغداد ١٦٩/٦ ؛ واللباب ٢٢٥/٣ ؛ والمنتظم ٨٩/٧ ؛ والنجوم الزاهرة ١٢٩/٤ ـ ١٣١ .

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وقال : بعلمى اشتريتهم وبحكمى بعتهم ، فلا ينقض علمى حكمى ولاحكمى علمى ، وقال : من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل اللّه رضاه فيه ، وقال : سجنك نفسك فإذا خرجت منها وقعت فى راحة الأدب ، والخروج عنها بمخالفتها ، وقال : من أدب العارف أن يعظم ما عظمه اللّه من أمور الكون ؛ وقال : من عمل على رؤية الجزاء فأعماله بالعد والإحصاء ، ومن عمل على المشاهدة أذهلته عن العدد ، وكان أجره بلا عدد ، وقال : دماء المحبين تحبس وتغلى وهم واقفون مع الحق فى مقام إن تقدموا غرقوا وإن تأخروا حجبوا ، وقال : الحق غيور، وإذا بدا لك شىء من بوادى الحق فلا تلتفت معه لجنة ولا لنار ، فإذا رجعت السلو عن تلك الحال فعظم ما عظمه ، وقال : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، وجمال المحبة مجانبة على كل حال ثم أنشد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة　　فإنى من ليلى لها غير ذائق

وأكبر شئ نلته من وصالها　　أمانى لم تصدق كلمحة بارق

ومن نظمه أيضا ، وكان كثيراً ماينشده :

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم قفوا　　دمعى ينوب لكم عن الأنواء

قالوا صدقت ففى دموعك مقنع　　لو لم تكن ممزوجة بدماء

وقال : للنفس قوت إذا أحرزت اطمأنت ، وللقلب قوت وهو الطمأنينة ، وللسر قوت وهو الفكر ، وللروح قوت وهو السماع ، والقوت فى الحقيقة هو اللّه ، لأن فيه الكفايات ، ثم أنشد :

إذا كنت قوت النفس ثم تركتها　　فلم تلبث النفس التى أنت قوتها

ستبقى بقاء العشب فى الماء أو كما　　يعيش ببيداء المهامه حوتها

وقال : الجذب أسرع فى الوصول من السلوك فإن كل جذبة من الحق

تغنى العبد عن أعمال الثقلين ، وقال : أصل التصوف لزوم الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق أى قبولها منهم ، ودوام الأوراد وتجنب الرخص والتأويلات ، وقال : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة ، وقال : إنما سمى اللّه أهل الكهف فتية ، لأنهم آمنوا بلا واسطة ، وقال : مرضت بالبادية فأيست من نفسى فوقع بصرى على القمر نهارا فرأيت مكتوبا عليه ، فسيكفيهم اللّه ، فاستقللت وفتح عليَّ من ذلك الوقت ، وسئل لِمَ لَمْ يتكلم المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فى المعرفة ؟ قال : لأنه كمل فى معرفته وكل من كمل فى شىء أقل الكلام فيه ، ولم يزل على حاله حتى ضمه ترابه ، وفارقه أحبابه وأترابه ، فى سنة سبع وستين وثلثمائة ، ورؤى فى المنام فقيل له : ما فُعِلَ بك ، قال : عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم : أبعد الاتصال انفصال !!! فقلت : لا ياذا الجلال .

(٢٩٣) إبراهيم الآجرى[١]

بغدادى له الآيات العجيبة ، والكرامات اللطيفة ، منها أنه جاءه يهودى يقتضيه دينا ، فقال له : أرنى شيئا أعرف به شرف الإسلام على دينى فأسلم ، فأخذ رداءه وجعله فى رداء نفسه ولف رداءه عليه ورماه فى نار كانون الأجر ودخل فى أثره فأخذ الرداء وخرج من الباب ففتح رداءه نفسه وهو صحيح ، وأخرج رداء اليهودى محترقا كالفحم فأسلم .

(٢٩٤) أحمد بن حمدان بن على بن سنان[٢]

من أكابر الأعيان ، صحب الحداد وأبا عثمان ، وكان صدرا مبجَّلا ،

(١) النبهاني ١/ ٢٣٥ عن القشيرى .

(٢) السلمى ٣٣٢ ـ ٣٣٤ ، وطبقات الشعرانى ١/ ١٢١ ، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٤ ؛ والمنتظم ٦/ ١٧٦؛ والشذرات ٢/ ٢٦١ .

وإماما مفخما ، ومحبا للأبرار مجانبا للأغيار ، وله تسرع إلى الخير ، وهمة تسابق البرق فضلا عن الطير .

(ومن فوائده) تكبر المطيع على المعاصى بطاعته شر من معصية العصاة وأضر عليه منها ، كما أن التهاون عن التوبة من الذنب شر منه ، وقال : كيف يبغض أحدكم أخاه لذنب واحد ولا يبغض نفسه لذنوب كثيرة ، وقال : من سكنت عظمة اللّه قلبه عظم كل من انتسب إليه بالعبودية ، وقال : علامة صدق من انقطع الى اللّه أن لا يشغله عنه شيء من الكونين ، وقال : جمال الرجل في حسن مقاله ، وكماله فى صدق فعاله ، وقال : من لزم العزلة والخلوة كان أقل لفضحته فى الدنيا إلى أن يبلغ إلى فضيحة الآخرة ، وقال : من عرف اللّه خضع له وانقاد فى خضوعه المتولد من تعظيمه لربه ، ومن عرف ربه صغر في عينه كل من سواه ، ومات سنة إحدى عشرة وثلثمائة .

(٢٩٥) احمد بن محمد بن أبى سعدان [(١)]

كان فى وقته شيخ الإفادة ، المنفرد في التربية بفنون الإجادة ، وصحب الجنيد وطبقته وكان عالما بمذهب الشافعى ، ذا لسان وبيان ، وجاه ووجاهة عند أكابر الأعيان ، ومعرفة بعلوم شتى وربما درس فى بعض الأحيان وأفتى ، وطلب الخليفة من يرسله إلى الروم ، فلم يجد أعلم منه ، ولا أفصح ، ولا أجود عبارة ، ولا أوضح ، فوجهه ، فما واجهه أحد من علماء الروم إلا وغلبه ، وبهت عقله وسلبه .

(ومن كلامه) لا يكمل حال فقير حتى يعلم علم الدراية والرواية ، وهناك يهتدى إلى سبيل الحق ، وقال : إذا بدت علوم الحقائق طمست آثار

---

(١) حلية الأولياء ٣٧٧/١٠ ؛ والسلمى ، ٤٢٠ ـ ٤٢٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١٣٧/١ ، وتاريخ بغداد ٣٦١/٤ .

الفهوم والعلوم ، وقال : الصوفى لا يقف مع النعوت ، ولا الرسوم .

(٢٩٦) أحمد بن محمد العارف أبو على الروذبارى(١)

بضم الراء وسكون الواو ودال مهملة وموحدة مفتوحة وآخره راء ، كان من أئمة الصوفية ، وعلماء الشافعية ، ساد أهل ذلك المذهب في زمانه ، حتى صار أمثلهم طوع مرامه ، وقوساً فى يده يرمى بها إلى غرضه بسهامه ، وهو بغدادى الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء ونسبه متصل بكسرى ، وكان عالما محدثا صوفيا ، وصحب فى التصوف الجنيد والفقه ابن سريج ، والحديث إبراهيم الحربى ، والنحو جماعة منهم ثعلب ، وكان يفتخر بذلك ، أقام بمصر وصار فقيهها ومحدثها وصوفيَّها يقصد الأخذ عنه من جميع الآفاق ، وأتاه جمع من الفقراء فاعتل منهم واحد فأمر أصحابه بخدمته فملوا ، فحلف أن لا يخدمه غيره فخدمه بنفسه حتى مات فدفنه ، فلما أراد فتح رأس كفنه ليضجعه مستويا فتح عينيه ، وقال : يا أبا على لأنصرك بجاهي يوم القيامة كما نصرتنى بمخالفة نفسك ، وقال : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنا بجنازة فتى سمع قائلا يقول :

كبرت همة عين   طمعت فى أن تراكا

فشهق فمات ، وقال : اتخذ رجل ضيافة فأوقد فيها ألف سراج ، فقال له رجل : أسرفت ، قال : ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه ، فدخل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع ، ومر يوما على الفرات وقد عرضت لنفسه شهوة السمك فقذف الماء سمكة نحوه ، وإذا برجل يعدو ويقول : أشويها لك

(١) حلية الأولياء ٣٥٦/١٠ ؛ وصفة الصفوة ٢٥٦/٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٤ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ١٩٠/١ ؛ وطبقات الشعرانى ١٢٤/١ ، واللباب ٤٨٠/١ ؛ وحسن المحاضرة ٢٢٥/١ ، وتاريخ بغداد ٣٢٩/١ ؛ والمنتظم ٢٧٢/٦ ؛ والبداية والنهاية ١٨١/١١ ؛ والسلمى ٣٥٤- ٣٦٠ ؛ والشذرات ٢٩٦/٢ .

فشواها له وأكلها .

(ومن فوائده) الإشارة الإبانة عما تضمنه الوجد من المشار إليه ، وفى الحقيقة الإشارة تصحبها العلل ، والحلل بعيدة من الحقائق ، وقال : لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لم يبق محبا إلا مات حالا ، وقال : والأهم قبل أفعالهم وعاداهم قبل أفعالهم ثم جازاهم بأفعالهم ، وقال : المريد من لا يريد لنفسه إلا ما أراد اللّه له ، والمراد لا يريد من الكونين شيئا غيره ، وقال : المشتاقون إلى اللّه يجدون حلاوة الوقت حين وروده لما كشف لهم من روح الوصول إلى قربه أحلى من الشهد ، وقال : إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب ، وقال : دخلت الآفة فى القوم من ثلاث ، سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة ، وقال اكتساب الدنيا مذلة واكتساب الآخرة عز ، فوا عجبا لمن يختار الذل على العز . وقال : سبحان من لا يشهده شىء ولا يغيب عنه شىء ، وقال : لما تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق ألقى اليها الأسماء كلها فسكنت وركنت إليها ، والذات مستترة إلى التجلى الأخروي ، وقال : المشاهدة للقلوب والمكاشفة للأسرار والمعاينة للبصائر والمرئيات للأبصار ، وقال : من نظر إلى كمال نفسه مرة عمى قلبه عن النظر إلى شىء من الأكوان علي وجه الاعتبار ، وقال : ما دعى أحد قط دعوى إلا لخلوه عن الحقائق ؛ إذ لو تحقق بشىء نطقت عنه الحقيقة وأغنته عن الدعاوى ، وقال : التصوف الإناخة على باب الحق وإن طردوه ، وقال : من علامة مقت اللّه للعبد أن يضجر من طول مجالس الذكر لأنه لو أحب الحق تعالى كانت مجالسته له ألف سنة كلمحة ، وقال : لا ينبغى أن يتصدى لتربية الأحداث إلا الكمل لعظم سياستهم لأن الشباب شعبة من الجنون ، وسمع عمن يسمع من الملاهى ويقول : لا تؤثر فىّ لأنى وصلت الى مقام لا يؤثر فىّ الاختلاف ، فقال : قد وصل ولكن إلى سقر ، قال السبكى : وقد يتوصل بهذا إلى زعم أنه كان لا يرى السماع والذى يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهاره الوصول إلى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لا يتظاهر بذلك

إلا بأدب وليس مراده تحريم السماع ولا إنكار أن بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ومن كلامه أيضا : السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب ، وقال : أعظم اليقين ما عظم الحق فى عينك وصغر ما دونه عندك وأثبت الرجاء والخوف فى قلبك ، وقال : من الاغترار أن تسيىء فيحسن إليك ، فتترك الإنابة توهما أنك تسامح من الهفوات ، وترى أن ذلك من بسط الحق لك ، وقال : الصول على من دونك ضعف ، وعلى من فوقك قحة ، ومن نظمه .

روحى إليك بكلها قد أجمعت   لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكى إليك بكلها عن كلها   حتى يقال : من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة فلطالما   متعتها من نعمة فتمتعت

وقال : كيف تشهده الأشياء وبه فنيت ذواتها ، أم كيف غابت الأشياء عنه وبه ظهرت بصفاته ؟ فسبحان من لا يشهده شىء ولا يغيب عنه شىء .

إن الحقيقة غير ما يتوهم   فانظر لنفسك أى حال تعزم
أتكون في القوم الذين تأخروا   عن حقهم أو فى الذين تقدموا
لا تخدعن فتلوم نفسك حين لا   يجدى إليك تأسف وتندُّم

وقال :

لو مضى الكل منى لم يكن عجبا   وإنما عجبى للبعض كيف بقى
أدرك بقية روح فيك قد تلفت   قبل الفراق فهذا آخر الرمق

وقال : التفكر على أربعة أوجه ، فكرة فى آيات اللّه وعلاماتها تولد المحبة ، وفكرة فى وعده بالثواب وعلاماتها تولد الرغبة ، وفكرة فى وعيده بالعذاب وعلاماتها تولد الرهبة ، وفكرة فى جفا النفس مع إحسان اللّه وعلاماتها تولد الحياء من اللّه ، وكان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث واجتمعوا

بمحل فوجهوا واحدا من أحداثهم لحاجة فأبطأ فغضبوا ، ثم أقبل وهو يضحك وبيده بطيخة يقلبها ويشمها ، فقالوا : ما شأنك ؟ قال : جئت بفائدة ، رأيت بشر الحافى وضع يده على هذه البطيخة فلم أزل واقفا حتى اشتريتها بعشرين درهما أتبرك بموضع يده ، فأخذ كل منهم البطيخة فقبلها ووضعها على عينه ، فقال أحدهم : بمَ بلغ بشر هذا ؟ قالوا : التقوى والعمل الصالح ، قال : إنى تبت وأنا على طريقة بشر ، وقال كل منهم مثله ، وخرجوا فغزوا طرسوس فاستشهدوا ، فقال فيهم أبو على صاحب الترجمة :

فلاذوا به من بعد كل نهاية ... لياذ مقر بالخضوع مع ا لجد
لعجز وتقصير عن الواجب الذى ... به عرفوه للورود مع السود
فكان لهم بالغزو فى غاية المنى ... شكوراً لما أولاه من رتب الحمد

مات سنة عشرين وثلثمائة ، ودفن بالقرافة بقرب قبر ذى النون المصرى(١)

(٢٩٧) أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى(٢)

بالجيم أبو محمد وقيل : بل اسمه محمد ، وهو من كبار أصحاب الجنيد وأقعد بعده فى مجلسه بوصية منه ، وكان غزير العلم صحيح الطريق عظيم الشأن بلغ من الطريق ما لم يبلغه أهل عصره على التحقيق ونظم فى التصوف ونثر ، ورقى درج منبر الوعظ ، فكان كأنه فى أعلاه حمام هدر .

(ومن كلامه) أجمع أهل المعرفة على أن للدين رأس مال ، وهو عشر صفات ، خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن ، فصفات الباطن حب اللّه ، وخوف الفراق منه أى من شهوده ورجاء الوصول إليه ، وصفات الظاهر صدق

---

(١) السخاوى الحنفى ٢٤١ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٥٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٠ ؛ والسلمى ٢٥٩ ـ ٢٦٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٠ ؛ وتاريخ بغداد ٤/٤٣٠ ـ ٤٣٤ .

اللسان والسخاء فى المال والتواضع فى البدن وكف الأذى واحتماله بطيبة نفس ، وقال : ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره إذ ذاك تخلص من العلل فما قرن حدث بقدم إلا تلاشى ، يبقى الأصل وتتلاشى الفروع ، وقال : من رضى بدون قدره رفعه اللّه فوق غايته ، وقال : إن اللّه لا يعبأ بصاحب حكاية إنما يعبأ بصاحب قلب ودراية .وسئل : ما العبادة فقال حفظ ما كلفت وترك ما كفيت ، وقال : من لم يحكم بينه وبين اللّه التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة ، واعتكف بمكة شهرا ، لا يأكل ، ولا ينام ولا يمد رجليه ولا يستند لحائط فقيل له : كيف قدرت ؟ قال : علم صدق باطنى فأعاننى على ظاهرى ، وقال لى نحو عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى في الخلوة أدبا مع اللّه تعالي ، وقال : كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول : اللّه اللّه فوقع يوما على رأسه جذع فشجه وسقط دمه . فكتب على الأرض اللّه اللّه ، وذلك أن كل إناء ينضح بما فيه ، وقال : قدمت من مكة فبدأت بالجنيد لئلا يبغينى فسلمت ثم مضيت لمنزلى فلما صليت الصبح إذا به خلفى ، فقلت : أنا جئتك أمس لئلا تبغينى ، قال : ذاك فضلك وهذا حقك ، وكان لا يلبس إلا ثوبا واحدا فسئل عنه ، فقال : كان ببغداد فقير لا يرى فى السنة إلا مرة فى الشتاء ، ومرة فى الصيف ، فسأل عن حاله ، فقال : كنت مولعا بكثرة لبس الثياب فرأيت كأنى أدخلت الجنة وجماعة فقراء على مائدة فأردت الجلوس معهم فأقامنى الملائكة ، وقال : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت صاحب ثوبين ، فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا واحداً ، وقال : من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن الطريق ، لأن المصطفى يقول : لا ينجى أحدكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ، ومن صح اعتماده على فضله فذاك الذى يرجى له الوصول ، وقال : أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد وهو أن تلزم نفسك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما ، وكان عنده جماعة ، فقال : هل فيكم من إذا أراد اللّه أن يحدث فى المملكة حدثا أعلمه به قبل إبدائه ،

قالوا : لا ، فقال : مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئا من هذا ، وقال :من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات ، محصورا فى سجن الهوى يحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلامه ، ولا يستحليه وإن كثر ترداده على لسانه ، وجاءه رجل فقال كنت على بساط الأنس ففتح على من بساط البسط فزللت زلة فحجبت عن مكانى ، فكيف السبيل إليه ، فدلنى على الوصول إلى ما كنت عليه ، فبكى وأبكى ، ثم قال : الكل فى قهر هذه الخطيئة لكن أنشدك أبياتا فيها جوابك .

قف بالديار فهذه آثارهم　　تبكى الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بربعها مستخبراً　　عن أهلها أو حائرا أو مشفقا

فأجابنى داعى الهوى لى مسرعا　　فارقت من تهوى فعز الملتقى

ومن فارقه الأحباب هجر الأسباب ولزم الاكتئاب ، والشجو والانتحاب ، وواصل الليل والنهار واتبع المنازل والآثار . مات سنة أربع أو إحدى عشر وثلثمائة ، قال ابن عطاء جزت بقبره بعد سنة من موته فرأيته جالسا وهو يُشير إلى الله بأصبعه .

(٢٩٨) احمد بن محمد أبو سعيد بن الأعرابى البصرى [١]

إمام عامل ، ورع للواء الزهد حامل ، تعلق بأطواق الأخلاق الجميلة ، وجاور بالحرم المكى مدة طويلة ، وترك الدنيا مع القدرة عليها وعزبت نفسه عنها فما اشتغل بها ولا نظر إليها ، صحب الجنيد وطبقته ، وصنف كتبا فى الطريق ، وكان له دراية تامة بسياسة المريدين ومصالحهم ، وقودهم إلى الرياضة بعد

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥ ؛ والرسالة القشيرية ٣٦ ؛ والسلمى ٤٢٧ - ٤٣٠ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١٣٧ ؛ والبداية والنهاية ١١/ ٢٢٦ ؛ والمنتظم ٦/ ٣٧١ ؛ والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٥ ؛ وتذكرة الحفاظ ٣/ ٦٦ ؛ والشذرات ٢/ ٣٥٤ .

تقاعسهم ، وكان مع ذلك من كبار المحدثين ، وصفه الذهبى وغيره بالإمام الحافظ الثقة الزاهد سمع من الدمارى الزعفرانى وتلك الطبقة ، وروى عنه الطبرانى والخطابى وخلق ، وذكر ابن منده أنه كتب عنه ألف جزء .

(ومن كلامه) قل من ادعى القوة فى أمر الا وخذل ووكل إلى نفسه ، وقال : لو قيل للعارف : أنت تبقى فى الدنيا ، مات كمدا فما طابت الدنيا لهم إلا مع ذكرهم الخروج منها ، وقال : مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق لا تكون إلا بالمكاشفة ، وقال : أفضل أوقاتك وقت يكون الحق فيه عنك راضيا ، وقال : من أخلاق الفقراء السكون عند الفقد والاضطراب عند الوجود والأنس بالهموم والوحشة عند فرح الناس بالدنيا ، وقال : أخسر الخاسرين من أبدا للناس صالح عمله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد ، وقال : الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك أنت من حيث أنت ، وقال : أول درجات الخصوص ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره زال كل شك وريبة ، وقال : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض واستجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، مات سنة احدى وأربعين أو أربعين وثلثمائة عن أربع وتسعين سنة ، قال الخليلى : كان ثقة يثنى عليه كل من لقيه .

(٢٩٩) أحمد بن محمد الدينورى[١]

كان من أحسن المشايخ طريقة وأمثلهم سيرا فى علم الحقيقة ، أطاعته

(١) حلية الأولياء ٣٨٣/١٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٨ ؛ طبقات السلمى ٤٧٥ ـ ٤٧٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٣/١ .

الصوفية وساعدته ، وتأخرت الخطوب وباعدته ، أخذ عن الخراز وغيره .

(ومن كلامه) أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ، ونهايته أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر بغرقه فى مذكوره بحيث لا يرجع له مقام الذكر ، وهذا حال الفناء ، وقال : لسان الظاهر لا يغير أى ينافى حكم الباطن ، يعنى ما يقع فى القلب من المواهب وخوارق العادات بل يعضده ، وقال : العلماء مترتبون فى مشاهدات الأشياء فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله فشاهدوا الأشياء حيث الأشياء ، مات بسمرقند بعد الأربعين وثلاثمائه .

(٣٠٠) أحمد بن محمد بن أحمد العباسى الهاشمى[١]

الشيخ أبو طالب المعروف بابن بنت الشافعى

كان من علماء الأمجاد ، والعباد الزهاد ، كارعا من بحر الزهد ، ومكتحلا فى ليل الطاعة بميل السهد متصديا للتربية والإفادة ، أخذ التصوف عن الدقاق وغيره ، وسمع الحديث على جماعة .

(ومن كلامه) الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ، مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ودفن بالقرافة[٢] .

(٣٠١) أحمد بن إبراهيم أبو على المسوحي

وقيل: الحسن بن على ، من كبار مشايخ الصوفية قدره خطير ، وبنان الزمان إليه بالرفعة يشير .

قال الخطيب : كان من أفاضل الناس ، وكان يحج بقميص ورداء ونعل

---

(١) أبو العباس أحمد ابن بنت الشافعى ، السخاوى الحنفى القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) السخاوى الحنفى ، المرجع السابق .

طاق ، ولا يحمل معه شيئا لا ركوة ولا كوزا إلا كوزا فيه تفاح يشمه من بغداد إلي مكة ، قيل له : ما الذى ينقض العزم ؟ قال : طول الأمل وحب الراحة ، وقال : الأنس لو مات من تحت السماء ما استوحشت .

(٣٠٢) أحمد بن جعفر بن هانيء

المملوء من المعارف والمعانى ، المكلوء من الفتور والتوانى ، كانت له الأحوال الرفيعة ، والكرامات الخارقه البديعة .

(ومن كلامه) لا يأتى العبد المعونة من اللّه وهو معتمد على غيره ، وإذا ناصح العبد مولاه فى معاملته ألبسه خلعة يظهر عليه بهاء نوره ، ومن لم يحكم فيما بينه وبين ربه التقوى والمراقبة حجب عن الكشف والمشاهدة ، ومن آثر مولاه حماه من رجس الدنيا ولم يكله إلى غيره ، وقال : من كانت الدنيا طريقه إلي الجنة نصبت له منابر الدلالة لئلا يغفل عنها ، وقال : إذا سكنت الخشية القلب سرى علم التوحيد فى الجوارح .

(٣٠٣) أحمد بن سهل البوشنجى(١)

من أوحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان ، وصحب ابن عطاء وغيره من أولئك الأعيان ، وكان عالما بعلوم التوحيد والمعاملات ، عارفا بالجلوة والخلوة والمنازلات ، حرك السواكن بكلماته ، وشنف الأسماع بدر معانى إشاراته .

(ومن كلامه) كان التصوف حقيقة ولا اسم ، والآن اسم ولا حقيقة ،

---

(١) حلية الأولياء ٣٧٩/١٠ ؛ الرسالة القشيرية ٣٧ ؛ طبقات الشافعية ٢٤٤/٢ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤١/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٣ ؛ والمنتظم ٣٩١/٦ والبوشنج نسبة إلى « بوشنج » أو « بوشنك » ، وهى بلدة بالقرب من هراة ، انظر اللباب ١٥٢/١ .

وقال : شرط الولى أن يكون باطنه أفضل من ظاهره ، وشرط العالم استواء ظاهره وباطنه ، وعلامة الجاهل كون ظاهره أفضل من باطنه ، ولذا لا ينصف من نفسه ، ويطلب الإنصاف من غيره ، مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

(٣٠٤) أحمد الخياط الدبيلى الشافعي[١]

كان صالحا زاهدا فقيها ورعا عابداً أقام بمصر معتكفا ثلاثين سنة وما سأل أحداً شيئا قط ، كان ذا أحوال ومكاشفات مرض ، فقال لخادمه : حضرت الملائكة عندى ، وقالوا : تموت ليلة الأحد فلما كانت ليلة الأحد صلى المغرب والعشاء ، وأخذ فى السياق إلى نصف الليل ، فقرأ خمسين آية ومات ، ودفن بالقرافة تحت رجل قبر ابن بابشاذ النحوى[٢] بقرب قبر الشاب التائب ، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

(٣٠٥) أحمد السبتى المقرىء
ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، كذا ذكره ابن عربى

كان وحيد زمانه ، وقطب أوانه ، ترك الرياسة وعدها نجاسة حتى بلغ الإرب ، ورقى إلى أعلى الرتب ، قال ابن عربى : كان يصوم ستة أيام من كل جمعة ، ويشتغل بالعبادة فيها ، فإذا كان يوم السبت احترف فيما يأكله بقية الأسبوع ، ولهذا سمى السبتى ، ولقيته بالطواف يوم الجمعة بعد الصلاة وأنا أطوف فلم أعرفه غير أنى أنكرته وأنكرت حالته فى الطواف فإنى ما رأيته يزاحم ولا يزاحم ، ويخترق الرجلين المتلاصقين ، ولا يفصل بينهما ، فعلمت أنه روح وتجسد فمسكته وسلمت عليه ، فرد السلام وماشيته ووقع بينى وبينه كلام

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى .

(٢) السيوطى ، حسن المحاضرة ١/٣٠٦ - ٣٠٧ .

ومفاوضة ، فكان منها أنى قلت له : لم خصصت يوم السبت بعمل الحرفة ؟ فقال : لأنه تعالى ابتدأ خلقنا يوم الأحد ، وانتهى الفراغ منه يوم الجمعة ، فجعلت تلك الأيام عبادة للّه تعالى لا أشتغل فيها بما فيه حظ نفسى ، فإذا كان يوم السبت انفردت لحظ نفسى ، فاحترفت بما أتقوت به تلك الأيام ، فإنه تعالى نظر إلى ما خلق فى يوم السبت ، وقال له : أنا الملك ، لظهور الملك ولهذا سمى يوم السبت ، والسبت الراحة ، ولهذا أخبر تعالى أنه ما مسه من لغوب فيما خلقه ، واللغوب الإعياء ، فهي راحة لا عن تعب ، كما هى فى حقنا ، فعجبت من فطنته فسألته من كان قطب الزمان فى وقتك ، فقال : إنه ثم وادعنى وانصرف .

(٣٠٦) أحمد بن محمد المقرىء

كان ممن اشتهر فى التصوف فضله ، ونزع فى قوس المجاهدة فأصاب الصواب نبله ، صحب الجريرى وغيره فاشتهر ذكره وعلا قدره .

(ومن كلامه) إذا ظن الناس فيك الخوف من اللّه ، أو قيام الليل فحقق ظنهم ، وإياك أن يظنوا بك خيراً وأنت على ضده فإنه خسران ونفاق ، وقال : إن اللّه يسوق للعبد الرزق بقدر صافى قلبه من الكرم والجود ، مات سنة ستين وثلاثمائة .

(٣٠٧) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي [١]

عارف ورعه معروف ، وزهده موصوف ، وأعماله مبرورة ومجاهداته مشهورة ، نعم ، وكان ذا ديانة رست أطوادها ، وصيانة أثمرت أعوادها ،

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٠٢ ـ ٣٠٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/ ٢٥٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣١ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١١ ـ ١١٣ ؛ طبقات السلمى ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ؛ تاريخ بغداد ٥/٢٦ ـ ٣٠ ؛ والبداية والنهاية ١١/١٤٤ ؛ والمنتظم ٦/ ١٦٠ ؛ ومرآة الجنان ٢/٢٦١ ؛ والشذرات ٢ / ٢٥٧ .

ومنزلة ثابتة الأساس ورتبة عالية شامخة عند الناس ولم يزل يدأب فى الخدمة حتى كان يختم كل ليلة ختمة ، صحب الجنيد وغيره .

(ومن كلامه) من ألزم نفسه آداب السنة عمر اللّه قلبه بنور المعرفة ، وسئل إلى ما تسكن قلوب العارفين ؟ قال : إلى بسم اللّه الرحمن الرحيم ؛ لأن فى بسم اللّه هيبته ، واسمه الرحمن عونه ونصرته ، وفى الرحيم محبته ومودته ، وقال : سبحان من فرق بين هذه المعانى في لطائفها ، وبين هذه الأسامى فى غوامضها ، وقال : علامة الصادق رضا القلب بالمكروه ، وقال : علامة الولى أربعة ، صيانة سره فيما بينه وبين اللّه ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر اللّه ، واحتمال الأذى فيما بينه وبين الخلق ، ومداراة الخلق علي تفاوت عقولهم ، وقال : من شاهد الحق بالحق انقطعت عنه الأسباب كلها ؛ وما دام يلاحظ شيئا فهو غير مشاهد لحقيقة الحق ، وهذا مقام من صفت له الولاية ، ولم يحجب عنه فى المنتهى والغاية ، وسئل عن حديث طلب العلم « فريضة » فقال : علم الحال وعلم الوقت ، وعلم السر فى جهل الوقت وما علمته فمن لم يعلم ذلك فقد جهل العلم الذى أمر به ، وقال : قوام الإسلام وشرائعه بالمنافقين ، وقوام الإيمان وشرائعه بالعارفين ، وسئل عن نعت الفقراء فقال : قوم أفردهم الحق فى خلقه ليفردوه فى تأدية حقه وأنشد فى المعنى :

فاء الفقير فناؤه لبقائه ... والقاف قرب محله بلقائه

والياء يعلم كونه عبداً له ... فى جملة العتقاء من تلقائه

والراء راحة جسمه من كده ... وبلائه وعنائه وشقائه

هذا الفقير متى طلبت وجدته ... فى جملة الأصحاب من رفقائه

أهل الصيانة والديانة والتقى ... يمصون قصد الحق من تلقائه

مات سنة تسع أو إحدى عشرة وثلاثمائة .

(٣٠٨) أحمد بن يحيى الجلاء [(١)]

من عظماء مشايخ الصوفية سمى به ، لأنه كان إذا تكلم جلا القلوب وإذا وعظ أتى بكل مطلوب ، ذا تعبد لا يستطاع ، وولاية وتأله وانقطاع ، رحل إليه المريدون واستفادوا ، وبلغوا من اقتباس المعارف ما أرادوا ، وهو بغدادى الأصل ، سكن الرملة وأخذ عن ذى النون وغيره .

(ومن كراماته العلية المقدار) ما قال : دخلت المدينة الشريفة وبى فاقة فتقدمت إلى قبر المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله أنا ضيفك فغفوت غفوة فرأيته ، وقد أعطانى رغيفا فأكلت نصفه فانتبهت وبيدى النصف الآخر ، ولما مات نظروه يضحك ، فقال الطبيب : هو حى ثم نظر إلى مجسه ، فقال : ميت ، ثم كشف عن وجهه ، فقال : لا أدرى وصار يضحك وهو على المغتسل فلم يجسر أحد على تغسيله حتى جاء واحد من أقرانه فغسله ، وكان فى جلده عرق على شكل اسم الله .

(ومن كلامه) : من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ، ومن حافظ على أداء الفرض فى وقته فهو عابد ، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد ، وقال : مشيت مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت : يا أستاذ ترى يعذب الله هذه الصورة !! ، فقال إذا نظرت إليها فسترى غبة ، فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ، وقال : سمت همم المريدين إلى طلب الطريق إليه وسمت همم العارفين إلى مولاهم فلم يلتفتوا إلى سواه ، وقال : لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة ، فإن الله فرض لكل مؤمن حقوقا لا يضيعها إلا من لم يراع حق الله عليه ، وقال : من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها ومن بلغ

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤ ؛ وصفة الصفوة ٢/ ٢٥٠ ؛ والرسالة القشيرية ٢٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١٥٢/١ ؛ والسلمى ١٧٦ ـ ١٧٩ ؛ والمنتظم ١٤٨/٦ ؛ وتاريخ بغداد ٢١٣/٥ ـ ٢١٥ ؛ والبداية والنهاية ١١/ ١٢٩ ؛ وابن ظفر ؛ أنباء نجباء الأبناء ، ص ١٥٤ .

ثبت عليها ، وقال : من علت همته ، عن الاكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شىء سوى الحق فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك ، وقال : من لم يحفظ حق أستاذه وشيخه لا يكافأ فى حياة الشيخ ؛ لأن له بالمريدين رحمة وشفقة بل ينتقم الله منه بعد موت شيخه ، وسئل متى يستحق الفقير اسم الفقر ؟ قال : إذا لم يبق عليه بقية منه ، قيل : وكيف ؟ قال : إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له ، وسئل عن الفقر ؟ فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قرب ، وقال : عندى أربعة دوانق فاستحييت من الله أن أتكلم فى الفقر ، وهى عندى ، فذهبت فأخرجتها ، ثم تكلم فيه ، مات سنة ست وثلاثمائة .

(٣٠٩) أحمد بن عطاء الروذبارى[1]

ثم الصورى

العالم الظريف ، والناسك الشريف النظيف ، له اللسان المبسوط والبيان الذى بالحق مربوط ، وقف على مراتب المأسورين ، ومقامات أهل البلاء من المأخوذين ، فتمنى ما خصوا به من الصفاء والاعتلاء فعومل بما تمنى من المحن والابتلاء ، وكان شيخ الشام فى وقته مفننا فى علوم الشريعة والحقيقة ، وهو ممن علا فى طريق القوم قدره واشتهر ذكره ، وتميز فضله حتى عز فى عصره أن يوجد مثله .

(ومن كلامه) : الذوق أول المواجيد وأهل الغيبة عن الله إذا شربوا طاشوا ، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا .

وقال : أقبح من كل قبيح صوفى شحيح ، وقال : من تبع طريق القوم انتفى عن الشح ، ومن كتب الفقه انتفى عنه الجهل ،ومن خدم الأولياء بلا أدب هلك .

---

(١) الرسالة القشيرية ، ٣٩ ؛ طبقات السلمى ٤٩٧ - ٥٠٠ ؛ طبقات الشعرانى ١٤٥/١ ؛ وتاريخ بغداد ٣٣٦/٤ ؛ وابن الأثير ٥٢٢/٩ ؛ والبداية والنهاية ٢٩٦/١١ ؛ والشذرات ٦٨/٣ .

وقال : ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة ، ولا كل من صلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار .

وقال : من ألزم نفسه السنة عمر اللّه قلبه بنور المعرفة .

وقال : إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبك فأدبها بمجالسة الحكماء ، وقال : القلب إذا اشتاق الى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة وهى المكروه .

وقال : من علامة الصادق رضا القلب بحلول المكروه .

وقال : أدن قلبك من مجالسة الذاكرين لعله ينتبه من غفلته .

وقال : أقرب شيء إلى مقت اللّه رؤية النفس وأفعالها ، وأشد شيء منه مطالعة العوض على فعلها .

وقال : القبض أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء ، فمن قبض فحاله الغيبة ، ومن بسط فحاله الحضور .

وقال : رأيت فى النوم قائلا يقول إيش أصرح ما فى الصلاة ؟ قلت : صحة القصد ، فقال هاتف : رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم .

وقال : ذكر الثواب عند ذكر اللّه غفلة عن اللّه .

وقال : العبودية ترك الاختيار ولزوم الافتقار ، وإياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا .

وقال : ذر التدبير والاختيار تكن فى طيب من العيش ، فإن التدبير يكدره ، وسئل أى منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية ؟ .

قال : ترك التدبير ، وقال : لا تجد السلامة حتى تكون فى التدبير كاهل القبور .

وقال : الرضى ترك الخلاف علي اللّه فيما يجريه على العبد .

وقال : الرضى نظر القلب إلى اختيار الرب للعبد ، وهو ترك السخط .

وقال : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقال : لكل علم بيان ولكل بيان لسان ولكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة ، ولكل طريقة أهل ومن لا أهلية له لا شيء له .

وقال : للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والإخلاص .

وقال : هذه الطائفة شربت من بحر السرور فلا تجد أحدا منهم إلا طربا مسرورا .

(ومن كراماته) أن الجمل كلمه في مسيره إلى مكة ، فإنه تأمل الجمال تحمل الأثقال وقد مدت أعناقها ليلا ، فقال : سبحان من يحمل عنها ، فالتفت جمل منها ، وقال : قل جل الله ، فقال : جل الله ، قال أبو نعيم : كان ابن عطاء كثير الحديث ، مات سنة تسع وستين وثلثمائة وقيل غير ذلك .

(٣١٠) أبو سعيد خلف بن عمر
المعروف بابن أبي هاشم من قيروان

فقيه متعبد زاهد أخذ عن جماعة كالقصري وابن اللبان ، كان يعرف بمعلم الفقهاء عالما بنوازل الأحكام فراجا للكرب مع رقة قلب وسرعة دمع وخلوص نية ، قال ابن أبي زيد : أبو سعيد لا يلقى الله بذرة رياء وما حفظ عنه مسألة خطأ قط .

(ومن كلامه) من دارى الناس مات شهيداً ، ولا ينكر كرامات الأولياء إلا صاحب بدعة ، مات ليلة الجمعة لسبع خلون من صفر سنة إحدى وسبعين وثلثمائة .

(٣١١) أبو بكر بن الابيض

كان من المستأنسين بذكره ، المستوحشين من غيره ، عن الخلق أعرض ولما له قدم وأقرض ، ولزم ما الحق عليه أوجب وأفرض .

(ومن كلامه) اعلم أنك لم تكلف من الدنيا إلا نفسا واحدة فإن أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها ، ولن تسلم من الدنيا حتى لا تبالى من أكلها من أحمر وأسود ، وقال : من إعراض اللّه عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه ، وله جزء حديثى .

قال : فيه حدثنا بعض أصحابنا أنه كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت خرج من مكة إلى المدينة ستين سنة ليس إلا للسلام على رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، ويرجع فتخلف فى سنة ، فبينما هو قاعد فى الحجر بين النائم واليقظان رأى المصطفى صلى اللّه عليه وسلم وهو يقول : لم تزرنا فزرناك .

(٣١٢) أبو بكر الفاسى الطمستانى[١]

العالم الربانى : كان فصيح اللسان ، كثير المعروف والإحسان ، ماهراً فى طريق القوم ، عذب الكلام حافظا للعهد وافيا بالذمام ، تقدم على صوفية وقته ونظرائه ، وتعين بين أعيان العصر وكبرائه ، واجتهد وحصل ، وجمل ، وفصل ، ورحل وطاف وهام وصحب الأعيان والأعلام ، وكان الشبلى يعظمه جداً .

(ومن فوائده) خير الناس من رأى الخير فى غيره .

وقال : أركان الطريق الأربعة ترجع إلى الجوع فإن من جاع قل كلامه

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٨٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٨؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤١؛ وطبقات السلمى ٤٧١ ـ ٤٧٤ ، وطبقات الشعرانى ١/ ١٤.

ونومه وأحب العزلة ، وقال : من صدق فى إقباله على اللّه لم يشغله الخلق عن اللّه ، وقال : النعمة العظمى الخروج عن النفس أى الأخلاق الذميمة والشهوات الردية ، والنفس أعظم حجاب بينك وبين اللّه تعالى .

وقال : من صحب الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه وعن الخلق فهاجر بقلبه إلى ربه فهو الصادق المصيب .

وقال : النفس كالنار فإذا طفئت فى موضع تأججت فى آخر ، وكذا النفس إذا هدأت من جانب ثارت من آخر .

وقال : لا يمكن الخروج من النفس بالنفس إنما الخروج منها باللّه .

وقال : من استعمل الصدق بينه وبين اللّه حماه صدقه عن رؤية الخلق والأنس بهم .

وقال : من لم يكن الصدق وطنه ففى فضول الدنيا سكنه .

وقال : العمل يقطعك عن الدنيا فاجتهد أن لا يقطعك عن اللّه ، مات سنة أربعين وثلاثمائة بنيسابور .

(٣١٣) أبو الخير الاقطع التينانى[١]

نسبةإلى تينان قرية ببلاد المشرق ، صاحب الكرامات الغريبة والأحوال العجيبة ، وكان وافر الحنو والتعطف ، ملجأ للفقراء أهل التصوف ، ذا وقار وسكون ، وأياد تغار منها الأنهار والعيون ، يسرح فى رياض الرياضة ، ويطوف بحرم التعبد ويخصه بالإفاضة ، وأصله من المغرب ، قدم المشرق فصحب ابن الجلاء وغيره ، وكان أوحد وقته فى التوكل تأتيه الهوام والسباع فتأنس به وتأوى

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٧٧ ؛ وصفة الصفوة ٤/٢٠٦ ؛ والرسالة القشيرية ٣٥؛ وطبقات الشعرانى ١/١٢٨؛ وطبقات والسلمى ٣٧٠ ـ ٣٧٢ ؛ واللباب ١/ ١٩٠ .

إليه ، فسئل عن ذلك ، فقال الكلاب يأنس بعضها ببعض !! .

(ومن كلامه) لا يجوز التصدر للمشيخة إلا لمن فرغ من تهذيب نفسه ، ومن بقى عليه بقية فهو مريد ، والمريد لا يكون له مريد .

وقال : لا تسألوا اللّه أن يصبركم وسلوه اللطف بكم لأن تجرع مرارة الصبر شديد لمثلنا فإن زكريا لما بلغ المنشار لرأسه أن لشدة الوجع فأوحى اللّه إليه وعزتى وجلالى لأن صعدت منك أنة ثانية لأمحون اسمك من ديوان النبوة .

وقال : الذاكر للّه لا يقوم له فى ذكره عوض ، فإذا قام له عوض خرج من ذكره .

وقال : ما بلغ أحد حالة شريفة إلا بلزوم الموافقة ومعانقة الأدب وصحبة الصلحاء وخدمة الفقراء الصادقين ، وقال : لا يصفو قلبك إلا بتصحيح النية للّه ، ولا بدنك إلا بخدمة أوليائه .

وقال : حرام على قلب مشوب بحب الدنيا أن يسبح فى روح الغيوب .

وقال : من أحب اطلاع الناس على عمله فهو مراءٍ أو على حاله فهو كذاب .

وقال : دخلت المدينة فلم أجد ما آكله خمسة أيام ، فرأيت رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فى النوم فناولنى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف الآخر ، وسبب قطع يده أنه عقد مع اللّه إن لا يمد يده لشىء من نبات الأرض لشهوة فنسى وتناول عنقودا من شجر البطم[1] فلاكه ثم تذكر فرماه فخرج بعض الأمراء لطلب قطاع الطريق فظنه منهم فقطع يده ، وكان ينسج الخوص بإحدى يديه ويتقوت منه ، وجاءه جمع من البغداديين ، فادعوا دعاوى عريضة ثم خرجوا فلقيهم الأسد فرجعوا إليه هاربين ، فقال : أين تلك الدعاوى ، ثم خرج

---

(١) جمع بطمة بسكون الطاء وضمها ، نوع من الشجر يسمى الحب الأخضر منه بالحبة الخضراء .

فصاح عليه ، وقال : ألم أقل : لك لا تتعرض لضيفى؟ فذهب ، وقصده الدقى للسلام عليه ، فصلى فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقال فى نفسه : ضاعت سفرتى ، ثم خرج للطهارة فقصده سبع فرجع إليه ، فخرج فصاح عليه فذهب ، فقال : اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد ، قال النووى : قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ، ولا فقه عنده أن صلاته كانت فاسدة وهذه جهالة وغباوة ، وخسارة على إرسال الظن فى أولياء الرحمن ، فليحذر العاقل من التعرض لذلك بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة ، ولطائفهم المستجادة أن يتفهمها ممن يعرفها ، وكل ما رأيته من هذا النوع مما يتوهمه من لا تحقيق عنده أنه مخالف غير مخالف بل يجب تأويل أفعال الأولياء ، وجوابه أنه مغلوب عليه لخلل فى لسانه فتصح صلاته وبفرض عدمه ، فقراءة الفاتحة غير متعينة عند أبى حنيفة ، ولا يلزمه أن يتقيد بمذهب من أوجبها انتهى ، وقال القيروانى : زرت التينانى وودعته فخرج معى للباب .

وقال : أنا اعلم أنك لا تحمل معك معلوما فاحمل هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعتهما فى جيبى وسرت فلم يفتح لى بشىء ثلاثة أيام فأكلت واحدة ثم أردت إخراج الثانية فإذا هما جميعا فى جيبى فكنت آكلهما ويعودان حتى وصلت إلى باب الموصل ، فقلت : إنهما يفسدان على توكلى فأخرجتهما لأرميهما ، وإذا فقير ملفوف فى عباءة يقول : أشتهى تفاحة ، فناولته إياهما فعلمت أن الشيخ بعثهما إليه ومن نظمه .

أنحل الحب قلبه والحنين   ومحاه الهوى فما يستبين

ما تراه العيون إلا ظنونا   وهو أخفى من أن تراه العيون

مات بمصر سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة بباب تربة مسلم السلمى بجنب منارة الديلمية بقرب ذى النون والمشهد الذى بناه الفخر الفارسى ، قيل : إنه رأى المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فأمره ببنائه ، وقال : من صلى

فيه ركعتين يقرأ فى الأولى بالفاتحة وتبارك والثانية بالفاتحة وهل أتى ويسأل حاجة قضيت ، وهو مقابل معبد ذى النون المصرى ومعبده غير تربته [١] .

(٣١٤) أبو على الزقاق

بفتح الزاى وتشديد القاف نسبة إلى بيع الزق أو عمله ، قال النووى : كان من كبار الصوفية ، أصحاب الكرامات الظاهرة والمعارف المتظاهرة .

(ومن كلامه) كل واحد ينسب إلى نسب إلا الفقراء فإنهم ينسبون إلى اللّه تعالى ، وكل حسب ونسب ينقطع إلا حسبهم ونسبهم فإن نسبهم الصدق وحسبهم الفقر ، وقال : لى تسعين سنة أردت هذا الفقر ، من لم يصحبه فى فقره الورع أكل الحرام بالنص .

(٣١٥) أبو عمرو الدمشقى [٢]

تمكن فى الولاية ، واتصلت له الرعاية ، وأعرض عن المستروحين إلى الأرواح ، ونظر إلى صنيع مالك الأجسام والأشباح ، وقد قيل إن التصوف رؤية الكون بعين النقص ، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص .

(ومن كلامه) : الأشخاص بظلمتها كائنة والأرواح بأنوارها مشرقة فمن لاحظ الأشخاص بظلمتها أظلم عليه وقته ، ومن لاحظ الأرواح بأنوارها دلته على منورها ، وقال فى حديث : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) هو إشارة

---

(١) السخاوى الحنفى ، ٢٣٢ - ٢٣٧ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦ ؛ وطبقات السلمى ٢٧٧ - ٢٧٩ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١١٨ ؛ والشذرات ٢/ ٢٨٧ .

إلى استواء الأحوال أى لا ترجعوا عن الحق بإفطار ، ولا تقبلوا عليه بصوم ، وليكن صومكم كإفطاركم ، وإفطاركم كصومكم عند دوام حضوركم .

وقال : كما فرض الله على الانبياء إظهار الآيات والمعجزات لتؤمنوا بها ، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا تفتتنوا بها .

وقال : الرضى ارتفاع الجزع فى أى حكم كان .

وقال : الرضى نهاية الصبر ، والمصابرة مقاومة الرضا بالقضاء .

(٣١٦) أبو الحسين بن بنان[١]

الواله السكران ، الهائم الحيران ، شيخ مصر وتلك الأعمال المعروف بالجمال ، إمام زاهد وعارف مجاهد ، ومواظب على الطاعة مجتهد فيما ينجى يوم تقوم الساعة ، وأوقاته معمورة ، وأحواله مشهورة وعظ بالجم الكثير ، وسقط المريدون منه على خبير ، صحب الخراز وغيره .

(ومن فوائده) الناس يعطشون فى البرارى وأنا عطشان علي شاطىء النيل .

وقال : آثار المحبة إذا بدت رياحها وهاجت تميت أقواما وتحيى آخرين ، وتفشى أسراراً وتبقى آثارا .

وقال : كل فقير قام فى قلبه هم الرزق فالكسب ، والحرفة له أولى .

وقال : من علامة سكون القلب إلى الله انشراحه إذا زالت عنه الدنيا.

وقال : اجتنبوا دناءة الأخلاق كاجتناب الحرام .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٦ ؛ وطبقات السلمى ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ؛ حسن المحاضرة ٢٩٣/١ ؛ وطبقات الشعرانى ١٣٢/١ ؛ ومرآة الجنان ٢٦٨/٢ .

وقال : ذكر الله باللسان يورث الدرجات وذكره بالقلب يورث القربات .

وقال : تتشعب شعب المحبة من دوام ذكر إحسان الله ، فمن ذكر على الدوام إحسان الله إليه تنسم ريح المحبة عن قريب .

وقال : الإكثار من الوجد من علامة الصديقين .

وقال : لا يعظم قدر الأولياء إلا من عظمة الله عندهم .

(ومن كراماته) أنه احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها ، وقالوا : هو ذا يجيء النفر فنشترى ما يوافق ، فورد فأجمعوا رأيهم على واحدة وقالوا : هذه إنما تصلح له فماكسُوا صاحبها ، فقال : ليست للبيع هى لبنان الجمال أهدتها له امرأة من سمرقند ، وألقى بين يدى السبع فشمه ثم نفر عنه فقيل له : ما كنت تجد ؟ قال : أتفكر فيما فى سؤره من الخلاف ، قيل : ورد على قلبه وارد فهام على وجهه ، فلحقوه فى تيه بنى إسرائيل ففتح عينيه ، وقال : ارتعوا فهذا مرتع الأحباب ، وخرجت روحه .

(٣١٧) ابو على المعتوه المجذوب

كان من أكابر الأولياء ، قال خلف بن سالم : قلت له : يا أبا على ألك مأوى ؟ قال : نعم ، قلت : فأين هو ؟ قال : فى دار يستوى فيها العزيز والذليل ، قلت : وأين هذه الدار؟ قال : المقابر ، قلت : أما تستوحش فى ظلمة الليل؟ قال : إنى أكثر ذكر ظلمة اللحد ووحشته فتهون علىَّ ظلمة الليل ، قلت : فربما رأيت فى هذه المقابر ما تنكره ؟ قال : ربما لكن فى هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر .

(٣١٨) أبو العباس السيّاري[1]

واسمه القاسم بن القاسم بن مهدى من أهل مرو

كان فقيها محدثا صوفيا متحليا بالزهد والورع ، بعيدا عن الحرص والطمع ، معروفا بالفضل المبين مشهورا بالخير والدين المتين و تَخلّى عن الخدم ، وتحلى بذكر بارىء النسم ، ولازم طريق أهل الموارد الصافية وأعرض عن عرض الدنيا بالجملة الكافية ، وصحب الواسطى وغيره .

(ومن كلامه) كيف السبيل الى ترك ذنب كان عليك فى اللوح المحفوظ محفوظا ، والى صرف قضاء كان بك مربوطا ، وقال : حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف .

وقال : ظلمة الطبع تمنع أنواع المشاهدة ، وقال : لباس الهيبة للعارفين ، ولباس التقوى للمقربين ، ولباس التقوى خير .

وقال : ما التذّ عاقل بمشاهدة قط ؛ لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة .

وقال : إنما يروض المريد نفسه بالصبر على الأوامر ، وتجنب النواهى ، ومحبة الصالحين وخدمة الفقراء .

مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

---

(١) ابن بنت أحمد بن سيّار ، انظر ترجمته فى حلية الأولياء ١٠ / ٣٨٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٧ ؛ وطبقات السلمى ٤٤٠ ـ ٤٤٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١ /١٣٩ ؛ واللباب ١ /٥٨٤ ؛ والمنتظم ٦ /٣٧٤ ؛ والشذرات ٢ /٣٦٤ .

(٣١٩) أبو القاسم بن أحمد المغربى [١]

أوحد مشايخ خراسان فى وقته ، وكان عالي الطريقة ، شريف الهم غواصا فى علم الحقيقة ظهر علاؤه وارتفع لواؤه ، وتأرجت أرجاؤه ، وطاب في مجالس القوم ثناؤه ، صحب ابن عطاء وغيره .

(ومن كلامه) من كمال خلق الفقير أن يحسن خلقه مع عدوه ويبذل لـ المال ، ومن أدبه تصديق المشايخ فى كل ما يخبرون به من كراماتهم ، إن لـ يصدقهم حرم بركتهم ، وقال : السماع على ما فيه من اللطافة فيه خطر عظيم إلا لمن سمعه بغير هوى نفس ، وكان له حال صحيح بحيث لو أراد قلع شجرة كبير من الأرض لقدر ، كما وقع للشبلى أنه ملخ شجرة جميز تظل خمسمائة فارس .

(٣٢٠) أبو عبد الله البرانى

صاحب النكت المرضية ، والأحوال الزكية ،من كبارالشيوخ ومتقدميهم له الأحوال العجيبة والكلمات الغريبة .

(فمن كلامه) حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع نذل لمن لا يقدر لنـ على نفع ولا ضر ، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقا ، ولا حياة ، ولا موتا ، ولا نشوراً ، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حق معرفته هيهات !!!، وقال : بالمعرفـ هانت على العاملين العبادة ، وبالرضى عن الله فى تدبيره زهدوا فى الدنيا ورضوا لأنفسهم بتقديره ، وقال : ما بينك وبين ملاقاة السرور ، ومجالسة الأبرا فى كل لذة وحبور إلا خروج نفسك من بين جنبيك ، والمولى راض عليك ، وقال لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ، ومن وهب لـ الرجاء فقد بلغ أعلى الدرجات ، ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ، ومن لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى الآخرة الاحوال .

---

(١) وهو تلميذ الشيخ أبى بكر بن أبى سعدان ، انظر السلمى ، طبقات ص ٤٢٠ .

(٣٢١) أبو الفتوح القواس[١]

واسمه يوسف بن عمر

كان من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة ، وتبرك الناس به وهو صبى .

(ومن كراماته) أنه أخرج جزءا من كتبه فوجد فيه قرض الفأر التى قرضته فسقطت من السقف فأرة ، ولم تزل تضطرب حتى ماتت .أسند الحديث عن البغوى وابن صاعد وغيرهما . ومات ببغداد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

(٣٢٢) أبو أحمد القلانسى

كان ذا فتوة كاملة ، ومروءة شاملة .

(ومن كلامه) بنى المذهب على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ونطالب أنفسنا بحقوقهم ونلزم التقصير أنفسنا فى كل ما نأتى ، وكان من دعائه لإخوانه ، لا جعلنا الله وإياكم ممن يكون حظه الأسى والأسف على مفارقة الدنيا .

(٣٢٣) اسماعيل بن نجيد السلمى[٢]

شيخ عصره فى التصوف ، وإمام وقته فى فنون التعرف ، كان ذا براعة وفصاحة ، وصيانة وسماحة وتصرف وعرفان ، وتعلق من الفنون بأفنان ، وكان شافعى المذهب ، صحب من أئمة الحقائق الجنيد والجبرى ، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل والرازى ، وروى عنه سبطه أبو عبد الرحمن السلمى والحاكم

---

(١) يوسف بن عمر بن مسرور ، أبو الفتح القواس ، انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧ ؛ وطبقات السلمى ٤٥٤ ـ ٤٥٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤١ ؛ وطبقات الشافعية ٢/١٨٩ ـ ١٩٠ ؛ والمنتظم ٧/٨٤ ؛ والشذرات ٣/٥٠ .

والقشيرى ، وحكى هو عن نفسه قال : كنت اختلفت إلى مجلس الجبرى فى بدايتى فأثر فى قلبى كلامه فتبت ثم وقعت فى فترة ، فكنت أهرب من الجبرى إذا رأيته فظفر بى ، فقال : يا بنى ، لا تصحب من لا يحبك إلا معصوما !! إنما ينفعك أبو عثمان فى هذه الحالة فتبت وعدت إلى الإرادة ، وذكر شيخه الجبرى أنه كان من الأوتاد .

(ومن كلامه) : كل حال لا يكون نتيجة علم فضرره على صاحبه أكثر من نفعه .

وقال : من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه .

وقال : كل من لم تهدك رؤيته فهو غير مهذب .

وقال : لا يصفو لأحد قدم العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رياء وأحواله دعاوى .

وقال : إذا أراد اللّه بعبد خيراً رزقه صحبة الصالحين ، والعمل بما يُشيرون به عليه .

وقال : الدعاوى إنما تتولد من فساد الابتداء ، فمن صحت بدايته صحت نهايته ، ومن فسدت بدايته هلك فى أحواله وقتاما ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ﴾[١] الآية .

وقال : التصوف الصبر تحت الأمر والنهى .

وقال : آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه ، وأى من المقامات يعنى وقوفه عن طلب الزيادة وإلا فهو حسن .

وقال : الملامتى لا دعوى له ؛ لأنه لا يرى لنفسه شيئا يدعى به .

وقال : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .

الدنيا وأهلها .

وقال : بقدر ما تشتغل بالناس بقدر ما تضيع من حق ربك وأوامره .

وقال : من الجهل إظهار العبد محاسنه لمن لا يملك نفعه ولا ضره .

مات سنة ست وستين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة .

(٣٢٤) إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهر جوري[١]

صوفى عصره على الإطلاق ، وإمام وقته باتفاق الحذاق ، كان ذا همة تسمو إلى السماك ، ومجاهدة منتظمة الأسلاك ، أخذ عن الجنيد وطبقته ، قال أبو عثمان المغربى ما رأيت أنور منه ، وأما الوعظ فهو من فرسان منابره ، وأبطال محاريبه ومخابره ، كم أذاب حصاة قلب صلب تحت كرسيه ومنبره ، وكم أسال دمعا إذا جرى تعثر فى محجره .

(ومن فوائده) : من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعا ، ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً ، ومن طمع في الخلق لم يزل محروما ، ومن استعان على أمر بغير اللّه لم يزل مخذُولا .

وقال : إنما ساد أهل اللّه الخلائق لطلبهم الحقائق ، وقال : إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة .

وقال : أرزاق المتوكلين على اللّه تجرى بعلم اللّه لهم بلا شغل ولا تعب ، وغيرهم فيها مشغول متعوب .

وقال : مشاهدة القلوب تعريف ومشاهدة الأحوال تحقيق .

وقال فى حديث : احترسوا من الناس بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٥٦ ؛ والرسالة القشيرية ٣٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٠ ؛ وطبقات السلمى ٣٧٨ ـ ٣٨١ ؛ والشذرات ٢/٣٢٥ .

وقال : الدنيا بحر والآخرة ساحل ، والمركب التقوى والناس سفر ـ اى مسافرون ـ فى المركب .

وقال : أفضل الأحوال ما قارن العلم ودوام الذكر وأنت إذن من أهلها ، وسئل عن التصوف ؟ فقال : تلك أمة قد خلت ، ودخل عليه المزين وهو فى النزع ، فقال قل : لا إله إلا الله فتبسم ، وقال : إياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه إلا حجاب العزة ، ومات فوراً فكان المزين يأخذ بلحيته ويقول : حجام مثلى يلقن الأولياء الشهادة واخجلتاه . وكان يبكى كلما ذكر ذلك ، ونظير ذلك انه لما دنت وفاة أحمد بن نصر ، وقيل : له قل : لا إله الا الله ، فنظر للقائل ، وقال بالفارسى : بى حرمتى مكن يعنى : لا تسىء الأدب . ومات سنة ثلاثين وثلاثمائة .

حرف الباء

(٣٢٥) بنان بن محمد الحمال الواسطى [١]

ثم المصرى

عابد عارف ، زاهد على الخير عاكف ، كريم الشأن والولاية ، جميل التربية والرعاية ، وصحب الجنيد وغيره ، وله الكرمات السنية والمواقف العلية ، سئل عن أجل أحوال الصوفية ، فقال : الثقة بالمضمون والقيام بالأوامر ، ومرعاة السر والتخلى عن الكونين .

(ومن كلامه) رؤية الأسباب علي الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب ،

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤ ؛ والرسالة القضيرية ٣١ ؛ وطبقات السلمى ٢٩١ ـ ٢٩٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١٣٢/١ ؛ وتاريخ بغداد ١٠٠/٧ ـ ١٠٢ ؛ وحسن المحاضرة ٢٩٣؛ والبداية والنهاية ١٥٨/١١ ؛ والمنتظم ٢١٧/٦ ؛ ومرآة الجنان ٢٦٨/٢ ؛ والشذرات ٢٧١/٢ .

وقال : بينما أنا سائر بين مكة وجدة إذا بشخص على بعد فأممته فسلمت عليه ، وقلت له : أوصنى ، قال : يا بنان إن كان الله أعطاك من سر سره سراً ، فكن مع ما أعطاك ، وإن كان لم يعطكه فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ، وعليك بكتابة الحديث ، وقال : كنت بطريق مكة ومعى زاد فرأيت امرأة ، فقالت : يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك ، وتظن أنه لا يرزقك ؟! فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا بالطريق فقلت : آخذه ليأتى صاحبه فيعطينى شيئا فإذا بالمرأة فقالت :أنت تاجر تقول حتى يجىء صاحبه فأخذته ورمت إلى دراهم وقالت : أنفقها فاكتفيت بها إلى مصر .

(ومن كلامه) : من كان يسره ما يضره فمتى يفلح ، وقال : الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع ، والبرىء جرىء والخائن خائف ومن أساء استوحش ، وقال : إن أفردته بالربوبية أفردك بالعناية ، والأمر بيدك إن نصحت صافوك ، وان خلطت خلوك ، وقال : ليس بمتحقق فى الحب من راقب أوقاته أو تحمل فى كتمان حبه حتى ينهتك فيه ويفتضح ، ويخلع العذار أولا ، ولا يبالى بما يرد عليه من جهة محبوبه ، ويتلذذ بالبلاء فى الحب ، وقال : دخلت البادية وحدى فاستوحشت فاذا بهاتف يهتف بى : يا بنان نقضت العهد لم تستوحش ؟! أليس حبيبك معك .

(وله كرمات كثيرة) منها أن بعض القضاة أغرى عليه ابن طولون فأمر بأن يلقى للسبع فجعل يشمه ولا يضره ، وقيل له : ما كان في قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر هل سؤر السباع طاهر أم نجس ، ووشى به إلى بعض قضاة مصر فضربه سبع درر فدعا عليه أن يحبس سبع سنين فحبس كذلك ، وجاءه مريض فشكى إليه ، فقال له : قم فاستف من تراب القبلة ففعل فبرىء فورا .

مات بمصر سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة بسفح المقطم مما يلى مسجد محمود [١] .

---

(١) انظر المقريزى ، خطط ٢/٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

أسند الحديث عن أحسن بن عرفة وحميد بن الربيع والحسن الزعفرانى وبكار بن قتيبة وغيرهم .

(٣٢٦) بندار بن الحسين الشيرازى[1]

الفقيه الشافعى ، عارف خبير ، حسن التربية والتدبير ، واسع الخطوة وافر السطوة ، لجيوش الشيطان كاسرا ، وعن ساعد الجد والاجتهاد حاسراً ، سكن أذربيجان ، وكان عالما بالأصول وله اللسان المشهور فى علم الحقيقة ، وكان الشبلى يعظمه جداً سئل عن الفرق بين الصوفى والمتصوف فقال : الصوفى من صافاه الحق واختاره من غير تكلف ولا اجتهاد ، والمتصوف المتزاحم على المراتب مع تكلف ، وكمون رغبة في الدنيا .

(ومن كلامه) : لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك ، دعها لمالكها يفعل بها ما يريد ، وقال صحبة أهل البدع تورث الأعراض عن الحق .

وقال : اترك ما تهوى لما تؤمل ، وقال : يصل العبد إلى مقام لا يخاصم فيه نفسه لكونه يراها ملكا للّه لا له .

وقال : ليس من الأدب أن تسأل رفيقك : إلي أين أو فى إيش .

وقال : من لم يجعل قبلته ربه فسدت صلاته .

وقال : الدنيا ما دنا من القلب وشغله عن الحق .

وقال : من أقبل على الدنيا أحرقته بنيرانها ، يعنى الحرص كما قاله الإمام الرازى ، ومن أقبل على الآخرة أحرقته بنورها يعنى الخوف ، فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل علي اللّه أحرقه بنور التوحيد ، فصار جوهراً لا يقابل بثمن .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٨٤ ؛ والرسالة القشيرية ٣٨ ؛ وطبقات السلمى ٤٦٧ - ٤٧٠ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٦ ؛ وطبقات الشافعية ٢/١٩٠ .

وقال : من مشى فى الظلم إلى ذى النعم أجلسه على بساط الكرم ، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت ، بنى له بيت فى الملكوت ، ومن واصل أهل الجهالة ، ألبس ثوب البطالة ، ومن أكثر ذكر الله شغله عن ذكر الناس ، ومن هرب من الذنوب هربت منه ، ومن رجا شيئا طلبه .

مات بأذربيجان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

(٣٢٧) بشر بن بشار المجاشعي

كان من السائحين العابدين ، والأولياء الصالحين ذا رتبة أضاءت لمعتها ، وشهرة طابت سمعتها .

قال : لقيت عباداً ثلاثة ببيت المقدس فقلت لأحدهم : أوصنى ، فقال : ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك فهو أحرى أن يفرغ قلبك ويقل همك ، وإياك أن تسخط ذلك فيحل بك السخط وأنت عنه فى غفلة لا تشعر، فقلت للآخر : أوصنى ، فقال : التمس رضوانه فى ترك ملاهيه فهو أوصل لك الى الزلفى لديه وقلت للآخر أوصنى فبكى ، وقال : لا تبتغ فى أمرك تدبيرا غير تدبيره فتهلك فيمن هلك ، وتضل فيمن ضل ، والسلام . ونقل أو غيره عن عطاء الأزرق إذا حضرت المقابر ، فليكن قلبك فيمن أنت بين ظهريه فإنى بينا أنا فى المقابر إذ تفكرت فى نفسى ، فإذا بصوت إليك يا غافل إنما أنت بين ناعم فى نعيمه مدلل ، أو معذب فى سكراته مقلب .

حرف الجيم

(٣٢٨) جعفر بن محمد بن نصير الخواص [1]

البغدادى ويعرف بالخلدى

إمام يم فضله متسع ، وشمل معرفته مجتمع ، وافر الصلاح ، سافر الصباح ، له من الأوراد المرفوعة والأحزاب المسموعة أكمل سلاح ، أخذ عن سمنون والجنيد وتلك الطبقة ، وكان ملجأ للقوم فى فهم كلامهم وحكاياتهم ، حتى قال : عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية ، وحج نحو ستين حجة ، وكتب إليه أبو الخير التينانى : وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا بجهلهم ، ترجمة الخطيب فى تاريخه ، وقال : هو شيخ الصوفية وذكر انه سمع الحديث من جماعة كثيرين أجلاء عددهم من أهل العراق ومكة ومصر ، وقال : إنه رحل ولقى المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية ، ثم عاد بغداد فقطنها ، وروى بها علما كثيراً ، وقال : وكان ثقة صدوقا ثبتا دينا فاضلا ، وسبب دخوله فى التصوف انه سمع على عباس الدورى ، ثم خرج من عنده ، فلقيه بعض الرجال ، فقال : إيش هذا معك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ، ثم قطع الأوراق ، فدخل كلامه فى قلبه ، ونام فى ابتداء أمره ، فسمع هاتفا يقول له : امض إلى موضع كذا واحفر تجد هناك شيئا ففعل ، فوجد هناك صندوقا فيه دفاتر فيها أسماء ستة آلاف شيخ من أهل الحقائق والأصفياء والأولياء من آدم عليه السلام إلى زمنه ونعوتهم وصفاتهم وكلامهم فكانوا يقرأونها ، ثم دفنها فلم تظهر لأحد .

(ومن كراماته) ما حكاه تلميذه أبو الحسن العلوى ، وقال : جعلنا

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٨١ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٦٤ ؛ والرسالة القشيرية ٣٦ ؛ وطبقات السلمى ٤٣٤ ـ ٤٣٩ ؛ طبقات الشعرانى ١/١٣٨ ؛ وغاية النهاية ١/١٩٧ ؛ وتاريخ بغداد ٧/٢٢٦ ـ ٢٣١ ؛ واللباب ١/٣٨٢ ؛ والمنتظم ٦/٣٩١ ؛ ومرآة الجنان ٢/٣٤٢ والشذرات ٢/٣٧٨ .

طيراً فى التنور فى بيتنا ، وكان قلبى معه فقال الشيخ : نم عندنا الليلة فاعتللت بعلة ورجعت للبيت فوضع الطير بين يدى ، فدخل كلب فأخذه وفر فأكلت الخبز بلا أدم ، وتغير قلبى واستوحش ، فأصبحت فدخلت على الشيخ ، فلما وقع بصره علىَّ قال : من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط اللّه عليه كلبا يؤذيه .

(ومن كلامه) لا يقدح فى الإخلاص كون المريد يعمل ليصل للمقامات العلية .

وقال : من أخلص للّه فى المعاملة أراحه من الدعاوى الكاذبة . وقال : عليكم بصحبة الفقراء فإنهم كنوز الدنيا ومفاتيح الآخرة .

وقال : المحب يجتهد فى كتمان حبه وتأبى المحبة إلا الاشتهار وكل شىء ينم عن الحب حتى يظهره . وقال : السياحة ضربان : سياحة بالنفس بالسير فى الأرض ليلقى الأولياء ويعتبر بآثار قدرته وسياحة بالقلب يجول فى الملكوت فيورد على صاحبه بركة مشاهدة الغيوب فيطمئن القلب عند الورود .

وقال : العقل ما يبعدك عن مواطن الهلكات ، وقال : ودعت بعض حجاتى المزين الصوفى فقلت : زودنى ، فقال : إن ضاع لك شىء أو أردت أن يجمع بينك وبين إنسان فقل : « يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن اللّه لا يخلف الميعاد » اجمع بينى وبين كذا وكذا ، فإنه يجمع بينك وبينه .

مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

حرف الحاء المهملة

(٣٢٩) الحسين بن منصور الحلاج البيضاوى [١]

ثم الواسطى [٢] صوفى أضاء فى أفق المشرق بدره ثم اشتهر فى أقطار المغرب ذكره ، وله خوارق سيوفها مجردة وعجائب سننها محددة ، أصله من بيضاء فارس ونشأ بواسط وصحب الجنيد والثورى وغيرهما وسبب تسميته بالحلاج أنه قعد على دكان حلاج وبها مخزن قطن غير محلوج فذهب صاحب الدكان لحاجة فرجع فوجد القطن كله محلوجا فاشتهر بذلك ، وكان من أهل الشطح ، وقد اختلف فيه الناس ما بين مكفر له ومعتقد ولايته ، وهم الجمهور ومنهم القشيرى فى الرسالة وابن الحاج فى المدخل وغيرهما . وسبب قتله على ما زعم ابن ممشاد أنهم وجدوا بالدينور كتابا بخطه عنوانه : « من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلانة » فوجه إلى بغداد ، فأحضره وعرض عليه فقال : خطى ، فقالوا : أتدعى الربوبية ، قال : لا ولكن هكذا عين الجمع ما الفاعل إلا الله وأنا ، فاليد آلة كذا ، قال ممشاد : ولكن قال ابن خلكان : لم يثبت عنه ما يوجب القتل أبدا ، وإنما هو لما وضع فى المحنة قام مع غالب العامة فخاف الخليفة المعتضد فجعل الأمر للوزير فعقدوا له مجلسا واتفقوا على قتله بغير ثبوت ، فقطعوا يديه ورجليه ثم جزوا رأسه ثم أحرقوه ، ولما سقط رأسه بقى جسده ساعتين من النهار قائما ورأسه بين رجليه يتكلم بكلام لا يفهم ، لكن آخر كلامه

---

(١) نسبة إلى البيضاء مدينة من أكبر مدن كورة إصطخر بفارس ، انظر ياقوت معجم البلدان ٧٩٣/١ (طبعة وستنفلد) .

(٢) نسبة إلى واسط التى تقع بين البصرة والكوفة ، ياقوت معجم البلدان ، ٨٨١/٤ (طبعة وستنفلد) وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١٨٣/١ - ١٩٠ ؛ وتاريخ بغداد ، ١١٢/٨ - ١٤١ ؛ والأنساب ١٨١ ؛ واللباب ٣٣٠/١ ؛ والمختصر فى اخبار البشر ٧٠/٢ ؛ والبداية والنهاية ١٣٢/١١ - ١٤٤ ، ومرآة الجنان ٢٥٣/٢ - ٢٦١ ؛ والمنتظم ١٦٠/٦ - ١٦٤ ؛ والشذرات ٢٣٣/٢ - ٢٥٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١٢٦/١ - ١٢٨ ؛ وما كتبه لوى ما سينيون فى استشهاد الحلاج ، باريس ١٩٢٢ ؛ وأخبار الحلاج بالاشتراك مع بول كراوس ، باريس ١٩٣٦ .

فهم منه أحد أحد . وكان شأنه التطور فلما طلب للقتل تطور فى البيت فملأه ، فأتاه الجنيد وقال : فتحت فى الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك فاخرج ، فسلم فانفش وسلم واستسلم ، ولما وقع دمه على الأرض كتب الله الله إشارة لتوحيده ، وإنما لم يكتب دم الحسين بن على ، رضى الله عنهما ، ذلك لأنه لا يحتاج لتبرئة بخلاف الحلاج .

وقيل: إن سبب قتله أنه أخذ كتابا لعمرو بن عثمان المكى فيه علوم الخاصة ، فجاء عمرو فلم يجده فقال : من أخذه قطعت يداه ورجلاه وقتل ، ولما كانت الليلة التى وعد من الغد بقتله قال له خادمه أبو العباس الرازى : أوصنى ، فقال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك ، ولما خرج للقتل خرج يتبختر فى قيده ويقول : حب الواحد إفراد الواحد ويترنم وينشد أبياتا : قال بعضهم خرجت فى ليلة مقمرة إلى زيارة قبر أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، فرأيت ثم رجلا قاعدا هناك فدنوت منه بغير علمه فإذا هو يبكى ويقول : يا من أسكرنى بحبه وحيرنى فى ميادين قربه ، أنت المتفرد بالقدم قيامك بالعدل لا بالاعتدال ، وبعدك بالعز لا بالاعتزال ، وحضورك بالعلم لا بالانتقال ، وغيبك بالاحتجاب لا بالارتحال ، فلا شىء تحتك فيقلك ، ولا أمامك شىء فيحدك ، ولا وراءك شىء فيدركك ، أسألك بحق هذه الغزية المفتولة ، والمراتب المسئولة ألا تردنى إلى بعد ما اختطفتنى عنى وأكثر أعدائى فى بلادك والقائمين لقتلى من عبادك ، فلما أحس بى التفت فإذا هو الحلاج فصعق وسقط وسال الدم على وجهه فأشار إلىَّ أن اذهب ، فذهبت وتركته .

وقال الحلوانى : قدم الحلاج للقتل وهو يضحك فقلت : يا سيدى ، ما هذا الحال ؟ قال : دلال الجمال الجالب إليه أهل الوصال .

(ومن كلامه) : حجبهم بالاسم فعاشوا ، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا ، وقال : من لاحظ الأعمال حجب عن

الجمال أى فى الابتداء ، وقال : فى حق ذي الغايات إذا انحل العقل عن القلب صار بائنا فأشرف على الغيوب ، وقال : أسرارنا بكرة لا يفتقها وهم واهم ولا فهم فاهم .

وقال : من أشار إليه فهو متصوف ومن أشار عنه فهو صوفى .

وقال : معنى الخلق العظيم ألا يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعة الحق .

وقال : الصوفى وحدانى الذات لا يقبل أحدا ولا يقبله أحد .

وقال : قول القائل يا علة العلل ويا قديما لم يزل جهل ، فإن اللّه يخلق العلل وليس بعلة كيف يقبل العلة من كان ولا شيء وواحد لا من شيء وهو الآن كما كان .

وقال : ليس لمن لا يرى أحدا أو يذكر أحدا أن يقول : عرفت الأحد الذى منه ظهرت الآحاد .

وقال : إذا تخلص العبد لمقام المعرفة أوحى إليه بخواطره وحرس سره أن يسبح فيه غير خاطر الحق .

وقال : علامة العارف كونه فارغامن أمور الدارين مشتغلا باللّه وحده .

وقال : إذا استوى الحق على سر عبد ملك الأسرار فيعاينها ويخبر عنها .

وقال : المريد الصادق هو الرامى بأول قصده إلى اللّه فلا يعرج حتى يصل وقال : من عرف الحق وعرف الحق فى التوحيد سقط عنه ثم وكيف .

وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال : أهونه ما ترى ؛ وقيل له : أين أمه ؟ فقال : فى الجبة قال في المدخل يعنى لم يبق فى الجبة التي عليه لنفسه تصرف وإنما التصريف كله للّه وباللّه ، وقال : وهذا الذى ذكره هو حقيقة قوله ، عليه الصلاة والسلام : تخلقوا بأخلاق اللّه .

وقال : لا يجوز لمن يرى غير الله أن يدعى أنه يعرفه .

وقال : من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد .

وقال : من طلب الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنورالكواكب.

وقال : ما انفصل الحق ولا اتصلوا به .

وقال : إذا دام البلاء بالعبد ألفه ، وذلك من رحمة الله بأهل النار من حيث لا يشعرون .

وقال : من خاف من شيء سوي الله أو رجا سواه ، أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجابا أيسرها الشك ، ومن نظمه رضى الله عنه .

عجبت منك ومنى   أفنيتنى بك عنى

أدنيتنى منك حتى   ظننت أنك أنى

ولما قدم للقتل أشار إلى جهاد النفس بقوله :

أقتلونى يا ثقاتى   إن فى قتلى حياتى

وحياتى فى مماتى   ومماتى فى حياتى

قال السهروردي : وإياها عنى بقوله ، رضى الله عنه :

هيكلى الجسم نورى الصميم   صمدى الروح ديان عليم

عاد بالروح إلى أربابها   فبقى الهيكل فى الترب رميم

ومن نظمه وهو مصلوب :

من أطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وعاقبوه على ما كان من زلل   وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

(ومن كراماته) أنه كان يخرج للناس فاكهة الشتاء فى الصيف وعكسه ويمد يده فى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم مكتوب عليها ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ ويسميها دراهم القدرة ، ومنها : أنه كان يخبر الناس بما أكلوه وما فعلوه فى بيوتهم ويتكلم بما فى ضمائرهم ، ومنها : ما حكاه ابن خفيف قال : دخلت عليه السجن فسلمت ، فرد فقال : ما يقول الخليفة فى ؟ قلت : يقول : غدا نقتله فتبسم وقال : لى خمسة عشر يوما يكون من أمرى كذا ، وكذا ، ثم قام فتوضأ وكان بالسجن حبل ممدود وعليه خرقة فرأيتها فى يده ينشف بها وجهه وكان بينه وبينها نحو أربعين ذراعا فلا أدرى أطارت الخرقة إليه أم مد يده فأخذها ، ثم أشار بيده إلى الحائط فانفرج فرأيت دجلة والناس قيام على جانبيها ، وله تصانيف بديعة فى التصوف وعلم الحرف والسيمياء والكيمياء والطلاسم والعزائم والرقى وغير ذلك ، قتل سنة تسع وثلثمائة .

(تنبيه) قال الإمام ابن عربى : رأيت الحلاج فى بعض التجليات فقلت له : لم تركت بيتك يخرب ؟ فتبسم وقال : لما استطالت عليه أيدى الأكوان حتى أخلته فأفنيت ، وأخلفت هارون فى قومى فاستضعفوه لغيبتى فأجمعوا على تخريبه ، فلما هدوا من قواعده ما هدوا ورددت إليه بعد الفناء فأشرفت عليه وقد حلت به المثلات فأنفت نفسى أن أعمر بيتا تحكمت فيه أيدى الأكوان فقبضت عنه ، فقيل : مات الحلاج ، والحلاج ما مات ، لكن البيت خرب ، والساكن ارتحل ، والسلام .

(٣٣٠) الحسن بن محمد[1]

الخولانى أبو الحسين الكابس ، فقيه صالح مجتهد فى العبادة ، كافح كثيرا الكبائر ، رقيق القلب مجاب الدعوة ، كثير السماحة شديد الوقوف لرضى الرب ، باع ضياعه وتصدق بها صادق فى مذهبه مجانب لأهل الهوى ، قال

الأبيانى ، ذاك العالم حقا سمع من ابن مسكين وابن ثريد وابن شعبان ، وكان له معرفة بشعراء العرب واللغة والنحو ، أخذ عن القابسى واللواتى وابن نظيف ورحل الناس إليه من الآفاق .

وكان يقول : وعزتك ما عصيتك استخفافا بحقك ولا جحودا لربُوبيتك ، لكن حقرنى جهلى وغاب عنى علمى واستفزنى عدوى ، وإنى عليها يا إلهى لنادم ، وكان إذا أعجبه من صاحبه شيء ، قال : والله لأسرنك فى نفسى ، قيل له : بماذا ؟ قال : بحسن الثناء عليك ، فقيل له : فما تصنع بقول المصطفى ، صلى الله عليه وسلم : « احثوا التراب فى وجوه المداحين »[1] فقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنما ذلك إذا مدح الرجل فى وجهه بما ليس فيه وإلا فمدح الرجل فى وجهه بما يجرى من حسن أفعاله فحسن .

ومن كلامه : أبت الحكمة أن تنطق على لسان من يأكل حتى يشبع ومن يحب الدراهم ، وقال : أرنى من قصده فخاب أو توكل عليه فضاع أو أطاعه فأضاعه ، لا يرى ذلك أبدا وأنشد :

يا رب كن لى دليلا بالصنع حتى أطيعك   لئن محوت صنيعى لقد عدمت صنيعك
إذا كنت أعصاك جهلا   أحب فيك من يطيعك

مات سنة سبع وأربعين وثلثمائة .

(٣٣١) الحسين بن عبدالله الصبيحى البصرى[2]

إمام قدره علىّ ، وبرهان منهاجه واضح حسن جلىّ ، كان للتربية مقصودا ، ومن أكابر الصوفية معدودا عالما بالكتاب ،والسنة ، وصاحب ورع ولسان في الطريق ومنه مكث فى سرب داره فلم يخرج ثلاثين سنة حتى أخرجه

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة ، الجامع الصغير ١/ ١٢ .

(٢) طبقات السلمي ٣٢٩ ـ ٣٣١ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١٢١ .

أهل البصرة إلى سوس ، وبها مات .

(ومن كلامه) : السماع بالصريح جفاء ، وبالإشارة تكلف ، وألطفه ما كان بلا تكلف .

وقال : علامة من يحب الدنيا أن تقطعه عن الآخرة فإن الحكم للأغلب .

وقال : ليس الغريب من بَعُدَ عن وطنه ، بل من قل جنسه وشكله .

وقال : النظر في عواقب الأمور من أحوال العاجزين ، والهجوم على المراد من أحوال السائرين ، والخمود بالرضا تحت موارد القضا من أحوال العارفين .

وقال : يجب على الواجد حفظ وجده .

وسئل عن أصول التصرف ، فقال : إثبات صدق الافتقار إلى اللّه تعالى والاقتداء برسوله ، صلى اللّه عليه وسلم ، وفروعه أربعة : الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضى بالموجود ، والصبر عن المفقود .

وقال : ابتلى الخلائق بالدعاوى العريضة فى الغيب ، فإذا أظلتهم هيبة المشاهدة خرسوا وأُفحموا وتلاشوا ولو صدقوا فى دعاويهم لبرزوا عند المشاهدة كما برز المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، بقدم الصدق حين تطلب أمته الشفاعة ويقول : أنا لها ولم ترعه هيبة الموقف .

(٣٣٢) الحسن بن احمد الكاتب المعدى البصرى

من كبار مشايخ مصر والشام ، ومن أعاظم أهل الحقائق الأعلام وافر العرفان مثمر الأفنان . أخذ عن الروذبارى وغيره .

(ومن كلامه): إذا انقطع العبد إلى اللّه بكليته فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس .

وقال : روائح نسيم المحبة تفوح فى المحبين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتدل عليهم وإن ستروها ، وقال : المعتزلة نزهوا الله من حيث العقول فأخطأوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا ، وقال : من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق ، وقال :صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم . وقال : يقول الله : من صبر علينا وصل إلينا ، وقال : إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره ، فإن فرح وشكره آنسة بقربه ، وإن لم يشكره أجري الذكر على لسانه وسلبه حلاوته ، وقال : إذا سكن الخوف القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه ، مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة .

(٣٣٣) الحسين بن على بن بزدانيار[١]

كان جليل القدر رحيب الباع والصدر وافر المهابة ظاهر الإنابة كثير الخير والإحسان معظما عند الأكابر والأعيان ، أخلاقه كريمة وبركاته عميمة وقدمه ثابت وغرس كرم وكراماته نابت ، أصله من أو مينية ، وله طريق فى التصوف يختص به ، وكان ينكر على بعض مشايخ العراق كالجنيد أحوالهم الفاضحة لأسرار الطريق .

(ومن كلامه) : رضا الخلق عن الله رضاهم بما يفعل ، ورضاه عنهم توفيقهم للرضا عنه .

وقال : من استغفر الله وهو ملازم لشهوة الذنب حرّم الله عليه التوبة والإنابة إليه .

وقال : الحياء ثلاثون قسما منها : حياء الخيانة كحياء آدم لما أكل من الشجرة وحياء التقصير كقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، وحياء الإجلال كما روي أن إسرافيل تسربل بجناحه حياء من ربه .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٦٣ ؛ وطبقات السلمى ٤٠٦ ـ ٤٠٩ ؛ والرسالة القشيرية ٣٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٣ ـ ١٣٦ .

وقـال : إياك أن تطمع فى الأنس بـالله وأنت تحب الأنس بـالناس ، وأن تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس .

وقال : المريد طالب والعـارف مطلوب ، والمطلوب مقبول والطالب مرغوب .

وقال : الروح مزرعة الخير ، لأنهـا معدن الرحمة والبدن مزرعـة الشر ، لأنه معدن الشهوة ، فالروح مطبوع علي إرادة الخير والنفس على إرادة الشر .

وقـال : المعرفـة تحـقق القلب بوحدانيـة الله وظهـور الحـقائق وتلاشى الشواهد .

وسئل عن العبد : إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج ؟ قـال : علي أن لا يعـود إلى مـا منه خرج ، ولا يراعـي غيـر من إليـه خرج ويحـفظ سـره عن مـلاحظة من تبرأ منه فقيل له : هذا حكم من خرج عن وجود فـمـا حكم من خرج عن عدم ؟ .

وقال : وجود الحلاوة فى المشانف عوض عن المرارة في المتالف .

(٣٣٤) الحسين بن على الجوزجانى[١]

من كبـار مشـايخ خراسـان ، مشـهـور بالرياضـة والمعـارف والمجاهدات واللطائف ، إمـام عظم شرفـه ، وشيخ علت فى جنة الورع غرفه ، صحب الحكيم الترمذى والبلخى لقرب سنه منهمـا .

(ومن كـلامـه) : ثـلاثة أشـيـاء من عـقـد الـتـوحـيـد : الخوف والرجـاء والمحبة ، فزيادة الخوف من ترك الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء من اكتساب الخيـر لرؤية الوعد وزيادة المحبة من كثـرة الذكـر لرؤية المنة ، فـالخائف لا يسـتريح من الـهـرب ، والراجـى لا يسـتـريح من الطلب ، والمحب لا يـسـتـريح من ذكـر

(١) نسبة إلى جُوزجان ، اسـم كورة واسعـة من كرى بلخ بخراسان ، ومنهـا صـاحب الترجمـة كمـا جاء فى ياقوت ، معجم البلدان ، ١٨٢/٢ (طبعة بيروت) .

المحبوب ، فالخوف نار منوِّر ، والرجاء نور ينوِّر ، والمحبة نور الأنوار .

وقال : فى البخل ثلاثة أحرف الباء : وهو البلاء، والخاء وهو الخسران ، واللام وهو اللوم ، فالبخيل بلاء على نفسه وخاسر فى سعيه وملوم فى بخله .

وقال : كن صاحب استقامة لا طالب كرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك مطالبك بالاستقامة .

حرف الدال المهملة

(٣٣٥) (دلف بن جَحْدَر) أبو بكر الشبلى [١]

قيل : اسمه جعفر بن يونس حكاه السلمى وقيل غير ذلك ، إمام اشتهر شرفه وسمت فى جنان المعرفة غرفه ، وأضاء كوكب زهده وديانته ، ونما فرع ورعه وصيانته ، وهو خراساني الأصل بغدادى المنشأ، كان واليا بنهاوند وبالبصرة وكان والده حاجب الحجاب للموفق ثم ناب صاحب الرجة ، وصحب الجنيد والصناج والطبقة وصار أوحد وقته علما وحالا . تفقه على مذهب الإمام مالك وكتب حديثا كثيرا ثم شغلته العناية عن الرواية ، وكان يأخذه الوله ويرد فى أوقات الصلوات إلى حسه حتى لا يفوته شيء مما يتوجه عليه من التكليف كما يتوجه على العاقل الذاكر ، فإذا فرغ من صلاته أخذه الوله فلا يعقل (وسمع) بياعا يقول : الخيار عشرة بدرهم ، فصاح وقال : إذا كان الخيار عشرة بدرهم ، فكيف الشراء ؟ (وصاح) يوما في السماع فقيل له فيه فقال :

لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعـزة ركَّعـا وسجودا

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٧٥ ؛ وصفة الصفوة ٢٥٨/٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٣ ؛ وطبقات السلمى ٣٣٧ ـ ٣٤٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١٢١/١ ـ ١٢٤ ؛ ووفيات الأعيان ٢٢٥/١ ؛ وتاريخ ٣٨٩/١٤ ـ ٣٩٧ ؛ واللباب ١٠/٢ ؛ والأنساب ٣٢٩ ؛ ومرآة الجنان ٣١٧/٢ ـ٣١٩ ؛ والكامل لابن الأثير ٨ / ٣٥٠ ؛ والبداية والنهاية ٢١٥/١١ ؛ والمنتظم ٣٤٧/٦ ؛ والأعلام للزركلى ٣١٠/١ ؛ والشذرات ٣٣٨/٢ .

ودخل خربة فوجد بها جارية فصاح بأعلى صوته : يا للمسلمين أدركوني فأتاه الناس فقالوا له : ما الخبر فقال : خفت على نفسي من الخلوة بهذه ، وكان إذا أعجبه نحو صوف أو عمامة أو ثوب حرقه .

(ومن كلامه) وحكمه التي وشحها بألفاظه وأقلامه ونضد عقودها بأحكام إحكامه وملأ بجيوشها صدور مهامه قال : لايكمل فقير حتى تستوى حالاته سفرا وحضرا وغيبة ومشهدا . وقال : وقفت بعرفة فطالبت الناس بما يجب من الحضور والإجلال فرأيت الغالب عليهم التقصير فرحمتهم ، وقلت : إلهى إن منعتهم إرادتك فيهم فلا تمنعهم مناهم منك . وقال : الدنيا قدر يغلى وكنيف يملأ ، وقيل له : ابنك انبشم البارحة من كثرة الأكل ، قال : لو مات ما صليت عليه . وقال : ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق ، وليس من جذبته أنوار قدسه إلي أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته ، وقال : رفع اللّه العباد على قدر علو هممهم ، فلو أجري على الأولياء ذرة مما أجراه على الأنبياء ذابوا وتقطعوا، وقال : كل صديق ليس له كرامة فهو كذاب ، وقال : العارفون نيام والجاهلون أموات ، وقال : ذلي عطل ذل اليهود ، وقال : من ذاق ذرة من التوحيد عجز عن حمل نملة لثقل ما حمل ، وقال : إنما سميت الصوفية صوفية لبقية بقيت عليهم ، ولولاها ما تعلقت بهم تسمية ، وقال : العارف لا يكون بكلام غيره لافظا ولا للغير لاحظا ولا يرى غير اللّه حافظا ، وقال : سمعت الحق تعالى يقول : من نام غفل ومن غفل حجب ، فلذلك اكتحلت بالملح لئلا أنام ، وقال : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك ، وقال : من عرف الله تعالى حمل السموات والأرض على شعرة من جفن عينيه ومن لم يعرفه لو تعلق به جناح بعوضة ضج لحمله ، وقال : الانبساط مع الحق بالقول ترك أدب ، وقال : الحزن ملك فإذا سكن محلا لم يرض أن يساكنه آخر ، وقال : يقول أحدهم : توكلت على اللّه وهو يكذب عليه لو توكل عليه رضى بفعله ، وقال : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، وقال : من خرج عن

ماله كله لله فإمامه أبو بكر ، ومن خرج عن بعضه وأمسك بعضه فإمامه عمر ، ومن أخذ وأعطى وجمع لله فإمامه عثمان ، ومن ترك الدنيا لأهلها فإمامه على ، وكل علم لا يؤدى إلي ترك الدنيا فليس بعلم . وقال : إذا أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلي مزبلة ، وإن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود ، وإن اردت أن تنظر ما أنت فانظر ما يخرج منك ودخولك الخلاء ، فمن كان هذا حاله فلا يتكبر ، وقال لتلميذه الحضرى : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تعد تأتينا ، وكان يأتيه كل أسبوع مرة وقال : أهل البلاء أهل الغفلة عن الله . وقال له رجل : كثرت عيالى وقلت حيلتى ، فقال : ادخل دارك فكل ما رأيت رزقه عليك دون الله فأخرجه ، وقيل له متى تستريح ؟ قال : إذا لم أر الله ذاكرا ، إنى لا أستريح إلا إذا دخلت حضرة الشهود لأنها لا ذكر فيها استغناء عنه بالشهود ؛ لأن الذكر إنما هو للغائب .

وقال : ليس لمريد فترة ، ولا لعارف علاقة ، ولا لمحب شكوى ، ولا لصادق دعوى ولا لخائف قرار ولا للخلق من الله فرار ، وقال : ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور ، وسئل عن الرحمن على العرش استوى ، فقال : الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى . ودخل على بن الجراح الوزير وعنده ابن مجاهد ، فقال سأسكته يا أبا بكر ، أين فى العلم إفساد ما ينتفع به ، وكانت عادته إذا لبس ثوبا خرقه قال : فأين فطفق مسحا بالسوق والاعناق ، يا ابن مجاهد أين فى القرآن الحبيب لا يعذب حبيبه ، فسكت ، قال الشبلى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ قال ابن مجاهد : كأنى سمعتها . وقال : إنما يحفظ هذا الجانب بى يعنى من الديلم ، فمات يوم الجمعة وعبر الديلم الجانب الغربى يوم السبت واستولوا علي بغداد فنال الناس مصيبتان ، موت الشبلى وعبور الديلم ، وسئل أى شىء أعجب ؟ قال : من عرف الله ثم عصاه ، وقال : لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرور إلى دار الأمن ، وقال : من عرف

اللّهَ لا يكون لـه غم ، وقال : إلهي أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك ، وقال : ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا لمسها ، ولا للجاهل من اللّه إلا ذكره باللسان ، وقال : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلاء ، وسمع قارئا يقرأ ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ﴾[1] فأغمى عليه فلما أفاق جعل يقول : بمثل هذا تخاطب الأحباب ، وقال : ليس الكامل من يوصل كل يوم ألفا من العوام بل من يوصل فقيها واحدا فى مائة عام . وفى قصة موسى والخضر كفاية لكل معتبر ، وقال : الإفلاس يا ناس الاستئناس بالناس ، وقال : الزم الوحدة وامح اسمك من القوم والزم الجدار حتى تموت ، وقال : لو كان لى فى القيامة أمر لسألت اللّه أن يملأ جهنم منى وحدى لئلا يبقى فيها متسع لغيرى لأفدى بعض أمة محمد فرأى فى نومه اللّه يقول : أما تستحى أن تقول ما قلت ، إن كنت تتكرم على خلقى بما يضرك فأنا خالق الكرم وأولى أن أتكرم عليهم بما لا يضرنى فقلت : وعزتك قد بهت فلم أدرِ ما أقول . وجاءه رجل فقال : أى الصبر أشد ؟ قال : الصبر فى اللّه ، قال : لا ، قال : فاصبر مع اللّه ، قال : لا ، قال : فالصبر للّه ، قال : لا ، قال : فأى شيء ، قال : الصبر عند اللّه ، فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه أن تخرج ، ثم أنشد :

الصبر يجمل فى المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

وحج فلما رأى الكعبة أغمى عليه ثم انتبه فسمع قائلا يقول :

أسائل عن ليلى فهل من مخبر ... يكون له علمٌ بها كيف تنزل

فصاح وقال : واللّه ما عنه فى الدارين مخبر ، وسئل هل تظهر صحة الوجد على الواجدين ؟ فقال : نورا مقارنا لنيران الاشتياق فيلوح علي الهياكل آثارها ، وأذن مرة فلما تشهد قال : لولا أنك أمرتنا بهذا الذكر ما ذكرنا معك

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٦ .

منتبه من رقدة الغافلين يا مسكين ، ستقدم فتعلم سيكشف لك الغطاء فتندم ، كيف بك وقد كشف الغطاء وتجلى الجليل لفصل القضاء يا مسكين ، لِمَ تبكى وتضج ؟ دع المعاصى فتستريح ، لم هذا البكاء والانتحاب ؟ قف فى الدياجى على الباب .وقال : المحبة اتباع أوامر المحبوب وتجنب نواهيه ، ومع ذلك فيجب الصدق والإخلاص وكتمان الحال مع بذل الجهد فى المجاهدة ثم بعد ذلك لا توصل للمحبوب إلا بفضله ، ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ . وسئل عن أرجى آية في القرآن فقال : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ﴾[1]، قال : فإذا كان الله تعالي أطلق للكفار دخول الجنة بذكر لا إله إلا الله مرة واحدة ، أتري من واظب عليها طول عمره كيف يمنع من دخول الجنة وهو طاهر من نجاسة الشرك . وسئل عن كمال العقل وكمال المعرفة ، فقال : إذا كنت قائما بما أمرت تاركا لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل ، وإذا كنت بالله متعلقا بأعمالك غير ناظر إلي سواه فأنت كامل المعرفة . وسئل : ما الحكم فى أنه تعالى ذم الاستهزاء والمكر ثم فعلهما ؟ فقال :

ويقبح من سواك الفعل عندى   فتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال السائل : أسألك عن القرآن فتجيب بالشعر ، فقال : لم أجب به إلا لتعلم أن فى أقل قليل أدل دليل تخليته تعالى بينهم وبين الاستهزاء ، والمكر مكر منه بهم ، إذ لو شاء لمنع . وسئل : من أقرب أصحابك إليك ؟ قال : ألهجهم بذكر الله وأسرعهم مبادرة لرضاه . وقال : رأيت رجلا والناس حوله والصبيان يرجمونه بالحجارة حتى أدموا وجهه ورأسه فكشفتهم عنه ، فقالوا : إنه كافر إنه يزعم رؤية الله تعالى ، فتقدمت إليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول : هذا جميل منك تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون معى هكذا ، فقلت له : أصحيح ما تقوله الصبيان؟ قال : ما هو ؟ قلت : إنك ترى ربك ، فصاح : آه لقلوب لا تعرف مولاها ، وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بين حبه وقربه ، لو

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٨ .

غيرك ، ودخل الجنيد من كان الله همه طال حزنه ، فقال الشبلى : لا بل من كان الله زال حزنه ، وقال : طرح الآمال قد خاب إلا إليك ، وعلوق الهمم قد تقطعت إلا عليك ومذاهب المعارف قد استدت إلا إليك . وقال : مر بى بهلول المجنون وهو خارج إلى المقابر ومعه قصبة جعلها فرسه وبيده مقرعة وهو يعدو فقلت : إلي أين ؟ فقال : إلي العرض على الله فجلست حتى رجع وقد انكسرت القصبة واحمرت عيناه من البكاء قلت له : ما كان منك ؟ قال : وقفت بين يديه على أن يكثبنى من الخدم ، فلما عرفنى طردنى .

وقال : الوفاء والإخلاص فى النطق واستغراق السرائر بالصدق ، وقال له الجنيد : لو رددت أمرك إلى الله استرحت ، قال : لا بل لو رد الله أمرى إليه لاسترحت ، فقال الجنيد : سيوف الشبلى تقطر دماء .وقال : كيف يصح لك شيء من التوحيد ، وكلما ملكت شيئا من الدنيا ملكك ، وكلما أبصرت شيئا صرت أسيره ؟ وسئل عن الزهد فقال : تحويل القلب من الأشياء إلي رب الأشياء .

وقال : التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك .

وقال : طرح العادات وصول إلى الكرامات ، ومن حقق رقة لمولاه استوحش مما سواه ، وقال : لسان العمل أفصح من لسان العلم ، وسئل هل يبلغ الإنسان بجهده إلى شيء من طرق الحقيقة أو الحق ؟ فقال : لابد من الاجتهاد والمجاهدة ، لكنهما لا يوصلان إلى شيء من الحقيقة لامتناعها عن أن تدرك بجهد أو اجتهاد ، وإنما هى مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحق تعالى لا غير ، ولولا أنه تعالى بدأهم بالمحبة وهداهم لما أحبوه .

وقال : المحبة كأس لها وهج إن استقرت فى الحواس قتلت ، وإن سكنت فى النفوس أسكرت ، فهى سكر فى الظاهر ومحبة فى الباطن .

وقال : ألا شجا بحنين ، ألا رنة بأنين من قلب قريح حزين ألا شارب بكأس العارفين ، ألا غارق فى بحار المحبين ، ألا هائم في ميدان العاشقين ، ألا

احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ، ثم ولى وهو يقول :

خيالك في وهمى وذكرك فى فمى

وقال : من جاع خمسة أيام فحس بالجوع فأمروه بالحرف والمضاجع كالعوام ، فإن مثل هذا لا يصلح للطريق ، وقال : كنت أمكث الشهر كاملا لا أتذكر الطعام ولا الشراب إلا إن حضر بين يدى وقال : مساكين هؤلاء المماليك نظروا بعيونهم إلي ملكوت المخلوق ورضوا بالجنان المخلوقة فبقوا معها خالدين فيها ، وأما الملوك فلم يرضوا بها فنظروا بقلوبهم إلى مالك الملوك فبقوا معه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وقيل له : نراك جسيما بدينا والحجة تضنى فأنشأ يقول :

أحب قلبى وما درى بدنى ولو درى ما أقام فى السمن

ورئى خارج مسجد يوم عيد ، وهو يقول :

إذا ما كنت لى عيدا فما أصنع بالعيد

جرى حبك فى قلبى كجرى الماء فى العود

وكان يقول فى مناجاته : إلهى إن هربت منك طلبتنى ، وإن قصدتك أتعبتنى فليس لى معك راحة ولا مع غيرك أنس فالمستغاث منك إليك ، وجلس عنده جمع من المريدين فوجدهم غفلة لا يذكوون فقال : كفى حزنا بالواله العبد أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا ، وقال : الأنس وحشتك من جميع ما يقطعك عنه واستغراقك . وقال : سهو طرفة عين عن اللّه لأهل المعرفة شرك . وقال : المحبة نتيجة الهمة ومن علت همته ضعفت محبته ، وقال : المحبة بحار بلا شاطىء وليل بلا آخر وهم بلا فرح ، وعلة بلا طبيب ، وبلاء بلا صبر ، ويأس بلا رجاء . ووقع له أن زوجته ناولته لبنا فقال : أخاف يضرنى ، فأقام سنين يقول فى مناجاته : يا رب اغفر لى فإنك وعدت بالمغفرة من لا يشرك بك ، وأنت تعلم أنى

لم أشرك ، فقيل له : ولا يوم اللبن ؟ فخجل ، وذلك لإضافته الضرر إليه ، وجاءه نصرانى فأسلم ، فقال : ما سبب إسلامك ، قال : إسلامك ، قال : كنت حال النصرانية أكرم دين النصرانية فرزقت دين الإسلام ببركة إكرامى ذلك الدين ، فصاح الشبلى وقال : إذا كان من يكرم الدين الباطل يرزقه اللّه الدين الحق فمن يكرم الدين الحق لا يرزقه اللّه الرحمة والمغفرة . وقال له رجل : لم تقول اللّه ولا تقول لا إله إلا اللّه ؟ فقال : أستحى من ذكر كلمة النفى فى حضرته ، قال له : أريد أعلى ، قال : لا أبغى به ضدا ، قال : أريد أعلى ، قال : لا أخشى أن أوجد فى وحشة الجحد . وفى رواية : أخاف أن أموت عند الإنكار فلا أصل إلى القرار ، قال : أريد أعلى قال اللّه تعالى ﴿ قل اللّه ثم ذرهم ﴾[1] فصعق الرجل ففارقته روحه ، فتعلقت أولياؤه بالشبلى وادَّعَوْ عليه بثأره فخرجت الرسل من الخليفة فسأله عن الجواب فقال : روح حنت فرنت فدعيت فأجابت ، فما ذنب الشبلى ؟ فصاح الخليفة خلوه فلا ذنب له ، وجاءه جمع فقال : من أين أنتم ؟ قالوا : من الشام ، نريد الحج ونسألك الخروج معنا فأبى فألحوا فقال بثلاثة شروط ، لا نحمل معنا شيئا ولا نسأل أحدا شيئا وإن أعطينا لم نقبل ، قالوا : أما الأولان فنعم ، لكن إن أعطينا لم نقبل ، كيف نفعل ؟ قال : كأنكم خرجتم متوكلين على من أوفد الحج لا على اللّه ، روحوا إلى شغلكم .

مات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقبررة الخيزران وقيل له عند النزاع : قل : لا إله إلا اللّه ، فقال :

إن بيتا أنت ساكنــــه غير محتاج إلى السراج

ورئى فى النوم فقيل له : ما فعل اللّه بك ؟ قال : ناقشنى حتى أيست ، فلما رآنى آيسا تغمدني برحمته ، ولم يتزوج قط فقيل : إنه رُئى أيضا فقال : قال لى : ما كنت أحب أن تلقانى عزبا ، رضى اللّه عنه .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

حرف الدال المهملة

(٣٣٦) دينار العابد[١]

كان من أرباب الأحوال وأصحاب الكرمات منها ما اشتهر أنه كان إذا قدموا إليه طعاما حراما ظهر له منه ثعبان يريد أن ينهشه فيتركه .مات بمصر ودفن بالقرافة الكبرى بجانب ضريح البقاعى .

حرف الراء المهملة

(٣٣٧) رويم بن أحمد وقيل بن محمد[٢]

الفطن المكين له البيان والتبيين ، كان عالما بالقرآن ومعانيه عارفا بالتصوف ومبانيه .

ومن كلامه : السكون إلى الأحوال اغترار .

وقال : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وقال : الفقر له حرمة ، وحرمته ستره ، وإخفاؤه والغيرة عليه والضن بكشفه .

وقال : لى يومئذ عشرون سنة لا يخطر بقلبى ذكر الطعام حتى يحضر .

وقال : التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى العلائق .

وقال : المحبة الموافقة فى جميع الأحوال .

---

(١) السخاوى الحنفى ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٢٥٨ ؛ وحلية الأولياء ، وصفة الصفوة

(٢) حلية الأولياء ٢٩٦/١٠ ـ ٣٠٢ ؛ وصفة الصفوة ٢٤٩/٢ ؛ والرسالة القشيرية ٢٧ ؛ وطبقات السلمى ١٨٠ ـ ١٨٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١٠٣/١ ؛ والمنتظم ١٣٦/٦ ؛ وتاريخ بغداد ٤٣٠/٨ ـ ٤٣٢ ، والبداية والنهاية ١٢٥/١١ .

حرف الزاى المعجمة

(٣٣٨) زهير بن نعيم البابى

كان من رؤوس العباد وأكابر الزهاد وأغلب أحواله الصبر واليقين مؤيد بالنصر والتمكين ، ومن كلامه : هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين الصبر واليقين .

وقال وقد سمع رجلا يقرأ بالتنغيم : لأن يطلب الرجل الدنيا بالزمر والغناء والعود خير من أن يطلبها بالدين .

وقال وقد شكوا إليه كثرة الوباء : لا تأمنن قلة الموت ولا تخافن كثرته .

وقال : إذا رأيت الرجل لا ينصف من نفسه فإن قدرت أن لا تراه فلا تره .

وقال له رجل : ممن أنت ، فقال : ممن أنعم الله عليهم بالإسلام ، قال : إنما أريد النسب قال فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون[(١)] .

وقال : جالست الناس خمسين سنة فما رأيت أحدا إلا وهو يتبع هواه حتى إنه ليخطىء فيحسب أن الناس قد أخطأوا .

وقال : وددت أن بدنى قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوا الله ، وودعه بعض إخوانه وقالوا له : هل من حاجة ؟ قال : نعم ، ولكنها مهمة . واتقوا الله فوالله لأن يتقيه عبد أحب إلى من أن يتحول لى هذه السوارى كلها ذهبا .

وقال له بعض القدرية : بلغنى أنك زنديق ، فقال : أما زنديق فلا ، لكننى رجل سوء .

وقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن توصينى بشىء ؟ قال : نعم ، اتق الله واحذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

وقال : الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك .

وقال : الإخلاص فى العمل أن لا تريد عوضا فى الدارين ولا حظًا من الملكين .

وقال : الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك . والفتوة أن تعذر إخوانك فى زللهم ولا تعاملهم بما يحوج إلى الاعتذار إليهم .

وقال : التصوف مبنى على ثلاثة خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالذل والإيثار ، وترك التعوض والخيار .

وقال : من أحب العوض يقضى العوض إليه محبوه .

وقال : الصبر ترك الشكوى ، والرضى التذاذ البلوى ، واليقين المشاهدة .

وقال : الرضى استقبال الأحكام بالفرح .

وقال : الشكر استفراغ الطاقة .

وسئل عن وجد الصوفية عند السماع فقال : يشهدون المعانى التى تعزب عند غيرهم فتشير إليهم إلى فيصعقون بذلك من الفرح ثم يقع الحجاب فيعود ذلك بكاء ، فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكى كل إنسان على قدره .

وسئل عن تقشف الفقير فقال : إرسال النفس فى أحكام اللّه .

وسأله بعضهم أن يوصيه ، فقال : ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية .

مات ببغداد سنة ثلاث وثلثمائة ، رضى الله عنه .

(٣٣٩) زكريا بن الصلت

له الورع الوثيق والقلب الرقيق ، مشهور بالتعبد والاجتهاد ، والتوجه والانفراد ، والصفاء التام عند الكدورات والأوهام ، وقد قيل : التصوف صفاء لا وصف له وعلامة لا نهاية لها .

(ومن كلامه) ما شفع أشفع للمذنب من الخدمة لرب العالمين .

وقال : من نظر إلى مبتدع بعينه فقد أعان النظر على العمى ، فأحبوا أشفار العيون بالإغماض عن النظر إلى المبتدعين .

حرف السين المهملة

(٣٤٠) سعيد بن سلام

المغربى ابن شعبان المنصورى أبو عثمان القيروانى (١)

صوفى جليل كبير عارف ، عرف صيته أطيب من العبير ، له الأحوال المأثورة والكرامات المذكورة ، صحب الزجاجى والنهرجورى والدينورى وغيرهم ولم ير مثله فى علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وعظم الهيبة وعلو الأسرار وطرح الاختيار . وقد قيل : التصوف السير السريع إلى الله والرضا للعبد بما قسمه مولاه ، كيف وهو الإمام الذى شهدت بخوارقه أرباب العلوم والأعلام ، والصوفى الذى لم تشاهد العيون مثله فى اليقظة والأحلام .

(ومن كلامه) : الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر .

وقال : إن للملك الجبار أن يختبر أولياءه بتسليط عدوهم عليهم ،

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٨ ؛ وطبقات السلمى ٤٧٩ ـ ٤٨٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٣/١ ؛ والشذرات ٨١/٣ ؛ وتاريخ بغداد ١١٢/٩ ؛ واللباب ٣٦/٣ .

وقال : من آثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب .

وقال : من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله ، ومن مد يده إلى طعام غنى بشهوة لا يفلح أبدا .

وقال : عاص نادم خير من طائع مدع ؛ لأن العاصى يطلب توبته ويعترف بنقصه والمدعى يتخبط فى حال دعواه .

وقال : أفواه العارفين لم تزل غرة . فالمناجاة القدرة .

وقال : من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول .

وقال : لا يصح لمخلص معرفة إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقته إذ لا يعرف الشىء من لا يعرف ضده .

وقال : التقوى الوقوف مع الحدود .

وقال : الصوفى من يملك الأشياء اختيارا ولا يملكه شىء اقتهارا .

وقال : لا تصحب إلا أمينا أو معينا فإن الأمين يحملك على الصدق ، والمعين يعينك على الطاعة ، وقال : للعارف وقت يضىء له أنوار العلم لتبصره بعجائب الغيب .

وقال : إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب .

وقال: من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر .

وقال : شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى .

وقال : من ادعى السماع ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفير الرياح فهو مفترٍ مدعٍ .

وقال : قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة .

وقال وقد سئل عن الخلق قوالب وأشباح : تجرى عليهم أحكام القدرة ، ودخل عليه بعض أصحابه قريب احتضاره ، فقال له كيف تجدك ؟ قال : أجد مولى كريما رحيما إلا أن القدوم عليه شديد ، وكان أولا مقيما بمكة فسعى به إلى العلوية فأخرجوه ، فعاد إلى بغداد ثم نيسابور ، فمات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ودخل رجل على الخطابى فأخبره بموته ، فقال : قال المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، قد كان فى الأمم ناس محدثون فإن يكن فى أمتى فعمر ، وأنا أقول : فإن كان فى هذا العصر أحد فأبو عثمان المغربى . رواه الخطيب البغدادى .

حرف الشين المعجمة

(٣٤١) شاه بن شجاع الكرمانى[١]

كان له دين متين وسلطان فى التقوى مكين ، وفيه بر ومعروف وجود على الفقراء والصلحاء ، موصوف ظريفا فى الفتوة عريقا فى المروءة ، وأصله من أبناء الملوك فتشمر للسلوك وتعرى من الأعراض وتحرز من الأغراض وصحب النخشبى وتلك الطبقة .

(وأصل) توبته أنه خرج يتصيد فى برية ، وإذا بشاب راكب أسدا وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب ، ثم قال : يا شاه ، ما هذه الغفلة ؟ اشتغلت بهواك عن أخراك وبلذاتك عن خدمة مولاك ، أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجلعتها ذريعة إلى الاشتغال عنه ، ثم خرجت عجوز بيدها شربة ماء فشرب وناوله فسأله عنها ، فقال : هى الدنيا ، وكلت بخدمتى أما بلغك أن الله لما خلقها قال : من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ،

---

(١) حلية الأولياء ٢٢٧/١٠ ، ٢٣٨ ؛ وصفة الصفوة ٤٩/٤ ؛ وطبقات السلمى ١٩٢ - ١٩٤ ؛ ورسالة القشيرى ٢٩ ، وطبقات الشعرانى ١٠٥/١ .

فخرج عن الدنيا وسلك الطريق . وأقام شهرا كاملا لا ينام فغلبه النوم فرأى الحق تعالى فيه فكان بعد ذلك يتكلف النوم ويقول :

رأيت سرور قلبى فى منامى فأحببت التنفس والمناما

وورد على أبى حفص النيسابورى فوقف على حلقته وكان عليه قباء فعرفه بالفراسة فقال : الذى كنا نطلبه تحت العباءة وجدته اليوم تحت القباء وخطب ابنته ملك كرمان فاستمهله ثم طاف المساجد فرأى غلاما يحسن صلاته فقال له : ألك زوجة ؟ قال : لا ، قال : أزوجك ، فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والأمر مفروغ منه ، وزوجه إياها ، فلما دخلت بيته وجدت رغيفا يابسا على رأس جرة ، فقالت : ما هذا؟ قال : بقى من أمس فتركته لأفطر عليه ، فولت راجعة فقال : عرفت أن بنت شاه لا تقنع بفقرى ، فقالت : ليس خروجى لفقرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك بل من أبى حيث قال : زوجتك لشاب عفيف ، كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله إلا بادخار رغيف فقال : أنا معتذر ، فقالت : أما العذر فأنت أعرف بشأنك وأما أنا فلا أقيم ببيت فيه معلوم .

(ومن كلامه) من عرف ربه طمع فى عفوه ورجا فضله .

وقال : علامة الحياء ثلاث : وجدان الأنس بفقدان الوحشة والاختلاء من الخلوة بإدمان التذكر واستشعار الهيبة بخالص المراقبة .

وقال : من صحبك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه .

وقال : الفتوة من طباع الأحرار واللؤم من شيم الأنذال ، وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب للأولياء ، لأن محبتهم محبة الله وكان حاد الفراسة لا يخطىء أبدا .

وكان يقول : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وزين ظاهره باتباع السنة وتعوّد أكل الحلال لم تخطىء فراسته أبدا .

وقال : من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ومن نظر إليهم بعين اللّه عذرهم فيما هم فيه وقل اشتغاله بهم .

وقال : علامة الأنس باللّه الاستيحاش من الغافلين ، والسكون إلى الوحدة ، ومرافقة الأحبة .

وقال : علامة المحبة الرضى عنه فى المكروه وحسن الظن به فى المجهود ، والانقياد لاختياره فى المحذور .

وقال : التوكل سكون القلب إلى اللّه فى حالتى الوجود والفقود .

وقال : علامة الخائف الخوف الدايم .

وقال : لأهل الفضل فضل مالم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية مالم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم .

وقال : علامة الركون إلى الباطل التقرب إلى المبطلين .

وقال : المعجب بنفسه محجوب عن ربه ، وكان بينه وبين يحيى بن معاذ صداقة وجمعهما بلد ، فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا هو الصواب ، فما زالوا به حتى حضر وجلس ناحية بحيث لا يشعر به ، فأخذ يحيى فى الكلام فألقى عليه السكوت فلم ينطق ، فقال : هاهنا من هو أولى بالكلام منى ، وارتج عليه فقال شاه : قلت لكم الصواب فأبيتم ، وأخرج أبو نعيم بينما سهل التسترى جالسا إذ سقطت حمامة لا تتحرك فجعل ينحيها فقال لبعض جماعته : أطعمها واسقها وطارت ، فقال : مات أخ لى بكرمان وهو الشاه ، فجاءت هذه تُعزينى ، فأرخ ذلك اليوم ، فكان وقت سقوط الحمامة وقت خروج روحه .

وكان من الأبدال ، قلت : لذا أثبتُّه فى هذا القرن تبعا لبعضهم ، ثم رأيت ابن الجوزى قال : أظنه مات بعد سبعين ومائتين ، رضى اللّه عنه .

حرف الطاء المهملة

(٣٤٢) طاهر المقدسى[١]

الإمام الربانى الأوحد الصمدانى كان حسن الأخلاق منبسطا على الإطلاق ، ومع ذلك لم يرزق أحد وجاهته فى صدر الصدور ولا فرح أحد من صوفية عصره بسيادته التى أربت على تمام البدر، وكان معروفا بحل المشكلات موصوفا بإيضاح المعضلات ، كثير التلاوة والأذكار ، كثير التعبد فى نوافح الأسحار ، مقطوع بديانته مقطوعا بأمانته . وأما علمه بالتصوف ، فإليه الرحلة من الأقطار وبفوائده تدرك الأمانى وينال الأوطار . قد أتقن التصوف وتصريفه وعلم حده ورسمه وتعريفه ، رأى ذا النون وصحب ابن الجلاء وغيره وسماه الشبلى خير الشام .

(ومن فوائده العظام) : لا يطيب العيش إلا لمن وطىء على بساط الأنس وعلا سرير القدس وغيبه الأنس بالقدس والقدس بالأنس ، والعاقل من وقف حيث وقف العوام والسلام .

وقال : لو عرف الناس قدر أنوار العارفين لاحترقوا فى أنوارهم ولو بدت لأهل الأحوال لاحترقت أحوالهم .

(٣٤٣) طاهر بابشاذ النحوى[٢]

صاحب المقدمة المشهورة ، كان من أرباب الأحوال والكرامات المأثورة

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣١٧ ؛ وطبقات السلمى ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٧ .

(٢) الوفيات ١/٢٩٤ ـ ٢٩٥ ؛ ياقوت معجم الأدباء ١٢/١٧ ـ ١٩ ؛ والأنبارى ، نزهة الألباء ٤٣٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ١٢/١١٦ ، والقفطى ، إنباه الرواة ٢/٩٥ ـ ٩٧ ؛ والسيوطى ، بغية الوعاة ٢٧٢ ؛ وحسن المحاضرة ١/٣٠٦ ـ ٣٠٧ ؛ واليافعى ، مرآة الجنان ، ٣/٩٨ ؛ والشذرات ٣/٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

منها ، أنه أتاه إنسان وقال له : جئتك من عند الخطيب فلان ، قال : اذهب احفر قبره فرجع إليه فوجده قد مات ، ومنها : أنه كان يوما جالسا على مائدة ومعه بنت له عمرها سبع سنين وكان فى مصر وأخوه فى مكة فقالت البنت : مات عمى عبد الرحمن ، فقال لها: نعم ، فقدم بعد ذلك الحاج وأخبروا بموته فى ذلك اليوم بعينه ، مات بعقبة إيلة عند إيابه من الحج سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وحمل إلى مصر فدفن بالقرافة[1] وقبره بها مشهور يزار وعند رأسه لوح رخام بقرب قبر الشاب التائب[2] .

حرف العين المهملة

(٣٤٤) عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن الرازى الشعوانى[3]

أصله من الراز ، ثم قطن بنيسابور من أجل أصحاب أبى عثمان . وكان له من الرياضة ما تعجز عنه الأسماع ، وفى المجاهدة والملازمة مالا يستطاع ، انتفع الصوفية به وبتعليمه وصاروا نبلاء من توقيفه وتفهيمه ، وكان يدرى الطريق وعللها وتفاصيل أحوالها وجملها .

ومن كلامه وقد سئل : ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال : اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بآداب الظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم وقد جوارحهم عن العبادة .

وقال : المعرفة تهتك الحجب بين العبد وربه ، ولم يزل على حاله إلى أن بلغ من الحياة الأمد فمات ، فأسف عليه كل أحد إلى أن ينخر العظام النخرة ،

(١) السخاوى الحنفى ، وانظر الترجمة رقم ٣٠٣ .

(٢) الشاب التائب هو عبد الله السرسى ، انظر السخاوى الحنفى ، ص ١٧١ .

(٣) الرسالة القشيرية ٣٧ ؛ وطبقات السلمى ٤٥١ ـ ٤٥٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١٤٠ .

مات ببغداد سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

(٣٤٥) عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري[١]

له اللسان الناطق والخاطر الفائق ، وكان للحق قوالا وعلى الولاء صوالا ، كبيرا قدره مثيرا ذكره ، وما ذكر عنه من أن اسمه عبد الله هو ما جرى عليه كثيرون ، لكن ذهب الخطيب البغدادى إلى أن اسمه جعفر ، صحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان وتلك الطبقة ، وأقام ببغداد ، وكان يقول : عجائب الدنيا فى التصوف ثلاثة : الشبلى فى الإشارات ، والمرتعش فى النكت ، وجعفر الخلدى فى الحكايات .

(ومن فوائده) لا وصول إلى محبة الله إلا ببغض ما أبغض وهو فضول الدنيا وآمال النفس وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، ولا سبيل لتصحيح المعاملة إلا بالإخلاص فيها والصبر عليها .

وقال : أصول التوحيد ثلاثة : معرفة الله بالربوبية ، والإقرار له بالوحدانية ، ودفع الأضداد عنه بالكلية .

وقال : أفضل الأعمال رؤية فضل الله فى السراء والضراء .

وقال : التصوف حبس النفس عن مرادها والإقبال على أوامر الله والرضى بالقضاء .

وقيل له : فلان يمشى على الماء ، فقال : من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم . وسئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال :

إن المقادير إذا ساعدت   ألحقت العاجز بالحازم

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٥٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/٢٦١ ؛ والرسالة القشيرية ٣٤ ؛ وطبقات السلمى ٣٤٩ ـ ٣٥٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٢٣ ؛ وتاريخ بغداد ٧/٢٢١ ؛ والشذرات ٢/٣١٧ .

وقال : من ظن أن عمله ينجيه من النار أو يبلغه الرضوان فقد ذل وجعل لنفسه وفعله خطرا ، ومن اعتمد على فضل الله بلغه أقصى منازل الرضوان .

وقال : سكون القلب لغير الله عقوبة عجلت فى الدنيا .

وقال : ذهبت حلاوة الأمور وما بقى إلا الأسماء ، فالحقائق مفقودة والدعاوى موجودة .

وقال : من كمل إسلامه أحبه الخلق ومن كمل إيمانه استغنى عن الخلق ، ودخل المسجد ليعتكف فى رمضان فوجد المتعبدين يجتهدون والقراء يقرءون ، فترك الاعتكاف ، وخرج فسئل فقال : رأيت تعظيمهم لعبادتهم واعتمادهم عليها دون الله ، فما وسعنى إلا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم ، ولم يزل على حاله حتى بلغت حياته غايتها وتناولت وفاته رايتها سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد .

(تتمة) قال ابن عربى فى التجليات : نصب كرسى فى بيت من بيوت المعرفة كالتوحيد فظهرت الألوهية مستوية على ذلك الكرسى ، وأنا واقف وعلى يمينى رجل عليه ثلاثة أثواب : ثوب لا يرى ، وثوب ذلى له ، وثوب معار عليه ، فسألته : من أنت؟ قال : سل منصورا، وإذا بمنصور، فقلت له : من هذا ؟ فقال : المرتعش ، فقلت : أراه من اسمه مضطرا لامختارا ، قال : المرتعش بقيت على الأصل والمختار مدع الاختيار ولا اختيار لك ، قلت : علام بنيت توحيدك ؟ قال : على ثلاثة قواعد ، قلت : توحيد على ثلاث قواعد ليس بتوحيد ؟ فخجل ، قلت : لا تخجل ما هى ؟ قال : قصمت ظهرى ؛ ثم ذكرها .

(٣٤٦) عبد الله الراسبى البغدادى[١]

كان ذا صـــدق وإنابة ، وخضوع وخشوع ، وكان صحب ابن عطاء وغيره .

---

(١) طبقات السلمى ٥١٣ ـ ٥١٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١٧/١ ٤.

(ومن كلامه) : إذا امتحن الله قلب العبد بالتقوى ترحل منه حب الدنيا وشهواتها واطلع على المغيبات ، ومن لا تصلح له التقوى فهو غارق فى حب الدنيا محجوب عن كل غيب .

وقال : المحبة إذا ظهرت فضحت المحب ، وإذا كتمت قتلته كمدا .

وقال : من البلاء العظيم صحبتك لمن لا يوافقك ولا يفارقك ، ولم يزل على حاله إلى أن رحل إلي برزخ الآخرة ، وسكن ضريحه إلى أن تنشر العظام الناخرة .

مات ببغداد سنة سبع وستين وثلثمائة ، رضى الله عنه .

(٣٤٧) عبد الله بن طاهر الابهرى[١]

صوفى عالى المكانة ، وافر الهمة ، متين الديانة ، قانع بالكفاف ، ملازم للزهد والورع والعفاف ، وهو من مشايخ الجيل ، قرين الشبلى وتلك الطبقة .

(ومن فوائده) من كان من أهل الجمع فلا يشهد إلا الله .

وقال : فى الوقوع فى المحن ثلاثة أمور : التطهير والتكفير والتذكير ، فالتطهير من الكبائر ، والتكفير من الصغائر ، والتذكير لأهل الصفا والبصائر .

وقال : إذا أحببت أخا فى الله فأقلل مخالطته فى الدنيا .

وقال : قوم سألوه بألسنة الأعمال ، وقوم سألوه بألسنة الرحمة ، فكم بين من سأل ربه بربه وبين من رجا ربه بعمله .

وقال : همة الصالحين الطاعة بلا معصية ، وهمة العلماء المزيد فى الصواب ، وهمة العارفين زيادة تعظيم الله فى قلوبهم ، وهمة أهل الشوق سرعة الموت ، وهمة المقربين سكون القلب إلى الله .

مات قريبا من الثلاثين وثلاثمائة .

---

(١) حلية الأولياء ٣٥١/١٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٩ ؛ وطبقات السلمى ٣٩١ ـ ٣٩٥ ؛ وطبقات الشعرانى ٣٢/١ ؛ والمنتظم ٣٢٤/٧ .

(٣٤٨) على بن إبراهيم الحصرى ثم البغدادى[(١)]

شيخ العراق في وقته حالا وعلما ، وإمام الصوفية في زمانه قالا وعزما ، صحب الشبلى وغيره .

ومن فوائده الفاضلة وفرائده الكاملة وكلماته التى تربت محاسن البرايا بائرة وأزهار الخمائل خاملة ما قال : عرضوا للإخوان بالأمور ولا تصرحوا فإنه أستر وقال : علامة الحاسد لك أنه لا يقدر يصور عليك دعوة عند حاكم ولا عند الله .

وقال : من ادعى نيل شىء من الحقيقة ولم يظهر عليه دلائل صدقه كذبته شواهد البراهين .

وقال : مكثت فى بدايتى زمانا لا أستعيذ من الشيطان عند القراءة ، وأقول : من الشيطان حتى يحضر كلام الحق حتى منَّ الله علىَّ ، فعلمت أن الشيطان لا يفارق مستقيما ولا أعوج ، وسئل عن السماع فقال : ما أضعف حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه من خارج .

وقال : الصوفى مقهور بتصرف الإلهية ، مستور بتصرف العبودية .

وقال أيضا : الصوفى من لا يوجد بدعة ولا يفقد بعد وجوده ولم يزل الشيخ على حاله إلى أن ورى بالتراب وأصبح بعيدا عن العين وهو فى غاية القرب .

مات سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ، رضى الله عنه .

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٨ ؛ وطبقات السلمى ٤٨٩ - ٤٩٣ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٥ ؛ تاريخ بغداد ١١/٣٤٠

(٣٤٩) على بن بندار الصوفى(١)

من أجلة مشايخ نيسابور ، كان جيد التصوف والفهم سريعا إلى إدراك المعانى ، يكاد يسبق السهم ، رزق من صحبة المشايخ ما لم يقع لغيره كالجنيد وسمنون وابن عطاء وأبى عثمان وغيرهم . وكتب الحديث ورواه حتى بلغ غايته ومنتهاه .

(ومن كلامه) : إذا دخلتم فابدأوا بالصوفية قبل المحدثين ليعلموكم الأدب مع المحدثين .

وقال : التصوف عدم الوقوف مع الخلق ظاهرا وباطنا .

وقال : تفسد القلوب على حسب فساد الزمان .

وقال : لا يكمل حال فقير حتى يكتم فقره عن إخوانه ، ويكتم رضاه وفرحه .

(٣٥٠) على بن محمد بن سهل أبو الحسن الدينورى(٢)

كان جليلا وقورا جعل الله نصيبه من الدنيا موفورا . لم يزل عن الناس فى انجماع وانقباض ومعارفه فى ازدياد وفى رياض ، وكان يتكلم على الخواطر والبواطن ، كثير الذكر حسن الورع ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وكان له كرامات ومقامات معروفة ، وكانت الملوك تهابه .

ومن كراماته : أنه أتاه شاب فقبل رأسه فقال له : اذهب فاستوهب أمك

---

(١) طبقات السلمى ٥٠١ ـ ٥٠٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٦/١ ؛ والبداية والنهاية ٢٩٨/١١ ؛ والمنتظم ٥٢/٧ .

(٢) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠ و٤٠٨ ؛ وصفة الصفوة ٦٠/٤ ؛ وحسن المحاضرة ٢٩٤/١ ؛ وطبقات السلمى ٣١٢ ـ ٣١٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١١٩/١ ؛ والرسالة القشيرية ٣٢ ؛ والمنتظم ٣٢٨/٦ .

الدفعة التى دفعتها إياها فهو أولى بك من هذا ، وكان يقيد له قنديلا على رأسه إذا بات بمعبده يتهجد ، وكان إذا صلى بالصحراء فى شدة الحر يأتيه نسر فينشر جناحه عليه يظله به وكان يصعد للجبال معدن السباع فيقيم أربعين يوما فلا يجسر أحد أن يصعد إليه فإذا رجع لا يبقى أحد إلا ترك البيع والشراء وجاءوا ينظرون إليه تبركا وتعظيما ، وجاءه مغربى برسالة من الغرب فدخلوا أعلموه بأنه بالباب ، فقال : لا أقبل رسالته فإنه خائن فتح الكتاب فى الطريق فكان ذلك . وكان لكردى على طحان دين فلقيه عند قبر الشيخ فاستجاز فى المهلة فأبى ، وأخذه ومشى عشرين خطوة فانحسف بدابته قبر فسقط فمات . وأنكر عليه تكين[1] أمير مصر شيئا فنفاه إلى القدس ، فلما وصلها قال : كان باليابس يعنى (تكين) وقد جىء فى تابوت إلى هنا ، فلما قرب من الباب عثر البغل ووقع التابوت فبال البغل عليه ولم يلبث إلا يسيرا وقد وصل تكين ميتا فى تابوت ، فلما وصل إلى الباب عثر البغل ووقع التابوت وبال البغل عليه .

ومن كلامه : حرام على كل قلب مأسور بسبب من أسباب الدنيا أن يسرح فى العيوب .

وقال : من أيقن أنه لغيره ليس له أن يبخل بنفسه ، وقال : الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث نفس . وسئل عن صفة المريد فقال : كما قال تعالى : ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾[2]، وكان يقول : من لم تظهر كراماته بعد مماته كما كانت أيام حياته ليس بصادق .

مات بمصر سنة ثلاثين وثلثمائة ودفن بالقرافة[3]. وكان بينه وبين ابن يونس كلام فماتا فى عام واحد، فرئى ابن يونس فى النوم يقول : أصلح بيننا رب العالمين جلت قدرته .

---

(١) تكين الخزرى ، أبو منصور ، أمير مصر ، انظر المقريزى خطط ، ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٣) السخاوى الحنفى ٤١٤ .

(٣٥١) علي بن سهل [١]

الأزهر أبو الحسين الأصبهانى المحبو بالوصل المحفوظ بالفضل من الفصل

كان للحق مجيبا واصلا وعن النفس ولذاتها راحلا ، أيد بمخالفتها فراض نفسه رياضة هذبتها بعد أن نشأ في نعمة ورفاهية حتى صار له الحال المتين والشأن والتمكين .

ومن كلامه : المبادرة إلى الطاعات من علامة التوفيق والتقاعد عن المخالفات من علامة حسن الرعاية ، ومراعاة الأسرار من علامة التيقظ وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ، ومن لم تصح مبادىء إرادته لا يسلم فى منتهى عواقبه ، وكان من أحسن الناس إشارة . وكان يكاتب الجنيد فيقول : الجنيد ما أشبه كلامه بكلام الملائكة .

ومن كراماته : أنه كان يقول : ليس موتى كموتكم بإعلال وإسقام ، وإنما هو دعاء وإجابة فكان كما قال . كان يوما قاعدا فى جماعة فقال : لبيك لبيك وخر ميتا سنة سبع وثلثمائة ، رضى الله عنه .

(٣٥٢) علي بن محمد المزين الصغير البغدادى [٢]

من كبار المشايخ ، كان إمام زمانه وصدر أوانه ، انتهت إليه رياسة الصوفية ورقى بسيادته فى المراتب العلية ، وجمع له من المناقب والأحوال ما لم

(١) حلية الأولياء ١٠/٤٠٤ ؛ وصفة الصفوة ٤/٦٦ ؛ ورسالة القشيرى ٢٠ ؛ وطبقات السلمى ٢٣٣ - ٢٣٦ ؛ وتاريخ أصفهان ٢/١٤ ؛ والمنتظم ٦/١٥٥ .

(٢) حلية الأولياء ٨/٣٣٥ ؛ وصفة الصفوة ٢/١٥٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٥ ؛ وطبقات السلمى ٣٨٢ - ٣٨٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٠ ؛ وشذرات الذهب ٢/٣١٦ ؛ وتاريخ بغداد ١٢/٧٣ ؛ والبداية والنهاية ١١/١٩٣ ؛ واللباب ٣/١٣٣ ؛ والأنساب ٥٧٧ .

يجمع فى وقته لسواه حتى ترك كل عدو وحاسد يتلظى على نار جواه ، اشتغل بالتصوف من صغره واستمر على ذلك مدة كبيرة . وصحب الجنيد وانتفع به وقرأ عليه كثيرا من رسائل كتبه ولازم طريق الصالحين حتى صار من رءوس الفقراء العالمين العاملين .

وقال : كنت بمكة فوقع بقلبى انزعاج ، فخرجت أريد المدينة ، فإذا أنا بشاب مطروح وهو ينزع فقلت : قل : لا إله إلا الله ففتح عينيه وقال :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبى وبداء الهوى تموت الكرام

ثم مات فجهزته ودفنته ، فسكن ما بى فرجعت إلى مكة ، وقال : إذا غلب ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة .

وقال : التوحيد أن ترجع إلى الله وحده فى كل أمورك وتعلم أن ما حضر فى قلبك فالله بخلافه .

وقال : كانت الطريق إلى الله بعدد النجوم ، فلم يبق منها إلا طريق واحد هو الفقر إلى الله وهو أوضح الطرق .

وقال : من طلب الطريق إلى الله بنفسه أتاه فى أول قدم . وقال : من لم يصلح لمشاهدته شغله بخدمته .

وقال : لو كان الرجل على عبادة الثقلين وهو يساكن الدنيا بقلبه لم يعبأ الله به ، وكل من أبقى عنده قوت غد فهو ساكن إلى الدنيا .

وقال : العجب فى العبد مقت وربما جر إلى مقت الأبد .

وقال : الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

وقال : من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه .

وقال : المودة من المحبة كالرأس من الجسد وكالعين من الوجه ؛ لأن المودة حالة فى الجوارح تبدى عند رؤية السرور والاضطراب ، والمكانة عند الفقد والكد عند البعد ، فحالات الود لا تدانيها الأسباب .

(وسئل) عن المعرفة فقال : أنت تعرف الله بكمال الربوبية وتعرف نفسك بالعبودية ، وتعلم أن الله أول كل شىء وبه يقوم كل شىء وإليه مصير كل شىء وعليه رزق كل شىء .

وقال : دخلت البادية على التجريد حافيا حاسرا فخطر ببالى أنه ما دخلها أحد أشد تجردا منى ، فقال لى إنسان من خلفى : يا حجام ، كم تحدث نفسك بالأباطيل ، وحضر جنازة فوجد أهل الميت يبكون فأنشد :

ويبكى على الموتى ويترك نفسه * ويزعم أن قد قل عنهم عزاؤه

ولو كان ذا رأى وعقل وفطنة * لكان عليه لا عليهم بكاؤه

ولم يزل يزور الناس للبركة ويقصدونه للتربية والأخذ من فوائده المشتركة إلى أن أفل بدره وأزلف قبره بمكة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

(٣٥٣) على بن محمد بن بشار أبو الحسن الزاهد [(١)]

كان وافيا بالعهود ، مكرما للوفود ، تقدم بمعرفة التصوف وامتاز ، وقصد للتربية من اليمن والحجاز ، وكانت له كرامات ظاهرة وأحوال باهرة ، دخل عليه ابن يسرويه وعليه جبة صوف فقال : يا أبا محمد لا تصوف جسمك ، صوف قلبك والبس ما شئت .

وقال له رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ قال له : كما عصيته سرا تطيعه سرا حتى يدخل إلى قلبك لطائف السر .

---

(١) الشذرات ٢/٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

وقال لى : منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر عنها .

مات سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

(٣٥٤) على بن هند القرشي الفارسى [١]

من أصحاب الجنيد ، كان من سادات العارفين وأئمة المتقين ، له الأحوال العلية والأنفاس الزكية .

ومن كلامه : القلوب أوعية وظروف ، فقلوب الأولياء أوعية المعرفة ، وقلوب العارفين أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس ، ولهذه الأحوال آداب من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو له النجاة ، وقال : استرح مع الله ولا تسترح عن الله فإن من استراح معه نجا ومن استراح عنه هلك ، والاستراحة معه تروح القلب بذكره والاستراحة عنه مداومة الغفلة .

وقال : اجتهد أن لا تفارق باب سيدك بحال فإنه ملجأ الكل ، ومن فارق تلك السدة لايريد بعدها لقدميه قراراً ولا مقاما .

(٣٥٥) عائشة بنت أبى عثمان سعيد الحيرى النيسابورى [٢]

كانت من أعبد الناس وأورعهم وأحسنهم حالا ووقتا ، وكانت مجابة الدعوة .

ومن كلامها : لا تفرح بقادم ولا تجزع من ذاهب، بل افرح بالله واجزع من سقوطك من عينيه .

---

(١) حلية الأولياء ٣٦٢/١٠ ؛ وطبقات السلمى ٣٩٩ ـ ٤٠١ ؛ وطبقات الشعرانى ١٣٣/١ .

(٢) انظر ترجمة والدها فى حرف السين .

وقالت : الزم الأدب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب فى الظاهر إلا عوقب ظاهرا وما أساء باطنا إلا عوقب باطنا .

وقالت : من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنسه بربه .

وقالت : من تهاون بالعبيد فهو من قلة معرفته بالسيد ، فمن أحب الصانع أحب صنعته . ماتت سنة ست وأربعين وثلثمائة .

حرف الميم

(٣٥٦) محمد بن عمر الوراق البلخى[(١)]

له اليد الطولى فى التصوف والباع المديد فى التعرف والتصرف ، سار بنا سيرته إلى الأمصار وساد عصره بوجوده وجوده على الأعصار .

ومن كلامه : للقلب صفات ستة ، حياة وموت وصحة وسقم ونوم ويقظة ، فحياته الهدى وموته الضلالة وصحته الطهارة والصفاء وعلته الكدورة والعلاقة ، ويقظته الذكر ونومه الغفلة ولكل منها علامة فعلامة الحياة الرغبة والرهبة والعمل بهما ، وعلامة الموت ضد ذلك ، وعلامة الصحة اللذة ، وعلامة السقم ضد ذلك ، وعلامة اليقظة السمع والبصر والنوم بخلافه .

وقال : شكر النعمة مشاهدة المنة .

وقال : من اكتفى بالكلام دون الزهد تزندق ، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق ، ومن تفنن فى هذه كلها تخلص .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٢٣٥ ـ ٢٣٧ ؛ وصفة الصفوة ٤/١٢٩ ، وطبقات السلمى ٢٢١ ـ ٢٢٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٠٦ ، والرسالة القشيرية ٢٩ .

وقال : الحمية فى القلب تصحيح الإخلاص وملازمته وفى النفس ترك لادعاء ومجانبته .

وقال : مما جربناه لرد الضالة ، اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، جمع عليّ ضالتى ويقرأ قبله سورة « والضحى » ثلاثا .

وقال فى حديث : تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة[١]. المراد بالتفكر هنا نسيان النفس .

وسئل عن السماع فقال : ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه إليه السماع من ضعف الحال ولو قوى لاستغنى عنه ، ولم يزل على حاله من علم ينشره ومريد على الشيطان والنفس ينصره حتى حضرت منيته فانقطعت من الحياة أمنيته سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

(٣٥٨) محمد بن أحمد بن جعفر النيسابورى[٢]

من أعظم مشايخ نيسابور فى وقته ، إمام علا فى أفق التوفيق مجده ، وأنار فى دياجى المشكلات والمعضلات زنده ، وزكا فى روض اللطائف فرعه وأصله ، وتفقأ فى عرض المعارف رمحه ونصله ، صحب أبا عثمان وغيره من الأعيان .

ومن كلامه ، الفتوة بذل المعروف إلى كل بر وفاجر ، وحسن الخلق مع الناس . وقال العارفون بقاؤهم بمعروفهم وجميع الخلق بقاؤهم بالأكل والشرب .

مات قبل الستين وثلثمائة .

---

(١) وفى لفظ آخر « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة »

(٢) وهو محمد بن أحمد بن جعفر ، أبو بكر الشُّبَّهِيُّ ، انظر ترجمته فى طبقات السلمى ٥٠٥ - ٥٠٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٦/١ .

وقال : إذا سخط الله على قوم أكثر عليهم نعمه وأنساهم شكره ونزع من قلوبهم حب الطاعات ورغبهم فى المناكح والملابس والمآكل وتركهم سعدا حتى غمرتهم الغفلة عن الله فأخذهم بغتة على غير توبة .

وقال : له رجل إني أخاف من فلان ، فقال : لا تخف منه فإن قلب كل من تخافه بيد من ترجوه .

وقال : ربما أصلى ركعتين فأنصرف وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء .

وقال : لو قيل للطمع : من أبوك ؟ قال : الشك فى المقدور .

أسند الوراق الحديث عن جمع كثيرين ، ولم يزل على حاله إلى أن اندرج فى الأكفان ، وتلا عليه ﴿ كل من عليها فان ﴾ ، رضى الله عنه .

(٣٥٧) محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى[١]

صحب الجنيد والطبقة كان شيخ عصره وفخر مصره حبر تقتبس الفوائد من نوره وتغترف من بحره وجوده كم جاور بين زمزم والمقام وألقى عصى سفره لما رحل الحجيج وأقام وكم طاب له القرار بطيبة وظهر بها من أراد السلوك وأزال عينه وكم استروح بظل نخلها والثمرات وتحلى بمشاهدة الحجرة الشريفة وغيره يسح على قرب تربها العبرات وكم كتب له بالوصول وصول فلم يكن بينه وبين الرسول رسول قالوا : حج نحو ستين حجة ومكث بمكة نحو أربعين سنة لا يبول ولا يتغوط فى الحرم بل يخرج للحل .

وقال : من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن سمعه وحرم الله عليه الوصول لذلك الحال .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٧٦ ؛ وطبقات السلمى ٤٣١ ـ ٤٣٣ ؛ والمنتظم ٦/٣٩١ .

(٣٥٩) محمد بن أحمد بن حمدون القزاز [1]

من أكابر مشايخ خراسـان ، صحب الثقفى والشبلى وغيرهما من الأعيان ، وكان أوحد وقته فى الحقائق ويضرب بسيف مجاهدته المثل ، حتى سار ذكر ذلك فى السهل والجبل .

ومن كلامه : من شأن العاقل أن يكتم حسناته أكثر مما يكتم سيئاته .

وقال : من لم يؤثر الله على كل شىء لا يصل نور المعرفة إلى قلبه .

وقال : لا تتواضع لمن لا يكرمك تظلم نفسك ، ومن زهد فيك ازهد فيه ، ومن أتاك اذهب إليه ، ومن ذكرك اذكره ومن نسيك انسه ، وعامل الوجود بحسب ما يعاملك إلا أن تريد الفضل فلا حرج .

(٣٦٠) محمد بن أحمد بن محمد المقرىء [2]

صحب الخراز وغيره ، وكان لأهل التصوف حجة ولبحر مذهبهم الزاخر لجه ، ما لازمه مريد إلا انتفع به كثيرا وأحله من العمل محلا كبيرا .

ومن كلامه : الفتوة حسن الخلق مع من تكرهه ، وبذل الحال لمن تبغضه ، وحسن الصحبة مع من ينفر قلبك منه . مات سنة ست وستين وثلثمائة .

(٣٦١) محمد بن داود الدينورى أبو بكر المعروف بالدقى [3]

إمام تقدم فى جامع الطاعة ، وسبق فى حلية الزهد والقناعة ، وسار بالورع والصلاح ، وطار فى الآفاق بأجنحة النجاح ، صحب ابن الجلاء والدقاق

---

(١) كذا فى الأصول ، وجاء اسمه أبو بكر محمد بن أحمد الفراء فى طبقات السلمى ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٦ .

(٢) طبقات السلمى ٥٠٩ ـ ٥١٢ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٧ .

(٣) الرسالة القشيرية ٣٧ ، وطبقات السلمى ٤٤٨ ـ ٤٥٠ ؛ واللباب ١/٤٢٢ ؛ وتاريخ بغداد ٥/٢٦٦.

وعمر مائة سنة . وكان فى الزهادة والعبادة أعجوبة لم يكن فى زمانه من يلحق أسلوبه ، قد صار له التصوف طباعا ونقل حكم القوم وكلامهم وصار فيه مطاعا ، دعاه لباه وجاءه مسرعا ولا يأباه .

ومن كلامه : كلام الله إذا أضاء على السرائر بإشراقه زالت البشرية برعوناتها .

وقال : علامة القرب إلى الله الانقطاع عن كل ما سواه .

وقال : المعدة موضع تجمع الأطعمة ، فإن طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة أو الشبهة اشتبه عليك الطريق إلي الله أو التبعات كان بينك وبين الله حجاب .

وقال : من عرف الله لم ينقطع رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ، ومن عرف ربه لجأ إليه ومن نسى ربه لجأ إلى المخلوق ، وقال : أهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم وغيرهم لا حياة له إلا مجازا .

وقال : لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة شيئا.

وقال : كم من مسرور سروره بلاؤه ، وكم من مغموم غمه نجاته .

وقال : قال لى أبو على الدقاق : أمرنا على أربع : لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا ننام إلا عن غلبة ، ولا نسكت إلا عن خيفة ، ولا نتكلم إلا عن وجد .
مات بمصر سنة ثلاث وستين وثلثمائة عن نحو مائة سنة ودفن بالقرافة[1] .

---

(١) السخاوى الحنفى ٢٥٦ .

(٣٦٢) محمد بن عبد الخالق الدينوري [١]

من أجلاء الصوفية حالا وعلما ، وهمة وعزما ، إمام بحر علمه محيط وظل دوحه بسيط ، وألسنة معارفه ناطقة وأفنان فنون تصوفه باسقة .

ومن فوائده : أرفع العلوم في التصوف علم الأسماء والصفات ، وتمييز الخلاف من الاختلاف ، وإخلاص أعمال الظاهر وتصحيح أحوال الباطن ، وقال : دخل عليَّ فقير عليه آثار الضوء فأحببت أن آتيه بشيء فهممت أن أرهن بغلي ، فقلت : كيف أتطهر مع الحفا ؟ قلت : أرهن ركوتي ، فقلت : بأى شيء أتوضأ قلت : منديلي ، فقلت : أبقى مكشوف الرأس ، فقام الفقير وأخذ عصاه بيده وقال : يا خسيس الهمة احفظ منديلك فأنا ذاهب ، فعقدت مع الله أن لا آكل الخبز حتى ألقاه ، فيقال : أقام ثلاثين سنة ما أكله ، مات سنة نيف وسبعين وثلثمائة .

(٣٦٣) محمد بن علي بن الحسن الترمذى الصوفى الشافعى [٢]

صاحب التصانيف المشهورة ، زاهد اشتهر بملازمة العبادة ، وتفرد بين الصوفية بكثرة الرواية وعلو الإسناد ، وناسك سلك طريق القوم وهجر فى وصلة التهجد وصل النوم ، رحل فى طلب الحديث والعلم وتلفع بمروط التقوى والحلم ولقى الأكابر وأخذعن أرباب المحابر ، ومع ذلك ، كان صدرا معظما وصوفيا محدثا مفخما كثير الكيس واللطافة غزير المعارف التى تحف أخلاقه وأعطافه ، تحلى بعقوده جيد زمانه وتارجت الأرجاء بعرف عرفانه ، لقى أبا تراب النخشبى والبلخى وتلك الطبقة وسمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره وهو من أقران

---

(١) طبقات السلمى ٥١٥ ـ ٥١٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١٤٨/١ .

(٢) حلية الأولياء ٢٣٣/١٠ ـ ٢٣٥ ؛ وصفة الصفوة ١٤١/٤ ؛ والرسالة القشيرية ٢٩ ؛ وطبقات السلمى ٢١٧ ـ ٢٢٠ ؛ وطبقات الشافعية ٢٠/٢ ؛ وطبقات الشعرانى ١/٦ ١ .

البخارى . قال الحافظ ابن النجار فى تاريخه : كان إماما من أئمة المسلمين له الصفات الكبار فى التصوف وأصول الدين ومعانى الحديث وفى شيوخه كثرة . وقال السلمى فى طبقاته : له الشأن العالى والكتب المشهورة ، نفوه من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تفضيله الولاية على النبوة ، وإنما كلامه فى ولاية النبى .

وقال أبو نعيم فى الحلية : له التصانيف الكثيرة فى الحديث وهو مستقيم الطريقة يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين تابع للآثار . قال ابن الجوزى من أكابر مشايخ خراسان : له التصانيف المشهورة ، وكان يقول : ما صنعت شيئا ينسب إلىّ لكن إذا اشتد علىّ وقتى أتسلى بمصنفاتى .

وقال القشيرى فى الرسالة : هو من كبار الشيوخ ، وقال الكلاباذى في التعرف : هو من أئمة الصوفية ، وقال ابن عطاء الله : كان الشاذلى والمرسى يعظمانه جدا ، ولكلامه عندهما الحظوة التامة ويقولان ، هو أحد الأوتاد الأربعة فلا يلتفت لخرافات بعض المخرفين وطعنهم فيه بالبهتان ، وله حكم عليه الشأن ، فمنها قوله : كفى بالمرء عيبا أن يسره مايضره ، .

وقال : وقد سئل عن الإنسان ، فقال : ضعف ظاهر حاضر ودعوى عريضة .

وقال : إذا مكثت الأنوار فى السر ، نطقت الجوارح بالبر .

وقال لا ينكر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله ، فإن الكرامة إنما هى صنع الحق .

وقال : الولى أبدا فى ستر حاله والكون ناطق بولايته ، ومدعى الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه .

وقال : الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله ، وما وصل العبد لمقام إلا وهو محترم لأهل ذلك المقام ؛ إذ الإخلال بواجب حقهم يطرده عن حضرتهم .

وقال : لا يسمى عالما إلا من لم يتعد حدود الله مرة فى عمره .

وقال : ما استصغرت أحدا من المسلمين إلا وجدت نقصا فى معرفتى وإيمانى .

وقال : ما منع الناس من الوصول إلا لركضهم فى الطريق بغير دليل وأكلهم الشهوات ، وارتكاب الرخص والتأويلات .

وقال : رأس مالك قلبك ووقتك ، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بشغلك بما لا يعنيك ، فمتى يربح من خسر رأس ماله .

وقال : أقرب القلوب إلى الله قلب رضى بصحبة الفقراء ، وآثر الباقى على الفانى وشهد سوابق القضاء مع اليأس من الأفعال .

وقال : القناعة رضى النفس بما قسم لها .

وقال : الفتوة أن تكون خصما لربك على نفسك .

وقال : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمه ، وخضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

وقال : ذكر الله يرطب القلب ويلينه ، فإذا خلا عن ذكر الله أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسي ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعات ، فإذا مددتها تكسرت كالشجرة إذا يبست ، لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار .

وقال : نور المعرفة فى القلب وإشراقه فى عين الفؤاد فى الصدر .

وقال : ما من نور فى القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك فهذا أصل والعبد مادام فى الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر فإذا غفل قحط .

وقال : ليس فى الدنيا حمل أثقل من البر ، فإن من برك فقد أوثقك ومن جفاك فقد أطلقك .

وقال : من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل .

وقال : رأيت رب العزة فى المنام ألف مرة أسأله خاتمة الخير ، فقال لى : قل أربعين مرة ، وفى رواة إحدى وأربعين مرة : يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله .

وقال : الدنيا عروس الملوك ومرآة الزهاد . وقال : إذا خلا القلب عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات وامتنعت الأركان من الطاعة .

(ومن كراماته) أنه لما قام عليه معاصروه وكفروه ، جمع كتبه كلها وألقاها فى البحر فالتقطتها سمكة وابتلعتها ثم لفظتها بعد سنين وانتفع الناس بها . وقال الحافظ ابن حجر : مات فى حدود العشرين وثلثماثة .

(٣٦٤) محمد بن سليمان

ابن محمد بن سليمان أبو سهل الصعلوكى الإمام الشافعى الصوفى (١)

المشهور بالعلم والولاية من أصحاب أبى إسحاق المروزى ، كان كبير الشأن فى التسليم والانقياد ، متباعدا عن الاعتراض ، وقد قال هو فى نفسه : التصوف الإعراض عن الاعتراض .

ولد سنة ست وتسعين ومائتين ومات سنة تسع وستين وثلثمائة .

ودرس ووعظ وانتفع به الناس بنيسابور نيفا وثلاثين سنة ، ودفن بالمجلس الذى كان يدرس فيه وصلى عليه ابنه أبو الطيب .

ومن كلامه : التصوف الإعراض عن الاعتراض . وقال : من قال لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلح أبدا ، ومن نظمه :

---

(١) الشذرات ٣/٦٩ - ٧٠ ؛ والوافى للصفدى ؛ والأعلام للزركلى ٣/٢١٠ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٤/٢٨٤ - ٢٨٥ .

أنام على سهر وتبكى الحمائم   وليس لها جرم ومنى الجرائم

(٣٦٥) محمد بن محمد بن إسماعيل[1]

الصوفى البغدادى الواعظ المعروف بابن سمعون ، قال الخطيب : كان واحد دهره وفريد عصره فى الكلام على علوم الخواطر والإشارات ، دون الناس حكمه وجمعوا كلامه ، وحدث عن الطبرى وجمع كثير ، وكان متحملا للأذى يحسن إلى من أساء إليه ، وقد قيل : التصوف كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح .

ولد سنة ثلثمائة .

قال ابن الجوزى : كان يلقب الناطق بالحكمة ، وكان خادم الشبلى جاز عليه يوما فنظر إلى ظهره وقال : لا تدرون أى شيء لله فى هذا الفتى من الذخائر .

ومن كلامه : رأيت المعاصى نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة .

وقال : كل من لم ينظر بالعلم ما لله عليه ، فالعلم حجة عليه ووبال ، والصادقون الصادقون الحذاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا فى جنب ما وجدوا فصغر ذلك عندهم فاعتذروا .

وقال : قللوا اهتمامكم لكم ووفروا اهتمامكم بكم توسدوا أوسادا من الشكر والبسوا لباسا من الذكر والتحفوا لحافا من الخوف تفوزوا بمدحة الرب .

وقال : تظلم إلى ربك واستنصره عليك ينصرك . وقال : احزنوا على ما فاتكم وأسفوا على تقصيركم وأحرزوا بضائعكم من التلف لا تخرج القطاع عليها .

---

(١) أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل ، المعروف بابن سمعون الواعظ ، انظر ترجمته فى الوفيات ٤/٣٠٤ ـ ٣٠٥ ؛ وتاريخ بغداد ٢٧٤/١ ؛ والمنتظم ١٩٨/٧ ؛ وصفة الصفوة ٢٦٦/٢ ؛ وطبقات الحنابلة ١٥٥/٢ ؛ والوافى ٥١/٢ ؛ وعبر الذهبى ٣٦/٢ ؛ والشذرات ١٢٤/٣ ـ ١٢٦ .

وقال : كل داء عرف دواؤه فهو صغير ، وما لا يعرف له دواء فهو كبير .

وقال : احذر أن ترى عملك لك فإنك إن رأيته لك كنت ناظرا إلى ما ليس لك ، وقال : من الوقاحة تمنيك مع توانيك ، استوف من نفسك الحقوق ثم وفِّها الحظوظ ، حسبها ما يكفيها لا ما يطغيها .

(ومن كراماته) أنه قصد بيت المقدس وحمل فى صحبته تمرا صبجانيا فطالبته نفسه بأكل الرطب فأقبل عليها باللوم ، وقال : أنى لنا فى هذا الموضع بالرطب ، فلما جاء وقت الفطر فتحه فوجده رطبا فلم يأكل منه ، فلما جاء وقت الغذاء فتحه فوجده تمرا على حاله .

(ومنها) أن رجلا لحقته ضائقة فلم يجد عنده غير خفيه فخلعهما وذهب يبيعهما ، فمر بمجلس ابن سحنون فقال فى نفسه : أحضر المجلس ثم أنصرف فأبيعها ، فلما أراد الانصراف ناداه : لا تبع الخفين ، فإن الله يأتيك برزق فكان كذلك .

(فائدة) ذكر ابن باطيش فى كتابه « إثبات كرامات الأولياء » عن أبى طاهر محمد العلاف قال : حضرت أبا الحسن بن سمعون يوما فى مجلس الوعظ ، وكان أبو الفتح القواس قاعدا بجنب الكرسى فغشيه النوم ونام ، فأمسك ابن سمعون ساعة حتى انتبه أبو الفتح ورفع رأسه فقال له ابن سمعون : رأيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى نومك ؟ قال : نعم ، قال : لذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج وينقطع ما كنت فيه انتهى ، قال الجلال السيوطى : وهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقظة لما حضر ورآه أبوالفتح فى نومه . مات سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن فى داره ثم نقل بعد ثلاث وثلاثين سنة فوجد كفنه لم يبل . وقال بعضهم : أخرج إلى قبر أحمد بن حنبل وأكفانه تتقعقع كما دفن . وقال الخطيب : كان ثقة

مأمونا . قال ابن الجوزى : وأسند الحديث عن خلق يطول ذكرهم .

(٣٦٦) محمد بن إسحاق

المشمر للحاق المتحرز من الفراق المتجرد للسياق ، وقد قيل : التصوف عنوة لا صلح فيها ، وهو من أهل الكوفة ، كان عابدا زاهدا .

(ومن كلامه) : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهم ،ينخر فيك بلياليه وأيامه حتى تستغرق جميع أجزائك ، ولو كشف لك عما أحدثت الأيام من النقص وما هى عليه من هدم ما بقى منك لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واشتغلت من الساعات بك ، ولكن تدبير اللّه فوق الاعتبار .

وقال : الدنيا وقتك الذى يرجع إليك فيه طرفك ؛ لأن ما مضى فات إدراكه وما لم يأت لا علم لك به ، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول ، والأمل طويل والعمر قصير وإلى اللّه تصير الأمور (وقيل) له : ما بال الرهبان يتكلمون بالحكمة وهم أهل كفر وضلال ؟ قال : ميراث الجوع متعت به .

(٣٦٧) محمد بن الحسين الخشوعى

كانت العبادة حرفته ، والتلذذ بالعبرة شهوته ، له الكلام البليغ فى تأديب النساك والعباد ، تخرج به جماعة من السباق والدوار .

(ومن كلامه) حياة الصديقين فى المراعاة وروح حياة الاقتداء بأوامر الأنبياء وأحوالهم وحياة أرواحهم بالمطالعة ، وقال : من لزم الخدمة ورث منازل الكربة والمعرفة ومنازلها تورث حلاوة الأنس ، وقال : همان لابد منهما هَمٌّ المعاش وهَمٌّ المعاد .

(٣٦٨) محمد بن يعقوب الفرجى[(١)]

العارف بالأصول ، العازف عن الفضول ، له القلب الخاشع والأذن السامع ، أحكم على علم الآثار وأتقنها وألف فى المعاملات والأحوال وأصلحها ، صحب الحارث المحاسبى وطبقته وله الهبات البليغة فى معانى الصوفية ، وكان من الأئمة فى علوم النساك يرفع الفقراء وينصرهم ويضع المدعين ويحقرهم .

(ومن كلامه) إذا صح الود سقطت شروط الأدب .

وقيل له : إنك تنكر الزعقة والصيحة قال : إنما أنكرها على الكذابين .

وقال : ما زعقت فى عمرى إلا ثلاث زعقات ، فإنى انتهيت يوما ببغداد إلى الجسر ، وقد أخرج رجل من السجن يضرب ثم رد إلى السجن والناس يتعجبون من صبره على الجلد فجئته فقلت : أسأله قال : أوسعوا له فما مسألتك ، قلت : أسهل ما يكون الضرب عليكم أى وقت ، قال : إذا كان من ضربنا له يرانا ، فصحت ولم أملك السكوت ، وقال : خرجت من الشام على طريق المفازة فوقعت فى التيه ، فمكثت أياما حتى أشرفت على الموت ، وإذا أنا براهبين يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديرا قريبا قلت : أين تريدان ؟ قالا : لا ندرى ، قلت : فمن أين أقبلتما ؟ قالا : لا ندرى ؟ قلت : أتدريان أين أنتما ؟ قالا : نعم فى ملكه ومملكته وبين يديه ، فأقبلت على نفسى أوبخها وأقول : راهبان يتحققان بالتوكل دونك ، فقلت : أتأذنان لى فى الصحبة ؟ قالا : ذاك إليك ، فتبعتهما ، فلما جن الليل قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاتى ، فصليت المغرب بتيمم فضحكا ، منى فلما فرغا بحث أحدهما الأرض بيده فإذا بماء قد ظهر وطعام موضوع فعجبت ، فقالا : ادن فَكُل فأكلنا وشربنا وتهيأت للصلاة ثم نضب الماء فلم يزالا فى الصلاة وأنا أصلى على حدة حتى أصبحنا فسرنا

---

(١) الأنساب ٤٢٨ ؛ والسلمى ١٤٦ ؛ والزركلى ، الأعلام ٨/١٦ - ١٧ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ، ١١٧/١٢ .

إلى الليل فلما جن صلى الآخر بصاحبه ثم دعا بدعوات وبحث الأرض فنبع الماء وحضر الطعام ، فلما كانت الليلة الثالثة قالا : يا مسلم هذه نوبتك ، فاستحييت ودخل بعضى فى بعض ، وقلت : اللهم إنى أعلم أن ذنوبى لم تدع لى عندك جاها ، لكن أسألك أن لا تفضحنى ولا تشمت هذين بنبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، فإذا بعين زخارة وطعام كثير فأكلنا وشربنا وأسلما .أسند الحديث عن جمع كثيرين .

(٣٦٩) محمد بن خفيف الضبى الشيرازى الشافعى [١]

شيخ المشايخ ، ذو القدم الراسخ علما ودينا وجمعا بين الحقيقة والشريعة ، كان سيدا جليلا وإماما نبيلا ، يستمطر الغيث بدعائه ، من أعلم الأعلام بعلمى الظاهر والباطن ، وكانت له بدايات كالنهايات وأحوال عاليات ، ورياضات ومجاهدات ، صحب من النساك شيوخا ومن السلاك طوائف أضحى قدمهم فى الطريق رسوخا ، ولقى من أرباب الأحوال أحبارا وأخيارا ، وشرب من هذا الطريق كؤسا كبارا ، وسافر شرقا ومغربا ، وصابر النفس حتى انقادت بعد الإباء ، فأصبح لسان الثناء عليه معربا ، وألزم قلبه المراقبة حتى لا يدرى القرار ، وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف المأوى ولا المسكن إلا القفار ، وكان ذا ذكر باجتماع وفى صدق سماع ، وقد قيل : التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل على اتباع ، وكان من بنى أكابر الأمراء فتفقه ثم تصوف وتزهد حتى صار يجمع الخرق من المزابل ويستتر بها ، ولم يزل حتى صار شيخ المشايخ فى وقته عارفا بعلوم الظاهر والحقائق ، أخذ عن ابن سريج والأشعرى والواسطى والجريرى وابن عطاء والمقدسى ، ولقى الحلاج رضى الله عنه ، وعنه القاضى

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٨٥ - ٣٨٧ ؛ الرسالة القشيرية ٣٧ ؛ وطبقات السلمى ٤٦٢ - ٤٦٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٤٢ ؛ وطبقات الشافعية ٢/١٥٠ - ١٥٩ ؛ والمنتظم ٧/١١٢ ؛ والشذرات ٣/٧٦ ، وعبر الذهبى .

الباقلانى وغيره ، قال أبو نعيم : كان شيخ الوقت علما وحالا ، وهو الخفيف الظريف ، له الفصول فى الأصول ، والتحقق والتثبت فى الوصول ، وقال السنوى : بلغ ما لم يبلغه أحد فى العلم والجاه والمقام عند الخاص والعام . وصنف مالم يصنفه أحد فى العلم ، وصار أوحد زمانه مقصودا من الآفاق ، مفيدا فى كل نوع من العلوم مباركا على قاصديه ، رفيقا بمريديه ، وعمر حتى عم نفعه وبقى فى بدايته أربعين شهرا يفطر كل يوم بكف باقلا حتى جف دمه ، ويقرأ القرآن كله فى ركعة ، ويصلى كل يوم ألف ركعة .

(ومن كراماته) أنه دخل بغداد فأقام بها أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب . ثم خرج فوجد ظبيا على رأس بئر فى البرية وهو يشرب وكان عطشانا فدنا من البئر فولى الظبى فإذا بالماء أسفل البئر ، فقال : يا سيدى مالى عندك محل هذا الظبى ؛ فسمع قائلا جربناك فلم تصبر ، إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت بهما فرجع فإذا بالبئر ملآن فشرب وتطهر وملأ ركوته وحج ورجع فلم ينفذ ماؤها فدخل على الجنيد رضى الله عنه فلما وقع بصره عليه قال : لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك وجرى خلفك . وناظره يوما بعض البراهمة فقال البرهمى : إن كان دينك حقا فتعالى أصبر أنا وأنت على الطعام أربعين يوما ففعلا ، فأكملها الشيخ وعجز البرهمى . ودعاه برهمى آخر إلى المكث تحت الماء مدة فمات البرهمى قبل تمامها وأتمها هو .

(ومن كلامه) التقوى تجنب ما يبعد عن الله والتوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه .

وقال : القرب طى المسافة بلطيف المدانات .

وقال : قربك منه بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق .

وقال : الانبساط سقوط الاحتشام عند السؤال .

وشكى إليه فقير الوسوسة فقال : عهدى بالصوفية يسخرون من

الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم .

وقال : التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية ومفارقة أخلاق الطبيعة ، وإخماد صفات البشرية وتجنب الدعاوى النفسانيه ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقائق .

وقال : ليس أضر على المريد من مسامحة نفسه بالرخص والتأويلات . وقال : الذكر قسمان ؛ ذكر الله بأسمائه وذلك هو الذكر الظاهر، وذكره بأن يراه على الدوام وهو بين يديه وذلك هو الذكر الباطن .

وقال : قال لى المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فى النوم : من عرف طريقا إلى الله فسلكه ثم رجع عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحدا من العالمين .

وقال : عليك بمن يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله . وقال الإيمان تصديق القلوب بما أعلمها الحق من الغيوب ، والإنابة التزام الخدمة وبذل المهجة ، والرجاء ارتياح القلب لرؤية كرم المرجو وحقيقة الاستبشار بوجود فضله وصحة وعده . والزهد سلوك القلب عن الأسباب ونفض الأيدى عن الأملاك وحقيقة التبرم عن الدنيا ووجود الراحة فى الخروج منها ، والقناعة الاكتفاء بالبلغة وحقيقتها : ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود .

وسئل عن الذكر فقال : المذكور واحد والذكر مختلف ومحال قلوب الذاكرين متفاوتة . وقال : السكر غليان القلب عند معارضة ذكر المحبوب . وقال : الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود .

وقال : لى منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين .

وقال : الرياضة كسر النفس بالخدمة ومنعها عن الفتوة ، والتقوى تجنب ما يبعد عن الله والتوكل الاكتفاء بضمانه ، وإسقاط التهمة عن قضائه . واليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات ، والمشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب ، والتوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد بكمال أسمائه وصفاته .

وقال : رأيت فقيرا يطوف على الناس بمصر وهو يقول : ارحمونى فإنى رجل صوفى ذهب منى رأس مالى فقلت : وللصوفى رأس مال؟ فقال : نعم . كان لى قلب ففقدته . قال : وهذا ليس على ظاهره ، وإنما بدت شواهد الحقيقة القدسية على عرش قلبه فاصطلم وتململ وانزعج لكونه لم يطق حمل الحقيقة ، فخرج ينادى فى الناس ليجد من يرحمه ، أى يحمل عنه فيرده إلى حسه .

مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .قال الذهبى : رحمة الله : وقد جاوز المائة . وحكى عن الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، قوله : إن الخشوع شرط لصحة الصلاة ا هـ .

(٣٧٠) محمد بن على بن جعفر أبو بكر الكتانى البغدادى[١]

صحب الجنيد ، رضى الله عنه ، وطبقته ، وكان يأمر الناس بتقوى الله على المنابر ، وتنطق بها ألسنة أقلامه من أفواه المحابر . وفى ذلك كان بها أول مأمور وأول سفر أسفر له صبحها من سواد الديجور .

(ومن كلامه) كن فى الدنيا ببدنك وفى الآخرة بقلبك .

وقال : خوف القطيعة وارتعاد من خوف أفضل من عبادة الثقلين .

وقال : الشهوة زمام الشيطان ومن أخذ الشيطان بزمامه كان عبده .

وقال : علامة الزهد فى شىء من الدنيا سرور القلب بفقده وتحمل أذى الخلق .

وقال : الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن .

وقال : إن الله نظر إلى بعض عبيده فوجدهم لا يصلحون لمجالسته ،

---

(١) حلية الأولياء ٣٥٧/١٠ ؛ وصفة الصفوة ٢٥٧/٢ ؛ والرسالة القشيرية ٣٥ ؛ وطبقات السلمى ٣٧٣ ـ ٣٧٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١٢٩/١ ؛ واللباب ٢٨/٣ ، وتاريخ بغداد ٧٤/٣ ـ ٧٦ ؛ والأنساب ٤٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٢٢٢/٨ ؛ والشذرات ٢٩٦/٢ .

وفى رواية : فلم يرهم أهلا لمعرفته فشغلهم بخدمته .

وقال : من يدخل فى هذه المفازة يحتاج إلى أربعة أشياء حال يحمنه ، وعلم بسوسه ، وورع يحجزه ، وذكر يؤنسه إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى ؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه .

وقال : الحكايات جند من جند الله يقوى بها أبدان المريدين (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)[1].

وقال : رأيت المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ادع الله لى أن لا يميت قلبى ، فقال :« قل كل يوم أربعين مرة : ياحى يا قيوم لا إله إلا أنت »

.

وقال : رأيت حوراء فقلت :من أنت ؟ قالت : لمن حبس نفسه عن مألوفها

.

وقال : العارف من يوافق معروفه فى أوامره ولا يخالفه فى شىء من أحواله .

وقال : العبادة اثنان وسبعون بابا ، أحد وسبعون فى الحياء من الله وواحد فى جميع أنواع البر .

وقال : من أصبح وعنده همان هم المعاصى وهم جمع المال فالله منه برىء .

وقال : سماع العوام على متابعة الطبع ، وسماع المريدين رغبة ورهبة ، وسماع الأولياء دونه الآلاء والنعماء ، وسماع العارفين على المشاهدة ، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان .

وقال : من حكمة المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء : نومه غلبة ، وأكله فاقة ، وكلامه ضرورة .

---

(١) سورة هود : الآية ١٢٠ .

وقـال : لولا أن ذكـره فـرض علـى لما ذكـرته إجـلالا له مـثلى يذكـره ولم يغسـل فمه بألـف توبة ، وقال : اجتـهد كل ليلـة أن تكون ضيـفا وأن لا تموت إلا بين منزلتين .

وقال : كنت بطريق مكة تائها يوما فإذا بهميان يلمع دنانيـر فهممت أن آخذه أفرقه على الفقراء هتف بى هاتف : إن أخذته سلبناك فقرك .

وقـال : كـان عندنا بمكة فـتى عليه أطمـار رثة ولا يداخلنا ولا يخـالطنا فأحببته ففتح لى بمائتى درهم من حل ، فحملتها فوضعتها بين يديه على سجادته وقلت : هذه حلال فاصرفها فنظر إلى شذرا وقال : اشتريت هذه الجلسة مع الله بسبعين ألف دينار تريد أن تخدعنى عنها بهذه وبدرها وقام ، فقعدت التقط فما رأيت كعزه حين ذهب وكذلى حين ألتقطتـها ، وقـال : صحبنى رجل فكان على قلبى ثقـيلا فـوهبت له شـيئا ليـزول ما بقلبى فلم يزل ، فقلت له : ضع رجلك على خدى فـأبى ، قلت : لابد وجزمت بأنه لا يرفع رجله حتى يرتفع بغضـه من قلبى ، فلما زال ذلك من قلبى قلت له : ارفعها ، وقال : كنت بالبادية فرأيت فقيرا ميتا وهو يضـحك ، فـقلت له : أتضـحك وأنت ميت ؟ فـقـال لى هاتف : هـكذا يا أبا بكر يكون محب الرحمن .

وقـال وقـد نظر إلى شيخ أبيض الرأس واللحيـة يسـأل الناس : هذا رجل ضيع حق الله فى صغره فضيعه فى كبره .

وقـال : كـان فى رأسى وجع فـرأيت المصطفى ، صلى الله عليـه وسلم ، فقال : اكتب هذا الدعاء ؛ اللهـم بثبـوت الربوبيـة وبعظيـم الصمدانيـة ، وبسطوات الإلهية ، وبقدم الجبروتية ، وبقدرة الوحدانية ، قال : فكتبتـه وجعلته على رأسى فسكن حالا ، وقال : الأنس بمخلوق عقوبة ، والقرب من الدنيا وأهلها معصية والركون إليـهم مذلة ، مات بمكة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

(٣٧١) محمد بن عليان النسوى[(١)]

من كبار شيوخ نسا وأصحاب أبى عثمان رضى الله عنه ، له كرامات ظاهرة وكلام عال فى الطريق .

(ومن كلامه) :الزهد فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة .

وقال : آية الولى رضاه بما يسخط العامة من مجارى المقدور ، وقال : من أظهر كرامته فهو مدع ، ومن أخفاها فظهرت بغير اختياره فهو ولى .

وقال : المروءة حفظ الدين وصيانة النفس وحفظ حرمات المؤمنين والجود بالموجود .

وقال : كيف لا تحب من لاينفك عن بر طرفة عين وكيف تدعى محبة من لا توافقه طرفة عين .

وقال : لايصفو للسخى سخاوة إلا بتصغير ما أعطاه ورؤية الفضل لمن أخذ منه .

وقال : من خدم الله لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر حسنته وأبدى طمعه ، وقبيح بالعبد أن يخدم سيده لغرض دنيوى .

(٣٧٢) محمد بن الفضل بن العباس البلخى[(٢)]

عارف عرف تزهده وتبين تورعه وتعبده ، كان جزيل الاجتهاد فى الخير ، محموداً فى السرى ، مشكوراً فى السير ، وله من الناس قبول ، ومعه بالتوفيق وصول ، وكان من أكابر القوم وساداتهم .

---

(١) حلية الأولياء ٣٧٦/١٠ ؛ وطبقات السلمى ٤١٧ ـ ٤١٩ ؛ وطبقات الشعرانى ٣٧/١ .

(٢) حلية الأولياء ٢٣٢/١٠ ؛ وصفة الصفوة ١٣٨/٤؛ وطبقات السلمى٢١٢ ـ٢١٦ ؛ والرسالة القشيرية ٢٧ ؛ وطبقات الشعرانى ١٠٦/١ ؛ ومرآة الجنان ٢٧٨/٢ ؛ والمنتظم ٢٣٩/٦ ؛ والشذرات ٢٨٢/٢ .

(ومن كلامه) : العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلي بيته وحرمه ؛ لأن فيه آثار أنبيائه ، كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه ؛ لأن فيه أثار مولاه ، وقال : أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا يد له منها فإن من ملك نفسه عز ومن ملكته ذل .

وقال : ما خطوت أربعين سنة خطوة بغير الله ، وما نظرت أربعين سنة فى شيء وأستحسنته حياء من الله . أسند الحديث عن قتيبة بن سعيد وغيره ، وصحب ابن خضرويه وغيره .

ومات بسمرقند سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

(٣٧٣) محمد بن الحسن التروغبذى[١]

من أجلة مشايخ طوس ، كان حسن الوعظ والمذاكرة جميل المحاولة والمحاورة ، يتردد إليه العلماء والفقراء ، ووجوه الدولة والأمراء ، معدودا من أكابر الأعيان ، ممدودا بعناية الملك الديان صحب ابا عثمان وطبقته ، ومن الله عليه وتخلف عنهم حتى صار أوحد زمانه وظهرت كراماته . وكان متجردا عالى الهمة والحال .

(ومن كلامه) : من ضيع حق الله فى صغره أذله الله فى كبره .

وقال : ما خدم أحد الفقراء بصدق إلا أعزه الله فى الدنيا قبل الآخرة .

وقال : ينزل الله على كل عبد من البلاء بقدر ما وهبه من المعرفة لتكون معرفته عونا له على بلائه .

وقال : الأسماء مكشوفة والمعانى مستورة ، ولم يزل على حاله فى

---

(١) نسبة إلى تروغبذ ، قرية من قرى طوس ، معجم البلدان ، ٢/ ٢٨ ؛ واللباب ١/ ١٧٥ ؛ وطبقات السلمى ٤٩٤ ـ ٤٩٦ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١٤٥ .

وجاهته وعظم قدره ونباهته إلى أن سلبت روحه وعمر بجسده ضريحه بعد الخمسين وثلاثمائة .

(٣٧٤) محمد بن سعد الوراق[١]

من أكابر مشايخ بلخ ، صحب الحيرى[٢] وتلك الطبقة الفاضلة ، وكان عالما بعلوم النقل والمعاملة ، جميل التربية والمزاولة ، يربى المريدين ويرقيهم إلى أعلى المراتب ، ويدفع عنهم كل عذاب واصب .

(ومن كلامه) : من تمام العفو أن لا تدرك جناية صاحبك بعد العفو عنه ، وقال : حياة القلب ذكر الحى الذى لا يموت ، والعيش الهنى هو الحياة مع الله .

وقال : حقيقة التقوى التخلى عن كل شىء إلا ممن إليه تقواك .

وقال : الصدق استقامة الطريق فى الدين واتباع السنة فى الشرع .

وقال : اللئيم لا ينفعك عن ضيق صدر أبدا .

وقال : أهنأ العيش المعيشة مع شهود الحق ، وقال : كان حلمنا فى بدايتنا الإيثار بما فتح علينا ، وأن لا نبيت على معلوم ، وأن لا ننتقم ممن استقبلنا بمكروه ، وإذا وقع بقلبنا حقارة مسلم قمنا بواجب خدمته والإحسان إليه حتى يزول ذلك .

وقال : أنفع العلوم العلم بأحكام الشرع وأعلاها العلم بالله وبأسمائه وصفاته وآداب حضرته .

وقال : خوف القطيعة أحرق أكباد العارفين .

وقال : الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة والسكون إليهم عجز ،

---

(١) طبقات السلمى ٢٩٩ ـ ٣٠١ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٩ ؛ والمنتظم ٦/٢٤٠ .

(٢) أبو عثمان الحيرى ، انظر ترجمته فى حرف الهمزة .

الاعتماد عليهم ضعف ، والثقة بهم ضياع .

وقال : شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة .

ولم يزل على حاله إلى أن سقى بكأس سقى بها سواه ، وضمه رمسه وحواه فى رحمة الله ، سنة عشرين وثلاثمائة .

(٣٧٥) محمد بن عبد الجبار النفرى[١]

صاحب كتاب « المواقف » المشهور من كبار العارفين وسادات القوم ، نقل عن العارف ابن عربى رضى الله عنه وأثنى عليه .

(ومن كلامه) يقول الله تعالى : إذا تعلق العارف بالمعرفة وادعى أنه تعلق بى هرب من المعرفة كما هرب من النكرة .

وقال : التقطوا الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطونها من أفواه العامدين لها ، فإنكم ترون الله وحده فى حكمة الغافلين كما فى حكمة العامدين .

وقال : حق المعرفة أن تشهد العرش وحملته وما حواه من كل ذى معرفة يقول بحقائق إيمانه : ليس كمثل الله شيء وهو أى العرش فى حجاب عن ربه ، فلو رفع الحجاب احترق العالم بأسره فى لمح البصر أو أقرب .

وقال : إذا اصطفيت أخا فكن معه فيما أظهر لافيما أسر فان له من دونك سراً ، فإن أشار إليه فأشر إليه وإن أفصح به فأفصح به .

وقال : كان الحق يقول : أسمائى عندك وودائعى لا تخرجها فأخرج من قلبك : وإذا خرجت من عند غيرى وأنكرنى بعد المعرفة وجحدنى بعد الإقرار فلا

(١) نسبة إلى بلدة النفر من أعمال الكوفة ، انظر الزركلى ، الأعلام ٧/٥٥ ـ ٥٦ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ١/١٢٥ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ٣/٩٧٢ ـ ٩٧٣ .

تخبر باسمى ولا بعلوم اسمى ، وإن حدثك محدث عن اسمى فاسمع منه ولا تخبره من أنت .

وقال : علامة الذنب الذى يغضب الله أن يعقب صاحبه الرغبة فى الدنيا ، ومن رغب فيها فقد فتح بابا إلى الكفر فإن المعاصى تزيده وكل من دخل ذلك الباب أخذ من الكفر بقدر ما دخل .

(٣٧٦) محمد بن عبد الوهاب الثقفى[1]

الإمام الجليل الأستاذ أبو على الجامع بين العلم والتقوى المتمسك من حبال الشريعة والحقيقة بالسبب الأقوى ، المقتدى به فى فقه الشافعية والكلام والتصوف والوعظ ، كان إماما فى أكثر علوم الشرع ، مقدما فى كل قوم ، عطل علومه كلها واشتغل بالتصوف ، وبه ظهر التصوف فى إقليم نيسابور ، تفقه على محمد بن نصر المروزى وتفوق على حمدون القصار وغيره ، حكى أن الشبلى رضى الله عنه بعث إليه رجلا وأمره أن يغلق مجلسه سنة ويحمله إليه بحيث لا يشعر ، ففعل وميز مجالس الغدو من مجالس العشى فتأمله الشبلى ، رضى الله عنه وقال : كلامه بالغدو فى علم الحقائق معجز وبالعشى ، ردىء فاسد بعيد عن تلك العلوم انتهى ، وذلك لأنه كان يخلو فى ليلة بسره فيصفو كلامه بالغدو ، فقال الشبلى ، رضى الله عنه ، للرجل : هل رأيت بداره شيئا من الفرش والآنية التى يتجمل بها أبناء الدنيا ؟ قال : أما الفرش فنعم ، فصاح الشبلى رضى الله عنه هذا الذى غير عليه حاله ، وكان رأسا فى الفقه ، قال له ابن خزيمة رضى الله عنه : لا يحل لأحد منا أن يفتى وأنت حى ، وقال الضبعى رضى الله عنه : ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد علينا الثقفى من العراق ، نقل

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٤ ؛ وطبقات السلمى ٣٦١ ـ ٣٦٥ ؛ وطبقات الشعرانى ١/ ١٢٥ ؛ وطبقات الشافعية ٢/ ١٧٢ ؛ والشذرات ٢/ ٣١٥ .

نه الرافعي رضى الله عنه ، فى مواضع من الشرح منها فى الجمع بين الصلاتين غير ذلك .

(ومن كلامه): من صحب المشايخ من غير طريق الحرمة حرم من وائدهم وبركتهم ولم يظهر عليه من أنوارهم شيء .

وقال : كمال العبودية العجز والقصور عن معرفة علل الأشياء بالكلية .

وقال : لكل شيء حد وكمال ، فمن صحب الأشياء على حدودها فقد فلح ونجح ، ومن قصر عنها فقد ضيع حقها ، وقال : لا يقبل من الأعمال إلا ما ان صوابا ومن صوابها إلا ما كان خالصا ومن خالصها إلا ما كان موفقاللسنة .

وقال : من غلبته شهوته فهو حمار ومن غلبه هواه توارى عنه عقله .

وقال : قد وسع الله على عباده بالغفلة عنه ، ولولاها ما هناهم عيش عظم ما كانوا يشاهدون .

وقال : لو جمع رجل جميع العلوم وشاهد وصحب جميع الطوائف لا يبلغ بلغ الرجال إلا بالرياضة على يد شيخ ناصح ، فإن لم يلقه وادعى الطريق فدعواه عونة نفس ولا يجوز الاقتداء به .

وقال : يأتى على الناس زمان لا يطيب العيش لمؤمن إلا باستناده لمنافق يحميه .

وقال : إن من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وإن من حسراتها إذا أدبرت ، العاقل لا يركن لشيء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة .

وقال : ليس شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ، ولا شيء أولى بأن نغلبه من هواك .

ومن نظمه :

إلى كم يكون الصد فى كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجـرا
رويدك إن الدهر فيه كفايـــة لتفريق ذات البين فارتقب الدهرا

ولد سنة ست أربع وأربعين ومائتين ؛ وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(٣٧٧) محمد بن منازل النيسابورى(١)

شيخ الملامتية بنيسابور وأوحد وقته ، كان عالما دينا وإماما صينا ، وافر الجلالة ، سافر البسالة صحب القصار وغيره ، وكان متبحرا فى علوم الشرع من حديث وفقه وغيرهما ثم طلق العلائق ، وأعرض عما يحجبه عن الله وهو الخلائق .

(ومن كلامه) : من مقت نفسه عند نفسه عاش الناس فى ظله ، وقال : عبر بلسانك عن حالك ولا تكن بكلامك حاكيا لأقوال غيرك فإن الطريق ذوق .

وقال : ما تهاون أحد بالسنن إلا وقع فى البدع .

وقال : لا يجتمع التسليم والدعاوى بحال .

وقال : لوصح لأحد نفس من أنفاسه خاليا عن رياء ونفاق ، عادت عليه بركته إلى آخر عمره .

وقال : لا تنظر إلى عيب من أنت محتاج إلى علمه فإن ذلك يحرمك بركة النفع به .

وقال : العبد يظهر دعوى العبودية ويضمر وصف الربوبية .

وقال : أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس النفس .

وقال : العبد عبد مالم يطلب لنفسه خادما ، فإن طلبه سقط عن حد العبودية .

مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائه .

---

(١) طبقات السلمى ١٢٣ ؛ وطبقات الشعرانى ٩٢/١ ؛ والشذرات ٣٣٠/٢ .

(٣٧٨) محمد بن احمد بن سيد حمدويه [١]

المعروف المعلم أبو بكر التميمي ، العابد الزاهد صاحب الكرامات المشهورة والخوارق المأثورة المسطورة ، صحب قاسم الجوعى وحدث عنه وعن غيره وعنه أبو زرعة وغيره ، كان من أكابرهم وساداتهم ، أقام ما أسند ولم يمد رجله بين يدى الله هيبة منه وصحب البصرى فى المقابر بقاسيون ، فلما مات صحب الجوعى ، فلما مات رجع للمقابر فبقى إحدى عشرة سنة لا يكلم أحدا فكان يصلى الجمعة فلقيه إبليس يوما فقال : يا غلام ارجع فقد صلينا ، فرجع فرأى الشمس فى كبد القوس فى كبد السماء فمضى ولم يكلمه ولحق الجمعة ، وكان يمشى فى اليوم أربعين ويختم فيه ختمة ، فتعب يوما وغلبه الجوع وضعف فأتى فى البرية على عين ماء فقعد وإذا بجارية سوداء على رأسه فقالت : سيدى أرسلنى إليك بهدية ، فقال : إن قبلها فأنت حرة فقال : صفيه فإذا هو فى بيتتان معها بيض مسلوق فتركه ومضى جزعا من سرعة الإجابة .

(ومن كراماته) أيضا أنه قام أياما لم يشرب فاجتهاد إلى الطهارة وفقد الماء فبكى ، وقال : يا سيدى قد علمت حاجتى للطهر وما يشق على من تركه . فظهر له كف من الحائط فيها كوز فقال : خذ فاشرب فقال :الطهارة أغلب عليّ ، أخذ الكوز فتوضأ وصلى وشرب فأقام ثمانين يوما لا يحتاج إلى الشرب ، وأضاف به قوما فأتاهم بشوى ورقاق ، فقالوا : ما هذا من طعامنا ، قال : ما طعامكم ؟ قالوا : البقل ، فأتاهم به وأكلوا الشوى وقاموا يصلون بالليل وقام المعلم على ظهر الليل كله يصلى بهم الصبح بطهر العتمة ثم قال : تخرجون تنفرج فأتوا إلى بركة ماء ففرش رداءه على الماء فصلى عليه ورفعه ولم يصبه ، ثم قال : هذا عمل الفقراء ، فأين عمل البقل . ومنها : أن كلبا نبح عليه فأحشاه فسقط ميتا .

---

(١) هذه الترجمة ساقطة من ش ، وانظر النبهانى ، ١/١٠١ .

ومات بعض تلامذته فصلى عليه ودفنه ثم رجع فقرأ رجل فصعق بعض أصحابه يعنى الشيخ فمات فأعجب القارىء بذلك وقال : مات الرجل ، فقال الشيخ : إنما مات من القرآن لا منك ، فقال الرجل : الله حسبى فمات حالا فقال الشيخ : خذوا فى أمرهما واحدا بواحد . مات فى صفر سنة إحدى وثلثمائة .

(٣٧٩) محمد بن موسى أبو بكر الواسطى[١]

من كبار أتباع الجنيد ، رضى الله عنه ، فرغانى الأصل ، كان رفيع المقدار ، عالى المنار ، وكانت جماعته الذين يحضرون ورده كل يوم خمسة آلاف ولم يتكلم أحد مثله فى أصول التصوف ؛ ألفاظه عالية وإشاراته دقيقة غالية ، ولما دخل نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان رضى الله عنه : بِمَا كان يأمركم ؟ قالوا: بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها ، فقال : أمركم بالمجوسية المحضة فهلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها . وسئل عن مالك بن دينار ، رضى الله عنه ، وداود الطائى وابن واسع ، رضى الله عنهم ، ونحوهم من العباد ، فقال القوم : ما خرجوا من نفوسهم إلا إلى نفوسهم ، تركوا النعيم الفانى للنعيم الباقى ، فأين خالق الفناء والبقاء ؟ .

(ومن كراماته) أنه سافر بحرا فانكسرت السفينة فبقى مع امرأته على لوح فولدت فى تلك الحالة وعطشت جدا فرفع رأسه فإذا برجل جالس على الهواء وبيده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت وقال :اشربا فشربا ، قال : فقلت : من أنت ؟ قال : عبد لمولاك ، قلت : بم وصلت إلى هذا ؟ قال : بترك هواى لرضاه فأجلسنى على بساط الفردانية كما ترى ، ثم غاب عنى .

(ومن كلامه) ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهلية

---

(١) حلية الأولياء ٣٤٩/١٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٢ ؛ وطبقات السلمى ٣٠٢ ـ ٣٠٦ ؛ والمنتظم ٢٦٢/٦ .

' أحلام ذى المروءة ، وقال : الخوف والرجاء زمام مانع من سوء الأدب .

وقال : الذكر الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة
وف وشدة الحب .

وقال : مطالعة الأغراض على الطاعات من نسيان الفضل .

وقال : العلماء بالله هم الذين رسخت أرواحهم فى غيب الغيب وسر
سر فعرفهم الله علوما لم يعرفها لغيرهم ، وأراد منهم من مقتضى الغيب ما لم
ده من غيرهم ، فخاضوا بحر العلم بالفهم ، ثم بالكشف الذى كشف لهم عن
خول الخزائن والمخزون حتى شهدوا ما تحت كل حرف وكلمة من عجائب النفوس
ستخرجوا من بحارها الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة .

وقال : إن خفت من الله نسبته للبخل ، وإن رجوته اتهمته ، ولابد لك
هما ، فلذلك كان النقص من لازمك .

وقال : ربما كان الذاكر فى ذكره أشد غفلة من الناسى لذكره .

وقال : إذا تجلى الحق على السرائر ذهب الخوف والرجاء .

وقال : احذوا من زلة العطاء فإنها غطاء ، ولولا شهود الحق ما هنأ
ارف عيش .

وقال : ذهبت الطريق وأهلها ولم يبق إلا الحسرات ، وقال : الأسرى
لى وجوه ،أسيّر نفسه وشهوته وأسير سلطانه وهواه ، وما دام للشواهد على
لأسرار أثر وللأغراض على القلوب خطر فهو محجوب بعيد عن عين الحقيقة .

وقال : أفقر الفقر من ستر الحق حقيقة حقه عنه .

وقال : الحب يورث الشوق والشوق يورث أنسا ، فمن فقد الشوق
الأنس فهو غير محب .

وقال : من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد.

وقال : الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا فى الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين ، فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم ، فأنى ينفع مع ذلك الألوان المصفرة والأكمام المنضرة والأقدام المنتفخة .

وقال : استعمل الرضا جهدك ولا تدع الرضى يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع .

وقال : الموحد لا يرى إلا ربوبية صرفة تولت عبودية محضة فيها معالجة الأقدار ومغالبة القسمة .

وقال : كائنات محتومة بأسباب مغلوبة وأوقات معلومة فاعتراض السريرة لها رعونة .

وقال : أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات .

وقال : من عرف الله انقطع بل خرس وانقمع .

ولما احتضر قالوا له : أوصنا قال : احفظوا مراد الحق فيكم .

وقال : العبادة أصلها ستة ، التعظيم والحياء والخوف والرجاء والمحبة والهيبة ، فمن لم تتم له هذه المعاملات لم تقم له العبودية .

وقال : ادعى فرعون الربوبية على الكشف ، والمعتزلة الربوبية على الستر فأنهم قالوا : ما شئنا فعلنا ، فنحن خالقون لأفعالنا .

وقال : بفضله سبحانه أحبهم فأحبوه وذكرهم فذكروه ﴿ اذكروني أذكركم ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

وكان به أكلة عند كتفه فخرجت أخرى من ظهره تقابلها فصارت يظهر منها الضوء ، ومع ذلك يقول : إلهى زدنى من بلائك إن كان لك فيه رضى لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

وقال : إياكم واستملال الطاعة ، فإنه سم قاتل .

وقال : الجملة التى كملت بها المحاسن الاستقامة ، وقال : الصدق صحة التوجيه مع القصد .

وقال : الفراسة سواطع أنوار لمعت فى القلوب ، وتمكين معرفة حملت السرائر فى الغيوب ، من غيب الغيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم على ضمير الخلق .

مات بمرو بعد العشرين وثلاثمائة .

(٣٨٠) محمد بن يوسف بن معدان البناء[١]

كان للآثار حافظا ومتبعا ، له التصانيف فى نسك العارفين ، ومعاملة العاملين ، وكان رأسا فى علم التصوف صنف فيه كتبا حسانا .

(ومن كلامه) : أسباب المعرفة أربعة : حصانة العقل ، وكرم الفطنة ، ومجالسة أهل الخير ، وشدة العناية ، وسببها كلها الرحمة . ومن أقرب الأمور إلى الرحمة الضراعة والاستكانة والتبرى من الحول والقوة .

وقال : خير العلم ما نفع ، والعلم يصاب من عند المخلوق ، والعلم لا يصاب إلا بالله ومن عنده ، والعلم النافع هو الذى أطعته .

وقال : قلوب العارفين مساكن الذكر وأفضل الأعمال رعاية القلب ، والذكر غذاء القلب .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٤٠٢ ؛ وصفة الصفوة ٤/٦٥ ؛ والسلمى٢٣٣ الحاشية (ب)؛ وتاريخ أصبهان ٢/٢٢٠ .

وقال : همم العارفين تعالت عما فيه نفوسهم واتصلت بما فيه محبة سيدهم .

وقال : من أيقن بالقدوم عل معطى الجزاء قدم الهدايا قبل ملاقاته .

وقال : إذا كسى الله القلب نور المعرفة قلده قلائد الحكمة ، ومن كان الصدق وسيلته كان الرضى من الله جائزته .

وقال : من التوفيق ترك التأسف على ما فات ، والاهتمام بما هو آت ، ومن أراد تكثير النعم فليكثر من مناجات الخلوة .

(٣٨١) محمد بن يوسف

وقيل : يوسف بن محمد بن الحسين الرازى[(١)]

المتخلى عن الناس ، المتحلى بالإخلاص ، تارك التزين والتصنع ، مفارق التلون والتمنع ، صحب ذا النون وأبا تراب والخراز وتلك الطبقة السامية ، وسع جمعا كثيرا من أكابر المحدثين منهم أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، وكان آية فى إسقاط التصنع والجاه وحيدا فريدا وعلى المتعظمين شديدا ، قيل له :إن ذا النون ، رضى الله عنه ، يعرف الاسم الأعظم فرحل إليه فدخل عليه فلم يلتفت إليه ، وكان يقال له : إن ابن يوسف أعلم أهل زمانه بالكلام ، فدخل على ذى النون رضى الله عنه رجل فناظره فلم يقم ذو النون بالحجة فناظره ابن يوسف رضى الله عنه فقطعه فعرف ذو النون مكانه فقام فاعتنقه واعتذر وجلس بين يديه ، فقال له ابن يوسف : يا أستاذ خدمتك ووجب حقى عليك فعلمنى الاسم الأعظم ، فتركه ذو النون ثم خرج إليه بطبق مغطى وكان يسكن الجيزة ، فقال

---

(١) حلية الأولياء ٢٣٨/١٠ ـ ٢٤٢ ؛ وصفة الصفوة ٨٤/٤ ؛ والرسالة القشيرية ٢٩ ؛ وطبقات السلمى ١٨٥ ـ ١٩١ ؛ وطبقات الشعرانى ١٠٥/١ ؛ وتاريخ بغداد ٣١٤/١٤ ـ ٣١٩ ؛ والبداية والنهاية ١٢٦/١١ ؛ والشذرات ٤٢٥/٢ .

ه : اذهب بهذا إلى فلان فتفكر ابن يوسف وقال : أترى ايش هذا فكشفه فإذا
يه فأرة ففرت فرجع إليه خجلا ، فقال ذو النون ، رضى اللّه عنه ، يا أحمق
ئتمنتك على فأرة فخنت ، فكيف تؤمن على الاسم الأعظم اذهب عنى ، فقال :
وصنى ، قال : عليك بصحبة من تسلم منه فى ظاهر أمرك وتبعثك على الخير
صحبته ويذكر الله رؤيته .

(ومن كلامه) : علم القوم بأن اللّه يراهم فاستحيوا من نظره أن يراعوا
شيئا سواه ، ومن ذكر اللّه بحقيقة ذكره نسى ذكر غيره ، ومن نسى ذكر كل شيء
فى ذكره حفظ عليه كل شيء .

وقال : لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق .

وقال له رجل : دلنى على طريق المعرفة ، فقال : أرى الله الصدق منك
فى جميع أحوالك بعد أن تكون موافقا للحق ولا ترق إلى حيث لم يرق بك فتزل
قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين
لما ترجوه ظنا ، وقال : عارضنى بعضهم . وقال : لا تدرك مرادك من علمك
حتى تتوب ، فقلت : لو أن التوبة تطرق بابى ما أذنت لها على أن أنجو بها من
ربى ، ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لى لبعتهما زهداً فيهما ، لأنى كنت
عنده فى علم الغيب سعيداً مقبولا لم أتخلف باقتراف الذنوب ، وإن كنت عنده
شقيا مخذولا لم تسعدنى عنده توبتى وإخلاصى ، وإن اللّه خلقنى بلا عمل ولا
شفيع كان لى إليه وهدانى لدينه الذى ارتضاه ، فاعتمادى على فضله وكرمه
أولى من اعتمادى على أفعالى المدخولة وصفات المعلولة .

وقال : من جهل قدره هتك ستره .

وقال : فى الدنيا طغيانان : طغيان العلم وطغيان المال ، فالذى ينجيك
من الأول العبادة ، ومن الثانى الزهادة . وقال : بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح
العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة يفهم الزهد ويوفق له ، وبالزهد تترك

الدنيا ويتركها يرغب فى الآخرة ، وبالرغبة في الآخرة ينال رضا الله تعالي .

وقال : إذا رأيت الله تعالى أقامك فى طلب شيء وهو يمنعك منه فاعلم أنك معذب .

وقال : يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة فى الطاعة .

وقال : آفة الصوفية فى صحبة الأحداث وعشرة الأضداد وإرفاق النسوان وكان يبكي وينشد :

كيف السبيل إلى مرضات من غضبا   من غير جرم ولم نعرف له سببا

وكان كثيرا ما يتمثل بقوله :

سأعطيك الرضا وأموت غمـــا   وأسكت لا أغمك بالعتـاب

ومما أخذ عن الداراني ، رضى الله عنه :

ليس أعمال الخلق بالذى ترتضيه ولا تخطه ، إنما رضى عن قوم فاستعملهم بأعمال الرضى وسخط على قوم فستعملهم بأعمال السخط ، ثم يتمثل بقوله :

يا موقد النار فى قلبى بقدرته   لو شئت أطفأت من قلبى بك النار

وقال عن ذى النون ، رضى الله عنه ، تكلمت خدع الدنيا على ألسنة العلماء ، وأماتت قلوب القراء فتن الدنيا فلست ترى إلا جاهلا متجبرا وعالما مفتونا ، فيا من جعل سمعى وعاء لعلم عجائبه ، وفهمى منتبهاً لذكره ، ويا من منّ على بمواهبه اجعلنى بحبك معتصما وبوجودك ممسكا ، وبجانبك متصلا ، وأكمل نعمتك عندى بدوام معرفتك فى قلبي ، وقال : جالس من الناس من يقهرك برهانه وتخوفك رؤيته ويخبرك عن نفسك بما هو أعلم به منك .

وقال عن ذى النون المصرى ، رضى الله عنه : ما بعد طريق أدى إلى صديق ولا ضاق مكان بحبيب .

وقال عن الجنيد ، رضى الله عنه : أوصيك بترك الالتفات إلى كل حال

ماضية فإن الالتفات إلى ما مضى يشغل عما هو أولى من الحالة الكائنة وبترك الملاحظة للحال الكائنة وبترك المنازلة لها بجولان الحكمة بنقل المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده وموجوده ، فإذا كنت هكذا لم يضرك رؤية الأشياء ، وأوصيك بتجريد الهم وتفريد الذكر ومخالطة الرب ، واعمل على تخليص همك من همك لهمك ، وطالب الخلاص من ذكر اللّه لقلبك ، وكن حيث يراد منك ولا تكن حيث لا ترى ذلك لما تريده لنفسك ، واعمل على محق شاهدك من شاهدك حتي يكون الشاهد عليك شاهدا لك وبك ومنك ، ثم أخلص من شاهدك شاهداً منيعاً كبير السطوة عظيم الشأن ، فإذا كنت هكذا كان لك بكل الكل فيما يحبه منك وكن مؤثرا لكل ما انبسط لك منك ومنه وبك لك ومنه وبه له ينبسط لك مالا يحيط به علمك .

وقيل له : مالك إذا رأيت العاصى لا تحقد عليه ولا تقبح فعله ، قال : لأنى أنظر إلي الصانع فى الصنيع فيهون عليَّ المصنوع .

وقال : من قطع الآمال عن الخلق وصل إلى الخالق ولا يصل عبد لمحبوبه دون قطع الآمال ممن دونه .

وقال : الزاهد يقول : كيف أصنع ؟ ، والعارف يقول : كيف يصنع بى ؟ تاه القوم فى جلاله وجماله .

وقال : الناس أعداء ما جهلوا وحمقاء ما منعوا .

وقال : من لا يسكن قلبك عليه فلا تفش سرك إليه .

وقال : أدوم الناس غما أسوأهم خلقا .

وقال : علامة سوء الخلق كثرة الخلاف ، وقال : صدق الأحرار قبول الأسرار، وقال : الخلاص فى الإخلاص فمن أخلص تخلص ، أسند حديثا كثيرا عن جمع كثيرين .

(٣٨٢) محفوظ بن محمود[1]

المذعن للمعبود ، الواثق بالودود ، من أجلاء مشايخ نيسابور صحب القصار والحيرى وأبا حفص وتلك الطبقة ، وكان إماما معظما كثير الوقار ، مسعود الحركات فى المحافل الكبار ، حسن الخلق والمعاشرة ، كثير التودد معرضاعن المنافرة .

(ومن كلامه) : من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون ، ومن أراد أن يبصر عيوب نفسه فليتهمها فى فعل الطاعات ويرى أنها كلها محشوة من الآفات .

وقال : من أبصر محاسن نفسه ابتلى بمساوىء الخلق ، ومن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوىء الناس .

وقال : التائب من يتوب عن غفلاته ورؤية طاعاته .

وقال : أكثر الناس خيراً أسلمهم صدرا للمسلمين .

وقال : من أراد أن يبصر طريق رشده فليتهم نفسه فى الموافقات فضلا عن المخالفات . مات بنيسابور سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

(٣٨٣) مظفر القرميسينى[2]

من جلة مشايخ الجبل صحب الخراز وطبقته ، وكان واحدا فى طريقته ذا مجاهدة أوصافها مأثورة وأخلاق محاسنها منشورة .

ومن كلامه : الصوم ثلاثة ، صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والشراب والمحارم .

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٥١ ؛ وطبقات السلمى ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١١٧ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣٦٠ ؛ والرسالة القشيرية ٣٥ ؛ وطبقات السلمى ٣٩٦ ـ ٣٩٨ ؛ وطبقات الشعرانى ١/١٣٢ .

وقال : آخر الفقراء قيمة من قبل رفق النسوان والظلمة .

وقال : من تأدب بآداب الشريعة تأدب به أتباعه ، ومن تهاون بآدابها ه ، وأهلك ؛ ومن لم يأخذ الأدب عن حكيم لا يتأدب به مريد .

وقال :الجوع إذا ساعده القنع مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة .

وقال : أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم ، رضى الله تعالى عنهم ، عنا ببركاتهم فى الدنيا والآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو حسبى ونعم الوكيل

الحمد لله كشاف الغطاء فياض العطاء مقرب أهل الصفاء من حضرة الوفاء أحمده حمد من أزال عنه الجفاء ، وأشكره شكر من كشف عنه الخفاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد به تحقق وبه اكتفى ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قدوة السالكين المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبيه آدم ومن بينهما من الأنبياء والمرسلين والملائكة أجمعين أهل العناية والاصطفا وآل كل وصحبهم وسائر الأولياء وكل الصالحين وتابعيهم فى كل زمن على الوفا صلاة وسلاما دائمين متلازمين مادام الحق تقدس يتصدق ويقرب من عنه عفا .

(وبعد فهذه) الطبقة الخامسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد الأربعمائة إلى آخر القرن وهم تسعة عشر :

إبراهيم القرشى إمام مسجد الزبير * إبراهيم أبو إسحاق الشيرازى * أحمد الثعلبى صاحب التفسير * الحسن أبو على الدقاق * الحسن بن بشر الجوهرى * عبد الله الأنصارى * أبو سعيد القشيرى * عبد الرحمن بن القشيرى * عبد الكريم أبو القاسم * عبد المحسن الواردى * على بن الحسن الخليعى * على الجزيرى * على بن عمر القزوينى * غوث البغدادى * الفضل بن محمد الفارندى * فضل الله المهينى * محمد بن الحسن الرذانى * محمد أبو عبد الرحمن السلمى * المظفر بن أردشير .

حرف الالف

(٣٨٤) أبو اسحق القرشى الهاشمى

إبراهيم بن إسماعيل بن سعد المعروف بإمام مسجد الزبير بن العوام[(١)]

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار ، ٤/٤٦ .

صوفى ظهر جماله وجميله وسعد مريده وخليله ،

وله كرامات منها ، أنه جاء إلى حاكم ليشهد عنده فلم يقبله ، فلما كان الليل رأى الحاكم رجلا ارتفع له الحائط حتى دخل عليه منه فقال له : من أنت ؟ قال : خلق من خلق الله تعالى قال : كيف دخلت ؟ قال : أمرت بذلك لم لا تقبل شهادة الشريف وهو عدل عند الله ، فإذا أتاك غدا فأكرمه واسمع قوله ، فإنه ينطق بالحكمة فقال : السمع والطاعة ، ثم انصرف من حيث جاء ، مات سنة ست وثمانين وأربعمائة ودفن بالقرافة ، وراء التربة المعروفة بتربة سارية مما يلى الجهة الشرقية وقبره معروف بإجابة الدعاء .

(٣٨٥) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادى[١]

أبو إسحاق الشيرازى الشافعى صاحب التصانيف الذى سارت كسير الشمس وملأت الأقطار فما جحد فضلها إلا الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وكان فقيها أصوليا ورعا زاهدا صوفيا يضرب به المثل فى كل ذلك ، وناهيك بقول الماوردى فى حقه : لو رآه الشافعى رضى الله عنه لتجمل به .أما الفقه فكان ملكه يأخذ بزمامه ، وإمامه إذا أتى كل أحد بإمامه ، وبدر سمائه الذى لا يعتريه النقصان عند تمامه ، وأما التصوف والزهد والورع المتين وسلوك سبيل المتقين والمشى على سنن الأولياء الصالحين فذاك أشهر من أن يذكره الذاكر وأكثر من أن يحاط له بأول وآخر ، لم ينكر تقلب وجهه فى الساجدين ولا قيامه فى الدجى كيف والنجوم من جملة الشاهدين ، وكان مجاب الدعوة شديد الورع جدا . نسى فى المسجد دينارا وخرج ثم تذكره فرجع فوجده فقال : لعله وقع من غيرى فتركه ، هذا هو الورع هكذا هكذا وإلا فلا . وقال لرجل : وكلتك فى شراء بس

(١) السبكى ، طبقات الشافعية ٨٨/٣ ـ ١١١؛ النووى ، تهذيب الأسماء واللغات ١٧٢/٢ ـ ١٧٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢٤/١٢ ـ ١٢٥ ؛ مرآة الجنان ١١٠/٣ـ ١١٩ ؛ المنتظم ٧/٩ ـ ٨ ، والوفيات ١/ ٥ ـ ٦ ، ومفتاح السعادة ١٧٩/٢ ـ ١٨١ ؛ الشذرات ٣٤٩/٣ ـ ٣٥١ .

بهذا القرص على وجه الأجر فاشترى وجاء به فشك بأى القرصين اشترى ، فلم يأكل منه ، وقال : لا ندرى بأيهما اشتريت ، هذا هو الزهد ليكن المرء هكذا وإلا فلا يؤملن من الجنة آمالا . فإذا كان صالحا ترتجى بركاته فهذا ، وإن كان ولى يؤمل فى الشدائد فحسبك هو ملاذا . ولد بفيروزاباد بلدة بفارس سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وكان بها ثم طاف البلاد ثم استقر ببغداد وما برح يجاهد حتى صار أعلم زمانه وفارس ميدانه والمقدم على أقرانه ، وامتدت إليه أعين النظار ، وانتشر صيته فى البلدان الكبار. ورحل إليه من جميع الأقطار ، وكانت مجاهدته أول أمره أمرا عجابا وعملا دائما يقول من شاهده : عجبا لهذا القلب والكبد كيف ما ذابا ، وكان مع جلالته وحضور السلاطين إليه لا يملك شيئا من الدنيا فبلغ به الفقر حتى كاد لا يجد قوتا ولا ملبسا ، وكان يقوم للقادم عليه نصف قومة ولا يعتدل قائما من العرى كيلا يظهر منه شىء . وأرسل إليه الخليفة ليجتمع به فأبى فألح عليه فما أفاد فتوسل إليه ببعض أصدقائه فأبرم عليه ، فأجاب بشروط منها أن يكون اجتماعه ليلا فتوجه فى الليل ، فلما دخل دار الخليفة هرع الحجاب لإعلام الخليفة ، فبمجرد استقبال الشيخ تحركت عليه بطنه فقال : ائتونى بشمعة فأتوا بها فقصد بيت الخلاء فتعثر فى ذيله فوقعت الشمعة من يده وسقط عليها فأصابت بعض لحيته فاحترقت ، فكر راجعا وهو يقول : صدق الله العظيم قال تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[(١)] والله لا أجتمع به أبدا ، فرجع ولم يجتمع به . وكان إذا قدم بلدا تلقاه الفقهاء والصوفية والمحدثون والعامة والنساء والأطفال يتمسحون بأركانه ويأخذون تراب نعليه يستشفون به ويخرج أهل الصنائع بصنائعهم ينثرونها بين يديه حتى الأساقفة تبركوا به . ويخرج إليه النساء الصوفيات وما منهن إلا ومعها سبحة فيلقين سبحهن على محفة الشيخ تبركا به . ودخل نيسابور فتلقاه جميع أهلها على العادة وحمل شيخ الدنيا إمام الحرمين أبو المعالى

---

(١) سورة هود : الآية ١١٣ .

لجوينى رضى الله عنه غاشيته ومشى بين يديه كالخديم وقال : أفتخر بهذا، وكان مع ذلك الزهد المتين ، والورع الشديد طلق الوجه دائم البشر حسن المجالسة بليغ المجاورة وله أدب أعذب من الزلال . مازجته المدام وأزهى من الروض باكره الغمام ، وأبهى من المنثور هذا مع أنه لا يتلوّن ، وأزهر من صفحات الخدود وإن كان آس الخدود العذار على جوانب ورده تكوّن ، لو سمعه ديك الجن لصاح كأنه مصروع ، ولو تأمل مقاطيعه ابن قلاقس لأصبح وهو قلب مقطوع ، فمنه قوله :

سألت الناس عن خل وفـى   فقالوا : ما إلى هذا سبيل

هنيئك إن ظفرت بذيل حـر   فإن الحر فى الدنيا قليل

ومنه : إذا تخلفت عن صديق   ولم يعاتبك فى التخلف

فلا تعد بعدها إليه   فإنما وده تكلف

(ومن كراماته العظيمة) أنه كان وهو مقيم ببغداد يشاهد الكعبة المعظمة عيانا ، وسمع من جوف الكعبة مرارا : من أراد أن يتنبه بالدين فعليه بالتنبيه ، تأليف الشيخ ، رضى الله عنه . وكان كثير الاجتماع بالمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له مرة : يا رسول الله ، علمنى كلمات انجو بها غدا . وفى رواية أحب أن أسمع منك خبرا أتشوف به فى الدنيا وأجعله ذخيرة فى الآخرة . فقال له : يا شيخ اطلب السلامة فى غيرك تجدها فى نفسك . وفى رواية : ياشيخ من أراد السلامة فليطلبها من سلامة غيره فكان بعد ذلك يفرح ويقول : سمانى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شيخا ويفتخر بذلك . وكان يقول فمن أخذ عنى مسألة فهو ولدى ، وكان يقول : العوام ينتسبون بالآباء ، والأغنياء بالأموال والعلماء بالعلم ، وقال : العلم الذى لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالما ولا يكون عاملا وينشد لنفسه :

علمت ما حلل الولى وحرمه   فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وكان يقول : الجاهل بالعلم يقتدى فإذا كان العالم لا يعمل بعلمه فالجاهل خير منه ، فاللّه اللّه يا أولادى ، نعوذ باللّه من علم يصير حجة علينا ، ومشى بعض أصحابه معه فى طريق فعرض لهما كلب ، فقال الفقيه لذلك الكلب : اخسأ وطرده وزجره فنهاه الشيخ وقال : لم طردته عن الطريق أما علمت أن الطريق بينى وبينه مشترك ، ووضع بعض الفقهاء المهذب تحت رأسه ونام فاحتلم فرأى الشيخ فدفعه برجله وقال : قم أما يكفيك أنك وضعت المهذب تحت رأسك ثم صرت جنبا . نقله النووى عن شيخه سلار رضى اللّه عنهما ، ورآه فى النوم بعض الأكابر يطير فى السماء الثالثة أو الرابعة فتلقاه ملك وسلم ، وقال له إن اللّه تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك : ما تدرس ؟ قال : أدرس ما نقل عن صاحب الشرع ، صلى اللّه عليه وسلم ، فغاب الملك ثم رجع فقال : إن اللّه تعالى يقول : الحق ما أنت عليه وأصحابك ادخل الجنة معهم . وراه آخر وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقال له : ما هذا البياض ؟ قال : شرف الطاعة . قال : والتاج ؟ قال : عز العلم . مات سنة ست وسبعين وأربعمائة ، رضى اللّه تعالى عنه ، ونفعنا به وبعلومه فى الدنيا والآخرة .

(٣٨٦) أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو إسحاق النيسابورى[١]

المعروف بالثعلبى صاحب التفسير[٢] المشهور والعرائس فى قصص الأنبياء [٣] كان عالما صالحا ملازما سلوك الطريق المثلى راقيا فى منازل الطريق إلى الشرف الأعلى ، ومن مناقبه الفاخرة ما حكاه أبو القاسم القشيرى

---

(١) الوفيات ٢٦/١ ؛ القفطى ، إنباه الرواة ١١٩/١ ـ ١٢٠ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ٤٠/١٢ ؛ وياقوت ، معجم الأدباء ٣٦/٥ ؛ السيوطى ، طبقات المفسرين ؛ واللباب لابن الأثير ١٩٤ ؛ مرآة الجنان ٤٦/٣ ؛ ومفتاح السعادة ٤٠٣/١ ، والشذرات ٢٣٠/٣ ـ ٢٣١ .

(٢) المسمى بالكشف والبيان فى تفسيرالقرآن ، كشف الظنون ١٤٩٦/٢ .

(٣) عرائس المجالس فى قصص الأنبياء ، كشف الظنون ١١٣١/٢ .

رضى اللّه عنه قال : رأيت رب العزة فى المنام وهو يخاطبنى وأخاطبه ، وكان فى أثناء ذلك أن قال الرب عز وجل : أقبل الرجل الصالح فالتفت فإذا أحمد الثعلبى ، رضى اللّه عنه .

قال الذهبى ، رحمه اللّه : وكان حافظا رأسا فى العلم والتفسير والعربية، متين الديانة والزهادة ، مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربعمائة ، ويقال له : الثعالبى .

حرف الحاء المهملة

(٣٨٧) الحسن بن على الأستاذ أبو على الدقاق[١]

النيسابورى الشافعى ، لسان وقته وإمام عصره . كان فارها فى العلم مبسوطا فى الحلم محمود السيرة ، محمود السريرة ، جنيدى الطريقة ، سرى الحقيقة ، أخذ مذهب الشافعى ، رضى اللّه عنه ، عن القفال والحصرى وغيرهما ، وبرع فيه وفى الأصول والعربية حتى شدت إليه الرحال فى ذلك . ثم أخذ فى العمل وسلك طريق التصرف وأخذ عن النصراباذى . قال ابن شهبة رحمه اللّه : وزاد عليه حالا ومقالا وعن القشيرى صاحب الرسالة ، وله كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة . قيل له :لم زهدت فى الدنيا؟ قال : لما زهد فى أكثرها أنفت عن الرغبة فى أقلها . قال الغزالى رضى اللّه عنه : كان زاهد زمانه وعالم أوانه أتاه بعض أكابر الأمراء فقعد على ركبتيه بين يديه وقال : عظنى ؟ فقال : أسألك عن مسألة وأريد الجواب بلا نفاق ، فقال : نعم ، قال : أيما أحب إليك المال أو العدو ؟ قال : المال ، قال : كيف تترك ما تحبه بعدك وتستصحب العدو الذى لا تحبه معك فبكى وقال : نعم الموعظة هذه .

---

(١) الشذرات ٣/ ١٨٠ ـ ١٨١ ؛ وكشف الظنون ٢/١٤٣٤ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٣/٢٦١ .

(ومن كلامه) : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس .

وقال : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولا يثمر ، ومريد بلا أستاذ لا يحيى منه شيء .

وقال : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل .

وقال : من علامة الشوق تمنى الموت على بساط العوافى كيوسف ، عليه الصلاة والسلام ، لما ألقى فى الجب ، ولما أدخل فى السجن لم يقل توفنى ، ولما تم له الملك والنعمة قال : توفنى ، وكان كثيرا ما ينشد ، رضى الله عنه :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سر ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بهــا ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال : صاحب الحزن يقطع من الطريق فى شهر مالا يقطعه غيره فى عام، وقال : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء بل أن لا تعترض على الحكم والقضاء .

وقال : ليس شىء أشرف من العبودية ولا اسم أتم من اسمها ، ولذلك ذكرت فى أتم أوقات المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ليلة المعراج ، فلو كان شىء أجل منها لسماه به خالقه . وقال : المريد متحمل والمراد محمول .

وقال : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

وقال : الخوف أن لا تعلل نفسك بسوف وعسى ، وقال : التوكل على ثلاث درجات: التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض ؛ فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه .

وقال : الإخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق ، والصدق التنقى من مطالعة

فقد أمنتك ، أو لطلب الجنة فقد بشرتك ،أو لرضى الحكم فقد أرضيتك فزاد فى البكاء قال : إنما أبكي لما فاتنى من صفاء ذلك الوقت فرده عليَّ ، فقال : هيهات .

وجاءه رجل فقال جئتك من مسافة بعيدة فقال : ليس هذا الشأن فى قطع المسافات ومقاساة الأسفار فارق نفسك بخطوة وقد حصل مقصودك .

وقال : ترك الأدب يوجب العطب فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على رد لسياسة الدواب .

وقال : فاز الصابرون بعز الدارين ، فإنهم نالوا من اللّه المعية إن اللّه مع الصابرين .

وقال : أوحى اللّه إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى إنى أنا الصبور .

وقال : حقيقة الصبر : الخروج من البلاء بحسن الأدب فى المخاطبة ، وحفظ الحرمة في المحاضرة ، كما قال أيوب : مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، ولم يقل : ارحمنى .

وقال : أصحاب الكسل عن عبادته الذين ربط الحق على أقدامهم ثقاقيل الخذلان ، واختار لهم البعد ، وأخرهم عن محل القرب ، ولذلك تأخروا ، وفيه أنشد :

أنا صب لمن هويت ولكن ما احتيا لسوء رأى الموالى

مات سنة خمس أو ست وأربعمائة .

(٣٨٨) الحسن بن بشر الجوهرى[١]

صوفى طار بالمجد طائره ، ورجع تاليا سورة الحمد قاصده وزائره ،

---

(١) النبهانى ١/ ٣٩٠ .

اللّه لومة لأئم ، ولذلك سعوا فى هلاكه مرارا فحفظه اللّه منهم ، وكان آية فى التذكير والوعظ ، مات سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

(٣٩٠) عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو سعيد القشيري[1]

أكبر أولاد الشيخ كان الأستاذ أبى القاسم إماما كبير القدر ، له النصيب الوافر ، والحظ الزاخر من التصوف أصوليا نحويا محدثا ، وكان رضيع أبيه فى الطريقة ، وفخر ذويه وأهله على الحقيقة ، وأكبر أولاد زين الإسلام المذكور ، ومن لا ترى العيون مثله فى الدهور ، برع فى الفقه والأصول بطبع سيال وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال ، سباق إلى درك المعانى ، وقاف على المدارك والمبانى ، وأما وعظه وتصوفه فمجلسه فيه روضة الحقائق وكنز الدقائق ، وكلماته محبرة القلوب ، ومواجيده مقطرة الدماء من الجفون مكان الدموع ، ومفطرة الصدور بالتخويف والتقريع ، وكانت أوقاته ظاهرة مستغرقة فى الطهارة والاحتياط ثم الصلاة ، وباطنا فى مراقبة الحق ومشاهدة أحكام الغيب لا يخلو وقته عن تنفس الصعداء ، وتذكر البرحاء وترنم بكلام منظوم أو منثور . فيذكر وقتا مضى وحالا انقضى ، فى مقام المحبة والرضا ، مات سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

(٣٩١) عبد الرحمن بن عبد الكريم القشيري

أحد أولاد الأستاذ المذكور، كان جميل السيرة ورعا عفيفا فاضلا ، محتاطا لنفسه ؛ فى مطعمه وملبسه ، مستوعب العمر بالعبادة ، مستغرق الأوقات بالخلوة والإفادة ، سمع الكثير من والده وغيره ، وتفقه للشافعى ، رضى اللّه عنه ، كأخيه وأبيه على الماوردى ، رضى اللّه عنه ، وغيره ، مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

---

(١) الشذرات ٣/٣٥٤ .

النفس ، فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له .

وقال : الصدق أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون .

وقال : الذكر أتم من الفكر ؛ لأن الحق تعالى يوصف بالذكر لابه .

وقال : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى العطب .

وقال : لو أن وليا لله مر ببلدة للحق أهلها بركة بمروره حتى يغفر لجاهلهم .

وقال : العبودية أتم من العبادة ، فالأول عبادة ثم عبودية ، ثم عبودة فالعبادة للعامة والعبودية للخاصة والعبودة خاصة الخاصة .

وقال : قال رجل لسهل رضى الله عنه : أريد أن أصحبك ، قال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الباقى ؟ قال : الله ، قال : فاصحبه الآن .

وقال : برهان العابدين إزكاء أعمالهم ، وبرهان العارفين صفاء أحوالهم ، وبرهان المحبين نقاء أنفاسهم ، وبرهان العالمين نشر عجائب صنعه وإظهار بدائع فطرته .

وقال الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك .

وقال : من قال : لا إله إلا الله مخلصا فى مقالته دخل الجنة فى حالته .

وقال : التوبة ثلاثة أقسام : بداية ووسط وغاية . فبدؤها يسمى توبة ، ووسطها إنابة ، وغايتها أوبة ، فالتوبة للخائف والإنابة للطائع والأوبة لداعى الأمر الإلهى .

وقال : أوحى الله إلى داود ، عليه السلام : لا تبك إن كان خوفا من النار

أضاءت آفاق قطره أنواره وفاح من روض سيرته عطر نواره ، وكان ذا مكاشفات وأحوال عاليات . منها أن صاحبه الإبيارى بات ليلة فى القرافة فحدث نفسه بأن فلانا يصلى مائة ركعة وفلانا أكثر فلم لا تكون كهؤلاء ؟ ثم بات يصلى الليل كله ، ثم دخل عليه لما أصبح فلما وقع بصره عليه تبسم ، وقال : ليس الشأن فى كثرة العدد وإنما الشأن فى الإتقان قال تعالى :﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[1] وما قال أكثر . وخرج مع أصحابه يصلون على جنازة فجلسوا فى غرفة ينتظرونها فقال : قوموا بنا فخرجوا فسقطت الغرفة دفعة واحدة ، وأتاه رجل ملهوف فقال : أنا كاتب وضاع منى دفتر الحساب وأنا عند أمير جائر وقد دلونى عليك ، قال : اذهب اشتر بدرهم حلاوة وائتنى به فمضى واشترى الحلارة فأخذ الحلوى فى ورقة يضع فيها الحلاوة فإذا هى من دفتره ، فقال له : من أين لك هذا ؟ قال : اشتريته الساعة ، فأخذه منه وأتى به الشيخ ، فقال له : كل حلاوتك فلاحاجة لنا بها ، وفضائله كثيرة ، مات فى أواخر القرن الخامس ودفن بالقرافة عند قبر أبيه .

حرف العين المهملة

(٣٨٩) عبد الله بن محمد بن على الانصارى[2]

شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى الهروى الحافظ العالم العارف الصوفى صاحب منازل السائرين[3] ، كان إماما فى التفسير والحديث حسن السيرة فى التصوف والعربية والتاريخ والأنساب وغير ذلك ، وكان لا يخاف فى

---

(١) سورة هود : الآية ٧ .

(٢) ابن الجوزى ، المنتظم ٩/٤٤ ـ ٤٥ ؛ ابن الفراء ؛ طبقات الحنابلة ٤٠٠ ـ ٤٠١ ؛ والذهبى ، تذكرة الحفاظ ٣/ ٣٥٤ ـ ٣٦٠ ؛ والسيوطى ، طبقات المفسرين ١٥ ـ ١٦ ؛ والشذرات ٣/٣٦٥ .

(٣) منازل السائرين إلى الحق المبين ، كشف الظنون ، ٢ /١٨٢٨ .

(٣٩٢) عبد الكريم بن هوازن النيسابورى[١]

الأستاذ أبو القاسم القشيرى الملقب زين الإسلام الإمام مطلقا وصاحب الرسالة[٢] التى سارت مغربا ومشرقا ، والأصالة التى تجاوز بها فوق الفرقدين . إمام الأئمة ، ومجلى ظلمات الضلال المدلهمة ، شيخ المشايخ أستاذ الجماعة مقدم الطائفة الجامع للطريقين ، ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث من الحاكم والأهوازي والسلمى وغيرهم ، وروى عنه الخطيب وغيره ، وكان فقيها من فقهاء الشافعية أصوليا متحققا متكلفا سنيا محدثا حافظا مفسرا مفتيا نحويا لغويا أديبا كاتبا شاعرا مليح الخط جدا ، شجاعا بطلا أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وأوانه ، لم ير مثل نفسه ولا رأى الراؤون مثله فى كلامه وبراعته جمع بين الشريعة والحقيقة . وأما المجالس فى التذكير والقعود بين المريدين وأجوبة أسئلتهم عن الوقائع فأجمعوا على أنه عديم النظير فيه ، وتصانيفه في ذلك مشهورة ، وقد ترجمه فى دمية القصر فقال : الإمام شيخ الإسلام الجامع لأنواع المحاسن تنقاد إليه صعابها لوقوع الصخر بسوط تحذيره لذاب ولو ربط إبليس فى مجلس تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب وفضل المنطق المستطاب ، ماهر فى التكلم على مذهب الأشعرى خارج فى إحاطته بالعلوم عن الحد البشرى ، كلماته للمستفيدين فوائد وعتبات منبره للعارفين وسائد ، وقد بلغ أتباعه ألوفا وحضر درسه الجمع الكثير من الأكابر ، مرض له ولد بحيث أيس منه فشق عليه ، فرأى الحق تعالى فى النوم فقال : اجمع آيات الشفاء واقرآها عليه واكتبها فى إناء واسقه إياها ففعل فعوفى .

ومن تصانيفه : التفسير الكبير . قال ابن خلكان : من أجود التفاسير

---

(١) الوفيات ٣٧٦/١ ؛ وطبقات الشافعية ٢٤٣/٣ ـ٢٤٨ ؛ والمنتظم ٢٨٠/٨ ؛ والبداية والنهاية ١٠٧/١٢ ؛ والقفطى إنباه الرواة ١٩٣/٢ ؛ والنجوم الزاهرة ٩١/٥ ـ ٩٢ ، والسيوطى طبقات المفسرين ٢١ ـ ٢٢ ، ومفتاح السعادة ٤٣٩/١ ؛ وروضات الجنات للخوانسارى ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .

(٢) الرسالة القشيرية فى التصوف ، كشف الظنون ٨٨٢/١ .

والرسالة المشهورة التى قلما تكون فى بيت وينكب . والتحرير فى التذكير وآداب الصوفية ، ولطائف الإشارات وكتاب الجواهر وعيون الأجوبة فى أصول الأسئلة ، وكتاب المناجاة ، وكتاب نحو القلوب ، وكتاب الكبير والصغير ، وكتاب أحكام السماع والأربعين وغير ذلك ، وخلف ستة رجال عباد كلهم من السيدة فاطمة ابنة الأستاذ أبى الدقاق ، رضى الله عنه .

ومن كلامه : التوحيد فى كلمة واحدة : كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله بخلافه ليس كمثله شيء ، وقال : الاستقامة توجب الكرامة .

وقال : الإخلاص إفراد الحق فى الطاعة بالقصد أو يقال : تصفية العقل عن ملاحظة مخلوق .

وقال : المريد لا يفتر آناء الليل وأطراف النهار ، فهو فى الظاهر يبيت المجاهدات وفى الباطن يُواصل المكابدات ، فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب ، وعالج الأخلاق ولازم المشاق ، وعانق الأهوال وفارق الأشكال .

وقال : الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولابد للمريد فى ابتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه .

وقال : حقيقة العزلة الاعتزال عن الخصال المذمومة وتبديل الصفات بالصفات لا البعد عن السكن والوطن ، ولهذا قيل العارف كائن بائن أى كائن مع الخلق بائن عنهم بسره .

وقال : زال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه .

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر

مات سنة خمس وستين وأربعمائة ودفن بجانب أستاذه الدقاق ، رضى الله تعالى عنهما .

(٣٩٣) عبد المحسن بن أحمد الورادي[١]

الفقيه العابد الزاهد المفتى ، كان يجتمع بالخضر عليه السلام ويصلى معه الصلوات الخمس بمكة .

(ومن كراماته) أنه كان يقيم بدمياط فكان أهلها إذا رأوا مركب النصارى جاءوه فيدعو فيتغير الهواء فترجع المركب .

وكان يقول : وددت لو حججت ويرى كل عام بعرفة ، وخرج من دمياط فتبعه رجل منها فما شعر إلا وهو بمكة وقت الظهر ثم فارقه فبكى ، فقيل له : إنه يحضر العصر فحضر فتبعه فإذا هو بدمياط ، فقال له : ادع لى فقال له : ما جرت بذلك عادة فشاع ذلك فى الناس فهرب إلى مصر فخرجوا خلفه فوجدوه مات بجامع مصر فمشى الخليفة فى جنازته ، وذلك سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

(٣٩٤) على بن الحسن الخلعى[٢]

نسبة إلى بيع الخلع الفقيه الشافعى المحدث العبد الصالح موصلى الأصل مصرى الدار ، ولى القضاء فحكم يوما واحدا واستعفى وانزوى بالقرافة فكان ملازما للانقطاع والتعبد طول عمره . لم يركن إلى زيد الزمان وعمره ، دائم الحذر عالى الهمة وافر الحرمة وكان سندا لمصر كالجبال . وكان يحكم بين الجن ويقرئهم فأبطأوا عليه جمعة فسألهم فقالوا : كان فى بيتك أترنج ولا ندخل مكانه ، وقبره فى القرافة يعرف بقبر قاضى الجن ، ويعرف بإجابة الدعاء عنده ، وكان على قدم عجيب فى الزهد والتعبد ولا يلبس إلا قميصا واحدا

---

(١) النبهانى ، ٢/١٣١.

(٢) النبهانى ، ٢/١٦٠ .

شتـاء وصيفا ، فسئل عنه فقال : أخذتنى الحمى فنمت فهتف بى هاتف نادانى باسمى فقلت : لبيك داعى الله فقال قل لبيك ربى الله ما تجد من الألم ، فقلت : إلهى وسيدى الحمى ، قال : قد أمرتها أن تقلع عنك ، قلت : والبرد ، قال : والبرد فلا تجد ألم البرد ولا الحر فكان كذلك ، وخرج له أبو بكر الشيرازى رضى الله عنه عشرين جزءا سماها الخلعيات[١] ، ومن تصانيفه : المغنى فى الفقه ، رضى الله عنه ، مات سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ودفن بالقرافة .

(٣٩٥) علي بن الخطاب الجزيرى[٢]

كـان من أكـابر الصـالحين ومن رءوس الأوليـاء الشـامـخين ، صدره للسالكين مشروح ، وبابه للمريدين مفتوح ، وهو من شيوخ مشايخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنه .

(ومن كلامه): رأيت الحق تعالى فى النوم فقال لى : يا ابن الخطاب . تمنَّ ، قال : فسكتُّ ، فقال : ذلك ثلاثا ، ثم قال لى فى الرابعة : ياابن الخطاب أعرض عليك ملكى وملكوتى وأقول لك : تمنّ ، وتسكت ؟ قال : فقلت : يارب إن نطقت فبك وإن تكلمت فبما تجريه على لسانى فما أقول ؟ قال : قل : أنت بلسانك ، فقلت : يا رب قد شرفت أنبياءك بكتب نزلتها عليهم فشرفنى بحديث ليس بينى وبينك فيه واسطة ، فقال : يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء عليه فقد أخلص لله شكرا ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله كفرا ، قال ، فقلت : يارب ، زدنى ، فقال : ياابن الخطاب حسبك حسبك .

---

(١) الخلعيات من أجزاء الحديث ، كشف الظنون ١/٧٢٢ .

(٢) نسبة إلى الجزيرة الخضراء فى الأندلس ، ياقوت ، معجم البلدان ٢/١٣٦ .

(٣٩٦) على بن عمر القزوينى الشافعى [1]

أحد الأولياء المكاشفين بالأسرار المتكلمين على الخواطر قد ملأ الأقطار ذكره ؛ وعطر الأمصار نشره وأحيا القلوب وعظه وشرح صدور الصدور لفظه ، وقال ابن الصلاح : أجمعوا علي حسن معتقده وزهده وورعه . وسمع حديثا كثيرا وتفقه على الداركي وأخذ النحو عن ابن جنى .

(ومن كراماته) : أنه سمع الشاة تذكر اللّه تعالى تقول : لا إله إلا اللّه ، وكان يتوضأ للعصر فقال لجماعته : لا تخرج هذه الشاة غدا للمرعى فأصبحت ميتة . وقال بعضهم : مضيت لزيارة قبره فحصل لى ما يذكر الناس عنه من الكرامات ، فقلت :ترى ايش منزلته عند اللّه وعلى قبره مصحف ففتحته فإذا فى أول ورقة منه « وجيها فى الدنيا والآخرة » . وقال الماوردى رضى اللّه عنه : صليت خلفه وعليه ثوب مطرز فقلت فى قلبى : أين المطرز من الزهد ؟ فلما قضى صلاته قال : سبحان اللّه ، المطرز لا ينقض أحكام الزهد وكرره ثلاثا . وقال له ابن الصباغ رحمه اللّه : أيها الشيخ أى شىء أمرتنى نفسى أخالفها ، قال : إن كنت مريدا فنعم وإن كنت عارفا فلا ، أنكر عليه فرأى تلك الليلة ما أزعجه وقائلا يقول له : هذا بسبب القزوينى .

قال ابن الصلاح رضى اللّه عنه : ذلك أن العارف ملك نفسه فأمن عليها أن تدعوه إلى محذور ، والمريد نفسه أمارة بالسوء فيخالفها .

قال ابن هبه : صليت خلفه العشاء بالحديقة فخرج وأنا معه بالقنديل بين يديه ، فإذا أنا بموضع أطوف به مع جماعة ثم عدنا إلى الحديقة قبل الفجر ، فأقسمت عليه أين كنا ؟ قال : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ذلك البيت الحرام . وله حكايات كثيرة تدل على أن اللّه أكرمه بطى الأرض .

---

(١) الشذرات ٢٦٨/٣ ؛ والبغدادى ، هدية العارفين ٦٨٩/١ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ١٦٠/٧ .

وقال ابن الدلال : كنت أقرأ على ابن فضلان فقال وقد جرى ذكر كرامات القزويني : لا تعتقد أن أحدا يعلم ما فى قلبك ، فخرجت فدخلت على القزويني ، رضى الله عنه ، فقال : سبحان الله مقاومة معارضه ، وروى عن المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « إن تحت العرش ريحًا هفافة تهب إلى قلوب العارفين » ، وروى عنه ، كان فيمن مضى قبلك محدثون فإن يكن فى أمتى فعمر . وقال بعضهم : دخلت مسجده وقد حمل إليه تفاح ومشمش كثير وهو يفرقه على ضعفاء الحديقة فاستكثرته ، فرفع رأسه حالا وقال : تستكثرون هذا لو رأيتم ما ينفق فى المعاصى . وقال بعضهم : أصابتنى ريح المفاصل حتى مرضت لأجلها فمر القزويني يده عليها من وراء كمى فقمت من ساعتى معافى . وقال ابن طاهر : أدركت سفرا وكنت خائفا فدخلت للقزويني رضى الله عنه أسأله الدعاء ، فقال قبل أن أسأله : من أراد سفرا ففزع من عدو أو وحش فليقرأ ﴿ لإيلاف قريش ﴾ [١] فإنها أمان من كل سوء فقرأتها فلم يعرض لى عارض حتى الآن . مات سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وأغلقت البلد لمشهده ، ولم ير فى الإسلام بعد جنازة أحمد بن حنبل رضى الله عنه أعظم من جنازته . وصلي الناس عليه كيف توجهوا ولم يوضع إلى الأرض لكثرة الخلق . وأغلقت المساجد والمكاتب والحمامات ، ولم يسع الناس جامع ، ولا أمكن أن يصلى عليه إمام معين ، وكانت الضجة تمنع التبليغ ، فصلى أكثر الناس فرادى .

---

(١) سورة قريش : الآية ١ .

حرف الغين المعجمة

(٣٩٧) غوث البغدادى (١)

العابد الزاهد صاحب المكاشفات والمشاهد : كان ببغداد وكان يختفى تارة ويظهر أخرى متى شاء ، فقصده الإمام ابن أبى عصرون وابن السقاء والشيخ عبد القادر الجيلانى ، وهو شاب يومئذ إلى زيارته ، فقال ابن السقاء : في الطريق اليوم أسأله مسألة لا يعلم جوابها . وقال ابن عصرون : أسأله فأنظر ماذا يقول ، وقال الجيلانى : معاذ اللّه أن أسأله بل أتبرك برؤيته . فدخلواعليه فلم يروه مكانه فمكثوا ساعة فإذا هو جالس فقال لابن السقاء وهو لا يعرفه : يا ابن السقاء تسألنى مسألة لا أعرف جوابها هى كذا وجوابها كذا ، إنى أرى نار الكفر تتلهب فيك . ثم قال لابن أبى عصرون : تسألنى تنظر ما أقول ؟ أردت تسأل عن كذا وجوابه كذا ، لتغمرنك الدنيا إلى شحمتى أذنيك لإساءة أدبك . وقال للجيلى رضى اللّه عنه : لقد أرضيت اللّه ورسوله بأدبك ، أراك وقد صعدت الكرسى متكلما على الناس ، وقلت : قدمى على رقبة كل ولى للّه .

حرف الفاء

(٣٩٨) الفضل بن محمد الفرمذى (٢)

من أهل طوس كان عالما شافعيا ، عارفا بمذاهب السلف ذا خبرة بمناهج الخلف . وأما التصوف فذاك عشه الذى منه درج وغابه الذى ألفه ليبثه ودخل وخرج ؛ تفقه على الغزالى الكبير وأبوعثمان الصابونى وغيرهما . قال عبد القادر رحمه اللّه : كان شيخ عصره منفردا بطريق فى التذكير لم يسبق إليها فى عبادته

---

(١) هذه الترجمة ساقطة فى ش ، ش ١ .

(٢) نسبة إلى فزمذ من قرى طوس ، ياقوت ، معجم البلدان ٢٢٨/٤ ؛ والشذرات ٣٥٥/٣ .

وتهذيبه وحسن أدبه ومليح استعاراته ودقيق إشارته ورقيق ألفاظه ووقع كلامه في القلوب .صحب القشيرى ، رضى الله عنه ، وأخذ عنه حجة الإسلام وجد واجتهد وكان ملحوظا من القشيرى بعين العناية موقرا ، عليه من طريق الهداية حتى فتح عليه لوامع من أنوار المجاهدة ، وصار من مذكورى الزمان ومشهورى المشايخ وكان لسان الوقت .

وقال السمعانى ، رضى الله عنه : كان لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقه الحسنة فى تربية المريدين ، وكان مجلس وعظه روضة ذات أنواع من الأزهار . مات سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

(٣٩٩) فضل الله بن احمد الميهنى [١]

الزاهد المتقى الولى ذو الكرامات الباهرة والآيات الظاهرة . كان يستحضر من بحار التصوف الزاخرة كل فائدة مهمة . ومن كواكبه السيارة كل نير يجلو حنادس الظلمة ، أخذ عن زاهر السرخسى [٢] وغيره ، وعن ناصر الأنصارى وغيره وكان صحيح الاعتقاد حسن الطريقة أحواله تبهر العقول ، اهتدى به فرق من الناس . وكان مقدم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة فى وقته ، سنى الحال عجيب الشأن أوحد الزمان ، لم ير فى طريقته مثله مجاهدة وإقبالا علي الأعمال وتجردا عن الأسباب وإيثارا للخلوة واشتهارا بالإصابة فى الفراسة وظهور الكرامات والعجائب ، قال السبكى : ومع صحة عقيدته وحسن طريقته لم يسلم من كلام ابن حزم والذهبى ولم يظهر لنا منه إلا صحة الاعتقاد ، لكنه أشعرى صوفى ، فمن ثم نال منه الرجلان وباءا بإثمه .

---

(١) نسبة إلى قرية « ميهنة » وهى ناحية بين أبيورد وشرخس ، ياقوت ، معجم البلدان ٥/ ٢٤٧ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٠ . وانظر السبكى طبقات الشافعية .

(٢) زاهر السرخسى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٣٨٩ ، الشذرات ٣/ ١٣١ .

ومما يؤثر من كلامه : التصوف طرح النفس فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والنظر إلى الله بالكلية .

ومن كراماته : أن رجلا من التجار انقطع من رفقته فمر بالشيخ فسأله عن حاله فشرحه له ، فمر أسد فقال : اركب هذا ، وقال للأسد : احمله إلى رفقائه فحمله إليهم ثم ذهب . ومنها أن صالحا خادمه جاء يوما من السوق ويداه مشغولتان . وقد انحل سراويله فقال الشيخ لمن عنده قبل أن يقدم صالح وقبل أن يراه : أدركوا صالحا وشدوا سراويله . مات سنة أربعين وأربعمائة .

حرف الميم

(٤٠٠) محمد بن الحسين الراذانى [١]

العابد الزاهد المنقطع إلى الله ، كان من سادات القوم مجاب الدعوة .

قال ابن باطيس : كانت له كرامات ظاهرة وخوارق متواترة .منها أنه أراد أن يخرج إلى الصلاة فأتاه ابن له صغير ، فقال : يا أبى أريد غزالا ألعب به فسكت فألح عليه الصبى ، وقال : لا بد لى من غزال فقال له : اسكت يا بنى غداً يأتيك غزال ، فمن الغد كان الشيخ قاعداً فى بيته فجاء غزال ووقف على بابه وصار يضرب بقرنه الباب حتى فتحوا له ، فقال لابنه : قد جاءك الغزال . مات فى جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

---

(١) نسبة إلى راذان ، وهى كورة من سواد بغداد ، وجاء اسمه « أبو عبد الله محمد بن الحسن الراذانى الزاهد » فى ياقوت ، معجم البلدان ٣/١٢ ـ ١٣ .

(٤٠١) محمد بن الحسين بن موسى الأزدى[(١)]

أبو عبدالرحمن السلمى جدا ، النيسابورى بلدا ، إمام يقتدى بمقالاته ، وزاهد يهتدى بنور أحواله ومقاماته ، سمع من أهل الرواية وأخذ عن أرباب الدراية ، ورحل إلى الأقطار وبلغ المقاصد والأوطار ، ثم كر راجعا إلى خراسان وصار عالمها وصوفيها ومحدثها المشار إليه ببديع البيان ورءوس البنان .أخذ الحديث من حاتم الأصم رضى الله عنه وغيره وعنه الحاكم والقشيرى والبيهقى رضى الله عنهم ، وكان شيخ الطريق فى وقته الموفق فى جميع علوم الحقائق ومعرفة طريقة التصرف وافر الجلالة عظيم الشأن ، أخذ عن أبيه وجده وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه ، وبلغت تصانيفه نحو المائة ، وحدث أكثر من أربعين سنة ، ومن القول فيه وله وعليه .

قال الخطيب رضى الله عنه ، عن القطان : كان السلمى يصنع للصوفية .

قال الخطيب رضى الله عنه : كان عند أهل بلده جليلا وكان مع ذلك محمودا صاحب حديث .

قال السبكى رحمه الله : وقول الخطيب هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة ولاعبرة بهذا الكلام فيه ، وذكر العارف ابن عربى ، رضى الله عنه ، أنه كان فى مقام القربة فإنه قال : دخلت هذا المقام وهو بين الصديقية والنبوة سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأنا مسافر بمنزلة الجبل ببلاد الغرب فتهت به فرحا ولم أجد به

---

(١) طبقات الصوفية للسلمى ، المقدمة ص ١٦ وما بعدها ، والخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ٢٤٨/٢ ـ ٢٤٩ ، وابن الجوزى ، المنتظم ٦/٨ ؛ والسبكى ، طبقات الشافعية ٦٠/٣ ـ ٦٢ ؛ والذهبى ، تذكرة الحفاظ ٢٣٣/٣ ـ ٢٣٥ ؛ وابن الأثير ١٢/٩ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٢/١٢ ـ١٣ ؛ والذهبى ، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦ ـ ٤٧ ؛ والسيوطى ، طبقات المفسرين ٣١ ؛ والشذرات ١٩٦/٣ ـ ١٩٧ ؛ واليافعى ، مرآة ٢٦/٣ ؛ وابن حجر ، لسان الميزان ١٤٠/٥ ؛ والبغدادى ، هدية العارفين ٦١/٢ .

أحداً ، فاستوحشت من الوحدة وتذكرت دخول أبى يزيد ، رضى اللّه عنه ، بالذلة والافتقار فلم أجد فى ذلك المكان أحدا فرحلت ، وأنا على تلك الحال من الوحشة والانفراد ، والأنس إنما يقع بالحس فنزلت عند رجل فشكوت له انفرادى بمقام أنا مسرور به فبينما هو يؤانسنى ، إذ لاح لى ظل شخص فنهضت إليه فعانقنى ، فتأملته فإذا هو أبو عبد الرحمن السلمى وقد تجسدت لى روحه فقلت له : أراك فى هذا المقام فقال : فيه قبضت وعليه مت فأنا فيه لا أبرح ، فذكرت له وحشتى فقال : الغريب مستوحش فاحمد اللّه ، ألا ترضى أن يكون الخضر عليه السلام صاحبك فى هذا المقام ، وقد أنكر عليه موسى عليه السلام حاله مع ما شهد اللّه عنده بعدالته ومع هذا أنكر عليه ما جرى ، وما أراه سوى صورته وعلى نفسه أنكر ورافقه فى ذلك سلطان الغيرة التى خص اللّه بها رسله ، ولو صبر لرأى العجائب فأنه كان أعد له ألف مسألة كلها جرت لموسى ، عليه الصلاة والسلام ، وكلها ينكرها على الخضر، عليه السلام ا. هـ

ومن كرامات أبى عبدالرحمن رضى اللّه عنه ما قال القشيرى رضى اللّه عنه : كنت بين يدى العارف الدقاق رضى اللّه عنه فجرى حديث أبى عبد الرحمن وأن يقوم فى السماع موافقة للفقراء فقال : مثله فى حاله السكون أولى به ، امض إليه تجده قاعدا فى بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور فهاتها ولا تقل له شيئا ، فدخلت عليه فإذا هو كذلك فكلما قعدت أخذ فى الحديث ، وقال بعض الناس ينكر علي واحد من العلماء يحركه السماع فبينما ذلك الإنسان يوما خاليا وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال : كانت مسألة مشكلة عليَّ فظهر لى معناها ، فلم أتمالك حتى قمت أدور فقلت : مثل هذا يكون حالهم ، قال القشيرى رضى اللّه عنه : فلما رأيت ذلك منهما تحيرت كيف أفعل بينهما ، فقلت : لا وجه إلا الصدق ، فقلت : إن أبا على وصف هذه المجلدة ، وقال : احملها إليَّ من غير علم الشيخ وأنا أخافك ولا تمكن مخالفته فأشر بأمر ، فأخرج أجزاء من كلام الحسين وفيها تصنيف له

سماه « الصدور في نقض الدهور » وقال احمله إليه .

قال الذهبي ، رضى الله عنه : كان السلمي ، رضى الله عنه ، وافر الجلالة وتصانيفه قيل نحو الألف ، وله كتاب سماه : « حقائق التفسير » ليته لم يصنفه فانه تخريف وقرمطة فدونك الكتاب ترى العجب ، قال السبكي رحمه الله : ولا ينبغي له وصفا لجلاله ثم يدعى عليه التخريف وتفسيره كثرة الكلام فيه من جهة أنه اقتصر على التأويل وكلام للصوفية ينبىء عن ظاهر اللفظ .

(ومن كلامه) المحبة إذا بلغت درجتها حد السكر فلا ينبغي أن يبالي صاحبها بعار ولا بنار ولا شنار ، فقلبه لا يلتفت لشيء مما في هذه الدار ، قلبه طيار وبدنه سيار ، وقال : المحبة إذا غلبت على صاحبها يرى الأشياء كلها بصفة صورة محبوبه .

مات سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .

(٤٠٢) المظفر بن أزدشير العبادي[١]

أبو منصورالزاهد العابد الواعظ ، كان من الصوفية الأعيان موصوفا بعلو المكانة وثبوت الأركان ، كان من أحسن الناس كلاما في الوعظ والتصوف وأوسعهم عبادة ، وأحلاهم إشارة ، أخذ عن زاهر وغيره ، وعنه ابن أبي الأخضر وغيره .مات رضى الله عنه سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

(ومن كلامه) : لا تظنوا أن الحيات تجيء إلى القبور من خارج إنما هي أفعالكم أفعى لكم وحياتكم ما أكلتم من الحرام ، أيام حياتكم ، اللهم نفعنا بهم وبعلومهم آمين .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢١٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبذكر أوليائه تنزل البركات ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات ، المؤيد بأبهر المعجزات ، محمد المصطفى على جميع البريات وآله وصحبه فى أجمع الحالات وبعد ، فهذه الطبقة السادسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد الخمسمائة وهم أحد وخمسون .

أبو إسحاق بن طريف * أبو السعود بن شبل * أبو يعرى المغربى * ابراهيم أبو إسحاق الأندلسى * أبو بكر النابلسى * أحمد بن أبى الخير الصياد * أبو هاشم القيسى * أبو الفتوح الطوسى * أحمد الرفاعى * أبو العباس بن العريف * أبو القاسم الأقطع * بقاء بن بطونه * جاكير الكردى * حسن بن عقيق * الأستاذ أبو مدين * أبوالفتح الميهنى * عبد الله المغاور * عبد الله أبو ثور * عبدالرحمن الخرقى * أبوالنصر بن القشيرى * أبو النجيب السهروردى * عبد القادر الجيلانى * عبد السلام اللخمى * عبدالرحيم القنائى * عبد الملك الطبرى * عثمان بن مرزوق * عدى بن مسافر * عقيل المنيجى * على بن إبراهيم الأنصارى * على بن أحمد الزبيدى * على الكردى * على السنجارى * على ابن الهيتى * القاسم بن محمد البصرى * قضيب البان * ماجد الكردى * محمد الحصار * محمد السنهورى * أبوالفتوح الإسفراييني * محمد بن قايد القرشى * أبو عبد الله القرشى * محمد بن الموفق الخيوشانى * محمد بن رسلان * حجة الإسلام الفزانى * مطر الكردى * موسى بن ماهين الماردينى * مفرج المجذوب * الشهاب السهروردى * يوسف الكومى * يوسف الهمدانى .

حرف الهمزة

(٤٠٣) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف

شيخ الشيخ العارف ابن عربى رضى الله عنه ، كان عظيم المقدار ، رفيع المنار مقصودا من جميع الأقطار .

(ومن كلامه): الشيخ لا ينسى من يعرفه ، وإن كان الشيخ لا يعرفه فليسأل الله تعالى أن يعفو ويغفر عن من سمع بذكره فسبه وذمه أو أثنى عليه خيرا ، قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : وهذا ذقته فى نفسى وأعطانيه ربى عز وجل بحمد الله ، ووعدنى بالشفاعة فيمن أدركه بصرى ممن أعرف وغيره ، قال : وهذا مذهب شيخنا أبى إسحاق رضى الله عنه وهو من أكبر من لقيته ، وقد سمعته يقول : وأنا عنده بمنزلة الجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين وخمسمائة يا أخي ، الناس اثنان ، ذام ومثن ، والله ما أرى الناس فى حقى إلا الأولياء عن آخرهم ممن يعرفنى ، قلت له : كيف ؟ قال : الناس الذين رأونى أو سمعوا بى إما أن يقولوا فى حقى خيرا أوضده ، فمن قال فى خيرا فما وصفنى إلا بصفته ، فلولا ماهو أهل لتلك الصفة ما وصفنى بها ، فهذا عندى من الأولياء ، ومن قال فيّ شرا فهو عندى ولى أطلعه الله على حالى ، فإنه صاحب فراسة وكشف ناظر بنور الله فهو عندى ولى ، قال : وكان هذا الشيخ من الشيوخ الذين تحسب عليهم أنفاسهم ويعاقبون على غفلاتهم . مات فى عقوبة غفلة غفلها اهـ

(ومن كلامه) : قد يمنع الله العبد من العمل اختبارا له لينظر حاله عند الفقد لذلك فى تضرعه وافتقاره وغفلته واستغنائه .

وقال : إن الله تعالى يعيد من بركات الحركات الظواهر على البواطن ما يكون سببا فى تنويرها وصلاحها حتى إذا صفت السرائر وتخلصت من شوائب

الكدورات ، عادت بالصلاح على أعمال الظواهر فزكت الأعمال وارتفعت الأحوال بطهارة أصولها وثبات أساسها .

وقال : رؤية العقل والمنة في العمل وإن قل أتم في حق واجب الربوبية من رؤية التقصير عن المقام بحق العبودية .

وقال : إذا خدم المريد المشايخ والأحوال بالأدب عادت عليه من بركات أحوالهم ما لم يكن يبلغه بعمل ، لأن ما يرد عليه منهم ثواب أعمالهم المقبلة ، وما يرد عليه منه هو ثواب عمله ولا يقدر على تحصيله .

(٤٠٤) أبو السعود بن شبل البغدادى

العارف الأفخم والصوفى الأعظم ، إمام كملت بالله إراداته وصفت فى مشاهد الحق ذاته وعرفت فى مسالك العرفان خلواته وجلواته ،أجل أتباع الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، الذى قال فى حقه العارف ابن عربى رضى الله عنه : إنه أعلى مقاما من شيخه كما سيجىء عنه فى ترجمته ، وقال فى موضع آخر من « الفتوحات » : كان إمام وقته فى الطريق .

وقال : كنت بشاطىء دجلة بغداد فخطر فى نفسى : هل لله عباد يعبدونه فى الماء ، فما تم الخاطر إلا والنهر قد انفلق عن رجل فسلم على وقال : نعم يا أبا السعود ، لله رجال يعبدونه فى الماء وأنا منهم ، أنا رجل من تكريت خرجت منها ، لأنه بعد كذا وكذا يوما يقع كذا وكذا فذكر أمورا تحدث ثم غاب فى الماء فما انقضت خمسة عشر يوما حتى وقع ذلك .

وقال فى موضع آخر فى « الفتوحات » : لقد أنصف رئيس الطائفة عاقل زمانه المتصفة بحاله أبو السعود بن شبل حيث قال : نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم نزاحم الحضرة الإلهية ، وقال فى موضع آخر : حال الصدق

يناقض مقامه ومقامه أعلى من حاله فى الخصوص وحاله أشهر وأعلى فى العموم ، وكان الإمام عبد القادر رضى اللّه عنه فى حال الصدق لامقامه وصاحب الحال له الشطح وكذلك كان ، كان العارف أبو السعود رضى اللّه عنه تلميذه مقامه الصدق لا حاله ، فكان فى العلم مجهولا لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ، نقيض عبد القادر ، رضى اللّه عنه ، فى حال الصدق ولا مثل أبى السعود فى مقام الصدق .

وقال السهروردى ، رضى اللّه عنه : كان أبو السعود رضى اللّه عنه من أرباب الأحوال السنية ، والواقعين فى الأشياء مع فعل اللّه متمكنا فى حاله تاركا لاختياره سبق كثيرا من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار ، شاهدنا منه أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين ، وقال له رجل : أريد أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك فقال : الصوفية تقول المعلوم شؤم ، فقال : ماتقول ذلك ، فإن الحق تصفى لنا وفعله مرئى ، فكلما يقيم لنا نراه مباركا ولا نراه شؤما . وقال كشيخه العارف الجيلانى رضى اللّه عنه : شرط من يتصدر للمشيخة والتربية أن يعرف تلامذته من يوم : ﴿ ألست بربكم ﴾ ويعرف من يفتح له على يديه ممن لا يفتح له .

(ومن كلامه) : للّه قوم يتكلمون على الخاطر وما هم مع الخاطر ، يعنى يجرى اللّه على لسانهم ماهو الحاضر عليه من الحال فيقول من سمعه قد تكلم الشيخ على خاطرى ، والشيخ ليس معه حتى لو قيل له : ما فى ضمير هذا الشخص لا يعرفه .

وقال : الرزق فى طلب المرزوق وليس المرزوق فى طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر .

وقال : لا يتكبر أحد على إبليس إلا كان أسوأ حالا منه ، ولولا علو مرتبته فى العلم وعزيمته فى الفعل ما خوف الله منه أحداً .

(٤٠٥) أبو يعزى يكنور بن عبد الرحمن بن سيمون الدكالى المغربى [١]

عارف شرفه معروف مرتفع ، وخبره متفرق وخاطره منجمع ، كان من أكابر أولياء المغرب ، جد واجتهد ولزم البرارى والقفار خمس عشرة سنة وكانت الأسود والوحوش تأوى إليه والطير تعكف عليه ، وإذا خاطبها عقلت كلامه وعملت به ، وكان إذا قال للأسود : لا تسكنوا هنا أخذت أشبالها وخرجوا جميعا . ويقول للوحش : اذهب إلى محل كذا فيه قوتك فيذهب فيجده ، ثم أمر بالرجوع إلى الناس فدخل المدن فانتفع به خلق كثير ، وانتهت إليه تربية المريدين .

قال زروق رضى الله عنه : وكان أميا وإذا غلط القارىء رد عليه فقيل له فيه ، فقال : مادام يقرأ القرآن فالنور يخرج من فيه فإذا غلط انقطع فأعرفه ، وكان له الأمور العظيمة فى المجاهدات وما لا يحاط به من الكرامات ، وكراماته بعد مماته أكثر من حياته . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، وكان إذا زنا رجل أو سرق أو شتم أو فعل محرما ثم دخل عليه يرى ذلك العضو الذى منه العمل مخططا تخطيطا أسودا . وقال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، وكان لا يراه أحد إلا عمى من نور وجهه وممن عمى عند رؤيته الشيخ أبو مدين رضى الله عنه فكان لا يبصر أحدا إلا إذا مسح وجهه بثوب أبى يعزى رضى الله عنه فيرتد بصيرا ثم يعمى ، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون .

(ومن كلامه) : كل حقيقة لا تمحو آثار العبد ورسومه فليست بحقيقة ، وقال : من طلب الحق من جهة الفضل وصل إليه وإلا لم يصل .

وقال : أنفع الكلام ما كان إشادة عن مشاهدة وإخبارا عن شهود .

---

(١) طبقات الشعرانى ١/١١٧ ؛ والنبهانى ، ٢/٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٤٠٦) أبو بكر النابلسي

الإمام المشهور ، الصوفي الكبير ، كان ذا ورع وزهد وديانة واستقامة وحسن طريقة وأمانة ، تصدر بالمغرب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فآذوه وأخرجوه مقيدا مغلولا إلى مصر ، وشهدوا عليه بالزور والبهتان بقبائح لا أصل لها . تسلح وهو حي منكوسا فصار يقرأ القرآن ويملي علوم الحقائق وهو في ذلك الحال فكاد أن يفتن به الناس فرفع الأمر للسلطان ، فقال : اقتلوه ثم اسلخوه ففعلوا ، وقيل : إنه أملى على بعض مريديه وهو في ذلك الحال مائة وخمسين بيتا من نظمه في علوم الطريقة وإشارات الحقيقة ، وإنه مازال يملي عليه حتى وصل السلخ إلى سرته ، فمات رضي الله عنه .

(٤٠٧) أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد اليمني [١]

الولي الكبير صاحب الأحوال العظيمة والمواهب الجسيمة ، كان من عوام زبيد فبينما هو نائم أتاه آت ، فقال : قم ياصياد فصلي ، ولم يكن يصلي قبل ذلك فتوضأ وصلى . ثم أتاه بعد ذلك فذهب به إلى مسجد به صفوف يصلون وعليهم ثياب بيض ونور ساطع فصلى معهم ثم غابوا عنه ، ثم بينما هو نائم سمع مناديا ينادي ياصياد تريدنا ؟ قال : نعم ! قال : انقطع إلينا في المفازات فانقطع فيها ملازما للذكر مدة طويلة يرى العجائب ويحدث عن الغرائب ، وصلى يوما فغاب في سجوده حولا كاملا لا يتحرك فما أفاق إلا وقد قلعت إحدى عينيه ، وكان يغلب عليه حال الفناء فيقيم زمانا مطروحا تسفي عليه الرياح وينبت عليه العشب . وذكر عنده أن بعض الصالحين يركب الأسد ، فقال : والله لولا أن الناس ما يتحملون لربطت لهم سبعين أسدا بالباب ، وإن أحبوا تركتها تمشي معهم بالشوارع لا تضر أحدا .

(١) النبهاني ، كرامات الأولياء ، ١/٢٩٤ - ٢٩٥ .

وله كلام حسن فى الحقائق منها قوله ، وقد سئل : هل العارف أعلى أو المحب ؟ فقال : العارف لأن المحب مشغول بالمحبة والعارف مشغول بالمحبوب .

وقال : العارف متعلق بالحقيقة فإن سقط وقع فى الشريعة .

وقال : خطر بقلبى أن الحقيقة تخالف الشريعة فهتف بى هاتف : كل حقيقة تخالف الشريعة فهى باطلة .

وقال : العارف مع الحق بأركانه ومع الخلق بجنانة . وقال : العارف مفارق لمضجعه وهو نائم ، وناطق وهو صامت ، وحاضر وهو غائب ، وقال : العارف كالطفل لا يهتم بشىء .

وقال : العارف تشهد له الخلق وهو جاحد .

وقال : العارف محفوظ الأنفاس محروس الحواس ملقى بين اناس .

وقال : العارف لا يلتفت لشىء من الكرامات فإنها نقص فى حقه لإشتغاله بالمكرم عن الكرامة ، ولولا الأدب لأخذ من غرائب الغيب فأكل .

وقال : الولى من تولى الحق رعايته ، وقال : الحركة بركة وحركة الظواهر تورث حركة السرائر .

وقال : الواردات غرة الأوراد ، فمن دامت أوراده كثر من الخير ازدياده .

وقال : كل أحد موجود على قدر وجوده ، ومن لم يكن له مجاهدة لم تكن له مشاهدة .

وقال : قلب العارف كالبحر تضطرب أمواجة وهو ساكن .

وقال : العارف لا يأنس بغير معروفه . مات سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

(٤٠٨) أحمد بن الحسين أبو القاسم

المعروف بابن قسى بفتح القاف وخفة السين [١]

المغربى صاحب خلع النعلين[٢] ، عارف أشرق نور كماله ، وأورق غصن جماله ، كان مقيما بألمرية ثم ارتحل إلى شلب فقطنها وابتنى ببعض قراها مسجدا ، وانتشر صيته وكثرت أتباعه وحاسدوه وقالوا : هو فلسفى التصوف ، وأراد الثورة على ملك المغرب عبد المؤمن فظفر به وسجنه ثم أطلقه ، وقد تفرقت الناس فى شأنه شيعا كما وقع للعارف ابن عربى رضى الله عنه ونحوه ، والمذهب واحد والطريقة واحدة .

وله كرامات منها : أنه كان عنده عنزة يوجد طعم العسل فى لبنها ، وكان عنده أشجار فيخرج من بطون ثمارها الدنانير الكثيرة وغير ذلك ، وتبعه كثير من أعيان المغرب وارتحل إليه من الأقطار ما لايحصى ، ولم يزل أمره فى ازدياد حتى اتفق أرباب الدولة على قتله فقتل ، وذلك بعد الأربعين وخمسمائة ، ومن مشاهير كتبه كتاب « خلع النعلين » شرحه العارف ابن عربى ، رضى الله عنه فأتى بالعجاب وبين أسرار الكتاب ما لم يكن للناظرين فيه حساب .

قال أبو العباس القسطلانى ، رضى الله عنه : سمعت الشيخ أبا محمد بن المغاور رضى الله عنهما يقول : سمعت أبا الحسن السقا يقول : كان فى قلبى على الشيخ أبى القاسم بن قسى ، رضى الله عنه ، إنكار ، فبت ليلة فرأيته فى النوم وأنا أرفع يدى عليه لأضربه ، فقال لى : دعنى فقد غفر لى بثلاث قلت : ما هى ؟.

قال : قمت فى الله ، وقتلت ظلما ، وصنعت كتاب خلع النعلين والله المستعان .

---

(١) ابن حجر ، لسان الميزان ٢٤٧/١ ؛ ومعجم كحالة ٥١/٢ ؛ ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤١٦/٢ .

(٢) خلع النعلين فى الوصول إلى حضرة الجمعين ، كشف الظنون ، ٧٢٢ .

(٤٠٩) أحمد بن محمد الطوسى[1]

الشيخ أبو الفتوح أخو حجة الإسلام ، كان ذا أخلاق محمودة وأبواب مقصودة ، ومروءة تامة وسيرة يثنى عليها الخاصة والعامة ، عارفا بالفقه والأحكام ، ماهرا فى علوم الشرع والكلام ، بحيث لقب بلقب أخيه حجة الإسلام ، لكن غلب عليه التصوف فطاف البلاد ، وجال فى الفيافى والتلاد ، ونثر ونظم ، وطرز ورقم ، وإبرز ابريز المعانى ، وأسكت بوعظه المثالث والمثانى ، وكتب وألف ، وتكلم وما تكلف ، ودرس بالنظامية بعد أخيه فأبرز العجائب ، وما تلعثم وما توقف ، واختصر الإحياء فى مجلد سماه « لباب الإحياء » ، وصنف الذخيرة فى علم البصيرة وغيره .

قال السلفى رحمه اللّه وغيره : كان أذكر الخلق وأقدرهم على الكلام ، فاضلا فى الفقه مليح التصوف ، حلو العبارة بلا تكلف ، أظرف أهل زمنه وألطفهم طبعا ، صحب المشايخ واختار العزلة والخلوة حتى فتح له ، له الكلام على طريق القوم ، ومالت إليه القلوب وأحبوه وازدحموا على حضور مجلسه ، ودونت مجالسه فى أربع مجلدات ، وكان ذا كرامات وإشارات .

(ومن كلامه) : من كان فى اللّه تلفه كان عليه خلفه ، وقال : الفقهاء أعداء أرباب المعانى وقرأ قارىء عنده : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾[2] فقال : شرفهم بياء الإضافة إلى نفسه ، وأنشد رضى اللّه عنه :

---

(١) وفيات الأعيان ٣٤/١ ـ ٣٥ ؛ ابن الجوزى ، المنتظم ٢٦٠/٩ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٥٤/٤ ، وابن حجر ، لسان الميزان ٢٩٣/١ ؛ والشذرات ٦٠/٤ ـ ٦١ ؛ والبداية والنهاية ١٩٦/١٢ ؛ ومرآة الجنان ٢٢٤/٣ ، والخوانسارى ، روضات الجنان ٧٥ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ١٤٧/٢ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

وهان على اللوم في جنب حبها   وقول الأعادى إنه لخليع

أصم إذا نوديت باسمى وإننى   إذا قيل لى يا عبدها لسميع

وسئل عن قول على رضى اللّه عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . والخليل يقول : ﴿ أرنى كيف تحيى الموتى ﴾ الآية . فقال :اليقين يتصور عليه الجحود والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود . وسئل عن إبليس فى قصة إبائه عن السجود فقال : لم يدر ذلك المسكين أن أظافير القضاء إذا حكّت أدمت ، وفى القدر إذا رمت أصمت ، وأنشد يقول :

وكنا وليلى فى صعود من الهوى   فلما توافينا ثبت وزلت

وقال : سمعت حجة الإسلام أخى يقول : من حين يوضع الميت على النعش يوقف فى أربعين موقفا يسائله ربه . مات سنة عشرين وخمسمائة بقزوين . وقد رماه ابن طاهر وابن الجوزى بأشياء على عادة المحدثين والفقهاء مع الصوفية ، ومن نظمه رضى اللّه عنه :

إذا صحبت الملوك فالبس   من التوقى أعز ملبس

وادخل إذا ما دخلت أعمى   واخرج إذا ما خرجت أخرس

(٤١٠) أحمد بن على بن يحيى بن حازم بن رفاعة[١]

الشيخ الزاهد الكبير،أحد الأولياء المشاهير أبوالعباس الرفاعى المغربى، شريف يمنى روض شرفه ، وهما على العالم غيث سلفه ، كان سيدا جليلا ، صوفيا عظيما نبيلا ، قدم أبوه إلى العراق ، وسكن بأم عبيدة ، بأرض البطائح ،

---

(١) صاحب الطريقة الرفاعية ، سركيس ٩٤٧ ؛ والكوهن جامع الكرامات ٧٧ ، ومعجم كحالة ٢/ ٢٥ .

(٢) شرح التنبيه فى فروع الفقه الشافعى .

وولد بها صاحب الترجمة سنة خمسمائة ، ونشأ بها وتفقه على مذهب الشافعى رضى اللّه عنه ، وكتب كتابه التنبيه[٢] ثم تصوف فجاهد نفسه حتى قهرها ، وأعرض عما فى أيدى الخليقة وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ، وقد قيل : التصوف الأخذ بالحقائق واليأس عما فى أيدى الخلائق ، ومهر واشتهر وانتهت إليه الرياسة فى علوم القوم وكشف شكل منازلاتهم ، وتخرج به خلق كثير وأحسنوا فيه الاعتقاد .

قال ابن خلكان وغيره : وهم الطائفة الرفاعية ، ويقال لهم : الأحمدية والبطائحية ، ولهم أحوال عجيبة فى أكل الحيات حية ، والنزول إلى التنانير وهى تضرم نارا والدخول إلى الأفرنة ونيام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر ويوقد لهم النار العظيمة ويقام السماع فيرقصون عليها بألحان تنطفىء ويركبون الأسود ، وكان ابتداء أمره أنه مر على عبد الملك الحزنوبى رضى اللّه عنه فقال : يا أحمد أول ما أقول : ملتفت لا يصل ومتسلك لا يفلح ومن لم يعرف من نفسه النقص فكل أوقاته نقص ، ففارقه وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه وقال له :أوصنى قال : ما أقبح الجهل بالألباء والعلة بالأطباء ، والجفاء بالأحباء فانتفع بذلك لكونه اختصر له الطريق ، وسأله رجل أن يدعو له فقال : عندى قوت يوم ، ومن عنده ذلك لا يسمع دعاؤه فإذا فقدته دعوت لك ، وكان يغسل للمجذومين والزمنى ثيابهم ويفلى شعورهم ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويسألهم الدعاء ويقول : زيارتهم واجبة لا مستحبة ، ومر يوما بصبيان يلعبون ففروا هيبة له فتبعهم يقول : اجعلونى فى حل فقد روعتكم ، ومر بولد فقال : ابن من أنت ؟ قال : أيش فضولك فصار يكررها ويبكى ويقول أدبتنى يا ولدى ، وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفا ، وكان يمد لهم السماط صباحا ومساء ، وحكى الشيخ أبو الغنائم رحمه اللّه أنه دخل عليه فوجده جالسا وحوله نحو عشرة آلاف من أتباعه ، فقال له : أحمد اللّه على ما أنعم عليك فقال : النعم كثير ، فإلى أيهم تشير ؟ فقال : لتأليف القلوب إليك ، قال :

حشرت مع فرعون وهامان إن خطر فى سرى أن لى فضيلة على أحد منهم ، ويضرب به المثل فى تحمل الأذى ، وكان كثيرا ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئا فشيئا حتى يرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته :لولا لطف اللّه ما عدت إليكم .

(ومن كراماته) أنه كان إذا صعد الكرسى سمع حديثه القريب كالبعيد حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعونه كالذين بزاويته ، وكان الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط ، ومنها أنه كان إذا سأله إنسان أن يكتب له أعوذة يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد ، ففعل يوما ذلك لرجل فغاب عنه مرة جاءه بها ليكتب له ممتحنا ، فلما نظرها قال : يا ولدى هذه مكتوبة وردها إليه ، ومنها : أن رجلين تحابا فى اللّه اسم أحدهما معالى والآخر عبد المنعم فخرجا يوما للصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة فأتيا إلى صاحب الترجمة بها ولم يخبراه بالقصة ، فنظر إليها ثم خر ساجدا وقال : الحمد اللّه الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة ، فقيل له : هذه بيضاء فقال ،أى أولادى يد القدرة لا تكتب بسواد ، وهذه مكتوبة بالنور ، ولما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة النبوية وأنشد :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى فهى نائبتى
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظي بها شفتى

فخرجت اليد الشريفة من القبر حتى قبلها والناس ينظرون ، وأخبر بوقت موته وصفته فكان كما قال ، وأحضر إليه مريض ليدعو له فقال : وعزة العزيز لأحمد كل يوم عليه مائة حاجة مقضية فقيل له : تكون واحدة لهذا المريض فقال: أتريدنى أكون سىء الأدب لى إرادة وله إرادة ألا له الخلق والأمر ، ثم قال : المتمكن إذا سأل حاجة وقضيت نقض تمكنه ، والدعاء عقب الصلاة تعبد وامتثال ، والدعاء له فى الحاجات شروط ، وهو غير هذا الدعاء ثم بعد يومين

شفى المريض ، وأراد شراء بستان فأبى صاحبه أن لا يبيعه إلا بقصر فى الجنة فأرعد وتغير واصفر ثم قال : قد اشتريته منك بذلك ، قال : اكتب لى خطابا فكتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد الرفاعى ضامنا على كرم اللّه تعالى له قصرا فى الجنة يحف به حدود أربع ، الأول لجنة عدن الثانى لجنة المأوى الثالث لجنة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره وولدانه ؛ وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضا له عن بستانه فى الدنيا ، واللّه شاهد على ذلك وكفيل . فلما مات إسماعيل دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، وله فى الطريق كلام عال ، فمنه ما قال الزهد : أول قدم القاصدين إلى اللّه فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصح له شىء مما بعده من المقامات ، وقال : لا يصح الأنس باللّه إلا لمن كملت طهارته واستوحش من كل ما يشغله عن اللّه .

وقال : التوحيد وجدان فى القلب عظيم يمنع من التعطيل والتشبيه ، وقال : بلغت إلى مقام إن عصيت قلبى فيه عصيت اللّه ، وقال : من كان سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم ، ومن لم يكن فى خدمة ربه فهو من أنسه فى وحشة .

وقال : علامة الأنس باللّه الوحشة من جميع الخلق الأولياء ، فإن الأنس بهم أنس به .

وقال : من توهم أن عمله يوصله إلى مأموله الأعلى فقد ضل طريقه .

وقال : قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلته .

وقال : أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها ، وأشر منه طلب العوض على العمل .

وقال : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات .

وقال : العبودية الوفاء بالوعود والحفظ للعهود ، والرضا بالموجود

والصبر على المفقود .

وقال : علامة الأنس رفع الحجب بين القلوب وبين علام الغيوب .

وقال : المحبة أغصان تزرع فى القلب فتثمر على قدر العقول .

وقال : إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبها فأدبها بمجالسة الحكماء من أهل خاصته .

وقال : من لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلاك ، والخاسر الشقى المطرود المحروم من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد .

وقال : كل من ادعى المشيخة ولم يقم الفقير غنيا من عنده والغنى فقيرا فليس على شىء .

وقال : لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك .

وقال : من ظن بأحد فتنة فهو المفتون .

وقال : استحسان الكون على العموم دليل على صحة المحبة ، واستحسانه على الخصوص يورث الظلمة .

وقال :إذا تمكنت الأنوار فى السر نطقت الجوارح بالبر .

وقال : أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت وأف لحسراتها إذا أدبرت ، والعاقل لا يركن لشىء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة .

وقال : لا تلتمس تقويم من لا يتقوم ولا تأديب من لا يتأدب .

وقال : من ألزم نفسه مالا يحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه .

وقال : الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها فيلقيها إلى اللسان

فينطق بها لسان الأحمق .

وقال : المعرفة أن تعرف اللّه بكمال الربوبية وتعرف نفسك بنعوت العبودية ، وتعلم أنه تعالى أول كل شيء وبه يقوم كل شيء وإليه يصير كل شيء وعليه رزق كل شيء .

وقال : من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم ومن أريد به الخير دل على الطريق ، فطوبى لمن كان قصده وبه دون غرض من أغراض الكون .

وقال : من استغنى باللّه أحوج الخلق إليه ، ومن افتقر إلى اللّه أغناه به عما سواه .

وقال : من التذ بسماع الملاهي فقد خلا قلبه من الخوف ؛ لأن الخوف يدفع عن القلب الغفلات والشهوات .

وقال : عجبت لمن له طريق إلى ربه كيف يعيش مع غيره وهو يقول : « وأنيبوا إلى ربكم » .

وقال : جبلت الأرواح في الأرواح فهي تعلو أبدا إلى محل الفرح ، وخلقت الأجساد من الأكماد فلا تزال ترجع إلى كمدها من طلب هذه الفانية والاهتمام بها ولها .

وقال : من توكل على اللّه أدخل قلبه الحكمة وكفاه كل هم وأوصله إلى كل محبوب .

وقال : آية الولي وكرامته رضاه بما يسخط العوام من مجاري المقدور.

وقال : من خدم اللّه لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته وأبدى طمعه وقبيح بالعبد أن يخدم ربه لغرض .

وقال : من سكن لغير اللّه أهمله وتركه ، ومن سكن إليه قطع عنه طريق السكون لغيره .

وقال : علامة رضا الله عن عبده انبساطه فى الطاعة وتثاقله فى المعصية .

وقال : الفقر لباس الأحرار والفناء بالله لباس الأبرار .

وقال : من قابله بالأعمال قابله بعذله ، ومن قابله بإفلاسه قابله بفضله ولا عمل أتم من الصدق ولا أتم ولا أنور ولا أبلغ من الصدق .

وقال : إذا بدت الحقائق سقطت آثار العلوم والفهوم ويبقى لها الرسم الجارى بمحل الأمر وسقط عنه حقائقها .

وقال : من قال الله أكبر وفى قلبه شىء أكبر منه فقد أكذب نفسه على لسانه .

وقال : كن شريف الكلمة فإن الهمم تبلغ بالرجل مقام القرب والنجوى .

وقال : لو خطا رجل من قاف إلى قاف كان جلوسه أفضل .

وقال : الرجل المتمكن إذا قضيت له حاجة فى الدنيا نقص تمكنه درجة .

وقال : إياك ورؤية نفسك على الأحزان ، فمن رأى نفسه عليهم لا تقال له عثرة .

وقال : إذا صلح القلب صار مهبط الوحى والأسرار والأنوار والملائكة ، وإذا فسد صار مهبط الأباطيل والظلم والشياطين .

وقال : إذا صلح القلب أخبرك عما وراءك وأمامك ، وإذا فسد حدثك بأباطيل يغيب معها الرشد وينتفى معها السعد .

وقال : شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر، فلا يضع فى كل نفس إلا أعز ما يصلح له .

وقال : كل أخ لا ينفع فى الدنيا لا ينفع فى الآخرة .

وقال : طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء : لا تسأل ولا ترد ولا تدخر .

وقال : من غضب لنفسه تعب ، ومن سلم أمره إلى مولاه نصره من غير أهل ولا عشيرة .

وقال : ما من ليلة إلا وينزل فيها نثار من السماء يفرق على قلوب المستيقظين .

وقال : واللّه مالى خيرة إلا فى الوحدة فيا ليتنى لم أعرف .

وقال : ما وقف أحد مع الخلق فى عبادته إلا سقط من عين رعاية اللّه .

وقال : إياكم وتعاطى أسباب الشهوة والفرح بالمعتقدين فكم طيرت قعقعة النعال حول الرجال من رأس ، وكم أذهبت من دين .

وقال : إذا تمكن العبد ويلغ محل القرب من اللّه صار الحق يرضى لرضاه ويغضب لغضبه .

وقال : القطب الغوث يطلعه اللّه على غيبه فلا تثبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بعلمه .

وقال : لا يحصل لعبد مقام الصفاء حتى لا يبقى فى قلبه خبث ولا بغض لمؤمن ، وهناك يأنس به الطير والوحش ولا يفر منه .

وقال : سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر اللّه والشفقة على خلقه . وكان لا يجمع بين قميصين شتاء وصيفا ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلة واحدة ، ويصلى كل يوم أربعمائة ركعة بألف ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾، ويستغفر كل يوم ألفين يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، وقيل له : كيف الطريق إلى اللّه ؟ فقال للسائل : أبشر فشوقك إليه أزعجك بطلب دليل يدل عليه .

وقال : ظلمة الطبع تمنع أنوار المشاهدة .

وقال : كم من مسرور سروره بلاؤه ، وكم من مغموم غمومه نجاته .

وقال : من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله فلينظر قدر هيبته عنده وفى خدمته .

وقال : من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها .

وقال : من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله .

وقال : من ذل فى نفسه رفع الله قدره ، ومن أعز فيها أذله الله فى أعين عباده .

وقال : لا شىء أضر بالمريد من مسامحته لنفسه فى ركوب الرخص وقبول التأويلات .

وقال : قربك منه بلزوم الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق .

وقال : الرجاء ارتياح القلب لرؤية كرم المرجو ، والزهد سلو القلب من الأسباب ونفض الأيدى من الآمال .

وقال : التبرؤ من الدنيا فى الخروج منها ، ووجود الراحة الاكتفاء بالبلغة ، وترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود .

وقال : المذكور واحد والذكر مختلف ومحال قلوب الذاكرين متفاوتة وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم لحديث : من أطاع الله فقد ذكره وإن قلت صلاته إلى آخره .

وقال : القلب مصف وهو محل الأنوار ، وموارد الفوائد من الجبار وبه يصح الاعتبار ، جعله الله أميرا فقال ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾[١] ثم جعله أسيرا فقال « وأن الله يحول بين المرء وقلبه »[٢] .

(١) سورة ق : آية ٣٧ . (٢) سورة الأنفال : آية٢٤ .

وقال : الدنيا ما دنا من القلب وشغله عن الرب .

وقال : ما حياة القلب إلا فى إماتة النفس .

وقال : الاستهانة بالأولياء من قله المعرفة بالله . وقال : إذا أوصلك ى مقام ومنعك حرمة أهله والالتذاذ بما أوصلك الله إليه فأنت مغرور .

وقال : ما استصغرت أحدا إلا وجدت نقصا فى دينى ومعرفتى. وقال : أس مالك قلبك ووقتك وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت وقتك بما لا منيك فمتى يربح من خسر رأس ماله .

وقال : الطريق إلى الله صعب إلا على من دخله بوجد صادق غالب شوق مزعج فيهون عليه حمل الأثقال وركوب الأهوال .

وقال : الشهوة أغلب سلطان على النفس فلا مزيل لها إلا خوف مزعج و شوق مقلق .

وقال : اليقين ثمرة التوحيد ، من صفا توحيده صفا يقينه .

وقال : من أسكن نفسه شيئا من محبة الدنيا فقد قتلها سيف الطمع .

وقال : من جد وجد ، وبالاعتقاد يحصل علم الحقيقة ، وبالاجتهاد يتفق سلوك الطريقة . مات ، رضى الله عنه ، ببلده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ولم يعقب ، وإنما المشيخة لابن أخته ، رضى الله تعالى عنهم ، ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة .

(٤١١) أبو العباس بن العريف الصنهاجى (١)

شيخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنهما ، كان من أكابر الأعيان ، ومن أعاظم أهل هذا الشأن ، صوفى همى على المريد سخاؤه وأنار فى أفق

الطريق شهابه . وكان يقول فى دعائه : اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ولم تسد باب الولاية . اللهم مهما عينت أعلى رتبة فى الولاية لأعلى ولى عندك فاجعلنى ذلك الولى . قال تلميذه العارف ابن عربى رضى اللّه عنه : فهذا من المحققين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقا لهم . ومن نظمه :

قد تاب أقوام كثير وما   تاب عن التوبة إلا أنا

ولقى فى سياحته بعض الأبدال وهو يمشى على وجه الماء ، فأخذ يذكر له ما الناس عليه من فساد أحوال الملوك والرعايا فغضب البدل وقال : مالك وعباد اللّه لا تدخلن بين السيد وعبده ، فإن الرحمة والمغفرة والإحسان لهؤلاء ، أتريد أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ؟ اشتغل بنفسك ، وليكن نظرك إلى اللّه تعالى وشغلك . قال العارف ابن عربى ، رضى اللّه عنه : وقد دخلت على شيخنا هذا وأنا فى مثل هذا الحال فى بدايتى وقد تكدر على وقتى لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال : عليك باللّه ، فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا ابن عربى رضى اللّه عنه فقال : عليك بنفسك ، فقلت : يا سيدى حرت بينكما أبو العباس يقول : عليك باللّه ، وأنت تقول عليك بنفسك ، فبكى ، وقال : الذى ذلك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع وكل منا ذكر ما بقتضيه حاله ، وأرجو اللّه أن يلحقنى بمقامه ، فرجعت إلى أبى عباس وذكرت له مقالته فقال : قد أحسن في مقالته ، هو دلك على الطريق وأنا دللتك على الرفيق فاعمل بماقال لك وبما قلته لك تجمع بينهما ، وكل من لايصحب الحق فى سفره فليس علي بينة من سلاماته . وكان يسأل شهوة الحب لا الحب ، وسئل عن حد المحبة فقال : الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلا التستر فلا تحد . وقال : سألت بعض المشايخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عنى فكررته ثلاثا فقال : لا تقل هكذا أظنك تسأل عن أول قدم يضعه المريد فى الإرادة ؟ قلت ن: عم ، قال :ذا اجتمع فيه أربع خصال تطوى له الأرض فتكون عنده كقدم واحد ويمشى على الماء ويأكل من الكون متى أراد ، ولاترد له دعوة ، فعند ذلك يضع أول قدم فى الإرادة ، وقال : وأما متى

علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد الإرادة ، فقلت له : ألسنا من الإرادة يا أبا القاسم ؟ وقال : إذا أراد الله تعالى أن يهيىء عبده للإمامة والاقتداء شغله فى أيام غفلته بعلم الظاهر من القرآن والحديث والفقه والعربية ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات ، فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم ، وسمع : السلام عليكم يا عبادى ، وأنشد لنفسه :

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبة ولولاك لم يطبع عليك ختامه
فإن غبت عند حل فيه وطنبت على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه

(٤١٢) أبو عبد الله الغوال المغربى(١)

شيخ العارف ابن عربى ، رضى الله عنهما ،نجد ساحله لا يتوصل إليه ، وحبر لواء الولاية معقود عليه ، وعارف على المعرفة جبل ، وصوفى تضرب إليه أكباد الإبل ، خبر زهده معروف وسرى مجده موصوف كان قاطنا بألمرية . قال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : وهو من أقران الشيخ أبى مدين ، رضى الله عنه ، فى زمانه .

قال : وقال لى أبو عبد الله : كان يحضر مجلس شيخنا أبى العباس ابن العريف ، رضى الله عنه ، رجل لا يتكلم فإذا فرغ الشيخ خرج فلا يراه إلا فى المجلس ، فوقع فى نفسى منه شىء فأحببت أن أعرفه وأعرف مكانه ، فتبعته يوما من حيث لا يشعر ، فلما كان فى بعض الشك إذا بشخص تلقاه من الهوى وانقض عليه انقضاض الطائر بيده رغيف فناوله إياه وانصرف فجذبته من خلفه ،

---

(١) لعله هو « أبو عبد الله العربى » الذى وردت ترجمته فى الغبرينى ، عنوان الدراية ص ٤٩ ـ ٥١ .

فقلت : السلام عليك فعرفني فرد السلام ، فسألته عن الذى ناوله الرغيف فتوقف ، فلما علم أنني لا أبرح إلا أن عرفه لي ، قال : هذا ملك الأرزاق يأتيني كل يوم من عند الله بما قدر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربى وقد لطف الله بى في ابتداء أمرى ، كنت إذا فرغت تعقبني وقع على من الهوى قدر ما أحتاجه فأنفق منه ، فإذا فرغ جاءنى مثله لكن ما كنت أرى شخصاً .

(٤١٣) أبو القاسم الزاهد المعروف بالاقطع[١]

كان فقيهاً عابداً زاهداً عالما عارفا ورعا منجمعا ، طاهر اللسان ، وافر الإحسان ، لطيف الذات معرضا عن اللذات ، سمع الحديث عن جماعة وأخذ الفقه والتصوف عن آخرين .

وله كرامات منها ما حكاه أبو طاهر المغربي قال : بت بجامع مصر ، وإذا بقائل يقول : قم فقد دخل أبو القاسم الذى إذا أقسم على الله أبره ، فقمت فإذا هو داخل من الباب قلت :ادع لي قال : لا أحلك الله على غيره ، فما كنت أدرى من أين يأتيني قوتي بعد ذلك اليوم ، ومنها أنه لما مات وغسله الغاسل رفع يده فوضعها على عورته ، وكان يتقلب باختياره إذا أراد تقليبه ، وأخذ أهل مصر ماء غسله فعملوه في الكحل فكان كل أرمد اكتحل منه يبرأ . وجاء الطير فظل على نعشه ورفرف عليه ولم ير قبل ذلك عليه إلا للمزنى وذى النون ، رضى الله عنهما ، ولم يزل كذلك حتى دفن ، رضى الله عنه . مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ودفن بالقرافة بقرب قبر عقبة الجهنى[٢] .

---

(١) السخاوى الحنفى ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

حرف الباء الموحدة

(٤١٤) بقا بن بطو[1]

العارف الكبير من جلة مشايخ العراق . انتهت إليه تربية المريدين بالاستحقاق وقصد للأخذ عنه من الآفاق ، وكان عظيم الجناب رافعاً للأسباب ، ويعتزل ويختلى المدد بعد المدد ولا يطلب من أحد شيئا من المدد ، وقد قيل : التصوف الإناخة على باب الحبيب وإن طرد ، قال فى حقه العارف الجيلانى ، رضى اللّه عنه ، كل المشايخ أعطوا بالكيل إلا بقاء أعطى جزافا وانتهت إليه رياسة ما وراء النهر . أخذ عنه خلق كثير وقصد للزيارة وبالنذور .

(ومن كلامه) : الفقر تجرد القلب من علائق الدارين ثقة باللّه ، وعلامة صحة تجرده أن يتغير حاله بوجود الأسباب وفقدها .

وقال : من أنصف الناس من نفسه وقبل النصح من درنه أدرك شرف المنازل .

وقال : من لم يجد له من قلبه زاجرا فهومن إخوان الشياطين وقلبه خراب.

وقال : من لم يستعن باللّه على نفسه صرعته . مات سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

حرف الجيم

(٤١٥) جاكير الكردى العراقى[2]

العابد الزاهد أجمع مشايخ العراق على تعظيمه وتقديمه ، وكان صاحب

---

(١) طبقات الشعرانى ١٢٦/١ ، والنبهانى ، ٣٦٧/١ .

(٢) طبقات الشعرانى ١٢٨/١ ، والنبهانى ، ٣٧٨/١ .

أحوال وتأله ، صحب الشيخ على الهيينى وغيره ، وجاكير لقب واسمه محمد بن دسم الجيلى ، لم يتزوج قط ويذكر عنه كرامات وخوارق ، وكان تاج العارفين أبو رجاء يبالغ فى تعظيمه ، وكان مشايخ العراق يقولون : انسلخ جاكير من نفسه كما تنسلخ الحية من جلدها . وكان يقول : ما أخذت العهد على مريد إلا بعد أن رأيت اسمه فى اللوح المحفوظ أنه من أولادى .

وقال : من شاهد الحق بقلبه سقط الكون من شهوده .

وقال :أوتيت سيفا ماضى الحد أحد طرفيه بالمشرق والآخر بالمغرب ، مات بعد الخمسين وخمسمائة .

حرف الحاء المهملة

(٤١٦) حسن بن عتيق القسطلانى[(١)]

من أكابر العلماء العالمين ، ووجوه الأولياء الصالحين ، صوفى محمود الآثار . سادت بمناقبه الأخبار ، كانت له دعوة مجابة . وكان يقول : الجاهل يتعلق بأسباب الدنيا والورع الذى لا يرغب إلا فى الآخرة . وحكى أنه ركب مع جماعة البحر المالح فمروا على امرأة سوداء فى بعض الجزائر لا تحسن الصلاة بل تقوم فتتكلم فيها بكلام الآدميين ثم تركع وتسجد ، فقال لها أهل السفينة : ليست الصلاة هكذا ، فقالت علمونى فعلموها الفاتحة والركوع والسجود ، فلما جرت السفينة لحقتها المرأة تجرى على وجه الماء كما يجرى الإنسان على الأرض وهى تصيح تقول : علمونى فقد نسيت فقالوا لها : ارجعى وافعلى كما كنت تفعلين . مات سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ودفن بالقرافة[(٢)]. قال بعض الصالحين : كنت أرى عند قبر ابن عتيق الأبدال .

---

(١) النبهانى ، ١/٣٩٥ .

(٢) السخاوى الحنفى .

طريقة عجيبة مع الله فى ذلك الجلوس فإنه ما كان يرد يؤتى به إليه كالشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، لكن عبد القادر كان أنهض شيئا فى الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له : يا أبا مدين لم لا تحترف أو لم لا تقول بالحرفة ؟ قال : أقول بها قيل له : لم لا تحترف قال : الضيف عندكم إذا نزل بقوم كم توفيه زمن وجوب ضيافته ؟ قالوا ثلاثة أيام ، قال : وبعدها ، قالوا يحترف ، قال الله أكبر انصفونا نحن أضياف ربنا نزلنا عليه فى حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد تعينت الضيافة ، فإنه تعالى ما دل على خلق كريم لعبد إلا كان هو أولى بالاتصاف به ، وأيام ربنا كما قال تعالى كل يوم كألف سنة مما تعدون . فضيافته بحسب أيامه ، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت ولا نحترف ، توجه اعتراضكم علينا ونحن نموت وتنقضى الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا ، فاستحسنه المعترض فانظر فى هذا النفس إن كنت منهم ، ثم قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : ذهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل قاف فمررنا بالحية المحدقة به فسلمنا عليه فردت ، وقالت : ممن أنتم ؟ قلنا : من بجاية ، قالت : ما حال أبى مدين مع أهلها قلنا : يرمونه بالزندقة ويؤذونه ، قالت : عجبا لابن آدم كيف يؤذى ولى الله ، ما ظننت أنه تعالى يوالى عبداً من عباده فيكرهه أحد . قال العارف الخواص رضى الله عنه : كان مذهب الشيخ رضى الله عنه تقريب الطريق على المريدين ونقلهم إلى محل الفتح من غير أن يمرنهم على الملكوت خوفا عليهم من تعشق نفوسهم بعجائب الملكوت . ودخل على أبى مدين رضى الله عنه رجل فقال : الفرنج نصروا على المسلمين ، فقال صدق الله ولم يتأثر أصلا ، فعجب الحاضرون من عدم تأثره فمد أصبعيه وأشار إلى أحدهما وقال : هذا الهادى والى الآخر ، وقال : هذا المضل ثم وضع أصبعه على موضع اجتماعهما من ظاهر كفه وقال : قلبى هنا معناه أن من كان قلبه مع الله لم يختلف عليه معانى الأسماء ، ووقع له فى سياحته أنه دخل على عجوز فى مغارة فأقام عندها فجاء ابنها آخر النهار فسلم عليه فقدمت العجوز سفرة فيها

صحن وخبز ، فقعد الشيخ والابن يأكلان فقال : تمنيت لو كان هذا كذا ، فقال :
سم الله وكل ما تمنيت فلم يزل بعدد التمني وهو يقول مقالته الأولى واللون الواحد
يتقلب ألوانا كثيرة ويجد طعم ما يتمنى . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه :
كان شيخنا أبا مدين رضى الله عنه إذا جاءه مأكول طيب أكله أو خشن أكله ،
وإذا جاع وجاءه فقد علم أن الله تعالى خيره إذ لو أراد أن يطعمه أى صنف أراد
من المأكول جاء به إليه فينظر فى ذلك الوقت ما هو الأحب إلى الله من المأكول
بالنظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى غرض النفس . وكان إذا خطر له خاطر فى
نفسه وجد جوابه مكتوبا فى ثوبه الذى عليه ، فخطر له يوماً أن يطلق امرأته
وكان بحضور العارف أبى العباس الخشاب فرأى مخطوطا فى ثوب الشيخ :
أمسك عليك زوجك ، قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : وكان شيخ الشيوخ
أبو مدين رضى الله عنه يرى المناسبة بين الأشياء ويقول بها ، فاتفق أن علق
خاطره بالغير فماشاه شخص وهو على ذلك الخاطر فاستوحش للشيخ فسأله فإذا
هو مشرك . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : شيخنا أبو مدين من
الثمانية عشر نفسا الظاهرين بأمر الله عن أمر الله ، لا يرون سوى الله فى
الأكوان ، وهم أهل علانية وجهر مثبتون للأسباب وخرق العوائد عندهم عادة
﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾[1] قال : وكان يقول لأصحابه اظهروا للناس ما عندكم من
الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة ، واظهروا بما أعطاكم الله من نعمة الظاهرة
يعنى خرق العوائد والباطنة يعني المعارف فإنه تعالى يقول : ﴿ وأما بنعمة ربك
فحدث ﴾[2] وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا فى عالم الشهادة .
وقال فى موضع آخر شيخنا أبو مدين رضى الله عنه : الغالب على قلبه وبصره
مشاهدة الحق فى كل شىء ، فكل حال عنده أعمال فتعلن بالصدقة كما يذكره فى
الملأ فإن من ذكره فى الملأ فقد ذكره فى نفسه ، فإن ذكر النفس متقدم بلا شك

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

(٢) سورة الضحى : الآية ١١ .

حرف الشين المعجمة

(٤١٧) شعيب المغربى الشيخ أبو مدين [١]

الأستاذ الأعظم العارف الأفخم عظيم الأكابر رأس الصوفية فى وقته ، ورئيسهم المشهور علم نعته زاهر ، زاهد مراقب مشاهد ، يقصد ويزار من جميع الأقطار ، وببنان العرفان إليه يشار ، يوصل ويقطع ويخفض ويرفع ، ولد ببجاية ونشأ بها واشتهر حتى ملأ الآفاق وصار إمام الصديقين فى وقته بلا شقاق ، وأخذ عنه الكبراء كالعارف ابن عربى رضى الله عنه . وقال : كان سلطان المؤادبين ، ومكث فى بيته سنة لا يخرج فاجتمع الناس ببابه يسألوه أن يتكلم عليهم وألزموه فخرج ففرت منه عصاقير على سدرة بداره فرجع ، وقال : لو صلحت للحديث عليكم ما فر منى الطير ولا الوحش ، فرجع فمكث سنة فأتوه فخرج فلم تفر منه فتكلم عليهم وترك الطير تضرب بأجنحتها وتصفق حتى مات منها كثير ومات رجل ممن حضر ، وكان الشيخ أميا وعلوم الأمى تأتى خالية من الإشكال . وقال العارف ابن عربى ، رضى الله عنه : كان حاله وقت التجريد وعدم الادخار ، اتفق له أنه نسى فى جيبه دينارا ، وكان كثيرا ما ينقطع فى جبل الكواكب وكانت هناك غزالة تأتيه فتدر عليه لبنها فيكون ذلك قرته ، فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة على عادتها وهو محتاج إلى الطعام فجاء ليشرب من لبنها فنفرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها وكلما مد يده إليها نفرت منه ، ففكر فى سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه ورماه فجاءته الغزالة وأنست به ودرت عليه ، قال :أعنى العارف ابن عربى رضى الله عنه ، كان شيخنا أبو مدين رضى الله عنه قد ترك الحرف وجلس مع الله على ما يفتح له ، وكان على

---

(١) التشوف إلى رجال التصوف ص ٣١٦ ؛ وسلوة الأنفاس ١/٣٦٤ ؛ وجذوة الاقتباس ص ٣٣٢ ؛ ونيل الابتهاج ص ١٢٧ ، وطبقات الشعرانى ١/١٥٤ ؛ وتعريف الخلف برجال السلف ٢/١٧٢ ؛ والشذرات ٤/٣٠٣ ؛ وعنوان الدراية للغبرينى ٢٢ ـ ٣٢ ، وقد أفرده ابن قنفذ القسنطينى فى كتابه المسمى « أنس الفقير وعز الحقير » الرباط ، ١٩٦٥ .

وما كل من ذكره فى نفسه ذكره فى الملأ .

فهذه حالة زائدة على الذكر لها مرتبة تفوق صاحب ذكره النفسى لا يطلع عليه فى الحالين فهو سر بكل وجه ، فصدقة الإعلان تؤذن بالاقتدار الإلهى ، فمن يخفيها أو يسرها وهو الظاهر فى المظاهر الإمكانية . فهذه كانت طريقة شيخنا . وكان يقول ﴿ قل اللّه ثم ذرهم ﴾ ﴿ أغير اللّه تدعون ﴾[1] قال : وكان يقول لأصحابه أعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة اللّه هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصى ولا يستحيون من اللّه . وكان يقول فى قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾[2] الآية فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن وإلى ربك فارغب فى الدوام ، وإذا دخلت فى عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل : ياليتها كانت القاضية ، وقال إنما فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد؛ لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام به منها فيكتب من صلاة عشرها ومن صلاة ثلثها ونصفها وغير ذلك أى كما فى الحديث فيرتفع للجميع صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض ، فيعيد اللّه بركة الكمال والاتمام على الجماعة فيكتب لكل واحد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع . وقال : كان الأمر بسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام عن إغضاب خفى لا يشعر به كل أحد ، فكان كالكفارة لما وقعوا فيه من تزكية نفوسهم وتجريح آدم ، عليه السلام . وقال : من قال التمر ولم يجد حلاوته فى فمه فما قال التمر ، وذلك أن حالة الشهود يتحد الوجود فى شهود الشاهد بكل موجود فيرى كل شيء .

(ومن كلامه) : ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها .

وقال : من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة دعته لذلك ، فهو مفتون وكل من ادعى مع اللّه حالة ليس على ظاهره منها شاهد فاحذروه .

وقال : الدنيا جرادة ورأسها حبها فإذا قطع رأس الجرادة حلت .

(١) سورة الأنعام : آية ٤٠ .

(٢) سورة الشرح : آية ٧ .

وقال : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الباء مكتوبة عليها .

وقال : ما وصل إلي مقام الحرية من بقيت عليه من نفسه بقية .

وقال : كل فقير الأخذ إليه أحب من العطاء لم يشم للفقر رائحة .

وقال : من لم يصلح لخدمته شغله بالدنيا ومن لم يصلح لمعرفته شغله بالآخرة .

وقال : من لم يخلع العذار لم ترفع له الأستار .

وقال : كل فقير لا يعرف زيادته من نقصه فليس بفقير .

وقال : نسيان العبد للحق ، تعالى طرفة عين خيانة تستحق العقوبة .

وقال : الحضور من الحق جنة ، والغيبة عنه نار ، والقرب منه لذة ، والبعد عنه حسرة وموت ، والأنس به حياة .

وقال : من قطع موصولا بحضرة ربه قطع به ومن أشغل مشغولا بربه أدركه المقت في الوقت .

وقال : شرط العارف أن يتحكم فيما بين العرش والفرش .

وقال : الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بأطرافه وأنار باطنك بإشرافه .

وقال العارف ابن عربى رضى الله عنه : كان شيخنا أبو مدين رضى الله عنه يقول : من علامة صدق المريد فى إرادته فراره عن الخلق ، ومن علامة فراره عنهم وجوده للحق ، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق ، فهذا هو حال الوارث للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلي اللّه فيه ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه حتى فجأه الحق فبعثه الله رسولا مرشدا لعباده . فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته ومثله يسمى وارثا ، فالوارث الكامل من ورثه علما وعملا وحالا . ولما علم الخضر رتبة موسى عليهما السلام وعلو قدره بين الرسل امتثل ما نهاه عنه طاعة لله ولرسوله فإنه تعالي قال : ﴿ وما آتاكم

الرسول فخذوه ﴾[١] الآية ، فقال له فى الثانية : ﴿ إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى ﴾ فقال سمعا وطاعة ، فلما كانت الثالثة وسأله نسى موسى عليه السلام حالة قوله : ﴿ إنى لما أنزل إلي من خير فقير ﴾، ولما طلب الإجارة على سقايته مع الحاجة فارقه الخضر عليه السلام ، وبعد ما أبان له علم ما أنكر عليه ثم قال : ﴿ وما فعلته عن أمرى ﴾ لأنه كان شرعه من ربه ومنهاج فى زمانها بخلاف حاله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كل الصيد فى جوف الفراء .

(ومن كراماته) أن الوحش كان يذل له فإذا رآه ارتعد لهيبته ، ومر بحمار أكل السبع نصفه وصاحبه ينظر من بعد فذهب بصاحب الحمار إلى الأسد وقال : امسك بأذنيه واستعمله مكان حمارك حتى يموت فركبه واستعمله سنين حتى مات . ورأى بعض الأولياء إبليس فقال له : كيف حالك مع أبى مدين ؟ قال : ما شبهته فى نفسى إليه فى قلبه إلا كشخص بال فى البحر المحيط فقيل : لم تبول فيه ؟ قال : لأنجسه ، فلا تقع به الطهارة ، فهل رأيتم أجهل من هذا فكذا أنا ، وقلب أبى مدين رضى الله عنه كلما ألقيت فيه أمرا قلب عينه . وله تصانيف منها كتاب « أس التوحيد ونزهة المريد » . مات سنة نيف وثمانين وخمسمائة على نحو ثمانين سنة بتلمسان ، وكان آخر كلامه : الله الحى ، ثم فاضت نفسه ، رضى الله تعالى عنه ، ونفعنا به فى الدنيا والآخرة آمين .

حرف الطاء المهملة

(٤١٨) طاهر بن شعيب ابن فضل الله أبو الفتح الميهنى الصوفى[٢]

من بيت التصوف والمشيخة ، كان كبيراً فى المشايخ ذا قدم راسخ ، حلو

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ١٤٥/١٢ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٠ .

العبارة والشكالة يريح بحسن تسليكه ألم من شكى له ، يستحضر من التصوف كثيرا ويحل من غرائبه محلا أثيرا ، سافر ولقى الشيوخ منهم الأستاذ أبو القاسم القشيرى . روى بإسناده عن السلمى عن عيسى بن على بن عيسى الوزير قال : كان ابن مجاهد يوما عند أبى فقيل له : الشبلى بالباب قال : يدخل فقال ابن مجاهد : سأسكته الساعة بين يديك . وكانت عادة الشبلى رضى الله عنه إذا لبس ثوباً جديداً خرقه ، فقال ابن مجاهد يا أبا بكر : أين فى العلم إفساد ما ينتفع به قال الشبلى رضى الله عنه : فأين فى العلم ﴿ فطفق مسحا بالسوق والأعناق ﴾ ، فسكت ابن مجاهد فقال أبى :أردت أن تسكت أبا بكر فأسكتك ، ثم قال الشبلى رضى الله عنه أجمع الناس أنك مقرىء الوقت ، فأين رقى القرآن الحبيب لا يعذب حبيبه ، فقال أبى قل يا أبا بكر: ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ الآية[١] .

حرف العين المهملة

(٤١٩) عبد الله المغاور المغربى[٢]

كان كبير القدر فريداً فى وقته وحيداً فى شرف أخلاقه وحسن سمته ، من قرية من أعمال إشبيلية بقرب الأندلس ، وكان سبب رجوعه إلى طريق الله أن الموحدين لما دخلوا بلده ، رمت امرأة عليه نفسها ، وقالت : انقلنى إلى إشبيلية ونجنى من هؤلاء فأخذها على عنقه وخرج ، فلما خلا بها وكان من الشطار الأقوياء الأشداء ، وكانت المرأة ذات جمال فائق فدعته نفسه إلى وقاعها ، فقال : يا نفسى هى أمانة بيدى ولا أحب الخيانة ، وما هذا وفاء مع صاحبها ، فأبت عليه نفسه إلا الفعل ، فلما خاف على نفسه أخذ ذكره فرضه بين حجرين

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٨ .

(٢) النبهانى ، كرامات ، ١٠٦/٢ .

فانقطع ، وقال : يا نفسى النار ولا العار وخرج من حينه يطلب الحج وصار أوحد زمانه . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه : أدركته ولم أجتمع به وأقام بالإسكندرية إلى أن مات .

(ومن كلامه): آمرك بخمس وأنهاك عن خمس : آمرك باحتمال أذى الخلق ، وترك أذى الخلق ، وإدخال الراحة على الإخوان ، وأن تكون أذنا لا لسانا أى اسمع أكثر مما تتكلم ، والخامس أن تكون مع الناس على نفسك ؛ وأنهاك عن معاشرة النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وعن الدعوى ، وعن الوقوع فى رجال الله تعالى .

(٤٢٠) عبد الله بن محمد بن عبد الجبار المعروف بأبى ثور

كنى به لأنه قاتل فى فتح بيت المقدس على ثور وكان لايعدو إلا عليه .

وله كرامات ظاهرة (منها) أنه كان إذا أراد شراء شيء كتب به ورقة وجعلها فى عنق ثوره فيذهب بها إلى رجل فى حانوت فيجعل المطلوب فى عنق الثور ويرجع به إليه .

مات فى هذا القرن ودفن بقرب قبر الخليل .

(٤٢١) عبد الرحمن بن على الدمشقى الخرقى السليمى الشافعى[(١)]

كان صدرا كبيرا وشيخا بأحوال التصوف خبيرا من صحبه خلصه من أسر نفسه قهرا وأراه فى السلوك كل آية هى أكبر من الأخرى ، فمن ثم حلق طائر ذكره فى الآفاق وحام وحلى به القدس بل عظم به الشام ، وكان يقرأ كل يوم ختمة وأقعد آخر عمره فلم يقعد عزمه .

---

(١) الشذرات ، ٢٨٩/٤ .

(ومن كراماته) أنه احتاج ليلة إلى الوضوء وليس عنده فى البيت من يوضئه ، فبينما هو يتفكر إذا بنور دخل البيت من السماء فبصر الماء فتوضأ . مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

(٤٢٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم[1]

نصر أو أبو منصور ابن الأستاذ أبى القاسم القشيرى الإمام العلم بحر مغدق زخار وحبر ، هو فى زمانه رأس الأخبار إذا قيل كعب الأحبار وضرغام تقدم وإمام تقتدى به الهداة وتأتم ، غاص تلك الأصول الطاهرة غصة المورق ، وسما على الأنجم الزاهرة بدره المشرق ، ممد إذا أشرق ليل المدلهمات وأمسى ، ومصل إذا سمع الناس لكلامه فلا تسمع لهم إلا همسا ، يلتقط الدر من كلمه ، ويتناثر الجوهر من حكمه ، ويؤب المذنب عند وعظه ، ويتوب العاصى بمجرد سماع لفظه . كم من فاسق تاب فى مجلسه ودخل فى الطاعة ، وكم من كافر آب إلى الحق ساعة وعظه ، وآمن فى الساعة بمن بعث بين يدى الساعة . لو استمع له الصخر لانفلق ، ولو سمع كلامه الصقر لاستحسنه وقال : صدق ، يصدع القلب القاسى خطابه ، ويكاد يجمع عظام ذوى الغفلة النخرة عتابه ، ويشتت شمل الشياطين ما يقول ويفتت الأكباد ما يجمعه من الحق المقبول . هو الرابع من أولاد الأستاذ وأكثرهم علما وأشهرهم اسما ، تخرج على إمام الحرمين وعلى والده والشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وسمع الصابونى والبيهقى وحدث بالكثير ، وقد ذكره صاحب السياق ، أفصح المؤرخين على الإطلاق ، عبد الغافر الفارسى فقال إمام الأئمة وخبر الأمة ، وبحر العلوم وصدر القدوم ، وهو أشبه أولاد أبيه خلقا به كأنه شق منه شقا رباه والده وزقه العربيه زقا وحصل أنواعا من العلوم الدقيقة وحكما جمة من علوم الحقيقة ، ولما مات أبوه انتقل لإمام الحرمين ، ثم

(١) ابن هداية ، طبقات الشافعية ٧٣ ؛ البغدادى ، إيضاح المكنون ٢/٦٠٦ ؛ وهدية العارفين ١/٥٥٩ ؛ ومعجم كحالة ٥/٢٠٧ .

صار رأسا كبيرا يقتدى به ، وأطبق أهل العراق على أنهم لم يروا مثله فى تبحره ، عديم النظير فريد الوقت بقية أكابر الدنيا على الإطلاق ، ومن أعظم مناقبه أن شيخه إمام الحرمين نقل عنه في كتاب « الوصية من النهاية » . وقيل : إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت وكان يحب العزلة والانزواء ، وبالجملة فقد كان معظما جدا حتى عند مشايخه ، وقد أطنب شيخه صاحب « التنبيه » فى الثناء عليه .

(ومن كلامه) قال : والدى ليكن لك فى اليوم والليلة ساعة تحضر فيها بقلبك وتخلو بربك وتقول : تدارك قلبى ببسطة من إقبالك وبدرة من أفضالك .

(ومن كراماته) أنه اعتقل لسانه من آخر عمره إلا عن الذكر خاصة .

مات سنة سبع عشرة وخمسمائة وهو فى عمر الثمانين .

(٤٢٣) عبد القاهر بن عبد الله

ابن محمد بن عموية أبو النجيب السهروردى[(١)] بضم السين المهملة والراء ، نسبة إلى بلد بقرب زنجان يتصل نسبه بالصديق وهو الإمام المعظم أحد أكابر الشافعية وأعاظم مشايخ الصوفية ، ولد ببلده سنة تسعين وأربعمائة ونشأ ببغداد ، فأخذ الفقه عن أسعد الميهنى ، والتصوف عن الشهاب أخى الغزالى ، واشتهر ذكره فى جميع الأقطار بالولاية والصلاح والعبادة والزهادة والتربية والسماح ، وكان له هيبة فى النفوس وعليه وقار وناموس ، يعظمه الناس وهو لا يعبأ بأمرهم ، ولا يلتفت إلى شواظ نارهم ولهيب جمرهم . وكان ملوك العجم يهابونه بل يخدمونه ، ورزق القبول التام بين الخاص والعام ، وكان يحفظ « وسيط الواحدى » عن ظهر قلب ، وكان يسمع له دوى كدوى النحل فقيل له

---

(١) اليافعى ، مرآة الجنان ٣/٣٧٢ ؛ الشذرات ٤/٢٠٨ ؛ والبغدادى ، هدية العارفين ١/٦٠٦ ؛ والزركلى ، الأعلام ٤/١٧٤ ، وكحالة ، معجم المؤلفين ٥/٣١١ .

فى ذلك قال : لى اثنا عشر مريدا أسأل لكل واحد منهم حاجة وما أصاب مزيد دنيا وما انسلخ الشهر إلا مات أو تاب إشفاقا عليه ، وكان على غاية من التواضع وسافر إلى الشام فبعث إليه الأمراء طعاماً على رءوس الأسارى من النصارى وهم فى القيود فلما مدت السفرة أقعدهم مع الفقراء عليها وقعد معهم وأكل معهم ، وأخذ عنه الأكابر كابن السمعاني وابن عساكر وابن أخيه الشهاب السهروردى وخلق وقصد من كل قطر ، ثم هب له نسيم السعادة ودله على سواء الطريق فانعزل عن الناس وآثر الخلوة وبقى فى ابتداء أمره عدة سنين يستقى بالقربة على ظهره ويتقوت ويقوت من عنده من مريديه ، وكان له خربة يأوى إليها هو ورفقته حتى استفاضت كراماته واستبانت آياته فبنى تلك الخربة رباطا ومدرسة وأفلح بسببه خلق كثير ، وأملى مجالس وصنف لغات واتفق فى بدايته مجاهدات كثيرة واجتمع بسادات شهيرة . وحكى عن نفسه قال : كنت أدخل على شيخى وربما اعترانى بعض فتور عن المجاهدة فيقول اراك دخلت وعليك ظلمة .

(ومن كلامه) :التصوف أوله علم وأوسطه عمل ، وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد ، والعمل يعين على الطلب ، والموهبة تبلغ غاية الأمل ، وقال : أعلى المقامات عد الأنفاس حتى لا يقع له نفس واحد فى غفلة عن اللّه ، وقال يوما لأصحابه : نحن محتاجون يوما إلى نفقة فارجعوا إلى الخلوة واسألوا اللّه وما يفتح عليكم هاتوه ففعلوا فجاء رجل منهم اسمه إسماعيل البطائحى بكاغد عليه ثلاثون دائرة ، وقال : أعطيت هذا فأخذه فلم يأخذ إلا ساعة وإذا برجل دخل عليه ووضع بين يديه ذهبا فعده الشيخ فإذا هو ثلاثون ديناراً لنزل كل دائرة على دينار فإذا هو قدرها ، فقال : كلوا من فتوح اسماعيل . مات ببغداد سنة ثلاث وستين وخمسمائة وقبره بها ظاهر يزار وله مهابة وأنوار ، وله ولد اسمه عبد الرحيم أبو الرجاء وآخر اسمه عبد اللطيف ترجمها ابن السمعاني فى الذيل ، وقال ابن الملقن : ولأبى النجيب يعنى صاحب الترجمة أخ يقال له : أبو حفص عمر سمع وتفقه وتصوف واعتزل حتى مات سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

(٤٢٤) عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلانى الحنبلى[(١)]

من ذرية الحسن رضى الله عنه الذى طار ذكره فى الآفاق وأجمع على إمامته أهل الخلاف والوفاق ، كان جرىء اللسان ثابت الجأش والجنان ، وله إقدام وتمكن أقدام ، ملوكى الفتح عظيم المنزلة فى التصريف كثير الشطح ومواعظه مشحونة بلطائف ورقائق ، يرجى الرجاء منها وتخشى الصواعق ، ومجالس يثنى عليها الأئمة ولو سكتوا أثنت حدائق الحقائق ، وكان فى الفقه إماما وفى التصوف لا يسام رفقه ولا يساما ، قد تضلع من الأصول والفروع ، وتقدم علي غيره فى كل فن مشروع ، قل نظيره وعلا على أعلى الأطلس أثيره ، اعترف له بذلك كل فقهاء عصره وصوفية مصره وحسبك قول العز بن عبد السلام فى حقه : بلغت الإمامة مبلغ القطع . ولد ببغداد سنة سبعين وأربعمائة ونشأ بها حتى شب فسلك طريق القوم وجد واجتهد وكابد الأهوال حتى كان يلف على رأسه خريقة ويلبس جبته ويمشى حافيا ويتقوت بقمامة البقل وورق الخس ويجاهد نفسه بأنواع الشدائد . وأقام فى خرائب العراق خمسا وعشرين سنة لا يعرف الناس ولا يعرفونه ، وأتاه الخضر عليه السلام مرة وهو لا يعرفه فقال له : اقعد هنا آتك ، فقعد فى ذلك الموضع ثلاث سنين وأقام فى بدايته سنة لا يأكل ولايشرب ولا ينام ، واحتلم فى ليلة فى الشتاء أربعين مرة يغتسل لكل مرة ولم يزل على ذلك الحال حتى طرقه الحال فهام فى البرارى والجبال إلى أن اتصف بالكمال ورزق القبول التام عند الخاص والعام ، فكان يأتيه الخليفة فمن دونه ، وعلى عدم زيارته إياهم يعاتبونه ، فيأبى ولا يجيب ، ويبالغ بزواجر المواعظ حتى يكثر النحيب ، ولم يقم لأحد منهم قط ولا يعبأ به ولا يلتفت إليه وكان على زى العلماء يتطيلس ويركب بغله وتحمل الغاشية بين يديه ، ويجلس للوعظ على

---

(١) مؤسس الطريقة القادرية ، المتوفى سنة ٥٦١هـ ، انظر ترجمته فى فوات الوفيات ٢/٢ ؛ وطبقات الشعرانى ١٠٨/١ ـ ١١٤ ؛ والنجوم الزاهرة ٣٧١/٥ ؛ ونور الأبصار ٢٢٤ ؛ والشذرات ١٩٨/٤ ، والأعلام للزركلى ٤٧/٤ .

كرسى عـال ، وربما مشى فى الهواء على رءوس الإشهاد ثم عـاد ، وكان مع ذلك يجلس مع الفقراء ويفلى لهم ثيابهم ، وله المنزلة العظمى فى قلوب الكافة تخرج به رجال كثيرون وورث مقامه ابن شبل رضى اللّه عنه من رجال اللّه رجل واحد وقد يكون امرأة فى كل زمان آيته (وهو القاهر فوق عباده)[1] له الاستطالة على كل شىء سوى اللّه . شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا . قال وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلى رضى اللّه عنه ببغداد ، وكان له الصولة والاستطالة على الخلق بحق كبير الشأن مشهور الذكر لم ألقه وقد درج اهـ .

قال زورق رضى اللّه عنه : صرح بالقطبانية وظهر برهانها عليه . ولما قال محمد بن قائد على ما ستجىء حكايته فى ترجمته : رأيت فى دخولى عليه أثر قدم أمامى تعرت فقيل : لى هذا قدم نبيك إلى آخره . وسئل عن عبد القادر رضى اللّه عنه فقال ما رأيته فى الحضرة ؟ فقيل :ذلك لعبد القادر رضى اللّه عنه فقال : كنت في المخدع ومن عندى خرجت له النواله يعنى الخلعة . قال العارف ابن عربى : وكان كما قال دائما فى المخدع ولم يسم المكان وعينه بهذا الاسم ليعلم بخادع اللّه محمد بن قايد حين حكم بأنه ما رأى عبد القادر رضى اللّه عنه فى الحضرة فى معرض التباسه عليه ، فإن حضرة ابن قائد فى هذه الواقعة حضرته الخاصة به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعا . وقول عبد القادر رضى اللّه عنه من عندى خرجت له النوالة يدل على أنه كان شيخه فى تلك الحضرة وعلى يده استفادها ، وجهل ذلك ابن قائد فإن الرجال فى ذلك كانوا تحت عبد القادر فيما حكى الناس أحواله وأحوالهم .وكان يقوله عن نفسه فيسلم له حاله ، فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه فإنه كان ذا حال ربانية مؤثرة مدة حياته لم يكن صاحب مقام ، وما انتقل إلى حال أبى السعود رضى اللّه عنه وإن كان

(١) الأنعام ، ١٨ و٦١ .

تلميذه إلا عند موته ، وهى الحالة الكبرى ، وكانت هذه الحالة مستصحبة لأبى السعود رضى اللّه عنه طول حياته ، فكان عبدا محضا لم تشب له عبوديته إلى هنا انتهى كلامه رضى اللّه عنه . قال فى موضع آخر : قد رأينا فى رجال الروائح جماعة وكان عبد القادر الجيلى ، رضى اللّه عنه ، منهم يعرف الشخص بالشم . جاءه ابن قائد وكان يرى لنفسه خطأ فى الطريق فشمه نحو ثلاث مرات ، ثم قال : لا أعرفك فكان تربية فى حقه ، فعلت همة ابن قائد رضى اللّه عنه حتى التحق بالأفراد .

(ومن كراماته) أنه كان أيام رضاعه لا يرضع فى رمضان فكان الناس إذا شكوا فى الهلال رجعوا إليه . وكان الذباب لا يصيبه وراثة من جده المصطفى صلى اللّه عليه وسلم ، وقعد يتوضأ فزرق عليه عصفور فرفع رأسه إليه فخر ميتا فتصدق بشوبه وقال : إن كان علينا إثم فهذه كفارته . وأقام أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء . وقال لرجل : لفلان عندك طعام وذهب جئنى بكذا : منه فقال : كيف أتصرف فى وديعة ، قال : لابد فأحسن الظن به وأتاه بما طلب فبعد مدة جاء مكتوب من مالك الوديعة وهو بالعراق أن احمل للشيخ كذا ، وعين القدر الذى أخذه الشيخ ، وكان يفتى على مذهب الشافعى وأحمد معا رضى اللّه عنهما فتعجب علماء العراق من حسن أجوبته ، وأتى يوما بفقير يزعم أنه يرى اللّه بعينه فقال : أحق ما قيل عنك فاعترف فزجره وهدده ان فاه بذلك ثم قال لحاضريه : هو محق فى قوله ملتبس عليه ، فإنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق منها لبصره منفذ فرأى بصره ببصيرته وشعاعها متصل بنور شهوده ، فظن أن بصره رأى ما شاهدته بصيرته وليس كذلك ، بل رأى بصره نور بصيرته فقط ، ورأى مرة نورا ملأ الأفق ونودى منه أنا ربك وقد أبحت لك المحرمات ، فقال اخسأ يا لعين فانقلب النور دخانا وظلاما ، فقال : نجوت منى بفقهك فى أحكام منازلاتك وقد اضللت بهذا سبعين صديقا ، فسئل : بِمَا عرفت أنه شيطان؟ قال : بقوله :أبحت لك المحرمات ، واجتمع له ببغداد مائة من أكابر الفقهاء وأتوه

لامتحانه فظهرت منه بارقة نور مرت على صدورهم فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رءوسهم فصعد الكرسى وأجاب عن جميع ما عندهم ، وسقط عليه وهو يدرِّس حية ففر من حضر ، فدخلت من ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه ، فلم يقطع كلامه ولا تغير ، ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم وانصرفت ، فسئل عنها فقال : قالت اختبرت عدة أولياء فلم أجد كثباتك ، فقلت ما أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر .

(ومن كلامه) : لا يبرأ الرجل من العجب إلا أن شاهد أموره كلها من اللّه ، وأخرج نفسه من البين .

وقال : إذا سألت ربك حاجة فتعامى عن الجهات كلها ولا تنص على جهة معينة ، فإن ربك غيور فلا يفتح لك باب فضله وأنت محجوب عنه ناظرا إلي جهة أحد من عبيده .

وقال : من طابت نفسه أن يقرأ على أحد من أقرانه أو يتلمذ له خرج من رعونات نفسه ، وذلك من أعلى رياضات النفس بل أعلى من الجوع والسهر والعزلة .

وقال : من عرف من أين جاء عرف إلى أين يصير وهنا أسرار لا تفشى .

وقال : الهمة أن يتقوَّى العبد بنفسه عن حب الدنيا ، وبروحه عن التعلق بالآخرة ، وبقلبه عن إرادته غير مراد ربه ، وبسره عن لمح الكون أو خطوره بباله .

وقال : ما دمت تراعى الخلق لا تهتدى لعيب نفسك ، وما دمت تراعى نفسك ، فأنت محجوب عن ربك .

وقال : لا يكمل الفقير إلا بتجريد التوحيد مع الوقوف على قدم العبودية ولا لشىء . وقال : احذروا ولا تأسوا ، وخافوا ولا تركنوا ، وفتشوا ولا تغفلوا ولاتضيفوا إلى أنفسكم حالا ولا مقاما ولا تدعوهما ولا تخبروا بما يطلعكم اللّه عليه من الأحوال ، فإنه ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ . وقال : لا تشكون

ضرا نزل بكم لغير اللّه ﴿ وإن يمسسك اللّه بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾[(١)] واحذر أن تشكو ضيق رزقك وعندك قوت يوم ، فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة لك عن كفرانك .

وقال : النعم واصلة إليك بالقسمة اجتلبتها أم لا ، والبلوى حالّة بك وإن كرهتها . فسلم للّه فى الكل يفعل ما يشاء : فإن أتتك نعمة فاشتغل بالذكر والشكر أو بلوى فبالصبر والموافقة وعلامتهما التلذذ والرضا بالقضاء .

وقال : لا يصلح لمجالسة الحق إلا المتطهر من وثن الزلات ولا تفتح أبوابه تعالى إلا لمن خلا عن الرعونات والدعاوى .

وقال : دوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى ليكونوا عاكفين على مناجاته .

وقال : إذا رأى الحق ميل وليه إلى أهل أو مال أراحه منهما غيرة عليه .

وقال : قد يلاطف الحق عبده ويفتح قبالة قلبه باب الرحمة والمنة فيرى بعين قلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من مطالعة الغيوب والقرب والخطاب اللطيف والوعد الجميل ونحوهما ، ثم فى لمح البصر يغير ذلك عليه ويفتح عليه باب المحن والهم والحزن فيصير متحيرا منكسراً إن تأمل ظاهره وجد ما يسوءه أو باطنه رأى ما يحزنه ، وإن سأل كشف ما به من الضر لم يجب وإن طلب الرجوع إلى الخلق لم يمكن وان عمل بالرخص تسارعت به العقوبة ، وسلط عليه بالأذى ، وإن طلب الإقالة لم يقل ، وإن رام التنعم بما به من البلاء لم يعط ذلك فيشتد البلاء ، وتأخذ النفس فى الذبول والذوبان حتى تفنى أوصاف بشريته ويصير روحا فقط ، فهناك يسمع النداء من قلبه : ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ فيرد اللّه عليه أزيد من تلك الخلع ويتولى تربيته بنفسه ﴿ فلا تعلم نفس ما

(١) سورة الأنعام : الآية ١٧ ، سورة يونس : الآية ١٠٧ .

أخفى لهم من قرة أعين ﴾ .

وقال : إنما كلامى على رجال من وراء جبل قاف أقدامهم فى الهواء وقلوبهم فى حضرة القدس تكاد قلانهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم ، ولما قال وهو جالس على منبر وعظه : قدمى على رقبة كل ولى فسمعه العارف الرفاعى رضى اللّه عنه من بلدة أم عبيدة طأطأ رأسه وقال وعلى رقبتى ، وقال : الاغترار بصفاء الأوقات فى طيه آفات .

وقال : إنما لم يخيب الحق عبده فى كل ما طلب رحمة وشفقة عليه أن يغتر بذلك فيتعرض للمكر به ويغفل عن آداب الخدمة ، وكما أنه تعالى دعا عبده إلى فعل كل مأمور فلم يفعل إلا بعضا ، ودعاه فلم يجب إلا فى بعض جزاء وفاقا .

وقال : علامة ابتلاء العبد على وجه العقوبة عدم الصبر عند البلوى والشكوى للخلق على جهة التكفير الصبر وعدم الضجر وعلى وجه رفع الدرجات الرضا والموافقة والسكون تحت جريان الأقدار .

وقال : علامة حب الآخرة الزهد فى الدنيا ، وعلامة حبه تعالى الزهد فيما سواه .

وقال : مادام فى قلب العبد شهوة لما يكرهه اللّه فهو عدوه .

وقال : كلما جاهدت النفس فى الطاعة حييت ، وكلما أكرمتها ولم تهنها فى رضاه ماتت ، وهذا معنى خبر « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

وقال : أعطانى اللّه ثلاثين عهداً وميثاقا أن لا يمكر بى ، فقيل له : فهل أمنت بعد ذلك ؟ قال :لا بل حالى بعد العهد كقبله .

وقال : المدد الإلهى موزع على المعانى ، فما فى القلب يظهر على الوجه وما فى النفس يظهر فى الملبوس ، وما في العقل يظهر فى العين ، وما

فى السر يظهر في القول ، وما في الروح يظهر فى الأدب ، وما فى الصورة يظهر فى الحركة ، وكلامه ومناقبه قد أفردت بالتأليف .

وقال فى الفتوحات وكان يقول : قدمي على رقبة كل ولى من باب التحدث بالنعمة ، فلما احتضر قال : ليت أمى لم تلدنى ، وكان تحت رأسه مخدة ، فقال : انزلوا خدى عنها وضعوه على التراب لعل الله يرحمنى ، ثم قال : هذا هو الحق الذى كنا عنه فى حجاب ، قال : أعنى العارف ابن عربى : العارف أبو السعود بن شبل رضى الله عنهما أعلى مقاما من شيخه الجيلانى رضى الله عنه ، فإنه عرض عليه التصرف فأباه ، والجيلانى رضى الله عنه تصرف وكان الأولى تركه . مات رضى الله عنه سنة نيف وستين وخمسمائة ببغداد .

(٤٢٥) عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمى الأفريقى[1]

ثم الإشبيلى الصوفى المشهور بين الأعيان بابن برجان ، تورع وتزهد وتنسك وتعبد وتقمص بالصوف وترك لبس الشفوف وسلك طريق النجاة ، وقص جناح ذوى الجناح .

قال ابن الآبار : كان عارفا بالقرآن والحديث والكلام والتحقيق والتصوف ، وبه اشتهر مع الزهد والورع والاجتهاد فى العبادة ، وله تصانيف مفيدة منها : تفسير القرآن وشرح الأسماء الحسنى . قال عبد الملك فى ذيل تاريخ ابن شكوان ، سعى عليه سعاية باطلة عند على بن يوسف بن تاشفين ، فأحضره إلى مراكش ، فلما وصل إليها قال له : لا أعيش إلا قليلا ولا يعيش الذى أحضرنى بعدى إلا قليلا فعقد له مجلس مناظرة وأوردوا عليه المسائل التى

(١) الشبكتى ، نيل الابتهاج ١٦٢ ؛ وابن الابار ، التكملة ، ٥٥٩/٢ ـ ٥٦٠ ؛ وفوات الوفيات ٢٧٤/١ ، واليافعى ، مرآة الجنان ٢٦٧/٣ ـ ٢٦٨ ، ومفتاح السعادة ٤٤١/١ ؛ وابن حجر ، لسان الميزان ١٣/٤ ـ ١٤ ؛ والشذرات ١١٣/٤ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ١٧٨/٥ و ٢٢٦ .

أنكروها فأجاب ، وخرجها مخارج محتملة مقبولة فلم يقنعوا منه ؛ بذلك لأنهم لم يفهموا مقاصده وقرروا عند السلطان أنه مبتدع فحبسه فمرض بعد أيام قليلة ومات فى الحبس سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، ومات على بن يوسف بعده فى رجب سنة سبع وثلاثين ولما قيل له : إنه مات أمر أن يطرح على مزبلة بغير صلاة عليه وأن لا يدفن بحسب ما قرره معه من طعن عليه من المتفقهين ، فاتفق أن بعض أهل الفضل لما بلغه وفاته أرسل عبداً أسود نادى جهارا في الأسواق : احضروا جنازة فلان ، فامتلأت الرحاب من الناس وضاقت البلد عنهم فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه ولم يستطع السلطان وأعوانه ومتفقهته أن يفعلوا شيئا .

(٤٢٦) عبد الرحيم بن أحمد بن حجون[(١)]

الشريف الحسيب النسيب البستى الأصل القنائى ، صاحب الكرامات والخوارق ، قدم من المغرب فأقام بمكة سبع سنين ، ثم رحل إلى الصعيد فقطن قنا حتى مات .

أخذ عن الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه ، وعنه أبو الحسن الصباغ رضى الله عنه فظهر سره فيه حتى تطق بالمعارف ملء فيه ، وكان لصاحب الترجمة القبول التام بين الخاص والعام ، وهو أحد من جمع الله له بين الحقيقة والشريعة وأتاه مفتاحا من علم السر المصون وكنزا من معرفة الحكمة والكتاب المكنون ، وكان إذا سمع المؤذن يتشهد يقول : شهدنا بما شهدنا وويل لمن كذب على الله ، وكان يقول :أدركت جميع صفات الله إلا صفة السمع ، وكان جميع المتكلمين يذبذبون حول الحق ولا يصلون إليه أبدا ، ونزل مرة شيخ من الجو فى مجلسه فأطرق الشيخ ثم رفع رأسه إليه فارتفع فسئل عنه فقال : هذا ملك صدرت منه هفوة بالنظر لمقامه فاستشفع بى فشفعت فيه ، وكان إذا استشاره إنسان يقول له : أمهلنى حتى أستأذن لك جبريل فيطرق ثم يقول : افعل أو لا

---

(١) الطالع السعيد للأدفوى ، ٢٩٧ ـ ٣٠٣ .

تفعل ، والمراد به ملك غير جبريل الأنبياء عليهم السلام .وكان إذا قال لعامى أو طفل تكلم على هذه الآية نطق بالعجائب فإذا قال له : اسكت لا يمكنه النطق بحرف . ومر به كلب فقام له فسئل قمت إجلالا لأثر الخرق ففتش فوجد بعنقه خرقة من أثر صوفى وكراماته غنية عن التعريف لا يسعها تأليف ، وإنما ذكر منها القليل .

وليس يصح فى الأذهان شىء　　إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد ذكره الحافظ المنذرى فى تاريخه فقال : كان أوحد زمانه ، أحد الزهاد المشهورين ، من أعيان الصالحين . وله مقالات فى التوحيد ومسائل في علوم القوم ، وكان مالكيا . قال الكمال بن عبد القاهر : زرت قبره وجلست عنده فخرجت يده من قبره وصافحنى وقال : يا بنى لا تعص اللّه طرفة عين فإنى فى عليين ، وقد جربوا إجابة الدعاء عند قبره يوم الإربعاء وقت الظهر يمشى الإنسان حافيا مكشوف الرأس ويصلى عنده ركعتين ويقرأ شيئا من القرآن ثم يقول : اللّهم إنى أتوجه إليك بجاه نبيك محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، وبأبوينا آدم وحواء عليهما السلام ، وبما بينهما من الأنبياء والمرسلين وبعبدك عبد الرحيم اقض حاجتى وتذكرها تقضى ، مات رضى اللّه عنه سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ودفن بقنا من صعيد مصر . قال بعض جماعته :ولو مكنت لم أدفنه بل أدعه على وجه الأرض فكل من رآه نطق بالحكمة ، وخلف أولادا نجباء منهم الشريف فتح الدين فقيه فاضل ، اختصر الروضة .

(٤٢٧) عبد الملك الطبرى[١]

صاحب الأحوال والكرامات والجد فى العبادات ، نزيل الحرم وشيخه فى عصره ، كان أحد المشهورين بالورع والزهد ، وأقام بمكة أربعين سنة على الجهد والاجتهاد والرياضة وقهر النفس ، وكان أولا يتفقه بالمدرسة النظامية فلاح له

(١)　النبهانى ٢/١٣٢ .

شيء فخرج على التجريد إلى الأقطار الحجازية ، ولم يزل حتى صار رأسا فى تخليص الأخلاق من الكدورات البشرية مطهر لنفوس من قذى الأذى لتعود كما كانت في أصلها نقية تقية ، وكان يلبس ويأكل الخشن .

(ومن كراماته) : أنه كان هناك حوض والماء فى أسفله فلا يصل إليه غير يد الشيخ يتوضأ منه يرتفع له ثم يعود بعد فراغه .

وقال المراغى[1] : قصدته يوما فلم أره فى موضعه ، وكنت أسمع صوتا فطلبته فوجدته فى خربة ، وكان ذلك الصوت من غليان صدره ، وكان لا ينام بالمسجد ، فسئل عن ذلك فقال : نمت ليلة به فدخل شخصان فقالا لا تنام به قلت من أنتما ؟ قالا : ملكان ، فما نمت فيه بعد ، وقال : رأيت عجبا بالحرم حمامة بيضاء طافت أسبوعا بالكعبة ثم جاءت ووقفت على باب الكعبة .

(٤٢٧) عثمان بن مرزوق القرشى[2]

العالم العابد العارف الزاهد ، وكان ذا علم وفضل وخير وعدل ، وهمة بلغت فى السلوك السماك ، وعزمة ليس لها عن الحزم انفكاك ، وهو من مشاهير مشايخ مصر ، وكان يفتى بها على مذهب الإمام أحمد ، رضى اللّه عنه ، وانتهت إليه الرياسة فى طريق الصوفية وقصد لكشف منازلاتهم ، وكان لا ينكرها عليه أحد إلا بهت عند رؤيته وانجاب ، وقال : الاعتراف بولايته أولى وأليق بالصواب ، ما أنت ومكاثرة هذه الغمائم ومكابرة هذه السمائم ومنافخة هذه الكمائم ومناوحة هذه الحمائم .

(ومن كلامه): لا سبيل لأحد معرفة كنه ذات الحق تقدس ، وإنما يصل

---

(١) وهو زين الدين بن الحسين المراغى نزيل المدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

(٢) النبهانى ، ١٤٢/٢ .

الناس من معرفته إلى الاعتبار بآياته ومصنوعاته .

وقال : لو تناهت الحكم الإلهية فى حد العقول أو انحصرت القدرة الربانية فى درك العلوم ، كان ذلك تقصيرا فى الحكمة ونقصا في القدرة .

وقال : جميع المخلوقات من الذرة إلى العرش طرق متصلة إلى معرفته وحجج بالغة على أزليته والكون كله ألسن ناطقة بوحدانيته .

وقال : من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه لمعرفته بأنها مأوى كل شر .

وقال : من لم يقدر على صحبة مولاه لقلة صبره عليه ابتلى بصحبة العبيد .

وقال : من تحقق بالرضا تلذذ بالبلاء .

وقال : من حلية العارف الخشية والمصيبة .

وقال : دليل تخليطك صحبتك للمخلطين ، ودلالة بطالتك ركونك للبطالين ، ودليل خستك أنسك بالمستوحشين . وكان له ستمائة مريد فطلبوا منه أن يحدثهم بشىء من الحقائق فقال : لو تكلمت بكلمة واحدة منها أفتى بقتلى أعظمكم وأجلكم .

(ومن كراماته) أنه كان يخرج من بيته بمصر بعد العشاء فيطوف بالبيت ويشرب من ماء زمزم ثم يزور المصطفى صلى اللّه عليه وسلم ثم ببيت المقدس ثم يعود إلى بيته قبل الفجر ، وكان يتكلم بجميع اللغات ، وإذا أراد إنسان أعجمى أن يتكلم بالعربية أو عكسه تفل فى فيه فيصير يعرف تلك اللغة ، وزاد النيل زيادة كادت مصر أن تغرق وثبت فلم ينزل فعزم أهلها على الجلاء وضجوا وفات وقت الزرع فأتوه فتوضأ منه فنقص فى الحال نحو ذراعين وانكشفت الأرض ، وتوقف عن الزيادة فى بعض الأعوام فغلا السعر فتوضأ منه

بإبريق فارتفع حتى خافوا الغرق .مات سنة أربع وستين وخمسمائة عن نحو سبعين سنة ، ودفن بالقرافة[١] فيما بين الشافعى ، رضى الله عنه ، والجبل وقبره بها ظاهر يزار .

(٤٢٩) عدى بن مسافر[٢]

حبر جوهره فاخر وبحر موجه زاخر ، وصوفى شهابه ساطع وسيف عزمه قاطع . وهو من أجلة مشايخ العراق وأحد أركان الطريق ، أثنى عليه العارف الكيلانى رضى الله عنه ونوه بذكره وشهد له بالسلطنة على أهل مصره ، وقال : لو كانت النبوة بالمجاهدة لنالها عدى . وكان إذا سجد سمع لمخه فى رأسه صوت كوقع الحصاة فى القرعة البالية ، وكانت السباع والهوام تألفه وتحوم حوله وتظهر أنها تعرفه ، وكان له مع ذلك مواعظ ترق كالماء انسجاما ، وتروق كالزهر ابتساما .

(ومن كلامه) : إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات الخوارق فلا تعبأوا به حتى تنظروه عند الأمر والنهى ، فإن جمعاً من الكفار أظهروا خوارق وعجائب وهم كفار .

وقال : من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد كل من تبعه .

وقال : من اكتفى بالكلام من غير عمل انقطع عن الله ، ومن اكتفى بالتعبد من غير فقه خرج عن الدين ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر بالله ، ومن قام بما عليه من الأحكام نجا .

وقال : أول ما على سالك طريقنا ترك الدعاوى الكاذبة وإخفاء المعانى الصادقة .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢/٢٠٣ .

(٢) طبقات الشعرانى ١/١١٨ ، والشذرات ٤/١٧٩ - ١٨٠ ؛ والنبهانى ، ٢/ ١٤٧ ؛ والأعلام للزركلى ، ٥/١١ ؛ وكحالة معجم المؤلفين ، ٦/٢٧٥ ، والسخاوى الحنفى ، ٣١٨ .

وكان أكثر إقامته بالجزيرة السادسة من البحر المحيط . وكان يأمر الريح أن تسكن فتسكن فوراً . مات سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

(٤٣٠) عقيل المنيحى[1]

شيخ شيوخ الشام فى وقته ، تخرج به جمع من الأكابر وهو أول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام وعنه أخذت ، ويسمى بالطيار لأنه لما أراد الانتقال من محل إقامته ببلاد المشرق صعد المنارة وقال : يا أهل القرية فاجتمعوا فطار فى الهواء والناس ينظرون فجاءوا فوجدوه بمنيح .

(ومن كلامه) : طريقنا الجد والكد ولزوم الحد حتى تنقد ، فإما أن يبلغ الفتى مناه وإما أن تموت يداه .

وقال : من تطلب نفسه حالاً أو مقاما ، فهو بعيد من طرق المعارف .

وقال : الفتوة رؤية محاسن الناس والغيبة عن مساوئهم .

وقال : فقد الأسف والبكاء فى مقام السلوك علم من أعلام الخذلان .

(ومن كراماته) : أنه كان إذا نادى وحوش الفلوات جاءت صاغرة حتى تسد الأفق ، وكان عكازه لا يستطيع أحد حمله مطلقا . توطن بمنيح نيفا وأربعين سنة ، وبها مات وقبره بها ظاهر يزار .

(١) نسبة إلى منيحة من قرى دمشق بالغوطة ، ياقوت ، معجم البلدان ٢١٧/٥ ، وقيل :المنبجى نسبة إلى منبج ، ياقوت ، ٢٠٥/٥ ، وانظر ترجمته فى طبقات الشعرانى ١١٧/١ ؛ والنبهانى ١٥٣/٢ - ١٥٤

(٤٣١) على بن إبراهيم الانصارى [١]

الفقيه الزاهد العابد المعروف بابن بنت أبى سعد كان أولا يؤم ويفتى ثم رأى في نومه أن نصرانيا بيده عود ينقط به كل من دخل السوق نقطة سوداء ، فانتبه مرعوبا وأوله بتبعات الخلق ثم انقطع للتعبد والمجاهدة حتي صار من أرباب الأحوال .

(ومن كراماته) : أنه كانت الثعابين تشرب من يده ، وكان إذا رقى مريضا عوفى ، وكان نصرانى بقربه فاحتضر فأرسل الشيخ إليه ورقة فيها الشهادة فبمجرد رؤيته إياها أسلم هو وأهل بيته وجعلت معه فى كفنه فقيل له فى النوم : ما فعل بك ؟ قال : غفر لى بتلك الوقعة . مات سنة أربع وستين وخمسمائة ولما وضع على المغتسل سمع من يقول ولا يرى شخصه : هنيئا لك يا من قدم على الله بقلب خاشع وبصر دامع ،ودفن بالقرافة .

(٤٣٢) على بن أحمد الزيدى العلوى [٢]

صالح عابد ، ناسك زاهد ، محقق عارف ، ورع بحرم التقوي طائف ، يتصل نسبه بزيد بن على رضى الله عنهما ، وكان يشار إليه بالزهادة والعبادة وحسن الطريقة ، وصحة العقيدة على الحقيقة ، وطلب العلم ودرسه والسعى فى تحصيله ، وحصل له القبول التام عند سائر الأنام ، وهو مع ذلك فى غاية التواضع ونهاية التمسكن ، وكان إذا صحبه أحد اكتسب من توكله ما يزيده إيمانا واعتقد أن الله يرزقه كما يرزق الطير التى غدت خماصا وراحت بطانا .

(ومن كلامه) : اجعل النفل كالفرض والمعاصى كالكفر ، والشهوات كالسموم ، ومخالطة الناس كالنار ، والغذاء كالدواء ، تسلك طريق الأبرار .

---

(١) النبهاني ٢/ ١٦٠

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ١٤٩/٤ ـ ١٥٠ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ٢٧/٧ .

(٤٣٣) على الكردى الدمشقى (١)

إمام وقته وزمانه ، فريد عصره لا يصل إلى مكانه ، ذا رتبة جل قدرها ، ومنزلة ساد بالرفعة ذكرها ، كان ظاهر الوله يتحكم فى أهل دمشق وله عندهم صولة .

وله كرامات كثيرة ووقائع بينهم شهيرة ، ولما قدم العارف الشهاب السهروردى رضى اللّه عنه دمشق برسالة الخليفة إلى الملك العادل أراد زيارته فقالوا له : لا تفعل أنت إمام الوجود وشيخ الدنيا ، والرجل لايصوم ولا يصلى ويمشى مكشوف العورة غالبا ، فقال : لابد فقالوا : هو فى الجبانة ، وذلك أنه دخل دمشق مولد آخر وهو الشيخ ياقوت فساعة دخوله دمشق ، خرج الشيخ منها وسكن جبانتها وما دخلها بعد حتى مات رضى اللّه عنه ، فركب السهروردى بغلته وحوله الجمع الجم فلما وصل إلى قرب مكانه ترجل ،فلما رآه الكردى كشف عورته فقال له : لا تصدنا بذلك ونحن أضيافك وإذا بحاملين جاءا بطعام كثير لايدرى من أين جاءا فوضعاه بين يديه ولم يزل كذلك حتى مات رضى اللّه عنه ودفن بباب الصغير .

(٤٣٤) على بن وهب السنجارى (٢)

العابد الزاهد صوفى عارف لا معارض له فى التقدم ولا مخالف ، كان حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ولم يخطر بباله الاشتغال بالطريق ، فرأى الصديق رضى اللّه عنه فى النوم وقال : أمرت أن ألبسك هذه الطاقية فألبسه ثم بعد أيام

---

(١) النبهانى ، ١٦٩/٢ .

(٢) نسبة إلى سنجار ، مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، ياقوت ، معجم البلدان ٢٦٢/٣ . وسماه النبهانى ، جامع كرامات الأولياء ، ١٦٢/٢ ، على بن وهب الربيعى ؛ وطبقات الشعرانى ، ١١٩/١

رأى الخضر عليه السلام فقال : اخرج إلى الناس وانفعهم فتثبت ، فرأى المصطفى صلى اللّه عليه وسلم ثالثة وأمره بذلك في أول الليل . ثم رأى فى آخره الحق عز وجل وقال : يا عبدى جعلتك من صفوتى فى أرضى فخرج فهرعوا إليه من كل جانب ، وانتهت إليه تربية المريدين بسنجار ، وأخذ عنه الأكابر كسويد السنجارى[1] ، والجاوي والسعد ، ومات عن أربعين خادما كلهم من أرباب الأحوال واجتمعوا بعده فى روضة فجعل كل منهم يأخذ منها قبضة من نباتها ويتنفس فيها فتصير أزهاراً مختلفة اللون كأحمر وأصفر وأخضر ، فأقر بعضهم لبعض بالتمكين والتصرف .

(ومن كلامه) :معرفة اللّه عزيزة لا تدرك بالعقل بل يقتبس أصلها من الشرع ، ثم تتفرع حقائقها على قدر القرب ، فقوم عرفوا بالوحدانية ، وقوم بالقدرة فتخيروا ، وقوم بالعظمة فوقفوا على أقدام الدهش ، وقوم بعزة الإلهية فتنزهوا عن الكيفية والماهية ، وقوم عرفوه بلا خيرة فأراهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

وقال : الزهد أعم من الورع ، لأن الورع فيه إبقاء شىء والزهد فيه قطع الكل .

وقال : من سكن سره إلى غير اللّه نزع الرحمة من قلوب الخلق عليه ، وألبسه لباس الطمع فيهم فلا يرجع عن سؤالهم ولا يعطوه شيئا .مات بسنجار .

(٤٣٥) على بن الهيتى[2]

نسبة لهيت قرية من قري العراق ببغداد وهو من أجلة مشايخه وأعيانهم ، وأحد أركان الطريق ، وعظ وروي وأفاد وأرشد المريدين إلى سلوك

(١) طبقات الشعرانى ١/١٣١ .

(٢) طبقات الشعرانى ١/١٢٥ ؛ والنبهانى ٢/١٦٠ ـ ١٦١ .

طريق الرشـاد ، قـد حـوت جـوامع كلمـه كل غـريـبة ، وأتت بـدائع مـعـانيـه بكل عجيبة ، وقـيل : إنه تقطب ، وكان العارف الجيلانى رضى الله عنه يعظمه ويقول : ما من الأولياء إلا وهو فى ضيافتنا إلا ابن الهيتى فإننا فى ضيافته ، وقد انفتح رتق قلبه وهو ابن سبع سنين ، فكان يخبر بالمغيبات ويظهر الكرامات ، ومكث ثمانين سنة لا خلوة له ولا معزل ليلا ونهاراً بل ينام بين الفقراء .

(ومن كلامه) : علامة صحة الحال كون صاحبه محفوظا حال غيبته كحال صحوه .

وقال : الحق تعالى وراء جميع ما أدركه الخلق بعقولهم وعلومهم ومعارفهم ، مات سنة أربع وستين وخمسمائة عن نيف وعشرين ومائة سنة .

حرف القاف

(٤٣٦) القاسم بن محمد البصرى [١]

من أكابر مشايخ العراق المقصودين للزيارة والتبرك والتسليك من جميع الآفاق ، وكان جواداً سخيا صوفيا وفيا ، بحرا ، برا ، حلوا ،مرا ، يفتى على مذهب الإمام مالك ، رضى الله عنه ، ويعظ فى الشريعة والحقيقة .

(ومن كلامه) : أرواح الواجدين عطرة لطيفة ، وكلامهم يحيى موات القلوب ويزيد فى العقول .

وقال : لكل وجد لا يسقط التمييز ويجعل الأماكن كلها واحداً والأعيان كلها عينا واحدة فليس بوجد إنما هو تلاعب .

وقال : المواجيد ثمرات الأوراد ونتائج المنازلات .

(ومن كراماته) : أنه كان إذا خرج من خلوته لا يمر بشجرة يابسة إلا

---

(١) طبقات الشعرانى ١/١٢٩ ؛ والنبهانى ٢/٢٣٥ ـ٢٣٦ .

اخضرت وأورقت للوقت ولايرى ذا عاهة إلا عوفى فورا . سكن البصرة وبها مات فى حدود السبعين وخمسمائة ، ولما وصلوا عليه سمعوا فى الجو دفوفا وطبولا تضرب .

(٤٣٧) قضيب البان الموصلى

ذو الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة المتكاثرة ، كان عظيم الشأن ورحلة السالكين المعروفين بالعرفان ، روى أن بلدية الكمال بن يونس كان عنده جماعة فوقعوا فيه فوافقهم ، فبينما هم كذلك دخل عليهم وقال : يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلمه الله ؟ قال : لا ، قال : فأنا من العلم الذى لا تعلمه أنت فلم يدر ابن يونس ما يقوله له مجيباً ، وخرج أبو النجا المغربى رضي الله عنه من بلده يريد المشرق ومعه أربعون ولياً ، فكان كل بلد يستوعب ما فيه من الرجال حتي وصل الموصل فخرج إليه الرجال فإذا بقضيب البان خرج بأطماره وشعثه فقال : أين الشيخ ؟ قالوا : خرج ، قال : خرج يتشيطن فغضبوا ، وقال أحدهم : كذب شيطانك فغضب ورمى بأطماره ووقف عريانا على جنب بركة يصب الماء بيده على بدنه ، وإذا الشيخ جاء فأخبروه فقال : صدق كنت مع إمام الموصل ينافقنى وأنافقه . ثم قال قضيب البان : خبرنى بكل رجل رأيته من بلادك ، فذكر رجالا وقضيب البان يقول وزنه ربع رجل وزنه نصف رجل وهذا وازن وهذا كامل وهذا وإن ملأ صيته ما بين الخافقين لا يساوى عند الله جناح بعوضة ، وسئل عنه الشيخ عبد القادر الكيلانى رضي الله عنه فقال : هو ولى مقرب ذو حال مع الله تعالى وقد صدق عنده ، فقيل له : ما نراه يصلى ، فقال : إنه يصلى من حيث لا ترونه وإنى أراه إذا يصلى بالموصل أو بغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة ، وقال أبو الحسن القرشي رضى الله عنه : رأيته فى بيت بالموصل قد ملأه ونما جسده نموا خارقا للعادة فخرجت وقد هالنى منظره ثم عدت إليه فرأيته بحالته المعتادة ، وقال الشيخ خليل المالكى ، رضى

الله عنه ، صاحب « المختصر المشهور » : الولي إذا تحقق فى ولايته تمكن من التصور في روحانيته ويعطى من القدرة التصوير فى صور عديدة ، وليس ذلك بمحال لأن المتعدد هو الصورة الروحانية . وقال وقد اشتهر ذلك عند العارفين كما حكى عن قضيب البان ، رضى الله عنه ، لما أنكر عليه بعض الفقهاء الصلاة فى جماعة ثم اجتمع ذلك الفقيه به فصلى بحضرته ثمان ركعات فى أربع صور ثم قال له : أى صورة لم تصل معكم فقبل يد الشيخ وتاب . وقال بعضهم : كان قضيب البان ، رضى الله عنه ، من الأبدال واتهمه بعض من لم يره بترك الصلاة وشدد النكير عليه فتمثل له علي الفور فى صور مختلفة وقال : فى أى هذه الصور ما رأيتنى أصلى ؟ ولا مانع من أن يخص الله من شاء من أوليائه بالتصرف فى بدنين أو أكثر فيكون جسمه الأول بحاله لم يتغير ويقيم له شبحاً آخر وروضة تتصرف فيهما معاً فى وقت واحد ، وقد أثبتوا عالما متوسطا بين عالم الأرواح والأجساد سموه عالم المثال ، وقالوا : إنه ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنوا علي ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال . مات بالموصل قريبا من سنة سبعين وخمسمائة ، وقبره بها ظاهر يزار .

حرف الميم

(٤٣٨) ماجد الكردى [١]

كان من أعيان مشايخ العراق وصدور الراسخين إماما ربانيا ، وصوفيا صمدانيا قد عرف الطريق وخبرها ، ودرب أمورها ودبرها وقطع مفاوزها وعبرها ، فلذلك اتفقوا على كماله وأجمعوا عى إجلاله ، وكان له رقائق تدل على الهدى ومواعظ تجلى صدأ الصدا .

(١) طبقات الشعرانى ١٢٨/١ ؛ والنبهانى ٢٣٩/٢ .

(ومن كلامه) : قلوب المشتاقين منورة بنور الله فإذا تحرك فيها الشوق أضاء نوره ما بين السماء والأرض فيباهى الله بهم الملائكة .

وقال : من لم يكن عنده أنس بربه فليس بمحب .

وقال : العجب فضلة حمق يريد صاحبه أن يغطى به عيوب نفسه فلا يمكن .

وقال : ما أوجد الله عجيبة إلا أوصلها فى صورة الآدمى فهو نشخة العالم المختصرة .

(ومن كراماته) أن رجلا أراد الحج فأعطاه ركوته وقال : تجد فيها ماء إن أردت الوضوء ، ولبنا وسويقا إن عطشت وجعت ، فكان كذلك حتى عاد . وقال : ما يحدث فى هذا الكون شىء إلا يعلمنى الله قبله بوقوعه فقال له ابن عدى رضى الله عنه : من يشهد لك به ؟ قال : الخضر عليه السلام ، وله أربعون سنة يتردد إلىّ ، وإذا بالخضر عليه السلام جالس فى الهواء يقول : صدق ماجد . مات سنة إحدى وستين وخمسمائة .

(٤٣٩) محمد الحصار المغربى الفاسى[(١)]

كان من الأولياء الكبار وأعاظم الصوفية الأخيار . قال العارف ابن عربى رضى الله عنه رأيت العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدرى كم هى ، لكنى أشهد لها ونورها يشبه البرق ، ورأيت طيوراً حسنة تطير فى زواياه فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور فسلم على فألقى لى فيه أن آخذه صحبتى إلى بلاد الشرق ، وكنت بمدينة مراكش حتى كشف لى عن هذا كله ، فقلت : ومن هو؟ قيل لى : محمد الحصاد بمدينة فاس ، سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق فخذه معك ، قلت السمع والطاعة فقلت له : وهو عين ذلك الطائر تكون

---

(١) النبهانى ١/١١٤ .

صحبتى إن شاء الله فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجاءنى ، فقلت : هل سألت الله في شيء ؟ قال : نعم أن يحملنى إلى بلاد المشرق فقيل لى إن فلانا يحملك وأنا أنتظرك منذ زمان فأخذته سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأوصلته إلى الديار المصرية وبها ، مات رضى الله تعالى عنه ونفعنا به دنيا وأخرى .

(٤٤٠) محمد بن الفضل (١)

الشيخ الإمام أبو الفتوح الإسفراييني ، أحد الأئمة المجتهدين فى العبادة الناصرين للسنة الصابرين على المحنة ، عليه جلالة وقبول ، ولديه أبواب من الخيرات وفصول . ولد سنة أربعة وستين وأربعمائة بإسفرايين وبها نشأ وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وروى الحديث عن ابن عساكر وابن السمعانى .

وقال : ابن عساكر رحمه الله ، هو أجرأ من رأيته لسانا وأحدهم بيانا ، وأسرعهم جوابا ، وأحسنهم خطابا مع ما رزق بعد صحة العقيدة من الخصال الحميدة والسجايا الكريمة ، وقلة المراءاة لأبناء الدنيا وعدم المبالاة بذوى المراتب العليا ، والتحلى بالتصوف والزهادة والتحلى بوظائف العبادة والاستحقاق لوصف السيادة كان من أفراد الدهر فى الوعظ ورسوخ القدم فى التصوف وصنف فى الحقيقة كتبا منها « كشف الأسرار »، ولم يزل على حاله راقيا فى كماله حتى خلت منه الديار وشط به المزار فمات ببسطام ، ودفن بجنب أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه . وروى ليلة موته العارف أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه ، يكنس الرباط ويملأ الأوانى ويقول : غدا يقبر بجانبى رجل صالح . ولما وضعه الحفار بالقبر اتسع سعة مفرطة حتى أغمى عليه ، مات رضى الله عنه سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

---

(١) مرآة الجنان ٢٦٩/٣ ؛ والشذرات ، ١١٨/٤ ؛ والنبهانى ١١١/١ .

(٤٤١) محمد الآونى (١)

يعرف بابن قائد من قرية تسمى آونة من أعمال بغداد ، كان ذا معان تضاعف مددها ورتبة علا فى أفق السلوك فرقدها ، وتربية نفذ سهمها فى الأمصار ومواعظ لها فى القلوب إجلال وإكبار ، وهو من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلانى رضى اللّه عنه ، قال العارف ابن عربى ، رضى اللّه عنه ، وقال ابن القائد : هذا يقول فيه عبد القادر ، رضى اللّه عنه : معربد الحضرة ، وكان يشهد له العارف عبد القادر رضى اللّه عنه الحاكم فى هذه الطريقة المرجوع إليه فى الطريق أنه من المفردين وهم رجال خارجون عن دائرة القطب والخضر ، عليه السلام ، منهم ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة فى جلال اللّه وهم الكروبيون معتكفون فى حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه ، ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم ، لهم مقام بين الصديقية والنبوة الشرعية . قال : وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبى حامد ، رضى اللّه عنه ، وأمثاله فإن ذوقه عزيز .

(ومن كلام صاحب الترجمة) ما قال : تركت الكل ورائى وجئت إليه فرأيت أمامى قدماً ففرت ، وقلت : لمن هذا اعتماداً منى على أنه ما سبقنى إليه أحد ، وإنى من أهل الرعيل الأول ، فقيل لى : هذا قدم نبيك فسكن روعى انتهى ، ثم رأيت فى كلام ابن عربى رضى اللّه عنه ابن قائد هذا شيخه فإنه قال فى « الفتوحات » : قال شيخنا محمد بن قائد : رأيت فى دخولى عليه أثر قدم أمامى فقيل لى : هذا قدم نبيك فسكت ما بى . قال : واعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام الأنبياء والمرسلين فأى ولى رأى قدماً أمامه فتلك قدم النبى الذى هو له وارث ، وأما قدم نبينا محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه ، فالقدم التى رآها محمد بن قائد أو يراها

---

(١) النبهانى ١/١١٢ .

كل من رآها قدم النبى الذى هو له وارث ، لكن من حيث ما هو محمدى لا غير ، ولهذا قيل له : قدم نبيك ولم يقل له : هذه قدم محمد ، صلى اللّه عليه وسلم .

(٤٤٢) محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله القرشى (١)

عارف جليل سمت أعلامه ، وصوفى نبيل حسنت تربيته وطابت أوقاته وأيامه ، وأصله من بلاد الأندلس من الجزيرة الخضراء ثم تحول إلى مصر فقطنها ثم إلي بيت المقدس وكان من أعيان مشايخ المغرب ومصر ، ولقى نحو ستمائة شيخ وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون منهم البونى .

(ومن كلامه) إذا احتجت إلى شىء فقل : يا واحد يا أحد يا واجد يا جواد انفحنا منك بنفحة خير إنك على كل شىء قدير .

قال : فأنا أنفق منها منذ سمعتها .

وقال : رأيت القيامة ومراتب الخلق فيها ومقامات الأنبياء والأولياء وكيف صور الأعمال . وكيف تظهر على أربابها ورأيت البرزخ وكيف حال الموتى فيه .

وقال : كشف لى عن باطن حقائق القرآن العظيم واطلعت على أسراره .

وقال : من طلب الغايات فى المبادىء فقد أخطأ الطريق .

وقال : حقيقة المحبة أن تهب بكلكلك لمن أحببته فلا يبقى منك شىء .

وقال : إن كنت محتاجا إليه فالزم بابه حتى يفتحه لك .

وقال : الزم الأدب والعبودية ، ولا تتعرض لشىء ، فإن أرادك أوصلك إليه .

---

(١) طبقات الشعرانى ١٣٧/١ ؛ والنبهانى ١١٤/١ ـ ١١٦ ؛ والشذرات ٣٤٢/٤ ؛ ومرآة الجنان ، ٤٩٧/٣ .

وقال : يسير العمل مع الرعاية منجح .

وقال : وقد سئل عن التوكل هو التعلق بالله فى كل حال ، فقال السائل : زدنى ، فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لك .

وقال : كنت مرادا بالتقليل لم يكن يصفو لى شبع ولا رى ولا كسوة وقد أقمت سنة وعلىَّ جبة صوف أضمها علىَّ كيلا تنكشف عورتى وهى محشوة ، فقطعت بطانتها فصار القمل يدخل فى القطن فأقاسى منه شدة فاغتسلت يوماً عند بئر فأخذها لص ففرحت ، ومضى بعض أصحابى يستعير ما ألبسه وإذا باللص وجدها لا تساوى شيئا فجاء فطرحها ، وقال : خذها لا طرح الله لك فيها بركة أتعبتنى على لا شىء .

وقال : من فوائد الفقر وثمراته وجود ألم العرى والجوع والتلذذ بهما والمنافسة فيهما .

وقال : دخلت على أستاذى أبى مدين ، رضى الله عنه ، وله ولد صغير جاء من المكتب فالتفت إلى أصحابه وقال : هذا أفسد على مملكتى فمات الولد ، وقال : بينما أنا أسير فى بعض السواحل إذ خاطبتنى حشيشه : أنا شفاء هذا المرض الذى بك يعنى الجذام ، فلم أتناولها ولم أستعملها . وقال : وقد كتب الحاج له يا أخى إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتصدق بما بقى على الآخرة وهو الأقل .

وقال : أبت البشرية أن يتوجه إلى الله إلا فى الشدائد عطشت مرة فى طريق الحاج فقلت لخادمى : اغرف لى من البحر المالح فغرف منه ماء عذبا ، فلما ذهبت الضرورة غرف ، فإذا هو ملح .

وقال : لا يكون الابتلاء إلا لفحول الرجال ، وكان يحب طعام القمح فقيل له فيه فقال: زارنى الخضر ، عليه السلام ، فقال : اطبخ لى شوية قمح

فمن يومئذ أحبه ، وكان يشرط على أصحابه أن لا يطبخوا فى بيوتهم إلا لونا واحدا حتى لا يتميز أحد على أحد .

وقال : هى أسرار الله يبذلها إلى أمناء أوليائه من غير سماع ولا دراسة ، فهى خاصة بخواص الخواص .

وقال : آخر ما تصورت لى الدنيا فى صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة تكنس المسجد الذى كنت فيه فقلت : ما شأنك قالت : جئت أخدمك ، قلت : لا ، قالت : لابد ، فعزمت على ضربها ، فعادت عجوزا ضعيفة فرحمتها ثم غفلت عنها فعادت شابة فانزعجت لذلك ، فقالت : تطيل أو تقصر أنا هكذا أخدمك وكذا خدمت إخوانك ، فمن ذلك اليوم لم يتعذر كل شىء من الأسباب ، وكان يقول : إذا خاف أحدكم تخمة فليقل عقب وضع الطعام وفراغه من الأكل قال أبو عبد الله : اليوم يوم عيد فلا يضره .

وله خوارق كثيرة وكرامات شهيرة منها أنه لما ابتلى بالجذام فى بدنه كان فى أوقات الصلاة يذهب عنه البلاء فيعود صحيحا ، فإذا فرغ من صلاته عاد كما كان . ومنها أنه جاء مرة إلى الساحل ليعدى ومعه القسطلانى فلم يجد سفينة ، فأخذ بيده ومشى على الماء ، ورأى رب العزة فى النوم ألف مرة أنه قال لأصحابه تجهزوا للخروج من مصر ، فإن الوباء ينزل بها ، فبلغ ذلك الخطيب العراقى فقال : أوحى إليه فبلغ القرشى فقال : إنه لا يطلع المنبر بعدها فمات .

وكان يقول : إياك أن تقول : كرامة الرجل الصالح مشيه على الماء أو طيرانه فى الهواء ، بل كرامته أن لا يؤبه إليه ، وكان يقول : إنى لأعلم من لا ينام حتى يعتق لأجله ألوف من الخلق يعنى نفسه . ونودى مرة أخرى أنه سينزل بأهل مصر بلاء فقال : أيقع هذا وأنا فيهم ؟ فقيل : اخرج من بينهم فلابد من وقوعه ، فخرج إلى الشام فنزل بهم ما نزل . نسأل الله العافية ، وقالت زوجته : خرجت من عنده وتركته وحده فسمعت عنده رجلا يكلمه فوقفت حتى انقطع كلامه

فدخلت ، فقلت : من هذا ؟ قال : الخضر أتانى بزيتونة من أرض نجد ، فقال : كل هذه ففيها شفاؤك ، فقلت له : اذهب وزيتونتك لا حاجة لى بها ، مات ببيت المقدس سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وقيل غير ذلك ، ودفن به ثم دفن بجانبه ابن أرسلان ، وذكروا أن الدعاء بين قبريهما مستجاب . قال ابن مجير الدين : وقد جرب ذلك ، فصح رضى الله تعالى عنه ونفعنا به .

(٤٤٣) محمد بن الموفق الخَبُوشانى[١]

نسبة إلى خبوشان بليدة بنيسابور ، ولد بها سنة عشر وخمسمائة وتفقه فى مذهب الشافعى ، رضى الله عنه ، محمد بن يحيى تلميذ الغزالى رضى الله عنه ، وكان يستحضر كتاب « المحيط » ففقد ، فأملاه من خاطره ، وقدم مصر سنة خمس وستين فأقام بها بتربة الشافعى رضى الله عنه وتصدى لعمارتها ، وكان إماماً جليلا كبير المحل فى الورع فلا ترى العيون مثله زهداً وعلما وتصميما على الحق ، وله تصانيف « تحقيق المحيط » فى ستة عشر مجلدا[٢] ، وحدث بالقاهرة عن القشيرى وغيره ، وكان السلطان صلاح الدين يفتقده وبنى له المدرسة الصلاحية ودرس بها مدة ولم يأخذ من معلومها شيئا ، وكان له حال غريب ومقام فى الدين كبير ، وكان يقول : لابد أن أصعد إلى مصر وأزيل دولة بنى عبيد فصعدها وصرح بسبهم ، فأرسلوا له مالا فرده وضرب رسولهم على صدره ورأسه فصارت عمامته حلقا فى رقبته ، وسب القاصد ، ثم إن السلطان صلاح الدين تهيب الخطبة لبنى العباس فوقف الخبوشانى أمام المنبر بعصاه وأمر الخطيب بذكر بني العباس ففعل ، فلم ينتطح فيها عنزان ، ووصل

---

(١) السبكى ، طبقات الشافعية ٤/١٩٠ ـ ١٩٥ ، واليافعى ، مرآة الجنان ٣/٤٣٣ ـ ٤٣٤ ؛ والسيوطى ، حسن المحاضرة ١/٢٢٩ ، ومفتاح السعادة ٢/٢١٠ ، والشذرات ٤/٢٨٨ ؛ والزركلى ، الأعلام ٧/٣٤٢ ؛ وكحالة ، معجم المؤلفين ١٢/٦٩ ، والنبهانى ١/١١٢ .

(٢) « تحقيق المحيط فى شرح الوسيط فى الفقه » كشف الظنون ٢/٢٠٠٨ .

بها بأس . ومن نظمه رضى اللّه عنه :

فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له من ودهن نصيب

مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكفن فى كسائه التى جاء معه من خبوشان ودفن فى قبة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى[1] رضى اللّه عنه وبينهما شباك .

(٤٤٤) محمد بن رسلان[2]

الفقيه ابن الفقيه ، الزاهد ابن الزاهد ، له كرامات منها : أنه كان خياطا يخيط الثوب بدرهم فيدفعه صاحب الثوب إليه ويذهب به ، فإن كان الدرهم جيداً وجد طوقه مفتوحا وإلا مسدودا ، فيعود إليه فيبدله فيجده مفتوحا . مات سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة[3] .

(٤٤٥) الإمام الغزالى ابن محمد الطوسى[4]

الإمام أبو حامد الغزالى حجة الإسلام ، ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام ، وجامع أشتات العلوم ، والمبرز فى المنطوق فيها والمفهوم بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ما له من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرياض نفسها أن تحكى ما لديه من الأزاهر .

(١) السخاوى الحنفى ، ص ٣٤٦ .

(٢) طبقات الشعرانى ١/١٣٢ ؛ والنبهانى ١/١١٣ ـ ١١٤

(٣) السخاوى الحنفى ، ص ٤٣٨ .

(٤) الوفيات ١/٥٨٦ ـ ٥٨٨ ؛ طبقات الشافعية ٤/١٠١ ـ ١٨٢ ؛ المنتظم ٩/١٦٩ ـ ١٧٠ ؛ واللباب ٢/١٧٠ ، واليافعى ، مرآة الجنان ٣/٧٧ ـ ١٩٢ ؛ والبداية والنهاية ١٢/١٧٣ ـ ١٧٤ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ١١/٢٦٦ ـ ٢٦٩ .

الخبر إلى بغداد فأظهروا الفرح وعظم الخبوشانى عندهم ثم أخذ الخبوشانى فى بناء الصهريج الشريف الإدريسى ، وكان ابن الكيزانى من المشبهة مدفونا عند الشافعى رضى اللّه عنه فأخرج عظامه ، وقال : لا يجمع صديق وزنديق ، ومن ورعه أنه كان يركب الحمار ويجعل تحته أكسية لئلا يصيبه عرقه . وجاء الملك العزيز لزيارته وصافحه فاستدعى بماء بحضوره وغسل يده وقال : أنت تمسك العنان ولا تتوقى الغلمان عليه فقال له : اغسل وجهك فإنك بعد المصافحة مسسته فغسله ، ولما خرج صلاح الدين لقتال الفرنج جاء لوداعه فالتمس منه أموراً من المكس ليبطلها فأبى ، فقال له : قم لا نصرك اللّه ووكزه بعصاه فوقعت قلنسوة السلطان عن رأسه ثم توجه للحرب فكسر ، وعاد للشيخ وقبّل يده ، وكان تقى الدين عمر ابن أخى السلطان له مواضع يباع فيها المزر ، فكتب الشيخ للسلطان عمر لا خيره اللّه يبيع المزر ، فقال السلطان لعمر : لا طاقة لنا بالشيخ ترضاه فركب إليه فقال له حاجبه : قف بباب المدرسة حتى أسبقك وأوطىء لك ، فدخل فقال : تقى الدين يسلم عليكم ، فقال : بل شقى الدين لا سلم اللّه عليه فقال : إنه يتعذر ويقول : إنه ليس هناك مزر ، فقال : يكذب فقال : إن كان هناك مزر ، فأرناه فقال : ادن فأمسك دوايتيه وجعل يلطمه على وجهه وخديه ويقول : لست مزارا فأعرف مواضع المزر فخلصوه منه فقال : فديت نفسى . وعاش عمره رضى اللّه عنه لم يأكل من وقف المدرسة الصلاحية لقمة ولا أخذ من مال الملوك درهما ، ودفن فى الكساء التى صحبته من خبوشان ، وكان بمصر رجل تاجر من بلد ، يأكل من ماله ، ودخل القاضى الفاضل وزير السلطان لزيارة الشافعى رضى اللّه عنه فوجده يلقى الدرس على كرسى فقعد على طرفه وجنبه إلى القبر فصاح الشيخ فيه : قم ظهرك إلى الأمام ، فقال : إن كنت مستدبره بقالبى فأنا مستقبله بقلبى ، فصاح فيه أخرى ، وقال : ما تعبدنا بذلك ، فخرج وهو لا يعقل .

(ومن كراماته) أن ابن أبى حصيبة مدحه بقصيدة وجعالة أن يجعل جائزته دعوة لابنة له مقعدة ، فدعا لها فقامت بعد ثلاثة أيام تمشى كأن لم يكن

انتظمت بعقده المنظم عقود الملة الإسلامية ، وابتسمت بنصره النظيم ثغور الشرعة المحمدية ، ففاض من العلوم فى بحور عميقة ، وراض نفسه فى دفع أهل البدع وسلوك الطريقة ، جرت الأئمة قبله بشاو ولم يقنع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطالب مطلب وراءه مطلب لأصحاب البداية والنهاية ، وكان ضرغاماً إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى ، وبدرا تماما بيد أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق لكنه الطود العظيم ، وبعض الخلق لكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم ، لم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله ويحمى حوزته ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى وانكشفت غياهب الشكوك ، وما كانت إلا حديثا يفترى ، مع ورع طوى عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره ، وتجريد تراه به وقد توحد فى بحر التوحيد ، وباها ، ألقى الصحيفة كى يخفف رحله ، والزاد حتى نعله ألقاها ، ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على اللّه يعامله فى سره وجهره ، وناهيك بشهادة العارف أبى العباس المرسى رضى اللّه عنه فى حقه بقوله : إنا لنشهد له بالصديقية العظمى .

وقال العارف أبو الحسن الشاذلى رضى اللّه عنه لأصحابه : إذا عرضت لكم إلى اللّه تعالى حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبى حامد الغزالى رضى اللّه عنه .

وقال الشيخ الأكبر ابن عربى رضى اللّه عنه : حجة الإسلام الغزالى من رؤساء أهل الطريق . وأقول : من العجب العجاب أن شيخنا العارف الشعراوى رضى اللّه عنه لم يذكره فى طبقاته الكبرى ولا الصغرى المتداولتين فى أيدى الناس اليوم . ولد رضى اللّه عنه بطوس سنة خمسين وأربعمائة وكان ابتداء طلبه للطريق بعد ما حصل له ببغداد القبول التام والجاه عند الخاص والعام ، وأنه سافر فقطع عليه الطريق وأخذ القطاع جميع ما معه فتبعهم ، وقال لمقدمهم بالذى ترجو السلامة منه رد على تعليقتى فقط فما هى بشىء ينفعكم فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ، فأنطقه اللّه لإرشاده فأقبل على التجرد وساح ورآه بعضهم فى البرية وعليه مرقعة

وبيده ركوة وعكاز بعد أن كان رآه يحضر مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد ، فقال : يا إمام ، أليس تدريس العلم أولى فنظر إليه شذرا وقال : لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وجنحت شمس العقول إلى مغرب الوصول .

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل   وعدت إلى مصحوب أول منزل

وناديت فى الأسواق مهلا فهذه   منازل من تهوى رويدك فانزل

وكان شديد الذكاء ، عجيب الفطنة ، مفرط الإدراك ، قوى الحافظة ، غواصا على المعانى الدقيقة ، عالى الرتبة ، زائد الحشمة ، تضرب بكماله الأمثال ، وتشد إليه الرحال حتى غرقت نفسه من رذائل الدنيا ، فرفض ما فيها من التقدم والجاه ، وترك ذلك وراء ظهره وأقبل على قدم الفقر والتجريد بعد الحج والتقديس . ثم ذهب للشام فأقام بمنارة الجامع الأموى نحو عشر سنين ، فلما عرف فارقها ، ثم جال فى البلدان وزار المشاهد وطاف على الترب والمساجد ، وأوى القفار وراض نفسه ، وجاهدها جهاد الأبرار حتى صار قطب الوجود والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن والمنهاج بالتصوف إلى مركز الإيمان ، ثم عاد إلى بغداد وتكلم على لسان أهل الحقيقة وقلبه معلق بما فتح عليه من الطريقة ، ثم دخل إلى طوس واتخذ بجانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة أرباب القلوب وإدامة الصيام والقيام حتى كان فى جمادى الآخر سنة خمس وخمسمائة توضأ وصلى ، وقال : علىَّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل فانتقل إلى رضوان اللّه طيب الثناء أعلى منزلة من نجم السماء لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق ولا يسومه بالسوء إلا من كان فى قلبه ريب أو حاد عن سواء الطريق .

قالوا : ولما أفتى القاضى عياض بإحراق كتاب الإحياء ، بلغه فدعا عليه فمات وقت الدعوة فى حمام فجأة ، وقيل : بل أمر المهدى بقتله فى الحمام

بعد أن ادعى عليه أهل بلده وزعموا أنه يهودى ، لأنه كان لا يخرج يوم السبت ؛ لأنه كان يصنف كتاب الشفاء ، كذا ذكره فى كتاب لوافح الأنوار .

وأخرج اليافعى عن ابن المليق عن ياقوت العرشى عن أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى رضى اللّه عنهم أن الشيخ بن حرازم خرج على أصحابه ومعه كتاب فقال : أتعرفونه ؟ قال : هذا الإحياء ، وكان الشيخ المذكور يطعن فى الغزالى رضى اللّه عنه وينهى عن قراءة الإحياء فكشف لهم المذكور عن جسمه فإذا هو مضروب بالسياط ، وقال : أتاني الغزالى فى النوم ودعانى إلى رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فلما وقفنا بين يديه ، قال : يا رسول اللّه هذا يزعم أنى أقول عليك ما لم تقل فأمر بضربى فضربت .

قال العارف ابن عربى رضى اللّه عنه عن نفسه : إنه كان يقرىء كتاب الإحياء فى المسجد الحرام تجاه الكعبة الشريفة .

قال العارف الشاذلى رضى اللّه عنه : رأيت المصطفى ، صلى اللّه عليه وسلم ، فى المنام باهى عيسى وموسى ، عليهما السلام ، بالغزالى ، رضى اللّه عنه .

وقال : هل فى أمتكما مثله ؟ قالا : لا ، وشهد له العارف المرسى رضى اللّه عنه بالصديقية العظمى ، قال : ونقل اليافعى رضى اللّه عنه عن بعض الأولياء الأكابر والعلماء الجامعين بين علم الباطن والظاهر ، انه قال : لو كان نبى بعد النبى لكان الغزالى رضى اللّه عنه . قال العارف ابن عربى رضى اللّه : عنه كان الغزالى من رؤساء الطريقة وساداتهم ، وكان يرى المناسبة ويقول بها ، فرأى فى بيت المقدس حمامة وغرابا لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه ، فقال : اجتماعهما لمناسبة فأشار إليهما بيده فدرجا فإذا بكل منهما عرج والمناسبة فى مساق الأشياء صحيحة ، ومعرفتها من مقالات خواص أهل الطريق وهى غامضة موجودة في كل شيء حتى بين الاسم والمسمى ، قال : والقائلون بالمناسبة من طريقنا عظماء أهل المراقبة والأدب ، ولا تكون إلا بعد كشف علمى ومشهد ملكوتى .

(ومن كلامه) : الدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى ، وإنما سميت دنيا ؛ لأنها أدنى المنزلتين .

وقال : ربما وجد بعضهم فى نفسه أنسا وتقريبا فى عبادته ومجلسه ، فظن أن بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه فى ذلك لأهلكه ومن حوله .

وقال : إنما يعرف كل سالك المنزل الذى يبلغه فى سلوكه وما خلفه من المنازل .

وقال : ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما بل قد يصدق به إيماناً بالغيب .

وقال : أنوار العلوم تحجب عن القلوب لبخل ومنع عن جهة المنعم تعالى عن ذلك ، بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب ، فإنها كالأوانى ما دامت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير اللّه لا تدخله المعرفة بجلاله .

وقال : أشرف أنواع العلم ، العلم باللّه وصفاته وأفعاله ، وفيه كمال الإنسان وفى كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال .

وقال : جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر ، والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر .

وقال : من ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى له الملك والملكوت فى قلبه ، فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض .

وقال : عالم ولا نفسه نفسه يشتهى الشيء ، وقد يكون فيه هلاكه ، ويكرهه وفيه حياته ، ويستلذ الأطعمة وترديه ويستبشع الأدوية وتحييه ، لا يأمن فى لحظة أن يسلب سمعه وبصره ، وتفلح أعضاؤه ويختلس عقله وتختطف روحه فهو مضطر ذليل ، إن ترك بقى ، وإن اختطف فنى ، عبد مملوك لا يقدر على

شيء ، فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق به الكبر .

وقال : الكبر دليل الأمن والأمن مهلك ، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، وقال : من أدوية الكبر أن يجتمع مع إخوانه فى المحافل ويقدمهم ويجلس تحتهم وللشيطان هنا مكيدة وهو أن يقعد فى صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الأرذال ، فيظن أنه تواضع وهو عين التكبر لإيهامه أنه ترك مكانه بالاستحقاق فيكون تكبرا بإظهار التواضع ، بل يقدم أقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط إلى صف النعال .

وقال : قد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأبدان مع أنها كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السلامة والسعادة إلا بسلامتها .

وقال : الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع .

وقال : من ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشربه .

وقال : الشيطان لا يغر الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولو حسن الظاهر ما انخدعت منه القلوب .

وقال : إن لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك إلى حجاب منها فى الطريق إلا ظن أنه وصل ، وأول حجاب بين الله وبين العبد نفسه ، فإنه أمر ربانى ، وهو نور من أنوار الله ، أعنى سر القلب الذى يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل ، وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما ، إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه ، فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه ، فربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول : أنا الحق ، فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك ، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو

مغرور ، وهذا هو محل الالتباس ، إذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة فتظن أنه لون المرآة ، وكما يلتبس ما فى الزجاج ، بالزجاج ، وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح ، عليه السلام ، فرأوا إشراق نور الله تعالى قد تلألأ فيه ، فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو الماء فيمد إليه يده ليأخذه وهو مغرور ، وكان الأولى ترك ذكر هذا ؛ إذ سالك الطريق لا يحتاج أن يسمعه من غيره ، ومن لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل يضره ؛ لأنه يدهش بسماعه ما لم يفهم .

وقال : أساس السعادات كلها العقل والكياسة والذكاء ، وصحة غريزة العقل نعمة من الله فى أصل الفطرة ، فإن فاتت ببلادة أو حماقة فتدارك له .

وقال : من لم يكن له نصيب من علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله ، ومن كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم بشىء بدعة أو كبر .

قال : علم المكاشفة عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته ، ينكشف به أمور كان يسمع أسماءها ويتوهم بها معانى مجملة غير متضحة فيتضح .

وقال : علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة ، فإنه نظر فى أعمال الجوارح ومصدرها ومنشؤها صفات القلوب .

وقال : معرفة الله وصفاته وأفعاله لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون حجابا ومانعا منها .

وقال : من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله ، وقال : التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله رؤية تقطع الالتفات إلى الوسائط .

وقال : كن من شياطين الجن فى أمان واحذر من شياطين الإنس ، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال .

وقال : الحسد نار محرقة من بلى به فهو فى عذاب دائم ، ولعذاب الآخرة أشد .

وقال : ما من أحد إلا وهو راض عن اللّه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا أفرحهم بكمال عقله .

وقال : علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع ، أما التشدق والاستطراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فمن آثار البطر والغفلة ، وذلك دأب أبناء الدنيا .

وقال : من الذنوب ما عقوبته سوء الخاتمة ، وقيل : هى عقوبة الولاية والكرامة بالافتراء .

وقال : من كانت غريزته الحمق ، فطول عمره يؤكد حماقته .

وقال : من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة ، وهو دعاء الولاية مع فقدها منه .

وقال : من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب .

وقال بعضهم : وقد جربناه فصحّ ؛ لأن الإنسان إذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود .

وله تصانيف عظيمة في غالب الفنون حتى فى علم الحروف وأسرار الروحانيات وخواص الأعداد ولطائف الأسماء الإلهية وفى السيميا وغيرها ، وله دعاء عجيب الشأن جربه أهل العرفان عند حلول الفاقة ، وقد ذكره فى « الإحياء » ، وهو : اللهم يا على يا حميد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا

يعرضوا عن العلم فيحرموا هذه الدرجات ، أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد عنه ؟ والصفة الناقصة عن درجة الكمال ، هذا إذا لم يكن لإبليس دخل فى الرؤيا وكانت ملكية ، وإذا كانت الرؤيا من الله فالرائى فى غير موطن الحس والمرئى ميت ، فهو عند الحق ، لا فى موطن الحسن ، والعلم الذى كان عرض عليه أبو حامد رضى الله عنه فى « أسرار العبادة » وغيرها ، ما هو غريب عن ذلك الموت الذى الإنسان فيه بعد الموت ، بل تلك حضرته وذلك محله ، فلم يبق العلم الغريب عن ذلك الموطن إلا ما كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمبايعة ونحو ذلك وعلوم الأحكام المتعلقة بالدنيا ليس للآخرة تعلق بها ألبتة ، فانه بالموت يفارقها ، فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة وكالهندسة والهيئة مما لا تقع له إلا فى الدنيا وإن كان فيها أجر من حيث نيته ، فالخير الراجع إليه منها قصده ونيته ، لا عين العلم فإنه يتبع معلومه ، ومعلومه فى الدنيا لا الآخرة ، فكأنه يقول فى رؤياه : لو اشتغلنا ، وقال : شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذى يليق به ويطلبه هذا الموضع كنا على خير كثير ، ولو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروى لم يكن غريبا ؛ لأنه موطنه ، والغربة إنما هي لفراق الموطن ، فإياك أن تحجب عن طلب العلوم الإلهية والأخروية ، وخذ من علوم الشريعة بقدر ما تمس الحاجة إليه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾[١] .

(٤٤٦) مطر الكردى البادرانى[٢]

نسبة إلى بادران قرية بأرض العراق ، من أكابر العارفين وجلة مشايخ العراقيين ، كان صوفيا عارفا راجيا خائفا ، زاهداً عابداً ، لطيف الذات حسن الصفات . بديع الخَلقِ والخُلُقِ ، سالكا فى السلوك أوضح المناهج والطرق ، وكان الغالب عليه السكر .

(١) سورة طه : الآية ١١٤ .

(٢) طبقات الشعرانى ١٢٧/١ ؛ والنبهانى ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(ومن كلامه) : لذة النفوس فى مناجاة القدوس ، ولذة الأرواح الشرب بكاس المحبة من أيدى عرائس الفتح اللدنى فى خلوة الوصل على بساط المشاهدة ، ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة ، والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب .مات رضى الله عنه ، وقبره بها ظاهر يزار .

(٤٤٧) موسى بن ماهين الذولى الماردينى [١]

من أكابر مشايخ العراق وأحد أركان الطريق ، أثنى عليه العارف الجيلانى ، رضى الله عنه ، وغيره ، وقصد من الآفاق لحل المشكلات وتكشف الخفيات .

(ومن كرماته) أنه كان إذا مس الحديد بيده لان حتى يصير كاللبان ، وإذا قال للطفل : اقرأ سورة كذا قرأها ولا يزال بعدها ينطق ، ولما مات ووضع باللحد نهض قائما يصلى واتسع اللحد جهاراً والحفار وغيره ينظرون ، مات بماردين[٢] وأثنى عليه الأكابر وأسفوا على موته .

(٤٤٨) مفرج المجذوب الصاحى[٣]

المشهور كالخوارق العظيمة الشأن ، كان عبدا حبشيا واصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة ، أخذه عن حسه المعهود أخذة شديدة ، وأقام فيها ستة أشهر ما يتناول طعاما ولا شرابا ، فضربه سيده ضربا مبرحاً فما أثر ، فظن أنه مجنون ، فقيده وغاب فوجد القيد فى ناحية وهو فى أخرى ، فحبسه فوجده خارج الحبس . فلما تكاثرت عليه كراماته أحضروا له فراخا

---

(١) طبقات الشعرانى ١/ ١٢٠؛ والنبهانى ٢/ ٢٧٠ ـ٢٧١.

(٢) قلعة مشهورة على جبل الجزيرة ، ياقوت ، معجم البلدان ٥/ ٣٩ .

(٣) النبهانى ٢/ ٢٦٧ عن الإمام اليافعى .

ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ، قال : من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه اللّه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ، وله قصيدة جليلة الفوائد عظيمة المقاصد ذكر فيها أسرارا جمة للفاتحة منها .

إذا ما كنت ملتمساً لرزق — ونيل القصد من عبد وحر

وتطفر بالذى ترجو سريعا — وتأمن من مخالفة وغدر

ففاتحة الكتاب فإن فيها — لما أملت سرا أى سر

تلازم درسها عقبى عشاء — وفى صبح وفى ظهر وعصر

وعقبى مغرب فى كل ليل — إلى التسعين تتبعها بعشر

تنل ما شئت من عز وجاه — وعظم مهابة وعلو قدر

وستر لا تغيره الليالى — بحادثة من النقصان تجرى

وتوفيق وأفراح دواماً — وتأمن من مخاوف كل شر

ومن عرى وجوع وانقطاع — ومن بطش لذى نهى وأمر

مات الإمام الغزالى ، رضى اللّه عنه ، عن خمس وخمسين سنة ، قال النووى ، رضى اللّه عنه فى « بستانه » عن شيخه البلقينى ، رضى اللّه عنه : أحصيت كتب الغزالى ، رضى اللّه عنه ، التى صنفها ووزعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس .

قال بعضهم : ورؤى فى النوم فسئل عن حاله ، فقال : لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير .

قال العارف ابن عربى ، رضى اللّه عنه : فتأولها علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق ، وقصد إبليس بهذا الطريق الذى زينه لهم أن

مشوية فقال لها : طيرى فطارت فأطلقوه ، فتواترت كراماته وكثرت بركاته ، وقصد للزيارة من الأقطار الكبار .

حرف الياء المثناة تحت

(٤٤٩) يحيى بن حى الشهاب السهروردى[1]

كذا سماه بعضهم : عمر شهاب الدين السهروردى ، وهو صاحب التصانيف المشهورة ، قال ابن خلكان : كان شافعى المذهب واتهم بانحلال العقيدة ، وقال الآمدى : اجتمعت به فرأيت علمه أكبر من عقله .

وقال غيره : كان أوحد زمانه فى علم الحكمة ، عارفا بالتصوف ، ماهراً فى أصول الفقه ، مفرط الذكاء عجيب القريحة ، متوقد الذهن فصيحا مفوها ، طاف البلاد على طريق الفقر والتجريد بحيث كان عليه دلق وعلى رأسه فوطة مفتولة ومعه إبريق وعكاز لا يزيد على ذلك ، وقدم حلب فناظر أهلها واستهتر بهم وشطح وتهتك بكلمات الحكماء والصوفية وجهر بذلك ، فأجمعوا علي كيده ورتبوا فتاوى وكتبوا عليها بإهدار دمه ، فقتله الملك الظاهر غازى بعد اختصاصه به بأمر عمه صلاح الدين ، فقيل : خنق وقيل : حبس بمكان ومنع الطعام والشراب حتى مات ، وقيل : سلخ فأملى على بعض طلبته قصيدة من نظمه ارتجالا كل بيت منها قاعدة لعلم من علوم الحكمة يستخرج من جميع قوانينه وأساليبه ، وذلك بحلب سنة ست وثمانين وخمسمائة وعمره ست وثلاثون سنة .

ومن تصانيفه كتاب حكمة الأشراق والألواح العمادية ، والتلقيحات فى أصول علم الشافعية ، والتلويحات اللوحية والعرشية والمطارحات والمقاومات وهياكل النور والمعارج وغير ذلك ، وهو المراد بالشهاب المفتول حيث أطلقه علماء

---

(١) وهو السهروردى المقتول ، المتوفى سنة ٥٨٦ هـ ، انظر ترجمته فى ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ١٦٧/٢ ، وكحالة ، معجم المؤلفين ٧/ ٣١٠ .

الحكمة والأصول .

(ومن كلامه) : من صبر نفسه عن الشهوات ملكها ، ومن ملكها أمكنه أن يعتزل الناس ، ومن اعتزلهم قلت همومه ، ومن قلت همومه قلت فكرته ، ومن قلت فكرته حسنت عبادته . ومن حسنت عبادته اتصلت نفسه بالروحانيات ، ومن اتصلت نفسه بها انصبغت بنور الحق ، وإذا انصبغت به أقبلت جواهر النفوس الإنسانية على مراده كيف كان . ومن نظمه :

أبداً تحنُّ إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ وصالكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح

(٤٥٠) يحيى بن بغان

خال العارف ابن عربى رضى الله عنه ، كان من رءوس الزهاد ، وأكابر العباد ، وكان أولا ملك تلمسان ، وكان فى زمنه رجل فقيه عابد منقطع عن أهل تونس يقال له : أبو عبد الله التونسى ، فركب الملك يحيى يوماً فى خدمه وحشمه فمر عليه وعليه ثياب فاخرة فوقف فسلم عليه وقال : يا شيخ ، هذه الثياب التى أنا لابسها تجوز الصلاة فيها ، فضحك له الملك ، فقال له : مم تضحك ؟ فقال : من سخف فعلك وجهلك بنفسك ، مالك شبيه عندى إلا الكلب يتمرغ فى دم الجيفة وأكلها وقذارتها ، فإذا جاء يبول رفع رجله حتى لا يصيبه البول وأنت وعاء ملىء حراما وتسأل عن الثياب ، فنزل عن دابته وخرج عن الملك ولزم خدمة الشيخ فأمسكه ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل فقال : أيها الملك : فرغت أيام الضيافة ، قم فاحتطب ، فكان يدخل السوق بالحطب على رأسه والناس

ينظرون ويبكون فيبيعه ويتقوت ويتصدق ، ولم يزل فى بلده كذلك حتى درج ودفن بها فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون الدعاء يقول : التمسوه من يحيى ابن بُغان ، فإنه ملك تزهد وانقطع إلى اللّه تعالى .

(٤٥١) يوسف بن يخلف الكومى[(١)]

شيخ العارف ابن عربى رضى اللّه عنه ، كان يملى المقام رفيع الهمة والاهتمام ، وكان من شأنه إذا ربى مريداً وأهله وخصه بذكر مخصوص لينال حالة مخصوصة ومقاما خاصا ، فمات قبل تحصيله ، وحيل بينه وبين ذلك المقام بالموت الذى لولاه نال بذلك الذكر المنزلة الإلهية التى يستحقها رب ذلك المقام شرع الشيخ فى العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذى مات ، فإذا استوفاه ، أحضر ذلك الميت إحضار من مثله فى خياله بصورته التى كان عليها ، وألبس تلك الصورة الممثلة ذلك الأمر وسأل اللّه تعالى أن يبقى ذلك عليه، فيحصل تلبس ذلك الميت ذلك المقام على أتم وجوهه منة من اللّه وفضلا .

قال العارف ابن عربى ، رضى اللّه عنه : هذا مذهب شيخنا المذكور ، وما أعنى أحداً من مشايخى سواه ، فانتفعت به فى الرياضة وانتفع بنا فى مواجيده ، فكان لى تلميذا وأستاذا ، وكنت له مثل ذلك ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ، ولا يعرف واحد منهم سببه ، وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فإنه كان قد تقدم فنحى على رياضتى ، وهو مقام خطر ، فأقام اللّه علىَّ بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ ، جزاه عني خيرا .

---

(١) النبهانى ٢/ ٢٩١ .

(٤٥٢) يوسف بن أيوب[(١)]

ابن يوسف بن الحسين الهمدانى أبو يعقوب

نزيل مرو ، أحد الأولياء الأكابر ، تفقه فى مذهب الإمام الشافعى ، رضى اللّه عنه ، على صاحب التنبيه وقدمه على صغر سنه ، وسمع الخطيب وغيره ، ثم انقطع وتزهد وتعبد ، واجتمع فى رباطه بمرو خلق كثير ، وعقد له مجلس الوعظ والتذكير ببغداد .

وله كرامات كثيرة منها ، أن رجلا من جماعته خرج عنه وصار يقع فيه بما هو برىء منه ، فقال الشيخ : هذا رجل يقتل فقتل ، وقعد يوماً للوعظ ، فقام إليه فقيه يعرف بابن السقاء وسأله عن مسألة وآذاه فقال له : اجلس فإنى أجد منك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير الإسلام ، فقدم نصرانى أرسله طاغية الروم إلى الخليفة فمشى ابن السقا إليه وسأله أن يصحبه فصحبه ، وقال : يقع لى أن يترك دين الإسلام ويدخل فى دينكم ، فتوجه معه إلي الروم وتنصر ومات هناك بعد أن كان حافظا للقرآن مجودا ، ورآه رجل هناك على دكة مريضا فسأله : هل القرآن على حفظه ؟ قال : ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [(٢)] .

نسأل اللّه الثبات على الإسلام والإيمان ، بمنه وكرمه آمين .

مات الشيخ الصالح ، صاحب الأحوال والكرامات سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، ذكره السمعانى .

---

(١) الشذرات ٤/ ١١٠ ؛ والنبهانى ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩١ ؛ والبغدادى ، هدية العارفين ٢/ ٥٥٢ ؛ ومعجم المؤلفين لكحالة ١٣/ ٢٧٩ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٢ .

الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة
الطبقة الثالثة	
حرف الهمزة	
(٢٠٦) إبراهيم بن أحمد الخواص	٣٢٨
(٢٠٧) إبراهيم بن سعد العلوى	٣٣٣
(٢٠٨) إبراهيم الهروى المعروف بستنبه	٣٣٥
(٢٠٩) إبراهيم بن على الخرسانى	٣٣٦
(٢١٠) إبراهيم بن بشير الحربى	٣٣٧
(٢١١) إبراهيم الخراز	٣٣٧
(٢١٢) ابراهيم بن داود ابو اسحاق	٣٤١
(٢١٣) أحمد بن حنبل	٣٤٢
(٢١٤) أحمد بن محمد النورى	٣٤٥
(٢١٥) أحمد بن أبي اورد	٣٤٨
(٢١٦) أحمد بن محمد بن مسروق	٣٤٩
(٢١٧) أحمد بن عاصم	٣٥٠
(٢١٨) أحمد بن خضروية البلخى	٣٥١
(٢١٩) أحمد بن أبى الحوارى	٣٥٢
(٢٢٠) أحم بن أبى نصر الخزاعى	٣٥٦
(٢٢١) أبواراهيم السائح	٣٥٧
(٢٢٢) ابو تراب النخشى	٣٥٨
(٢٢٣) ابو جعر المحولى	٣٦١
(٢٢٤) أبو بكر الهلالى	٣٦٢
(٢٢٥) أو يعقوب الهاشمى	٣٦٢
(٢٢٦) أبو اقاسم المنادى	٣٦٣

الموضوع	رقم الصفحة
(٢٨١) محمد بن يوسف البناء	٤٨٧
(٢٨٢) محمد بن المبارك الصورى	٤٨٧
(٢٨٣) مضاء بن عيسى الشافعى	٤٨٨
(٢٨٤) معروف بن فيروز الكرخى	٤٨٨
(٢٨٥) ممشاذ الدينورى	٤٩١
(٢٨٦) منصور بن عمار المروزى	٤٩٢
حرف النون	
(٢٨٧) نفيسه بنت الحسن	٤٩٤
حرف الياء المثناة تحت	
(٢٨٨) يحيى بن معاذ الرازى	٤٩٦
الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية	
حرف الهمزة	
(٢٨٩) إبراهيم بن أحمد بن المولد	٥٠٣
(٢٩٠) إبراهيم بن شيبان القرميسينى	٥٠٣
(٢٩١) إبراهيم بن أحمد الحسبانى	٥٠٥
(٢٩٢) إبراهيم بن محمد أبو القاسم النصر اباذى	٥٠٦
(٢٩٣) إبراهيم الآجرى	٥٠٨
(٢٩٤) أحمد بن حمدان بن على بن سنان	٥٠٨
(٢٩٥) أحمد بن محمد بن أبى سعدان	٥٠٩
(٢٩٦) أحمد بن محمد العارف أبو على الروذبادى	٥١٠
(٢٩٧) أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى	٥١٣
(٢٩٨) أحمد بن محمد أبو سعيد بن الأعرابى البصرى	٥١٥
(٢٩٩) أحمد بن محمد الدينورى	٥١٦

الموضوع	رقم الصفحة
حرف الجيم	
(٤١٥) جاكير الكردى العراقى	٦٦٣
حرف الحاء المهملة	
(٤١٦) حسن بن عتيق القسطلانى	٦٦٤
حرف الشين المعجمه	
(٤١٧) شعيب المغربى الشيخ أبو مدين	٦٦٥
حرف الطاء المهملة	
(٤١٨) طاهر بن شعيب ابن فضل الله أبو الفتح الميهنى الصوفى	٦٧٠
حرف العين المهملة	
(٤١٩) عبد الله المغاور المغربى	٦٧١
(٤٢٠) عبد الله بن محمد بن عبد الجبار	٦٧٢
(٤٢١) عبد الرحمن بن على الدمشقى الخوقى السليمى الشافعى	٦٧٢
(٤٢٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم	٦٧٣
(٤٢٣) عبد القاهر بن عبد الله	٦٧٤
(٤٢٤) عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلانى الحنبلى	٦٧٦
(٤٢٥) عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمى الأفريقى	٦٨٢
(٤٢٦) عبد الرحيم بن أحمد بن حجون	٦٨٣
(٤٢٧) عبد الملك الطبرى	٦٨٤

الموضوع	رقم الصفحة
(٤٤٤) محمد بن رسلان	٧٠٣
(٤٤٥) الإمام الغزالى ابن محمد الطوسى	٧٠٣
(٤٤٦) مطر الكردى البادرانى	٧١٢
(٤٤٧) موسى بن ماهين الذؤلى الماردينى	٧١٣
(٤٤٨) مفرج المجذوب الصاحى	٧١٣
حرف الياء المثناة تحت	
(٤٤٩) يحيى بن حى الشهاد السهروردى	٧١٤
(٤٥٠) يحيى بن بغان	٧١٥
(٤٥١) يوسف بن يخلف الكومى	٧١٦
(٤٥٢) يوسف بن أيوب	٧١٧

الإعداد
والتجهيز
الفنى
وصفي للكمبيوتر
١٤ ش أم الغلام - بالحسين - القاهرة ٥٩١٩٥١٩

رقم الإيداع: ٩٤/٧١١٩

I.S.B.N

977-5/65-38-5